

تَفْسِيرُ
التَّحْكِيمِ
الموسم
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠



* بسم الله الرحمن الرحيم *

* صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً *

يقول العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي رحمة ربه عبد الرحمن
ابن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين وبساتير المؤمنين

الحمد لله رب العالمين * وصلوات ربنا وسلامه على سيدنا محمد خاتم
النبیین * وعلى آله وصحبه السادة المكرمين * والحمد لله الذي من
علينا بالايمان * وشرفنا بتلاوة القرآن * فاشرفت علينا بحمد الله انواره *
وبدت لذوى المعارف عند التلاوة اسراره * وفاضت على العارفين عند
التدبر والتأمل بحاره * فسبحان من انزل على عبده الكتاب * وجعله
لاهل الفهم المتمسكين به من اعظم الاسباب * كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب *

اما بعد ايها الاخ اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين *
وجعلنى واياك من اوليائه المتقين * الذين شرفهم بنزل

قدسه * واوحشهم من الخليفة بانسه * وخصهم من معرفته * ومشاهدة
 عجائب ملكوته * واثار قدرته * بما ملأ قلوبهم حيرة * وقوته
 عقولهم في عظمتة حيرة * فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين
 غيره * فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون * وبين اثار قدرته وعجائب
 عظمتة يترددون * وبالاقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون * لهجين
 بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون * فاني جمعت لنفسى
 ولك في هذا المختصر ما ارجو ان يقر الله به عيني وعينك في الدارين
 فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته
 فوائد جمه * من غيره من كتب الاثمة * وثقات اعلام هذه الامة *
 حسبما رأيته اورويته عن الاثبات وذلك قريب من مائة تاليف وما منها
 تاليف الا وهو منسوب لامام مشهور بالدين * ومعدود في المحققين *
 وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تاليفه نقلت * وعلى
 لفظ صاحبه عولت * ولم انقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في
 الزلل وانما هي عبارات والفاظ لمن اعزوها اليه وما انفردت بنقله عن
 الطبري فمن اختصار الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد اللخمي
 النحوي لتفسير الطبري نقلت لانه اعتنى بتهذيبه وقد اطنب ابو
 بكر بن الخطيب في حسن الثناء على الطبري ومدح تفسيره واثنى عليه
 غاية نسأل الله تعالى ان يعاملنا واياهم برحمته وكل ما في ماخرة انتهى فليس
 هو من كلام ابن عطية بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن اشكل
 عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الامهات المنقول منها فليصلحه منها ولا
 يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر وجعلت علامة

الثاء لنفسى بدلا من قلت ومن شاء كتبها قلت واما العين فلا بن عطية وما نقلته من الاعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسى مختصر ابى حيان غالبا وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت وكل ما نقلته عن ابى حيان فانما نقلت له بواسطة الصفاقسى غالبا قال الصفاقسى وجعلت علامة ما زدت على ابى حيان * م * وما يتفق لى ان امكن فعلمته * قلت * وبالجمله فحيث اطلق فالكلام لابى حيان وما نقلته من الاحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وابى داود والترمذى فى باب الاذكار والدعوات فاكثره من النووى وسلاح المومن وفى الترغيب والترهيب واحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوى وغيره كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى كل ذلك معزوا لمحالته وبالجمله فكتابى هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحه والحسان الماثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التقيصى وأولى الامور بمن نصح نفسه والههم رشده معرفة السنن التى هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل الى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذى به الابتلاء * وعليه الجزاء * فى دار الخلود والبقاء * التى لها يسعى الالباء العقلاء * والعلماء الحكماء * فمن من الله عليه بحفظ السنن والقرآن * فقد جعل بيده لواء الايمان * فان فقه وفهم * واستعمل ما علم * دعي فى ملكوت السموات عظيما * ونال فضلا جسيما * انتهى والله اسأل ان يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعلا صالحا يقربنا الى مرضاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم

﴿ وسميته بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ﴾

اسأل الله ان ينفع به كل من حصله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وَاخِرُ دَعْوَانَا ان الحمد لله رب العالمين وها انا ان شاء الله اشرع في المقصود والتنقطة من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقربه العين واذا نقلت شيئاً من غيره عزوته لصاحبه كما تقدم قال * ع * رحمه الله بعد كلام في اثناء خطبته ولما اردت ان اختار لنفسى وانظر في علم اعد انواره لظلم رمسى سبرت العلوم بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر شرف المعلم فوجدت امتنها حبالا وارسخها جبالا واجملها ماثارا واسطعها انوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدس اسماءه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السماء الى امين الارض وايقنت انه اعظم العلوم تقريبا الى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشى في التلطف لها رويدا ورجوت ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته اكثر عمره معانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه ثم قال قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا قال المفسرون اى علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتب ففرغت الى تعليق ما يتدخل لى في المناظرة من علم التفسير قال ولنقدم بين يدي القول في التفسير اشياء قد قدم اكثرها المفسرون واشياء ينبغي ان تكون راسخة في حفظ الناهض في هذا العلم مجتمعة لهذه

باب في فضل القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نباء من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبراً قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيف به لاهواء ولا تشعب معه آراء ولا يشبع منه العلماء ولا يملأه لائقاء من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علم الآزليين والآخريين فليشور القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان الذي يتعاهد القرآن ويشدد عليه له اجران والذي يقرأه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة وقال صلى الله عليه وسلم اتلوا هذا القرآن فان الله ياجرکم بالحرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن لالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتى القرآن وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن قال الشيخ يحيى بن شرف النووي اعلم ان قراءة القرآن اكد الاذكار وافضلها فينبغى مداومة عليها فلا يخلو عنها يوماً وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القراءة بالتدبر والخشوع والخصوع وقد روينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القردان يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وفي رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين آية وفي رواية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين وجاء في الباب احاديث كثيرة بنحو هذا انتهى من الحلية وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتي حملة القردان وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القردان شافع مشفع وماحل مصدق ومن شفع له القردان نجا ومن محل به القردان يوم القيامة كبه الله لوجهه في النار واحق من شفع له القردان اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم ترى رسول الله ثابت بن قيس لم تزل دارة البارحة يزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت ابن قيس فقال نعم قرأت سورة البقرة وفي هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد ابن حضير في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة قلت وفي رواية سورة الكهف وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي انتهى وقال عقبه بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال عليكم بالقردان وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي ان من اشرط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع لاشرار ويوضع لاختيار وان تقرأ المشناة على رموس الناس لا تغير قيل وما المشناة قال ما استكتب من غير كتاب الله قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اخذتموه عن من تامنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقردان فتعلموه وعلموه ابناكم

فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن قل وقال رجل لعبد الله ابن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا بارعها سمعتك فانه خير يا مر به او شر ينهي عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقروان فقال الذى اذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقروا القروان قبل ان يجي قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجرة ولا يتأجلونه وروى ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابى بكر الصديق رضى الله عنه سمعوا القروان فاجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فان انت عيّد منها عشرين يوما قال القرطبي فى التذكرة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بشيء مثل القروان قال صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القروان عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين رواه الترمذى انتهى قلت ولعل الترمذى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عز وجل من شغله القروان وذكرى عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يفقه من قرأ القروان فى اقل من ثلاث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وعما الامر التدبر والتفهم فقلة القراءة مع التفهم افضل من كثرتها من غير تفهم وهذا الذى عليه المحققون وهو الذى يدل عليه القروان وصحيح الآثار ولولا الاطالة لاتينا من ذلك بما يتلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح الرسالة فى الذى يقرأ القروان من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر أم لا فوالله وهذا

الخلاف والله اعلم في غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما
حكاه عياض في المدارك عن الشبلي في قصته مع الامام المقرئ وبالجملته
فالتدبر والتفهم هو الذي يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير ونقل الباجي
في سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ في ليلي حتى
اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا ازيد عليهما وانردد فيهما وانفكر احب الي
من ان اهد القرآن ليلي هذا او قال انشره نشرًا ونحوه عن مجاهد وغيره وعن
ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى
قال ابن ابي جبرة والمرغب فيه التدبر في القراءة وان قلت وهو خير من كثرة
القراءة بلا تدبر وفائدة التدبر هو ان تعرف معنى ما تتلو من الآي انتهى وقال
الحسن بن ابي الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا
تركبونه فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم
فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
انزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا ان احدهم ليتلو القرآن من
فأختمه الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به قال * ع * قال الله
تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وقال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا اي علم
معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقیل فمال الناس الى اليسر وتركوا الثقیل وهو
المطلوب منهم وقيل ليوסף بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرآن فقال
استغفر الله من تلاوتی لانی اذا ختمته ثم تركت ما فيه من الاعمال خشيت
المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال
فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال لي اتخذت القراءة علي عملا اذهب
فاقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ما ذا يفهمك منه قال الغزالي في كتاب

التفكر واما طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى تشتمل اجتلاب احوال مجودة او التنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من تلاوة القرآن بالفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال الحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآيات التى هو محتاج الى التفكير فيها مرة بعد اخرى ولوليلة كاملة فقرة اية بتفكر وفهم خير من ختمته من غير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه اسرار لا تتحصرو ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك حكم مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي عليه السلام جوامع الكلم فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجرى به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغفرتهم ولجالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية انتهى من الاحياء

باب فى فضل تفسير القرآن واعرابه

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرآن والتمسوا غرائبها فان الله تعالى يحب ان يعرب قال ابو العالية فى تفسير قوله عز وجل ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم فى القرآن وقال قتادة الحكمة القرآن والفقه

فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرآن وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسيره اية ف قيل له ان الذى يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى علم تفسيرها وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وقال اياس ابن معاوية مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب ومثل الذى يعلم التفسير كرجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب وقال ابن عباس الذى يقرأ ولا يفسر كالعراقي الذى يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل الله وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعنى بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كشيء

فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرة عليه ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله تعالى الا ايا بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال ع * ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها ومنها ما يستقرأ من الفاظه كعدد النفحات في الصور وكريمة خلق السموات والارض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من

تكلم في القروان برايه فاصاب فقد اخطأ ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتصور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء او اقتصرته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد ابن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القروان ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عن جميعهم * ت *

وخرج ابو عيسى الترمذى في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القروان بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث عنى لا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القروان برايه فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرج عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القروان برايه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا في هذا في ان يفسر القروان بغير علم واما الذى روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القروان فليس الظن بهم انهم قالوا في القروان او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم بغير علم حدثنا الحسين بن مهدي البصرى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما في القروان اية الا وقد سمعت فيها بشي . وحدثنا ابن

ابى عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لو كنت قرأت
قراءة ابن مسعود لم احنج الى ان اسأل ابن عباس عن كثير من القروان مما سألت
انتهى ما نقلته من الترمذى ثم قال * ع * فاما صدر المفسرين والمؤيد
فيهم فعلي بن ابى طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وهو تجرد للامر وكمله وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما
والمحفوظ عنه في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابى طالب وقال ابن
عباس ما اخذت من تفسير القروان فعن علي بن ابى طالب وكان علي بن
ابى طالب يشنى على تفسير ابن عباس ويحصى على الاخذ عنه وكان عبد الله
ابن مسعود يقول نعم ترجمان القروان عبد الله بن عباس وهو الذى قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وحسبك بهذه
الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن
صروبن العاصى وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في
التابعين الحسن بن ابى الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة وقد قرا مجاهد
على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية ويتلوهم عكرمة والصحاك بن
مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدى رحمه الله
تعالى فكان غامر الشعبى يطعن عليه وعلى ابى صالح لانه كان يراهما مقصرين
في النظر ثم حمل تفسير كتاب الله عز وجل على كل خلف والى الناس فيه
كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابى طلحة والبخارى وغيرهم ثم ان محمد بن
جرير الطبرى رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في
الاسناد ومن المبرزين في المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي فان
كلامهما منقول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهما الله فكثيرا ما

استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابي طالب رحمه الله وابو العباس
المهدوي رحمه الله متقن التأليف وكلهم مجتهد ماجر رحمهم الله ونضرو وجوههم
(فصل) واختلف الناس في معنى قوله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن
على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه ثم قال * ع * بعد كلام والذي
مال اليه كثير من اهل العلم كابى عبيد وغيره ان معنى الحديث انه
انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا في تعيينهم وانا الخص الغرض
جهدى بحول الله فاصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قرشى واسترضع في بنى سعد ونشأ فيهم ثم ترعرع وشب وهو
يخالط في اللسان كنانة وهذيل وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافها لقريش من
مكة وتكرارهم عليها ثم بعد هذه تيمنا وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب
فلما بعث الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة
المذكورة وهي التى قسمها على سبعة لها السبعة الاحرف وهي اختلافاتها في
العبارة قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش ومنها لكنانة ومنها
لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قد اتى على
قبائل مضر في مراتب سبعة تستوعب اللغات التى نزل بها القرآن وهذا نحو ما
ذكرناه وهذه الجملة هي التى انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل
ويسرها الله لذلك ليظهر اية نهيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب
سلامتها انها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم فاما
اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربها خاطئة الحبشة والهنود على ان
ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبائل
التي نزل القرآن بلغاتها قال * ع * وذلك عندي انما هو فيما استعملته

عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرب والفتح فاما ما انفردوا به كالزخنج والقلوب
فليس في كتاب الله منه شيء . واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد
ربيعة وشرقي الجزيرة فافسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة
وغير ذلك واما الذى يلى الشام وهو شمالي الجزيرة وهى بلاد ال جفنة وغيرهم
فافسدها مخالطة الروم وكثير من بنى اسرائيل واما غربي الجزيرة فهي جبال تسكن
بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات
لم تكدر صفوكلامها امة من العجم ويقوى هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام
وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصريين البصرة والكوفة لحفظ لسان
العرب وكتب لغتها لم يخذوا الا من هذه القبائل الوسيطة المذكورة
ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف واحد
وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار
من الامم كثر فيها فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر فى مدة النبي
صلى الله عليه وسلم سليمة لقلّة المخالطة فمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف اي فيه عبارات سبع قبائل بلغة
جلتها نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعارة قريش ومرة بعارة هذيل ومرة
بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز فى اللفظة لا ترى ان فطر معناها عند غير
قريش ابتداء خلق الشيء وعمله فجاءت فى القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان فى بشر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت
حينئذ موقع قوله سبحانه فاطر السماوات والارض وقال ايضا ما كنت ادرى
معنى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذى جدن تقول
لزوجها تعال افانحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى او ياخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال
ان ابى يتخوفنى حتى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف اى على
تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ فى الصلاة والنخل باسقات ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة
الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف
السبعة وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الاعجاز وجودة
الرصف ولم تقع الاباحة فى قوله فاقروا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من
الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه
ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير
الذى نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة فى الحروف السبعة للنبي صلى الله
عليه وسلم ليوسع بها على امته فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن
مسعود بما عارضه به ايضا وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اقرانى جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى
سبعة احرف

فصل فى ذكر الفاظ التى فى القرآن مما للغات العجم بها تعلق

اختلف الناس فى هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان فى كتاب الله تعالى من
كل لغة وذهب الطبرى وغيره الى ان القرآن ليس فيه لفظة لا وهى عربية
صريحة وان لامثلة والحروف التى تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها
توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله

تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس في القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة قال * ع * والذي اقول ان القاعدة والعقيدة هي ان القراء بلسان عربي مبين وليس فيه لفظ تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان اخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر اللسان بتجارات وسفر الى الشام وارض الحبشة فعلمت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما في لغة غيره كمال يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبري من ان اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذلك بعيد بل احدهما اصل والاخرى فرع في الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شـ اذا

باب تفسير اسماء القراء وذكر السورة والآية

هو القراء وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقراء مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلا يقرأ قرأنا وقراءة وقال قتادة القراء معناه التاليف قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تاليفه

والقول الاول اقوى ان القروان مصدر من قرأ اذا تلا ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضي الله عنه

ضحوا باسمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرانا
اي وقراءة واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها
ومنه قول الشاعر * واكتبها باسيار * اي اجعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه
فرق بين الحق والباطل والمومن والكافر فرقانا وقرقانا واما الذكر فسمي بذلك
لانه ذكر به الناس واخترهم ولا هم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي
بذلك لان فيه ذكر لآلام الماضية والانبياء وفيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف
لمحمد صلى الله عليه وسلم وفومه وسائر العلماء به واما السورة فان قريشا كلها ومن
جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همز وتميم
كلها وغيرهم يهمزون فاما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي
هي سور وسورة من اسار اذا ابقى ومنه سور الشراب واما من لا يهمز فممنهم من
يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء
اي القطعة منه لان كل بناء فانما بني قطعة بعد قطعة فكل قطعة منها سورة فكان
سور القروان هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القروان ويقال ايضا للرتبة الرفيعة
من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

الم تر ان الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فكان الرتبة انبنت حتى كملت واما الآية فهي العلامة في كلام العرب ولما كانت
الجملة التامة من القروان علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدثي بها
سميت آية هذا قول بعضهم وقيل سميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام كما
تقول العرب جئنا بآيتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها

وما بعدها سميت آية * ت * وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب الحديث وآية الايمان حب الانصار وآية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء يقوى القول الاول والله اعلم وهذا هو الراجح في مختصر الطبرى قال والآية العلامة وذلك اظهر في العربية والقراءان واصح القول ان آيات القراءان علامات للايمان وطاعة الله تعالى ودلالات على وحدانيته وارسال رسله وعلى البعث والنشور وامور الآخرة وغير ذلك مما تضمنته علوم القراءان انتهى

باب فى الاستعاذة

قال الله عز وجل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت ان تقرأ فاقع الماضى موقع المستقبل لثبوته واجمع العلماء على ان قول القارئ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله واجعوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل قراءة فى غير صلاة واختلفوا فى التعوذ فى الصلاة فابن سيرين والنخعى وقوم يتعوذون فى كل ركعة ويمثلون امر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم فى كل قراءة وابو حنيفة والشافعى يتعوذان فى الركعة الاولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ومالك رحمه الله لا يرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويراه فى قيام رمضان ولم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه تعوذ فى صلاة واما لفظ الاستعاذة فالذى عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واما المقرون فاكثروا فى هذا من تبديل الصفة فى اسم الله وفى الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المرید ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز

روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاطم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب والبسلة تسعة عشر حرفا قال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله استصلعوا قال * ع * وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم * ت * ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء ولقد اغنى الله تعالى بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجزى الله نقاد الامة عنا خيرا وما جاء من الاثر عن جابر وابى هريرة مما يقتضى بظاهرة ان البسلة اية من الفائحة يردده صحيح الاحاديث كحديث انس وابى بن كعب وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدى ونحوها ولم يحفظ قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسمون في الصلاة * ع * واغناء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديرة ابتدأى مستقرا وثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل تقديرة ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند

البصريين مشتق من السَّمَوِ * ت * وهو العلو والارتفاع قال * ص *
والاسم هو الدال بالوضع على موجود في العيان ان كان محسوسا وفي الاذهان ان
كان معقولا من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك
اللفظ دليلا على المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسندت حكما الى لفظ اسم
فتارة يكون حقيقة نحو زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق
الاسم ويراد به المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك وتأول
السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى
لا يخلو التسبيح من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى والذكر
باللسان متعلقه اللفظ وتأول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء بانها اسماء كاذبة
غير واقعة على الحقيقة فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التي اخترعوها انتهى وقال
الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له
والمكتوبة التي لفظها الله ابهر اسمائه تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم لسايرها
في الاغلب وانما نجى الآخر اوصافا وحذفت الالف الاخيرة من الله لئلا يشك
بخط اللآل وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة مبالغته من الرحمة معناها انه
انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشري
ابلع من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راجا يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيما
يقال لمن كثر منه ذلك والرحن النهاية في الرحمة

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى وقوته

قال ابن عباس وغيره انها مكية ويؤيد هذا ان في سورة الحجر ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والحجر مكية باجماع وفي حديث ابي بن كعب انها السبع المثاني

ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط في الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين وروي عن عطاء بن يسار وغيره انها مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها فاتحة الكتاب واختلف هل يقال لها ام الكتاب فكرة ذلك الحسن بن ابي الحسن واجازة ابن عباس وغيره وفي تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القرآن فكرة ذلك ابن سيرين وجوزة جمهور العلماء وسميت المثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها استثنيت لهذه الامة واما فصل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها وروي انها تعدل ثلثي القرآن وهذا العدل اما ان يكون في المعاني واما ان يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل وكذلك يجبي. عدل قل هو الله احد وعدل اذا زلزلت وغيره * ت * ونحو حديث ابي حديث ابي سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته رواه البخاري وابو داود والنسائي وابن ماجة انتهى من سلاح المومن تاليف الشيخ المحدث ابي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله * الحمد * معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو اعظم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود قال * ص * وهل الجمد بمعنى الشكر او الحمد اعظم او الشكر ثناء على الله بافعاله والحمد ثناء عليه باوصافه ثلاثة اقوال انتهى قال الطبري الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه تعالى وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجبي. قولوا اياكم واهدنا قال وهذا

من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه وهو كثير * والرب * في اللغة
المعبود والسيد المالك والقائم بالامور المصلح لما يفسد منها فالرب على الاطلاق
هو رب الارباب على كل جهة وهو الله تعالى * والعالمون * جمع عالم وهو
كل موجود سوى الله تعالى يقال لجملة عالم ولاجزائه من الانس والجن وغير ذلك
عالم عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل في
زمان اخر حسن جمعها ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو مأخوذ من العلم
والعلامة لانه يدل على موجد كذا قال الزجاج قال ابو حيان الالف واللام في
العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفردة عالم اسم جمع وقياسه الا يجمع وشذجه
ايضا جمع سلامة لانه ليس بعلم ولا صفة * م * وذهب ابن مالك في
شرح التسهيل الى ان عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لان العالم عام
وعالمين خاص قلت وفيه نظر انتهى وقد تقدم القول في الرحمن الرحيم
* ملك يوم الدين * الدين في كلام العرب على انحاء وهو هنا الجزاء يوم
الدين اي يوم الجزاء على الاعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره مدينين
محاسبين وحكى اهل اللغة دنته بفعله ديننا بفتح الدال وديننا بكسرهما جزيته
ومنه قول الشاعر

واعلم يقينا ان ملكك زائل * واعلم بان كما تدين تـدـان
* اياك نعبد * نطق المومن به اقرار بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله
وقدم اياك على الفعل اهتماما وشان العرب تقديم الهم واختلاف النحويون
في اياك فقال الخليل ايا اسم مضمرا ضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف
وحكى عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايه وايا الشواب وقال المبرد ايا اسم
مبهم اضيف للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين ان

اياك بكماله اسم مضمرو ولا يعرف اسم مضمري يتغير . اخره غيره وحكي عن بعضهم انه قال الكاف والهاء والياء هو الاسم المضممر لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون الا متصلات فاذا تقدمت الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي فاذا تأخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا * ونعبد * معناه نقيم الشرع والاوامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبد وكذلك البعير * ونستعين * معناه نطلب العون منك في جميع امورنا وهذا كله تبر من الاصنام * وقوله تعالى اهدنا * رغبة لانها من المربوب الى الرب وهكذا صيغ الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر * والهداية * في اللغة الارشاد لكنها تنصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الارشاد وكلها اذا تأملت راجعة الى الارشاد فالهدي يحیی بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم ويهdy من يشاء الى صراط مستقيم وانك لا تهdy من احببت ولكن الله يهdy من يشاء فمن يرد الله ان يهديه آية قال ابو المعالي فهذه الآيات لا ينتج جلها الا على خلق الايمان في القلب وهو محض الارشاد وقد جاء الهdy بمعنى الدعاء كقوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقد جاء الهdy بمعنى الالهام من ذلك قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال المفسرون الهم الحيوانات كلها الى منافعها وقد جاء الهdy بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال المفسرون معناه بيناهم قال ابو المعالي معناه دعوانهم وقوله تعالى ان علينا للهdy اي علينا ان نبين وفي هذا كله معنى الارشاد قال ابو المعالي وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها كقوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله

تعالى فاهدوهم الى صراط الحجيم معناه فاسلكوهم اليها قال * ع * وهذه الهداية بعينها هي التي تنال في طرق الدنيا وهي ضد الضلال وهي الواقعة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التاويلات وذلك بين من لفظ الصراط والصراط في اللغة الطريق الواضح ومن ذلك قول جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له الصراط في هذا الموضع فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا القروان وقال جابر هو الاسلام يعنى الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هودين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر وعمر ابي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وهذا قوي في المعنى إلا أن تسمية اشخاصهم طريقا فيه تجوز ويجمعهم من هذه الاقوال كلها ان الدعوة هي ان يكون الداعى على سنن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في معتقدهاته وفي التزامه لاحكام مشروعه وذلك هو مقتضى القروان والاسلام وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهذا الدعاء انما امر به المومنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا فيها هو حاصل عندهم التثبيت والدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة الجهل به او التقصير في المحافظة عليه طلب الارشاد اليه فكل داع به انما يريد الصراط بكماله في اقواله وافعاله ومعتقداته واختلف في المشار اليهم بانه سبحانه انعم عليهم وقول ابن عباس وجمهور من المفسرين انه اراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك عن قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيرا لهم الآية الى قوله

رفيقا * وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين * اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناها وذلك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء سوى المخاطب فهو غير وكذلك ان قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المائلة والمغضوب عليهم اليهود والصابون النصارى قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله لان ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وبأو بغضب من الله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققهم على شرعة قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد صلوا واما غير متحققهم فضلالهم متفرقة منذ تفرقت اقوالهم في عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وصلوا عن سواء السبيل واجمع الناس على ان عدد آيات سورة الحمد سبع آيات * العالمين آية * الرحيم آية * الدين آية * نستعين آية * المستقيم آية * انعمت عليهم آية * ولا الضالين آية * وقد ذكرنا عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ان ما ورد من خلاف في ذلك ضعيف (القول في ءامين) روى ابوهريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا ءامين فان الملائكة في السماء تقول ءامين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * ت * وخرج مسلم وابوداود والنسائي من طريق ابى موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال غير
المغضوب عليهم ولا الصالين فقولوا ءامين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى
ءامين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب اواجب يا رب ومقتضى الآثار ان كل
داع ينبغي له في ءاخر دعائه ان يقول ءامين وكذلك كل قارئ للحمد في غير
صلاة واما في الصلاة فيقولها الماموم والفذ وفي الامام في الجهر اختلاف واختلاف
في معنى قوله صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فليل في الاجابة
وقيل في خلوص النية وقيل في الوقت والذي يترجح ان المعنى فمن وافق في
الوقت مع خلوص النية والاقبال على الرغبة الى الله بقلب سليم والاجابة تتبع
حينئذ لان من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفي صحيح مسلم وغيره عن
ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت
الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا
قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم
قال الله اثنى علي عبدى واذا قال ملك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا
قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الصالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل انتهى وعند مالك فهو لاء لعبدى واسند
ابوبكر بن الخطيب عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كان له امام فقرأه الامام له قراءة انتهى من تاريخ بغداد ولم يذكر في سنده
مطعنا وقال ابن العربى في احكامه والصحيح عندى وجوب قراءتها على الماموم فيما
اسرفيه وتحريمها فيما جهر فيه اذا سمع الامام لما عليه من وجوب الانصات والاستماع
فان بعد عن الامام فهو بمنزلة صلاة السر انتهى نجز تفسير سورة الحمد والحمد

لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة البقرة بحول الله ومعونته

هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها اخراية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي وانتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القرآن وذلك لعظمها وبهاتها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلاً وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الراح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش * ت * وها انا ان شاء الله اذكر اصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة خرج الحاكم ابو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرآن احلوا حلاله وحرّموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردة الى الله والى اولى العلم من بعدى كي ما يخبرونكم وامنوا بالتوراة والانجيل والزبور وما اوتي النبيون من ربهم وليسكم القرآن وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وما حل مصدق وانى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الراح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ما حل بالمهملة اي ساع وقيل خصم انتهى من السلاح وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحي

البقرة وءال عمران يوم القيامة كأنهما غيايتان بينهما شرق او غماتان سوداوان او كأنهما طلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما * ت * اصل الحديث في صحيح مسلم عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افروا القراءان فانه ياتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وءال عمران فانهما ياتيان كأنهما غماتان او كأنهما غيايتان او كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقرءوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى ان البطلة السحرة فقلوه صلى الله عليه وسلم غماتان يعنى سحابتين بيضاوين والغيايتان بالغين المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه وهو مثل السحابة وفرقان بكسر الفاء اي جعلتان انتهى من السلاح وروى ابو هريرة عند صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسمام القراءان سورة البقرة فيها آية هي سيدة أي القرآن هي آية الكرسي وفي البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عند صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان * ت * وعن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال له هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين او تيتهما لم يوتيهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته رواه مسلم والنسائى والنقيض بالنون والقاف هو الصوت انتهى من السلاح وعدد أي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية وقيل وست وثمانون آية وقيل وسبع وثمانون * قوله تعالى الم * اختلف في الحروف التى فى اوائل السور على قولين فقال الشعبى وسفيان الثورى وجاعة

من المحدثين هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها ولكن يومن بها وتمركما جاءت وقال الجمهور من العلماء بل يجب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تنتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الاعظم الا انا لانعرف تاليفه منها وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسام بها وقال ايضا هي حروف تدل على أنا الله اعلم انا الله ارى وقال قوم هي حساب ابي جاد لتدل على مدة ملته محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث حيي بن اخطب وهو قول ابي العالية وغيره * ت * واليه مال السهيلي في الروض الانف فانظره * قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الاسم من ذلك الذال والالف واللام لبعد المشار اليه والكاف للخطاب واختلف في ذلك هنا فقل هو بمعنى هذا وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرآن وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلفوا في ذلك الغائب فقل ما قد كان نزل من القرآن وقيل غير ذلك انظره ولا ريب فيه معناه لا شك فيه وهدى معناه ارشاد وبيان وقوله للمتقين اللفظ مأخوذ من وقى والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتنال او امره واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذابه * قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * يؤمنون معناه يصدقون وقوله بالغيب قالت طائفة معناه يصدقون اذا غابوا وخلوا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا ويكفرون اذا غابوا وقال آخرون معناه يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله يقيمون الصلاة معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق * ت * وقال

ابوعبد الله النحوي في اختصاره لتفسير الطبرى اقامته الصلاة اتمام الركوع
والسجود والتلاوة والحشوع والافبال عليها انتهى قال * ص * يقيمون
الصلاة من التقويم ومنه اقامت العود او الادامة ومنه قامت السوق او التشمير
والنهوض ومنه قام بالامر انتهى وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق عند اهل
السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون معناه هنا يتون ما الزمهم
الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك * قوله تعالى والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون * اختلف المتأولون من المراد بهذه
الآية والتي قبلها فقال قوم الآيتان جميعا في جميع المؤمنين وقال آخرون هما
في مومنى اهل الكتاب وقال آخرون الآية الاولى في مومنى العرب والثانية في
مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت وقوله بما انزل اليك يعنى
القرآن وما انزل من قبلك يعنى الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما
متكنا في نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى من
ربهم اشارة الى المذكورين والهدى هنا الارشاد والفلاح الظفر بالبغيته وادراك
الأمل * قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ما انذرتهم الى عظيم *
اختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار
قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن وقال ابن
عباس نزلت في حيي بن اخطب وابى ياسر بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظرائهم والقول الاول هو المعتمد عليه وقوله سواء عليهم معناه معتدل عندهم
والانذار اعلام بنخوف هذا حدة وقوله تعالى ختم ماخوذ من الختم وهو الطبع
والخاتم الطابع قال في مختصر الطبرى والصحيح ان هذا للطبع حقيقة لا انه مجاز

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلك البران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون انتهى والغشاة الغطاء المغشى الساتر وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه * قوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنّا بالله الى وما يشعرون * هذه الآية نزلت في المنافقين وسمى الله تعالى يوم القيامة اليوم الآخر لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل واختلف المتأولون في قوله يخادعون الله فقال الحسن بن ابى الحسن المعنى يخادعون رسول الله فأضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اليهم اسرارهم * ع * تقول خادعت الرجل بمعنى أعلت التحيل عليه فخادعته بمعنى تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد وقال جاعة بل يخادعون الله والمؤمنين باظهارهم من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصولهم في العذاب وما يشعرون بذلك معناه وما يعلمون علم تفتن وتهتد وهي لفظة مأخوذة من الشعار كأن الشيء المتفتن له شعار للنفس وقولهم ليت شعري معناه ليت فطنتي تدرك واختلف ما الذى نفى الله عنهم ان يشعروا له فقالت طائفة وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار وقال آخرون وما يشعرون ان الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم ءامنّا * قوله تعالى في قلوبهم مرض * اي في عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما ان يكون شكاً واما جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم

بظهوره صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر
ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من
البراهين * ت * لما تكلم * ع * على تفسير قوله تعالى عليهم
دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب
الشيء لان الله تعالى لا يدعوا على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل
همزة ويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى ولهم عذاب اليم
اي مولع واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالة الكفرة ولقول
المنافقين انما نحن مصلحون ثلاث تاويلات احدها جحد انهم يفسدون وهذا
استمرار منهم على النفاق والثاني ان يقرؤا بموالة الكفار ويدعون انها صلاح
من حيث هم قرابة توصل والثالث انهم يصلحون بين الكفار والمومنين والا
استفتاح كلام ولكن حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم
مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفتحهم * قوله تعالى واذا
قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس آية * المعنى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق
المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا انكون كالذين خفت عقولهم والسفه
الخفة والرقعة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفه اذا كان رقيقا لهلhel النسج
وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه عليه السلام والمومنين
وقرر ان السفه ورقعة الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفت لهم واخبر انهم
لا يعلمون انهم السفهاء للربن الذي على قلوبهم * وقوله تعالى واذا لقوا الذين
ءامنوا آية * هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر
في خلواتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه
مخافة ان يتحدث الناس عند اند يقتل اصحابه حسبا وقع في قصة عبد الله بن

ابي بن سلول قال مالک النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة اليوم واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤساء الكفرو قيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي اصحابهم من المنافقين والمشركين قال * ص * شياطينهم جمع شيطان وهو كل متمرّد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس وانشأه شيطانة انتهى * ت * ويجب على المؤمن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه رواه ابو داود وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار انتهى من سنن ابي داود * الله يستهزئ بهم * اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في تأمل البشر هزة روي ان النار تجمد كما تجمد الالهة فيمشون عليها ويظنون انها مجاة فتخسف بهم وما روي ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن * ت * وقوله تعالى قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا يقوى هذا المنحى وهكذا نص عليه في اختصار الطبري انتهى وقيل استهزاؤهم بهم هو استدراجهم بدور النعم الدنيوية ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملئ لهم والطغيان الغلو وتعدى الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهمون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النظر والعامه الذي كانه لا يبصر * قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله يا ايها الناس * قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب المثال انه يؤثر في القلوب

ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح لا ترى ان الترغيب والترهيب اذا وقع مجردا عن ضرب مثل لم يتأكد وقوعه في القلب كتأكد مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون انتهى والمثل والمثيل واحد معناه الشبيه قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان امن ثم كفر بالنفاق فايامنه بمنزلة النار اضاءت وكفرة بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقراءان كاضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذي وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضى وهو طفت فالضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن حال لهم تكون في الآخرة وهو قوله تعالى فضررب بينهم بسور له باب الآية وهذا القول غير قوي ولاصم الذي لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو لاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطا وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر الابتداء اما على تقدير تكرير اولئك او اضرارهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون قيل معناه لا يؤمنون بوجه وهذا انما يصح ان لو كانت الآية في معنيين وقيل معناه فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم بها وهذا هو الصحيح او كصيب او للتخيير معناه مثلهم بهذا او بهذا والصيب المطر من

صاب يصوب اذا انحط من علو الى سفلى وظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتنزيد جمعت وكون الدجن مظلماً دول وغم للنفوس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلي دجنه فانه سار جميل واختلف العلماء في الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابي طالب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب واختلفوا في البرق فقال علي بن ابي طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط نور بيد الملك يزجي به السحاب وروي عنه ان البرق ملك يتراعى واختلف المتأولون في المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين الموارنة لما في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى القرآن بالصيبي فما فيه من الاشكال عليهم والمعنى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل اصابعهم في اذانهم وفضح نفاقهم واشتعار كثرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود ان المنافقين في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعو القرآن فضرَب الله المثل لهم وهذا وفاق لقول الجمهور ومحيط بالكافرين معناه بغتابهم يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة ومنذ قوله تعالى واحيط بشجرة

ويكاد فعل ينشئ المعنى مع ايجابه ويوجه مع النفي فهنا لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القروان وبراهينه واياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القروان وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فاذا نزل من القروان ما يعمهون فيه ويصلون به او يكلفونه قاموا اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الآية كلما صلحت احوالهم في زرعهم ومواسيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم ووحد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وقوله سبحانه على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه صفته التي هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مصنعه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك * قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الآية * يا حرف نداء وفيه تنبيه وايي هو المنادي قال مجاهد يا ايها الناس حيث وقع في القروان مكي ويا ايها الذين ءامنوا مدني قال * ع * قد تقدم في اول السورة انها كلها مدنية وقد يجيء في المدني يا ايها الناس واما قوله في يا ايها الذين ءامنوا فصحيح اعبدوا ربكم معناه وحدوه وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم اذ كانت العرب متقرة بان الله خلقها فذكر ذلك سبحانه حجة عليهم ولعل في هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج وتوقع وفي مختصر الطبري لعلمكم تتقون عن مجاهد اي لعلمكم تطيعون والتقوى التوقى من عذاب الله

بعبادته وهي من الوقاية واما لعل هنا فهي بمعنى كي اولام كي اي لتتقوا اولكي
تتقوا وليست هنا من الله تعالى بمعنى الترجى وانما هي بمعنى كي وقد تجي
بمعنى كي في اللغة قال الشاعر

وقلنم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف وثقتنم لنا كل موثوق

انتهى قال * ع * وقال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجى
والتوقع انما هو في حيز البشراي اذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم
التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا وينجيه تعلقها بخلقكم اي لَمَّا وَلِدَ كل مولود على
الفطرة فهو ان تأمله متأمل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ من
الوقاية وجعل بمعنى صير في هذه الآية لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه تفتشونها
والسما قيل هو اسم مفرد جمعه سماوات وقيل هو جمع واحدة سماوة وكل ما
ارتفع عليك في الهواء فهو سماء وانزل من السماء يريد السحاب سمي بذلك
تجوزا لما كان يلي السماء وقد سمو المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضا بـ

فتجوز ايضا في رعيناه وواحد الانداد ند وهو المقام والمضاهى واختلف المتأولون
من المخاطب بهذه الآية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين
فقوله سبحانه على هذا وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في انه تعالى خلق وانزل
الماء واخرج الرزق وقيل المراد كفار بنى اسرائيل فالمعنى وانتم تعلمون من الكتب
التي عندهم ان الله لا ند له وقال ابن فورك يحتمل ان تتناول الآية المؤمنين
* قوله تعالى * وان كنتم في ريب اي في شك فاتوا بسورة من مثله الضمير
في مثله عند الجمهور عائد على القرآن وادعوا شهداءكم اي من شهدكم وحضركم
من عون ونصير قاله ابن عباس ان كنتم صادقين اي فيما قلتم من انكم

تقدرون على معارضته ويؤيد هذا القول ما حكى عنهم في آية أخرى لو نشاء لقلنا مثل هذا وفي قوله جل وعلا ولن تفعلوا أثارة ليهمهم وتحرى كلفهم لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابداع وهو ايضا من الغيوب التي اخبر بها القرآن * وقوله تعالى * فانقوا النار امر بالايمان وطاعة الله قال الفخر ولما ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار يوجب ترك العناد فاقم قوله فانقوا النار مقام قوله وانكروا العناد ووصف النار بانها تتقد بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها نجانا الله منها برحمته الواسعة وقرن الله سبحانه الناس بالحجارة لانهم اتخذوها في الدنيا اصناما يعبدونها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فاحدى الآيتين مفسرة للأخرى وهذا كتعذيب مانعى الزكاة بنوع ما منعوا انتهى * قوله تعالى وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات الآية * بشر ماخوذ من البشارة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر في بشرة الوجه والاغلب استعمال البشارة في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجرد ما تقتضى الطاعات لانه لو كان كذلك ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثياب الجنة تشقق عنها ثمر الجنة وروى الترمذى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما في الجنة شجرة الاوساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة * ت * وفي الباب عن ابن عباس وجريير بن عبد الله وغيرها وسميت الجنة جنة

لأنها تجن من دخلها اي تستره ومنه المَجَنَّ والجَنُّ وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة * ت * ومن اعظم البشارات ان هذه الامة هم ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي يوم القيامة ثلثا اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفاً وخرج ابن ماجه والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة للقرطبي ولا نهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة مأخوذة من انه رت اي وسعت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء تجوزاً كما قال سبحانه واسأل القرية وروي ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجباً منهم وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبراً من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضاً وقال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج في موضع المجنى

* وقوله تعالى * متشابهها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر
ويختلف في الطعم وازواج جمع زوج ويقال في المرأة زوجة ولاول اشهر ومطهرة ابلغ
من طاهرة اي مطهرة من الحيض والبزاق وسائر اقدار الادميات والخلود الدوام
وخرج ابن ماجه عن اسامة بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
لاصحابه لا مشمر الجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور تتلالا وربحانة
تهتز وفسر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نصيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة
في مقام ابد في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها
يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه انتهي من التذكرة
وقوله لا خطر لها بفتح الطاء قيل معناه لا عوض لها * * قوله تعالى ان الله
لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها * لما كان الجليل القدر في الشاهد
لا يمنعه من الخوض في نازل القول لا الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله
لا يستحي ان يضرب مثلا ما على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه
واختلف في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا هل هو من قول الكافرين
او خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله
تعالى والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها
والرطوبة اذا خرجت من قشرها والفسق في عرف استعمال الشرع الخروج من
طاعة الله عز وجل بكفر او عصيان * قوله تعالى * الذين ينقضون عهد الله
النقص رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد في هذه الآية التقدم في الشيء والوصاة
به وظاهرهما قبل وبعد انه في جميع الكفار * ع * وكل عهد جائز بين
المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية والخاسر الذي نقص نفسه حظها من
الفلاح والفوز والخسران النقص كان في ميزان او غيره * قوله تعالى كيف

تكفرون بالله * هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته هذه والواو في قوله وكنتم واو الحال واختلف في قوله تعالى وكنتم امواتا الآية فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واخرجكم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا التأويل هو اولى ما قيل لانه هو الذى لا محيد للكفار عن الاقرار به والضمير في اليه عائد على الله تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم ولكم معناه للاعتبار ويدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر للاحياء والاماتة والاستواء الى السماء وتسويتها * وقوله تعالى ثم استوى الى السماء * ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد هذا اختيار الطبري والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء * ع * اي بخلقه واختراعه والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان وسواهن قيل جعلهن سواء وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي فسواهن اي خلقهن انتهى وهذه الآية تقتضى ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معانى آيات هذه والتي في صورة المومن وفي النارعات * وقوله تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة * اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي معلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال واصافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومحاطبت بالكاى تشريف منه سبحانه لنبيه واطهار لاختصاصه به والملائكة واحدا ملك والهاء فى ملائكة لتأنيث المجموع غير حقيقى وقيل هي للمبالغة كعلامة ونسابة ولاول ابين وجاعل

فى هذه الآفة بمعنى خالق وقال الحسن وقنادة جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا هى مكة لان الارض دحيت
من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر نوح وهود وصالح بين
المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بنى
ءادم فى الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله اليهم قبىلا من الملائكة قتلهم
والحق فآلهم بجزائر البحار ورءوس الجبال وجعل ءادم وذريته خليفة وقال ابن
مسعود انما معناه خليفة منى فى الحكم * وقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد
فيها الآفة * قد علمنا قطعا ان الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك
عام فى جميع الملائكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم
قال القاضى ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين الا ان
يكون عندهم من افساد الخليفة نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم
ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه
المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من عصيان من
يستخلفه الله فى ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام
والاكبار للفصلين جميعا لاستخلاف والعصيان وقال اجد بن يحيى ثعلب وغيره
انما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدماء
فى الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الآفة على جهة الاستفهام المحض هل هذا
الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال ءاخرون كان الله
تعالى قد اعلم الملائكة انه يخلق فى الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما
قال لهم سبحانه بعد ذلك انى جاعل قالوا ربنا اتجعل فيها الآفة على جهة
الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذى كان اعلمهم به سبحانه قبل او

غيره ونحو هذا في مختصر الطبري قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعاد عز وجل وحكمه بل استخبار هل يكون الامر هكذا وقد وجه بعضهم بانهم استعظموا الافساد وسفك الدماء فكانهم سألوا عن وجد الحكمة في ذلك اذ علموا انه عز وجل لا يفعل الا حكمة انتهى * ت * والعقيدة ان الملائكة معصومون فلا يقع منهم ما يوجب نقصانا من رتبتهم وشريف منزلتهم صلوات الله وسلامه على جميعهم والسفك صب الدم هذا عرفه وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كأنهم ارادوا ونحن نسبح بحمدك الآية ام ننغير عن هذه الحال قال * ع * وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم اتجعل وقال الآخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جازلهم كما قال يوسف اني حفيظ عليم وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله من يعصيه في قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلواتهم لله سبحانه وقال قتادة تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه في اللغة وبحمدك معناه نصل التسبيح بالحمد ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كأنهم قالوا ونحن نسبح ونقدس وانت المحمود في الهداية الى ذلك وخرج مسلم في صحيحه عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى ان احب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وفي رواية سئل صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جبيبتان

الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم وهذا الحديث به ختم البخارى رحمه الله انتهى ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهروا
انفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الارض المقدسة
اي المطهرة وقال ءاجرون ونقدس لك معناه نقديسك اي نعظمك ونطهر
ذكرتك معناه لا يليق به قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون
* قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب بنفسه ودخله الكبر لما
جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له فلما قالت الملائكة
ونحن نسبح بحمديك ونقدس لك وهى لا تعلم ان فى نفس ابليس خلاف
ذلك قال الله سبحانه انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما فى نفس ابليس وقال
قتادة لما قالت الملائكة انجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله ان فى من يستخلف
فى الارض انبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى افعال
الفضلاء * وقوله تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها * معناه عرف وتعليم ءادم
هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول اما بواسطة ملك او
بتكليم قبل هبوطه الارض فلا يشارك موسى عليه السلام فى خاصة * ت *
قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جرة تعليمه سبحانه ءلادم الاسماء
كلها انما كان بالعلم اللدني بلا واسطة انتهى من كتابه الذى شرح فيه بعض
احاديث البخارى وكل ما انقله عنه فمنه واختلف المتأولون فى قوله الاسماء
فقال جمهور الامة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابيس
ولفظة علم تعطى ذلك ثم اختلف الجمهور فى اي الاسماء علمه فقال ابن
عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها
وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورحمه بقوله تعالى ثم عرضهم وقال اكثر

العلماء ءمه تعالى منافع كل شيء ، ولما يصلح وقيل غير هذا واختلاف المتأولون هل
عرض على الملائكة اشخاص الاسماء او الاسماء دون الاشخاص وانبؤنى معناه
اخبرونى والنبأ الخبر وقال قوم يخرج من هذا الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق
ويتقرر جوازه لانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل التأويل
ليس هذا على جهة التكليف انما هو على جهة التقرير والتوقيف * وقوله تعالى
هؤلاء ظاهرة حضور اشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس في هذه الآية
ما يدل ان الاسم هو المسمى كما ذهب اليه مكى والمهدوي والذى يظهر ان الله
تعالى علم ءادم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك
على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التى قد تعلمها ءادم ثم ان ءادم قال لهم هذا اسمه
كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم في موضع الجزم بالشرط
والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد محذوف تقديره ان كنتم صادقين
فانبؤنى وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم معنى الآية ان كنتم صادقين في ان الخليفة يفسد ويسفك * ت *
وفي النفس من هذا القول شيء ، والملائكة منزهون معصومون كما تقدم والصواب
ما تقدم من التفسير عند قوله تعالى اتجعل فيها آية وقال ءآخرون ان كنتم
صادقين في انى ان استخلفتكم سبحتم بحمدى وقدستم لى وقال قوم معناه ان
كنتم صادقين في جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك
وتبرئة ان يعلم احد من علمك الا ما علمتد والعليم معناه العالم ويزيد
عليه معنى من المبالغة والتكثير في المعلومات والحكيم معناه الحاكم وبينهما
مزية المبالغة وقيل معناه المُحكِم وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة
الفرس مانعته * وقوله تعالى قال يا ءادم انبئهم باسمائهم انبئهم معناه اخبرهم

والضمير في انبئهم عائد على الملائكة. باجاء والضمير في اسمائهم مختلف فيد حسب الاختلاف في الاسماء التي علمها ادم قال بعض العلماء ان في قوله تعالى فلما انبأهم نبوءة ملام عليه السلام اذ امره الله سبحانه ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل * وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له واختلف في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجع واذا من قوله واذا قلنا للملائكة معطوفة على اذ المتقدم وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته * ت * ما ذكره رحمه الله هو عقيدة اهل السنة وها انا انقل من كلام الائمة ان شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يفهم منه ان لله عز وجل كلمات غير تامات لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص وفي الحديث بيان واضح على ان كلماته عز وجل غير مخلوقة اذ لا يستعاض بمخلوق وهذا هو قول اهل السنة والحق ان كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام هو المعنى القائم في النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز وجل ويقولون في انفسهم فاخبر ان القول معنى يقوم في النفس وتقول في نفسى كلام اريد ان اعلمت به حقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه واما الذى تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذى هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لانفس قراءته التى تسمعها لان نفس قراءته التى تسمعها محدثة لم تكن حتى قرأ بها فكانت وهذا كله بين الامن

اعصى الله بصيرته انتهى بلفظه من البيان وقال الغزالي بعد كلام له نحو ما تقدم لابن رشد وكما عقل قيام طلب التعلم وارا دته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله سبحانه له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل فاخضع نفسك لله تعالى ومصير موسى عليه السلام سامعا لذلك الكلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومعرفة بذلك الكلام القديم انتهى بلفظه من الاحياء * وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ولا تدفع الآية ان يكونوا بافوا غاية السجود وقوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجائي على ركبته واقع واختلف في حال السجود لادم فقال ابن عباس تعبدهم الله بالسجود لادم والعبادة في ذلك لله وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام له لا سجود عبادة وقال الشعبي انما كان ادم كالقابلة ومعنى لادم الى ادم * ع * وفي هذه الوجه كلها كرامة لادم عليه السلام * وقوله تعالى لا ابليس نصب على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يك قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كل من الجن الذين كانوا في الارض وقتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع واحتج بعض

اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال في صفة الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وزجج الطبرى قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه يخرج على انه عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستنارها قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى في ذكر سليمان عليه السلام

وسخر من جن الملائك تسعة * قياما لديه يعملون بلا اجر
او على ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض ومما يذكره قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورءيسا فيهم ومن خزان الجنة الى ما حكوه وهذا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن انتهى من الشفا وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي قال الزجاج ووزنه فعيل وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من اَبْلَسَ اذا ابعد عن الخير ووزنه على هذا افعل ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه وقلته ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون منه فيما يرون وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل في الكبرياء والاباية مقدمة على الاستكبار في ظهورها عليه والاستكبار والانفة مقدمة في معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس ءادم وتكبر وشح ءادم في اكله من شجرة قد نهى عن قربها * ت * اطلاق الشح على ءادم فيه ما لا يخفى عليك والواجب اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحيط من رتبهم وقد قال الله تعالى في حق ءادم ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما * وقوله تعالى وكان من

الكافرين قالت فرقة معناه وصار من الكافرين ورده ابن فورك وقال جمهور المتأولين معنى وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بنى ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم * ت * ولفظ الطبري وفي هذا تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة والكتب حسدا له ولبنى اسماعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا لادم وتكبيرا عن الحق وقبوله فاليهود نظراء ابليس في كفرهم وكبرهم وحسدكم وتركهم الانقياد لامر الله تعالى انتهى من مختصر الطبري لابي عبد الله اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعدته عن الجنة وبعد اخراجه قال لادم اسكن * قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه الاذن واختلف في الجنة التي اسكنها ادم عليه السلام هل هي جنة الخلد او جنة اخرى * ت * والاول هو مذهب اهل السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش الدار الهني وحيث مبنية على الصم * وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقرباها باكل والهاء في هذه بدل من الياء وتحتل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة معينة واحدة واختلف في هذه الشجرة ما هي فقال ابن عباس وابن مسعود هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من الظالمين الظالم في اللغة الذي يضع الشيء في غير موضعه والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصي وهي

مراتب وارلها ماخوذ من الزلل وهو في الآية مجاز لانه في الرأي والنظر
وانما حقيقة الزلل في القدم وقرأ حمزة فَأَزَالُهَا ماخوذ من الزوال ولا خلاف بين
العلماء ان ابليس اللعين هو متولى اغواء ادم عليه السلام واختلف في الكيفية
فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواها مشافهة بدليل قوله تعالى
وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة
بعد ان اخرج منها وانما اغوى ادم بشيطانه وسلطانه وسوسيته التي اعطاه الله
تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى
الدم * ت * والى هذا القول نحا المازري في بعض اجوبته ومن ابتلي
بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم الادوية له الثقة بالله والتعوذ به والاعراض
عن هذا اللعين وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله في لطائف المنن
كان بى وسواس في الوضوء فقال لى الشيخ ابو العباس المرسى ان كنت لا تترك
هذه الوسوسة لا تعد تاتنا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني وكان الشيخ
ابو العباس يلقي للوسواس سبحانه الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويات
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال عياض في الشفا واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية
بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذرة
بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي
عداوة ابليس وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي للانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف

ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حائشا وقد روي عذر ادم مثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غَرَّهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجعله عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقال ابن فورث وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلمها وهو متأول وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهى عنها لانه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم انتهى بلفظه فجراه الله خيرا ولقد جعل الله في شفاة شفاء والضمير في عنها يعود على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة * وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل معناه من نعمة الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفلى مكانة الذنب * ت * وفي هذا القول ما فيه بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان اخراج ادم لم يكن اهانة له بل لما سبق في علمه سبحانه من اكرام ادم وجعله في الارض خليفة هو واخييار ذريته قائمين فيها بما يجب لله من عبادته والهبوط النزول من علو الى سفلى واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي وغيره ادم وحواء وابليس والحية التي ادخلت ابليس في فمها وقال الحسن ادم وحواء والوسوسة وبعضكم لبعض عدو جلة في موضع الحال ولكم في الارض مستقراي موضع استقرار وقيل المراد بالاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحديث وانس وغير ذلك واختلف في الحين هنا فقالت فرقة الى

الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيامة وهذا هو قول من يقول المستقر هو في القبور والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها في الأيمان ولا التزامات سَنَتْ قال الله تعالى توتى اكلها كل حين وقيل اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يطعم في كل ستة اشهر وفي قوله تعالى الى حين فائدة ملادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنقول الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي لغير ادم دالة على المعاد وروي ان ادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حواء نزلت بجدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل بميسان وان ابليس نزل عند الابل * قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وقرأ ابن كثير ادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع واختلف المتأولون في الكلمات فقال الحسن بن ابى الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقالت طائفة ان ادم رأى مكتوبا على ساق العرش مجد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قاله موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وما قال يونس لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وتاب عليه معناه راجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف * ت * يعنى مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص الله تعالى ادم بالذكر فى التلقى والتوبة وحواء مشاركة له فى ذلك باجماع لانه المخاطب فى أول القصة فكمملت القصة بذكره وحده وايضا فلان المرأة حرمة ومستورة فاراد الله تعالىستر لها ولذلك لم يذكرها فى المعصية فى قوله وعصى ادم ربه وبنيته الثواب

للمبالغة والتكثير وفي قوله تعالى هو التَّوَاب تأكيد فائدته ان التوبة على العبد
انما هي نعمة من الله تعالى لا من العبد وحده لئلا يعجب النائب بل الواجب
عليه شكر الله تعالى في توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما
حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالفانى اتيان الهدى * ت *
وهذه الآية تبين ان هبوط ادم كان هبوط تكرمة لما ينشأ عن ذلك من انواع
الخيرات وفنون العبادات وجميعا حال من الضمير في اهبطوا واختلف في المقصود
بهذا الخطاب ف قيل ادم وحواء وابليس وذريتهم وقيل ظاهرة العموم ومعناه
الخصوص في ادم وحواء لان ابليس لا ياتي بهدى والاول اصح لان ابليس
مخاطب بالايمان باجاء وان في قوله فاما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة
ليصح دخول النون المشددة واختلف في معنى قوله هدى ف قيل بيان وارشاد
والصواب ان يقال بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى ادم من
الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده * وقوله تعالى فمن تبع هداي
شرط جوابه فلا خوف عليهم قال سيبويه والشرط الثانى وجوابه
هما جواب الاول في قوله فاما ياتينكم * وقوله تعالى
فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على
ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه
* ت * وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر في اختصار الطبري ولفظه عن ابن زيد
فلا خوف عليهم اي لا خوف عليهم امامهم قال وليس شيء اعظم في صدر من
يموت مما بعد الموت فامنهم سبحانه منه وسلاهم عن الدنيا انتهى * وقوله تعالى
والذين كفروا الآية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي
ولا يجب بهذا خلود بين سبحانه ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا بآياتنا

والآيات هنا يحتمل ان يريد بها المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والصحبة الا قتران بالشئ في حالة ما زَمْنَا * قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى * اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله والذكر في كلام العرب على انحاء وهذا منها ذكر القلب الذى هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال ابن عباس وجهور العلماء الخطاب لجميع بنى اسرائيل في مدة النبى صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم امر وجوابه وهذا العهد فى قول جمهور العلماء عام فى جميع اوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم فيدخل فى ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى التوراة والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد واسند الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول له عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم سبحانه لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امننى فى الدنيا اخفته فى الآخرة انتهى من التذكرة للقرطبي ورواه ابن المبارك فى رقائقه من طريق الحسن البصرى وفيه قال الله وعزتى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة انتهى ورواه ايضا الترمذى الحكيم فى كتاب ختم الاولياء قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة ثنبت الجوارح فى الطاعة والخدمة انتهى وامنوا معناه صدقوا ومصداق نصب على الحال من الضمير فى انزلت وما انزلت كناية عن القرآن ولما معكم يعنى التوراة * وقوله ولا تكونوا أول كافرين هذا من مفهوم الخطاب الذى المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد وحذروا البدار الى الكفر به اذ على الاول كفل

من فعل المقتدى به ونصب اول على خبر كان * ع * وقد كان كفر قبلهم
كفار قريش وانما معناه من اهل الكتاب اذهم منظور اليهم في مثل هذا واختلف
في الضمير في به فقول يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على القرآن وقيل
على التوراة واختلف في الثمن الذي نهوا ان يشتروه بالآيات فقالت طائفة
ان الاحبار كانوا يُعلّمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم علم مجاناً كما
علمت مجاناً اي باطلا بغير اجرة وقيل كانت للاخبار مأكلة ياكلونها على العلم
وقال قوم ان الاحبار اخذوا رُشى على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا باؤامري ونواهي
واياتي ثمناً قليلاً يعنى الدنيا ومدتها والعيش الذى هو نزر لا خطر له وقد تقدم
نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها
وعيد بالغ * وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخطئوا قال ابو
العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكس الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق
وقولهم الى غيرنا باطل وتكتموا الحق اي امر محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه
الالفاظ دليل على تغليظ الذنب على من وقع فيه مع العلم به وانه اعصى من
الجاهل وانتم تعلمون جملة في موضع الحال قال * ص * وتكتموا مجزوم
معطوف على تلبسوا والمعنى النهي عن كل من الفعلين انتهى واقيموا الصلاة
معناه اظهروا هيئتها واديموها بشروطها والزكوة في هذه الآية هي المفروضة وهي
ماخوذة من النماء وقيل من التطهير * وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل
انما خص الركوع بالذكر لان بنى اسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع * ت *
وفي هذا القول نظر وقد قال تعالى في مريم اسجدى واركعى وقالت فرقة انما
قال مع لان الامر بالصلاة اولاً لم يقتض شهود الجماعة فامرهم بقوله مع شهود

الجماعة * ت * وهذا القول هو الذى عول عليه * ع * فى قصة مريم عليها السلام والركوع لانحاء بالشخص * وقوله تعالى انا مرون خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات وتنسون معناه تتركون انفسكم قال ابن عباس كان الاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونها فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان الاحبار اذا استرشداهم احد من العرب فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه * ت * وخرج الحافظ ابو نعيم احمد ابن عبد الله الاصبهاني فى كتاب رياضة المتعلمين قال حدثنا ابو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا ابو النصر حدثنا محمد بن عبد الله بن علي ابن زيد عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بى رجلا تقرض السنتهم وشفاهم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من امنك الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون انتهى واستعينوا بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الآخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتحنى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة وقال مجاهد الصبر فى هذه الآية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما فى ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد فى الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وَنُخْشِعَ وَيَقْرَأَ فِيهَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَذْكُرُ بِالْآخِرَةِ وَقَالَ قَوْمُ الصَّبْرِ عَلَى بَابِهِ وَالصَّلَاةُ
الدُّعَاءُ وَتَجِبَى. الْآيَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُشَبَّهَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَإِذْكُرُوا اللَّهَ لَأَنَّ الثَّبَاتَ هُوَ الصَّبْرُ وَذَكَرَ اللَّهُ هُوَ الدُّعَاءُ وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي
رَفَائِقِهِ قَالَ أَخْبَرَنَا جَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ النَّبَاطِيِّ عَنْ صَلَتهُ بْنِ أَشِيْمٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا
لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَاسْتَدْرَكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَقْبَةِ بْنِ عَامِرٍ الْجَهَنِيِّ
قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ تَوَضَّأَ فَاحْسَنَ
وَضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى صَلَاةً غَيْرَ سَاهٍ وَلَا لَهَ كَفَرَتْ عَنْهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ شَيْءٍ
انْتَهَى وَهَذَا الْحَدِيثَانِ يُبَيِّنَانِ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ
عُثْمَانَ حَيْثُ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَوَضَّأَ
نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَحْدِثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
انْتَهَى وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا قِيلَ يَعُودُ عَلَى الصَّلَاةِ وَقِيلَ عَلَى الْعِبَادَةِ الَّتِي
تُضْمِنُهَا بِالْمَعْنَى ذَكَرَ الصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ قَالَ * ص * وَإِنَّمَا الضَّمِيرُ لِلصَّلَاةِ وَهُوَ الْقَاعِدَةُ
فِي أَنَّ ضَمِيرَ الْغَائِبِ لَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِ الْأَقْرَبِ إِلَّا بِدَلِيلٍ انْتَهَى ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو حِيَّانٍ
وَجُوهًا أُخَرُ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ وَكَبِيرَةً مَعْنَاهُ ثَقِيلَةٌ شَاقَّةٌ وَالْحَاشِعُونَ الْمُتَوَاضِعُونَ الْمُخْبِتُونَ
وَالْخُشُوعُ هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ يَظْهَرُ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِحِ سَكُونٌ وَتَوَاضَعٌ وَيَطْنُونَ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ الْجُمْهُورُ مَعْنَاهُ يَوْقِنُونَ وَالظَّنُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَاعِدَتُهُ الشَّكُّ مَعَ
مِيلٍ إِلَى أَحَدٍ مَعْتَقِدِيهِ وَقَدْ يَقَعُ مَوْقِعُ الْيَقِينِ لَكِنَّهُ لَا يَقَعُ فِيمَا قَدْ خَرَجَ إِلَى الْحَسِّ
لَا تَقُولُ الْعَرَبُ فِي رَجُلٍ مَرَّيْ طُنَّ هَذَا إِنْسَانًا وَإِنَّمَا تَجِدُ الِاسْتِعْمَالَ فِيمَا لَمْ يَخْرُجْ
إِلَى الْحَسِّ كَهَذِهِ الْآيَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَطَنُوا أَنَّهُمْ مَوَاقِعُهَا قَالَ * ص * قُلْتُ
وَمَا ذِكْرُهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ هُوَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِيهِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ

الظن يفح في معنى العلم الذي لم تشاهده وإن كان قد قامت في نفسك حقيقته
قال وهذا مذهب إلا أن أهل اللغة لم يذكروه قال وسمعت من أبى إسحاق
إسماعيل بن إسحاق القاضي رواه عن زيد بن أسلم انتهى والملافة هي للثواب أو
العقاب ويصح أن تكون الملافة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة وورد بها متواتر
التحديث وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج إلى الحساب
والعرض ويقوى هذا القول الآية المتقدمة قوله تعالى ثم يمتكم ثم يحييكم ثم
إليه ترجعون * قوله تعالى يا بني إسرائيل الآية قد تكرر هذا النداء والتذكير
بالنعمه وفائدة ذلك أن الخطاب لأول يصح أن يكون للمؤمنين ويصح أن
يكون للكافرين منهم وهذا المتكرر إنما هو للكافرين بدلالة ما بعده وإيضاً فإن فيه
تقوية التوقيف وتأكيد الحصر على إيدى الله سبحانه وحسن خطابهم بقوله
سبحانه فضلتكم على العالمين لأن تفصيل ما بائهم وأسلافهم تفصيل لهم وفي الكلام
اتساع قال قتادة وغيره المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المستمرة
لأن الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس
واتقوا يوماً أي عذاب يوم أو هول يوم ويصح أن يكون يوماً نصبه على الظرف
ولا تجزى معناه لا تغنى وقال السدي معناه لا تقضى ويقويه قوله شيئاً وفي
الكلام حذف التقدير لا تجزى فيه وفي مختصر الطبري أي وأنقوا يوماً لا
تقضى نفس عن نفس شيئاً ولا تغنى غناء وأحدنا اليوم قد يقضى عن
قريبه ديناً وإما في الآخرة فيسر المرء أن يترتب له على قريبه حق لأن القضاء
هناك من الحسنات والسيئات كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
والشفاعة مأخوذة من الشفع وهما لاثنان لأن الشافع والمشفوع له شفع وسبب
هذه الآية أن بني إسرائيل قالوا نحن أبناء الله وسيفتح لنا ما أبونا وهذا إنما

هو في حق الكافرين للاجماع وتواتر الاحاديث بالشفاعة في المؤمنين * وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال * ع * عدل الشيء هو الذي يساويه قيمة وقدره وان لم يكن من جنسه والعدل بكسر العين هو الذي يساوي الشيء من جنسه وفي جرمه والضمير في قوله ولا هم عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الآية ويحتمل ان يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها بنو ادم في الدنيا فان الواقع في شدة مع ادمي لا يتخلص الابان يشفع له او ينصر او يفتدى * ت * او يمن عليه الا ان الكافر ليس هو باهل لان يمن عليه * وقوله تعالى واذا نجيناكم من آل فرعون اي خلاصناكم و آل اضله اهل قلبت الهاء الفاء ولذلك ردّها التصغير الى الاصل فقيل اهيل و آل الرجل قرابته وشيعته واتباعه وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابن اسحاق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصطخرو زرد مصر فانفق له فيها الملك وكان اصل كون بنى اسرائيل بمصر نزول اسرائيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام ويسمونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم اياه والجملة في موضع نصب على الحال اي سائمين لكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده واصعبه وكان فرعون على ما روي قد رأى في منامه نارا خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فأولت له رؤياه ان مولودا من بنى اسرائيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون قد اطلقت زمان مولود من بنى اسرائيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من يسومون وفي ذلكم اشارة الى جملة الامرو بلاء معناه

امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحى اليه ان يسري من مصر بنى اسرائيل فامرهم موسى ان يستعبروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبنى اسرائيل ويروى انهم فعلوا ذلك دون رأي موسى عليه السلام وهو الاشبه به فسرى بهم موسى من أول الليل فاعلم بهم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبحت وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط فاشتغلوا بالدفن وخرجوا في الاطباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بنى اسرائيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وحكى غير هذا مما اختصرته لقلته ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسرائيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى اين امرت فقال هكذا واثار الى البحر فركض يوشع فرسه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى اين امرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فاثار الى البحر واوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر واوحى الله الى البحر ان انفرك لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبحت ضرب موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذلك في يوم عاشوراء * وقوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر الآية فرقنا معناه جعلناه فرقا ومعنى بكم اي بسببكم والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا من صفة الى صفة وانما فرق من موضع الى موضع اخر في صفة واحدة وكان ذلك الفرق يُقَرَّب موضع النجاة ولا يلحق في البر الا في ايام كثيرة بسبب جبال واوغار حائلة وقيل انفرك البحر عرضا على اثني عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم

اعتنى على اخلاقهم السيئة فأوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر
فادارها فصار في الماء فتوح كالطابق يرى بعضهم بعضا وجازوا
وجبريل في ساقتهم على ما ذُيِّنَتْ يحث بنى اسرائيل ويقول لال فرعون مهلا
حتى يلحق اهلكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فنفر فرسه
فتعرض له جبريل بالرمكة فاتبعها الفرس ودخل ال فرعون وميكايل يحثهم
فلما لم يبق الا ميكايل في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا
وتنظرون قيل معناه بابصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائرهم للاعتبار لانهم
كانوا في شغل قال الطبري وفي اخبار القراءان على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا في خفي علم
بنى اسرائيل دليل واضح عند بنى اسرائيل وقائم عليهم بنبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وموسى اسم أعجمي قال ابن اسحاق هو موسى بن عمران بن يصر
ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم وخص الليالى بالذكر في قوله تعالى واذا وعدنا موسى اربعين ليلة اذ الليلة
اقدم من اليوم وقبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفي
ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لا يمكن ان يعتقد انه كان يفطر
بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين
ليلة بايامها قال * ع * حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت الشيخ
الزاهد الامام الواظ ابا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى
في الخلوة بالله سبحانه والدنو منه في الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل
طعام وشراب ويقول ابن حال موسى في القرب من الله وواصل ثمانين من الدهر
من قوله حين سار الى الخضر لفتاه في بعض يوم ائتما غدا * ت *

وايضا في الاثر ان موسى لم يصبه اولم يشك ما شكاه من النصب حتى جاوز
الموضع الذي وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام قال * ع * وكل المفسرين
على ان الاربعين كلها ميعاد * وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل اى الاها والصير
في بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه للتكليم اذ المواعدة تقتضيه وقص
هذه الآية ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر قال لهم ان
الله تعالى سينجيكم من آل فرعون وينفلكم حلبيهم ويروى ان استعارتهم للحلي
كانت بغير اذن موسى عليه السلام وهو الاشبه به ويؤيده ما في سورة طه في
قولهم لموسى ولكننا حملنا اوزارا فظاهره انهم اخبروه بما لم يتقدم له به شعور ثم
قال لهم موسى انه سينزل الله علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم
فلما جازوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده
وقد علمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة وقالوا هذه اربعون
من الدهر وقد اخلفنا الموعد وبدا تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بني
اسرائيل يسمى موسى بن ظفرو يقال انه ابن خال موسى وقيل لم يكن من بني
اسرائيل بل كان غريبا فيهم والاوّل اصح وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت
عبورهم قالت طائفة انكره حيث عرف انه ملك وقالت طائفة كانت
ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته في غار واطبقت عليه فكان جبريل عليه
السلام يغذوه باصبع نفسه فيجد في اصبع لبنا وفي اصبع عسلا وفي اصبع سمن
فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فلخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب والقي في
رُوعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده
قال هارون لبني اسرائيل ان ذلك الحلي والمتاع الذي استعرت من القبط
لا يحل لكم فجيئوا به حتى تاكله النار التي كانت العادة ان تنزل على القرايين

وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى وروي وهو الاصح الاكثر انه التقى الناس المحلي في حفرة أو نحوها وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل ان السامري كان في اصله من قوم يعبدون البقر وكان يعجبه ذلك وقيل بل كانت بنو اسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر * ت * والذى في القرآن يعكفون على اصنام لهم قيل كانت على صور البقر فقالوا يا موسى اجعل لنا الالهة كما لهم الهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو اسرائيل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعة فغضب غضبا ياتى قصصه في مواضعه ان شاء الله تعالى ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بنى اسرائيل حتى يقتلوا انفسهم ففعلت بنو اسرائيل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد والتقوا الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه فلما استخرفهم القتل وبلغ سبعين الفا عفا الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية فذلك قوله سبحانه ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوا بالافنية وخرج يوشع بن نون ينادى ملعون من حل حبوته ويجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى صلى الله عليه وسلم في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد الاقوال لانهم لم يغيروا المنكر حين عبد العجل وانتم ظالمون ابتداء وخبر في موضع الحال والعفو تغطية الاثر واذهاب الحال الاول من الذنب او غيره * ت * ومنه الحديث فجعلت ام اسماعيل تعفى اثرها قال * ع * ولا يستعمل

العفو بمعنى الصفح لا في الذنب والكتاب هنا هو التوراة باجاء واختلف في الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال آخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الآيات التي اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل بقي العجل من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابي الحسن صار لحما ودما والاوّل اصح * ت * وقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم عن ابي العاليت الى خالفكم من برا الله الخلق اي خلقهم فالبريئة فعيلة بمعنى مفعولة انتهى من مختصر ابي عبد الله السلمي النحوي للطبري * وقوله تعالى واذا قلتم يا موسى يريد السبعين الذين اختارهم موسى واختلف في وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل فاخترهم ليستغفروا لبني اسرائيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاوّل اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عبّد قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين فاوحى اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتأخر فاوحى اليه ان من تأخر له اجر من مضى فتأخر يوشع بن نون وكالوث بن يوفنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هارون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقي عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وجعل بينهم وبين موسى بالنور فوقوا سجودا قال السدي وغيره وسَمِعُوا كلام الله

يامرونيهي فلم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله تعالى بذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق السمع فاخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت هود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لاستيفاء اجالهم فحين حصلوا في ذلك الهود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بنى اسرائيل دونهم فيهلكون ولا يؤمنون بى ابدا وقد خرجوا وهم بالاخيار قال * ع *
يعنى هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا يعنى السبعين بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام قال * ع * ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطأ واذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وجهرة مصدر في موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر عند السر وجهر الرجل الامر كشفه وفي مختصر الطبرى عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا انتهى * وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم من ذلك الهود او الموت ليستوفوا اجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة ولعلكم تشكرون اي على هذه النعمة والترجى إنما هو في حق البشر وذكر المفسرون في تظليل الغمام ان بنى اسرائيل لما كان من امرهم ما كان

من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص النيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فعدا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ اوستة روي انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم فقبل له لا تأس على القوم الفاسقين وروي انهم ماتوا باجمعهم في فحص النيه ونشأ بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من فحص النيه وقاتلوا الجبارين واذ كان جيعهم في النيه قالوا لموسى من لنا بالطعام قال الله فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط محلهم وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يذرّن وان تنمو صغارها حسب نمو الصبيان والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب حلوا وقيل الذى ينزل اليوم على الشجر وروي ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالشال فيأخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه لا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة والسلوى طير باجماع المفسرين فقبل هو السمانا وقيل طائر مثل السمانا وقيل طائر مثل الحمام تحشوه عليهم الجنوب * ص * قال ابن عطية وغلط الهذلي في اطلاقه السلوى على العسل حيث قال

وقاسمها بالله عهداً لأنثى * الذ من السلوى اذا ما نشورها

* ت * قد نقل صاحب المختصر انه يطلق على العسل لغة فلا وجه

لتغليظه لان اجماع المفسرين لا يمنع من اطلاقه لغة بمعنى اخر في غير الآيات
انتهى * وقوله تعالى كلوا الآية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة
الظاهر عليه والطيبات هنا جمعت الحلال واللذيذ * ص * وقوله وما ظلمونا
قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا اي فصوا وما ظلمونا وقدر غيره فظلموا وما
ظلمونا ولا حاجة الى ذلك لان ما تقدم عنهم من القبائح يغنى عنه انتهى
* ت * وقول ابي حيان لا حاجة الى هذا التقدير الى اخره يُرد بان
المحذوفات في الكلام الفصيح هذا شأنها لا بد من دليل في اللفظ يدل عليها الا
انه يختلف ذلك في الوضوح والخفاء فاما حذف ما لا دليل عليه فانه لا يجوز
* وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
واذ استسقى موسى لقومه القرية المدينة سميت بذلك لانها تقرت اي
اجتمعت وتمع قريت الماء في الحوض اي جمعته والاشارة بهذه الى بيت
المقدس في قول الجمهور وقيل الى اريحاء وهي قريب من بيت المقدس قال
عمر بن مائة كانت قاعدة ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بنى اسرائيل من التيه
امروا بدخول القرية المشار اليها واما الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى وهارون
عليهما السلام ماتا في التيه وحكى الزجاج عن بعضهم انها لم يكونا في التيه لانه
عذاب ولاول اكثر * ت * لكن ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم
الفاستين يقوى ما حكاه الزجاج وهكذا قال الامام الفخر انتهى وكلوا اباحة وتقدم
معنى الرغد وهي ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا والباب قال مجاهد
هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وسجدا قال ابن

عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله وحطة فعلته من
خطيئته ورفعته على خبر ابتداء كانهم قالوا سألنا حطة لذنوبنا قال عكرمة وغيره
امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتخط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا
وقولوا ما يحط ذنوبكم * ت * قال احمد بن نصر الداودي في تفسيره وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم سار مع اصحابه في سفر فقال قولوا نستغفر الله
ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها لحطة التي عرضت على بنى اسرائيل فلم
يقولوها انتهى وحكي عن ابن مسعود وغيره انهم امروا بالسجود وان يقولوا حطة
فدخلوا يزحفون على استاهم ويقولون حنطة حبة حمراء في شعرة ويروى
غير هذا من الالفاظ * وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عِدَّةَ المعنى
اذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد ذلك لمن احسن وكان من بنى
اسرائيل من دخل كما امر وقال لا اله الا الله ف قيل هم المراد بالمحسنين هنا
* وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآيت روي انهم لما جاءوا الباب دخلوا من
قبل ادبارهم القهقري وفي الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاهم وبدلوا فقالوا
حبة في شعرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء في شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري
انهم قالوا هَطَى شَمَقَاتَا اَزْبَه وتفسيره ما تقدم وفي اختصار الطبري وعن مجاهد
قال امر موسى قومه ان يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطى لهم الباب
ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على ادبارهم وقالوا حنطة وذكر عز وجل فعل سلفهم
تنبيهها ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم جار على طريق سلفهم في
خلافهم على انبيائهم واستخفافهم بهم واستهزائهم بامر ربهم انتهى والرجز العذاب
قال ابن زيد وغيره فبعث الله على الذين بدلوا الطاعون فاذهب منهم سبعين
الفا وقال ابن عباس امان الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين الفا واستسقى

معناه طلب السقيا وَعُرِفَ استنفعل طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا الاستسقاء في فحص النيه فامر الله تعالى بضرب الحجر اية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس الشاة يلقي في كسر جوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محللتهم وضربه موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية ولا خلاف انه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه فانفجرت والانفجار انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانجاس في الماء اقل من الانفجار واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليه السلام * وقوله سبحانه كلوا واشربوا من رزق الله الآية * ت * روينا من طريق انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنسائي انتهى والمشرع موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعدها ولا تعثوا معناه ولا تُفَرِّطُوا فِي الْفَسَادِ * ص * مُفْسِدِينَ حال مؤكدة لان لا تعثوا معناه لا تفسدوا انتهى * وقوله تعالى واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية كان هذا القول منهم في النيه حين ملوا من والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطاء الفوم جميع الحبوب التي يمكن ان تختبزو قال الصحاح الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود ورؤي ذلك عن ابن عباس والنساء تبدل من الفاء كما قالوا

مغائير ومغافير * ت * قال اجد بن نصر الداودي وهذا القول اشبه لما ذكر
معه اي من العدس والبصل انتهى وادنى قال علي بن سليمان لا خفش
ماخوذ من الدنيء البين الدناءة بمعنى لا خس الا انه خففت همزته وقال
غيره هو ماخوذ من الدون اي لاحظ فاصله ادون ومعنى الآية استبدلون
البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل التي هي ادنى بالمن والسلوى الذى
هو خير وجهور الناس يقرءون مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره اراد
مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول
القرية وبما تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد النية وقالت طائفة
اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما فى القرآن من ان الله اورث بنى اسرائيل
ديار ال فرعون واثارهم قال فى مختصر الطبري وعلى ان المراد مصر التى خرجوا
منها فالمعنى ان الذى تطلبون كان فى البلد الذى كان فيه عذابكم واستعبادكم
واسركم ثم قال ولا ظهر انهم مذخرجوا من مصر لم يرجعوا اليها والله اعلم انتهى
* وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضى انه وكلهم الى انفسهم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة معناه الزموا كما قالت العرب ضربة لازب وبأوا بغضب معناه
مروا متحملين له قال الطبري بأوا به اي رجعوا به واحتملوه ولا بد ان يوصل بأ
بخير او بشر انتهى * وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيئين بغير الحق لاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعده *
وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يجرم نبيء قط ما يوجب قتله
وانما التسليط عليهم بالقتل كرامة لهم وزيادة لهم فى منازلهم صلى الله عليهم
كمثل من يقتل فى سبيل الله من المومنين والباء فى بما باء السبب ويعتدون
معناه يتجاوزون الحدود ولاعتداء هو تجاوز الحد * وقوله تعالى ان الذين

١. امنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين آيـة اختلف في المراد بالذين امنوا
 في هذه الآيـة فقالت فرقة الذين امنوا هم المومنون حقاً بنبيينا محمد صلى الله
 عليه وسلم وقوله من امن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفي سائر الفرق
 بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمداً صلى
 الله عليه وسلم والذين هادوا ومن عطف عليهم كذلك ممن لم يلحق محمداً
 صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هذا اليك اي
 تبنا والنصارى لفظة مشتقة من النصر قال * ص * والصابيين قرأ الاكثر
 بالهمز من صَبَأَ النجم والسن اذا خرج اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ
 نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز المسهل فيكون بمعنى الاول ويحتمل
 ان يكون من صَبَأَ غير مهموز اي مَالَ ومنه

الى هند صبا قلبسى * وهند مثلها يصبسى

انتهى قال * ع * والصابى فى اللغة من خرج من دين الى دين واما المشار اليهم فى قوله تعالى والصابين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم وقال ابن جريج هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرءون الزبور رآهم زياد بن ابى سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عُرِفَ انهم يعبدون الملائكة * وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الآية الطور اسم الجبل الذى نوحى موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بنى اسرائيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة

قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا لا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم
احياوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين
طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى
البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها
وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتكم
النار فسجدوا توبة لله سبحانه واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء
لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدهم على شق لانهم كانوا
يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله سبحانه قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها
الله ورحم بها فأمرؤا سجودهم على شق واحد قال * ع * والذى لا يصح سواه
ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم لا انهم امنوا كرها وقلوبهم
غير مطمئنة قال وقد اختصرت ما سرد في قصص هذه الآيت وقصدت اصحه
الذى تقتضيه الفاظ الآيت وخلط بعض الناس صغته هذه القصة بصغته
السبعين وبقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقال ابن زيد معناه بتصديق
وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه
* وقوله تعالى ثم توليتم الآيت تولى اصله الاعراض والادبار عن الشيء بالجسم
ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتوليهم
من بعد ذلك اما بالمعاصي فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان
يكون توليتهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه بالهلاك ليكون من ذريتهم من
يومن * وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الآيت علمتم
معناه عرفتم والسبت مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة واما من السبت
وهو القطع لان الاشياء فيه سبنت وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله

عز وجل امر موسى عليه السلام بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء صلوات الله عليهم فذكر موسى ذلك لبنى اسرائيل عن الله سبحانه وامرهم بالتشريع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت فاحصى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتنعهم بان امرهم بترك العمل فيه وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتى يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابى الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل واما بان الهمها معنى الامنة التى فى اليوم مع تكراره كما فهم حمام مكة الامنة وكان امر بنى اسرائيل بايالة على البحر فاذا ذهب السبت ذهب الحيتان فلم تظهر الى السبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتبهوا الحوت فعد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل فى غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل فى الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد السبت فاخذه ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه فى الاسواق فكان هذا من اعظم الاعتداء وكانت من بنى اسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم فرقة لم تعص ولم تنه فقبل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظه امر وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب فى مختصره الكبير المسمى بمنتهى الوصول صيغة افعل وما فى معناها قد صبح اطلاقها بازاء خمسة عشر محلا الوجوب اقم الصلاة والندب فكانت بهم والارشاد واشهدوا اذا تبايعتم والاباحة فاصطادوا والناديب كل مما يليك

والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم
والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة والتسوية فاصبروا او لا
تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمنى ألا اُتجلى وكمال القدرة كن فيكون انتهى وزاد
غيره كونها للتعجيز اعنى صيغة افعل قال ابن الحاجب وقد اتفق على انها مجاز فيما
عدا الوجوب والندب والاباحة والتهديد ثم الجمهور على انها حقيقة في الوجوب
انتهى وخاسئين معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخساً
وروي في قصصهم ان الله تعالى مسح العاصين قردة في الليل فاصبح الناجون الى
مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احداً من الهالكين فقالوا ان للناس لسانا
ففتحوا عليهم الابواب لما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة يعرفون الرجل
والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجدار تبريا
منهم فاصبحوا ولم تفتتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة
يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان المسوخ
لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع في كتاب مسلم
عنه صلى الله عليه وسلم ان امته من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان
المسوخ تنسل فان كان اراد هذا فهو ظن منه صلى الله عليه وسلم في امر لا مدخل
له في التبليغ ثم اوحى اليه بعد ذلك ان المسوخ لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله
صلى الله عليه وسلم على مياة بدر وامرة باطراح تذكير النخل وقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا اخبرتكم عن الله تعالى فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأى في
امور الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير في جعلناها يحتمل عودة على المسخة
والعقوبة ويحتمل على الامة التي مسخت ويحتمل على القردة ويحتمل على
القرية اذ معنى الكلام يقتضيها والذكال الزجر بالعقاب ولما بين يديها قال السدي

ما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناجين وما خلفها اي لمن يجيء بعدها وقال ابن عباس لما بين يديها وما خلفها من القرى وموعدة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه الذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متقى من كل امّة * وقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله يامرکم بالآية المراء تذکیرهم بنقض سلفهم للميثاق وسبب هذه القصة على ما روي ان رجلا من بنى اسرائيل اسن وكان له مال فاستبسط ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه فى سبطه اخر غير سبطه لياخذ دينه ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل فى قربتين متجاورتين فألقاه الى باب احدى القريتين وهى التى لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلا فتعلق بالسبط أو بسكان المدينة التى وجد القتيل عندها فانكروا قتله فوقع بين بنى اسرائيل فى ذلك لواء حتى دخلوا فى السلاح فقال اهل الشهي منهم انقتتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوه البيان فواحى الله تعالى اليه ان يذبخوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحي ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يامرکم ان تذبخوا بقرة فكان جوابهم ان قالوا انتخذنا هزوا وهذا القول منهم طاهرة فساد اعتقاد ممتن قاله ولا يصح ايمان من يقول لنبي قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامر بكذا انتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلط الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين احدهما الاستعاذة من الجهل فى ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والاخر من

الجهل كما جهلوا في قولهم * وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك الآية هذا تعنييت منهم وقلة طوعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشد الله عليهم قاله ابن عباس وغيره والفاض المسنة الهرمة والبكر من البقر التي لم تلد من الصغور رفعت عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هي عوان والعوان التي قد ولدت مرة بعد مرة قال * م * قال الجوهري والعوان النصف في سنه من كل شيء والجمع عون انتهى * ت * قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي في نظمه لغريب القرآن جمع ابي حيان

معنى عوان نصف بين الصغر * وبين ما قد بلغت سن الكبر وكل ما نقلته عن العراقي منظوما فمن ارجوزته هذه وقوله فافعلوا ما تومرون تجديد الامر وتأکید وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجهور الناس في قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفي مختصر الطبري فاقع لونها اي صافى لونها انتهى والقنوع مختص بالصفرة كما خص احمر بقاني واسود بحالك وابيض بناصع واخصر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسألوا بعد هذا كلمة عن ما هي سؤال متحيرين قد احسوا مقت المعصية وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو لا ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله لا ذلول تشير الارض اي غير مذلة بالعمل والرياضة وتشير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تشير فعل مستأنف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقى ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقيل من العمل ولاشية فيها اي لا خلاف في لونها هي

صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشى المختلط الالوان ومنه وشي الثوب
تزينه بالالوان والثور الاشبه الذى فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش اخرج
وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشبه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف
فى البقرة سببها انهم شددوا فشد الله عليهم ودين الله يسروا التعمق فى سؤال
الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بنى اسرائيل
ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها فى غيضة وقال اللهم انى قد استودعتك
هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك
كان قد استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها فلما رأت البقرة جاءت اليه
حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقية بنو اسرائيل
ووجدوا بقرته على الصفة التى امروا بها فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها
فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا له ان هذا اشتط علينا فقال لهم
ارضوه فى ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبدة السمانى وقيل بوزنها
مرتين وقيل بوزنها عشر مرات وقال مجاهد كانت لرجل يبرامه واخذت منه
بملاء جلدها دنانير واآن مبني على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين
الماضى والمستقبل وجئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية
البيان وهذه الآية تعطى ان الذبح اصل فى البقر وان نحرته اجزأ * وقوله
تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تشبطهم فى ذبحها وقتلهم مبادرتهم الى امر الله
تعالى وقال محمد بن كعب القرظى كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان
ذلك خوفاً الفضيحة فى امر القاتل وادارتهم معناه تدافعتم قتل القاتل وفيها اي
فى النفس * وقوله تعالى اضربوه ببعضها آية من الله تعالى على يدي موسى
عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القاتل فيجى ويخبر بقاتله ف قيل

ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم داموا في طلب البقرة اربعين سنة * وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الآية في هذه الآية حص على العبرة ودلالة على البعث في الآخرة وظهرها انها خطاب لبنى اسرائيل حينئذ حكى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان * وقوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية اي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لايات الله تعالى قال قتادة وغيره المراد قلوب بنى اسرائيل جميعا في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك واو لا يصح ان تكون هنا للشك فقليل هي بمعنى الواو وقل للاضراب وقل للابهام وقل غير ذلك * وقوله تعالى وان من الحجارة الآية معذرة للحجارة وتفصيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بنى آدم * ت * وروى البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة من الشقاء جود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا انتهى من الكوكب الدرري لابي العباس احمد بن سعد التجيبي قال الغزالي في المنهاج واعلم ان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله شوم وشقوة وسواد القلب يكون من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعات موقعا ولا للموعظة منجعا انتهى وقيل في هبوط الحجارة تفيث وطلالها وقيل ان الله تعالى يخلق في بعض الاحجار خشية وحياة يهبط بها من علو تواضعها وقال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه الا من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن وقال مثله ابن جريج * وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم الآية

الخطاب للمومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على امر فيه بعد اذ قد سلف لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء وهؤلاء على ذلك السنن وتحريف الشيء امانته من حال الى حال وذهب ابن عباس الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتأويل ولفظ التوراة باقى وذهب جماعة من العلماء الى انهم بدلوا الفاظا من تلقائهم وان ذلك ممكن فى التوراة لانهم استحفظوها وغير ممكن فى القرآن لان الله تعالى ضمن حفظه قلت وعن ابن اسحاق ان المراد بالفريق هنا طائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى انتهى من مختصر الطبري وهذا يحتاج الى سند صحيح * وقوله تعالى واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا الآية المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع فى ايمانهم ويحتمل ان يكون هذا الكلام مستأنفا فيه كشف سرائرهم ورد فى التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مومن فقال كعب بن الاشرف واشباهه اذهبوا وتحسسوا اخبار من ءامن بمحمد وقولوا لهم ءامنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس نزلت فى المنافقين من اليهود وروى عنه ايضا انها نزلت فى قوم من اليهود قالوا لبعض المومنين نحن نومن انه نبي ولكن ليس الينا وانما هو اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوته وقال ابو العالية وقتادة ان بعض اليهود تكلم بما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم كفره الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحاجوكم من الحجّة وعند ربكم معناه فى الآخرة * وقوله تعالى افلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمومنين اى افلا تعقلون ان بنى اسرائيل لا يؤمنون وهم

بهذه الاحوال واميون هنا عبارة عن عامة اليهود وجهلتهم اي انهم لا يطمع في ايمانهم
لها غمهم من الضلال والامي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب نسب الى
الام اما لانه بحال امه من عدم الكتب لا بحال ابيه اذ النساء ليس من
شغلهم الكتب قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها ثم ينتقل عنها
والكتاب التوراة والاماني جمع امنية واختلاف في معنى امانى فقالت طائفة
هي هاهنا من تمنى الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرأ وانما
يقول بظنه شيئاً سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هي من تمنى
اذا تلا ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * واهرة لاقى حام المقادير
فمعنى الآية انهم لا يعلمون الكتاب الاسماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته
وقال الطبري هي من تمنى الرجل اذا حدث بحديث مختلف كذب اي لا
يعلمون الكتاب الاسماع اشياء مختلفة من احبارهم يظنونها من الكتاب
* ص * وان هم الا يظنون ان نافية بمعنى ما انتهى * وقوله تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله الآية قال
الخليل الويل شدة الشر وهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه
اذا انفصل الرفع لانه يقتضى الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء اي
الزعم الله ويلا وويل وويح وويس تتقارب في المعنى وقد فرق بينها قوم وروى
سفيان وعطاء بن يسار ان الويل في هذه الآية واد يجرى بفناء جهنم من صديد
اهل النار وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه واد في
جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوى اربعين خريفاً وروى عثمان بن عفان عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من جبال النار والذين يكتبون هم الاحبار

والرؤساء وبايديهم قال ابن السراج هي كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم والذي بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم وذكر السدي انهم كانوا يكتبون كتباً يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبشونها في اتباعهم ويقولون هي من عند الله والتمن قيل عرض الدنيا وقيل الرشى والمآكل التي كانت لهم ويكسبون معناه من المعاصي وقيل من المال الذي تضمنه ذكر الثمن * وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الآية روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتهم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية قال اهل التفسير العهد في هذه الآية الميثاق والموعود وبلى رد بعد النفي بمنزلة نعم بعد الايجاب وقالت طائفة السيئة هنا الشرك كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار والخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن بن ابى الحسن والسدي كل ما توعده الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود في هذه الآية على الاطلاق والتابيد في الكفار ومستعار بمعنى الطول في العصاة وان علم انقطاعه قال محمد بن عبد الله اللخمي في مختصره للطبري اجعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح بان عصاة اهل التوحيد لا يخلدون في النار ونطق القرآن بان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لكن من خاف على لحمه ودمه اجتنب كل ما جاء فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصي اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار الامة يخافون سلب الايمان على انفسهم ويخافون النفاق عليها وقد تظاهرت بذلك عنهم الاخبار انتهى

* وقوله تعالى والذين آمنوا الآية يدل هذا التقسيم على ان قوله تعالى بلى من كسب سيئة الآية في الكفار لا في العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله واحاطت لان العاصي مومن فلم تحط به خطيئته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كفار ادعوا ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم * وقوله تعالى واذا اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الآية اخذ الله سبحانه الميثاق عليهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم واخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون الا الله الآية قال سيبويه لا تعبدون متعلق لقسم والمعنى واذا استخلفناهم والله لا تعبدون الا الله وفي الاحسان تدخل انواع بر الوالدين كلها واليتيم في بنى آدم فقد كذب وفي البهائم فقد كذب وقال صلى الله عليه وسلم لا يتيم بعد بلوغ والمسكين الذى لا شيء له وقيل هو الذى له بلغة والآية تتضمن الرأفة باليتامى وحيطة اموالهم والحض على الصدقة والمواساة وتفقد المساكين * وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا * امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده وقرا حزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى فى القراءة الثانية وقولوا قولاً حسناً بفتح الحاء والسين او قولاً ذا حسن بضم الحاء وسكون السين فى الاولى قال ابن عباس معنى الكلام قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسناً فى الاعلام بما فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم باحسن ما تحبون ان تحاوروا به وهذا حص على مكارم الاخلاق وزكاتهم هي التى كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تقتل منها دون ما لم يتقبل * وقوله تعالى ثم توليتهم الآية خطاب لمعاصري النبي صلى

الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك العبيل قال نحوه ابن عباس وغيره والمراد بالقليل المستثنى جميع مومنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقلته على هذا هي في عدد الاشخاص ويحتمل أن تكون القلة في الايمان والاول اقوى * ص * لا قليلا منصوب على الاستثناء وهو الاصح لانه استثناء من موجب وروى عن ابي عمرو لا قليل بالرفع ووجهه ابن عطية على بدل قليل من ضمير توليتم على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق لا قليل ورد بمنع النحويين البديل من الموجب لان البديل يحل محل المبدل منه فاو قلت قام لازيد لم يجز لان لا تدخل في الموجب وتأويله لايجاب بالنفي يلزم في كل موجب باعتبار نفي صده او نقيضه فيجوز اذن قام القوم لازيد على تأويل لم يجلسوا لازيد ولم تبس العرب على ذلك كلامها وانما اجازوا قام القوم لازيد بالرفع على الصفة وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه انتهى ودماكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفسى بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللفظ في القول * وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم وقوله وانتم تشهدون قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهدو اي حضور اخذ الميثاق والاقرار وفيل المراد من كان في مدة مجد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم شهداء اي بينة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمن بعدهم منكم * وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الآية هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن ابن اجد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء

وانتم خبر وتقتلون حال بها ثم المغنى وهي المقصود * ص * قال الشيخ
ابوحيان ما نقله ابن عطية عن شيخه ابي الحسن بن البادش من جعله هؤلاء
مبتدأ وانتم خبر مقدم لا ادرى ما العلة في ذلك وفي عدوله عن جعل انتم مبتدأ
وهؤلاء الخبر الى عكسه انتهى * ت * قيل العلة في ذلك دخول هاء التنبيه
عليه لاختصاصها باول الكلام ويدل على ذلك قولهم ها انا ذا قائما ولم يقولوا انا
هذا قائما قال معناه ابن هشام فقائما في المثال المتقدم نصب على الحال انتهى
وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبنى قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت
الاوس وبنى قينقاع حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب بين بنى قيلة
ذهبت كل طائفة من بنى اسرائيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وكانوا مع ذلك يفدى بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة
وهم قد خالفوها بالقتال والاخراج والديار مباني لاقامة وقال الخليل محلة القوم
ديارهم ومعنى تظاهرون تتعاونون والعدوان تجاوز الحدود والظلم وقرا حمزة
اسرى تفدوهم واسارى جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد ثم كثر استعماله
حتى لزم وان لم يكن ثم ربط ولا شد واسير فاعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه في
اللغة تطلقونهم بعد ان تاخذوا عنهم شيئا وقال الثعلبي يقال فدى اذا اعطى مالا
واخذ رجلا وفادى اذا اعطى رجلا واخذ رجلا فتفدوهم معناه بالمال وتفادوهم اي
مفادات الاسير بالاسير انتهى * ت * وفي الحديث من قول العباس
رضي الله عنه فاني فاديت نفسي وعقيلًا وظاهرة لا فرق بينهما * وقوله تعالى
اقتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية والذي امنوا به فداء الاسارى
والذى كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان
لنقض فعلهم والخزي الفضيحة والعقوبة فليل خزيهم ضرب الجزية عليهم غابر

الدهر وقيل قتل قريظة واجلاء النصير وقيل الخزي الذي تتوعد به لامة من الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيها واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود في جهنم * وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرأ نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والآية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرأ الباقون بتاء على الخطاب لمن تقدم ذكره في الآية قبل هذا وهو قوله افتومنون ببعض الكتاب الآية وهو لاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بنى اسرائيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد هذا وما يجرى مجراه * وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية جعل الله ترك الآخرة واخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة ولا ينصرون لا في الدنيا ولا في الآخرة * ص * ولقد آتينا موسى الكتاب * اللام في لقد يحتمل ان تكون توكيدا ويحتمل ان تكون جواب قسم وموسى هو المفعول الاول والكتاب الثانى وعكس السهيلى ومريم معناه في السريانية الخادم وسميت به ام عيسى فصار علما عليها انتهى والكتاب التوراة وقفينا ماخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان اذا جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يثقفوا اذا اتبع وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليهم السلام والبيئات الحجج التى اعطاها الله عيسى وقيل هي آياته من احياء وابرار وخلق طير وقيل هي الانجيل والآية تعم ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة قال ابن عباس روح القدس هو الاسم الذى كان يحيى به الموتى وقال ابن

زيد هو الانجيل كما سمي الله تعالى القزوان روحا وقال السدي والضحاك والربيع
وقنادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا أصح الأقوال وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لحسان اهـج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك
وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ روي ان
بنى اسرائيل كانوا يقتتلون في اليوم ثلاثمائة نبي ثم تقوم سوقهم آخر النهار
وروي سبعين نبياً ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار والهوى اكثر ما يستعمل
فيما ليس بحق وهو في هذه الآية من ذلك لانهم انما كانوا يهجون الشهوات
ومعنى قلوبنا غلف اي عليها غشاوات فهي لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين
تعالى سبب نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم
وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب اعظم منه واللعن الابعاد والطرده قليلا نعت
لمصدر محذوف تقديره فايما قليلا ما يؤمنون والضمير في يؤمنون لحاضري
محمد صلى الله عليه وسلم منهم وما في قوله ما يؤمنون زائدة مؤكدة * وقوله
تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله الآية الكتاب القزوان ومصداق لما معهم يعنى
التوراة ويستفتحون معناه ان بنى اسرائيل كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد علموا خروجه بما علموا عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا انه
منهم فكانوا اذا حاربوا الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي
الذى اطل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه
يستنصرون قال احمد بن نصر الداودي ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح اي
بالنصر انتهى وروي ابو بكر محمد بن حسين الاجري عن ابن عباس قال كانت
يهود خيبر يقاتلون غطفان فكلما التقوا هزمت اليهود فعاد اليهود يوما بالدعاء
فقالوا اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذى وعدتنا ان تخرجه لنا

فى آخر الزمان لا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ولاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحو هذا مع الانصار قبيل الاسلام انتهى من تأليف حسن بن علي بن عبد الملك الرهونى المعروف بابن القطان وهو كتاب نفيس جدا الفه فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودايات نبوته وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز فى ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز وسكناهم به فانهم كانوا علوا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر من هذه الآيت العناد منهم وان كفرهم كان مع معرفة ومعاندة ولعنة الله ابعاده لهم وخزيهم لذلك وببئس اصله بئس سهلت الهمة ونقلت حركتها الى الباء وما عذ سبويه فاعلة ببئس والتقدير ببئس الذى اشتروا به انفسهم واشتروا بمعنى باعوا وما انزل الله يعنى به القروان ويحتمل التوراة ويحتمل ان يروا الجميع من توراة وانجيل وقرآن لان الكفر بالبعض يستلزم الكفر بالكل ومن فضله يعنى من النبوة والرسالة ومن يشاء يعنى به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب ويدخل فى المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباروا معناه مضوا متحملين لما يذكر انهم باروا به وقال البخاري قال قتادة باروا معناه اتقبلوا انتهى وبغضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام فالمعنى على غضب فدباء به اسلافهم حظ هؤلاء منه واقر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود

في النار لان من لا يخلد من عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له * وقوله تعالى واذا قيل لهم معنى لليهود اامنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن قالوا نومن بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراه قال قتادة اي بما بعده قال الفراء اي بما سواه ويعنى به القرآن ووصف تعالى القرآن بانه الحق ومصدقا حال مؤكدة عند سيبويه * وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين رد من الله تعالى عليهم وتكذيب لهم في ذلك واحتجاج عليهم * وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات البينات التوراة والعصا وفرق البحر وسائر الآيات وخذوا ما آتيناكم يعني التوراة والشرع بقوة اي بعزم ونشاط وجد واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم * وقوله تعالى بكفرهم يحتمل ان تكون باء السبب ويحتمل ان تكون بمعنى مع * وقوله تعالى قل بيسما يامرکم به إيمانكم امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم لانه بيس هذه الاشياء التي فعلتم وامركم بها ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نومن بما انزل علينا * وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الآية امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضى حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كان وخالصة خبرها ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم وهذه آية بينة اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك من القول فامر الله نبيه ان يدعوهم الى تمنى الموت وان يعلمهم انه من تمناء منهم مات ففعل

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فعلوا صدقه فأُخْجِبُوا عن تمنيه فرقا من الله لئلا يفتخروا بمعرفتهم بكذبهم وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمني وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الآية لنبيه صلى الله عليه وسلم * ت * قال عياض ومن الوجوه البينة في اعجاز القرآن اى وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واطهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنوه وأجد منهم ومن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الاغص بريقه يعنى يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جاعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد بقوله تمنوا اريدوه بقلوبكم واسألوه هذا قول جاعة من المفسرين وقال ابن عباس المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا واصناف ذنوبهم واجترامهم الى الايدى اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر انها هو بيديهم فحمل جميع الاشياء على ذلك * وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهرة الخبر ومضمنه الوعيد لان الله سبحانه عليم بالظالمين وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد * وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة الآية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله تعالى * وقوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل المعنى وحرص من الذين اشركوا لان مشركى العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير في احدهم يعود في

هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم يود احدثهم لويهمر الف سنة والزحزحة الابداد والتنحية وفي قوله تعالى والله بصير بها يعملون وعيد * وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآيتة اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف في كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسألك عن اربعة اشياء فان عرفتھا اتبعناك فسألوه عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسألوه عن الشبه في الولد فقال اي ماء علا كان له الشبه وسألوه عن نومه فقال تنام عينى ولا ينام قلبى وسألوه عن من يجيئهم من الملائكة فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجذب ولو كان الذى يجيئك ميكائيل ملك الرحمة والخصب والامطار لا تبعناك وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرأ نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرأ ابن كثير وروي عنه انه قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم وهو يقرأ جبريل وميكائيل فلا ازال اقرأها ابدا كذلك * ت * يعنى والله اعلم مع اعتماده على روايتها قال الثعلبي والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم لا ما حكى عنه في الرؤيا من كسرها انتهى وذكر ابن عباس وغيره ان جبروميك واسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل الله * وقوله تعالى فانه نزل على قلبك الضمير في انه عائد على الله تعالى وفي نزل عائد على جبريل اي بالقروان وسائر الوحي وقيل الضمير في انه عائد على جبريل وفي نزل عائد على القروان وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقى المعارف وبإذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا حال من ضمير القروان

في نزلهم وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهدي ابي ارشاد * وقوله تعالى من كان عدوا لله الآيت وعيد وذم لمعادى جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضى عداوة الله لهم وعطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقد كان ذكر الملائكة عنهما تشريفا لهما وقيل خُصّا لان اليهود ذكروهما ونزلت الآية بسببهما فذكرا ليلا تقول اليهود انا لم نَعَادِ الله وجيع ملائكته وعداوة العبد لله هي مَعْصِيَتُهُ وترك طاعته ومعادة اوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه واطهار اثر العداوة عليه * وقوله تعالى او كلما عاهدوا عهدا الآيت قال سيبيويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبد الطرح ومنه المنبذ والعهد الذى نبذوه هو ما اخذ عليهم فى التوراة من امر النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ومصدق نعت لرسول وكتاب الله القرآن وقيل التوراة لان مخالفتها نبذ لها ووراء ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر اليه جلته والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم فيجىء من اللفظ انهم كفروا على علم * وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية يعنى اليهود وتتلوا قال عطاء معناه تقرأ وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان اى على عهد ملك سليمان وقال الطبري اتبعوا بمعنى فُتِلُوا وعلى ملك سليمان اى على شرعه ونبوته والذى تلته الشياطين قيل انهم كانوا يلقيون الى الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرويه فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك كان علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان عليه السلام فى الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان فى الانبياء وما كان الا ساحرا * وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى

لسليمان عليه السلام والسحر والعمل به كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه فان تاب ولا يقتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلنون اتباع الشياطين من بنى اسرائيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعولة وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعه ويومن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول ان الله تعالى انزل السحر عليهما ليُعَلِّمَ على جهة التحذير منه والنهي عنه قال * ع * والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير بمباده وقيل انما عطف على ما في قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفسى الله ذلك * ت * قال عياض والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة وبابل قطر من الارض وهاروت وماروت بدل من الملكين وما يذكر في قصتهما مع الزهرة كله ضعيف وكذا قال * ع * ت * قال عياض واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئاً يوخذ بقياس والذي منه في القرون اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الاخبار من كتب اليهود واقترائهم كما نصه الله اول الآيات انتهى انظره * وقوله تعالى وما يعلنان الآية ذكر ابن الاعرابي في الياقوتة ان يُعَلِّمان بمعنى يُعَلِّمان ويشعران كما قال كعب بن زهير

تعلم رسول الله انك مدركى * وان وعيدا منك كالاخذ باليد
وجل هذه الآية على ان الملكين انما نزلا يُعْلَمَان بالسحر وينهيان عنه وقال
الجمهور بل التعليم على عرفه * ص * وقوله تعالى من احد من هنا زائدة
مع المفعول لتأكيد استغراق الجنس لان احدا من الفاظ العموم انتهى ويفرقون
معناه فرقة العصمة وقيل معناه يُؤَخِّذُونَ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على
وطئها فهي ايضا فرقة وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويضرم معناه في الآخرة
والضمير في علموا عائد على بنى اسرائيل وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون لاجرة
على ان يُعَلِّمُوا والخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام في قوله
لمن للتسم الموزنة بان الكلام قسم لا شرط * م * وليس ما ابو البقاء جواب
قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي السحر او الكفر والضمير في به عائد
على السحر او الكفر انتهى وشروا معناه باعوا والضمير في يعلمون عائد على بنى
اسرائيل اتفاقا ولوانهم آمنوا يعنى الذين اشتروا السحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة
عند الجمهور بمعنى الثواب وقوله سبحانه لو كانوا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم
ويحتمل لو كانوا يعلمون علما ينفع وقرا جهور الناس راعنا من المراعاة بمعنى فاعلنا
اي ارعنا نرعك وفي هذا جفاء أن يخاطب به احدُ نبيّه وقد حص الله تعالى
على خفض الصوت عنده وتعزيرة وتوقيرة وقالت طائفة هي لغة للعرب فكانت
اليهود تصرفها الى الرعونة يظهرون انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون
الرعونة التي هي الجهل فنهى الله المومنين عن هذا القول سدا للذريعة لئلا يتطرق
منه اليهود الى المحذور وانظرنا معناه انتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى
تفقدنا من النظر والظاهر عندي استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال ولما نهى
الله تعالى في هذه الآية وامر حص بعد على السمع الذى فى ضمنه الطاعة وأعلم

ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المولم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها * وقوله سبحانه ما يرد الذين كفروا من اهل الكتاب الآية يتناول لفظ الآية كل خير والرحمة في هذه الآية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة القروان * وقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسخها الآية النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وهذا لا مدخل له في هذه الآية وورد في كتاب الله تعالى في قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثاني الازالة وهو الذى في هذه الآية وهو منقسم في اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل والآخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين وحد الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتنا مع تراخيه عنه * ت * قال ابن الحاجب والنسخ لغة الازالة وفي الاصطلاح رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر انتهى من مختصره الكبير والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه لا يلزم منه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهى امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثانى والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغيير ارادة وذلك محال في جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا فلم يجوزوه فصلوا والمنسوخ عند ائمتنا الحكم الثابت نفسه لا ما ذهب اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذى قادهم الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن وقد قامت الدالة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن

والثب في الاحكام انها هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم
يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناول العموم قط ولو تناول العموم
لكان نسخا والنسخ لا يجوز في الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهي ورد بعض
المعترضين الامر خيرا بان قال أليس معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر
والجواب ان يقال ان في ضمن المعنى لا ان نسخه عنكم وارفعه فكما تضمن
لفظ الامر ذلك الاخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد
ينسخ الاثقل الى الاخف وبالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة وقد ينسخ
الشيء لا الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس والتلاوة والحكم حكمان
فجائز نسخ احدهما دون الآخر ونسخ القرآن بالقرآن وينسخ خبر الواحد بخبر
الواحد وهذا كله متفق عليه وحذاق الاثمة على ان القرآن ينسخ بالسنة
وذلك موجود في قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر مسائل مالك
* ت * ويعني بالسنة النسخة للقرآن الخبر المتواتر القطعي وقد اشار الى
ان هذا الحديث مُتَوَاتِرٌ ذكره عند تفسير قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت
واختلف القراء في قراءة قوله تعالى او ننسها فقرأ ابن كثير وابوعمر ونسأها بنون
مفتوحة واخرى ساكنة وسين مفتوحة والـف بعدها مهموزة وهذه بمعنى التأخير
واما قراءة نافع والجمهور ننسها من النسيان وقرأت ذلك فرقة لا انها همزت
بعد السين فهذه بمعنى التأخير والنسيان في كلام العرب يجي في الاغلب ضد
الذكر وقد يجي بمعنى الترك فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات فما كان
منها يترتب في لفظه النسيان الذي هو ضد الذكر فعني الآية به ما ننسخ من
آية او نقدر نسيانك لها فانا ناتي بخير منها لكم او مثلها في المنفعة وما كان على
معنى الترك او على معنى التأخير فيترتب فيه معان انظرها ان شئت فاني اثرت

الاختصار * ع * والصحيح ان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يشبته قرءانا جائز فاما النسيان الذى هو افة في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه احد من أصحابه واما بعد ان يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط اية فلما فرغ من الصلاة قال افى القوم ابي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرنى قال حسبت انها رفعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكنى نسيته * وقوله تعالى الم تعلم معناه التقرير ومعنى الآية ان الله تعالى ينسخ ما شاء ويشب ما شاء ويفعل فى احكامه ما شاء هو تقدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لانكار اليهود النسخ وقوله على كل شيء عموم معناه الخصوص اذ لا تدخل فيه الصفات القديمة بدليل العقل ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء فى كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على المبالغة قال القشيري وان من علم ان مولاة قدير على ما يريد قطع رجاءه عن الاغيار كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع قال اهل الاشارة معناه سهلت طريقهم اليك وقطعت رجاءهم عن سواك ثم قال ليقيموا الصلاة اى شغلتم بخدمتك وانت اولى بهم فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اى اذا احتاجوا شيئاً فذلل عبادك لهم واوصل بكرمك رعايتهم اليهم فانك على ذلك قدير وان من لزم بابه اوصل اليه محابه وكفاه اسبابه وذلل له كل صعب واوردته كل سهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة انتهى من التحبير * وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الآية الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير فى لكم دال على ان المراد بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب امت * وقوله تعالى ام

تريدون ان تسألوا رسولكم الآية قال ابو العالية ان هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بنى اسرائيل فى تعجيل العقوبة فى الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما اعطى بنى اسرائيل وتلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال ابن عباس سَبَّهَها ان رافع بن حريملة اليهودى سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك وقيل غير هذا وما سئل موسى عليه السلام هو ان يرى الله جهرة وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر بالتبديل وصل خطأ الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه فى سواء الحميم وقال حسان بن ثابت فى رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

يا وريح انصار النبي ورهطه * بعد المغيب فى سواء المالحد

والسبيل عبارة عن الشريعة التى انزلها الله تعالى لعباده * وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا الآية قال ابن عباس المراد ابنا اخطب حبي وابو ياسر اى واتباعهما واختلف فى سبب هذه الآية فقيل ان حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهما عن دينهما فثبتا عليه ونزلت الآية وقيل ان هذه الآية تابعة فى المعنى لما تقدم من نهى الله عز وجل عن متابعة اقوال اليهود فى راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل على المومنين خير ويودون ان يردوهم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق وهونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم * ت * وقد جاءت احاديث صحيحة فى النهي عن الحسد فمنها حديث مالك فى الموطأ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث واسند ابو عمر بن عبد البر عن الزبير قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء حالقنا الدين لا حالقنا الشعر انتهى من التمهيد والعفو ترك العقوبة والصفح لاعراض عن المذنب كانه يولى صفحة العنق قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا فى نفس الامر كان التوقيف على مدته * ت * وينبغى للمؤمن ان يتأدب بآداب هذه الآية وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك خرجته النسائي انتهى من الكوكب الدرى لابی العباس اجد بن سعد التتجيبى * وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه فى هذا الموضع وعد للمؤمنين وقوله تعالى واقموا الصلاة الآية قال الطبرى انما امر الله المؤمنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود راعنا لان ذلك نهى عن نوعه وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لى لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدّم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب التخلف انتهى * وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر فى اللفظ معناه الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى معناه قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفريق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهودا جمع هائد ومعناه التائب الراجع وكذبهم الله

تعالى وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه السلام بدعائهم الى اظهار البرهان وهو الدليل الذى يوقع اليقين وقولهم لن نفي حسنت بعده بلى اذ هي رد بالايجاب فى جواب النفي حرف مرتجل لذلك واسلم معناه استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف الاعضاء وفيه يظهر اثر العز والذل وهو محسن جلته فى موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الآية معناه انه ادعى كل فريق انه احق برجة الله من الآخر وسبب الآية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينه عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود بيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة * ع * وفى هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقدير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بيسى وكلاهما يتضمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفى كتبهم خلاف ما قالوا وفى قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده والكتاب الذى يتلونه قيل هو التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمتثلها * وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعنى كفار العرب لانهم لا كتاب لهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة الآية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية اي لا احد اظلم من هؤلاء قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلى ببيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة * وقوله سبحانه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين الآية فمن جعل الآية فى النصارى

روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصرانى بيت المقدس الا اوجع
ضربا قاله قتادة والسدى ومن جعلها فى قريش قال كذلك نودى بامر
النبي صلى الله عليه وسلم الا يحج مشرك والا يطوف بالبيت عريان
واينما شرط وتولوا جزم به وثم جوابه ووجه الله معناه البذى وجهنا اليه كما
تقول سافرت فى وجه كذا اى فى جهة كذا ويتجه فى بعض المواضع من القران
كهذه الآية ان يراد بالوجه الجهة التى فيها رضاء وعليها ثوابه كما تقول
تصدقت لوجه الله ويتجه فى هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التى وجهنا
اليها فى القبلة واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه
الآية فى صلاة النافلة فى السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعي
الآية عامة اينما تولوا فى متصرفاتكم ومسايعكم فثم وجه الله اى موضع رضاء وثوابه
وجهة رحمته التى يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت
فيمن اجتهد فى القبلة فاطأ وورد فى ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة وأعلموا
علامات فلما اصبحوا رأوا انهم قد اخطأوها فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فنزلت هذه الآية وقيل نزلت الآية حين صد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليهم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا
انه يوسع على عباده فى الحكم دينه يسر عليهم بالنيات التى هي ملاك العمل *
وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الآية اختلف على من يعود ضمير قالوا
فقيل على النصارى وهو الاشبه وقيل على اليهود لانهم قالوا عزيز بن الله وقيل على
كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله * ت * وقال ابو عبد الله اللخمي
ويحتمل ان يعنى بالآية كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود

والنصارى والذين لا يعلمون وهم المشركون. وكلهم قد ادعى لله ولدا تعالى الله عن قولهم انتهى من مختصر الطبرى وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا والقنوت فى اللغة الطاعة والقنوت طول القيام بمعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اى تخشع وتطيع والكفار قنوتهم فى ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كارة وبديع مصروف من مبدع والمبدع المخترع المنشئ وخص السماوات والارض بالذكر لانها اعظم ما نرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجيى بمعنى امضى ويتجه فى هذه الآية المعنيان والامر واحد الامور وليس هو هنا بمصدر امر يامر وتلخيص المعتقد فى هذه الآية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات فكل ما فى الآية مما يقتضى لاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجيى بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل والمعنى الذى تقتضيه عبارة كن هو قديم قائم بالذات والوضوح التام فى هذه المسألة يحتاج اكثر من هذا البسط * ت * وقد قدمنا ما يزيد هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى واذا قلنا لللائكة اسجدوا لادم فانظرو * وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الآية قال الربيع والسدى هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن خريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام الله وقيل للاشارة الى جميع هذه الطوائف لانهم كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تخصيص بمعنى هلا والآية هنا العلامة الدالة والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى فى قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب وهم

اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى وهم الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح اوفى الكفر * وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة تقتضى ان اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى ان الكلام مدح لهم * وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا اي لمن آمن ونذيرا لمن كفروا نافع وحده ولا تسأل اي لا تسأل عن شدة عذابهم كما تقول فلان لا تسأل عنه تعنى انه في نهاية تشهده من خيرا وشر * ت * و زاد في مختصر الطبرى قال وتحتمل هذه القراءة معنى اخر وهو والله اعلم اظهر اي ولا تسأل عنهم سؤال مكثرت بما اصابهم او بما هم عليه من الكفر الذى يوردهم الحجيم نظير قوله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات واما ما روي عن محمد بن كعب القرظى ومن وافقه من ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ما فعل ابواي فنزلت الآية في ذلك فهو بعيد ولا يتصل ايضا بمعنى ما قبله انتهى وقرأ باقى السبعة ولا تسأل بضم التاء واللام والحجيم احدى طبقات النار وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء ثم قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالكت من الله من ولي ولا نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامته معه داخلته فيه * ت * والادب ان يقال خوطب به صلى الله عليه وسلم والمراد امته لوجود عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك الجواب في سائر ما اشبه هذا المعنى من الآي وقد نبه رحمه الله على هذا المعنى في نظيرتها كما سيأتى وكان الاولى ان ينبه على ذلك هنا ايضا وقد اجاب عياض عن الآي الواردة في القرآن مما يوهم طاهرة اشكالا فقال رحمه الله اعلم وفقنا الله

واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امره
ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم
على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين
وان ابلاغه ان لم يكن بهذا البيان فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه
بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا
تخافا لتشتد يصاثرهم في الابلاغ واطهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف لليقين واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن
يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في
الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله ان يشاء الله يختم
على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال
من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا
تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله يَنْهَاهُ عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من
الظالمين انتهى من الشفا * ص * ولئن هذه اللام هي الموطئة والمؤدنة
وهي مشعرة بقسم مقدر قبلها انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب
يتلونه الآية قال قتادة المراد بالذين في هذا الموضع من اسلم من امته النبي
صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التأويل القرمان وقال ابن زيد المراد من
اسلم من بنى اسرائيل والكتاب على هذا التأويل التوراة وءاتيناهم معناه اعطيناهم
ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامثال الامر والنهي قال احمد بن نصر الداودي
وهذا قول ابن عباس قال عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا

تلاها اي تبعها انتهى والله در من اتبع كلام ربه واقتفى سنة نبيه وان قل علمه قال
القضاعي في اختصاره للمدارك قال في ترجمة سحنون كان سحنون يقول مثل العلم
القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الارض العذبة يزرع عليها صاحبها
ما ينتفع به ومثل العلم الكثير في الرجل الطالح مثل العين الخرارة في السبخة تهر
الليل والنهار ولا ينتفع بها انتهى وقيل يتلونه يقرؤونه حق قراءته وهذا ايضا يتضمن
الاتباع والامثال وحق مصدر وهو بمعنى افعل والضمير في به عائد على الكتاب
وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون
به والضمير في يكفر به يحتمل من العود ما ذكر في الاول * وقوله تعالى يا بنى
اسرائيل الآية تقدم بيان نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعته انه ليست ثم وليس
المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد واما الشفاعته التي هي في تعجيل الحساب
فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة * ت * ولم ينبه رحمه الله على هذا في التي
تقدمت اول السورة وابتلى معناه اختبر وفي مختصر الطبرى ابتلى اي اختبر
والاختبار من الله عز وجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهرة وانما
يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه في
قوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال
رضي الله عنه ان الله عز وجل لم يزل عالها بأخبارهم وخبرهم وماهم عليه وان قوله
ولنبلونكم حتى نعلم اي حتى نسوقكم الى سابق علمي فيكم انتهى وهو كلام
حسن وقد نبه * ع * على هذا المعنى فيما ياتي والعقيدة ان علمه سبحانه
قديم علم كل شيء قبل كونه فجري على قدره لا يكون من عبادة قول ولا عمل
الا وقد قضاة وسبق عليه به سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية
اب رحيم واختلف اهل التأويل في الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما

هي الاسلام كله لم يتمه احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها في براءة
التائبون العابدون الآية وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة
في سال سائل * ت * وقيل غير هذا وفي البخارى انه اختتن وهو ابن
ثمانين سنة بالقدوم قال الراوى فوحي الله اليه انى جاعلك للناس اماما والامام
القدوة وانها سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها او امر هي كلمات
وروي ان ابراهيم لما اتم هذه الكلمات او اتمها الله عليه كتب الله له البراءة من
النار فذلك قوله تعالى وابراهيم الذى وفى * وقول ابراهيم عليه السلام ومن
ذريتى هو على جهة الرغاء الى الله اى ومن ذريتى يا رب فاجعل * وقوله
تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين اى قال الله والعهد فيما قال مجاهد لامامة
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة مثابة يحتمل من ثاب اذا رجع ويحتمل
ان تكون من الثواب اى يثابون هناك وامنا للناس والطير والوحوش اذ جعل
الله لها حرمة فى النفوس بحيث يلتقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه وقرأ
جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر لامامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عن من اتخذته من متبعي
ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم فى قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخارى
هو الحجر الذى ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان
اسماعيل يناوله اياها فى بناء البيت وغرقت قدماء فيه ومُصَلَّى موضع صلاة
* ص * من مقام من تبعية على الاظهر او بمعنى فى او زائدة على مذهب
الاخفش والمقام مفعول من القيام والمراد به هنا المكان انتهى يعنى المكان الذى فيه
الحجر المسمى بالمقام * وقوله تعالى وعهدنا العهد فى اللغة على اقسام هذا منها
الوصية بمعنى الامر وطهرا قيل معناه ابناءه واسسائه على طهارة ونية طهارة وقال

مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة لاوثان وللطائفين ظاهرة اهل الطواف وَقَالَهُ عطاء
وغیره وقال ابن جبیر معناه للغرباء الطائنين على مكة والعاكفين قال ابن جبیر
هم اهل البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس البصلون
وقال غیره المعتكفون والعكوف في اللغة الملازمة * وقوله تعالى واذا قال ابراهيم
رب اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا اي من الجبابرة والعدو المستاصل وروي ان الله
تعالى لها دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع فلسطين وقيل بقعة من الارض فطاف
بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب
الطواف * وقوله تعالى قال ومن كفر فامتنع قليلا آية قال ابني بن كعب
وابن اسحاق وغيرهما هذا القول من الله عزوجل لابراهيم وقال ابن عباس
وغیره هذا القول من ابراهيم قال * ع * فكان ابراهيم دعا للمومنين وعلى
الكافرين وفي مختصر الطبري وقرا بعضهم فامتنع بالحزم والقطع على الدعاء وراه
دعاء من ابراهيم وروي ذلك عن ابني العاليتة كان ابن عباس يقول ذلك
قول ابراهيم سأل ربه ان من كفر به فامتنع قليلا يقول فارقه قليلا ثم اضطره الى
عذاب النار اي الجنة انتهى وعلى هذه القراءة يجيء قول ابن عباس لا على
قراءة الجمهور وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل * وقوله تعالى واذا
يرفع ابراهيم القواعد من البيت آية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس
* ص * القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر وقال ابو عبيدة هي الاساس
انتهى واختلفوا في قصص البيت ف قيل ان ادم امر ببنايته ثم نذر ودرس حتى
دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ابراهيم ابتداء بناء بامر الله وقيل غير هذا
* ع * والذي يصح من هذا كله ان الله سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد
البيت وَجَائِزٌ قَدَمُهُ وَجَائِزٌ ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا

بسند يقطع العذر واسماعيل عطف على ابراهيم والتقدير يقولان ربنا تقبل منا
انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا العليم بنياتنا وخصا هاتين
الصفتين لتناسبهما مع حالهما وقولهما اجعلنا بمعنى صيرنا مسلمين وكذلك كانا
وانما ارادا التشبيث والدوام والاسلام في هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا
ومن في قوله ومن ذريتنا للتبعض لان الله تعالى قد كان اعلمه ان منهم طاليس
والامة الجماعة وارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية القلب
وهذا لا يصح قال قتادة المناسك معالم الحج واختلف في معنى طلبهم التوبة وهم
انبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التشبيث والدوام وقيل ارادا من بعدهما
من الذرية وقيل وهو الاحسن انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان
يسنا للناس ان تلك المواطن مكان التنصّل من الذنوب وطلب التوبة وقال
الطبري انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان يحب ان تكون
احسن مما هي واجمعت الامة على عصمة الانبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر
ومن الصفات التي فيها رذيلة واختلف في غير ذلك من الصفات والذى اقول
به انهم معصومون من الجميع وان قول النبي صلى الله عليه وسلم انى لا توب
في اليوم واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوعه من حالة الى ارفع منها
لِتَرْيِدَ علومه واطلاعه على امر ربه فهو يتوب من منزلة الى اعلى والتوبة هنا
لغوية وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية هذا هو الذى اراد النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم اي
يعرفوه ويتحققوا فضله ويشفق عليهم ويحرص * ت * وقد تواترت
اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته في الكتب السالفة وعلم بذلك
الاخبار واخبروا به وبتعيين الزمن الذى يبعث فيه وقد روى البيهقي

اجد بن الحسين وغيره من طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق
بصرى فاذا راهب في صومعة يقول سلوا أهل هذا الموسم افيهم من هو من هذا
الحرم قال قلت انا فما تشاء قال هل ظهر اجد بعد قلت ومن اجد قال اجد بن
عبد الله بن عبد المطلب هذا شهرة الذى يخرج فيه وهو خاتم الانبياء مخرجه من
الحرم ومهاجرة الى نخل وسباخ اذا كان فلا تُسَبَقَنَّ اليه فوضع في قلبى ما قال
واسرعت اللحاق بمكة فسألت هل ظهر بعدى امر فقالوا محمد الامي قد تنبأ
وتبعه ابو بكر بن ابى قحافة فمشيئت الى ابى بكر وادخلنى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وقد روى العذرى وغيره عن ابى
بكر رضي الله عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لى انت حرمي فقلت
نعم فقال واحسبك قرشيا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة اكشف
لى عن بطنك قلت لا افعل او تخبرنى لم ذلك قال اجد فى العلم الصحيح
ان نبيا يبعث فى الحرمين يقارنه على امره فتى وكهل اما الفتى فخواص
غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه
اليسرى علامة وما عليك ان ترينى ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفة
الا ماخفي علي قال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى
فقال انت هو ورب الكعبة انى متقدم اليك فى امر قلت ما هو قال اياك
والميل عن الهدى وعليك بالتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما حولك
واعطى قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عنى الى ذلك النبى ابياتا قلت نعم
فانشأ الشيخ يقول

الم تر انى قد سئمت معاشرى * ونفسى وقد اصبحت فى الحى عاهنا
حييت وفى الايام للمر عبرة * ثلاث مشين بعد تسعين ءامنا

وقد خدمت منى شرارة قوتسى * والفت شيخا لا اطيع الشواحن
وانت ورب البيت تاتى محمدا * لعامك هذا قد اقام البراهنا
فحي رسول الله عنى فاننسى * على دينه احيا وان كنت فاطنا
قال ابوبكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم
فجاءنى صناديد قريش وقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبيء قال
فجئت الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه فخرج الي فقلت يا
محمد فُقدت من منازل قومك وتركك دين اباائك فقال يا ابا بكر انى رسول
الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك قال الشيخ الراهب
الذى لقيته باليمن قلت وكم من شيخ لقيت قال ليس ذلك اريد انما اريد
الشيخ الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بها قال الروح لامين الذى
كان ياتى الانبياء قبلى قلت مد يمينك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله قال ابو بكر فانصرفت وما بين لبنيتها اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحا باسلامى انتهى من تأليف ابن القطان فى الآيات والمعجزات ويتلوا عليهم
اياتك اى ايات القرآن والكتاب القرآن قال قتادة والحكمة السنة وروى
ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه فى الدين والفهم الذى هو سجية
ونور من الله تعالى * ت * ونقل عياض فى مداركه عن مالك ان الحكمة
نور يقذفه الله فى قلب العبد وقال ايضا يقع فى قلبى ان الحكمة الفقه فى
دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمة وفضله وقال ايضا الحكمة التفكير
فى امر الله والاتباع له والفقه فى الدين والعمل به انتهى وقد اشار * ع *
الى هذا عند قوله تعالى يسوت الحكمة من يشاء * ت * والظاهر ان المراد
بالحكمة هنا ما قاله قتادة فتأمله ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير والعزیز

الذى يغلب ويتم مراده والحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها * وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الآيت من استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها لا من سفه نفسه والملة الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واصطفى من الصفة معناه تخير لا صفى ومعنى هذا الاصطفاء انه نبأه واتخذة خليلا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قيل المعنى انه فى عمل الآخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجهه والضمير فى بها عائد على كلمته التى هي اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه اقرب مذكور ويعقوب قيل تطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بني والتقدير ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا معناه تخير صفة الاديان وقوله فلا تموتن لا وانتم مسلمون الجاز بليغ وذلك ان المقصود من امرهم بالاسلام الدوام عليه فاتى بلفظ موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظ وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدري متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت لا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر دأبا لازما * وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبهم الى اليهودية والنصرانية فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية للاسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب بها اوصى فتدعون عن علم ام لم تشهدوا بل انتم تفترون وام للاستفهام فى صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره وهذا منه وشهداء جمع شاهد اي حاضر ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت ومن بعدى اي من

بعد موتى ودخل اسماعيل فى الآباء لانه عم وقد اطلق النبى صلى الله عليه وسلم على العباس اسم الاب فقال هذا بقية اباى وقال ردوا علي ابنى الحديث وقال انا ابن الذبيحين على القول الشهير فى ان اسحاق هو الذبيح * ت * وفى تشهيره نظربل الراجح انه اسماعيل على ما هو معلوم فى موضعه وسيأتى ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى تلك امة قد خلت الآية يعنى بالامة الانبياء المذكورين والمخاطب فى هذه الآية اليهود والنصارى وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والحنيف فى الدين الذى مال عن الاديان المكروهة الى الحق ويحيى الحنيف فى الدين بمعنى المستقيم على جميع طاعات الله * قوله تعالى قولوا ءامنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الينا يعنى القران والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشحرونىة بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف وبس. يامين وولد له من سربنتين دان ونفشالا وجاد واشروالسبط فى بنى اسرائيل بمنزلة القبيلة فى ولد اسماعيل فسموا لاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اى لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما يفعلون فان آمنوا بمثل ما ءامنتم به ائى فان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا اى اعرضوا يعنى اليهود والنصارى فانها هم فى شقاق اى فى مشاقة ومخالفة لك هم فى شق وانت فى شق وقيل شاق معنى شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك فى قتل بنى قينقاع وبنى فريظة واجلاء النصير وهذا

الوعد وانجازة من اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه في عبادة وصبغة الله شريعته ودينه وسنته وفطرته قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل سمي الديس صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسنته على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغراء * وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله الآيت معنى الآية قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى اتحاجوننا في الله اي اتجادلوننا في دينه والقرب منه والحظوة لديه سبحانه والرب واحد وكل مجازى بعمله ثم وبخهم بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم وقوله تعالى ام تقولون عطف على الف لاستفهام المتقدمة وهذه القراءة بالتاء من فوق قراءة ابن عامر وحزة وغيرها قرأ نافع وغيره بالياء من اسفل وام على هذه القراءة مقطوعة ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا لانه قد علم ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلوا الى دينهم اذ تقررون بالحق * وقوله تعالى قل آنتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب لمفطور الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم ممن كنتم شهادة اي لا احد اظلم منه واياهم اراد تعالى بكتمان الشهادة قال مجاهد وغيره فالذى كنتموه هو ما في كتبهم من ان الانبياء على الحنيفية لا على ما ادعوه وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والاول اشبه بسياق الآية ومن متعلق بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتهم وما الله بغافل الآية فيه وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى والغافل الذى لا يفتن للامور اهمالاً منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التى لا معلم بها

* وقوله تعالى تلك امة الآية كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف ولترداد ذكرهم ايضا فى معنى غير الاول * قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الآية اختلف فى تعيين هؤلاء السفهاء فقال ابن عباس هم الاحبار وذلك انهم جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يربدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون وقالت فرقة هم كفار قريش ولاهم معناه صرفهم ويهدى من يشاء اشارة الى هداية الله تعالى هذه الامة الى قبلته ابراهيم وكذلك جعلناكم اى كما هديناكم الى قبلته ابراهيم وشريعته جعلناكم امة وسطا اى عدولا روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارات المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء وواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله تعالى قال اوسطهم وشهداء جمع شاهد والمراد بالناس هنا فى قول جماعة جميع الجنس وان امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للانبياء على امهم بالتبليغ وروي فى هذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل نبي ناكرة قومه * ت * وهذا الحديث خرجه البخارى وابن ماجه وابن المبارك فى رقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وكون الرسول شهيدا قيل معناه باعمالكم يوم القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اى يشهد لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الآية قال قتادة وغيره القبلة هنا بيت المقدس اى الا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على ما قاله الضحاک الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صليت الى بيت المقدس اتبعناك فامره الله بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يؤمنوا وقال ابن عباس القبلة فى الآيه

الكعبة وكنت عليها بمعنى انت عليها كقوله تعالى كنتم خیرامة بمعنی انتم وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة وروي في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر في ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المؤمنين حتى نزلت الآية ومعنى لنعلم اي يعلم رسول والمؤمنون به والقاعدة نفي استقبال العلم بعد ان لم يكن وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع على العقب اسوأ حالات الراجع * وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الآية الضمير في كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف في القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر في الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت الآن على باطل وان كانت هذه حقا فكنت في الاولى على ضلال فوجمت نفوس بعض المؤمنين واشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم قاله ابن عباس وغيره وسمى الصلاة ايمانا لما كانت صادرة عن الايمان ولان الايمان هو القطب الذي عليه تدور الاعمال فذكره اذ هو الاصل وليلا يندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذي هو ملاك الامر وايضا سميت ايمانا اذ هي من شعب الايمان * ت * وفي العتبينة من سماع ابن القاسم قال مالك قال الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال هي صلاة المؤمنين الى بيت المقدس قال ابن رشد وعلى هذا القول اكثر اهل التفسير وقد قيل ان المعنى في ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بفرض الصلاة عليكم الى بيت المقدس انتهى من البيان والرافة اعلى منازل الرحمة * وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية المقصد تقلب البصر وايضا

فالوجه يتقلب بتقلب البصر قال قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتقلب وجهه في الدعاء الى الله تعالى ان يحولني الى قبلة مكة ومعنى التقلب نحو
السماء ان السماء جهة قد تعود العالم منها الرحة كالطروا لانوار والوحي فهم
يجعلون رغبته حيث توالى النعم قال * ص * فلنولينك يدل على
تقدير حال اي قد نرى تقلب وجهك في السماء طالبا قبلة غير التي انت
مستقبلها فلنولينك انتهى وترضاها معناه تحبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجه ثلاثة رويت احدها لقول
اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا قاله مجاهد الثاني ليصيب قبلة ابراهيم عليه
السلام قاله ابن عباس الثالث ليستالف العرب لمحبتها في الكعبة قاله الربيع
والسدي * ع * واليزاب هو قبلة المدينة والشام وهنالك قبلة اهل
الاندلس بتاريب ولا خلاف ان الكعبة قبلة من كل افق * وقوله تعالى فول
وجهك الآية امر بالتحول ونسخ لقبلة الشام وشرط نصب على الطرف ومعناه
نحو وتلقا وحيث ما كنتم فولوا امر للامة ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الآية المعنى
ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها
هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه
في كتبهم وتضمنت الآية الوعيد * وقوله جلت قدرته ولئن اتيت الآية اعلم
الله تعالى نبيه عليه السلام حين قالت له اليهود راجع بيت المقدس ونومن
بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلة يعنى جلتهم لان البعض
قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يؤمنون بدينه اي فلا تصغ اليهم والآية
هنا العلامة * وقوله جلت عظمتهم وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر
اي فلا تركز الى شيء من ذلك وما بعضهم الآية قال ابن زيد وغيره المعنى

ليست اليهود متبعة قبلته النصارى ولا النصارى متبعة قبلته اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابيرهم وضلالهم وقبلته النصارى مشرق الشمس وقبلته اليهود بيت المقدس * وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذى يؤهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلمها متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال الفخر ودلت هذه الآية على ان توجه الوعيد على العلماء اشد من توجهه على غيرهم لان قوله من بعد ما جاءك من العلم يدل على ذلك انتهى وهو حسن * ص * ولئن اتيت لام لئن مؤذنة بقسم مقدر قبلها ولهذا كان الجواب له ما تبعوا ولو كان للشرط لدخلت الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا لانه اذا حذف جوابه وجب فعله لفظا انتهى * وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه الآية الضمير فى يعرفونه عائد على الحق فى القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوته * ت * بل وصفاته وان فريقا منهم ليكنتمون الحق الفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتفم ولاشارة بالحق الى ما تقدم على الخلائق فى ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر فى صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكون من المترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وامتنى فى الشيء اذا شك فيه ومنه المرء لان هذا يشك فى قول هذا * وقوله تعالى ولكل وجهة الوجهة من المواجهة كالقبلة والمعنى ولكل صاحب ملة وجهة هو مواليها نفسه قاله ابن عباس وغيره

وقرأ ابن عامر هو مولاها اي الله مولياها اياهم ثم امر تعالى عباده باستباق الخيرات
والبدار الى سبيل النجاة وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من فتح له باب من الخير فلينتهز فانه لا يدري متى يغلق عنه
انتهى ثم وعظهم سبحانه بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيدا وتحذيرا * ص *
ايضا ظرف مضمن معنى الشرط في موضع خبر كان انتهى * وقوله يات
بكم الله جميعا يعنى به البعث من القبور * وقوله تعالى ومن حيث خرجت
قول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
معناه حيث كنت وانى توجهت من مشارق الارض ومغاربها وكررت هذه الآية
تأكيدا من الله سبحانه لان موقع التحويل كان صعبا في نفوسهم جدا فأكد
الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه * وقوله تعالى
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الآية المعنى عرفتم وجه الصواب في
قبلتكم والحجة لذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة والمراد بالناس العموم في
اليهود والعرب وغيرهم الا الذين ظلموا منهم اي من المذكورين ممن تكلم
في النازلة في قولهم ما ولاهم عن قبلتهم * وقوله تعالى فلا تخشعوا واخشوني
الآية فيه تحقير لشأنهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره سبحانه قال الفخر وهذه الآية
تدل على ان الواجب على المرء في كل افعاله وتركه ان ينصب بين عينيه
خشية ربه تعالى وان يعلم انه ليس في ايدي الخلق شيء البتة وان لا يكون
مشتغل القلب بهم ولا ملتفت الخاطر اليهم انتهى قال * ص * الا الذين
استثناء متصل قاله ابن عباس وغيره اي لئلا تكون حجة من اليهود المعاندين
القائلين ما تركت قبلتنا وتوجه للكعبة لاحبا لبلده وقيل منقطع اي لكن الذين

ظلموا منهم فانهم يتعلقون عليكم بالشبه وزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان
الا في الآية بمعنى الواو قال ومنه

وكل اخ مفارقة اخـــــوه * لعمر ابيك لا الفرقدان

اي والذين ظلموا والفرقدان ورد بان لا بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل انتهى *
وقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره امر باستقبال القبلة وهو شرط في الفرض لا في القتال
حالة الالتحام وفي النوافل لا في السفر الطويل للراكب والقدرة على اليقين في
مصادفتها تمنع من الاجتهاد وعلى الاجتهاد تمنع من التقليد * وقوله سبحانه
ولا تم نعمتي عليكم عطف على قوله ليلا وقيل هو في موضع رفع بالابتداء والخبر
مضمر تقديره ولا تم نعمتي عليكم عرفتم قبلي ونحوه ولعلمكم تهتدون ترج في
حق البشر والكاف في قوله كما رد على قوله ولا تم اي اتاما كما وهذا احسن
الاقوال اي لا تم نعمتي عليكم في بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم اجابة لدعوته في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من
كما رد على تهتدون اي اهتداء كما قال الفخر وهنا تأويل ثالث وهو ان الكاف
متعلقة بما بعدها اي كما ارسلنا فيكم رسولا واوليتكم هذه النعم فاذكروني اذكركم
واشكروا الى الآية انتهى * ت * وهذا التأويل نقله الداودي عن الفراء
انتهى وهذه الآية خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وَايَاتُنَا يَعْنِي الْقُرْآنَ
وَيُزَكِّيكُمْ اَي يَطْهَرُكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَيُنْمِيكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْكِتَابِ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ مَا يَنْتَلِقِي
عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُنَّةٍ وَفَقْهٍ وَدِينٍ وَمَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ قَصَصَ مِنْ
سَلَفٍ وَقَصَصَ مَا يَأْتِي مِنَ الْغُيُوبِ * قوله تعالى فاذكروني اذكركم الآية
قال سعيد بن جبير معنى الآية اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب * ت *
وفي تفسير احمد بن نصر الداودي وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم

بمغفرتي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن انتهى وروي ابن المبارك في رقائقه بسنده عن انس بن مالك قال ما من بقعة يذكر الله عليها ب صلاة او بذكر لا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي لا تزخرفت له الارض قال ابن المبارك واخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر في الغافلين كالقاتل خلف الفارين انتهى وقال الربيع والسدي المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم الحديث انتهى واشكروني اي نعمي وايادي ولا تكفرون اي نعمي وايادي * وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا وقد ادى شكرها فان قالها الثانية جدد الله لها ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح انتهى من السلاح * وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونته وانجاده * وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات الآية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد من المؤمنين مات فلان مات فلان فكرة الله سبحانه ان تحط منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الآية وايضا فان المؤمنين صعب عليهم فراق اخوانهم وقرباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونوا لهم ويظهر ذلك من حديث

ام حارثة في السير * ت * وخرجه البخارى في صحيحه عن انس
قال اصيب حارثة يوم بدر اصابه غرب سهم وهو غلام فجات امه الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك
في الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك او هبلت
او جنة واحدة هي انها جنان كثيرة وانه في الفردوس الاعلى الحديث انتهى
* ع * والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق وذلك ان الله تعالى
فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم * ت * وللشهيد
احوال شريفة منها ما خرجه الترمذى وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة ويرى مقعده من
الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفرع الاكبر ويوضع على راسه تاج
الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من
الحور العين ويشفع في سبعين من اقربائه قال الترمذى هذا حديث حسن
غريب زاد ابن ماجه ويحلى حلة الايمان قال القرطبي في تذكرته هكذا
وقع في نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهي في متن الحديث سبع
وعلى ما في ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثانيا وكذا ذكره ابوبكر احمد بن
سليمان النجاد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ثمان
خصال انتهى وخرج الترمذى والنسائى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احذكم الم القرصة انتهى * ع *
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر
تعلق من ثمر الجنة وروي انهم في قبة خضراء وروي انهم في قناديل من
ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها احوال لطوائف او للجميع في اوقات

متغيرة * ت * وكذا ذكر شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح ان
المنعمين على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في اعمالهم قال
صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين الاخبار حتى لا تتدافع انتهى
قال * ع * وجهور العلماء على انهم في الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله
عليه وسلم لام حارثة انه في الفردوس الاعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة
ويلقون من شجرها وفي مختصر الطبري قال ونهى عز وجل ان يقال لمن يقتل
في سبيل الله اموات واعلم سبحانه انهم احياء ولكن لا شعور لنا بذلك اذ لا
نشاهد باطن امرهم وخصوصا من بين سائر المؤمنين بانهم في البرزخ يرزقون
من مطاعم الجنة ما يرزق المومنون من اهل الجنة على انه قد ورد في
الحديث انما نسمة المومن طائر يعلق في شجر الجنة ومعنى يعلق ياكل
ومنه قولهم ما ذقت علاقا اي ما كلا فقد عم المومنين بانهم يرزقون في البرزخ
من رزق الجنة ولكن لا يمتنع ان يخص الشهداء من ذلك بقدر لا
يناله غيرهم والله اعلم انتهى وروى النسائي ان رجلا قال يا رسول الله ما
بال المومنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على
راسه فتنة انتهى * ت * وحديث انما نسمة المومن طائر خرج ماله
رجه الله قال الداودي وحديث مالك هذا اصح ما جاء في الارواح والذي روي
انها تجعل في حواصل طير لا يصح في النقل انتهى قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد
والاشبه قول من قال كطير او كصور طير لموافقته لحديث الموطأ هذا واسند ابو عمر
هذه الاحاديث ولم يذكر مطعنا في اسنادها انتهى ثم اعلمهم تعالى ان الدنيا دار بلاء
ومحنة ثم وعد على الصبر فقال ولنبلونكم اي نمتحنكم بشيء من الخوف اي
من الاعداء في الحروب ونقص من الاموال اي بالجوائح والمصائب والانفس

بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وشيء من هذا واكتفى
بالاول ايجازاً ثم وصف سبحانه الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون فجعل سبحانه هذه الكلمات ملجأ لذوى
المصائب لما جعت من المعانى المباركة من توحيد الله سبحانه والاقرار له بالعبودية
والبعث من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له قال الفخر قال ابو بكر
الوراق انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك واعلم
ان قوله انا لله يدل على كونه راضياً بكل ما نزل به ووردت اخبار كثيرة في هذا
الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة
واحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه انتهى وروي ان مصباح رسول الله صلى
الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون ف قيل امصيبة هي
يا رسول الله قال نعم كل ماء اذى المومن فهو مصيبة قال النووى وروينا في كتاب
ابن السني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسترجع احدكم
في كل شيء حتى في شمع نعله فانها من المصائب انتهى من الحلية * وقوله
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم الآية نعم من الله تعالى على الصابرين
المسترجعين وصلوات الله على عبده عفو ورحته وبركته وتشريفه اياه في الدنيا
والآخرة وكرر الرحمة وهي من اعظم اجزاء الصلاة لما اختلف اللفظ تأكيداً منه
تعالى وشهد لهم بالاهتداء * ت * وفي صحيح البخارى وقال عمر نعم
العدنان ونعم العلوة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى
المهتدون قال النووى في الحلية وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن
عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن يعزى اخاه
بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة وروينا في كتاب الترمذى

والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره اسناده ضعيف وروينا في كتاب الترمذى ايضا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة قال الترمذى ليس اسناده بالقوي انتهى * قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المروهي الحجارة الصغار التى فيها ليس ومن شعائر الله معناه معالمه ومواضع عبادته وقال مجاهد ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضل ماخوذ من شعرت اذا تحسست وج معناه قصد وتكرر واعتبر زار وتكرر ماخوذ من عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح لانه في شق ومنه وان جناحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف فتقوله ان الصفا والمروة الآيتـه خبر يقتضى الامر بما عهد من الطواف بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه اباحة الطواف لمن شاء لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصود رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع في نفوسهم غير صواب وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان ذلك في الانصار ومذهب مالك والشافعى ان السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه الا العودة قال ابن العربى في احكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا صححه الدارقطنى ويعضده المعنى فانه شعار اي معلم لا يخلو عنه الحج والعمرة فكان ركنا بالطواف انتهى ومن تطوع اي زاد برا بعد الواجب في جميع الاعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج او عمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر اي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والاعمال لا يضيع معه لعامل عمل * وقوله سبحانه ان الذين يكتُمون

ما انزلنا الآية المراد بالذين ابحار اليهود ورجال النصارى الذين كنتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الآية بعد كل من كنتم علما من دين الله يحتاج الى بشه وذلك مفسر في قول النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجحيم يوم القيامة بلجام من النار قال ابن العربي والآية تحقيق وهو ان العالم اذا قصد الكتمان عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف ان معه غيره وقد كان ابو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة وكان الزبير اقلهم حديثا ثم قال ابن العربي فاما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية واما ان لم يسأل فلا يلزم التبليغ الا في القراء وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة التبليغ بانه قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاذاها كما سمعها انتهى من احكام القراء * والبينات والهدى امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وفي الكتاب يراد به التوراة والانجيل ويدخل القراءان في عموم الآية واختلف في اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمؤمنون وهذا ظاهر واضح وقيل الحشرات والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقيلين الجن والانس وهذان القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يشترطان لا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين * واصلحوا اي في اعمالهم واقوالهم * وبينوا اي امر محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية هذه الآية محكمة في الذين وافوا على كفرهم واختلف في معنى قوله والناس اجمعين والكفار لا يلغنون انفسهم فقال قتادة والربيع المراد بالناس المؤمنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك في الآخرة * وقوله خالد بن في اللعنة وقيل في النار وعاد الضمير عليها وان لم يجز لها ذكر لثبوتها في المعنى * ولاهم ينظرون اي لا يؤخرون عن العذاب

ويحتمل ان يكون من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولاول اظهر لان النظر بالعين انما يعدى بالى الا شاذا فى الشعر * وقوله تعالى والهكم اله واحد الآيتـة اعلام بالوحدانية قال عطاء لما نزلت هذه الآيتـة بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما ايتـة وعلامته ونحوه عن ابن المسيب فنزل عند ذلك قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآيتـة اى فى اختراعها وانشائها والنهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس يقضى بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم انما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه فى الأيمان ونحوها واما على ظاهر اللغة واخذة من السعة فهو من الاسفار وقال الزجاج فى كتاب الانواء اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار قال * ع * وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم * والفلك السفن ومفردة وجعه بلفظ واحد * وما انزل الله من السماء من ماء يعنى به الامطار وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله * وتصريف الرياح ارسالها عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت فى القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب الا فى يونس فى قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها فى الكلام وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رباحا ولا تجعلها ربحا وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتزمة لاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة تحيى من هاهنا وهاهنا متقطعة فلذلك يقال هي رباح وهو معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهي لفظة من ذوات الواو يقال ربح وارواح

ولا يقال ارياح وانما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذه اللفظة عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح في شعره ولحن في ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا خلاف ذلك فقال صدقت ورجع * والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه ينسحب وتسخيره بعنه من مكان الى اخر فهذه آيات * وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية الند النظر والمقارم قال مجاهد وقتادة المراد بالانداد الاوثان كحب الله اي كحبكم لله او كحبهم حسبما قدر كل وجه منها فرقة ومعنى كحبهم اي يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق * وقوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اي ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لا قروا ان القوة لله او علمت ان القوة لله جميعا فجواب لو مضمر على التقديرين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والهراد اتمه وقرأ حزة وغيره بالياء اي ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله * والذين اتبعوا بفتح التاء والباء هم العبداء لغير الله الصالون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضل هؤلاء بل كفروا بارادتهم * والسبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين وقال الذين اتبعوا اي الاتباع * والكرة العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم الآية يحتمل ان يكون من رؤية البصر ويحتمل رؤية القلب اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التي تركوها والحسرة اعلى درجات الندامة والهَم بها فات وهي مشتقة من

الشيء الحسير الذى انتقطع وزهبت قوته وقيل من حسر اذا كشف * وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا الآية الخطاب عام وما بمعنى الذى وحلالا حال من الضهير العائد على ما وطيبا نعت ويصح ان يكون حالا من الضهير فى كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعى المستلذ ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر قال الفخر الحلال هو المباح الذى انحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد انتهى وخطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره القارء * ع * وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصى فهي خطوات الشيطان * وعدو يقع للفرد والمثنى والجمع * انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية انما هاهنا للحصر وامر الشيطان اما بقوله فى زمن الكهنة واما بوسوسته * والسوء مصدر من ساء يسوء وهي المعاصى وما تسوء عاقبته والفحشاء قيل الزنا وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذى يحسن ويتقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء * وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه سرا * واذا قيل لهم يعنى كفار العرب وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والالف فى قوله سبحانه او لو كان للاستفهام لان غاية الفساد فى الالتزام ان يقولوا نسمع اباؤنا ولو كانوا لا يعتقدون فقررنا على التزامهم هذا اذ هذه حال اباؤهم وقوة الفاظ هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله فى العقائد * ومثل الذين كفروا الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم بالراعى الذى ينطق بالغنى او الابل فلا تسمع الا دعاه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر

ابن عباس وعكرمة والسدى وسيبويه فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه ودل
المذكور على المحذوف وهذه نهاية الايجاز * والنعيق زجر الغنم والصياح
بها * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الآية
الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير بتبعيض من الى ان الحرام رزق
وحض سبحانه على الشكر والمعنى في كل حالة وفي مصابيح البغوى عن ابي
داود والنسائى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر
كالصائم الصابر انتهى قال القشيري قال اهل العلم بالاصول نعم الله
تعالى على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمته النفع ما اولاهم ونعمته
الدفع ما زوى عنهم وليس كل انعامه سبحانه انتظام اسباب الدنيا والتكسب
منها بل الطائف الله تعالى فيما زوى عنهم من الدنيا اكشروا ان قريب العبد من
الرب تعالى على حسب تباعده من الدنيا انتهى من التفسير وقال ابو عمر بن
عبد البر في كتابه المسمى بهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انعم الله على عبد بنعمة فعلم انها من عند الله لا كتب الله له شكرها وما
علم الله من عبد ندامة على ذنب لا يغفر له قبل ان يستغفره وان الرجل ليلبس
الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال ابو عمر مكتوب في التوراة
اشكروا لمن انعم عليكم وانعم على من شكرت فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا مقام
لها اذا كفرت انتهى وان من قوله ان كنتم اياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط
التشبيث وهز النفوس كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا وانما هاهنا حاصرة ولفظ
الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت لم يدخل قط في هذا العموم وفي مستند
البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم الخمر وثمانها وحرم
الميتة وثمانها وحرم الخنزير وثمانه انتهى من الكوكب الدرري للامام ابي

العباس احمد بن سعد التجيبي * والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم
فغير محرم باجاء * ت * بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره
والشهور اظهر لقول عائشة رضي الله عنها لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما في
العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة تعلوها الصفرة انتهى * وما اهل به لغير
الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان * واهل به معناه
صحيح به ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة
وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم فمن
اضطر غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فساد وتعد بان يجد عن هذه
الحرمات مندوحة وياكلها واصحاب هذا القول يجيزون الاكل منها في كل سفر مع
الضرورة وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في
الباغى والعاذى قطاع السبل والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة
على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي الرخصة قال مالك رحمه الله ياكل
المضطر شعبه وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء انه يتزود اذا خشى الضرورة
فيما بين يديه من مفازة وقفر قال ابن العربي في احكامه وقد قال العلماء ان من
اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل دخل النار الا ان يغفر الله
له انتهى والمعنى انه لم ياكل حتى مات جوعا فهو عاص وكانه قتل نفسه
وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الآية الى قوله ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربي واذا دامت المحخصة فلا خلاف في
جواز شعب المضطر وان كانت نادرة ففي شعبه قولان احدهما لمالك ياكل
حتى يشبع ويتصلع وقال غيره ياكل بمقدار سد الرمي وبه قال ابن حبيب وابن
الماجشون انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب

الآية قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود الذين كنتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل * ع * وهذه الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كنتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها وفي ذكر البطن تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا اخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له وعلى هُجنتهم بطونهم قال الربيع وغيره سمي ماكولهم نارا لانه يشول بهم الى النار وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة * ت * وينبغي لاهل العلم التنزه عن اخذ شيء من المتعلمين على تعليم العلم بل يلتمسون الاجر من الله عز وجل وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسألكم عليه اجرا الآية وفي سنن ابى داود عن عبادة بن الصامت قال علمت ناساً من اهل الصفة الكتاب والقروان واهدى الي رجل منهم قوساً فقلت ليست بمال وارمى عليها في سبيل الله لأتيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سألتهم فأتيتهم فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوساً ممن كنت اعلمه الكتاب والقروان وليست بمال وارمى عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقاً من نار فاقبلها وفي رواية فقلت ما ترى فيها يا رسول الله قال جمرة بيس كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى * وقوله تعالى ولا يكلمهم الله قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القروان ما طاهرة ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبري وغيره المعنى لا يكلمهم بما يحبونه * ولا يركبهم اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياً * وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب

من صبرهم على النار لما عملوا عمل من وطن نفسه عليها وتقديره ما اجرأهم على النار اذ يعملون عملاً يؤدي اليها وذهب معمر بن المثنى الى ان ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار والاول اظهر * وقوله سبحانه ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية المعنى ذلك الامر بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به ولاشارة الى وجوب النار لهم * والكتاب القراءان وبالحق اي بالاخبار الحق اي الصادقة * والذين اختلفوا في الكتاب هم اليهود والنصارى في قول السدى وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفتري الى غير ذلك * وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة * وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الآية للمؤمنين فالمعنى ليس البر الصلاة وحدها وقال قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا في تحويل القبلة وفصلت كل فرقة توليها فليلهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من امن بالله * وقوله تعالى واتي المال على حبه الآية هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة قال الفخروروت فاطمة بنت قيس ان في المال حقاً سوى الزكاة وتلا واتي المال على حبه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاويا الى جنبه انتهى قال ابن العربي في احكامه واذا وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف المال اليها باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة المسلمين فداء اسراهم وان استغفر ذلك اموالهم وكذلك اذا منع الوالى الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء الصحيح وجوب ذلك عليهم انتهى * ومعنى اتي اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله من آمن

بالله اي من تصدق محبة في الله وطاعته * ص * والظاهر ان الضمير في حبه عائد على المال لان قاعدتهم ان الضمير لا يعود على غير الاقرب لا بدليل انتهى قال * ع * والمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح صحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشمع في هذا الحديث هو الغريزي الذي في قوله تعالى واحضرت لانفس الشمع وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشمع الذي هو البخل * وفي الرقاب اي العتق وفك الاسرى * والصابرين نصب على المدح او على اضرار فعل وهذا مهيع في تكرار النعوت والبأساء الفقر والفاقة * والضراء المرض ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وفي صحيح مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجباً لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد لا للمؤمن اذا اصابته سراء فشكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له انتهى * وحين الباس اي وقت شدة القتال هذا قول المفسرين في الالفاظ الثلاثة تقول العرب ببئس الرجل اذا افتقر وبؤس اذا شجع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقني المال وصدقني الرمح ووصفهم تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصص الآيت كتب معناه فرض واثبت وصورة فرض القصص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل للاستسلام لامر الله وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي على غيره فان

وقع الرضا بدون القصاص من دية او عفو فذلك مباح والآية معاملة ان
القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص مأخوذ من قص الاثر فكان القاتل
سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها روي عن ابن عباس ان هذه الآية
محكمة وفيها اجمال فسرته آية المائدة وان قوله سبحانه الحر بالحر يعم الرجال
والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل * وقوله تعالى
فمن عفي له من اخيه شيء الآية فيه تأويلات احدها ان من يراد بها القاتل
وعفي تتضمن عافيا وهو ولي الدم والاخ هو المقتول وشيء هو الدم الذي يعفى
عنه ويرجع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجاعة من العلماء والعفو على هذا
القول على بابه والتأويل الثانى وهو قول مالك ان من يراد بها الولي وعفي بمعنى
يُسّر لا على بابها فى العفو والاخ يراد به القاتل وشيء هي الدية والاخوة على
هذا اخوة الاسلام والتأويل الثالث ان هذه الالفاظ فى معنى الذين نزلت فيهم
الآية وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلح
بينهم ويقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استواء الاحرار بالاحرار والنساء
بالنساء والعبيد بالعبيد فمعنى الآية فمن فضل له من احدى الطائفتين على
الاخرى شيء من تلك الديات وتكون عفي بمعنى فضل * وقوله تعالى
فاتباع تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى
فامسك بمعروف واما المذدوب اليه فيأتى منصوبا كقوله تعالى فضرِب الرقاب
وهذه الآية حص من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء
من المؤدى * وقوله سبحانه ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة
من اخذ الدية وكانت بنو اسرائيل لا دية عندهم انما هو القصاص فقط والاعتداء
المتوعد عليه فى هذه الآية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط

الدم واختلف في العذاب الاليم الذى يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هو كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وعذابه فى الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة ولا عفو فيه وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة المعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم به ازجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلم يبق فى ذلك حياة وخص أولوا الاباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم * وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لأنواع التقوى فى غير ذلك فان الله سبحانه يشيب على الطاعة بالطاعة * وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآيـة كتب معناه فرض واثبت وفى قوله تعالى اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته * والخير فى هذه الآيـة المال واختلف فى هذه الآيـة هل هي محكمة او منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الآيـة عامة وتقرر الحكم بها برهته ونسخ منها كل من يرث بآيـة الفرائض وقال بعض العلماء ان الناسخ لهذه الآيـة هي السنة المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث وبالمعروف معناه بالتصدد الذى تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تنزيل للوصية وحقا مصدر مؤكـد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها * وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآيـة الضمير فى بدله عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك فى سماعه ويحتمل

ان يعود الذى فى سمعه على امر الله تعالى فى هذه الآية والاول اسبق
للناظر وسميع عليهم صفتان لا يخفى معهما شيء من جنف الموصين
وتبديل المتعدين والجنف الميل ومعنى الآية على ما قال مجاهد من خشي ان
يحيف الموصى ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية فذلك هو الجنف فى
اثم وان لم يتعمد فهو الجنف دون اثم فالعنى من وعظه فى ذلك ورده عنه
واصلح ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة فى ذاتهم فلا اثم عليه ان الله
غفور رحيم بالموصى اذا عملت فيه الموعظة ورجع عما اراد من الاذاية وقال
ابن عباس وغيره معنى الآية من خاف اي علم ورأى بعد موت الموصى ان
الموصى حاف وحنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما بين الورثة فلا اثم
عليه وان كان فى فعله تبديل ما لانه تبديل لمصاحته والتبديل الذى فيه لا اثم
انما هو تبديل الهوى * قوله جلت قدرته يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام الآية كتب معناه فرض والصيام فى اللغة الامساك ومنه قوله سبحانه
انى نذرت للرحمن صوما وفى الشرع امساك عن الطعام والشراب مقتزنة به
قرائن من مراعاة اوقات وغير ذلك * وقوله تعالى كما كتب على الذين
من قبلكم اختلاف فى موضع التشبيه قالت فرقة التشبيه كتب عليكم
كصيام قد تقدم فى شرع غيركم فالذين عام فى النصارى وغيرهم ولعلكم ترج فى
حقهم * وتشتقون قيل على العموم لان الصيام كما قال صلى الله عليه وسلم
جُنَّةٌ ووجاء بسبب تقوى لانه يمت الشهوات * واياما معدودات قيل
رمضان وقيل الثلاثة الايام من كل شهر ويوم عاشوراء التى نسخت بشهر رمضان
* ص * واياما منصوب بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي صوموا اياما وقيل
اياما نصب على الظرف انتهى * وقوله سبحانه فمن كان منكم مريضا او

على سفر التقدير فافطر فعدة" وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلماء في حد المرض الذى يقع به الفطر فقال جمهور العلماء اذا كان به مرض يؤذيه ويؤله او يخاف تعاديه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذى يشق على المرء ويبلغ به واختلف في الافضل من الفطر او الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسن لان الذمة تبرأ في رخصة الصلاة وهي مشغولة في امر الصيام والصواب المبادرة بالاعمال والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجاء ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضرورى واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز ارجح واما سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة ثمانية واربعون ميلا * وقوله تعالى فعدة اي فالحكم او الواجب عدة وفي وجوب متابعتها قولان واخر لا ينصرف للعدل * وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية آية قرأ باقى السبعة غير نافع وابن عامر فدية بالتنوين طعام مسكينين بالافراد وهي قراءة حسنة لانها بينت الحكم فى اليوم واختلفوا فى المراد بالآية فقال ابن عمر وجاعة كان فرض الصيام هكذا على الناس من اراد ان يصوم صام ومن اراد ان يفطر اطعم مسكينا وافطر ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة الآية فى الشيوخ الذين يطيقونه بتكلف شديد والآية عند مالك انما هي فيمن يدرکه رمضان ثان وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق فى تلك المدة الصوم فتركه والفدية عند مالك وجاعة من العلماء مد لكل مسكين * وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له آية قال ابن عباس وغيره المراد من اطعم مسكينين فصاعدا

وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الاطعام على المد وخيراً الاول قد نزل منزلة مال او نفع وخير الثانى والثالث صفة تفصيل * وقوله تعالى ان كنتم تعلمون يقتضى الحس على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا * ت * وجاء في فضل الصوم احاديث صحيحة مشهورة وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوماً تطوعاً لم يطلع عليه احد لم يرض الله له بثواب دون الجنة قال وبهذا الاسناد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله انتهى قال ابن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس قال ابو العالية الصائم في عبادة ما لم يغترب قال الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد البلالى الشافعى في اختصاره للاحياء وذكر السبكى في شرحه ان الغيبة تمنع ثواب الصوم اجاءاً قال البلالى وفيه نظر لمشقة لا حراز نعم ان اكثر توجهت المثالة انتهى وهذا الشيخ البلالى لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم قال ابو عمر فى التمهيد وذلك لان الصوم جنة يستجن بها العبد من النار وتفتح لهم ابواب الجنة لان اعمالهم تزكو فيه وتقبل منهم ثم اسند ابو عمر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت امتى خمس خصال فى رمضان لم تعطهن امة قبلها خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادى الصائمون ان يلقوا عنهم المسونة والاذى ثم يصيرون اليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه فى غيره ويغفر لهم اخر ليلة قيل يا رسول الله اهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره اذا انقضى قال ابو عمر

وفي سنده ابرو المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل واسند ابرو
عمر عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره انتهى
* ت * وخرجه الترمذي عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف
تسبيحة في غيره انتهى * قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
الشهر مشتق من الاشتهار قال * ص * الشهر مصدر شهر يشهر اذا ظهر وهو
اسم للمدة الزمانية وقال الزجاج الشهر الهلال وقيل سمي الشهر باسم الهلال
انتهى ورمضان علقه هذا الاسم من مدة كان فيها في الرض وشدة الحر وكان
اسمه قبل ذلك نائرا (١) واختلف في انزال القرآن فيه فقال الضحائي
انزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس فيما ياتر انزل الى السماء الدنيا جلّة واحدة ليلة
اربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل ينزله رسلا رسلا في الاوامر والنواهي
والاسباب وروى واثلثة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت
صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان والتوراة لست مضين منه والانجيل
لثلاث عشرة والقروان لاربعة وعشرين * وهدي في موضع نصب على الحال
من القروان فالمراد ان القروان بجملته من مُحْكَم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدي
ثم شُرّف بالذكر والتخصيص البيّنات منه يعنى الحلال والحرام والمواظ والمحكم
كله فالالف واللام في الهدي للعهد والمراد الاول قال * ص * هدي

(١) قوله « وكان اسمه قبل ذلك نائرا » هكذا في جميع النسخ حتى في النسخة
التي بخط المؤلف ولم ارم من فسر هذه الكلمة بهذا المعنى فيما اطلعت عليه من
المعجمات اللغوية ولعل الصواب « وكان اسمه قبل ذلك نائقا » كما في سائر
التفاسير وكتب اللغة والله اعلم اهـ مصححه

منصوب على الحال اي هاديا فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل وذو الحال القراءان
والعامل انزل انتهى * والفرقان المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى
حضر والتقدير من حضر المصرف في الشهر فالشهر نصب على الظرف * وقوله
سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال مجاهد والضحاك اليسر
الفطري في السفر والعسر الصوم في السفر * ع * والوجه عموم اللفظ في جميع
امور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر *
قلت قال ابن الفاكهاني في شرح الاربعين للنووي فان قلت قوله تعالى ان مع
العسر يسرا الآية يدل على وقوع العسر قطعاً وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر يدل على نفي العسر قطعاً لان ما لا يريد الله تعالى لا يكون باجماع
اهل السنة قلت العسر المنفي غير المثبت فالمنفي انما هو العسر في الاحكام لا غير
فلا تعارض انتهى وترجم البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم
يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ثم اسند هو ومسلم عن
انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
واسند البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا بى موسى
ومعاذ يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا قال البخاري حدثنا ابو اليمان
قال حدثنا حماد بن زيد عن الازرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر
بالاهواز قد نصب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمي على فرس فصلى وخلي
فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى
صلاته وفيما رجل له رأي فاقبل يقول انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل
فرس فاقبل فقال ما عفتني احد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وقال ان منزلي منزاح فلو صليت وتركته لم مات اهلى الى الليل وذكر انه

قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره انتهى * وقوله تعالى وتكملوا العدة معناه وليُكمل من افطر في سفره او في مرضه عدة الايام التي افطر فيها * وقوله تعالى وتكبروا الله حص على التكبير في ماخر رمضان قال مالك وهو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام الى المصلّى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله اكبر الله اكبر ثلاثا ومن العلماء من يكبر ويهمل ويسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير وهذا قيل المراد لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم وتعيم الهدى جيد * ولعلكم تشكرون ترج في حق البشري على نعم الله في الهدى * ص * ولعلكم تشكرون علّة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللطف المسلك انتهى * وقوله جل وعلا واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان الآية قال الحسن بن ابى الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقرب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية * واجيبُ قال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابة في الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر في الآخرة وهذا بحسب حديث الموطا وهو ما من داع يدعو الا كان بين احدى ثلاث الحديث * ت * وليس هذا باختلاف قول قال ابن رشد في البيان الدعاء عبادة من العبادات يوجر فيها لاجر العظيم اجيب دعوة فيما دعا به او لم تجب بها انا انقل ان شاء الله من صحيح الاحاديث في هذا المحل ما يثلج له الصدر ومن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد رواه الحاكم ابو عبد

الله في المستدرک على الصحيحين وابن حبان في صحيحه واللفظ له وقال
الحاکم صحيح الاسناد وعن ابی هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض رواه
الحاکم في المستدرک وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقف بين
يديه فيقول عبدی انی امرتك ان تدعونی ووعدتك ان استجب لك فهل
كنت تدعونی فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعني بدعوة لا استجبت
لك اليس دعوتني يوم كذا وكذا نعم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك
فيقول نعم يا رب فيقول فاني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا نعم
نزل بك ان افرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يا رب فيقول انی ادخرت لك
بها في الجنة كذا وكذا كذا وكذا ودعوتني في حاجة اقضيها لك في يوم كذا
وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فاني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني في
يوم كذا وكذا في حاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انی
ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع
الله دعوة دعا بها عبده المؤمن لا بين له اما ان يكون عجل له في الدنيا واما
ان يكون ادخر له في الآخرة قال فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليتني لم يكن
عجل له شيء من دعائه رواه الحاکم في المستدرک وعن ثوبان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء رواه الحاکم في
المستدرک وابن حبان في صحيحه واللفظ للحاکم وقال صحيح الاسناد * قلت
وقد اخرج ابن المبارك في رقائقه هذا الحديث ايضا قال حدثنا سفيان عن
عبد الله بن قيس عن عبد الله بن ابی الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
انتهى وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل من
السماء فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم في مستدركه وقال
صحيح الاسناد وقوله فيعتلجان اي يتصارعان وعن سلمان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجاب له عند الكرب والشدائد
فليكثر الدعاء في الرخاء رواه الحاكم ايضا وقال صحيح الاسناد وعن ابن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح له في الدعاء منكم فتحت
له ابواب الجنة قال الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء فان قلت فما فائدة
الدعاء والقضاء لا يرد فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء
واستجلاب للرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم ثم في الدعاء من الفائدة انه
يستدعى حضور القلب مع الله عز وجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد
القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فانظره فاني اثرت الاختصار وانظر
سلاح المؤمن الذي منه نقلت هذه الاحاديث ومن جامع الترمذي عن ابي
خزيمة واسمه رفاعه عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ارايت رقي نسترقبها ودواء نتداوى به وثقاة نستقيها هل ترد من قدر
الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر
جواب عمر لابن عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله الحديث هو من هذا
المعنى انتهى والله الموفق بفضلهم * وقوله تعالى فليستجيبوا لي قال ابو رجاء
الحمراساني معناه فليدعوني قال * ع * المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا
هو باب استغنى اي طلب الشيء. كلا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره

المعنى فليجيئوا لى فيما دعوتهم اليه من لايمان اى بالطاعة والعمل فائدة
قال صاحب غاية المغنى فى اسم الله الاعظم وهو امام عارف بعلم الحديث
وكتابه هذا يشهد له قال ذكر الدينورى فى كتاب المجالسة عن ليث بن سليم
ان رجلا وقف على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد
فقال رجل اعمى عندى فذهب به الى منزله فعشاه ثم حدثه ساعة ثم وضع
له وضوءا فقام الرجل فى جوف الليل فتوضأ وصلى ما قضى له ثم جعل يدعو
فانتبه لاعمى وجعل يسمع لدعائه فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد
البالية اسألك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها وبطاعة الاجساد المنتهية
فى عروقها وبطاعة القبور المتشقة عن اهلها وبدعوتك الصادقة فيهم واخذك
الحق منهم وتبريز الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضاءك ويرجون
رحمتك ويخافون عذابك اسألك ان تجعل النور فى بصرى والاخلاص فى
عملى وشكرى فى قلبى وذكرى فى لسانى فى الليل والنهار ما ابقيتنى قال فحفظ
لاعمى هذا الدعاء ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين ودعا به فاصبح قد رد الله عليه بصره
انتهى من غاية المغنى فى اسم الله الاعظم واطلاق الفناء على الارواح فيه تجوز
والعقيدة ان الارواح باقية لا تغنى وانما عبر عن مفارقتها لاجسادها بالفناء هذا
هو مراده وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فادعوا الله ايها الناس حين
تدعون وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن طهر قلب
غافل انتهى قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن واذا اراد الله ان يعطي عبدا
شيأ وجهه للاضطرار اليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطى واذا اراد الله ان يمنع
عبدا امرا منعه للاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه فلا يخاف عليك ان تضطر

وتطلب فلا تعطى بل يُخاف عليك ان تحرم الاضطرار فتحرم الطلب او تطلب
بغير اضطرار فتحرم العطاء انتهى * وقوله سبحانه وليؤمنوا بى قال ابو رجا
فى انى اجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملة * وقوله
تعالى احل لكم ليلة الصيام الآية لفظة احل تقتضى انه كان محرما قبل ذلك
وليلة نصب على الظرف * والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم
يكنى قاله ابن عباس وغيره والرفث فى غير هذا ما فحش من القول وقال ابو
اسحاق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المرأة من قبله ولمس * ع * او كلام
فى هذا المعنى وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره ان جماعة
من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلاة العشاء
على الخلاف فى ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء الى امرأته فارادها
فقال لى قد نمت فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد كانت
نامت وكان الوطء بعد نوم احدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل صدر الآية وروى ان صرمة بن قيس نام قبل الاكل فبقي
كذلك دون اكل حتى غشي عليه فى نهاره المقبل فنزل فيه من قوله تعالى
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا * واللباس اصامه فى الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة
بذلك * وقاب عليكم اى من المعصية التى وقعتم فيها قال ابن عباس
وغيره باشروهن كناية عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس
وغيره اى ابتغوا الولد قال الفخر والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط
ولكن لا بتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل قال عليه السلام تناكحوا
تناسلوا فانى مكاتركم الامم انتهى وقيل المعنى ابتغوا ليلة القدر وقيل ابتغوا
الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الآية

نزلت بسبب صُرْمَةِ بن قيس وحتى غاية للتبَيِّن ولا يصح ان يقع
التبَيِّن لاحد ويحرم عليه الاكل الا وقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيوط
استعارة وتشبيه لرقعة البياض اولا ورقة السواد الخافى به والمراد فيها قال جميع
العلماء بياض النهار وسواد الليل ومن الاولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبعيض
والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه ينفجر شيأ بعد شيء وروي عن سهل
ابن سعد وغيره من الصحابة ان الآية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض
الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر * ع * وروي
انه كان بين طرفي المدة عام من رمضان الى رمضان تأخر البيان الى وقت
الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له ان وسادك لعريض واختلف في الحد الذي بتبَيِّنِه يجب
الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاندصار ووردت
به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض في الافق يمتد ويسرة فطلوع اوله في
الافق يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن
عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبَيِّنِ الفجر في الطرق وعلى رؤوس
الجبال وذكر عن حذيفة انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
النهار الا ان الشمس لم تطلع ومن اكل وهو يشك في الفجر فعليه القضاء عند
مالك * وقوله سبحانه ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضى الوجوب * والى
غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه واذا كان من
غير جنسه لم يدخل في المحدود والليل الذي يتم به الصيام مغيب قرص الشمس
فمن افطر شاكا في غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم

الصائم حين يفطروا امام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتي لا نصركم ولو بعد حين رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن ولفظ ابن ماجه حتى يفطرا انتهى من السلاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد رواه ابن السنبي انتهى من حلية النوى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخارى ومسلم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا جاد بن سلمة عن واصل مولى ابى عيينة عن لقيط ابى المغيرة عن ابى بردة ان ابا موسى الاشعري كان فى سفينة فى البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرار فقلنا الا ترى على اى حال نحن ثم قال فى السابعة قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه لله فى يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة فكان ابو موسى يبتغى اليوم الشديد الحر فيصومه انتهى قال يوسف بن يحيى التادلى فى كتاب الشوف وخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابى بردة عن ابى موسى الاشعري قال غزا الناس برا وبحرا فكنت ممن غزا فى البحر فبينما نحن نسير فى البحر اذ سمعنا صوتا يقول يا اهل السفينة قفوا اخبركم فنظرنا يميننا وشمالا فلم نر شيئا الا لجة البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول كذلك قال ابو موسى فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ان من عطش لله فى يوم حار ان يرويه الله يوم القيامة وذكره ابن حبيب فى الواضحة بلفظ اخر انتهى قال ابن المبارك واخبرنا ابو بكر بن ابى مريم الغسانى قال حدثنى صمرة بن

حبیب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء بابا وان باب
العبادة الصيام انتهى وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة
ضعف قال الله الا الصوم فانه لى وانا اجزى به انما يدع شهوته وطعامه من
اجلى انتهى * وقوله تعالى ولا تبashروهن وانتم عاكفون فى المساجد قالت
فرقة المعنى ولا تجامعوهن وقال الجهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما
يُنْتَلَذ به من النساء وعاكفون اي ملازمون قال مالك رحمه الله وجماعة معه
لا اعتكاف الا فى مساجد الجمعيات وروى عن مالك ايضا ان ذلك فى كل
مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله قال ابن العربى فى
احكامه وحرم الله سبحانه المباشرة فى المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد
لان معنى الآية ولا تبashروهن وانتم ملتزمون للاعتكاف فى المساجد معتقدون
له انتهى وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي * والحدود الحواجز
بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحداد لانها تُمنع
من الزينة والآيات العلامات الهادية الى الحق * وقوله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الآية الخطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل
فى هذه الآية القمار والخدع والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك * وقوله
سبحانه وتدلوا بها الى الحكم الآية يقال ادلى الرجل بحجة او بامر يرجو النجاح
به تشبيها بالذى يرسل الدلو فى البئر يرجو بها الماء قال قزم معنى الآية تسارعون
فى الاموال الى المخاصمة اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على
الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالبا فى
بها باء السبب وقيل معنى الآية ترشوا بها على اكل اكثر منها فالبا الزاق مجرد

وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشى الامن عصم وهو الاقل وايضا فان
اللفظتين متناسبتان تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشاء كانها يمد بها
لتتقضى الحاجة * والفريق القطعة والجزء * وبالاثم اي بالظلم * وانتم
تعلمون اي انكم مبطلون * وقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قال ابن عباس
وغیره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال
وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس * ومواقيت اي لمحل الديون
وانقضاء العدد والاكرية وما اشبه هذا من مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا
يعرف بها وقته واشهره * وقوله سبحانه وليس البر الآية قال البراء بن عازب
والزهري وقتادة سببها ان الانصار كانوا اذا حجوا او اعتمرؤا يلتزمون تشرا
ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسمنون ظهور بيوتهم على
الجدرات وقيل كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فتوحا يدخلون منها ولا يدخلون
من الابواب وقيل غير هذا مما يشبهه * وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله
الآية هي اول آية نزلت في الامر بالقتال قال ابن زيد والربيع قوله ولا تعتدوا
اي في قتال من لم يقاتلكم وهذه الموادة منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين
كافة وقال ابن عباس وغیره ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم
فهى محكمة * وقوله تعالى واقتلوه حيث ثقفتموهم الآية قال ابن اسحاق
وغیره نزلت هذه الآية في شان عمرو بن الحضرمي وواقدهى سرية عبد الله
ابن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم يقال رجل ثقف لقف اذا كان
محكما لما يتناوله من الامور * واخرجوهم خطاب لجميع المؤمنين والضمير
لكفار قريش * والفتنة اشد من القتل اي الفتنة التى جلوكم عليها وراموكم
بها على الرجوع الى الكفر اشد من القتل ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اي

الكفر والضلال الذى هم فيه اشد فى الحرم واعظم جرماً من القتل الذى عيروكم به فى شان ابن الحضرمي * وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الآية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ وقال مجاهد الآية محكمة ولا يجوز قتال احد يعنى عند المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل * قلت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لى ساعة من النهار ولم تحل لاحد بعدى يقوى قول مجاهد وهذا هو الراجح عند الامام الفخروان الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم انتهى قال ابن العربى فى احكامه وقد روى لائمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمة الله تعالى يوم خلق السماوات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيها لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار فقد ثبت النهي عن القتال فيها قرأنا وسنة فان لجأ اليها كافر فلا سبيل اليه واما الزانى والقاتل فلا بد من اقامة الحد عليه الا ان يبتدئ الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرآن انتهى وقرأ حجة والكسائي ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم اي فان قتلوا منكم والانتهاى فى هذه الآية هو الدخول فى الاسلام * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله الفتنة هنا الشرك وما تابعه من اذى المومنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع والانتهاى فى هذا الموضع يصح مع عموم الآية فى الكفار ان يكون الدخول فى الاسلام ويصح ان يكون اداء الجزية * وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الآية قال ابن عباس وغيره نزلت فى عمرة القصية وعام الحديبية سنة ست حين صدمهم المشركون اي الشهر الحرام الذى غلبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذى صدوكم فيه

والحرمان قصاص وقالت فرقة قوله والحرمان قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء
امر كان في اول الاسلام ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى
عليك * واتقوا الله قيل معناه في ان لا تعتدوا وقيل في ان لا تزيدوا على
المثل * وقوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة الآية
سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله وفي الصحيح ان ابا ايوب
الانصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم القى
هذا بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا إن هذه الآية نزلت في الانصار
حين ارادوا لما ظهر لاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو
الذي قال الله تعالى فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجهور الناس المعنى لا تلقوا بأيديكم
بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة * واحسنوا قيل معناه في
اعمالكم بامثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا
في الانفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة
المعنى واحسنوا الظن بالله عز وجل * ت * ولا شك ان لفظ الآية عام
يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر الى دليل فاما حسن الظن بالله سبحانه
فقد جاءت فيه احاديث صحيحة فمنها انا عند ظن عبدي بي وفي صحيح
مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله انتهى واخرج ابو بكر بن الخطيب
بسنده عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المؤمن حسن
ظنه انتهى قال عبد الحق في العاقبة اما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت
فواجب للحديث انتهى ويدخل في عموم الآية انواع المعروف قال ابو عمر

ابن عبد البر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة قال ابو
جزء الجهيئى قلت يا رسول الله اوصنى قال لا تحقرن شياً من المعروف ان
تأتيه ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى ولو ان تلقى اخاك ووجهك
منبسط اليه وقال عليه السلام اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة
وقال عليه السلام ان لله عبدا خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة انتهى
من كتابه المسمى ببهجة المجالس وأنس المجالس * وقوله تعالى واتموا الحج
والعمرة لله قال ابن زيد وغيره اتمامهما ان لا تفسخا وان تتمهما اذا بدأت بهما
وقال ابن عباس وغيره اتمامهما ان تقضى مناسكها كاملة بما كان فيهما من دماء
وقال سفيان الثورى اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك
ويؤيد هذا قوله لله وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعي
يعنى طواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافا لابي حنيفة
والوقوف بعرفة وزاد ابن الماجشون جمرة العقبة * وقوله تعالى فان
احصرتم فما استيسر من الهدي هذه الآية نزلت عام الحديبية عند جمهور
اهل التاويل واجمع جمهور الناس على ان المحصر بالعدو يحل حيث أُحصر
وينحر هديه ان كان ثم هديّ ويحلق راسه واما المحصر بمرض فقال مالك وجمهور
من العلماء لا يحله الا البيت ويقيم حتى يُفريق وان اقام سنين فاذا وصل البيت
بعد فوت الحج قطع التلبية فى اوائل الحرم ودخل بعمره ثم تكون عليه حجة قضاء وفيها
يكون الهدي * وما فى موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر وهو شاة عند
الجمهور وقال ابن عمر وعروة جل دون جل وبقرة دون بقرة * وقوله تعالى ولا
تحللوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامة وقيل للمحصرين
خاصة ومحل الهدي حيث يحل نحره وذلك لمن لم يُحصر بمئى والترتيب

ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف للأفاضة * وقوله تعالى
فمن كان منكم مريضا الآية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى
الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الآية في كعب بن عُجْرة حين رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر قملا فامره بالحلق ونزلت الرخصة
والصيام عند مالك وجيع اصحابه ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع وذلك مُدَّان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة
باجماع ومن اتى بافضل منها مما يذبح او ينحر فهو افضل والمفتدى مخير في
اي هذه الثلاثة شاء حيث شاء من مكة وغيرها قال مالك وغيره كلما اتى
في القرءان أوأوفانه على التخيير * وقوله تعالى فاذا امنتم اي من
العدو المحصر قاله ابن عباس وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برأتم
من مرضكم * وقوله سبحانه فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية قال
ابن عباس وجماعة من العلماء الآية في المحصرين وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع
فيه ستة شروط ان يكون معتبرا في اشهر الحج وهو من غير حاضرى المسجد
الحرام ويحل وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما سواه
بعدا هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه
تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله في العمرة الى وقت انشائه
الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفريين وذلك ان حق
العمرة ان تقصد بسفروحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله
تعالى هديا كالقارن الذى يجمع الحج والعمرة في سفر واحد وجُل لامة على
جواز العمرة في اشهر الحج للمكي ولادم عليه * وقوله تعالى فمن لم يجد
فصيام ثلاثة ايام في الحج يعنى من وقت يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها

قبل يوم النحر فليصمها في ايام التشريق لانها من ايام الحج * وسبعة اذا
وجعتم قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتن من منى وقال قتادة والربيع هذه رخصة
من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتن الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير
بين ثلاثة ايام في الحج اوسبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجلية من قوله
تعالى تلك عشرة * وكاملة قال الحسن بن ابي الحسن المغنى كاملة
الشواب وقيل كاملة تأكيد كما تقول كُتِبْتُ بيدى وقيل لفظها الاخبار ومعناها
الامر اي اكملوها فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الآية
الاشارة بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اي ذلك الاشتداد والالزام
وعلى قول من يرى ان المكي لا تجوز له العمرة في اشهر الحج تكون
الاشارة الى التمتع وحكمه فكان الكلام ذلك الترخيص لمن لم ويتأيد هذا بقوله
لمن لم لان اللام ابداء انما تجي مع الرخص واختلف الناس في حاضري المسجد
الحرام بعد الاجاع على اهل مكة وما اتصل بها فليل من تجب عليه الجمعة
بمكة فهو حاضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال * ع * فجعل
اللفظة من الحضارة والبدواة وقيل من كان بحيث لا يقصر الصلاة فهو حاضري
مشاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم
كله حاضرو المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه
* وقوله تعالى الحج اشهر معلومات في الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر
او وقت الحج اشهر معلومات قال ابن مسعود وغيره وهي شوال وذو القعدة وذو
الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
والقولان لما لك رحمه الله فمن فرض فيهن الحج اي الزمه نفسه وفرض الحج
هو بالنية والدخول في الاحرام والتلبية تبع لذلك وقوله تعالى فيهن ولم يجئ

الكلام فيها فقال قوم هما سواء في الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل ياتى كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرون والجدوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله ثم قال منها * وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالرفع في الاثنين ونصب الجدل ولا بمعنى ليس في قراءة الرفع والرفث الجماع في قول ابن عباس ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس وغيره هي المعاصي كلها وقال ابن زيد ومالك والفسوق الذبح للانعام ومنه قوله تعالى اوفسقا اهل لغير الله به والاول اولى قال الفخر واكثر المحققين جلوا الفسق هنا على كل المعاصي قالوا لان اللفظ صالح لكل ومتناول له والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع انواعه فحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل انتهى قال ابن عباس وغيره الجدل هنا ان تماري مسلما وقال مالك وابن زيد الجدل هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون في الجاهلية قلت ومعنى الآية فلا ترفشوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله صلى الله عليه وسلم والصوم جنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمته احد او قاتله فليقل انى امرؤ صائم الحديث انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره انتهى قال الفخر قال القفال ويدخل في هذا النهي ما وقع من بعضهم من مجادلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق عليهم ذلك وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث انتهى * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيشيب عليه وفي هذا

تخصيص على فعل الخير * ت * وروى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلى في الشئ رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه بهذا اللفظ انتهى من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حيث قالوا ما رأينا كالأمنار واثنا عليهم خيرا * وقوله سبحانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى الآية قال ابن عمر وغيره نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء الى الحج بلا زاد ويبقون عالة على الناس فامروا بالتزود وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحة قلت وهذا التاويل هو الذي صدر به الفخر وهو الظاهر في قوله فان خير الزاد التقوى حص على التقوى * وقوله تعالى ليس عليكم جناح الآية الجناح اسم من الاثم لانه فيما يقتضى العقاب وفي ما يقتضى الجزع والعقاب * وتبتغوا معناه تطلبوا اي لا درك في ان تتجروا وتطلبوا الربح * وقوله تعالى فاذا افضمتم من عرفات اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض نهرا قبل الليل لا مالك بن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيئا واما من وقف بعرفة ليلا فلا خلاف بين الامم في تمام حجه * وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة واختلفت في تسميتها عرفة والظاهر انه اسم مرتجل كسائر اسماء البقاع وعرفته هي نعمان الاراك والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة من حد مفضى مأزمي عرفة الى بطن محسر قاله ابن عباس وغيره فهي كلها مشعر لا بطن محسر كما ان عرفة كلها موقف لا بطن عرفة بفتح السراء وضما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف لا بطن عرفة والمزدلفة كلها مشعر أأارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله

ابن الزبير في خطبته وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم
قال مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه دم * وقوله تعالى واذكروه كما هداكم
تعدد للنعمة وامر بشكرها * ص * كما هداكم الكاف للتشبيه وهو في موضع
نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي كهدايته فتكون ما وما
بعدها في موضع جراد ينسبك منها مع الفعل مصدر ويحتمل ان تكون للتعليل
على مذهب الاخفش وابن برهان وجوز ابن عطية وغيره ان تكون ما كافة
للكاف عن العمل والاول اولى لان فيه اقرار الكاف على عملها الجبر وقد منع
صاحب المستوفى ان تكون الكاف مكشوفة بما واحتج من اثبته بقوله
لعمرك اننى وابو حميد * كما النسوان والرجل الحليم
اريد هجاءه واخاف ربي * واعلم انه عبد لثيم
انتهى ثم ذكرهم سبحانه بحال ضلالهم ليظهر قدر انعامه عليهم * وان كنتم
من قبله اي من قبل الهدى * وقوله سبحانه ثم افيضوا من حيث افاض الناس
المخاطب بهذه الآية قريش ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره وذلك انهم كانوا
لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفضون منه مع معرفتهم ان عرفة
هي موقف ابراهيم ف قيل لهم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
وتم ليست في هذه الآية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة هي
منها منقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الامم والمراد بالناس ابراهيم
ويحتمل ان تكون افاضة اخرى وهي التى من المزدلفة وعلى هذا عول الطبرى
فتكون ثم على بابها وفراً سعيد بن جبير الناسى وتأوله ءادم عليه السلام وامر
عز وجل بالاستغفار لانها مواطن القبول ومساقط الرجعة وفي الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله

عز وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنه
لا التبعات فيما بينكم افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها
الناس ان الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده * وقوله تعالى فاذا قضيتم
مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهي اراقة الدماء * ع *
والمناسك عندى العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا
فرغتم من حركم الذى هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه بآلانه
عندكم وكانت عادة العرب اذا قصت جها تقف عند الجمرة تتفاخر بالآباء
وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الآية ان يلزموا انفسهم
ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم ذكر ابائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين
وقال ابن عباس وعطاء معنى الآية واذكروا الله كذكر الاطفال اباءهم وامهاتهم اي
فاستغيثوا به والجأوا اليه قال النووي في حليته والمراد من الذكر حضور القلب
فينبغي ان يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل
معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى
المقصود ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا اله
الا الله لما فيه من التدبر واقوال السلف وائمة الخلف في هذا مشهورة انتهى قال
الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى الساحلى الملقب ومنفعة
الذكر ابدا انما هي تنبع معناه بالفكر ليقبس الذاكر من ذكره انوار المعرفة
ويحصل على اللب المراد ولا خير في ذكر مع قلب غافل ساه ولا مع تضييع شيء
من رسوم الشرع وقال في موضع اخر من هذا الكتاب الذى الفه في السلوك
ولا مطمع للذاكر في درك حقائق الذكر الا باعمال الفكر فيما تحت الفاظ الذكر
من المعانى وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى

يغلب معنى الذكر على قلبه وقد آمن له ان يدخل في دائرة اهل المحاصرات انتهى * وقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا الآية قال ابو وائل وغيره كانت عاداتهم في الجاهلية الدعاء في مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء النهي في صيغة الخبر عنه والخلاق الحظ والنصيب قال الحسن بن ابى الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة * ع * واللفظ اعم من هذا وحسنة الآخرة الجنة باجماع وعن انس قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخارى ومسلم وغيرهما زاد مسلم وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه انتهى * اولئك لهم نصيب مما كسبوا وعد على كسب الاعمال الصالحة والرب سبحانه سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكري لعل رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق في يوم فقال كما يرزقهم في يوم وقيل الحساب هنا المجازات وقيل معنى الآية سريع مجيء يوم الحساب فيكون المقصد بالآية الانذار بيوم القيامة * وقوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات امر الله سبحانه بذكره في الايام المعدودات وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر ومن جملة الذكر التكبير في اثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق وبه قال الشافعى ومشهور مذهب مالك انه يكبر اثر كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن خواص التكبير وبركته ما رواه ابن السني بسنده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه انتهى من حلية النوى * وقوله تعالى فمن تعجل في يومين الآية قال ابن عباس وغيره

المعنى من نفر في اليوم الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تأخر الى الثالث فلا اثم عليه اي كل ذلك مباح اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الآية رافعةً للجناح قلت واهل مكة في التعجيل كغيرهم على الاصح ثم امر سبحانه بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه * وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية قال السدى نزلت في الاخنس بن شريق اظهر الاسلام ثم هرب فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعاً وقتل حُمراً قال * ع * ما ثبت قط ان الاخنس اسلم قلت وفي ما قاله * ع * نظروا يلزم من عدم ثبوته عنده الا يثبت عند غيره وقد ذكر اجد بن نصر الداودي في تفسيره ان هذه الآية نزلت في الاخنس ابن شريق انتهى وسيأتي للطبري نحوه وقال قتادة وجاءت نزلت هذه الآية في كل مبطن كفراو نفاق او كذب او ضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة ومعنى ويشهد الله اي يقول الله يعلم اني اقول حقا والالد الشديد الخصومة الذي يلوى الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لذيدي الوادي وعنه صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم * وتولى وسعى يحتمل معنيين احدهما ان يكونا فعل قلب فيجبي تولى بمعنى ضل وغضب وانف في نفسه فسعى بحيله وادارته الدوائر على الاسلام نحا هذا المنحى في معنى الآية ابن جريس وغيره والمعنى الثاني ان يكونا فعل شخص فيجبي تولى بمعنى ادبر ونهض وسعى اي بقدميه فقطع الطريق وافسدها نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره * وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الاخنس في احراقه الزرع وقتله الحُمُر قال * ع * والظاهر ان الآية عبارة عن مبالغته في الافساد * ولا يحجب الفساد معناه لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه ديننا والا فلا يقع الا ما

يحب الله وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون من ان الحب
بمعنى الارادة قال * ع * والحب له على الارادة مزية ايثار اذ الحب من
الله تعالى انما هو لما حسن من جميع جهاته * وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله
الآية هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويحذر المؤمن ان يوقعه
الحرج في نحو هذا وقد قال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق
الله فيقول له عليك نفسك مثلك يوصيني قلت قال احمد بن نصر الداودي
عن ابن مسعود من اكبر الذنب ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك
انت تامرني انتهي والعزة هنا المنعة وشدة النفس اي اعتز في نفسه فوقعته تلك
العزة في الاثم ويحتمل المعنى اخذته العزة مع الاثم وحسبه اي كافيها والمهاد ما مهد
الرجل لنفسه كانه الفراش * وقوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه الآية
تتناول كل مجاهد في سبيل الله او مستشهد في ذاته او مغير منكرو قيل هذه الآية في
شهداء غزوة الربيع عاصم ابن ثابت وخبيث واصحابهما وقال عكرمة وغيره هي في
طائفة من المهاجرين وذكروا حديث صهيب ويشري معناه يبيع ومنه وشروء بثمن
بخس وحكى قوم انه يقال شري بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تأول الآية في
صهيب لانه اشترى نفسه بماله * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية
تقتضي الحص على امتثال ما وقع به المدح في الآية كما ان قوله سبحانه
فحسبه جهنم تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم في الآية ثم امر تعالى
المؤمنين بالدخول في السلم وهو الاسلام والمسالمة وقال ابن عباس نزلت في اهل
الكتاب والالف واللام في الشيطان للجنس * وعدو يقع للواحد والاثنين
والجمع وقوله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات الآية اصل الزلل في
القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك والمعنى ضللتكم والبيانات

محمد صلى الله عليه وسلم وآياته ومعجزاته اذا كان الخطاب اولا لجماعة المؤمنين
واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات ما ورد في شرائعهم من الاعلام بمحمد
صلى الله عليه وسلم والتعريف به * وعزيز صفة مقتضية انه قادر عليكم
لا تعجزونه ولا تمنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به لزللكم * وقوله
تعالى هل ينظرون اي ينظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون والظلل جمع ظلة وهي
ما اطل من فوق والمعنى ياتيهم حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن
جريس وغيره الى ان هذا التوعد هو مما يقع في الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم
القيامة وقال قوم لا ان ياتيهم الله وعيد بيوم القيامة واما الملائكة فالوعيد
باتيانهم عند الموت والغمام ارق السحاب واصفاه واحسنه وهو الذي ظلل به
بنو اسرائيل وقال النقاش هو ضباب ابيض وقضي الامر معناه وقع الجزاء وعذب
اهل العصيان وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر * والى الله ترجع الامور هي راجعة
اليه سبحانه قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان
منها الى الملوك في الدنيا * وقوله سبحانه سل بنى اسرائيل الآيات معنى
آيات توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينات والمراد بالآيات كم جاءهم في امر
محمد صلى الله عليه وسلم من آية معرفته به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع
انعامه ولكن يقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه
هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبدل من بنى اسرائيل صفة نعمة
الله ثم جاء اللفظ منسجبا على كل مبدل نعمة لله ويدخل في اللفظ كفار قريش
والتوراة ايضا نعمة على بنى اسرائيل فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد
صلى الله عليه وسلم فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد * وقوله تعالى
زين للذين كفروا الحياة الدنيا آية لاشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون

حالهم من الدنيا ويغبطون بها ويسخرون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله قبيح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم
بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ومعنى الفوقية هنا في الدرجة والقدر
ويحتمل ان يريد ان نعيم المتقين في الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن قلت وحكى
الداودي عن قتادة فوقهم يوم القيامة قال فوقهم في الجنة انتهى ومهما ذكرت
الداودي في هذا المختصر فانما اريد اجد بن نصر الفقيه المالكي ومن تفسيره
انا انقل انتهى فان تشوفت نفسك ايها الاخ الى هذه الفوقية * ونيل هذه
الدرجة العلية * فارفض دنياك الدنية * وازهد فيها بالكلية * لتسلم
من كل آفة وبلية * واقتد في ذلك بخير البرية * قال عياض في شفاء
فانظر رجك الله سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خرائن الارض وجببت اليه الاخلاس وهادته جاعته من الملوك
فما استأثر بشيء من ذلك ولا امسك درهما منه بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وجد فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ انتهى * وقوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية
قال ابن عباس الناس القرون التي كانت بين ادم ونوح وهي عشرة كانوا على
الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا كان
الناس امة واحدة اي كفارا يريد في مدة نوح حين بعثه الله وقال ابي بن كعب
وابن زيد المراد بالناس بنو ادم حين اخرجهم الله نسما من ظهري ادم اي كانوا
على الفطرة وقيل غير هذا وكل من قدر الناس في الآية مومنين قدر في الكلام

فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا قدر كانت بعثة النبيين اليهم ولائمة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد امة اذا كان منفردا بمقصد ومبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب والكتاب اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وَلِيُحْكَمْ مُسْنَدُ إِلَى الْكِتَابِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ وَالَّذِينَ أَوْتُوا أَرْبَابَ الْعِلْمِ بِهِ وَخَصُوا بِالذِّكْرِ تَنْبِيْهَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عَظِيمِ الشُّعْثَةِ وَالْقُبْحِ وَالْبَيِّنَاتِ الدَّلَالَاتِ وَالْحُجْجِ وَالْبَغْيِ التَّعْدَى بِالْبَاطِلِ وَهَدَىٰ مَعْنَاهُ ارْشَادَ وَالْمُرَادُ بِالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ ءَامَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْأَمَمَ كَذَبَ بَعْضُهُمْ كِتَابَ بَعْضٍ فَهَدَى اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّصْدِيقِ بِجَمِيعِهَا وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هَدَى الْمُؤْمِنِينَ لِلْحَقِّ فِيهَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَكَاخْتِلَافِهِمْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ فَلِلْيَهُودِ غَدٌ وَلِلنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ وَفِي صِيَامِهِمْ وَجَمِيعِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ قَالَ الْفَرَاءُ فِي الْكَلَامِ قَلْبَ وَاخْتَارَهُ الطَّبْرِيُّ قَالَ وَتَقْدِيرُهُ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِلْحَقِّ مِمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَدَعَا إِلَى هَذَا التَّقْدِيرِ خَوْفٌ أَنَّ يَحْتَمِلَ اللَّفْظُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْحَقِّ فَهَدَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَعَسَاهُ غَيْرُ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ نَحْنُ إِلَى هَذَا الطَّبْرِيِّ فِي حِكَايَتِهِ عَنِ الْفَرَاءِ قَالَ * ع * وَادْعَاءُ الْقَلْبِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ دُونَ ضَرُورَةِ تَدْفِعُ إِلَى ذَلِكَ عَجْزُ وَسُوءُ نَظَرٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ يَتَخَرَّجُ عَلَى وَجْهِهِ وَرِصْفِهِ لِأَنَّ قَوْلَهُ فَهَدَى يَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَصَابُوا الْحَقَّ وَتَمَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ فِيهِ وَتَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ مِنَ الْحَقِّ جِنْسٌ مَا وَقَعَ الْخِلَافُ فِيهِ وَبِأَذْنِهِ قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ بَعْلَمَهُ * ع * وَالْأَذْنُ هُوَ الْعِلْمُ وَالتَّمَكُّينُ فَإِنْ اقْتَرَنَ بِذَلِكَ أَمْرٌ صَارَ أَقْوَى مِنَ الْأَذْنِ بِمُزِيَّتِهِ * وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ الْآيَةُ أَكْثَرُ الْمُفْسِرِينَ أَنَّهَا

نزلت في قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة نزلت تسليمة
للمهاجرين حين اصببت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم وخلوا
معناه انقروا اي صاروا في خلاء من الارض والبأساء في المال والضراء في البدن
ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون في الاشخاص والاحوال وقرأ نافع
يقول بالرفع وقرأ الباقون بالنصب وحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى
ان وعلى قراءة نافع كانها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل واكثر
المناولين على ان الكلام الى ماخر الآية من قول الرسول والمومنين ويكون ذلك
من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم
الجنس وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين ءامنوا
متى نصر الله فيقول الرسول لا ان نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته
ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم في الزمان. قال * ع * وهذا تحكم وحمل
الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون لا ان نصر الله قريب اخبارا من
الله تعالى مؤتلفا بعد تمام ذكر القول * قوله تعالى يسألونك ما ذا ينفقون
قل ما انفقتم من خير الآية السائلون هم المومنون والمعنى يسألونك ما هي
الوجوه التي ينفقون فيها وما يصح ان تكون في موضع رفع على الابتداء وذا
خبرها بمعنى الذي وينفقون صلت وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح
ان تكون ما ذا اسما واحدا مركبا في موضع نصب قال قوم هذه الآية في الزكاة
المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوردان وقال السدى نزلت قبل فرض الزكاة ثم
نسختها اية الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا
الاتفاق وعلى هذا لا نسخ فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في الفاء وظاهر
الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض واستمر الاجماع على

ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية * وقوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئاً الآية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما
فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتوجرون
ومن مات مات شهيداً وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم
تغلبون وتذلون ويذهب امركم قال * ص * قوله وعسى ان تحبوا شيئاً
عسى هنا للترجى ومجيئها له كثير فى كلام العرب قالوا وكل عسى فى القران
للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقك انتهى وفى
قوله تعالى والله يعلم الآية قوة امر * وقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام
الآية نزلت فى قصة عمرو بن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث سريته عليها عبد الله بن جحش الاسدى مَقْدَمَه من بدر الاولى
فلقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان
والحكم بن كيسان فى اخر يوم من رجب على ما قاله ابن اسحاق وقالوا
ان تركناهم اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن
الحضرمى بسهم فقتله واسر عثمان بن عبد الله والحكم وفرّ نوفل فاعجزهم
واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوف فوتهم فقاتل قريش محمد قد
استحل الاشهر الحرم وعبروا بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما
امرتكم بقتال فى الاشهر الحرم فنزلت هذه الآية وقتال بدل اشتمال عند
سيبويه وقال الفراء هو مخفوض بتقدير عن وقضى به والشهر فى الآية اسم
الجنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواماً تعتدل عدده فكانت
لا تسفك دماً ولا تغير فى الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان

يغزى فذلك قوله تعالى قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ بمقطوع مما قبله والخبر
اكبر ومعنى الآية على قول الجمهور انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال
فى الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام
وكفركم بالله واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهري ومجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه
كبير منسوخ * ص * وسبيل الله دينه والمسجد قراءة الجمهور بالخفض قال
المبرد وتبعه ابن عطية وغيره هو معطوف على سبيل الله وردبانه حينئذ يكون
متعلقا بصد اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيلزم الفصل بين
المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد باجنبي وهو وكفر به ولا يجوز وقيل
معطوف على ضميره اي وكفر به وبالمسجد وردبان فيه عطا على الضمير المجرور
من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازة الكوفيون ويونس
وابو الحسن والشلوبين والمختار جوازه لكثرتهم سماعا ومنه قراءة حمزة تساءلون به
والارحام اي وبالارحام وتأويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن فصاحته انتهى
* وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة
التي كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من قتلهم فى
الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون * وقوله
تعالى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو ابتداء خبر من الله
تعالى وتحذير منه للمومنين * وقوله تعالى ومن يرتدد اي يرجع عن الاسلام الى
الكفر عيادا بالله قالت طائفة من العلماء يستتاب المرتد ثلاثة ايام فان تاب
والا قتل وبه قال مالك واحد واصحاب الراي والشافعى فى احد قوليه وفى
قول له يقتل دون استتابة وحبط العمل اذا انفسد فى اخره فبطل وميراث

المرتد عند مالك والشافعي في بيت مال المسلمين * وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله الآية قال عروة بن الزبير وغيره لما عنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه شق ذلك عليهم فتلأفاهم الله عز وجل بهذه الآية ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكره الله عز وجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلته اقامة من موضع الى موضع وقصد ترك الاول ايشارا للثاني وهي مفاعلة من هجر وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون معناه يطمعون ويستقربون والرجاء تنعم والرجاء ابدا معه خوف ولا بد كما ان الخوف معه رجاء * ت * والرجاء ما قارنه عمل ولا فهو امنية * قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية السائلون هم المومنون والخمر ماخوذ من خمر اذا ستر ومنه خمار المرأة والخمر ما واراك من شجر وغيره ومنه قول الشاعر

لا يازيد والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطي عليه سميت بذلك واجعت لامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد في القليل والكثير منه وجهور لامة على ان ما اسكر كثيرة من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد في ذلك واجب وروي ان هذه الآية اول تطرق الى تحريم الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب ولازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر الا انه جلد اربعين خرج به مسلم وابوداود وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزرة ابوبكر اربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله

كاخف الحدود ثمانين وبه قال مالك ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر باجماع قال ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز * ت * وعبرة الداودي وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل ذلك قمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب انتهى * وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس والربيع الاثم فيهما بعد التحريم والمنفعة قبله وقال مجاهد المنفعة بالخمير كسب اثمائها وقيل اللذة بها الى غير ذلك من افراحها ثم اعلم الله عز وجل ان الاثم اكبر من النفع واعد بالضرر في الآخرة فهذا هو التقدم للتحريم * وقوله تعالى ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع والعفو مأخوذ من عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة على الناس * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آيات لعلمكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبينه من الخمر والميسر والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم الى الفكرة في الدنيا والآخرة وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته قال الداودي وعن ابن عباس لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة يعنى في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها انتهى قال الغزالي رحمه الله تعالى العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيرة ومستقرة فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرها عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة الاحد وان نظر الى صورة مروعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما يتكشف له من اخر امره بعد الحساب

من رد او قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه
الامهمات الدنيا فاذا نسب مدة مقامه في الدنيا الى مدة مقامه في الآخرة استحققر
الدنيا ان لم يكن اغفل قلبه واعيت بصيرته انتهى من الاحياء * وقوله
تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس وسعيد بن
المسيب سبب الآية ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الآية ونزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم
فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الآية وامر الله سبحانه نبيه ان يجيب بان من
قصد الاصلاح في مال اليتيم فهو خير فرفع تعالى المشقة واباح الخلطة في ذلك
اذا قصد الاصلاح ورفع اليتيم * وقوله سبحانه والله يعلم المفسد من المصلح
تحذير * وقوله تعالى ولو شاء الله لا عنتكم اي لا تعبك في تجنب امر اليتامى
والعنت المشقة ومنه عتبة عنوت ومنه عنت العزبة وعزيز مقتضاه لا يرد امره
وحكيم اي مُحْكَم ما ينفذه * وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ونكح اصله في الجماع ويستعمل في العقد تجوزا قالت طائفة المشركت هنا
من يشرك مع الله الهاء اخر وقال قتادة وابن جبير الآية عامة في كل كفر
وخصتها اية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات وقال ابن عباس والحسن
تناولهن العموم ثم نسخت اية المائدة بعض العموم في الكتابيات وهو مذهب
مالك رحمه الله ذكره ابن جبيب * وقوله تعالى ولا تمسكوا بالمرءة خير من
مشركة الآية هذا اخبار من الله سبحانه ان المومنة المملوكة خير من المشركة
وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتمكم في الحسن وغير ذلك هذا قول
الطبري وغيره * وقوله سبحانه ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا الآية اجعت
الامة على ان المشرك لا يطأ المومنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على دين

لإسلام قال بعض العلماء ان الولاية في النكاح نص في هذه الآية قلت ويعنى
ببعض العلماء محمد بن علي بن حسين قاله ابن العربي انتهى ولعبد مومن
مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما تقدم قال
* ع * وتحتل الآية عندى ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع
الناس حرهم ومملوكهم اذ هم كلهم عبيده سبحانه * وقوله تعالى اولئك
يدعون الى النار اى بصحبتهن ومعاشرتهن ولا انحطاط في كثير من اهوائهم والله
عز وجل ممن بالهداية ويبين الآيات ويخص على الطاعات التى هي كلها دواع
الى الجنة ولاذن العلم والتكبين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن
لانك اذا قلت اذنت في كذا فليس يلزمك انك امرت ولعلمهم ترج في حق
البشر ومن تذكر عمل حسب التذكر فنجا * قوله تعالى ويسألونك عن
المحيض قل هو اذى قال الطبرى عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح
وقال قتادة وغيره انما سأله لان العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا
بسنة بنى اسرائيل في تجنب مواكله الحائض ومساكنتها فنزلت الآية
* وقوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان تشد الحائض ازارها ثم شأنه باعلاها قال
احمد بن نصر الداودى روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النساء
في المحيض فان الجذام يكون من اولاد المحيض انتهى * قوله تعالى ولا تقربوهن
حتى يطهرن وقرأ جزء وغيره يطهرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وكل واحدة من
القراءتين يحتمل ان يراد بها الاغتسال بالماء وان يراد بها انقطاع الدم
وزوال اذاه قال ابن العربي في احكامه سمعت ابا بكر الشاشى يقول اذا قيل لا
تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا

تدن منه انتهى وجهور العلماء على ان وطأها في الدم ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه بمال وجهورهم على ان الطهر الذي يحل جاع الحائض هو بالماء كطهر الجنب ولا يجوز من ذلك تيمم ولا غيره * وقوله تعالى فاذا تطهروا الآية الخلاف فيها كما تقدم وقال مجاهد وجاعة تطهروا اي اغتسلوا بالماء بقرينة الامر بالانتيان لان صيغة الامر من الله تعالى لا تقع الا على الوجه الاكمل فاتبهم امر بعد الحظر يقتضي الاباحة والمعنى من حيث امركم الله باعتزالهن وهو الفرج او من السرة الى الركبة على الخلاف في ذلك وقال ابن عباس المعنى من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقيل المعنى من قبل حال الاباحة لا صائمات ولا مُحَرَّمات ولا غير ذلك والتوابون الرجاعون وعرفه من الشر الى الخير والمتطهرون قال عطاء وغيره المعنى بالماء وقال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب * وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية مبيحة لهيات الانتيان كلها اذا كان الوطء في موضع الحرث ولفظة الحرث تعطى ان الاباحة لم تقع الا في الفرج خاصة اذ هو المزدرع قال ابن العربي في احكامه وفي سبب نزول هذه الآية روايات الاول من جابر قال كانت اليهود تقول من اتى امرأة في قبلها من دبرها جاء الولد احول فنزلت الآية وهذا حديث صحيح خرجه الائمة الثانية قالت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم قال ياتيها مقبلة ومدبرة اذا كان في صمام واحد خرجه مسلم وغيره الثالثة ما روى الترمذى ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هلكت قال وما اهلكك قال حولت البارحة رحلى فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزلت نساؤكم حرث لكم اقبل وادبر واتق الدبر انتهى قال ع * وانى شئتم معناه عند جمهور العلماء من اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة

على جَنَّب قال * ع * وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصنف النسائي وفي غيره انه قال اتيان النساء في ادبارهن حرام وورد عنه فيه انه قال ملعون من اتى امرأة في دبرها وورد عنه انه قال من اتى امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغي لمومن بالله ان يعرج بهذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد لا رب غيره * وقوله جلت قدرته وقدموا لانفسكم قال السدي معناه قدموا الاجر في تجنب ما نهيتكم عنه وامتنال ما امرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضى المبالغة في التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر المومنين تانيس لفاعلى البر ومتبعى سنن الهدى * قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمنكم الآية مقصد الآية ولا تعرضوا اسم الله تعالى فتكثروا الايمان به فان الحنث يقع مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره معنى الآية ان يكون الانسان اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله وقال عليّ يمين وهول يحلف وقوله عرضة قال ابن العربي في احكامه اعلم ان بناء عرض في كلام العرب يتصرف على معان مرجعها الى المنع لان كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض في السماء من السحاب عارض لانه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وان تبروا مفعول من اجله والبر جميع وجوه البر وهو ضد الاثم وسميع اي لا قوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاهدت اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يميناً * وقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمنكم اللغو سقط الكلام الذى لا حكم له قال ابن عباس وعائشة والشعبي وابو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل في درج

كلامه واستعجاله في المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد لليمين وقد اسنده البخاري عن عائشة وقال ابو هريرة والحسن ومالك وجماعة لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك * ع *

وهذا اليقين هو غلبة الظن وقال زيد بن اسلم لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هي اليمين المكفرة وحكى ابن عبد البر قولاً ان اللغو ايمان المكره قال * ع * وطريقة النظر ان تتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويُحْكَم موقعهما في اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لم يتعمده او ما حقه لم يجتنه ان يسقط فيقوى على هذه الطريقة بعض الاقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق في اللغو فحقيقته ما لا اثم فيه ولا كفارة والمواخذة في الايمان هي بعقوبة الآخرة في الغموس المصبورة وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا في الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة لان المواخذة قد وقعت فيها وتخصيص المواخذة بانها في الآخرة فقط تحكم * ت * والقول الاول ارجح وعليه عول اللخمي وغيره * وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس وغيره ما كسب القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المواخذة في الآخرة اي ولا تكفر * ع *

وسميت الغموس لانها غمست صاحبها في الاثم وغفور حلیم صفتان لا تقتتان بما ذكر من طرح المواخذة اذ هو باب رفق وتوسعة * وقوله تعالى للذين يولون من نسائهم الآيت يولون معناه يحلفون ولايلاء اليمين واختلف من المراد بلزوم حكم لا يلاء فقال مالك هو الرجل يغاصب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ان لا يطأها ضرراً منه اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد رضيع ونحوه وقال به عطاء وغيره * وقوله

تعالى من نسائهم يدخل فيه الحرائر والاماء اذا تزوجن والتربص التأنى والتأخر
واربعة اشهر عند مالك وغيره للحر وشهران للعبد وقال الشافعى هو كالحر وفاءوا
معناه رجعوا ومنه حتى تفى الى امر الله قال الجمهور واذا فاء كفر والنسيء عند
مالك لا يكون الا بالوطء او بالتكفير فى حال العذر * قوله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حكم هذه الآية قصد الاستبراء لا انه عبادة ولذلك
خرجت منه من لم يبين بها بخلاف عدة الوفاة التى هي عبادة والقروء فى
اللغة الوقت المعتاد تردده فالحيض يسمى على هذا قروء وكذلك يسمى الطهر
قروء واختلف فى المراد بالقروء هنا فقال عمرو جاعة كثيرة المراد بالقروء فى الآية
الحيض وقالت عائشة وجاعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم المراد لاطهار
وهو قول مالك واختلف المتأولون فى قوله ما خلق الله فى ارحامهن فقال ابن
عمرو ومجاهد وغيرهما هو الحيض والحبل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي
عن الاصرار بالزوج فى الزامه النفقة وازهاب حقه فى الارتجاع فامر بالصدق
نفيا واثباتا وقال قتادة كانت عاداتهن فى الجاهلية ان يكتمن الحمل ليحسبن
الولد بالزوج الجديد ففى ذلك نزلت الآية وقال ابن عباس ان المراد بالحبل
والعموم راجح وفى قوله تعالى ولا يحل لهن ما يقتضى انهن مؤمنات على ما ذكر
ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كنم * وقوله سبحانه ان كن يومن بالله الآية
اي حق الايمان وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصروا وت تخاطب حرا
والبعل الزوج ونص الله تعالى بهذه الآية على ان للزوج ان يرتجع امرأته
المطلقة ما دامت فى العدة ولاشارة بذلك الى المدة بشرط ان يريد الاصلاح
دون المضارة كما تشدد على النساء فى كنم ما فى ارحامهن وقوله تعالى ولهن مثل
الذى عليهن الآية تعم جميع حقوق الزوجية * وقوله تعالى وللرجال عليهن

درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل حظه على حظها في الميراث وما اشبهه
وقال زيد بن اسلم ذلك في الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها
وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة الى حص الرجل على حسن العشرة
والتوسع للنساء في المال والخلق اي ان الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه
وهذا قول حسن بارع * وقوله تعالى الطلاق مرتان الآية قال عروة بن
الزبير وغيره نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرجع
دون تجديد مهرولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالآية التعريف بسنة
الطلاق وان من طلق اثنتين فليثق الله في الثالثة فاما تركها غير مطلومة
شيأ من حقها واما امسكها محسنا عشرتها * ع * والآية تتضمن هذين
المعنيين * ص * الطلاق مبتدأ على حذف مضاف اي عدد الطلاق
ومرتان خبره انتهى والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن
العشرة والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون
املك بنفسها وهذا قول السدي والضحاك والمعنى الآخر ان يطلقها ثالثة
فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما وامساك مرتفع بالابتداء
والخبر امثل او احسن * وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن
شيأ الآية خطاب للازواج نهاهم به ان يأخذوا من ازواجهم شيأ على وجه المضارة
وهذا هو الخلع الذي لا يصح الالبان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما آتى
الازواج نساءهم لانه عرف الناس عند الشقاق والفساد ان يطلبوا ما خرج من
ايديهم وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الآية ان يأخذ الا بعد الخوف الا
يقىما حدود الله واكد التحريم بالوعيد وحدود الله في هذا الموضع هي ما يلزم
الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة * وقوله تعالى فان خفتما الاقيما

حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامر وان لم يكونوا حكاما وترك
اقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه قاله ابن عباس
ومالك وجهور العلماء وقال الشعبي الا يقيما حدود الله معناه الا يطيعا الله وذلك
ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة * وقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به اباحة للفدية وشركها في ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه مالها
حيث لا يجوز له اخذها وهي تقدر على المخاصمة قال ابن عباس وابن عمر
ومالك وابو حنيفة وغيرهم مباح للزوج ان ياخذ من المرأة في الفدية جميع ما
تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري والحسن وغيرهم
لا يجوز له ان يزيد على المهر الذي اعطاها وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ
منها كل مالها ولكن ليدع لها شيئا * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية اي
هذه الاوامر والنواهي فلا تتجاوزوها ثم توعده تعالى على تجاوز الحد بقوله ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وهو كما قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة * وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الآية قال ابن عباس
وغيره هو ابتداء الطلقة الثالثة قال * ع * فيجيء التسريح المتقدم
ترك المرأة تتم غدتها من الثانية واجعت الامة في هذه النازلة على
اتباع الحديث الصحيح في امرأة رفاعة حين تزوجت عبد الرحمن بن الزبير
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا جتى
يدوق عسيلتك وتذوق عسيلته فرأى العلماء انه لا يحلها الا الوطء وكلهم على ان
مغيب الحشفة يحل الا الحسن بن ابي الحسن قال لا يحلها الا الانزال وهو
ذوق العسيلة والذي يحلها عند مالك النكاح الصحيح والوطء المباح * وقوله
تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الآية

المعنى فان طلقها المتزوج الثانى فلا جناح عليهما اي المرأة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف فيه والظن هنا على بابيه من تغليب احد الجائزين وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفا * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء الآية خطاب للرجال نهى الرجل ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم يطلق بعد ذلك قاله الصحاح وغيره ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له فى الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا وباقي الآية بين * وقوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا الآية المراد بآياته النازلة فى الاوامر والنواهي وقال الحسن نزلت هذه الآية فيمن طلق لاعبا او هازئا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكر الله عبادة بانعامه سبحانه عليهم بالقراء والسنة والحكمة هي السنة المبينة مراد الله سبحانه * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الآية خطاب للمؤمنين الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء لانهم المراد فى تعضلوهن وبلوغ الاجل فى هذا الموضع تنذاهيه لان المعنى يقتضى ذلك وقد قال بعض الناس فى هذا المعنى ان المراد بتعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعنى به الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن الاولياء فالازواج هم الذين كن فى عصمتهم والعصل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال اعصلت الدجاجة اذا عسريضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الآية فى معقل بن يسار واختمه لما طلقها زوجها وتمت عدتها اراد ارتجاعها فمنعه ولي المرأة وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله واختمه وهذه الآية تقتضى ثبوت حق

الولي في انكاح وليته وقوله بالمعروف معناه المهر والاشهاد * وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الى خطاب الجماعة والاشارة في ذلكم اركبى الى ترك العسل واركبى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التى تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدى العسل الى الفساد والمخالطة على ما لا ينبغي والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر * قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن اولادهن خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الذنب لبعضهن فيجب على الام الارضاع ان كانت تحت ابيه او رجعية ولا مانع من علو قدر بغير اجر وكذلك ان كان الاب عديما او لم يقبل الولد غيرها وهذه الآيات فى المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين فى مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له * وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبني على ان الحولين ليسا بفرض لا يتجاوز وانتزع مالك رحمه الله وجاعة من العلماء من هذه الآية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان فى الحولين لان بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا رضاعة * ت * فلو كان رضاعه بعد الحولين بمدة قريبة وهو مستمر الرضاع او بعد يومين من فضاله اعتبر اذ ما قارب الشيء فله حكمه انتهى * وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الآية المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق فى هذا الحكم الطعام الكافى وقوله بالمعروف يجمع حسن القدر فى الطعام وجودة الاداء له وحسن الاقتضاء من المرأة ثم بين سبحانه ان الانفاق على قدر غنى الزوج بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضار والدته بضم الراء وهو خبر

معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل لا تضارر بكسر الراء الاولى فوالدة فاعلة
ويحتمل بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا
الحذف في الاحتمالين وقرأ نافع وحزرة والكسماى وعاصم لا تضار بفتح الراء وهذا
على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا في الاولى ومعنى الآية في كل قراءة النهي
عن الاضرار ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها في التفسير فهو مثال
* ت * وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار رواه مالك في الموطا مرسلًا قال النووي
في الحلية ورويناه في سنن الدارقطني وغيره من طرق متصلا وهو حسن
انتهى * وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجيع اصحابه
والشعبى والزهرى وجاعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك ان لا يضار واما
الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه قال * ع * فالاجاع من الامة
في ان لا يضار الوارث وانما الخلاف هل عليه رزق وكسوة ام لا * وقوله تعالى
فان ارادا فصلا الآية اي فان اراد الوالدان وفضالا معناه فطاما عن الرضاع
وتحرير القول في هذا ان فضله قبل الحولين لا يصح الا بتراضيهما وان لا يكون
على المولود ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل فذلك له الا ان يكون
في ذلك على الصبي ضرر * وقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
مخاطبة لجميع الناس يجمع الآباء والامهات اي لهم اتخاذ الظئر مع
الاتفاق على ذلك واما قوله اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا على احد
التاويلين في قراءة من قرأ أوتيتم وقرأ الستة من السبعة ماتيتم بالمعنى
اعطيتم وقرأ ابن كثير أوتيتم بمعنى فعلتم كما قال زهير

وما كان من خير اتوه فانما * توارثه ابااء ابااتهم قبل

فاحد التاويلين في هذه القراءة كالاول والتاويل الثانى لقتادة وهو اذا سلمتم ما

ءاتيتم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل واحد من الابوين ورضي وكان ذلك على اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف وعلى هذا الاحتمال يدخل النساء في الخطاب * ت * وفي هذا التأويل تكلف وقال سفيان المعنى اذا سلمتم الى المسترضعة وهي الظن اجرها بالمعروف وباقي الآية امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مجاز بحسب عملكم * وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم تعن الآية لما يشذ من مرتابة ونحوها وعدة الحامل وضع حملها عند الجمهور وروي عن علي وابن عباس اقصى الاجلين وبتربصن خبر يتضمن معنى الامر والتربص الصبر والتأني والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة ان التربص باحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطيب ونحوه والتزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك واصحابه وجعل الله تعالى اربعة اشهر وعشرا عبادة في العدة فيها استبراء للحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون والاربعون حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة اذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهر او كمالها او لسرعة حركة الجنين او ابطائها قاله ابن المسيب وغيره وقال تعالى وعشرا تغليباً لحكم الليالي وقرأ ابن عباس وعشر ليال قال جمهور العلماء ويدخل في ذلك اليوم العاشر * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من زينة واطراح الاحداد قاله مجاهد وغيره اذا كان معروفاً غير منكر قال

* ع * وجوه المنكر كثيرة وقوله سبحانه والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى علم الشيء . * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الآية تصريح بخطبة المعتدة حرام والتعريض جائز وهو الكلام الذى لا تصريح فيه او اكنتم معناه سترتم واخفيتم * وقوله تعالى ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال غيره معناه علم الله انكم ستذكرون النساء المعتدات فى نفوسكم وبالسنتكم فنهى عن ان يوصل الى التواعد معهن * ع * والسرى فى اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه والآية تعطى النهي عن ان يواعد الرجل المعتدة ان يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبير سرا اي نكاحا وهذه عبارة مخصصة واجعت الامة على كراهة المواعدة فى العدة * وقوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض كقول الرجل انكم لا كفاء كرام وما قُدِّرَ كان ونحو هذا * وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله عزم العقدة عقدها بالاظهار والولي وحينئذ تسمى عقدة * ت * والظاهر ان العزم غير العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب اجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذى جعل والقدر الذى رسم من المدة وقوله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروا الآية تحذير من الوقوع فيما نهى عنه وتوقيف على غفرة وحلمه * وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء اخبار برفع الجناح عن المطلق قبل البناء والجماع فرض مهرا او لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر بالتزوج طلبا للصمت والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين ان من طلق قبل البناء قد واقع جزءا من هذا المكروه فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك

إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب
لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها
وفرض المهر اثباته وتحديده وهذه الآية تعطى جواز العقد على التفويض لأنه نكاح
مقرر في الآية مبين حكم الطلاق فيه قاله مالك في المدونة والفريضة
الصادق * وقوله تعالى ومتعوهن أي أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن وحله ابن
عمر وغيره على الوجوب وحله مالك وغيره على الندب واختلف الناس في
مقدار المتعة قال الحسن يمنع كل على قدره هذا بخادم وهذا بأثواب وهذا بثوب
وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك * وقوله تعالى على الموسع قدرة وعلى
المقتدر قدرة دليل على رفض التحديد والموسع أي من اتسع حاله والمقتدر المقل
القليل المال ومتاعاً نصب على المصدر * وقوله تعالى بالمعروف أي لأجل فيه
ولا تكلف على أحد الجانبين فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع قدرة وعلى
المقتدر قدرة ثم أكد تعالى الندب بقوله حقاً على المحسنين أي في هذه النازلة
من التمتع هم محسنون ومن قال بأن المتعة واجبة قال هذا تأكيد للوجوب
أي على المحسنين بالإيمان والاسلام وحقاً صفة لقوله تعالى متاعاً * ت *
وظاهر الآية عموم هذا الحكم في جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعي وأحمد
وأصحاب الرأي والظاهر جل المتعة على الوجوب لوجوه منها صيغة الأمر ومنها
قوله حقاً ومنها لفظة على ومنها من جهة المعنى ما يترتب على امتناعها من جبر
القلوب وربما أدى ترك ذلك إلى العداوة والبغضاء بين المؤمنين وقد مال
بعض ائمتنا المتأخرين إلى الوجوب انتهى * وقوله تعالى وإن طلقتموهن من
قبل أن تمسوهن الآية اختلف في هذه الآية فقالت فرقة فيها مالك أنها مخرجة
للمطلقة بعد الفرض من حكم التمتع إذ يتناولها * قوله تعالى ومتعوهن

وقال قتادة نسخت هذه الآية التي قبلها وقال ابن القاسم في المدونة
كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وغير المدخول بها
بآية التي في سورة الاحزاب فاستثنى الله سبحانه المفروض لها قبل الدخول
بهذه الآية واثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى
ذلك في المدونة عن زيد بن اسلم زعما وقال ابن القاسم انها استثناء والتحرير يرد
ذلك الى النسخ الذي قال زيد لان ابن القاسم قال ان قوله تعالى
وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي فرض لها قبل المسيس
وقال فريق من العلماء منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الآية انما بينت
ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض اي مع متعتها وقرأ الجمهور فنصف بالرفع
والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم * وقوله تعالى الا ان يعفون استثناء منقطع
ويعفون معناه يتركون ويصفحون اي يتركون النصف الذي وجب لهن عند الزوج
وذلك اذا كانت المرأة تملك امر نفسها واختلف في المراد بقوله تعالى
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد ومالك وغيرهم هو
الولي الذي المرأة في حجرة وقالت فرقة الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج
فعلى القول الاول النذب في النصف الذي يجب للمرأة اما ان تعفو هي واما
ان يعفوليها وعلى القول الثاني اما ان تعفو اي ايضا فلا تاخذ شيئا واما ان
يعفو الزوج عن النصف الذي يُحط فيؤدى جميع المهر ثم خاطب تعالى الجميع
نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى اي يا جميع الناس وقرأ علي بن ابي طالب
وغیره ولا تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الاعلى
التشبيه * وقوله تعالى ولا تنسوا الفضل ندب الى المجاملة * وقوله ان
الله بما تعملون بصير خبر وضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن * قوله

تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الامة والآية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات في اوقاتها وبجميع شروطها وخرج الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امر بعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على م جلدتني قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبي وفي الحديث ان الصلاة ثلاثة اثلاث الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن اداها بحققها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله رواه النسائي انتهى من الكوكب الدرري وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد انه قال بلغني انه اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نُظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم اسند ابو عمر عن انس بن حكيم الضبي قال قال لي ابو هريرة اذا اتيت اهل مصر كنت فاخبرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة (١) فان اتمها ولا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك وفي رواية تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك انتهى وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله الصلوات لانه

اراد تشريفها واختلف الناس في تعيينها فقال علي وابن عباس وجاعة من الصحابة انها صلاة الصبح وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر وورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفي مصحف عائشة واملأ حفصة صلاة العصر وعلى هذا القول جمهور العلماء وبه اقول وقال قبيصة بن دويب هي صلاة المغرب وحكى ابو عمر بن عبد البر عن فرقة انها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله اولاً على الصلوات يعم النفل والفرص ثم خص الفرض بالذكر * وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه في صلاتكم واختلف في معنى قانتين فقال الشعبي وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت في القرآن فانما يُعنى به الطاعة وقاله ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك انهم كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية فامروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين فالقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح قال * ع * واحضار الخشية والفكر في الوقوف بين يدي الله سبحانه وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس * وقوله تعالى فان خفتهم فرجالا او ركبانا الآية امر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهذو الجوارح وهذا على الحالة الغالبة من الامن والطمأنينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة احيانا فرخص لعبيده في الصلاة رجالا متصرفين على الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوهما ايماء واشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في

حال المسايقة او من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملته فكل امر
يخاف منه على روجه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية واما صلاة الخوف بالامام
وانقسام الناس فليس حكمها في هذه الآية وسيأتى ان شاء الله في سورة النساء
والركبان جمع راكب وهذه الرخصة في ضمنها باجماع من العلماء ان يكون الانسان
حيث ما توجه ويتقلب ويتصرف بحسب نظره في نجاة نفسه * ت *
وروى ابو داود في سننه عن عبد الله بن أنيس قال بعثنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان وكان نحو عُرْنَتِه وَعُرْفَاتِه قال اذهب فاقتله
فرايته وقد خضرت صلاة العصر فقلت انى لا خاف ان يكون بينى وبينه ما
يؤخر الصلاة فانطلقت امشى وانا اصلى اومى ايماء نحوه فلما دنوت منه قال لى
من انت قلت رجل من العرب بلغنى انك تجمع لهذا الرجل فجئتك في
ذلك قال انى لفى ذلك فمشيت معه ساعة حتى اذا امكنتى علوته بسيفى
حتى برد انتهى وقد ترجم عليه باب في صلاة الطالب قال * ع *
واختلف الناس كم يصلى من الركعات والذى عليه مالک وجماعة انه لا ينقص
من عدد الركعات شيئاً فيصلى المسافر ركعتين واختلف المتأولون في قوله سبحانه
فاذا امنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى اذا زال خوفكم فاذكروا الله
سبحانه بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة اذكروا الله اي صلوا كما علمتم
صلاة تامة يعنى فيما يُستقبل من الصلوات * قوله تعالى والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين رفع بالابتداء
وخبره مضمرة تقديره فعليهم وصية لازواجهم وفي قراءة ابن مسعود كتب عليكم وصية
قالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة

كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا في مال الزوج ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع او بالثلث الذي في سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر وقاله ابن عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاولياء الميت ووارثي المنزل اخراجها وقوله تعالى فان خرجن الآية معناه ان الخروج اذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على احد ولي او حاكم او غيره فيما فعلن في انفسهن من تزويج وتزوين وترك اعداد اذا كان ذلك من المعروف الذي لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضي الوعيد بالנקمة لمن خالف احد في هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه * وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن ابي رباح وغيره هذه الآية في الثيبات اللواتي قد جوعن اذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة اللواتي لم يدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت مؤكدة لامر المتعة لانه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتنع فنزلت حقا على المتقين قال الطبري فوجب ذلك عليهم * قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا الآية هذه رؤية القلب بمعنى الم تعلم وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك انهم قوم من بنى اسرائيل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا في سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بنى اسرائيل وانهم كانوا اربعين الفا وثمانية آلاف وانهم اميتوا ثم احيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بنى اسرائيل الى اليوم

فامرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله قال * ع * وهذا القصص كله لين للاسناد وانما اللازم من الآية ان الله تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت بامانتهم الله ثم احياهم ليعلموا هم وكل من خلف بعدهم ان الامانة انما هي باذن الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي امره المؤمنين من امته محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبري وهو ظاهر رصف الآية والجمهور على ان اللفظ جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد في لفظة اللفظ انما معناها وهم مؤتلفون * وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الآية تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم وامرهم بالجهاد وان لا يجعلوا الحول والقوة الا له سبحانه حسبا امر جميع العالم بذلك فلم يشكروا نعمته في جميع هذا بل استبدوا ووطنوا ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اي فيجب ان يشكر الناس فضله سبحانه في ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايته بالاوامر والنواهي فيكون منهم المبادرة الى امتثالها لا طلب الخرج عنها وفي تخصيصه تعالى لأكثر دلالة على ان الأقل الشاكر * وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الآية الجمهور ان هذه الآية مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل الله وهو الذي يُنَوَى به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث وقال ابن عباس والصحاح الامر بالقتال هو للذين احبوا من بنى اسرائيل قال الطبري ولا وجه لهذا القول ثم قال تعالى من ذا الذي يقرض الله الآية فدخل في ذلك المقاتل في سبيل الله فانه يقرض رجاء ثواب الله كما فعل عثمان في جيش العسرة ويروى ان هذه الآية لما

نزلت قال ابو الدحداح يا رسول الله اوان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني قد اقرضته حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح فقال اخرجني فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم من عذق مذلل لابي الدحداح في الجنة واستدعاء القرض في هذه الآية وغيرها انما هو تأنيس وتقريب للفهم والله هو الغني الحميد قال ابن العربي في احكامه وكفى الله عز وجل عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا في الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتكم فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقينك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندى انتهى واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله خرج مخرج التشریف لمن كُني عنه وترغيبا لمن خوطب انتهى * وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرة وجودته وهذه الاضعاف الكثيرة الى السبع مائة التي رويت ويعطيها مثال السنبلة * ت * والحق الذي لا شك فيه وجوب الايمان بما ذكر المولى سبحانه ولا سبيل الى التحديد الا ان يشب في ذلك حديث صحيح فيصار اليه وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم والبخارى انظره عند قوله تعالى كمثل حبة قال * ع *

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ان يسعر بسبب غلاء خيف
على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض وانى لا رجوان القى الله ولا يتبعنى
احد بمظلمة فى نفس ولا مال قال صاحب سلاح المومن عند شرحه لاسمه تعالى
القابض الباسط قال بعض العلماء يجب ان يُقرن هذين الاسمين ولا يفصل
بينهما ليكون انبأ عن القدرة وادل على الحكمة كقوله تعالى والله يقبض ويبسط
واذا قلت القابض مفردا فكانك قصرت بالصفة على المنع والحرم ان اذا جمعت
اثبتت الصفتين وكذلك القول فى الخافض والرافع والمعز والمذل انتهى وما ذكره
عن بعض العلماء هو كلام الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى ولفظه القابض
والباسط الاحسن فى هذين الاسمين ان يقرن احدهما فى الذكر بالآخر ليكون
ذلك ادل على القدرة والحكمة ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض
ويبسط واذا ذكرت القابض منفردا عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرم
وذلك غير جائز وقوله المعز المذل وقد عرفت انه يجب فى امثال هذين ذكر
كل واحد منهما مع الآخر انتهى * قوله تعالى الم ترالى الملا من بنى اسرائيل
من بعد موسى آية هذه آية خبر عن قوم من بنى اسرائيل نالتهم ذلة وغلبة
عدو فطلبوا الاذن فى الجهاد وان يومروا به فلما امروا كع اكثرهم وصبر لاقل فنصرهم
الله وفى هذا كله مثال للمومنين ليحذروا المكروه منه ويقتدوا بالحسن والملا
فى هذه الآيات جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهو اصل اللفظة ويسمى لاشراف
الملا تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته * وقوله تعالى
لنبيء لهم قال ابن اسحاق وغيره هو شمويل بن بابل وقال السدي هو شمعون
وكانت بنو اسرائيل تغلب من حاربها وروي انها كانت تضع التابوت الذى
فيه السكينة والبقية فى ما زق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصت وظهرت

فيهم لاحداث وخالف ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى اقام امرهم بان يكون انبياءهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم امما من الكفرة فغلبوهم واخذ لهم التابوت في بعض الحروب فذل امرهم وقال السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما رأوا انه لا صلاطام وذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا في امرهم حتى اجتمع ملاهم على ان قالوا لنبيء الوقت ابعث لنا ملكا الآية وانما طلبوا ملكا يقوم بامر القتال وكانت المملكة في سبط من اسباط بنى اسرائيل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس في بيت المملكة من يقوم بامر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جمهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر واراد النبي المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم بقوله هل عسيتم ومعنى هذه المقالة هل انتم قريب من التولى والفرار ان كتب عليكم القتال * ص * لنبيء متعلق بقالوا واللام معناها التبليغ انتهى ثم اخبر تعالى انه لما فرض عليهم القتال تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم الا قليلا منهم وهذا شان الامم المتنعة المائلة الى الدعة تتمنى الحرب اوقات السعة فاذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم تواعد سبحانه الظالمين في لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين * وقوله تعالى وقال لهم نبيئهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال وهب بن منبه وكان طالوت رجلا دباغا وقال السدي سقاء وكان من سبط بنيامين وكان سبطا لا نبوة فيه ولا ملك ثم ان بنى اسرائيل تعنتوا وحادوا عن امر الله وجروا على سننهم فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من

المال اي لم يوت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال ويغلب به اهل الانفة قال
ع * وترك القوم السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاؤه السابق وانه مالک
الملك فاحتج عليهم بنبيهم بالحجة القاطعة وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفا
طالوت ببسطته في العلم وهو ملاك الانسان والجسم الذى هو معينه في الحرب
وعُدته عند اللقاء واصطفى ماخوذ من الصفوة والجمهور على ان العلم في هذه الآيه
يراد به العموم في المعارف وقيل المراد علم الحرب واما جسمه فقال وهب بن
منبه ان اطول رجل في بنى اسرائيل كان يبلغ منكب طالوت * ت *
قال ابو عبيد الهروي قوله وزاده بسطة في العلم والجسم اي انبساطا وتوسعا في
العلم وطولا وتاما في الجسم انتهى من شرحه لغريبي القزوان واحاديث النبي
عليه السلام ولما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجداهم تم كلامه بالقطع الذى
لا اعتراض عليه وهو قوله والله يوتى ملكه من يشاء وظاهر اللفظ انه من قول نبيهم
عليه السلام وذهب بعض المتأولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولاول اظهره واسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول النبي لهم
ان آية ملكه فان الطبرى ذهب الى ان بنى اسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما
آية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله ان الله
بعثه قال ع * ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التعليل
والتنبيه على هذه النعمة التى قرن بها بملك طالوت دون تكذيب منهم لنبيهم
وهذا عندى اظهر من لفظ الآيه وتاويل الطبرى اشبه باخلاق بنى اسرائيل الذميمة
فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبرى معناه عن ابن عباس
وغیره واختلف في كيفية اتيان التابوت فقال وهب لما صار التابوت عند القوم
الذين غلبوا بنى اسرائيل وضعوه في كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصيح

منكسة فجعلوه في قرية قوم فاصاب اولئك القوم اوجاع فقالوا ما هذا الا لهذا
التابوت فلنرده الى بنى اسرائيل فاخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها
ببقرتين فارسيلوهما في الارض نحو بلاد بنى اسرائيل فبعث الله ملائكة تسوق
البقرتين حتى دخلتا به على بنى اسرائيل وهم في امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال
قتادة والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية
ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت فحملته الملائكة في الهواء حتى
وضعه بينهم فاستوثقت بنو اسرائيل عند ذلك على طالوت وقيل غير هذا والله
اعلم * وقوله تعالى فيه سكينه من ربكم الآية قال ابن عباس السكينه طست من
ذهب من الجنة وقال مجاهد السكينه لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب وقال
عطاء السكينه ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة سكينه من ربكم اي
وقار لكم من ربكم قال * ع * والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاصله
من بقايا الانبياء واثارهم تسكن الى ذلك النفوس وتأنس به ثم قرر تعالى ان مجيء
التابوت اية لهم ان كانوا ممن يؤمن ويبصر * ت * وهذا يؤيد تاويل
الطبرى المتقدم * وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الآية اي لما اتفق ملائم
على تملك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القطر وفصل حال السفر من حال
الاقامة قال السدى وغيره وكانوا ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم
فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبته شهوته
في الماء وصى الامر فهو بالعيان في الشدائد اخرى ورخص للطيعين في الغرفة
ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال
* ت * ولقد احسن من شبه الدنيا بنهر طالوت فمن اغترف منها غرفة بيد
الزهد واقبل على ما يعنيه من امر اخرته نجا ومن اكب عليها صدته عن التأهب

آخِرته وقلت سلامته لا ان يتداركه الله قال ابن عباس وهذا النهر بين الاردن وفلسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين قال * ع * وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه باخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله اليه طالوت فحرب به جنده وهذه النزعة واجب ان تقع من كل متولى حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع وبين ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شطف العيش الذين هم في غير الرفاهية وقوله فليس منى اي ليس من اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق الجيوب ولطم الحدود وفي قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل في لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه * ص * الا من اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله فمن شرب منه فليس منى اي الا من اغترف غرفة بيده دون الكرع فهو منى والاستثناء اذا تعقب جلتين فاكثرا مكن عوده الى كل منها فليل يعود على الاخيرة وقيل الى الجميع وقال ابو البقاء ان شئت جعلته من من الاولى وان شئت من من الثانية وتُعقب بانه لو كان استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه منى للزم ان يكون من اغترف غرفة ليس منه لان الاستثناء من الاثبات نفى ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم الاغتراف والظاهر عوده الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من شربه فليس منه فهم من ذلك ان من لم يشرب منه فانه منه انتهى ثم اخبر تعالى ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه روي عن ابن عباس وغيره ان القوم شربوا على

قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيأ واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة * وقوله تعالى فلما جاوزة هو والذين ءامنوا معه الآية اكثر المفسرين على انه انما جاوز النهر من لم يشرب لا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كع وقليل صمم وهم عدة اهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا * وقوله تعالى قالوا لا طاقة لنا على جهة الفشل والآلاف الباقية مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة لنا على جهة الفشل والفرع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع الى الله تعالى وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا القول اليقين والفئة الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الآية تحريض بالمثال وحض واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه والله مع الصابرين بنصرة وتأييده * وقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الآية برزوا معناه صاروا في البراز وهو الافيج من الارض المتسع والافراغ اعظم الصب وكان جالوت امير العمالقة وملكهم وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايش وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لا ذهبن لروية هذه الحرب فلما نهض مرفى طريقه بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر اخر ثم اخر ثم اخر فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الباس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت من برز له ويقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالى فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب

فرسى وخذ سلاحى ففعل وخرج فى احسن شكة فلما مشى قليلا رجع فقال
الناس جبن الفتى فقال داود ان الله سبحانه ان لم يقتله لى ويعيننى عليه لم
ينفعنى هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكنى احب ان اقاتله على عادتى قال وكان
داود من ارمى الناس بالمقلع فنزل واخذ مخلاته فنقلدها واخذ مقلعه فخرج الى
جالوت وهو شاك فى السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج اليى قال نعم
قال هكذا كما يُخرج الى الكلب قال نعم وانت اهون قال لا طعمن اليوم لحمك
الطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلعه وادخل يده الى الحجارة فروي انها
التأمت فصارت واحدا فأخذه ووضعها فى المقلع وسمى الله واداره ورماه فاصاب
به راس جالوت فقتله وحز راسه وجعله فى مخلاته واختلط الناس وجل اصحاب
طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان
بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاء
الجحراجة الذين يوذون الناس وتحببىنى بغلفهم وطعم طالوت ان يعرض داود
للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها
اليه طالوت وعظم امر داود فيروى ان طالوت تخلى له عن الملك وصار هو
الملك وقد اكثر الناس فى قصص هذه الآيه وذلك كله لىن الاسانيد فلذلك
انتقيت منه ما تنفك به الآيه ويعلم به مناقل النازلة واما الحكمة التى اتاه
الله فيها النبوة والزبور وعلمه سبحانه صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من
انواع علمه صلى الله على نبينا وعليه * وقوله تعالى ولو لا دفاع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض الآيه اخبر الله سبحانه فى هذه الآيه انه لو لا دفعه
بالمؤمنين فى صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها
ولكنه سبحانه لا يخلى الزمان من قائم بحق وداع الى الله الى ان جعل ذلك

في امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا * ص * ولكن استدراك
بائبات الفضل لله سبحانه على جميع العالمين لما يتوهمه من يريد الفساد ان الله
غير متفضل عليه اذ لم يبلغه مقاصده واحتيج الى هذا التقدير لان لكن تكون بين
متنافيين بوجه ما انتهى ولاشارة بتلك الى ما سلف من القصص والانباء وفي هذه
القصة بجملتها مثال عظيم للمؤمنين ومعتبر وقد كان اصحاب نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضى تقوية
النفوس والثقة بالله سبحانه وغير ذلك من وجوه العبر * قوله سبحانه
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء والرسل خبره
ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة
ونص الله سبحانه في هذه الآية على تفصيل بعض النبيئين على بعض من غير
تعيين وقوله تعالى ورفع بعضهم درجات قال مجاهد وغيره هي اشارة الى نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التي لم
يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات الى غير ذلك
مما اعطاه من الخلق العظيم ومن معجزاته وابهراء اياته ويحتمل اللفظ
ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت اياته وبيئات عيسى
عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكهم والابرص وخلق الطير من الطين وروح
القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه * وقوله تعالى ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم الآية معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس بعد
كل نبي فمنهم من آمن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك
كله بقضاء وقدر واردة من الله سبحانه ولو شاء الله خلاف ذلك لكان ولكنه المستأثر
بسر الحكمة في ذلك وهو الفعال لما يريد سبحانه * ص * ولو شاء الله

ما اقتتل قيل في الكلام حذف اي فاختلف امهم فاقبتلوا ولو شاء الله فمفعول
شاء محذوف اي ان لا يقتتلوا انتهى وقوله ما اقتتلوا اي بان قاتل المومنون
الكافرين على مر الدهر وذلك هو دفاع الله الناس بعضهم ببعض * قوله تعالى
يا ايها الذين ءامنوا انفقوا مما رزقناكم الآية قال ابن جريج هذه الآية تجمع
الزكاة والتطوع اي وجيع وجوه البر من سبيل وصلة رحم وهذا كلام صحيح لكن
ما تقدم من الآيات في ذكر القتال يرجح ان هذه النفقة في سبيل الله ويقوى
ذلك قوله والكافرون هم الظالمون اي فكافحهم بالقتال بالانفس وانفاق
الاموال مما رزقناكم وهذا غاية الانعام والتفصل منه سبحانه ان رزق ثم ندب
لِلنَّفَقَةِ مما به انعم وحذر سبحانه من الاسساك الى ان ياتي يوم لا يمكن فيه بيع
ولا شراء ولا استدراك نفقة في ذات الله تعالى اذ هي مبايعة اذ البيع فدية لان
المرد قد يشتري نفسه ومراة بماله فكان معنى الآية ان لا فدية يوم القيامة ولا خلة
نافعة واهل التقوى في ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها
* ت * وفي قوله غير محتاج اليها قلق ولا شفاعة يومئذ لا لمن اذن له سبحانه
فالمنفي مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة بغير اذن المشفوع عنده قال
عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم
الكافرون * وقوله تعالى لا اله الا هو الحي القيوم الآية هذه الآية سيدة اي
القروان وورد في الحديث انها تعدل ثلث القرآن وورد ان من قرأها اول ليله
لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها اول نهاره وهي متضمنة التوحيد والصفات
العلی وعن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك
ان تسمعي ما اوصيتك به تقولين اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه

النساءى واللفظ له والحاكم فى المستدرک على الصحيحين وقال صحيح على شرط
الشيخين يعنى البخارى ومسلما انتهى من السلاح وعن ابن مسعود ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
رواه الحاكم فى المستدرک وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذى من حديث انس
والنساءى من حديث ربيعة بن عامر انتهى من السلاح والله مبتدأ ولا اله مبتدأ
ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود وقيوم بناء مبالغة اي هو القائم على
كل نفس بما كسبت بهذا المعنى فسرہ مجاهد والربيع والضحاك ثم نفى
عز وجل ان تاخذہ سنة او نوم وفى لفظ لاخذ غلبة ما فلذلك حسنت فى هذا
الموضع بالنفى والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم هو المستثقل
الذى يزول معه الذهن والمراد بالآية التنزيه انه سبحانه لا تدركه افة ولا يلحقه
خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقیم هذا المذكور من الآفات
مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ولا تقل لهما اف * ت *
وبيانه انه اذا حرم التأفيف فاحرى ما فوqe من الشتم والضرب فى حق الابوين
وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى (١) عن موسى على
المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا
ثم اعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وامره بان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد
يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احدهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت
يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان لو كان ينام لم تستمسك
السماء والارض * وقوله تعالى له ما فى السماوات وما فى الارض اي بالملك

(١) فى البحر المحيط لابی حيان ما نصه قال بعض معاصرينا هذا حديث وضعه
الحشوبة ومستحيل ان يسأل موسى ذلك عن نفسه او عن قومه لان المومن
لا يتشكك فى ان الله ينام او لا ينام فكيف الرسل اھ من هامش بعض النسخ

فهو مالك الجميع وربّه ثم قرر ووقف تعالى من يتعاطى ان يشفع لا باذنه اي
بامره * ص * من ذا الذى يشفع عنده من مبتدأ وهو استفهام معناه النفي
ولذا دخلت لا فى قوله لا باذنه والخبر ذا والذى نعت لذا او بدل منه وهذا على
ان ذا اسم اشارة وفيه بعد لان الجملة لم تستقل بمن مع ذا ولو كان خبرا
لاستقل ولم يحتاج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام انتهى قال
مجاهد وغيره ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة وهذا صحيح فى نفسه عند
موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما تقدم للانسان وما خلفه هو كل ما ياتى
بعده ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعص
ومعنى الآية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه قال ابن عباس كرسى عليه الطبرى
ومنه الكراسى قال * ع * والذى تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق
عظيم بين يدي العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما السماوات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى ترس وقال ابو ذر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من
حديد القيت فى فلاة من الارض وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله سبحانه
والمستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يشوده حفظ هذه المخلوقات
العظيمة ولا يشوده معناه لا يشقله ولا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي
يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله سبحانه منزّه عن التحيز وكذا العظيم
هو صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الاجرام ومن سلاح المومن قال وعن
ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي فى دبر كل
صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النسائي عن
الحسين بن بشر عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهاني عن ابى امامة

فاما الحسين فقال فيه النسائي لا باس به وقال في موضع اخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما المحمّدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه وقد اخرج شيخنا الحافظ ابو محمد الدميّاطي رحمه الله الحديث في بعض تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي وعبد الله بن عمرو والمغيرة وجابر وانس قال واذا ضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت قوة انتهت من السلاح وقد اخرج البخاري والنسائي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذة الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الآية وفيه انه انما قرأها حين تناوى الى فراشك لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول نحو حديث ابي هريرة قال الغزالي ما معناه انما وصفت بكونها سيدة اي القروان لاشتمالها على اسم الله الاعظم وهو الحي القيوم قاله في الجواهر واسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم عن غالب القطان قال مكثت عشرين اذعوا الله ان يعلمني اسمه الاعظم الذي اذا دعيت به اجاب واذا سئل به اعطى فأتاني ايات في منامي ثلاث ليال متواليات يقول يا غالب قل يا فارح الهم ويا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجزا للوعد يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم * قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد ابن اسلم ان هذه الآية مكية وانها من ايات المواعدة التي نسختها اية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الآية محكمة خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والآيات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رُشدا ورشدا والغني مصدر من غوى يغوى اذا صل

في معتقد او رأي ولا يقال الغي في الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى واختلف في معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب وغيره هو الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت * ع * وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود واما من لا يرضى ذلك فهي طاغوتا في حق العبدّة قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال السدى الاسلام وقال ابن جبير وغيره لا اله الا الله قال * ع * وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد والانقسام الانكسار من غير بينونة وقد يجيء بمعنى البينونة والتقصم كسر بالبينونة * ت * وفي الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الوحي ياتيني احيانا في مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ علي فيفصم عني وقد وعيت قال ابو عمر في التمهيد قوله فيفصم عني معناه ينفرج عني ويذهب كما تفصم الخخال اذا فتحت لتخرجه من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها قال الله عز وجل فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانفصام العروة ان تنفك عن موضعها واصل الفصم عند العرب ان تفك الخخال ولا يبين كسره فاذا كسره فقد قصمته بالقاف انتهى ولما كان الايمان مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سمع من اجل النطق وعليه من اجل المعتقد * قوله سبحانه الله ولي الذين ءامنوا الآية الولي من ولي فاذا لازم احد احدا بنصرة ووده واهتباله فهو وليه هذا عرفه لغة ولفظ الآية مترتب في الناس جميعا وذلك ان من ءامن منهم فالله وليه اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانته ومغويه اخرجه من الايمان اذ هو معتد واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت في هذه الآية يقتضى انه اسم جنس ولذلك

قال اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع * قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم
فى ربه آية الم تر تنبيه وهي رؤية القلب والذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن
كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو اول من
تجبروه وصاحب الصرح ببابل قيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين
والآخر بخت نصر وقيل ان النمروذ الذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن فالخ وفى
قصص هذه المحاجة روايتان احدهما ذكر زيد بن اسلم ان النمروذ هذا قعد يامر
للناس بالميرة فكما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء
ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربي الذى يحيى
ويميت فلما سمعها نمروذ قال انا احيى واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبهت
الذى كفرو وقال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كتيب رمل
كالدقيق فقال لوملأت غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر
لها فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلوا يلعبان فوق الغرارتين
ونام هو من الاعياء فقالت امرأته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه
ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحواري فخبزته فلما
قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا قالت من الدقيق الذى سقت فعلم
ابراهيم ان الله يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره فى هذا القصص ان النمروذ
لما قال انا احيى واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر وقال قد
احييت هذا وامت هذا فرد عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى ذكر
السدي انه لما خرج ابراهيم من النار وادخل على الملك قال له من ربك
قال ربي الذى يحيى ويميت يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة
* وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم

وامته والمعنى لا يرشدهم في حجبهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدى بعض الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان * قوله تعالى او كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطف او في هذه الآية على المعنى الذى هو التعجب فى قوله الم تر الى الذى حاج قال ابن عباس وغيره الذى مر على القرية هو عزيز وقال وهب بن منبه وغيره هو ارميا قال ابن اسحاق ارميا هو الخضر وحكاة النقاش عن وهب بن منبه واختلف فى القرية ما هي فقيل الموتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلي والعريش سقف البيت قال السدى يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه خاوية من الناس وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تحوى خواء وخويا ويقال خويت قال الطبرى والاول افسح قال * ص * وهي خاوية فى موضع الحال من فاعل مر او من قرية وعلى عروشها قيل على بابها والمعنى خاوية من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والمجرور على هذا يتعلق بمحذوف وهو ثابتة وقيل يتعلق بخاوية والمعنى وقعت جدرانها على سقفها بعد سقوط السقف انتهى وقد زدنا هذا المعنى وضوحا فى سورة الكهف والله الموفق بفضلته وقوله انى يحيى هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة او سكان فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينة اجتهد ويحتمل ان يكون سؤاله انما كان عن احياء الموتى فضرب له المثل فى نفسه وحكى الطبرى عن بعضهم ان هذا القول منه شك فى قدرة الله على الاحياء قال * ع * والصواب ان لا يتأول فى الآية شك وروي فى قصص هذه الآية ان بنى اسرائيل لها

اجدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس
وخزبه فلما ذهب عنه جاء عزيز اوارميا فوقف على الهدينة معتبرا فقال انى
يحي هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه جار قد ربطه بحبل جديد وكان
معه سلة فيها تين هو طعامه وقيل تين وعنب وكانت معه ركوة من خمر وقيل من
عصير وقيل قلة من ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت
عظامه هو وحمارة وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزيز * وقوله
تعالى ثم بعثه معناه احياه فسأله الله تعالى بوساطة الملك كم لبثت على جهة
التقرير فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته الله
غدوة يوم ثم بعثه قرب الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى
بقية من الشمس فحشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت
مائة عام وقوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير
* ت * قال البخارى فى جامعه يتسنه يتغير واما قوله تعالى وانظر الى
حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى انظر الى اتصال عظامه واحيائه جزوا
جزوا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما
حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنسفخ فى انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي
عن الضحاك وهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما
فى مربوطه لم يصبه شيء مائة سنة قالا وانما العظام التى نظر اليها عظام نفسه
واعمى الله العيون عنه وعن حمارة طول هذه المدة وكثر اهل القصص
فى صورة هذه النازلة تكثيرا اختصرته لعدم صحته * وقوله تعالى ولنجعلك اية
للناس قال * ع * وفى اماتته هذه المدة ثم احيائه اعظم اية وامره كله اية للناس غابر
الدهر * ت * قال ابن هشام لا يصح انتصاب مائة باماته لان الامانة سلب الحياة

وهي لا تمتد وإنما الوجه أن يضمن أماته معنى أَلْبَسَهُ فكانه قيل فالبشّة الله بالموت
مائة عام وحينئذ يتعلق به الظرف انتهى من المغنى ومعنى ننشرها اي نحسيها
وقرأ حزة وغيره ننشرها ومعناه نرفعها اي ارتفاعا قليلا قليلا فكانه وقف على نبات
العظام الرفات وقال النقاش ننشرها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير
* وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم المعنى قال هو اعلم ان الله على كل شيء
قدير وهذا عندى ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبرى بل هو قول بعته
لاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا رأى شيئا غريبا من قدرة الله لا اله الا الله
ونحو هذا واما قراءة حزة والكسائى قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم فتحتمل
وجهين احدهما قال الملك له اعلم وقد قرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم
والوجه الثانى ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبى المنفصل اي قال لنفسه
اعلم وامثلة هذا كثيرة * قوله تعالى واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى
قال اولوتومن قال بلى الآية قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا
فى احياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة واما قول النبي صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه ان لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن
لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفى
الشك عن ابراهيم والذى روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك
محض لايمان انما هو فى الخواطر الجارية التى لا تثبت واما الشك فهو
توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفى عن الخليل
صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم اعلم بذلك
يدلك على ذلك قوله ربي الذى يحيى ويميت والشك يبعد على من ثبت
قدمه فى الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر

ومن الصفات التي فيها رذيلة اجاعا واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الآية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو عن حال شيء موجود ومتقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الشوب فكيف في هذه الآية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي كأنه يقول افرض انك ترفعه ارني كيف فلما كان في عبارة الخليل صلى الله عليه وسلم هذا الاشتراك المجازي خلص الله سبحانه ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له اولم تومن قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة * ت * قال الداودي وعن ابن جبير اولم تومن بالخلعة قال مجاهد والنخعي ولكن ليطمئن قلبي اي ازداد ايمانا الى ايماني وعن قتادة لازداد يقينا انتهى قال * ع * وقوله تعالى اولم تومن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها الف التقرير وقال * ص * الهمزة في اولم تومن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وكقوله * الستم خير من ركب المطايا * اي قد شرحنا لك صدرك وانتم خير وقول ابن عطية الواو للحال دخلت عليها الف التقرير متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف انتهى وليطمئن معناه ليسكن فطمأنينة القلب هي ان تسكن فكرة في الشيء المعتقد والفكر في صورة الاحياء غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها

بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين فتذهب فكرة في صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك اما الدابة الماكولة في تاويل واما قول النمرود انا حي واميت في تاويل . اخروروي ان الاربعة التي اخذ ابراهيم عليه السلام هي الديك والطاوس والحمام والغراب قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي فروي انه اخذها عليه السلام حسب ما امر وذاها ثم قطعها قطعاً قطعاً صغاراً وجمع ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزاً على كل جبل ووقف هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رموس الطير في يده ثم قال تعالى باذن الله فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التأمت كما كانت اولاً وبقيت بلا رموس ثم كرر النداء فجاءته سعياء حتى وضعت اجسادها في رموسها وطارت باذن الله تعالى وقوله تعالى فصرهن يقال صرت الشيء صورة بمعنى قطعته ويقال ايضاً صرت الشيء بمعنى املته وقد تأول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة وقد قال ابن عباس وغيره في هذه الآية صرهن معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن ابي رباح صرهن اضمعن وقال ابن زيد معناه اجمعهن وعن ابن عباس ايضاً اوثقهن وقرأ قوم فصرهن بضم الصاد وشد الراء كانه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير * قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم في الآية بيان شرف النفقة في سبيل الله وتحسينها وضمنها التحريض على ذلك وهذه الآية في نفقة التطوع وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين وعلى الملة واشهرها واعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما يزرعه ابن ادم واشهر ذلك البر وقد يوجد في سنبلة اقمح ما فيه مائة حبة واما

في سائر الجيوب فاكثروا وقد ورد القرآن بان الحسنه بعشر امثالها واقتضت الآيه ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائه ضعف وبين ذلك الحديث الصحيح واختلف في معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقل هي مبينه ومؤكد لها تقدم من ذكر السبع مائه وقالت طائفة من العلماء بل هو اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبعمائه ضعف * ت * وارجح الاقوال عندى قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائه ضعف الى اضعاف كثيرة الحديث رواه مسلم والبخارى بهذه الحروف انتهى وقال ابن عمر لما نزلت هذه الآيه قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتى فنزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآيه فقال رب زد امتى فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الآيه حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين وكمثل ذى حبة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم في الآيه التى قبلها ذكر فضل الانفاق في سبيل الله على العموم بين ان ذلك انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق في سبيل الله انما يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذى متى اخلفه ظنه من بالانفاق ما اذى اذ لم يكن انفاقه مخلصا لوجه الله فالمن والاذى مبطلان للصدقة وهما

كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتشريع بها
والأذى السب والشكوى وهو أهم من المن لأن المن جزء من الأذى ولكنه نص
عليه لكثرة وقوعه وقال زيد بن اسلم لئن طننت أن سلامك يشغل على من
انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا أبا اسامة دلني
على رجل يخرج في سبيل الله حقاً فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه فان عدى
اسهما وجعبة فقال لها لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل أن
تعطيهم وتضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنه الخوف
لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط بآخرته * ت *
ومما جاء من صحيح الآثار في هذا الباب ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب
عن حيد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي من ابواب الجنة يا عبد
الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل
الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة
ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على
من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها
قال نعم وارجو أن تكون منهم قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث
من الفقه الحنفي على الانفاق في سبيل الخير ومعنى زوجين اي شئيين من
نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قيصين هكذا قال اهل العلم
وفيه أن من أكثر من شيء عرف به ونسب اليه لا تری الى قوله فمن كان من
اهل الصلاة يريد من أكثر منها فنسب اليها لأن الجميع من اهل الصلاة وكذلك
من أكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى والريان فعلاً من الري ومعنى

الدعاء من تلك الابواب اعطاؤه ثواب العاملين تلك الاعمال وفيه ذلك
والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا يعنى متعددة بحسب الاعمال انتهى وروى ابن
ابى شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من
ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل هذا لفظه على ما نقله صاحب الكوكب
الدرى انتهى * قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتائيس والترجيئة
بما عند الله خير من صدقة هي فى ظاهرها صدقة وفى باطنها لاشي لان ذلك
القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها والمغفرة الستر للخلعة وسوء حالة
المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل
ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء لاكتساب يمنع من الانتساب * وقال النقاش
يقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ اوجفا اذا حُرِمَ ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة
من هذه حاله وحلمه عن من يقع منه هذا وامهاله * وحدث الجوزى
فى صفوة الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان الصحابي رضى الله عنه قال
لما كف بصرة جعل خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده مكتلا فيه تمر
وغير ذلك فكان اذا سأل المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك
الخيط حتى ياخذ الى باب الحجره فيناول المسكين فكان اهلهم يقولون نحن
نكفيك فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مناولته المسكين
تقى ميتة السوء انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى الآية * العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور
العلماء فى هذه الآية ان الصدقة التى يعلم الله من صاحبها انه يمن بها او يوذى
فانها لا تتقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك عليها اماره فهو لا يكتبها قال

* ع * وهذا حسن لان المان الموزي لم تكن نيته خالصة لله سبحانه فلم تترتب له صدقة فهذا هو البطلان بالمان والاذى وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية * ثم مثل الله سبحانه هذا الذى يمن ويؤذى بحسب مقدمة نيته بالذى ينفق رياء لا لوجه الله والرياء مصدر من فاعل من الرؤية كان الرياء تظاهروا وتفاخر بيس من لا خير فيه من الناس * قال المهدوى والتقدير كابطال الذى ينفق رياء * وقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يحتمل ان يريد الكافر او المنافق اذ كل منهما ينفق ليقال جواد ثم مثل سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب فيظنه الطان ارضا منبنتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المرامى لها قدر او معنى فاذا اصاب الصفوان وابل من المطرانكشف ذلك التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المرامى اذا كان يوم القيامة وحضرت الاعمال انكشف سره وظهر انه لا قدر لصدقاته ولا معنى والصفوان الحجر الكبير لا ملس والوابل الكثير القوي من المطر وهو الذى يُسَيِّل وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذى لا شيء فيه ويستعار للرأس الذى لا شعريه * وقوله تعالى لا يقدرון يريد الذين ينفقون رياء اي لا يقدرون على الانتفاع بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص ويحتمل لا يهديهم فى كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل لا يهديهم فى صدقاتهم واعمالهم وهم على الكفر * وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الآية من اساليب فصاحة القروان انه ياتى فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضها على الذهن ولما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المومنين عن واقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقب فى هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين بذلوا صدقاتهم على وجهها

في الشرع فضرِب لها مثلا وتقدير الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل
غارِس جنة او تقدر الاضمار في اخر الكلام دون اضمار في اوله كانه قال كمثل
غارِس جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر في موضع الحال وتثبيتا مصدر
ومرضات مصدر من رضي وقال * ص * ابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما
مفعول من اجله وقاله مكِّي ورده ابن عطية بان ابتغاء لا يكون مفعولا من اجله
لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح في تثبيت ان يكون مفعولا من اجله لان الانفاق
ليس من اجل التثبيت * واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت
الشواب اي وتحصيلا لانفسهم الشواب على تلك النفقة فيصح ان يكون
مفعولا من اجله ثم قال ابو حيان بعد كلام والمعنى انهم يشتبون من انفسهم على
الايمان وما يرجونه من الله تعالى بهذا العمل انتهى * قال قتادة وغيره
وتثبيتا معناه ويقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متأكدة فهي تثبتهم على الانفاق
في طاعة الله تثبيتا وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يشتبون
اين يصعبون صدقاتهم قال الحسن كان الرجل اذا هم تثبت فان كان ذلك
له امضاء وان حاله شيء امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى الذي
ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارته وتثبيتا فان قال محتج ان هذا من المصادر
التي خرجت على غير الصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله
انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر الصدر
والانصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع انصاح بفعل فليس لك ان
تأتي بمصدر في غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له
ذكر هذا مبهع كلام العرب فيها علمت والزبوة ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا
معنى الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه وما كان كذلك فنباته احسن

ولفظ الربوة مأخوذ من ربا يربو إذا زاد واءت معناه اعطت والاكل بضم الهمزة
الشمر الذى يؤكل والشيء المأكول من كل شيء يقال له اكل واصافته الى
الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن
بها ويُحزَر من مثلها * ثم أكد سبحانه مدح هذه الربوة بانها ان لم يصيبها
وابل فان اطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق
من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة فشبه سبحانه نمو نفقات هؤلاء
المخلصين الذين يربى الله صدقاتهم كتربية الفلأوالفصيل حسب الحديث
بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان وفي قوله
تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعد * وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له
جنة من نخيل واعناب الآيتة حكى الطبرى عن ابن زيد انه قرأ قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الآيتة ثم قال ضرب الله في ذلك
مثلا فقال ايود احدكم والآيتة وهذا بين وهو مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس
هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمرة بعمل اهل الخير فاذا فني
عمرة واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك عمر منه
رضي الله عنه وروى ابن ابى مليكة عن عمر نحوه * ع * فهذا نظر
يحمل الآيتة على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره ونقل
الثعلبى عن الحسن قال قلّ والله من يعقل هذا المثل شيخ كبر سنه وضعف
جسمه وكثر عياله افقر ما كان الى جنته واحدكم افقر ما يكون الى عمله اذا
انقطعت الدنيا عنه انتهى وهو حسن جدا وقال ابو عبد الله اللخمي في
مختصره لتفسير الطبرى وعن قتادة هذا مثل فاعقلوا عن الله امثاله هذا رجل
كبرت سنه ورق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته احوج ما يكون اليها يقول

ايحب احدكم ان يضل عنه عمله يوم القيامة احوج ما يكون اليه وعن الحسن نحوه انتهى وخص الاعناب والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر والواو في قوله واصابه واو الحال وكذلك في قوله وله وضعفاء جمع ضعيف والاعصار الريح الشديدة العاصفة التي فيها احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد وكل ذلك من فيسح جهنم ولعلكم ترج في حق البشري اذا تأمل من بئين له هذا البيان رُجي له التفكير وكان اهلا له وقال ابن عباس تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الآية هذا خطاب لجميع امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة امر بالانفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة او التطوع والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الذنب وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردىء وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث اي الحرام * ع * وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية لا من معناه في نفسه وكسبتم معناه كانت لكم فيه سعاية ومما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم التصد وقال الجرجاني قال فريق من الناس ان الكلام تم في قوله الخبيث ثم ابتدأ خبرا آخر فقال تنفقون منه وانتم لا تأخذونه الا اذا اغضتم اي ساهلتم قال * ع * كأن هذا المعنى عتاب للنفس وتقريع وعلى هذا فالضمير في منه عائد على الخبيث قال الجرجاني وقال فريق آخر بل الكلام متصل الى قوله فيه وعلى هذا فالضمير في

منه عائد على ما كسبتم كانه في موضع نصب على الحال والمعنى في الآية فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لانفسكم واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم فمن تقرب وطلب ثبوتة فليفعل ذلك بماله قدر * ت * وهذا يقوى القول بانها في الزكاة المفروضة وحيد معناه محمود * وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الآية هذه الآية وما بعدها وان لم تكن امرا بالصدقة فهي جالبة النفوس الى الصدقة بين عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكر ثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكر بتفصله بالحكمة وائسنى عليها ونبه ان اهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الانفاق في طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذرو في ذلك وعد ووعد ثم بين الحكم في الاعلان والاخفاء وكذلك الى اخر المعنى والوعد في كلام العرب اذا اطلق فهو في الخير واذا قيد بالموعد فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بذكره والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للشيطان لمة من ابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فابعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فابعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد لاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية قلت هذا حديث صحيح خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب صحيح والمغفرة هي الستر على عبادة في الدنيا والآخرة والفصل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي ان في التوراة عبدى انفق من رزقى ابسط عليك فضلى فان يدى مبسطة على كل يد مبسطة وفي القرآن مصداقه وهو ما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير

الرازقين * ت * روى الطبرانى سليمان بن أحمد بسنده عن عبد الله ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بقده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة مائة عام انتهى وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم اخرجه ابوداود من حديث ابي خالد هو الدولاني عن نبيح وقد وثق ابوحاتم ابا خالد وسئل ابو زرعة عن نبيح فقال هو كوفي ثقة انتهى من الالمام في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد وواسع لانه وسع كل شىء رحمة وعلما * يوتى الحكمة أي يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتقان في عمل او قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه السلام حكمة وكل ما ذكره المتأولون فيها فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس قال الامام البخاري شرحه لاسماء الله الحسنى قال المحققون العلماء ثلاثة علماء باحكام الله فقط وهم العلماء اصحاب الفتوى وعلماء بالله فقط وهم الحكماء وعلماء بالتقسيم وهم الكبراء فالقسم الاول كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره والقسم الثاني حالهم اكمل من الاول لانه اشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلال الله لا انه كالكنز تحت التراب لا يصل اثره الى غيره واما القسم الثالث فهم اشرف الاقسام فهو كالشمس تضيء العالم لانه تام وفوق التام انتهى وباقي الآيات تذكيرة بينة واقامة لهم الغفلة والالباب العقول واحدها لب * وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الآية يقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله * وقوله تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفي الآية وعد ووعيد اي

من كان خالص النية فهو مثاب ومن انفق رياء او لمعنى آخر مما يكشفه المن والاذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه * وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعمنا سي الآية ذهب جمهور المفسرين الى ان هذه الآية في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفصل علانيته يقال بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيته افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها * ع * ويقوى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته افضل من صلاته في المسجد الا المكتوبة وذلك ان الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل غرضة لذلك قال الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل * وقوله تعالى فنعمنا هي ثناء على ابداء الصدقة ثم حكم ان الاخفاء خير من ذلك الابداء والتقدير نعم شيء ابدائها فالابداء هو المخصوص بالمدح وخرج ابو داود في سننه عن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق برجل الى باب الجنة فرفع راسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض الواحد بشمانية عشر لان صاحب القرض لا ياتيكم الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني وخرجه ابن ماجه في سننه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض بشمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى من التذكرة وقرأ ابن كثير وغيره ونكفر بالنون ورفع الراء وقرأ ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرأ نافع وغيره ونكفر بالنون

والجزم فاما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفروا والله يكفر والثاني القطع والاستيناف والوار لعطف جملة على جملة والجزم في الراء اوضح هذه القراءات لانها توذن بدخول التكفير في الجزاء وكونه مشروطا ان وقع لاختفاء واما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى ومن في قوله من سيأتكم للتبعيض المحض لا انها زائدة كما زعم قوم والله بما تعملون خير وعد ووعيد * وقوله تعالى ليس عليك هدام الآية وردت اثار ان النبي صلى الله عليه وسلم منع فقراء اهل الذمة من الصدقة فنزلت الآية مبيحة لهم وذكر الطبري ان مقصد النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة انما كان ليسلوا وليدخلوا في الدين فقال الله سبحانه ليس عليك هدام قال * ع * وهذه الصدقة التي اباحت لهم حسبما تضمنته هذه الآثار انما هي صدقة التطوع واما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر قال ابن المنذر اجاعا فيما علمت وقول المهدي اباحتها هذه الآية مردود قال ابن العربي واذا كان المسلم يترك اركان الاسلام من الصلاة والصيام فلا تصرف اليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصي تصرف الصدقة الى مرتكبيها لدخولهم في اسم المسلمين انتهى من الاحكام ويعنى بالصدقة المفروضة والهدى الذي ليس على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خلق الايمان في قلوبهم واما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم وليس بمراد في هذه الآية ثم اخبر سبحانه انه يهدي من يشاء وفي الآية رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم بين تعالى ان النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفي الآية تاويل آخر وهوانها شهادة من الله تعالى للصحابه انهم انما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي في الآخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم والخير هنا المال

بقريضة الانفاق ومتى لم يقتنوا بما يدل على انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال وهذا الذي قلناه تحرزنا من قول عكرمة كل خير في كتاب الله فهو المال * وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الآية التقدير الانفاق او الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم * ع * ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر ثم بين الله سبحانه من احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله الذين احصروا في سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وتأول الطبري في هذه الآية انهم هم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذ احاط بهم الكفر فصار خوف العدو عذرا احصروا به * ع * كأن هذه الاعذار احصرتهم فالعدو وكل محيط يحصر وقوله في سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول في الاسلام والضرب في الارض هو التصرف في التجارة وكانوا لا يستطيعون ضربا في الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا في صدر الهجرة وكانوا رضي الله عنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن احوالهم اغنياء * ت * واعلم ان المواساة واجبة وقد خرج مسلم وابوداود عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لاحد منا في فضل انتهى والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة من عفا عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره * ت * مدح الله سبحانه هؤلاء السادة على ما اعطاهم

من غنى النفس وفي الحديث الصحيح ليس الغنى عن كثرة المال وإنما الغنى غنى النفس وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم اجعل قوتي مال محمد كفافا اخرجهم مسلم وغيره وعندى أن المراد بالآل هنا متبوعة صلى الله عليه وسلم وفي سنن ابن ماجه عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من غني ولا فقير لا ود يوم القيامة أنه أوتي من الدنيا قوتا وروى مسلم والترمذي عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وأبدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال أبو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم السيماء مقصورة العلامة واختلف المفسرون في تعيينها فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال الربيع والسدى هي جهد الحاجة وقضف الفقر في وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثة الثياب وقال قوم وحكاة مكى هي اثر السجود قال * ع * وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لاشغل لهم في الاغلب لا الصلاة فكان اثر السجود عليهم ابدا والاحاف والالاحاح بمعنى قال * ع * والآية تحتل معنيين احدهما نفى السؤال جملة وهذا هو الذى عليه الجمهور انهم لا يسألون البتة والثاني نفى الاحاف فقط اي لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباجمال * ت * وهذا الثاني بعيد من الفاظ الآية فتأمله * ت * وينبغي للفقير أن يتعفف في فقره ويكتفى بعلم ربه قال الشيخ ابن ابي جمرة وقد قال اهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو اسير انتهى وذكر عبد الملك بن محمد بن ابي القاسم ابن الكردبوس في الاكتفاء في اخبار الخلفاء قال وتكلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بتسع كلمات ثلاث في المناجاة وثلاث في الحكمة وثلاث في الآداب اما المناجاة فقال كفاني فخرا أن تكون لى

ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني كما تحب واما
الحكمة فقال قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه
والمرء مخبوء تحت لسانه واما الآداب فقال استغن عمن شئت فأنت نظيره
وتفصل على من شئت فأنت أميرة واضرع الى من شئت فأنت أسيرة انتهى
ولما كانت السيمة تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله اقامها الله سبحانه مقام
الاخبار عن حال صاحبها فقال تعرفهم بسيماهم وقد قال الشيخ العارف بالله
صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية كل ما دل على معنى فقد اخبر عنه ولو كان
صامتا و اشار اليه ولو كان ساكنا لكن حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر
ونظر المتأمل المتدبر انتهى قال * ع * وفي الآية تنبيه على سوء حالة من
يسأل الناس الخافا وقال * ص * وقوله تعالى لا يسألون الناس الخافا اذا
نفي حكم من محكوم عليه بقيد فلاكثر في لسانهم انصراف النفي الى ذلك
القيد فالمعنى على هذا ثبوت سؤالهم ونفي الالحاح ويجوز ان ينفي الحكم
فينتفى ذلك القيد فينتفى السؤال والالحاح وله نظائر انتهى * وقوله تعالى وما
تسفقوا من خير فان الله به عليم وعد محض اي يعلمه ويخصيه ليجازي عليه ويشيب
* وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال قتادة نزلت في المنفقين
في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال * ع * والآية وإن كانت نزلت
في علي رضي الله عنه فمعناها يتناول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته في
الظلم الى مظنه الحاجة * وقوله تعالى الذين ياكلون الربوا الآية الربا هو
الزيادة مأخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله

من قولها للغريم اتقضى ام تربى فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاصل في النوع الواحد وكذلك اكثر البيوع الممنوعة انما تجدد منعها لمعنى زيادة اما في عين مال او في منفعة لاحدهما من تأخير ونحوه ومعنى الآية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الناس في المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله سبحانه لا يقومون اي من قبورهم في البعث يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قالوا كلهم يبعث كالمجننون عقوبة له وتمقيتا عند جميع المحشرويقوى هذا التاويل المجمع عليه ان في قراءة عبد الله بن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا معناه عند جميع المتأولين في الكفار وانه قول بتكذيب الشريعة والآية كلها في الكفار المرّبين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص ولكن ياخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية ثم جزم الله سبحانه الخبر في قوله واحل الله البيع وحرم الربوا قيل هذا من عموم القروان المخصص وقيل من مجمله المبين قال جعفر بن محمد الصادق وحرم الله الربا ليتقارض الناس * وقوله تعالى فله ما سلف اي من الربا لاتباعه عليه في الدنيا والآخرة وهذا حكم من الله سبحانه لمن اسلم من الكفار وفي قوله تعالى وامره الى الله اربع تاويلات احدها امر الربا في امرار تحريمه وغير ذلك والثاني امر ما سلف اي في العفو واسقاط التبعة فيها والثالث ان الضمير عائد على ذى الربا بمعنى امره الى الله في ان يشته على لانهتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود الضمير على المنتهى ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله في الخير * وقوله تعالى ومن عاد يعنى الى فعل الربا والقول انما البيع مثل الربا والخلود في حق

الكافر خلود تابيد حقيقى وان لحظنا الآية فى مسلم عاص فهو خلود مستعار على معنى المبالغة * وقوله تعالى يحق الله الربوا ويربى الصدقات يحقق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربى الصدقات معناه ينميتها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة وارباها الله تعالى ورباها وذلك هو التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم لتقع فى يد الله تعالى فيرببها كما يربى احدكم فلو او فضيله حتى تحيى يوم القيامة وان اللقمة لعلى قدر احد قال * ع * وقد جعل الله سبحانه هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشيع من بنى آدم اذ يظن الربا يغنيه وهو فى الحقيقة محقق ويظن الصدقة تفقره وهى فى الحقيقة نماه فى الدنيا والآخرة وعن يزيد بن ابى حبيب ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة ابن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس او قال حتى يحكم بين الناس قال يزيد وكان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق بشيء فيه ولو كعكة او بصله قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعنى البخاري ومسلم انتهى من الامام فى احاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال الشيخ ابن ابى جرة ولا يلهم للصدقة الا من سبقت له سابقة خير انتهى قال ابو عمر فى التمهيد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على بنيه وكان فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ فى يوم صدقته من كل عاهة ووافته انتهى وروى ابو داود فى سننه ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بييرا وقال هذه لام سعد وروى ابو داود فى سننه عن ابى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما

ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة وإيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وإيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى * وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار أثيم يقتضى الزجر للكفار المستحلين للربا ووصف الكفار بأثيم اما مبالغة من حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذى فى كفار اذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب فى الارض قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالتين فقال ان الذين ءامنوا الآيـة وقد تقدم تفسير مثل هذه الالفاظ * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا الآيـة سبب هذه الآيـة انه لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال فى خطبته اليوم الثانى من الفتح لا كل ربا فى الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض فى الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بعد ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا وكان فى شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الآيـة كما رد صاحبه لكفار قريش فى رد النساء اليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب فى اسفل الكتاب لتثيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت على بنى المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطي شيئاً فان الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة

فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وكتب بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلت بها ثقيف فكفت هذا سبب الآية
على اختصار مما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الآية
اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم
توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وامته والحرب داعية القتل
* وقوله تعالى فاذنوا قال سيبويه آذنت اعلمت * ت * وهكذا فسر
البخاري فقال قال ابو عبد الله فاذنوا فاعلموا وقال * ع * هي عندي من
الاذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب ثم ردهم سبحانه مع التوبة
الى رءوس اموالهم وقال لهم لا تظلمون في اخذ الزائد ولا تظلمون في ان يتمسك
بشيء من رءوس اموالكم ويحتمل لا تظلمون في مطل لان مطل الغني ظلم كما
قال عليه السلام فالمعنى انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا
اشبه شيء بالصالح لا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن
مالك في دين ابن ابي حذرد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم للآخر قم فاقضه فتلقى العلماء امره بالقضاء سنة في المصالحات
* وقوله سبحانه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة حكم الله تعالى لارباب
الربا برءوس اموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم في ذى العسرة بالنظرة الى حال
اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظرة التأخير * ت * وفي
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان
يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي الله
فتجاوز عنه وفي صحيح مسلم من سرة ان ينجي الله من كرب يوم القيامة فلينفس
عن معسرا ويضع عنه وفي رواية من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب

يوم القيامة وفي رواية من انظر معسرا او وضع عنه اظلم الله في ظله انتهى والميسرة
صدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان النامة التي هي بمعنى وجد وحدث
وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف اهل العلم
هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على اهل الربا خاصة وهو قول ابن
عباس وشريح او هو منسحب على كل دين حلال وهو قول جمهور العلماء * ع *
وما قاله ابن عباس انما يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع الفقر والعدم الصريح
فالحكم هي النظرة ضرورة * ت * ولا يخالف ابن عباس في ذلك
* وقوله تعالى وان تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على
المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله جمهور العلماء وروى سعيد ابن المسيب
عن عمر بن الخطاب انه قال كان اخر ما نزل من القرآن آية الربا وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس
آخر ما نزل آية الربا قال * ع * ومعنى هذا عندي انها من آخر ما نزل
لان جمهور الناس ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا آخر
آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان قوله واتقوا
نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شي
وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وانه صلى
الله عليه وسلم قال اجعلوها بين آية الربا وآية الدين وحكى مكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل فقال اجعلها على مائتين وثمانين آية
من البقرة * وقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية وعظ لجميع
الناس وامر يخلص كل انسان * ت * حدثني من اثق به انه جالس عند
شيخ من الافاضل يجود عليه القرآن فقرئت عليه هذه الآية فبكى عندها ثم بكى

الى ان فاضت نفسد ومال فحركوه فاذا هوميت رحمه الله ونفع به يا هذا من
صحا عقله من سكرهواه وجهله احترق بنار الندم والنجل من مهابة نظرربه
وتنكرت صورة حاله في عينه نفوس الاغبياء الجهال * غافلة عن العظمة
والجلال * ولاهية عن احوال المعاد والمآل * مشغولة برذائل الافعال * وفضل
القيل والقال * والاستنباط والاحتياال * لازدياد الاموال * ولا يعلمون انها
فتنة ووبال * وطول حساب وبلاء وبلبال * اغتبنموا يا ذوى البصائر نعمة
الامهال * واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الآمال * فكأن قد فجأتكم هواجم
الآجال * انتهى من الكلم الفارقة في الحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا
على الظرف وجمهور العلماء على ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب
والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والاول اصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفي هذه
الآية نص على ان الثواب والعقاب متعلق بكسب الانسان وهذا رد على الجبرية
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تدانيتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت في السِّلْم خاصة قال * ع * معناه
ان سلم اهل المدينة كان سبب الآيت ثم هى تتناول جميع المداينات اجماعا
ووصفه لاجل بمسمى دليل على ان الجهالة لا تجوز وقال جمهور العلماء الامر
بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره
الكتب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاء في دينه وحاجة صاحب الحق قال
بعضهم ان اشهدت فحزم وان ائتمنت ففى حل وسعة * ع * وهذا هو القول
الصحيح ثم علم تعالى انه سيقع الائتمان فقال ان وقع ذلك فليود الآيت فهذه
وصية للذين عليهم الديون واختلف في قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب
فقال عطاء والشعبى واجب على الكاتب ان يكتب اذا لم يوجد سواء وقال

السدى هو واجب مع الفراغ * وقوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى الله سبحانه الكتاب عن الاباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله تعالى ولا ياب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال * ع * اما اذا امكن الكتاب فليس يجب الكتب على معين بل له الامتناع الا اذا استاجره واما اذا عدم الكتاب فيتوجه وجوب الذنب حينئذ على الكاتب * وقوله تعالى وليلل الذى عليه الحق الآية امر الله تعالى الذى عليه الحق بالاملال لان الشهادة انما تكون بحسب اقراره واذا كتبت الوثيقة واقر بها فهي كالملا والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملال هم المالكون لانفسهم اذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلاثة انواع تقع نوازلهم في كل زمان فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها والسفيه الهلhel الراي في المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفته وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من جراب او وصي وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول في عقله وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذى لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد لمرض او لغير ذلك من الاعذار ووليد وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفاء والاؤلى انه ممن لا يستطيع * وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب * وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين الآية لاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة في شهيدين دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة قال ابن العربي في احكامه والصحيح ان الامر بالاستشهاد محمول على الذنب اه * وقوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف

العلماء فيهم وقول مالك والشافعي وأبى حنيفة وجمهور العلماء أن شهادتهم لا تجوز وغلبوا نقص الرق واسم كان الضمير الذى فى قوله يكونا والمعنى فى قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهد المرأتين لاعم عدم الرجال قال * ع * وهذا قول ضعيف ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور * وقوله فرجل وامرأتان اي فليشهدا او فليكن رجل وامرأتان * وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء رفع فى موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان وهذا الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القصة هم الحكام وهذا كثير فى كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفى قوله ممن ترضون دليل على أن فى الشهود من لا يرضى فيجىء من ذلك أن الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم * وقوله تعالى أن تضل أحديهما الآية أن مفعول من أجله والشهادة لم تقع لأن تضل أحدهما وإنما وقع اشهاد امرأتين لأن تذكر أحدهما أن ضلت الأخرى قال سيبويه وهذا كما تقول أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فدعته * ع * ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث قدم فى هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود الى أن يخبر به وهذا من أبرع الفصاحة إذ لو قال لك رجل أعددت هذه الخشبة أن ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم تدع حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال إذا مال فجاء فى كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاوراة قال أبو عبيد ومعنى تضل تنسى * ع * والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المراءى بين ذلك حيران ضالا * وقوله تعالى ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا الآية قال قتادة وغيره معنى الآية إذا دعوا أن يشهدوا وقال الحسن بن أبى الحسن

الآية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقاله ابن عباس وقال مجاهد معنى الآية لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر الآية بهذا * ت * وهذا هو الحقيقة في الآية واما تسمية الشيء بما يؤول اليه فمجاز والشاهد حقيقة من حصلت له الشهادة قال مجاهد فاما اذا دعيت اولا فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب وقاله جماعة قال * ع * والآية كما قال الحسن جمعت امرين والمسلون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطل الحق فالمدعو مندوب وان خيف تلف الحق بتأخر الشاهد وجب عليه القيام بها سيما ان كانت محصلة ودعي لا دائها فهذه أكد لانها قلادة في العنق وامانة تقتضى الاجاء * م * ولا ياب الشهداء قال ابو البقاء مفعول ياب محذوف اي ولا ياب الشهداء اقامة الشهادة او تحمل الشهادة واذا ظرف لياب ويحتمل ان يكون ظرفا للمفعول المحذوف اه * وتسموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به واقسط معناه اعدل واقوم اي اشد اقامة وقيل اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى معناه اقرب وترتابوا معناه تشكوا قال ابن هشام الى اجله لا يصح تعلقه بكتبة لاقصائه استمرار الكتابة الى اجل الدين وانما هو حال اي مستقرا في الذمة الى اجله اه من المغنى * وقوله تعالى لا ان تكون تجارة حاضرة الآية لما علم الله سبحانه مشقة الكتب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بنقد وذلك في الاغلب انما هو في قليل كالطعام ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك هذا فيما كان يدا بيد تاخذ وتعطي * وقوله تعالى تديرونها يقتضى التقاوض والبينونة في المقبوض * وقوله تعالى واشهدوا اذا تباعتم اختلف حل ذلك على الوجوب او على

الندب والوجوب في ذلك قلق اما في الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فرما
يقصد التاجر لاستيلاى بترك الاشهاد الى غير ذلك من المصالح فلا يشهد
ويدخل ذلك كله في الائتمان ويبقى الامر في الاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة
في الاغلب وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله
تعالى فان امن الآية وذكره مكي عن ابى سعيد الخدري واختلف الناس في
معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد اي باختلافهم في قوله تعالى لا تضار والدة
بولدها هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارر كاتب ولا شهيد بكسر الراء وقيل
مسند الى المفعول الذى لم يسم فاعله فاصله ولا يضارر بفتحها * ع * وجوه
المضارة لا تنحصر وفك الفعل هي لغة الحجاز والادغام لغة تميم * وقوله
وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حال بكم
وباقي الآية موعظة وتهديد والله المستعان لا رب غيره وقيل معنى الآية الوعد
لان من اتقى عليم الخير والهمه * ت * وفي العنبة من سماع ابن القاسم
قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله
بالحكمة اه والمراد بهذا العلم النافع الذى يورث الخشية قال ابو عمر
ابن عبد البر رويانا عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعلمه ابو عمر انما اعرفه بعلمه اه من كتاب فضل العلم * وقوله
تعالى وان كنتم على سفر الآية لما ذكر الله تعالى الندب الى الاشهاد والكتب
لمصاحبة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب
وجعل بدلها الرهن ونص على السفر اذ هو الغالب من الاعذار ويدخل في ذلك
بالمعنى كل غدر قال * ع * رهن الشيء في كلام العرب معناه دام واستمر
قيل ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقهاء اذا

خرج من يد المرتهن الى يد الراهن لانه فارق ما جعل له * وقوله تعالى مقبوضة هي بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجيع اصحابه وجهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم ابن عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في الرهن * وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالاداء قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا معناه ان اسقط الكتب والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل فليود الامانة وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان واجبا لما جاز اسقاطه ثم قال وجملة الامران الاشهاد حزم والائتمان ثقة بالله تعالى من الدائن ومروءة من المديان ثم ذكر الحديث الصحيح في قصة الرجل من بني اسرائيل الذي استسلف الف دينار وكيف تعامل على الائتمان ثم قال ابن العربي وقد روي عن ابي سعيد الخدري انه قرأ هذه الآية فقال هذا نسخ لكل ما تقدم يعنى من الامر بالكتب والاشهاد والرهن اه * وقوله فليود امر بمعنى الوجوب وقوله امانته مضدر رسمي به الشيء الذى فى الذمة وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة الآية نهى فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو البضعة التى بصلاحها يصلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم وفى قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعده وان كان لفظها يعم الوعيد والوعد وروى البزار فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء ونبتت له بكل خطوة شجرة تغرس فى الجنة وذنبه يغفره من الكوكب الدرى * قوله تعالى لله ما

في السموات وما في الارض الآية المعنى جميع ما في السموات وما في الارض ملك له سبحانه * وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم الآية قوله ما في انفسكم يقتضى قوة اللفظ انه ما تقرر في النفس واستصحبت الفكرة فيه واما الخواطر التى لا يمكن دفعها فليست في النفس الا على تجوز واختلاف في معنى هذه الآية فقال عكرمة وغيره هي في معنى الشهادة التى نهى عن كتمانها فلفظ الآية على هذا التاويل العموم ومعناه الخصوص وكذا نقل الثعلبى وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكتا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات واختلفت عباراته وتعاضدت عبارة هؤلاء القائلين بلفظة النسخ في هذه النازلة وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل وقال ءآخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله محاسب خلقه على ما عملوه واضمروه وارادوه ويغفر للمؤمنين ويأخذ به اهل الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخة * ع * وهذا هو الصواب وانما هي مخصصة وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه معناه بما هو في وسعكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان تدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالآية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف نفسا الا وسعها والخواطر ليست هي

ولا دفعها في الوسع بل هي امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان في هذا البيان فرحهم وكشف كربهم وتأتى الآية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر النسخ ان الآية خبر ولاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير النسخ فانما يترتب له في الحكم الذى لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران فاذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك فهذه الآية في البقرة اشبه شىء بها * وقوله تعالى ويعذب من يشاء يعنى من العصاة وتعلق قوم بهذه الآية ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد كلفهم امر الخواطر وذلك مما لا يطاق قال * ع * وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تأوله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت تكليفا لا على الوجه الذى ذكرناه من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على ذلك قال الشيخ الولي العارف بالله ابن ابي جرة والخواطر عندهم ستة يعنى عند العلماء العارفين بالله اولها الهمة ثم اللمة ثم الخطرة وهذه الثلاث عندهم غير مواخذ بها ثم نية ثم ارادة ثم عزيمة وهذه الثلاث مواخذ بها اه * وقوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه الآية سبب هذه الآية انه لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم واشفق منها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا ورجعوا الى التصرع والاستكانة مدحهم الله تعالى واثني عليهم في هذه الآية وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء

ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى لا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا فاعقبهم ضد ذلك وهذه ثمرة العصيان اعادنا الله من نعمه وامن معناه صدق والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه القرآن وسائر ما اوحى الله اليه من جملة ذلك وكل لفظة تصلح للاحاطة وهى كذلك هنا والايمان بالله هو التصديق به اى بوجوده وصفاته ورفض كل معبود سواه والايمان بملأئكته هو اعتقادهم انهم عباد لله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والايمان بكتبه هو التصديق بكل ما انزل سبحانه على انبيائه وقرأ الجمهور لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الآية ان المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في انهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض * وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا مدح يقتضى الحض على هذه المقالة وان يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر والطاعة قبول الاوامر وغفرانك مصدر والعامل فيه فعل تقديره نطلب او نسأل غفرانك * ت * وزاد ابو حيان قال وجوز بعضهم الرفع فيه على ان يكون مبتدأ اى غفرانك بغيتنا اه واليك المصير اقرار بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد ان الله قد اجل الشئ عليك وعلى امتك فسل تعطه فسأل الى آخر السورة * وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية خبر جزم نص على انه لا يكلف الله العباد من وقت نزول الآية عبادة من اعمال القلب والجوارح الا وهى في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأويلهم امر الخواطر وهذا المعنى الذى ذكرناه في هذه الآية يجرى مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج

وقوله فأتقوا الله ما استطعتم قال العراقي وسعها أي طاقتها اه قال * ع *
واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الاحكام التي هي في الدنيا بعد
اتفاقهم على انه ليس واقعا الآن في الشرع وان هذه الآية آذنت بعدمه واختلف
القائلون بجوازه هل وقع في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام لا فقالت
فرقة وقع في نازلة ابي لهب لانه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك
مؤذن انه لا يؤمن وتكليف الشرع له لايمان راتب فكانه كلف ان يؤمن وان
يكون في ايمانه انه لا يؤمن لانه اذا ءامن فلا محالة ان يدين بسورة تبست يدا
ابي لهب وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا انما معناه ان وافى
على كفره * ع * وما لا يطاق على اقسام منه المحال عقلا كالجمع بين
الضدين ومنه المحال عادة كرفع انسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك
كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال
فيه ما لا يطاق على تجوز كثير * وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات
وعليها ما اكتسبت يريد من السيئات قاله جماعة المفسرين لا خلاف في ذلك
والخواطر ونحوها ليس من كسب الانسان وجاءت العبارة في الحسنات بلها من
حيث هي مما يفرح الانسان بكسبه ويسر المرء بهن فتضاف الى ملكه وجاءت في
السيئة بعليها من حيث هي اوزار واثقال وتحملات صعبة وهذا كما تقول
لى مال وعلي دين وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريفين حسنا لنمط الكلام
كما قال فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذا وجه * ع * والذي يظهر لى في
هذا ان الحسنات مما يكسب دون تكلف اذ كسبها على جادة امر الله ورسم
شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة اذ كسبها يتكلف في امرها خرق
حجاب نهى الله تعالى ويتخطاه اليها فيحسن في الآية مجيء التصريفين لهذا

المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يواخذ احد بذنب احد قال * ع * وهذا صحيح في نفسه لكن من غير هذه الآية * وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا معناه قولوا واختلف الناس في معنى قوله سبحانه ان نسينا او اخطانا فذهب كثير من العلماء الى ان هذا الدعاء في النسيان والغالب والخطأ غير المقصود وهو الصحيح عندي قال قتادة في تفسير الآية بلغنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لا متى عن نسيانها وخطاياها وقال السدي لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قد فعل الله ذلك يا محمد قال * ع * فظاهر قوليهما ما صححته وذلك ان المومنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى يحاسبكم به الله امروا بالدعاء في ذلك النوع الذي ليس من طاقة الانسان دفعه وذلك في النسيان والخطأ والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الآية على هذا القول تقضى بجواز تكليف ما لا يطاق ولذلك امر المومنون بالدعاء في ان لا يقع هذا الجائز الصعب ومذهب ابى الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين ان تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً ولا يخرم ذلك شيئاً من عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره الى ان تكليف ما لا يطاق غير جائز وان النسيان في الآية بمعنى الترك اي ان تركنا شيئاً من طاعتك والخطأ هو المقصود من العصيان والاصرهي العبادات الثقيلة كتكاليف بنى اسرائيل وما لا طاقة للمؤمن به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لى على خصومة فلان او لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيرها ثم قال تعالى فيما امر المومنين بقوله واعف عنا اي فيما واقعناه واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي تفعل مبتدئاً برحمة منك لنا فهذه مناجاة من الدعاء متباعدة وانت مولانا مدح في ضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى هو من ولي وفي الحديث

ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا
او اخطأنا فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد
فعل الى اخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروى ابو مسعود عقبة
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من اخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه يعنى من قيام الليل قال صاحب سلاح المومن هذا الحديث
رواه الجماعة يعنى السنة ومعنى كفتاه اجزأه عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل
شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون من آفات تلك الليلة وقيل معناه
حسبه بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله اعلم اهـ من سلاح المومن وقال علي
رضي الله عنه ما اظن احدا عقل وادرك لاسلام ينالم حتى يقرأهما وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من اخر سورة البقرة من
كنز تحت العرش لم يؤتهن احد قبلى * كمل تفسير سورة البقرة والحمد لله

سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع في ما علمت * قوله جلت قدرته الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الابرع في نظم الآية ان يكون الله لا اله الا هو الحي القيوم
كلاما مبتدأ جزما جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على النبي صلى الله
عليه وسلم فحاجوه في عيسى ابن مريم وقالوا انه الله على ما هو معلوم في السير
فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين آية منها الى ان دعاهم صلى الله
عليه وسلم الى الابطهال وقد تقدم تفسير قوله الحي القيوم في آية الكرسي
والآية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبارا يحـ هؤلاء النصارى ويرد
عليهم اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم اذ يقولون انه

صلب فذلك موت في معتقدهم واذ من البين انه ليس بقيوم وقراءة الجمهور
القيوم وقرئ خارج السبع القيام والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع
بحفظه وبجميع ما يحتاج اليه في وجوده فالله تعالى القيام على كل شيء مما ينبغي
له اوفيه او عليه * ت * وقد تقدم ما نقلناه في هذا الاسم الشريف انه
اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان اذا كبره امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال
الحاكم هذا حديث صحيح لاسناد اه قال صاحب سلاح المومن وعن علي رضي
الله عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انظر ما صنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي
يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم
ذهبت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه
النسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للنسائي وعن اسماء بنت يزيد رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهمك
الم واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة الم الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم
في ثلاث سور في سورة البقرة و الم عمران وطه قال القاسم فالتستها انه الحي
القيوم انتهى وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن
الحقائق في خبرة وامره ونهيهِ ومواعظه والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب
باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصاحبة الشاملة وليس ذلك على انه واجب على
الله تعالى ان يفعل * ت * اي اذ لا يجب على الله سبحانه فعل قال

* ع * فالباء في هذا المعنى على حد قوله سبحانه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقيل معنى بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون قال * ع * وهذا داخل في المعنى الاول * وقوله مصدقا حال مؤكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التي تلقيت من شرعنا * وقوله تعالى من قبل يعنى من قبل القروان * وقوله هدى للناس معناه دعاء والناس بنو اسرائيل في هذا الموضع وان كان المراد انهما هدى في ذاتهما مدعو اليه فرعون وغيره فالناس عام في كل من شاء حينئذ ان يستبصر والفرقان القروان لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار عموما بالعذاب الشديد والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران وعزيز معناه غالب والنقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة في ذلك * قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالاشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر في ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدر ان عليه ولا ينكر ان عيسى من المصورين كغيره من سائر البشر فهذه الآية تعظيم لله جلّت قدرته في ضمنها الرد على نصارى نجران وفي قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت في الرحم مكثت نطفة اربعين يوما ثم تكون علقته اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليها ملكا فيقول يا رب اذكر ام انشى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفي

مسند ابن سنجر حديث أن الله سبحانه يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة وصور بناء مبالغته من صار يصور إذا أمار وثنى إلى حال ما فلما كان التصوير أمالة إلى حال وإثباتا فيها جاء بناءه على المبالغة والكتاب في هذه الآيات القرآن بأجاء والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الأحكام والمتشابهات هي التي تحتاج إلى نظر وتاويل ويظهر فيها ببادي النظر أمارا تعارض مع أخرى وأما مع العقل إلى غير ذلك من أنواع التشابه فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشابهات إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيف ومن لم ينعم النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبهه عند من لم ينعم النظر شيئا حلالا وكذلك الآيات يكون لها في نفسها معنى صحيح فيشبهه عند من لم ينعم النظر أو عند الزائغ معنى آخر فاسدا فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله هذا عندي معنى الأحكام والتشابه في هذه الآية قال * ع * وأحسن ما قيل في هذه الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير أن المحكمات هي التي فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تحريف ولا تحريف عما وضعن عليه والمتشابهات لها تحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب في منتهى الوصول مسألة في القرآن محكم ومتشابه قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فالمحكم المنضج المعنى قال الرموني يعني نساكن أو ظاهرا والمتشابه مقابله أما للاشتراك مثل ثلاثة قروء أو للأجلال مثل الذي بيده عقدة النكاح وما ظاهرة التشبيه مثل من روى وأيدنا وبسدي وبمينه ويستهنى ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون

فى العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد انتهى قال الرهونى وسمى ما ذكر متشابهها
لاشتباهه على السامع قال الرهونى والحق الوقف على وما يعلم تاويله الا الله
وهو المروى عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ومالك وغيرهم وفى
مصحف ابى وما يعلم تاويله الا الله ويقول الراسخون فى العلم انما به اه
* وقوله تعالى هن ام الكتاب اى معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم فى
آيات الله كثير قد فصل ولم يفرط فى شيء منه قال يحيى بن يعقوب كما يقال
لمكة ام القرى قال * ع * وكما يقال ام الراس لمجتمع الشئون فجميع
المحكم هو ام الكتاب ومعنى الآية لانحاء على اهل الزيغ والمذمة لهم ولاشارة
بذلك اولا الى نصارى نجران والى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله
عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون معاني القرآن ثم يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر
تعالى انه نزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فضلا منه ونعمة
وان محكمه وبينه الذى لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه وان متشابهه
الذى يحتمل التأويل ويحتاج الى التفهم هو اقله ثم ان اهل الزيغ يتكون المحكم
الذى فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وان يفسدوا ذات البين
ويردوا الناس الى زيغهم * م * قال ابو البقاء واخر معطوف على آيات
ومتشابهات نعت لاخرا * وقوله تعالى الذين فى قلوبهم زيغ يعم كل
طائفة من كافرو زنديق وجاهل صاحب بدعة والزيغ الميل وابتغاء نصب على
المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال الربيع الفتنة هنا الشرك وقال
مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المؤمنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل
هو مرد الكلام ومرجهه والشيء الذى يقف عليه من المعانى وهو من ال يشول
اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعهم الفاسدة هذا فى ماله تاويل حسن

وان كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه فنفس طلب تاويله هو اتباع ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي وما يعلم تاويله على الكمال الا الله سبحانه واختلف في قوله والراسخون في العلم فرأت فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله عز وجل وانه مع علمهم بالمتشابه يقولون ءامنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده قال * ع * وهذه المسألة اذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم اي الكتاب قسمين محكما ومتشابهها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوى في علمه الراسخ وغيره والمتشابه على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد الغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تاويله ولا يسمى احد راسخا الا ان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فمن قال ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه فمراده النوع الثاني الذي ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون تاويله فمراده النوع الاول كامر الروح ووقت الساعة لكن تخصيصه المتشابه بهذا النوع غير صحيح بل هما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع متشابه القرآن وهما نوعان كما ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه قلت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن تفسير الراسخين في العلم فقال العالمون العاملون بما علموا المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هذا هو معنى ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من الراسخ في العلم

فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم قال ابن رشد ويشهد لصحة هذا قول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه كلام يدل على ان من لم يخش الله فليس بعالم انتهى قلت وقد جاء في فضل العلم اثار كثيرة فمن احسنها ما رواه ابو عمر بن عبد البر بسندة عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذلك لاهله قربته لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل اهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة تقتص اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهي الى رايهم وترغب الملائكة في خلعتهم وباجنتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب وبابس وحيثان البحر وهواقه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومضاييح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاختيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة الفكر فيد يعدل الصيام ومداسته تعدل القيام به توصل لارجام وبه يعرف الحلال من الحرام هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال ابو عمر هكذا حدثني عبيد بن محمد مرفوعا باسناد الذي رويناه به عنه وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ انتهى من كتاب فضل العلم قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي رجد الله ومن علامة نور العلم اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والانس والمجاهدة والضمات والخوف والرجاء والتقناعة وذكر الموت اذ وقوله تعالى كل من عند ربنا

فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويومن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابهه الا دولب وهو العقل واولوا جمع ذو * وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية لما ذكر الله سبحانه اهل الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحاليتين عقب ذلك بان علم عباده الدعاء اليه في ان لا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت وهم اهل الزيغ ويحتمل ان يكون هذا من تمام قول الراشخين وتزغ معناه تمل قلوبنا عن الهدى والحق ومن لدنك معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وفي هذا استسلام وتطarach والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة * وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اقرار بالبعث ليوم القيامة والريب الشك والمعنى انه في نفسه حق لا ريب فيه * وقوله تعالى ان الله لا يخلو الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ففى ذلك اقرار بصفة ذات الله تعالى والميعاد من الوعد * وقوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا الآية الاشارة بالآية الى معاصى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون باموالهم وابنائهم وهى بعد متناولة كل كافر والوقود بفتح الواو كل ما يحترق في النار من حطب ونحوه والدأب والدأب بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى في الآية تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه باولاتك المتقدمين وآخر الآية يقتضى الوعيد بان يصيب هؤلاء ما اصاب اولائك والكافى في قوله كدأب في موضع رفع والتقدير دأبهم كدأب والضمير في قبلهم عائد على ال فرعون ويحتمل على معاصى رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الكفار * وقوله كذبوا بآياتنا يحتمل ان يريد
المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة * وقوله تعالى قل للذين كفروا
ستغلبون الآية اختلف في تعيين هؤلاء الذين امر صلى الله عليه وسلم بالقول لهم
فقل هم جميع معاصريه امر ان يقول لهم هذا الذي فيه اعلام بغيب فوقع بحمد
الله كذلك فغلبوا وصار من مات منهم على الكفر الى جهنم وتظاهرت روايات عن
ابن عباس وغيره بان المراد يهود المدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزوة بدر جمعهم وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل ان يصيبكم ما اصاب قريشا
فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا اعداء لا يعرفون
القتال انك لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية
والحشر الجمع والاحضار * وقوله تعالى وبئس المهاد يعني جهنم هذا
ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لانفسهم قال * ع *
فكان المعنى وبئس فعلهم الذي اداهم الى جهنم * وقوله تعالى قد
كان لكم اية في فتيين الآية تحتمل ان يخاطب بها المومنون تشبيها
لنفسهم وتشجيعا لها وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها
يهود المدينة وبكل احتمال منها قد قال قوم وقرئ شاذا ترونهم بضم التاء
فكان معناها ان اعتقاد التضعيف في جمع الكفار انها كان تخميننا وظنا
لا يقينا وذلك ان ارى بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظروا رى بفتح
الهمزة تقولها في ما قد صح نظررت فيه ونحا هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح
والمراد بالفتنين جماعة المومنين وجماعة الكفار ببدر قال * ع * ولا خلاف
ان الاشارة بهاتين الفتينين هي الى يوم بدر ويؤيد معناه يقتوى من الايد وهو
القوة * وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية هذه الآية ابتداء وعظ

لجميع الناس وفي ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مرد وطاعتها مهلكة وقد قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها خلس الى النار قلت وقد جاءت احاديث كثيرة في التزهيد في الدنيا ذكرنا من صحيحها وحسنها في هذا المختصر جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة في غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا في الحسن واحاديثه بحمد الله مختارة اكثرها من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه فهذه اصول الاسلام ثم من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعني المستدرک على الصحيحين وابي عوانة وابن خزيمة والدارمي والموطأ وغيرها من المسانيد المشهورة بين ائمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث وقصدي من هذا نصح من اطلع على هذا الكتاب ان يعلم قدر ما انعم الله به عليه فان التحدث بالنعم شكر ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحق بى فليكنك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة لاغنياء ولا تستخلفى ثوبا حتى ترفعيه حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان البذاذة من الايمان خرجه ابو داود وقد نقله البغوي في مصابيح والبذاذة هي رث الهيئة والقناطر جمع قنطار وهو العقدة الكثيرة من المال واختلف الناس في تحرير حده واصح الاقوال فيه ما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية * وقوله المنطرة قال الطبري

معناه المضعفة وقال الربيع المال الكثير بعضه على بعض * ص * المقنطرة
مفعلة او مفعلة من القنطار ومعناه المجتمعة * م * ابو البقاء ومن الذهب في
موضع الحال من المقنطرة اه وقوله المسومة قال مجاهد معناه المطهمة الحسان وقال
ابن عباس وغيره معناه الراعية وقيل المعدة والانعام لاصناف الاربعة الابل والبقر
والضأن والمعز * ص * والانعام واحدها نعم والنعم الابل فقط واذا جمع
انطلق على الابل والبقر والغنم اه والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب
وغيره والمتاع ما يستمتع به وينتفع مدة ما منحصرة والمثاب المرجع فمعنى الآية
تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن المرجع الى الله تعالى * وقوله
تعالى قل اوبئكم بخير من ذلكم الآيات في هذه الآية تسليية عن الدنيا وتقوية
لنفوس تاركها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقرت زيين شهواتها
ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبأ
المستغرب النافع لمن عقل وانبئ معناه اخبر * وقوله تعالى ورضوان من الله
الرضوان مصدر من رضي وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم مالا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم انريدون ان اعطيكم ما هو افضل من
هذا قالوا يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله سبحانه اهل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق الحديث وقد يجي مختلف الالفاظ والمعنى
قريب بعضه من بعض قال الفخر وذلك ان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم
المقيم بانه تعالى راض عنهم مشي عليهم ازيد عليهم في ايجاب السرور اه وباقي
الآية بين وقد تقدم في سورة البقرة بيانه * وقوله تعالى الذين يقولون ربنا
اننا امننا فاعفر لنا ذنوبنا الآيات الذين بدل من الذين اتقوا وفسر سبحانه في هذه

الآية احوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر في هذه الآية معناه على الطاعات
وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه في الاقوال والافعال والفنوت الطاعة
والدعاء ايضا وبكل ذلك يتصف المتقي ولا نفاق معناه في سبيل الله ومطابق
لاجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه وخص تعالى السحر لما فيه من
الفصل حسبما ورد فيه من صحيح الاحاديث كحديث النزول هل من داع
فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الى غير ذلك مما ورد في فضله قلت
تنبيه قال القرطبي في تذكرته وقد جاء حديث النزول مفسرا مبينا في ما خرجه
النسائي عن ابي هريرة وابى سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يهمل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع
يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد
الحق اه وخرج ابو بكر بن الخطيب يسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان نزول الله تعالى الى الشيء اقباله عليه من غير نزول
اه والسحر اخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع
اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يسأل فاذا قلت نعم قعد يستغفر قال * ع *
وحقيقة السحر في هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار الحمد وسحور الصائم ومن
يمن لو وقعت انما هي من ثلث الليل الآخر الى الفجر * وقوله تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو الآية معنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وقال * ع *
شهد بمعنى علم او قضى او حكم او بين وحي اقوال اه واسند ابو عمر بن عبد البر
في كتاب فصل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى لاعمش فرائينه
ليلة قام بهجد من الليل وقرا بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو واللائكة واولوا
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الذين عند الله الاسلام قال

لاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش اني سمعتك تقرأ هذه الآية ترددها فما بلغك فيها قال حدثني ابووائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه عبدى عهد الي وانا احق من وقى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة اه وقرأ جميع القراء انه بفتح الهمزة وبكسرها من قوله ان الدين على استيناف الكلام وقرأ الكسائي وحده ان الدين بفتح الهمزة بدل من انه لاولى والملائكة واولوا العلم عطف على اسم الله قال الفخر المبراد باولى العلم هنا الذين عرفوا الله بالدلالة القطعية لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم وهذا يدل ان هذه الدرجة الشريفة ليست الا للعلماء بالاصول وتكررت لا اله الا الله هنا وفائدة هذا التكرير الاعلام بان المسلم يجب ان يكون ابدا في تكرير هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها لانسان هي هذه الكلمة واذا كان في اكثر الاوقات مشغلا بذكرها وتكريرها كان مشغلا باعظم انواع العبادات فكان من التكرير في هذه الآية حص العباد على تكريرها اه وصح في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تجزى عن محارم الله خرجك الترمذي الحكيم في نوادر الاصول اه من التذكيرة وقائما حال من اسمه تعالى في قوله شهد الله او من قوله لا هو والقسط العدل وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الآية الدين في هذه الآية الطاعة والملة والمعنى ان الدين المقبول او النافع هو الاسلام والاسلام في هذه الآية هو الايمان والطاعات قاله ابو العالية وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني الاسلام على

خمس وحديث محيي جبريل يعلم الناس دينهم يفسر ذلك ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب بعد علمهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبيا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن انس قال المراد بهذه الآية اليهود اختلفوا بعد موت موسى وبعد مضي ثلاثة قرون وقيل الآية توبيخ لنصارى نجران وسرعة الحساب يحتمل ان يراد بها محيي القيامة والحساب اذ كل مات قريب ويحتمل ان يراد بسرعة الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شيء علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد * وقوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني الآية الضمير في حاجوك لليهود والنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصركم وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد اي جعلت مقصدي لله ويحتمل ان يراد به الذات اي اسلمت شخصي وذاتي لله واسلمت في هذا الموضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لان تلك لا تتعدى ومن اتبعني في موضع رفع عطا على الضمير في اسلمت والذين اوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون الذين لا يكتبون وهم العرب في هذه الآية وقوله اسلمتم تقرير في ضمنه الامر وقال الزجاج اسلمتم تهدد وهو حسن والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله الآية هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحال وفيها توبيخ للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فاجتمع من عبادهم

واحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا جميعا كل ذلك في يوم واحد وذلك معنى قوله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وحبطت معناه بطلت * وقوله تعالى ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه ونزلت الآية قال * ع * فالكتاب في قوله من الكتاب اسم جنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التوراة وقال قتادة وابن جريج هو القرآن ورجح الطبري الاول * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا الاشارة فيه الى التوراة والاعراض اي انما تولوا واعرضوا لاغترارهم باقوالهم وافترائهم ثم قال تعالى خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامته على جهة التوقيف والتعجيب فكيف حال هؤلاء المغترين بالباطيل اذا حشروا يوم القيامة واصحلت تلك الزخارف والدعوى وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال ابن عطية والصحيح في يوم القيامة انه يوم لان قبله ليلة وفيه شمس وقال النقاش المراد باليوم الوقت * وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع انواعه واشرف ملك يوتيه عبادة سعادة الآخرة روي ان الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر امته بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون هيهات وكذبوا بذلك ومذهب البصريين ان الاصل في اللهم يا الله فعوض من ياء النداء ميما مشددة ومالك نصب

على النداء وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء ، اذ الآية في معنى دعاء
ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظى منه قال النووي وروينا في
كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له
الف الف درجة ورواه الحاكم ابو عبد الله في المستدرک على الصحيحين من
طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتنا في الجنة قال الحاكم وفي
الباب عن جابر وابى هريرة وانس وبريدة الاسلمي اه من الحلية وقال ابن
عباس وغيره في معنى قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية انه ما ينتقص من
النهار فيزيد في الليل وما ينتقص من الليل فيزيد في النهار دأبا كل فصل من
السنة وتحتل الفاظ الآية ان يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال احدهما
ولوح في الآخر واختلف في معنى قوله تعالى وتخرج الحي من الميت الآية فقال
الحسن معناه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وروي نحوه عن
سلمان الفارسي وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة
بنت الاسود بن عبد يغوث فقال من هذه فاخبر بها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة سالحة وكان
ابوها كافرا والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المومن وذهب جمهور
كثير الى ان الحياة والموت في الآية حقيقة لا انها استعارة ثم اختلفوا في المُثَل
التي فسروا بها فقال ابن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو
حي ويخرج الرجل منها وهي ميتة وقال عكرمة هو اخراج الدجاجة وهي حية

من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية وروى
السدي عن ابي مالك قال هي الحبة تخرج من السنبلتة والسنبلتة تخرج من
الحبة وكذلك النواة * وقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء الآيت
هذا النهي عن الاتخاذ انما هو عن اظهار اللطف للكفار والميل اليهم فاما ان يتخذوا
بالقلب فلا يفعل ذلك مومن ولفظ الآيت عام في جميع الاعصار واختلف في
سبب نزولها فقال ابن عباس في كعب بن الاشرف وغيره قد بطنوا بنفر من
الانصار ليفتنوهم عن دينهم فنزلت في ذلك الآيت. وقال قوم نزلت في قصة
حاطب بن ابي بلتعة وكتابه الى اهل مكة والآيت عامة في جميع هذا * وقوله
تعالى فليس من الله في شيء معناه في شيء مرضي كقوله صلى الله عليه وسلم من
غشنا فليس منا ثم اباح سبحانه اظهار اتخاذهم بشرط الانتفاء فاما ابطانه فلا يصح ان
يتصف به مومن في حال * وقوله تعالى ويحذركم الله الى اخر الآيت وعيد وتنبيه
ووعظ وتذكير بالآخرة * وقوله نفسه نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما
يفهمه البشر والنفس في مثل هذا راجع الى الذات وفي الكلام حذف مضاف لان
التحذير انما هو من عقاب وتنكيل ونحوه قال ابن عباس والحسن ويحذركم الله
عقابه * وقوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم الآيت الضمير في تخفوا هو
للمؤمنين الذين نهوا عن الكافرين والمعنى انكم ان ابطنتم الحرس على اظهار
موالاتهم فان الله يعلم ذلك ويكرهه منكم * وقوله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا قال ابن هشام في المغنى يوم نصب بمحذوف تقديره
اذكروا او احذروا ولا يصح ان يكون ظرفا ليحذركم كما زعم بعضهم لان التحذير في
الدنيا وقع لا في الآخرة اه * وقوله تعالى وما عملت من سوء يحتمل ان تكون
ما معطوفة على ما الاولى فهي في موضع نصب ويكون تود في موضع الحال واليه

ذهب الطبري وغيره ويحتمل ان تكون ما رفع بالابتداء والخبر في قوله تود وما بعده والامد الغاية المحدودة من المكان او الزمان * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد يحتمل ان يكون اشارة الى ان تحذيره رافة منه سبحانه بعبادة ويحتمل ان يكون ابتداء اعلام بهذه الصفة فيقتضى ذلك التائيس ليلا يفرط الوعيد على نفس مومن فسبحانه ما ارحمه بعبادة وعن منصور بن عمار انه قال اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مستيء ما من فلما سمع عبد الملك بن مروان منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال له ائتل علي يا منصور شيئاً من كتاب الله فتلا عليه يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية فقال عبد الملك قتلتنى يا منصور ثم غشي عليه اه * وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية قال الشيخ العارف بالله ابن ابي جرة رضي الله عنه من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنياً بمعرفة السنة في جميع تصرفاته والذي يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق اهل الفضل حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لما لم يبلغه كيفية السنة في اكله وكيف لا والله سبحانه يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة في كل الاشياء يعنى لا ما خصه به الدليل جعلنا الله من اهلها في الدارين انتهى قال * ع * قال الحسن بن ابي الحسن وابن جريج ان قوماً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الآية وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال * ع * ويحتمل ان تكون الآية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم قال عياض اعلم ان من احب شيئاً أثره واثـر موافقته ولا لم يكن

صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واتباع سنته واتباع أقواله وأفعاله والتأدب بآدابه في عسره ويسره قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية قال عياض روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها لاحظ الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها الحديث قال عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها في الدنيا وإشارة الفقر واتصافه به ففي حديث ابي سعيد ان الفقرا الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادى او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول قال والله انى لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه اه من الشفا قال * ع * والمحبة ارادة يقترب بها اقبال من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المرید والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبة الله تعالى أمارتها للمتأمل ان يرى العبد مهديا مسددا

ذا قبول فى الارض فلفظ الله تعالى بالعبد ورجته اياه هي ثمرة محبته وبهذا النظر
يفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عزوجل * وقوله تعالى ان الله
اصطفى ادم ونوحا الآية لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد عليهم
وبيان فساد ما هم عليه جاءت هذه الآيات معلية بصورة الامر الذى قد ضلوا فيه
ومنبئة عن حقيقته كيف كانت فبدأ تعالى بذكر فضل ادم ومن ذكر بعده
ثم خص امرأة عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر
عيسى عليه السلام وكيف كان وانصرف نوح مع عجمته وتعريفه لخفة الاسم
كهود ولوط قال الفخر هنا اعلم ان المخلوقات على قسمين مكلف وغير مكلف
واتفقوا على ان المكلف افضل من غير المكلف واتفقوا على ان اصناف المكلفين
اربعة الملائكة والانس والجن والحيوانات * تأمله جعل الشياطين
قسما للجن اه والال فى اللغة الاهل والقرابة ويقال للاتباع واهل الطاعة الال والال
فى الآية يحتمل الوجهين فان اريد بالال القرابة فالتقدير ان الله اصطفى هؤلاء
على عالمى زمانهم او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من
ال ابراهيم وان اريد بالال الاتباع فيستقيم دخول امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فى الال لانها على ملة ابراهيم * وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض اي متشابهين
فى الدين والحال وعمران هو رجل من بنى اسرائيل وامرأة عمران اسمها حنة
ومعنى نذرت جعلت لك ما فى بطنى محررا اي حبسا على خدمة بيتك
محررا من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذى نذرت له هو بيت
المقدس فتقبل منى اي ارض عنى فى ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به
والسميع اشارة الى دعائها والعليم اشارة الى نيتها * وقوله تعالى فلما وضعها قالت
رب انى وضعها انشى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة وقولها رب انى وضعها

انثى لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلطف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما
وضعت وقولها وليس الذكر كالانثى تريد في امتناع نذرها اذ الانثى تحيض
ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيره وبدأت بذكر لاهم في نفسها والا فسياق
قصتها يقتضى ان تقول وليس الانثى كالذكر وفي قولها وانى سميتها مريم سنة تسمية
الاطفال قرب الولادة ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة مولود فسميته
باسم ابى ابراهيم وباقي الآية اعادة قال النووي وروينا في سنن ابى داود باسناد
جيد عن ابى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تدعون يوم
القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب اسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبد
الرحمن وفي سنن ابى داود والنسائي وغيرهما عن ابى وهب الجشمي قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله
تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة اه وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريرة قال قال كل مولود
من بنى ادم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم
ابنت عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها وانى اعيزها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم ففُرب بينهما حجاب فطعن الشيطان في الحجاب وقد اختلفت
الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته قال النووي باب ما يقال عند الولادة
روينا في كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما دنا ولادها امرام سلمة وزينب بنت جحش ان تاتيها فتقرأ عندها اية
الكرسي وان ربكم الله الى ، اخر الآيت وتعوذانها بالمعوذتين انتهى * وقوله
تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه

رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت امها وستى لها الامل في ذلك * وقوله سبحانه وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة في خلقته وخلق * ص * بقبول مصدر على غير الصدر والجاري على تقبل تقبلا وعلى قبل قبولا ونباتا مصدر منصوب بانبتها على غير الصدر انتهى * وقوله تعالى وكفلها زكريا معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربي قال السدي وغيره ان زكريا كان زوج اختها ويعصد هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم في يحي وعيسى ابنا الخالة والذي عليه الناس ان زكريا انما كفلهما بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر * وقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا المحراب المبني الحسن ومحراب القصر اشرف ما فيه ولذلك قيل لا شرف ما في المصلى وهو موقف الامام محراب ومعنى رزقا اي طعاما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجدها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ونحوه عن ابن عباس لا انه قال ثمار الجنة وقوله اني معناه كيف ومن اين وقولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قال الزجاج وهذا من آية التي قال الله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقولها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قول مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه لا تنتقص خزائنه فليس يحسب ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن الكثيرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هي فيما ينتفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابي جرة رضي الله عنه وقد قال العلماء في معنى قوله عز وجل ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجهه اه ذكر هذا عند شرحه لقوله صلى

الله عليه وسلم لودعيت الى ذراع او كراع لا جبت * وقوله تعالى هنالك دعا
زكريا ربه الآية هنالك في كلام العرب اشارة الى مكان او زمان فيه بعد ومعنى
هذه الآية ان في الوقت الذي رأى زكريا رزق الله لمريم ومكانتها من الله
وفكر في انها جاءت امها بعد ان اسنت وان الله تعالى تقبلها وجعلها من
الصالحات تحرك امله لطلب الولد وقوي رجاءه وذلك منه على حال سن
وهن عظم واشتعال شيب فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة يرثه والذرية اسم
جنس يقع على واحد فصاعدا كما ان الولد اسم جنس كذلك وطيبة معناه
سليمة في الخلق والدين تقية ثم قال تعالى فنادته الملائكة ونُزِكَ محذوف
كثير دل عليه ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه وبعث الملك او الملائكة
فنادته وذكر جمهور المفسرين ان المنادي انها هو جبريل وقال قوم
بل نادته ملائكة كثيرة حسبما تقتضيه الفاظ الآية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل
عنه الا ان يصح في ذلك حديث عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع وقوله تعالى
فنادته عبارة تستعمل في التبشير وفي ما ينبغي ان يسرع به وينتهي الى نفس
السامع ليسر به فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحي بل نداء كما
نادى الرجل الانصاري كعب بن مالك من اعلى الجبل * وقوله تعالى وهو
قائم يصلى في المحراب يعنى بالمحراب في هذا الموضع موقف الامام من المسجد
ويحي اسم سماء الله به قبل ان يولد ومصدقا نصب على الحال قال ابن عباس
وغیره الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم قال * ع * وسمى الله تعالى
عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب انسان * وقوله تعالى
وسيدا قال قتادة اي والله سيد في الحلم والعبادة والورع قال * ع * من
فسر السودد بالحلم فقد احرز اكثر معنى السودد ومن جرد تفسيره بالعلم

والتقى ونحوه فلم يفسره بحسب كلام العرب وقد تحصل العلم ليحي عليه السلام بقوله مصدقا بكلمته من الله وتحصل التقى بباقي الآية وخصه الله بذكر السودد الذى هو الاعتمال فى رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع فى باطل هذا اللفظ يعم السودد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى وهنا هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظام وهنا هو الحلم وغيره من تحمل الغرامات والانقاذ من الهلكات وجبر الكسير والافصال على المسترفد وانظر قول النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وذكر حديث الشفاعة فى اطلاق الموقف وذلك منه اعتمال فى رضى ولد ادم ثم قال * ع * اما انه يحسن بالتقى العالم ان ياخذ من السودد بكل ما لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحي عليه السلام * وقوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه حصر العدو قال * ع * واجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة ليحي عليه السلام انما هي الامتناع من وطء النساء الا ما حكى مكي من قول من قال انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصرة كان بانه يمسك نفسه تقى وجلدا فى طاعة الله سبحانه وكانت به القدرة على جماع النساء قالوا وهذه امدح له قال الامام الفخر وهذا القول هو اختيار المحققين انه لا ياتى النساء لا للعجز بل للعصمة والزهد قلت قال عياض اعلم ان ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا ولا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا ياتىها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء كفاية من الله له لكونها مشغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي فى حق من اقدر عليها وقام

بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي وسائر النبيين اه من الشفا وباقي الآيات بين وروي من صلاحه عليه السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان كثير البكاء من خشية الله حتى اتخذ الدمع في وجهه اخذودا * ص * ومن الصالحين اي من اصلاّب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف محذوف اه قلت والثاني احسن ولاول تحصيل الحاصل فتأمل * وقوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر الآيات ذهب الطبري وغيره الى ان زكريا لما رأى حال نفسه وحال امرأته وانها ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذى به يكون الغلام اتبدل المرأة خلقتها ام كيف يكون قال * ع * وهذا تاويل حسن لائق بزكريا عليه السلام وانى معناها كيف ومن اين وحسن فى الآيات بلغنى الكبر من حيث هي عبارة واهن منفعل * وقوله كذلك اي كهذه القدرة المستغربة قدرة الله ويحتمل ان تكون الاشارة بذلك الى حال زكريا وحال امرأته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما الغلام والكلام تام على هذا التاويل فى قوله كذلك * وقوله الله يفعل ما يشاء جلته مبينة مقررة فى النفس وقوع هذا الامر المستغرب * وقوله قال رب اجعل لى آية اي علامة قالت فرقة من المفسرين لم يكن هذا من زكريا على جهة الشك وانما سأل علامة على وقت الحمل * وقوله تعالى ايتك لا تكلم الناس الآيات قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام لافته ولكنه منع محاورة الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد فى الآيات انما هو النطق باللسان لا الاعلام بما فى النفس والرمز فى اللغة حركة تعلم بما فى نفس الرامز كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يد او عود او غير ذلك

وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا لانه لم يحل بينه وبين ذكر الله وهذا قاص بان لم تدركه ءافته ولا علة في لسانه قال محمد بن كعب القرظي لو كان الله رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكرياء عليه السلام حيث قال ءايتك لا تكلم الناس ثلاثة ايام لارمزا لكنه قال له اذكر ربك كثيرا قال لامام الفخروي الآيتة تاويلان احدهما ان الله تعالى حبس لسانه عن امور الدنيا واقدرة على الذكر والتسبيح والتهيل ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله وطاعته شكراً لله على هذه النعمة ثم اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجز من وجوه احدها ان قدرته على الذكر والتسبيح وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها ان حصول ذلك العجز مع صحة البنية من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق هذا الخبر يكون ايضا من المعجزات والتاويل الثاني ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي الذكر في القلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكرياء عليه السلام امر بالسكوت باللسان واستحضر معاني الذكر والمعرفة واستدامتها بالقلب اه * وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صل والاول اصوب لانه يناسب الذكر ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس والعشي في اللغة من زوال الشمس الى مغيبها والابكار مصدر ابكر الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتتمادى البكرة شيئاً بعد طلوع الشمس يقال ابكر الرجل وبكر * وقوله تعالى واذا قالت الملائكة العامل في اذ اذكر لان هذه الآيات كلها

انما هي اخبارات بغيب تدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها هو الاظهر في حفظ رونق الكلام واصطفاك معناه تخيرك لطاعته وطهرتك معناه من كل ما يصم النساء في خلق او خلق او دين قاله مجاهد وغيره وقول الزجاج قد جاء في التفسير ان معناه طهرتك من الحيض والنفاس يحتاج الى سند قوي وما احفظه والعالمين يحتمل عالم زمانها قال * ع * وسائغ ان يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبيه من اجل مخاطبة الملائكة لها وجهور الناس على انها لم تنبأ امرأة واقنتى معناه اصبى واطيعى قاله الحسن وغيره ويحتمل ان يكون معناه اطيلى القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب في المعنى لقوله واسجدى وروى مجاهد انها لما خطبت بهذا قامت حتى ورمت قدميها وروى الاوزاعي حتى سال الدم والقيح من قدميها وروى ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جادا واختلف المتأولون لم قدم السجود على الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندى في ذلك ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما وهذان يختصان بصلاتها مفردة والا فمن يصلى وراء امام فليس يقال له اطل قيامك ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقل لها واركعى مع الراكعين وقصد هنا معلم اخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذى هو منتظم في ركعة واحدة والله اعلم وقال * ص * قوله واركعى الواو لا ترتب فلا يسأل لم قدم السجود لا من جهة علم البيان وجوابه انه قدم لانه اقرب ما يكون العبد فيه من ربه فكان اشرف وقيل كان مقدما في شرعهم اه * وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الآية هذه المخاطبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار

والغيب ما غاب عن مدارك الانسان ونوحيه معناه تلقينه في نفسك في خفاء
وحد الوحي القاء المعنى في النفس في خفاء فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه
بالاشارة ومنه بالكتاب وفي هذه الآية بيان لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ
جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم او من قرأها في كتبهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذاك صلى الله
عليه وسلم ولديهم معناه عندهم ومعهم * وقوله اذ يلقون اقلامهم الآية جمهور
العلماء على انه استهام لاخذها والمنافسة فيها فروي انهم القوا اقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة في النهر فروي ان قلم زكرياء صاعد الجربة وضت اقلام
الآخرين وقيل غير هذا قلت ولفظ ابن العربي في الاحكام قال النبي صلى الله
عليه وسلم فجرت الاقلام وعلا قلم زكرياء اه واذا ثبت الحديث فلا نظر لاحد معه
ويختصمون معناه يتراجعون القول الجهير في امرها وفي هذه الآية استعمال القرعة
والقرعة سنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه وقال
صلى الله عليه وسلم لويلعلون ما في الصف الاول لاستهموا عليه واختلف ايضا هل
الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملائكة ووجيها نصب على
الحال وهو من الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله وقال البخاري وجيها شريفا اه
ومن المقربين معناه من الله تعالى وكلامه في المهد آية دالة على براءة امه واخبر
تعالى عنه انه ايضا يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك انه اخبار لها بحياته الى سن
الكهولة قال جمهور الناس الكهل الذي بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحليم
قال * ع * وهذا تفسير للكهولة بعرض مصاحب لها في الاغلب واختلف
الناس في حد الكهولة فقيل الكهل ابن اربعين وقيل ابن خمسة وثلاثين وقيل
ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن اثنين وثلاثين هذا حد اولها واما اخرها فائنان

وخسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لى ولد استفهام عن جهة
جلها واستغراب للحمل على بكارتها ويمسس معناه يطاء ويجمع * ص *
والبشر يطلق على الواحد والجمع اه والكلام فى قوله كذلك كالكلام فى امر زكريا
وجاءت العبارة فى امر زكريا يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث ان امر زكريا داخل
فى الامكان الذى يتعارف وان قل وقصة مريم لا تتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب
الى الاختراع وادل عليه * وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد ايجاده والامر
واحد الامور وهو مصدر سمي به والضمير فى له عائد على الامر والقول على جهة المخاطبة
* وقوله كن خطاب للمقضى * وقوله فيكون بالرفع خطاب للمخبر * وقوله
تعالى ويعلمه الكتاب الآية الكتاب هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب يكتب قاله
جمهور المفسرين * وقوله ورسولا الى بنى اسرائيل اي ويجعله رسولا وكانت رسالة
عيسى عليه السلام الى بنى اسرائيل مبينا حكم التوراة ونادبا الى العمل بها ومحلا
اشياء مما حرم فيها كالشروب ولحوم الابل واشياء من الحيتان والطيرو من اول
القول لمريم الى قوله اسرائيل خطاب لمريم ومن قوله انى قد جئتمكم الى قوله
مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم على معنى يكون من قوله لبنى اسرائيل
كيت وكيت ويكون فى اخر الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فجاء
عيسى بنى اسرائيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المحذوف
مقدرا فى صدر الكلام بعد قوله الى بنى اسرائيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما
بشر الله رسولا الى بنى اسرائيل بانى قد جئتمكم ويكون قوله انى قد جئتمكم
ليس بخطاب لمريم ولا اول اظهر * وقوله انى اخلق لكم من الطين الآية قرا
نافع انى اخلق بكسر الهمزة وقرا باقى السبعة بفتحها فوجه قراءة نافع اما القطع
والاستيناف واما انه فسر الآية بقوله انى كما فسر المثل فى قوله كمثل ادم ووجه

قراءة الباقيين البدل من آية كانه قال وجئتكم بانى اخلق واخلق معناه اقدر
واهينى بيدى * ص * كهينة الهيئة الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء .
يهينى هيئة وهياً اذا ترتب واستقر على حال ما وتعيده بالتصغير قال تعالى
ويهيئ لكم من امركم مرفقا هـ وقرأ نافع وحده فيكون طائرا بالافراد اى يكون
طائرا من الطيور وقرأ الباقيون فيكون طيرا بالجمع وكذلك فى سورة المائدة
والطير اسم جمع وليس من ابنية الجموع وانما البناء فى جمع طائر اطيوار
وجمع الجمع طيور * وقوله فانفخ فيه ذكر الضمير لانه يحتمل ان يعود على
الطين المهيئ ويحتمل ان يريد فانفخ فى المذكور وانث الضمير فى سورة المائدة
لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على تانيث لفظ الجماعة وكون عيسى يخلق
بيده وينفخ فيه انما هو ليبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبله واما الابداد
من العدم وخلق الحياة فى ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له
وروي فى قصص هذه الآية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسرائيل اى
الطير اشد خلقته واصعب ان يحكى فيقولون الخفاش لانه طائر لا ريش له
فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس
ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرى معناه ازيل المرض والاكمة هو الذى
يولد اعمى مضموم العينين قاله ابن عباس وقتادة قال * ع * والاكمة فى
اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام يبرى بدعائه ومسح يده على كل
عاهة ولكن الاحتجاج على بنى اسرائيل فى معنى النبوة لا يقوم الا بالابراء من العلل
التي لا يبرى منها طبيب بوجه وروي فى احيائه الموتى انه كان يضرب بعصاه
الميت او القبر او الجمجمة فيحيى الانسان ويكلمه باذن الله وفى قصص الاحياء
احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها وايات عيسى عليه السلام انما تجري فيما

يعارض الطب لان علم الطب كان شرفَ الناس في ذلك الزمان وشغلهم
وحينئذ اثبرت فيه العجائب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها
الأمزجة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء الالكه والابرس علمت الاطباء
ان هذه القوة من عند الله وهذا كامر السحرة مع موسى والفصحاء مع نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ووقع في التواريخ المترجمة عن الاطباء ان جالينوس كان في
زمن عيسى عليه السلام وانه رحل اليه من رومية الى الشام فمات في طريقه ذلك
* وقوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم الآية قال مجاهد وغيره
كان عيسى عليه السلام من لدن طفوليته وهو في الكتاب يخبر الصبيان بما يفعل
اباؤهم في منازلهم وبما ياكل من الطعام ويدخر وكذلك الى ان نبي فكان يقول
لكل من سأله عن هذا المعنى اكلت البارحة كذا وادخرت كذا وقال قتادة معنى
الآية انها هو في نزول المائدة عليهم وذلك انها لما نزلت اخذ عليهم عهد ان
ياكلوا ولا يخبأ احد شيئاً ولا يدخره ولا يحمله الى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون
فكان عيسى عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر في بيته من ذلك
وعوقبوا على ذلك * وقوله فاتقوا الله واطيعوا الله وتحذروا دعاء الى الله عز وجل
* وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان الفاظه
جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه *
وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الآية قبل هذه الآية محذوف به يتم
اتساق الآيات تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبنى
اسراييل فلما احس ومعنى احس علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم
في تكذيبه ورأى من قرائن احوالهم وشدة عداوتهم واعراضهم قال من انصاري
الى الله وقوله الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرني في السبيل الى الله

والثانى ان يكون التقدير من يضيف نصرته الى نصرته الله لى فالى دالته على
الغاية فى كلا التقديرين وليس يباح ان يقال الى بمعنى مع كما غلط فى ذلك
بعض الفقهاء فى تاويل قوله تعالى وايدىكم الى المرافق فقال الى بمعنى مع وهذه
عجمة والحواريون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى نصرته واتباع
ملته فاجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا فى ذات الله واختلف لم قيل لهم
حواريون فقال ابن جبير لبياض ثيابهم وقال ابوارطاة لانهم كانوا قصارين
يحورون الثياب اى يبيضونها وقال قتادة الحواريون اصفاء الانبياء الذين
تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه قال * ع * وهذا القول تقرير
حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم
ابن عمته بهم فى قوله وحواري الزبير والاقوال الأول هي تفسير اللفظة اذ هي
من الحور وهو البياض حورت الثوب بيضته ومنه الحواري وقد تسمى العرب
النساء الساكنات فى الامصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول ابى
جلدة اليشكري

فقل للحواريات يبيكن غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوايح
وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون خطابا لعيسى عليه السلام اى
اشهد لنا عند الله ويحتمل ان يكون خطابا لله تعالى كقوله صلى الله
عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم اشهد وقولهم ربنا امننا بما انزلت
يريدون الانجيل وامايات عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اى فى عداد
من شهد بالحق من مومنى الامم ثم اخبر تعالى عن بنى اسرائيل الكافرين
بعيسى عليه السلام فقال ومكروا يريد فى تحيلهم فى قتله بزعمهم فهذا هو مكروهم
فجازاهم الله تعالى بان طرح شبه عيسى على احد الحواريين فى قول الجمهور

او على يهودي منهم كان جاسوسا واعتقب بنى اسرائيل مذلتة وهوانا في الدنيا والآخرة فهذه العقوبة هي التي سماها الله تعالى مكرًا في قوله ومكر الله وذلك مهيع ان تسمى العقوبة باسم الذنب وقوله والله خير الماكرين معناه فاعل حق في ذلك وذكر ابو القاسم القشيري في تحبيره قال سئل ميمون احسبه ابن مهران عن قوله تعالى ومكروا ومكر الله فقال تخليته اياهم مع مكرهم هو مكره بهم اه ونحوه عن الجنيد قال الفراء المكر من المخلوق الخب والحيلة ومن الاله الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة احدثنا لهم نعمة اه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيک الآية اختلف في هذا التوفى فقال الربيع هي وفاة نوم وقال الحسن وغيره هو توفى قبض وتحصيل اي قابضك من الارض ومحصلك في السماء وقال ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك في العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث ساعات ورفع فيها ثم احياه بعد ذلك وقال الفراء هي وفاة موت ولكن المعنى اني متوفيک في اخر امرک عند نزولک وقتلک الدجال ففي الکلام تقديم وتأخير قال * ع * واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث المتواتر من ان عيسى عليه السلام في السماء حي وانه ينزل في اخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى في الارض اربعا وعشرين سنة وقيل اربعين سنة ثم يميتة الله تعالى قال * ع * فقول ابن عباس هي وفاة موت لا بد ان يتم اما على قول وهب بن منبه واما على قول الفراء * وقوله تعالى ورافعک الي عبارة عن نقله من سفلى الى علو واصافه الله سبحانه اضافة تشريف ولا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز في جهة

ومظهره اي من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم * وقوله وجاعل الذين اتبعوك
الآية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين فتدخل في ذلك امته محمد
صلى الله عليه وسلم لانها متبعة لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ
في الكافرين فمقتضى الآية اعلام عيسى عليه السلام ان اهل الايمان به كما
يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان والعز والغلبة ويظهر من عبارة ابن
جريج وغيره ان المراد المتبعين له في وقت استنصاره وهم الحواريون * وقوله
تعالى ثم الي مرجعكم خطاب لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشر وباقي الآية
بين وتوفية الاجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الاعمال واما
نفس دخول الجنة فبرحمة الله وتفضله سبحانه * وقوله تعالى ذلك نتلوه
عليك من الآيات الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من الانباء ونتلوه معناه نسرده
ومن الآيات ظاهرة آيات القرآن ويحتمل ان يريد من المعجزات والمستغربات
ان تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا والذكر ما ينزل من عند الله
قال ابن عباس الذكر القرآن والحكيم الذي قد كمل في حكمته * وقوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله الآية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى
نجران في امر عيسى وقولهم يا محمد هل رأيت بشرا قط جاء من غير فحل او سمعت
به ومعنى الآية ان المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمصور من
ادم اذ الناس مجمعون على ان الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل وفي هذه الآية
صحة القياس * وقوله تعالى ثم قال ترتيب للاخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم المعنى
خلقته من تراب ثم كان من امرة في الازل ان قال له كن وقت كذا * وقوله
تعالى الحق من ربك اي هذا هو الحق والمترين هم الشاكون ونهي النبي
صلى الله عليه وسلم في عبارة اقتضت ذم المترين وهذا يدل على ان المراد

بالامتراة غيره ونهي عن الامتراة مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله
* وقوله تعالى فمن حاجك فيه اى في عيسى ويحتمل في الحق والعلم الذى
اشير اليه بالمجيب هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة * وقوله فقل تعالوا
استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصد بها اولا تحسين الادب
مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه وللبيهمة ونبتهل معناه نلتعن
ويقال عليهم بهلته الله والابتهاال الجد في الدعاء بالبهلته قال محمد بن جعفر بن
الزبير وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا نصارى نجران الى المباهلة
قالوا دعنا ننظر في امرنا ثم نأتك بما نفعل فذهبوا الى العاقب وهو ذو رأيهم
فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم ان محمدا
النبي المرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لادن قوم قط
نبيا فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابستم الا الف
دينكم وما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
حتى يريكم زمن رايه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا
ان لا نلاعنك وان نبقي على ديننا وصالحوه على اموال وقالوا له ابعت معنا رجلا
من اصحابك ترصاه لنا يحكم بيننا في اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم
عندنا رضى قال * ع * وفي ترك النصارى الملائنة لعلمهم بنبوته نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم عندهم
ودعاء النساء والابناء اهز للنفوس وادعى لرجة الله للمحقين او لغضبه على المبطلين
* وقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق الآية هذا خبر من الله تعالى جزم
موكد فصل به بين المختصمين والاشارة بهذا هي الى ما تقدم في امر عيسى
عليه السلام والقصص معناه الاخبار وقال * ص * ان هذا لهو هذا اشارة

الى القروان اه واختلف المفسرون من المراد باهل الكتاب هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيره المراد نصارى نجران قال * ع * والذى يظهر لى ان الآيتـة نزلت فى وفد نجران لكن لفظ الآيتـة يعمهم وسواهم من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيتـة الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغى ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هنا عند الجمهور عبارة عن الالفاظ التى تتضمن المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمى العرب القصيدة كلمة وقوله سواء نعت للكلمة قال قتادة وغيره. معناه الى كلمة عدل وفى مصحف ابن مسعود الى كلمة عدل كما فسر قتادة قال * ع * والذى اقله فى لفظة سواء انها ينبغى ان تفسر بتفسير خاص بها فى هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معان جميع الناس فيها مستوون * وقوله لا نعبد الا الله هو فى موضع خفض على البدل من كلمة او فى موضع رفع بمعنى هي لا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا اربابا هو على مراتب اشدها اعتقادهم الا لوهيتـة وعبادتهم لهم كعزيز وعيسى ومريم وادنى ذلك طاعتهم لا ساقفتهم فى كل ما امروا به من الكفر والمعاصى والتزامهم طاعتهم شرعا * م * فان تولوا ابر البقاء تولوا فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا اشهدوا خطاب للمؤمنين وتولوا للمشركين اه وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم الآيتـة قال ابن عباس وغيره اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الآيتـة ومعنى قوله تعالى فيما لكم به علم اى على

زعمكم وفسر الطبري هذا الموضع بأنه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم مما
ايقنوه وثبتت عندهم صحته قال * ع * وذهب عنه رحمه الله ان ما كان
هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما
كان هناك على حقيقته قلت وما قاله الطبري ابين وهو ظاهر الآية ومن المعلوم
ان اكثر احتجاجاتهم انما كانت تعسفا وجحدا للحق * وقوله تعالى ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية اخبر الله تعالى في هذه الآية عن حقيقة امر ابراهيم
عليه السلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا
ان اولى الناس بابراهيم هم القوم الذين اتبعوه فيدخل في ذلك كل من اتبع
الحنيفية في الفترات وهذا النبي يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
بالحنيفية السمحة والذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
على ما يجب ثم اخبر سبحانه انه ولي المؤمنين وعدا منه لهم بالنصر في الدنيا
والنعيم في الآخرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لكل نبي ولاية من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان
اولى الناس بابراهيم الآية * وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
قال مكي قيل ان هذه الآية عني بها قريظة والنضير وبنو قينقاع ونصارى نجران
* ص * قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمنى ويستعمل معها ان ولو وربما
جمع بينهما نحو وددت ان لو فعل ومصدره الودادة والاسم منه الود وبمعنى احب
فيتعدى كتعدى احب ومصدره مودة والاسم منه ود وقد يتداخلان في الاسم
والمصدر اه * وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اعلام بان سوء فعلهم عائد عليهم
وانهم يبعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلم تعالى انهم لا يشعرون بذلك اي
لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد

لاي سبب تكفرون بآيات الله التى هي آيات القرآن وانتم تشهدون ان امره
وصفة محمد فى كتابكم قال هذا المعنى فتادة وغيره ويحتمل ان يريد بالآيات ما
ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الآيات
المتلوة والمعجزات التى شاهدها منه صلى الله عليه وسلم وقال * ص * وانتم
تشهدون جلته حالية ومفعول تشهدون محذوف اي انها آيات الله او ما يدل
على صحتها من كتابكم او بمثلها من آيات الانبياء اه * وقوله لم تلبسون معناه
تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبناء عليهم
ما يلبسون وفى قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهر وباقي الآية تقدم بيانه
فى سورة البقرة * وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى
انزل على الذين امنوا وجه النهار الآية اخبر الله سبحانه فى هذه الآية ان طائفة
من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال فتادة وغيره
قال بعض الاحبار لنظهر الايمان بمحمد صدر النهار ثم لنكفر به اخر النهار فيقول
المسلمون عند ذلك ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك لانهم
انكشفت لهم حقيقة فى الامر فيشكون ولعلمهم يرجعون عن الايمان بمحمد قال
الامام الفخر وفى اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من الفائدة وجوه
الاول ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم فلما اخبر بها عنهم كان اخبارا
بمغيب فيكون معجزا الثانى انه تعالى لما اطلع المؤمنين على تواطئهم على هذه
الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام لا يمكن تأثيرها
فى قلب من ضعف ايمانه الثالث ان القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة صار
ذلك رادعا لهم عن الاقدام على امثالها من الحيل والتلبيس اه وذكر تعالى عن
هذه الطائفة من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف

ان هذا القول هو من كلام الطائفة واختلف الناس في قوله تعالى ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله من قول الطائفة لاتباعهم * وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال * ع * والكلام على هذا التاويل يحتمل معاني احدها ولا تصدقوا وتؤمنوا لا لمن جاء بمثل دينكم حذارا ان يوتى احد من النبوة والكرامة مثل ما اوتيتم وحذارا ان يحاجوكم بتصديقتكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تؤمنوا بمحمد وتقرأوا بنبوته اذ قد علمت صحتها لا لليهود الذين هم منكم وان يوتى احد مثل ما اوتيتم صفة لحال محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستمروا باقراركم ان قد اوتى مثل ما اوتيتم او فانهم يعنون العرب يحاجونكم بالاقرار عند ربكم وقرأ ابن كثير وحده من بين السبعة ان يوتى بالمد على جهة الاستفهام الذى هو تقرير وفسر ابو علي قراءة ابن كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة لا الاعتراض الذى هو قل ان الهدى هدى الله فانه لا يختلف انه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فلا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ان يوتى على ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره تصدقون او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام قال * ع * ويكون يحاجوكم على هذا معطوفا على ان يوتى قال ابو علي ويجوز ان يكون موضع ان نصبا فيكون المعنى انشيعون او تذكرون ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فعلى كلا الوجهين معنى الآية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا صلى الله

عليه وسلم نبيء مبعوث قال * ع * ويكون قوله تعالى او يحاجوكم
في تاويل نصب ان بمعنى او تريدون ان يحاجوكم وقال السدي وغيره
الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الآية هو مما امر
به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامتته وحكى الزجاج وغيره ان المعنى
قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الآية على
قول السدي اي لم يعط احد مثل حظكم والا فليحاجكم من ادعى سوى ذلك
او يكون المعنى او يحاجوكم على معنى الازدراء باليهود كانه قال او هل لهم ان
يحاجوكم او يخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به وقال قتادة والربيع الكلام كله
من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الآية هو مما امر به النبي صلى الله
عليه وسلم ان يقوله للطائفة قال * ع * ويحتمل ان يكون قوله ان يوتى
بدلا من قوله هدى الله قلت وقد اطالوا الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية * وقوله
تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم في الآية تكذيب لليهود في قولهم لن يوتي الله احدا
مثل ما اتى بنى اسرائيل من النبوة والشرف وباقي الآية تقدم تفسير نظيره
* وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه الآية اخبر تعالى عن اهل الكتاب
انهم قسمان في الامانة ومقصد الآية ذم الخونة منهم والتفنيذ لرأيهم وكذبهم على
الله في استحلالهم اموال العرب قال الفخروفي الآية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة
منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصررون على الخيانة لان
مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين واخذ ماله الثانى ان اهل
الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الثالث قال ابن عباس اودع
رجل عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فادى اليه واودع اخر

فخاصا اليهودي ديناراً فخاناه فنزلت الآية اه قال ابن العربي في احكامه قال
الطبري وفائدة هذه الآية النهي عن ائتمانهم على مال وقال شيخنا ابو عبد الله
المغربي فائدتها ان لا يؤتمنوا على دين يدل عليه ما بعده في قوله وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية والصحيح عندي انها في المال نص وفي
الدين تنبيه فافادت المعنيين بهذين الوجهين قال ابن العربي فالامانة عظيمة
القدر في الدين ومن عظيم قدرها انها تقف على جنبتي الصراط لا يمتكن من
الجواز الا من حفظها ولهذا وجب عليك ان تؤديها الى من ائتمنتك ولا تخن
من خانتك فتقابل المعصية بالمعصية وكذلك لا يجوز ان تغدر من غدرت قال
البخاري باب اثم الغادر للبر والفجرا والقنطار في هذه الآية مثال للمال الكثير
يدخل فيه اكثر من القنطار واقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل
ويحتمل ان يريد ان منهم طبقة لا تخون الا في دينار فما زاد ولم يعن لذكر
الخائنين في اقل اذ هم طعام خثالة ودام معناه ثبت وقوله قائما يحتمل معنيين
قال قتادة ومجاهد والزجاج معناه قائما على اقتضاء حقتك يريدون بانواع
الاقتضاء من الحفز والمرافعة الى الحاكم من غير مراعاة لهيئة هذا الدائم وقال
السدي وغيره معنى قائما على راسه * وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في
الامين سبيل الآية لاشارة بذلك الى كونهم لا يؤدون لامانة اي يقولون نحن
من اهل كتاب والعرب اميون اصحاب اوثان فاموالهم لنا حلال متى قدرنا على
شيء منها لا حجة علينا في ذلك ولا سبيل لمعتراض * وقوله تعالى ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون ذم لبنى اسرائيل بانهم يكذبون على الله سبحانه في غير
ما شيء * وهم عالمون بمواضع الصدق قال * ص * وهم يعلمون جملة حالية
اه ثم رد الله تعالى في صدر قولهم ليس علينا بقوله بلى اي عليهم سبيل وجملة وتباعة

ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد وانقى عقوبة الله في نقتضه فانه محبوب عند الله * وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الآيت ءاية وعيد لمن فعل هذه الافاويل الى يوم القيامة وهي ءاية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحق وختر الموائيق وكل ياخذ من وعيدها بحسب جريمته قال ابن العربي في احكامه وقد اختلف الناس في سبب نزول هذه الآيت والذي يصح من ذلك ان عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وائماتهم ثمنا قليلا الآيت قال فجاء الاشعث بن قيس فقال في نزلت كانت لي بيري ارض ابن عم لي وفي رواية كان بيني وبين رجل من اليهود ارض فجحدني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينتك او يمينه قلت اذا يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث اه وقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآيت يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعاني من جهة اشتباه الالفاظ واشتراكها وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض بلي وحقيقة اللي في الشيا ب والحبال ونحوها وهو فتلها واراغتها ومنه لي العنق ثم استعمل ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات والكتاب في هذا الموضع التوراة والضمير في تحسوبة للمسلمين * وقوله وما هو من عند الله نفى ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع والايجاد ومنهم بالنكسب * وقوله تعالى ما كان لبشر الآيت معناه النفى التام لانا نقطع ان الله لا يوتى النبوة للكذبة والمدعين والكتاب هنا اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وقال الفخر هنا اتفق اهل

اللغة والتفسير على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى واثينا الحكم صبيا يعنى العلم والفهم اه وثم فى قوله ثم يقول معطية تعظيم الذنب فى القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدى قال * ع * والذى استقرت فى لفظة العباد انه جمع عبد متى سقت اللفظة فى مضار الترفع والدلالة على الطاعة دون ان يقتصر بها معنى التحقير وتصغير الشأن واما العبید فيستعمل فى التحقير قال * ص * ونوقش ابن عطية بان عبدي اسم جمع وتفريقه بين عباد وعبيد لا يصح اه قلت وقوله تعالى انتم اضللتم عبادى هؤلاء ونحوه يوضحه اه ومعنى الآية ما كان لاحد من الناس ان يقول اعبدونى واجعلونى الها قال النقاش وغيره وهذه الاشارة الى عيسى عليه السلام والآية رادة على النصارى وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب نزول الآية ان ابا رافع القرطبي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من يهود والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك وننخذك الها كما عبدت النصارى عيسى فقال الرئيس من نصارى نجران او ذاك تريد يا محمد واليه تدعوننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الآية قال بعض العلماء ارادت الاحبار ان تلزم هذا القول محمدا صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وانما معنى الآية فاتبعونى فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها بتأولهم وهذا من نوع ليهم الكتاب بالسنتهم قال الفخر وقال ابن عباس ان الآية نزلت بسبب قول النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزيز ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله افلا نسجد لك فقال عليه السلام ما ينبغي السجود

الا لله قيل وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوى هذا التاويل اه
* وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو
جمع رباني قال قوم منسوب الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بطاعته
معلم للناس ما امر به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب الى الربان وهو
معلم الناس مأخوذ من رب يرب اذا اصلح وربى والنون ايضا زائدة كما زيدت
في غضبان وعطشان وفي البخاري الرباني الذي يربى الناس بصغار العلم قبل
كباره قال * ع * فجملة ما يقال في الرباني انه العالم بالرب والشرع
المصيب في التقدير من الاقوال والافعال التي يحاولها في الناس وقوله بما كنتم
معناه بسبب كونكم عالمين دارسين فما مصدرية واسند ابو عمر بن عبد البر في
كتاب فضل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علان علم في القلب
فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن ادم
ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم
فاجر وعابد جاهل وشر الشرار جبار العلماء وخير الخيار خيار العلماء اه وقرأ جمهور
الناس تدرسون بضم الراء من درس اذا أذمن قراءة الكتاب وكررة وقرأ نافع وغيره
ولا يامرکم برفع الراء على القطع قال سيبويه المعنى لا يامرکم الله وقال ابن
جريح وغيره المعنى ولا يامرکم هذا البشر الذي اوتي هذه النعم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم واما قراءة من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهني عطف
على قوله ان يؤتیه الله المعنى ولا له ان يامرکم قاله ابو علي وغيره
وهو الصواب لا ما قاله الطبري من انها عطف على قوله ثم يقول
والارباب في هذه الآية بمعنى الالهة * وقوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق
النبيين لهما اثيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن

به ولتنصرنه المعنى واذا كريا مجد اذ فيحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين
اخرج بنى ادم من ظهر ادم نسما ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على كل نبي
فى زمنه ووقت بعثه والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بانه ملتزم
هو ومن آمن به الايمان بمن اتى بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم فهو اخذ لميثاق الجميع وقال علي بن
ابى طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد فى مجد صلى الله عليه وسلم لثن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
وامره باخذه على قومه ثم تلا هذه الآية وقاله السدي وقرأ حمزة لما بكسر اللام وهي
لام الجبر والتقدير لاجل ما اتيناكم اذ انتم القادة والروس ومن كان بهذه الحال
فهو الذى يوخذ ميثاقه وما فى هذه القراءة بمعنى الذى والعائد اليها من الصلة
تقديره اتيناكموه ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الآية جملة معطوفة على الصلة
ولا بد فى هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول الكلام
وتقديره عند سبويه رسول به مصدق لما معكم واللام فى لتؤمنن به هي اللام
المتلقية للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار
والمجرور وذلك جائز وقرأ سائر السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على
وجهين احدهما ان تكون ما موصولة فى موضع رفع بالابتداء واللام لام الابتداء
وهي متلقية لما اجري مجرى القسم من قوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق النبيين
وخبر الابتداء قوله لتؤمنن ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف فالمعنى والله لتؤمنن
قاله ابو علي وهو متجه بان الحلف يقع مرتين والوجه الثانى ان تكون ما
للجزاء شرطا فتكون فى موضع نصب بالفعل الذى بعدها وهو مجزوم وجاءكم
معطوف فى موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها

الموطئة المودنة بمجيء لام القسم فهي بمنزلة اللام في قوله تعالى لنن لم
ينته المنافقون لانها مودنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لنغرينك بهم
وكذلك هذه مودنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لنؤمنن وقرأ نافع وحده
آتيناكم بالنون وقرأ الباقر آتيتكم بالتاء ورسول في هذه الآية اسم جنس وقال
كثير من المفسرين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قال اقررتم
واخذتم على ذلكم اصرى هذه الآية هي وصف توقيف الانبياء عليهم السلام على
اقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له واخذتم في هذه الآية عبارة عما تحصل لهم
من ايتاء الكتب والحكمة فمن حيث اخذ عليهم اخذوا هم ايضا وقال الطبري
اخذتم في هذه الآية معناه قبلتم والاصر العهد لا تفسير له في هذا الموضع الا
ذلك * وقوله تعالى فاشهدوا يحتمل معنيين احدهما فاشهدوا على اممكم
المؤمنين بكم وعلى انفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبري وجماعة والمعنى
الثاني بُشُوا الامر عند اممكم واشهدوا به وشهادة الله على هذا التاويل هي اعطاء
المعجزات واقرار نبوءاتهم هذا قول الزجاج وغيره قال * ع * فتأمل ان القول
الاول هو ايداع الشهادة واستحفاظها والقول الثاني هو الامر بادائها وحكم تعالى
بالفسق على من تولى من الامم بعد هذا الميثاق قاله علي بن ابي طالب
وغيره وقرأ ابو عمرو يبغون بالياء من اسفل مفتوحة وترجعون بالتاء من فوق
مضمومة وقرأ عاصم بالياء من اسفل فيهما وقرأ الباقر بالتاء فيهما ووجوه هذه
القراءات لا تخفى بادنى تأمل وتبغون معناه تطلبون قال النووي وروينا في
كتاب ابن السني عن السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه
يونس ابن عبيد بن دينار البصري الشافعي المشهور انه قال ليس رجل يكون
على دابة صعبة فيقول في اذنها اغيير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات

والارض طوعا وكرها واليه ترجعون الا وقفت باذن الله تعالى وروينا في كتاب ابن
السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انفلتت دابة
احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عز وجل في
الارض حاضرا سيجبها قال النووي حكى لى بعض شيوخنا انه انفلتت له دابة
اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقال له فحبسها الله عليه في الحال وكنت
انا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة فعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير
سبب سوى هذا الكلام اه واسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا في معنى قوله
طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الآية كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فالمعنى ان اقرار كل كافر بالصانع هو اسلام كرها ونحوه لابي
العالية وعبارته كل ادمي فقد اقر على نفسه بان الله ربي وانا عبده فمن اشرك
في عبادته فهو الذي اسلم كرها ومن اخلص فهو الذي اسلم طوعا قال * ع *
والمعنى في هذه الآية يفهم كل ناظر ان الكره خاص باهل الارض * وقوله
سبحانه افغير دين الله توقيف لمعاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من
الاحبار والكفار * قوله تعالى قل آما بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
الآية المعنى قل يا محمد انت وامتك امانا بالله الآية وقد تقدم بيانها في البقرة
ثم حكم تعالى في قوله ومن يبتغ غير الاسلام الآية بانه لا يقبل من ادمي دين
غير دين الاسلام وهو الذي وافق في معتقداته دين كل من سمي من الانبياء
عليهم السلام وهو الحنيفية السمحة وقال بعض المفسرين ان من يبتغ الآية
نزلت في الحارث بن سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا القول فهي تتناول
بعمومها من سواه الى يوم القيامة * وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا

بعد ايمانهم الآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآيات من قوله كيف يهدى الله في الحارث بن سويد الانصاري كان مسلما ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت الآيات الى قوله لا الذين تابوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد وحسن اسلامه وقال ابن عباس ايضا والحسن بن ابي الحسن نزلت في اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال النقاش نزلت في طعيمة بن ابيرق قال * ع * وكل من ذكر فالفاظ الآية تعنه وقوله تعالى كيف سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للامر فالمعنى انهم لشدة هذه الجرائم يبعد ان يهديهم الله جميعا وباقي الآية بين قال الفخر واستعظم تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال الثلاث لان مثل هذا الكفر يكون كالعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل اه وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الآية قال ابو العالية رُفِيعُ الآية في اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها في التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب التي اصابوها في خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء والبهت والسعي على الاسلام وغير ذلك قال * ع * وعلى هذا الترتيب يدخل في الآية المرتدون اللاحقون بقرينش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا اي اتموا على كفرهم وبلغوا الموت به قال * ع * فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر تعالى ان توبة هؤلاء لن تقبل وقد قررت الشريعة ان توبة كل كافر تقبل فلا بد في هذه الآية من تخصيص تحمل عليه ويصح به نفي قبول التوبة فقال

الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعينة وقال ابو العالية
المعنى لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التي اصابوها مع اقامتهم على
كفرهم بحمد صلى الله عليه وسلم قال * ع * وتحتل الآية عندي ان تكون
اشارة الى قوم باعياهم من المرتدين وهم الذين اشار اليهم بقوله سبحانه كيف
يهدى الله قوما فاخبر عنهم انه لا تكون منهم توبة فيتصور قبولها فكانه اخبر
عن هؤلاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن حكم كل من يموت
كافرا والملء ما شحن به الوعاء وقوله ولو افتدى به قال الزجاج المعنى لن يقبل
من احدهم انفاقه وتقرباته في الدنيا ولو انفق ملء الارض ذهباً ولو افتدى
ايضا به في الآخرة لن يقبل منه قال فاعلم الله انه لا يشيبهم على اعمالهم من
الخير ولا يقبل منهم لاقتداء من العذاب قال * ع * وهذا قول حسن وقال
قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه ثم خص
من تلك الوجوه اليقها واحراها بالقبول وباقي الآية وعيد بين عافانا الله من
عقابه وختم لنا بما ختم به للصالحين من عبادة * وقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون الآية خطاب لجميع المؤمنين فتحتل الآية ان يريد
لن تنالوا بر الله بكم اي رحمته ولطفه ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال
من فعل البر حتى تكونوا ابرارا لا بالانفاق المنصاف الى سائر اعمالكم
قال * ص * قوله ما تحبون من للتبعض تدل عليه قراءة عبد الله بعض
ما تحبون اه قال الغزالي قال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتبهى سمكة طرية
فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب فامر بدفعها اليه ثم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتبهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه
غفر الله له اه من الاحياء قال * ع * وبسبب نزول هذه الآية تصدق

ابوطالحة بحائطه المسمى ببيرحا وتصدق زيد بن حارثة بفرس كان يحبها
وكان عبد الله بن عمر يشتري اكل السكر باللوز فكان يشتري ذلك ويتصدق
به قال الفخر والصحيح ان هذه الآية في ايتاء المال على طريق النذب لانها
في الزكاة الواجبة اه * وقوله سبحانه وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم
شرط وجواب فيه وعد اي عليم مجاز به وان قل * وقوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبنى اسرائيل الآية اخبار بمغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه الا الله
وعلماء اهل الكتاب وحلا معناه حلالا والآية رد على اليهود في زعمهم ان كل ما
حرموه على انفسهم انه بامر الله تعالى في التوراة فاكذبهم الله تعالى بهذه الآية
وقوله سبحانه الا ما حرم اسرائيل على نفسه اي فهو محرم عليهم في التوراة لا هذه
الزوائد التي افتروها وقال الفخر قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة المعنى ان قبل
نزول التوراة كان حلالا لبنى اسرائيل كل انواع المطعومات سوى ما حرمه اسرائيل
على نفسه فاما بعد نزول التوراة فلم يبق الامر كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة
بسبب بغيتهم وذلك هو عين النسخ الذي هم له منكرون اه قال * ع * ولم
يختلف فيما علمت ان سبب تحريم يعقوب ما حرمه على نفسه هو بمرض اصابه
فجعل تحريم ذلك شكرا لله ان شفي وقيل هو وجع عرق النساء وفي حديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عصابة من بنى اسرائيل قالوا له يا محمد ما الذي
حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم انشدكم بالله هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا
شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرم احب
الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه
البانها قالوا اللهم نعم قال * ع * وظاهر الاحاديث والتفسير في هذا الامر
ان يعقوب عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها وهو يحبها تقريبا بذلك

اذ تركت الترفه والتنعيم من القرب وهذا هو الزهد في الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ومن ذلك قول ابي حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكية فرأى محاسنها فقال موعذك الجنة ان شاء الله * وقوله عز وجل قل فاتوا بالتوراة الآيت قال الزجاج وفي هذا تعجيز لهم واقامة للحجة عليهم * وقوله سبحانه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي من بعد ما تبين له الحق وقيام الحجة فهو الظالم * وقوله قل صدق الله اي الامر كما وصف سبحانه لا كما تكذبون فان كنتم تعتزون الى ابراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله * وقوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الآية لا مربة ان ابراهيم عليه السلام وضع بيت مكة وانما الخلاف هل هو وضع بدأة او وضع تجديد وقال الفخر يحتمل اولاً في الوضع والبناء ويحتمل ان يريد اولاً في كونه مباركا وهذا تحصيل المفسرين في الآية اه قال ابن العربي في اجكامه وكون البيت الحرام مباركا قيل بركته ثواب الاعمال هناك وقيل ثواب قاصديه وقيل امن الوحش فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن العربي والصحيح عندي انه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه اه قال مالك في سماع ابن القاسم من العتبية بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية قلت قال ابن رشد في البيان أرى مالكا اخذ ذلك من قول الله عز وجل لانه قال تعالى في بكة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهو انما وضع بموضعه الذي وضع فيه لا فيما سواه من القرية وقال في مكة وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم بطن مكة وذلك انما كان في القرية لا في موضع البيت اه * وقوله سبحانه فيه اي في البيت آيات بينات قال * ع *

والمترجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلاً مثلاً مما في حرم الله من الآيات
وخصاً بالذكر لعظمهما ومقام إبراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم
البيت كله مقام إبراهيم وقال قوم الحرم كله مقام إبراهيم والضمير في قوله ومن
دخله عائد على البيت في قول الجمهور وعائد على الحرم في قول من قال مقام
إبراهيم هو الحرم * وقوله كان ءامنا قال الحسن وغيره هذه وصف حال كانت
في الجاهلية إذا دخل أحد الحرم أمن فلا يعرض له فاما في الاسلام فان الحرم
لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحيى بن جعدة معنى الآية ومن دخل
البيت كان ءامنا من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف
حول الكعبة ليلاً فقلت يا رب انك قلت ومن دخله كان ءامنا فمما ذا هو ءامن
فسمعت مكلماً يكلمنى وهو يقول من النار فنظرت وتأملت فما كان في المكان
أحد قال ابن العربي في احكامه وقول بعضهم ومن دخله كان ءامنا من النار لا يصح
حمله على عمومهم ولكنه ثبت ان من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال ذلك كله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اه * وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية هو فرض
الحج في كتاب الله باجماع وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت
بكسر الحاء وقرأ الباقر بفتحها فبكسر الحاء يريدون عمل سنة واحدة وقال
الطبري هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل العالية * وقوله سبحانه
من استطاع اليه سبيلاً من في موضع خفض بدل من الناس وهو بدل البعض من
الكمل وقال الكسائي وغيره هي شرط في موضع رفع بالابتداء والجواب محذوف
تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده في قوله ومن كفر واسند
الطبري الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ملك زاداً وراحلة فلم يحج

فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذهب جماعة من العلماء الى ان قوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر بزيادة ولا راحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج واليه نحا مالك في سماع اشهب وقال لا صفة في هذا ابيّن مما قال الله تعالى وهذا انبل لاقوال وهذه من الامور التي يتصرف فيها وفقه الحال والضمير في اليه عائد على البيت ويحتمل على الحج * وقوله سبحانه ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس وغيره المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال السدي وجماعة من اهل العلم معنى الآية من كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذه الحال فهو كافر يعنى كفر معصية ولا شك ان من انعم الله عليه ببال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة وقال ابن عمر وجماعة معنى الآية ومن كفر بالله واليوم الآخر قال الفخر والاكثرون هم الذين حملوا الوعيد على من ترك اعتقاد وجوب الحج وقال الصحابي لما نزلت آية الحج فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اهل الملل وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفر غيرهم فنزلت الآية قال الفخر وهذا هو الاقوى والله اعلم اه ومعنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم ولكن عم اللفظ ليسرع المعنى وتنتبه الفكر لقد رتبه سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه عن جميع خلقه لا رب سواه * وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بشايات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الآيات توبيخ لليهود

المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة وآيات الله يحتمل ان يريد بها القروان ويحتمل العلامات الظاهرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه والله شهيد على ما تعملون وعيد محض قال الطبري هاتان الآيتان قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وما بعدهما الى قوله فاولائك لهم عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول لاغراء بين الاوس والخزرج قال ابن اسحاق حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مرشاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد صا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فغاطه ما رآه من جماعتهم وصلاحيات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملائكة بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملائكة بها من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعد اليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بُعث وما كان قبله من ايام حربهم وانشداهم ما قالوه من الشعر في ذلك ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا حتى تواءم رجلان من الحيين على التركب اوس بن قيطي من الاوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة فغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدهم الظاهرة يريدون الحرّة فخرجوا اليها وتحاور الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم وعظهم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالتقوا السلاح وبكوا وعانق الناس بعضهم بعضا من الاوس والخزرج وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن

قيس وما صنع هذه الآيات وقال الحسن وغيره نزلت في احبار اليهود الذين
يصدون المسلمين عن الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف في كتابنا قال
* ع * ولا شك في وقوع هذين الشئيين وما شاكلهما من افعال اليهود
واقوالهم فنزلت الآيات في جميع ذلك ومعنى تبغون اي تطلبون لها الاعوجاج
والانفساد وانتم شهداء يريد جمع شاهد على ما في التوراة من صفة النبي صلى
الله عليه وسلم وصدقه وباقي الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآية خطاب
عام للمومنين والاشارة بذلك وقت نزوله الى الؤوس والخزرج بسبب نائرة
شاس بن قيس قال * ص * قوله تعالى يردوكم بعد ايمانكم كافرين رد
بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين الاول الكافى والثانى الكافرين كقوله

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
اه ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء اذا منع وحمي ومنه قوله يعصمنى من
الهاء وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق
تقاته قال ابن مسعود حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان
يشكر فلا يكفر وكذلك عبر الربيع بن خثيم وقتادة والحسن قالت فرقة نزلت
الآية على عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع الاخلال في شيء من
الاشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وقالت جماعة لا نسخ هنا وانما المعنى اتقوا الله حق تقاته في ما
استطعتم وهذا هو الصحيح وخرج الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ هذه الآية وهي اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا

لافسدت على اهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه ايضا اه * وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه دوموا على الاسلام حتى يوافيكم الموت وانتم عليه والحبل في هذه الآية مستعار قال ابن مسعود حبل الله الجماعة وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة وقرأ واعتصموا بحبل الله جميعا وقال قتادة وغيره حبل الله الذى امر بالاعتصام به هو القرآن ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الاسلام وقيل غير هذا مما هو كذا قريب بعضه من بعض * وقوله تعالى ولا تفرقوا يريد التفرق الذى لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق فى العقائد واما الافتراق فى مسائل الفروع والفقه فليس بداخل فى هذه الآية بل ذلك هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم خلاى امتي رحمة وقد اختلفت الصحابة فى الفروع اشد اختلاى وهم يد واحدة على كل كافر * وقوله سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية هذه الآية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج كما تقدم وكانت العداوة قد دامت بين الحسين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر الستة من الانصار الى مكة حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم شيئا من القرآن كما كان يصنع مع قبائل العرب فآمنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت بلدنا على ما بيننا من العداوة والحرب خفنا لا يتم ما نريده بك ولكن نمضى نحن ونشيع امرك ونداخل الناس وموعدا وايامك العام القابل

فمضوا وفعلوا وجاءت الانصار في العام القابل فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب في السير ويسر الله تعالى الانصار للاسلام بوجهين احدهما ان بنى اسرائيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتعدونه من العرب يبعث لنا الآن نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما رأى النفر من الانصار النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تذكره بنو اسرائيل فلا تُسَبِّقن اليه والوجه الآخر الحرب التي كانت ضررتهم وافنت سرائهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم فكان الامر كما رجوا فعدد الله سبحانه عليهم نعمته في تاليهم بعد العداوة وذكرهم بها قال الفخر كانت الانصار قبل الاسلام اعداء فلما اكرمهم الله سبحانه بالاسلام صاروا اخوانا في الله متراحمين واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق ومن كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء والقدر ولهذا قيل ان العارف اذا امر امر برفق ونصح لا بعنف وعسرو كيف وهو مستبصر بالله في القدر اه * وقوله تعالى فاصبحتم عبارة عن الاستمرار قال * ص * اصبح يستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح وبمعنى صار فلا يلاحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والضرورة من حال الى حال واصبح هنا بمعنى صار وما ذكره ابن عطية من ان اصبح للاستمرار لم يذهب اليه احد من النحويين اه قلت وفيما ادعاه نظر وهي شهادة على نفي وكلام * ع * واضح من جهة المعنى والشفاه حرف كل جرم له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف في الاستعمال الى الاعلى كقوله شفا جرف والى الاسفل كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم

الذى كانوا عليه بالشفاء لانهم كانوا يسقطون في جهنم ذأبا فانقذهم الله منها بالاسلام * وقوله تعالى فانقذكم منها اي من النار ويحتمل من الحفرة والاول احسن قال العراقي انقذكم اي خلصكم اه * وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه الامة بان يكون منها علماء يفعلون هذه الافعال على وجوها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الامة متبعين لاولئك اذ هذه الافعال لا تكون الا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه ان الكل لا يكونون علماء فمن هنا للتبعيض وهو تاويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد الى ان المعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون ومن لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا امر الامة بان يدعوا جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى الطاعة ويكون كل واحد في هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث بن سعد قال حدثني محمد بن عجلان ان وافدا النصري اخبره عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليرتبن برجال يوم القيامة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحبون الله الى الناس ويحبون الناس الى الله ويمشون في الارض نصحا قلنا يا رسول الله هذا يحبون الله الى الناس فكيف يحبون الناس الى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى اه من التذكرة للقرطبي قال * ع * قال اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على

جادة العلم وفرض الولاية تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاية والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا في المنكر الذي له دوام واما ان رأى احد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مومن ان يعتدل في تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويؤيد هذا المنزع ان في قراءة عثمان وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم يثبت في المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقيب الامر والنهي كما هو في قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية قال ابن عباس هي اشارة الى كل من افترق من الامم في الدين فاهلكهم لافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود والنصارى قلت وروى ابو داود في سننه عن معاوية بن ابي سفيان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار * وقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية بياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برجة الله قاله الزجاج وغيره * وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفي هذا المحذوب جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون في الكلام شيء مقدّر لا يستغنى المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة المعنى فافطر فعدة * وقوله تعالى بعد ايمانكم يقتضى ان لهؤلاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل التأويل في تعيينهم فقال ابي بن كعب هم جميع الكفار وايمانهم هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر

المتأولين المراد اهل القبلة من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الآية في المنافقين وقال قتادة هي في اهل الردة وقال ابو امامة هي في الخوارج * وقوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق لاشارة بتلك الى هذه الآيات المضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المؤمنين ولما كان في هذا ذكر التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع من شيء الا ما يريد سبحانه وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك مضمنة لافعال التي هي حق في نفسها من كرامة قوم وتعذيب اخرين ولما كان للذهن ان يقف هنا في الوجه الذي به خص الله قوما بعمل يرجهم من اجله واخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات وان الحق ان لا يعترض عليه وذلك في قوله ولله ما في السموات وما في الارض الآية * وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية اختلف في تاويل هذه الآية ف قيل نزلت في الصحابة وقال الحسن بن ابى الحسن وجماعة من اهل العلم الآية خطاب لجميع الامة بانهم خير امة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغته المضي فانها التى بمعنى الدوام كما قال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال قوم المعنى كنتم في علم الله وهذه الخيرية التى خص الله بها هذه الامة انما ياخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله مما جاء في فضل هذه الامة ماخرجه مسلم في صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة وفي رواية سابقون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضى

بينهم اه وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن ـ اخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الآخرون الاولون وفي رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا مجلين من ـ اثار الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرجه ايضا ابو داود الطيالسي في مسنده بمعناه اه من التذكرة وروى ابو داود في سننه قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة عن ابيه عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اه وقد ذكرنا هذا الحديث ايضا عن غير ابى داود وهذا الحديث ليس هو على عمومته فى جميع الامة لثبوت نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة اه وقوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال فى موضع نصب وفى الحديث خير الناس اتقاهم لله وامرهم بالمعروف وانهامهم عن المنكر واصلهم للرحم رواه البغوي فى منتخبه اه من الكوكب الدرى * وقوله سبحانه منهم المومنون تنبيه على حال عبد الله بن سلام واخيه وثعلبة بن سعية وغيرهم ممن ـ امن * وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اي لا اذى بالالسنه فقط واخبر سبحانه فى قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار بخبر غيب صححه الوجود فهي من ـ ايات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفائدة الخبر هي فى قوله ثم لا ينصرون اي لا تكون حرب اليهود معكم سجلا وخص الادبار بالذكر دون الظهر تخسيسا للفار وهكذا هو حيث تصرف * وقوله تعالى ضربت معناه اثبتت بشدة والزام وهذا وصف حال تقررت على اليهود فى اقطار الارض قبل محيى ـ الاسلام وثقفوا معناه اخذوا بحال المذنب المستحق لاهلاك وقوله لا بحبل من الله فى الكلام محذوف يدركه فهم السامع تقديره فلا نجاة لهم من القتل او الاستيصال لا بحبل وهو العهد * وقوله

ذلك اشارة الى الغضب وضرب الذلة والمسكنة وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى ليسوا سواء الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد ومن اسلم من اليهود معهم قال الكفار من احبار اليهود ما امن بمحمد الا شارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين ابائهم فانزل الله سبحانه في ذلك ليسوا سواء الآية وقال مثله قتادة وابن جريج وهو اصح التاويلات في الآية واختلف في قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القائمة المطيعة وهذا كله يرجع الى معنى واحد ويحتمل ان يراد بقائمة وصف حال التالين في اثناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله وايات الله في هذه الآية هي كنبه والآناء الساعات واحدها اني بكسر الهمزة وسكون النون وحكم هذه الآية لا يتفق في شخص شخص بان يكون كل واحد يصلي جميع ساعات الليل وانما يقوم هذا الحكم من جاعة الامة اذ بعض الناس يقوم اول الليل وبعضهم اخره وبعضهم بعد هجعت ثم يعود الى نومه فياتي من مجموع ذلك في المدن والجماعات عمارة اثناء الليل بالقيام وهكذا كان صدر هذه الامة وعُرف الناس القيام في اول الثلث الآخر من الليل او قبله بشيء وحينئذ كل يقوم لاكثر والقيام طول الليل قليل وقد كان في الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه القصد من ذلك في سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المتبغى به وجه الله داخل في هذه الآية وهو افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم في اول السورة ما جاء من التاويل في حديث النزول فلنذكر الآن الحديث بكماله لما فيه من الفوائد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يستلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له رواه الجماعة اعنى الكتب الستة البخاري ومسلم وابا داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وفي بعض الطرق حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون الصلاة . اخر الليل على اوله وعن عمرو بن عبسة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم اه من السلاح وعن ابى امامة قلت يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي هذا حديث حسن وفي رواية جوف الليل الآخر ارجى او نحو هذا اه من السلاح ومما يدخل في ضمن قوله سبحانه ويسارعون في الخيرات ان يكون المرء مغتتما للخمس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلک وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرک فيكون متى اراد ان يصنع خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه ايضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما تقول اصالحك الله في الصوم في السفر فقال لي انها المبادرة يا ابن الاخ قال المحدث فجاءني والله بجواب ليس من اجوبة الفقهاء قال * ص * قوله من الصالحين من للتبعض ابن عطية ويحسن ايضا ان تكون لبيان الجنس وتعقب بانه لم يتقدم شيء فيه ابهام فيبين جنسه اه * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي فلن يعطى دونكم فلا تشابون عليه وفي قوله سبحانه والله

علم بالمتقين وعد ووعد * وقوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا
كمثل ربح الآيت وقع في الآيت التشبيه بين شيئين وشيئين وترك من كل منهما
ما دل عليه الكلام وهذه غاية الایجاز والبلاغة وجمهور المفسرين على ان ينفقون
يراد به الاموال التي كانوا ينفقونها في التحنث اي يبطلها كفرهم كما تبطل
الريح الزرع والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه والحرث شامل للزرع
والثمار * وقوله سبحانه حرث قوم ظلموا انفسهم الآيت من اهل العلم من يرى
ان كل مصائب الدنيا فانما هي بمعاصي العبيد وينتزع ذلك من غير ما آيت
في القروان فيستقيم على قوله ان كل حرث تحرقه ريح فانما هو لمن قد ظلم
نفسه والضمير في قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم في ينفقون
وليس هو للقوم ذوى الحرث * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا
بطانة اي لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين اخلاء تانسون بهم في الباطن
وتفاوضونهم في الآراء * وقوله سبحانه من دونكم يعني من دون المؤمنين
* وقوله سبحانه لا يالونكم خبالا معناه لا يقصرون لكم فيما فيه فساد عليكم تقول ما
ألوت في كذا اي ما قصرت بل اجتهدت والخبال الفساد قال ابن عباس كان
رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم في
الجاهلية فنزلت الآيت في ذلك وقال ابن عباس ايضا وقتادة والربيع والسدي
نزلت في المنافقين قال * ع * ويدخل في هذه الآيت استكتاب اهل
الذمة وتصريفهم في البيع والشراء ونحو ذلك وما في قوله ما عنتم مصدرية
فالمعنى ودوا عنتم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء وعقبة عنوت اي شاقة
قال * ص * قال الزجاج عنتم اي مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم
وقال الزبيدي العنت الهلاك اه * وقوله تعالى قد بدت البغضاء من

افواههم اي فهم فوق المستتر الذى تبدو البغضاء فى عينيه وخص سبحانه الافواه بالذكر دون الالسنه اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم فى اقوالهم هذه ثم قال سبحانه للمومنين قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم سبحانه انهم عقلاء ولكن هذا هزل للنفوس كما تقول ان كنت رجلا فافعل كذا وكذا * وقوله هانتم اولاء تحبونهم الضمير فى تحبونهم للذين تقدم ذكرهم فى قوله بطانة من دونكم قال * ص * وتومنون بالكتاب كله قال ابو البقاء الكتاب هنا جنس اي بالكتب كلها اه * وقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه ومنه قول ابى طالب * يعصون غيظا خلفنا بالانامل * وقوله سبحانه قل موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هودعاء عليهم وقال قوم بل امر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ان يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدماء وبقي معنى التقريع * وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوى عليه * وقوله سبحانه ان تمسكم حسنة تسوهم الآيات الحسنة والسيئة فى هذه الآية لفظ عام فى كل ما يحسن ويسوء قلت ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وروينا فى كتاب الترمذي عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشمانة لاختيك فيرحمه الله ويبتلك اه والكيد الاحتيال بالاباطيل وقوله تعالى واكيد كيدا من باب تسمية العقوبة باسم الذنب * وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال هذا ابتداء عتب المومنين فى امر اُحد وفيه نزلت هذه الآيات كلها وكان من امر غزوة اُحد ان المشركين اجتمعوا فى ثلاثة آلاف رجل وقصدوا المدينة لياخذوا بشارهم فى يوم بدر فنزلوا عند اُحد يوم الاربعاء الثانى عشر من شوال سنة ثلاث

من الهجرة على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة واقاموا هنالك يوم الخميس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر وينتظر امر الله سبحانه فلما كان في
صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم واخبرهم
انه كان يرى بقرا تذبج وثلما في ذباب سيفه وانه يدخل يده في درع حصينة
وانه تأولها المدينة وقال لهم ارى ان لا نخرج الى هؤلاء الكفار فقال له عبد الله
ابن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فان هم اقاموا اقاموا
بشر محبس وان انصرفوا مضوا خائبين وان جاءونا الى المدينة قاتلناهم في الافنية
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام فوالله ما حاربنا قط عدو في هذه
المدينة الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا فوافق هذا الرأي رأي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورأي جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال قوم من
صاحبة المؤمنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس
ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الجمعة
وقد حشده هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم
اولئك القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد
ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي لبس سلاحه ان
يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر
هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله بن ابي بن سلول وقال اطاعهم
وعصاني فلما كان في صبيحة يوم السبت اعتزم النبي صلى الله عليه وسلم على
المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو في الف رجل فانحزل عنه عند ذلك عبد
الله بن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا نطن انكم لا تلقون

قتالا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبع مائة فهمت عند ذلك بنو حارثة من لادس وبنو سلمة من الخزرج بالانصراف ورأوا كثافة المشركين وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى وذم بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين فتصافى الناس وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتمر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين واسند هو الى الجبل فلما اضطربت نار الحرب انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين يشددن في الجبل ويرفعن عن سوقهن قد بدت خلاخيلهن فجعل الرماة يقولون الغنيمة الغنيمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لهم لا تبرحوا من هنا ولورأيتونا تخطفنا الطير فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم اتقوا الله واثبتوا كما امركم نبيكم فصموا وخالفوا وانصرفوا يريدون النهب وخلوا ظهور المسلمين للخيل وجاء خالد في جريدة خيل من خلف المسلمين حيث كان الرماة فحمل على الناس ووقع التخاذل وصيح في المسلمين من مقدمتهم ومن ساقتهم وصرخ صارخ قتل محمد فتخاذل الناس واستشهد من المسلمين سبعون وتحيز رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى الجبل وتحاوز الناس هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير الآيات وامر احد مستوعب في السير وليس هذا التعليق مما يقتضى ذكره وتبوى معناه تعيين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود وهذا بمنزلة قولك موافق ولكن لفظة القعود ادل على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف المسلمين اولا والمبارزة والسرعان يجولون * وقوله تعالى والله سميع اي ما تقول وما يقال لك وقت المشاورة وغيره وهمت معناه ارادت ولم تفعل والفشل في هذا الموضع

هو الجبن الذى كاد يلحق الطائفتين ففى البخارى وغيره عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان فى بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انهما لم تنزل والله يقول والله وليهما * وقوله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلتم لما امر الله سبحانه بالتوكل عليه ذكر يامر بدر الذى كان ثمرته التوكل على الله سبحانه والثقة به * وقوله سبحانه وانتم اذلتم معناه قليلون واسم الذل فى هذا الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار فى اقطار الارض تقتضى عند المتأمل ذلتهم وانهم مغلوبون روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاجلهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل الا قد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه ابو داود والحاكم فى المستدرک على الصحيحين واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين اه من السلاح * وقوله سبحانه اذ تقول العامل فى اذ فعل مضر ويحتمل ان يكون العامل نصرکم وعلى هذا قول الجمهور ان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون فى سائر الايام عددا ومددا لا يضربون قال الشعبي وهم يحضرون حروب المسلمين الى يوم القيامة وقال قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف قال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم اُحد ولا اتقوا فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا وقال الضحاك وابن زيد انما كان هذا الوعد والمقالة للمؤمنين يوم اُحد ففر الناس وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين والفور النهوض السريع الى الشيء مأخوذ من فور القدر والماء ونحوه ومنه الفور فى الحج والوضوء ومسومين معناه معلمين بعلامات

وروي ان الملائكة اعلمت يوم بدر بعثات بيض لا جبريل فانه كان بعامة صفراء
على مثال عمامة الزبير بن العوام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
للمسلمين يوم بدر سوموا فان الملائكة قد سومت * وقوله سبحانه وما جعله
الله الا بشرى لكم ولتنظمن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم
الضمير في جعله الله عائد على الانزال والامداد ومعنى الآية وما كان هذا الامداد
الا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغنى
شيئا الا ان ينصر الله واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما النصر ويحتمل ان تكون
متعلقة بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل ببدر على قول ابن اسحاق
وغیره او الى من قتل باحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون
وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا والطرف الفريق * وقوله سبحانه
او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال * ص * الكبت
الهبزبة وقيل الصرع لليدين اه * وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء
الآية روي في سبب هذه الآية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه
وكسرت ربايعته جعل يمسح وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وفي
بعض طرق الحديث كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت
الآية فقل له ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت
لشأنك ودم على الدعاء الى ربك قلت وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم
ممثلا امر به قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت ربايعته
وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي وامى انت يا رسول الله لقد

دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآيت ولو دعوت علينا لهلكنا من عندنا اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول لا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اه قال الطبري وغيره من المفسرين او يتوب عطف على يكتبهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او يعذبهم ان تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة الساطعة في ذلك وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه والله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم اي فله سبحانه ان يفعل بحق ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر سبحانه ان الغفران او التعذيب انما هو بمشيئته وبحسب السابق في علمه ثم رجع سبحانه في اخر ذلك تأنيسا للنفوس * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة الآية قال * ع * هذا النهي عن اكل الربا اعترض اثناء قصته احد ولا احفظ سببا في ذلك مرويا ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة * وقوله تعالى اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة هذا مذهب اهل العلم في هذه الآية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلت الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة لا بنار العصاة * وقوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحبون قال محمد بن اسحاق هذه الآية من قوله تعالى واطيعوا الله هي ابتداء المعاتبة في امر احد وانهازام من فروزال الرماة عن مراكزهم * وقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض قرأ نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل المدينة والشام وقرأ باقي السبعة بالواو والمسارة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كأن

كل واحد يسرع ليصل قبل غيره فبينهم في ذلك مغالطة لا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها قلت وحق على من فهم كلام ربه ان يبادر ويسارع الى ما ندبه اليه ربه وان لا يتهاون بترك الفضائل الواردة في الشرع قال النووي رحمه الله اعلم انه ينبغي لمن بلغه شيء في فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا ينبغي ان يتركه جلة بل ياتى بما تيسر منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم اهـ من الحلية * وقوله سبحانه وجنته عرضها السموات والارض اي كعرض السموات والارض قال ابن عباس في تفسير الآية تقرر السموات والارضون بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها الا الله سبحانه وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسياتي عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الابل اذا وردت خُصْماً ظمأ وفي الصحيح ان في الجنة شجرة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوى قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لا ينكر فان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي لا كدراهم القيت في فلاة من الارض وما الكرسي في العرش لا كحلقة من حديد القيت في فلاة من الارض قال * ع * فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت قال الفخر وفي الآية وجه ثان ان الجنة التي عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون ملكا له فلا بد

ان تصير الجنة الملوكة لكل احد مقدارها هكذا اه وقدره الله تعالى اوسع وفضله اعظم وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة منزلة وانه رجل ياتى بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له اترضى ان يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت اي رب فيقال له لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت اي رب فيقال له لك ذلك وعشرة امثاله فيقول رضيت اي رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولدت عينك قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري من طريق ابن مسعود رضي الله عنه ان اخر اهل الجنة دخولا الجنة واهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات اه وفي جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفي الصحيح ما معناه اذا دخل اهل الجنة الجنة تبقى فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا او كما قال اه قال * ع * وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ما ذكر على الطول والطول اذا ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء وهما اليسر والعسر قاله ابن عباس اذ الاغلب ان مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر الكراهية وضر النفس وكظم الغيظ رده في الجوف اذا كاد ان

يخرج من كثرتة ومنعه كظم له والكظام السير الذى يشد به فم الرق والغيط اصل
الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيط بالغضب وليس تحرير
الامر كذلك بل الغيط حال للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها
تظهر فى الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاز اسناد الغضب الى الله سبحانه اذ هو
عبارة عن افعاله فى المصنوع عليهم ولا يسند اليه تعالى الغيط ووردت فى كظم
الغيط وملكت النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات وجهاد
النفس ففى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا الى غير ذلك من
الاحاديث قلت وروى ابو داود والترمذي عن معاذ بن انس رضى الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على
رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى اى الحور شاء قال ابو عيسى هذا
حديث حسن اه وفى رواية اخرى لابى داود ملأه الله امنا وايمانا ومن ترك
لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة
وحدث الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسنده عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته
ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره اه من صفوة التصوف والعفو عن الناس من
اجل ضرور فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم انواع البر وظاهر
الآية انها مدح بفعل المندوب * وقوله سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله الآية ذكر سبحانه فى هذه الآية صنفا هو دون الصنف الاول
فالحقهم بهم برجته ومنه وهم التوابون وروى فى سبب نزول هاتين الآيتين
ان الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله

منا حين كان المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره فانزل الله هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل بنى اسرائيل وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصي وقد كثر استعماله في الزنا حتى فسر السدي الفاحشة هنا بالزنا وقال قوم الفاحشة هنا اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى الصغائر واستغفروا معناه طلبوا الغفران قال النووي وروينا في سنن ابن ماجه باسناد جيد عن عبد الله بن بسر بضم الباء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا اه من الحلية وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه اذ هو المنعم المتطول ثم اعترض اثناء الكلام قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقفا للنفس داعيا الى الله مرجيا في عفوّه اذا رجع اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثناء والكلام موجب جلا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب الا الله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الآية رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جبران في صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن اه من السلاح * وقوله سبحانه ولم يصروا الاصرار هو المقام على الذنب واعتقاد العودة اليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون انهم قد اذنبوا وقال ابن اسحاق معناه وهم يعلمون بما حرمت عليهم وقيل وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح وقيل وهم يعلمون اني اعاقب على الاصرار ثم شتركت سبحانه الطائفتين المذكورتين في قوله اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم الآية قال * ص * قوله ونعم المخصوص

بالمُدح مَحذوف اي المغفرة والجنة * وقوله سبحانه قد خلت من قبلكم
سنن فسيروا في الارض الآية الخطاب للمؤمنين والمعنى لا يذهب بكم ان ظهر
الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين وقد بما اذال الله المكذابين
على المؤمنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك
تكون عاقبة هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقدر خلت للكفار قال * ع *
وذلك قَلْبِى وخلت معناه مضت والسند الطرائق وقال ابن زيد سنن معناه
امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور من نظر العين وقال
قوم هو بالفكر * وقوله تعالى هذا بيان للناس يريد به القرآن قاله الحسن وغيره
وقال جاعة لاشارة بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقال الفخر يعنى
بقوله هذا بيان ما تقدم من امره سبحانه ونهي ووعدة وذكره لانواع البينات
والآيات اه ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن وهو الضعف وانسهم بانهم لاعلون
اصحاب العاقبة ومن كرم الخلق ان لا يهين الانسان في حربه اذا كان محققا
وانما يحسن اللين في السلم والرضى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن هين
لين وقوله سبحانه وانتم لاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وهو
ظاهر اللفظ قال * ص * وانتم لاعلون في موضع نصب على الحال
* وقوله سبحانه ان كنتم مومنين المقصد هز النفوس واقامتها ويترتب من ذلك
الطعن على من نجم في ذلك اليوم نفاقه او اضطرب يقينه اي لا يتحصل الوعد
لا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمؤمنين ان يمسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل اخي ولكن * اعزى النفس عنه بالتأسى

والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اخبر سبحانه على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابرة ايضا انما جعلها دولا بين البشري فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار * وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا تقديرة وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر في الوجود ايمان الذين قد علم الله ازا انهم يؤمنون ولا فقد علمهم في الازل ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز في سبيله حسبما ورد في فضائل الشهداء وذهب كثير من العلماء الى التعبير عن ادالة المومنين بالنصروعن ادالة الكفار بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث انهم يدالون كما تنصرون والتمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخليص من العيب فتمحيص المومنين هو تنقيتهم من الذنوب والحق لا ذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله سبحانه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الآية حسبتم معناه ظننتم وهذه الآية وما بعدها عتب وتقريع لطوائف من المومنين الذين وقعت منهم الهنوات المشهورة في يوم اُحُد ثم خاطب الله سبحانه المومنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه والسبب في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بدر يريد غير قريش مبادرا فلم يوصب الناس معه اذ كان الظن انه لا يلقي حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاصروها بالمنزلة الرفيعة كان المتخلفون من المومنين عنها يتمنون حضور قتال الكفار ليكون منهم في ذلك غناء يلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة اهل بدر فلما جاء امر اُحُد لم يصدق كل المومنين فعاتبهم الله بهذه الآية والزهمهم تمنى الموت من حيث تمنوا اسبابه وهو لقاء العدو ومصاربتهم ولا فنفس قتيل المشرك للمسلم لا يجوز ان يتمنى من حيث هو

قتل وانما تتمنى لواحقه من الشهادة والتنعيم قلت وفي كلام * ع *
بعض اجمال وقد ترجم البخاري تمنى الشهادة ثم اسند عن ابى هريرة قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسى بيده لولا ان رجلا من
المومنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عنى ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت
عن سريّة تغزو في سبيل الله والذي نفسى بيده لوددت انى اقتل في سبيل
الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل وخرجه ايضا مسلم وخرج
البخاري ومسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد
يموت له عند الله عز وجل خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان الدنيا له وما فيها الا
الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر
مرات لما يرى من الكرامة اه فقد تبين لك تمنى القتل في سبيل الله بهذه
النصوص لما فيه من الكرامة وصواب كلام * ع * ان يقول وانما يتمنى
القتل للواحقه من الشهادة والتنعيم * وقوله سبحانه فقد رأيتموه يريد
رأيتم اسبابه وقوله وانتم تنظرون تأكيد للرؤية واخراجها من الاشتراك الذى
بين رؤية القلب ورؤية العين * وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية هذا استمرار في عتبهم واقامة الحجة عليهم المعنى ان
محجدا عليه السلام رسول كسائر الرسل قد بلغ كما بلغوا ولزمكم ايها المومنون
العمل بمضمن الرسالة وليست حياته وبقاؤه بين اظهركم شرطا في ذلك لانه
يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعده سبحانه المنقلب على عقبيه بقوله فلن
يضر الله شيئا لان المعنى فانما يضر نفسه واياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم
الذين صدقوا وصبروا ومضوا في دينهم ووفوا لله بعهدهم كسعد بن الربيع ووصيته
يومئذ للانصار وانس بن النضر وغيرهما ثم يدخل في الآية الشاكرون الى يوم

القيامة وقال علي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية الشاكرون الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين اشارة منه الى صدع ابي بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثبوته في ذلك الموطن وثبوته في امر الردة وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره وشكر الناس بسببه ثم اخبر عز وجل عن النفوس انها انما تموت باجل مكتوب محتوم عند الله تعالى اي فالحسين والخور لا يزيد في الاجل والشجاعة والاقدام لا ينقص منه وفي هذه الآية تقوية للنفوس في الجهاد وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالاجلين * وقوله سبحانه ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها الآية اي نوت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام تقتضي انه لا يوتى شيئاً من الآخرة لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له في الآخرة والاعمال بالنيات وقرينة الكلام من قوله ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها لا تمنع ان يوتى نصيباً من الدنيا قال ابن فورك في قوله تعالى وسنجزي الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعم الدنيا لا انهم يقصرون على الآخرة ثم ضرب سبحانه المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الامم الذين لم يشنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبيء قتل معه ربيون كثير الآية وفي كاين لغات فهذه اللغة اصلها لانها كافي التشبيه دخلت على اتي وكاين في هذه الآية في موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطى في الاغلب النكثير وقرأ نافع وابن كثير وابوعمره قتل مبني لها لم يسم فاعله وقرأ الباقر قاتل فقله قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مستند الى ضمير نبيء والمعنى عندهم ان النبي قتل ونحا اليه ابن عباس واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف وهو متعلق

بمحدوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن بن ابي الحسن وجماعة ان قتل انما هو مستند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي في حرب قط قال * ع * فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورج الطبري القول الاول بدلالة نازلة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل محمد ف ضرب المثل بنبي قتل وترجيح الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله افان مات او قتل حجة من قرأ قاتل انها اعم في الممدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي قال * ع * ويحسن عندي على هذه القراءة استناد الفعل الى الربيعين وقوله ربيون قال ابن عباس وغيره معناه جوع كثيرة وهو من الرتبة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة وروي عن ابن عباس والحسن بن ابي الحسن وغيرهما انهم قالوا ربيون معناه علماء ويقوى هذا القول قراءة من قرأ ربيون بفتح الراء منسوبون الى الرب اما لانهم مطيعون له او من حيث انهم علماء بما شرع * وقوله سبحانه وما استكانوا ذهب طائفة من النخاعة الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه مأخوذ من كان يكون واصله استكثروا والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبا من ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله وبذل مهجها للقتل في سبيل الله لا ترى الى حال الصحابة رضي الله عنهم وقتلتهم في صدر الاسلام وكيف فتح الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم في الجهاد وحالنا اليوم كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم في الكفار نزر يسير وقد روى ابو داود في سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تتداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال قاتل ومن قلة نحن يومئذ قال بل

انتم كثير ولكنكم غشاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
وليقدفن في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا
وكراهية الموت اه فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان لا زماننا بعينه وتأمل حال
ملوكنا انما همتهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فاننا لله
وانا اليه راجعون على مُصاب لاسلام * وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا الآيۃ هذه الآيۃ في ذكر الربيبين اي هذا كان قولهم لا ما
قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الى غير ذلك
مما اقتضته تلك الحال من الاقوال قلت وهذه المقالة ترجع القول الثاني في
تفسير الربيبين اذ هذه المقالة انما تصدر من علماء عارفين بالله قال * ع *
واستغفار هؤلاء القوم المدوحين في هذا الموطن ينحو الى انهم رأوا ان ما نزل
من مصائب الدنيا انما هو بذنوب من البشر كما نزلت قصة اُحد بعضيان من
عصى وقولهم ذنوبنا واسرافنا في امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض
جاء للتأكيد ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسر ابن عباس وغيره وقال الضحاک
الذنوب عام والاسراف في الامر اريد به الكبائر خاصة فئاتهم الله ثواب الدنيا
بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قال الفخر ولا شك
ان ثواب الآخرة هي الجنة وذلك غير حاصل في الحال فيكون المراد انه
سبحانه لما حكم لهم بحصولها في الآخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول في
الحال ومحمل قوله آتاهم انه سيوتيههم قيل ولا يمتنع ان تكون هذه الآيۃ خاصة
بالشهداء وانه تعالى في حال نزول هذه الآيۃ كان قد آتاهم حسن ثواب الآخرة
انتهى وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعنى المنافقين
الذين خيبوا المسلمين وقالوا في امر اُحد لو كان محمد نبيا لم ينهزم وقوله سبحانه

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تشببت لهم وقوله سبحانه سنلقى في قلوب
الذين كفروا الرعب سبب هذه الآية انه لما ارتحل ابوسفيان بالكفار رجع
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين وكان معبد بن ابي
معبد الخزاعي قد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لقد
ساءنا ما اصابك وكانت خزاة تميل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد
حتى لحق بابي سفيان فلما رأى ابوسفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان
تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان
ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فاني
انهاك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على ان قلت فيهم شعرا قال وما
قلت قال قلت

كادت تهتد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد لا بابل
تردى بسد كرام لا تنابله * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا اظن الارض مائلة * لما سموا برويس غير مخذول
الى اخر الشعر فالتقى الله الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا
فاني ارى انه سيكون للقوم قتال غير الذي كان فنزلت الآية في هذا اللقاء
وهي بعد متناولة كل كافر قال الفخر لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه
خوف من الرعب اما عند الحرب واما عند المحاجة انتهى وقوله سبحانه بما
اشركوا هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال * ص * قوله وبسب
المخصوص بالذم مخذوف اي النار وقوله سبحانه ولقد صدقكم الله وعدة اذ
تحسونهم باذنه جاء الخطاب لجميع المؤمنين وان كانت الامور التي عاتبهم

سبحانه عليها لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ الجميع وزجرة اذ من لم يفعل مُعد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر والابقاء على من فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين النصر يومئذ على خبر الله ان صبروا ووجدوا فصدقهم الله وعده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه قبل هذا واشتعلت نار الحرب وابلى حمزة بن عبد المطلب وابو دُجانة وعلي وعاصم بن ابي الاقح وغيرهم وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله عز وجل اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استاصلهم قتلا وحس البرد النبات وقوله سبحانه حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان فشلتم ولاظهر الاقوى ان اذا على بابها نحتاج الى الجواب ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف يدل عليه المعنى تقديره انهزمت ونحوه والفشل استشعار العجز وترك الجِد والتنازع هو الذى وقع بين الرماة وعصيتهم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتأمل رحمك الله ما يوجب الركون الى الدنيا وما ينشأ عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم منزلتهم حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر الله عز وجل ونبيه عليه السلام من الدنيا وافاتها بما لا يخفى على ذى لب وقد ذكرنا فى هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله وشرح صدره وقد خرج البغوي فى المسند المنتخب له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفتح الدنيا على احد لا القت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة انتهى من الكوكب الدرر وقال عليه السلام للانصار لما تعرضوا له اذ سمعوا بقدوم ابى عبيدة بمال البحرين ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى ان تبسط الدنيا

عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم
 اخبره البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث صحيح انتهى واعلم
 رحمك الله ان تيسير اسباب الدنيا مع اعراضك عن امرء اخرتك ليس ذلك
 من علامات الفلاح وقد روى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا ابن لهيعة قال
 حدثني سعيد بن ابى سعيد ان رجلا قال يا رسول الله كيف لى ان اعلم كيف
 انا قال اذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته يُسرّ لك واذا اردت
 شيئا من الدنيا وابتغيته عُسر عليك فانت على حال حسنة واذا رأيت كلما
 طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته عُسر عليك واذا اردت شيئا من امر الدنيا
 وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة انتهى فتأمله راشدا وقوله من
 بعد ما اراكم ما تحبون يعنى هزيمة المشركين قال الزبير والله لقد رأيتنى انظر
 الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا
 كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا
 ظهورنا للخيل فاوتينا من اذارنا وصرخ صارخ لا ان محمدا قد قتل وانكفأ علينا
 القوم وقوله سبحانه منكم من يريد الدنيا يعنى بهم الذين حرصوا على الغنيمة
 وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما
 كنت ارى ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى
 نزل فينا يوم اُخذ منكم من يريد الدنيا * وقوله سبحانه ومنكم من يريد الآخرة
 اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر حتى
 قتلوا ويدخل في هذا انس بن النصر وكل من جد ولم يضطرب من المؤمنين
 * وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد العامل في اذ قوله عفا وقراءة
 الجمهور تصعدون بهم التواء وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب في الارض

والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل في الصعيد كما ان اصبغ دخل في الصباح * وقوله سبحانه ولا تلون على احد مبالغة في صفة الانهزام وقرأ حميد بن قيس على احد بضم الالف والحاء يريد الجبل والمعني بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم لانه كان على الجبل والقراءة الشهيرة اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على الجبل الا بعد ما فر الناس وهذه الحال من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروي انه كان ينادى صلى الله عليه وسلم التي عباد الله والناس يفرون وفي قوله تعالى في اخراكم مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك هو موقف الابطال في اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا وحاميتنا اذا فررنا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر الباس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فاتابكم معناه جازاكم على صنيعكم واختلف في معنى قوله تعالى غما بغم فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل والثاني القتل والجراح * وقوله تعالى لكي لا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام من قوله لكي لا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع بكم انما هو بجنايتكم فانتم اذيتم انفسكم وعادة البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق المعاقب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر سبحانه امر النعاس الذي اتن به المؤمنين فغشي اهل الاخلاص قلت وفي صحيح البخاري عن انس ان ابا طلحة قال عشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط

من يدي وءاخذه ويسقط وءاخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود والواو في قوله وطائفة قد اهتمهم انفسهم واو الحال ذهب اكثر المفسرين الى ان اللفظة من الهم الذي هو بمعنى الغم والحزن * وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون ان دين الاسلام ليس بحق وان امر محمد صلى الله عليه وسلم يضمحل قلت وقد وردت احاديث صحاح في الترغيب في حسن الظن بالله عز وجل ففي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل يقول سبحانه انا عند ظن عبدي بي الحديث وقال ابن مسعود والله الذي لا اله غيره لا يحسن احد الظن بالله عز وجل الا اعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه اه وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور الى ان المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الاسلام وهذا كقوله سبحانه حية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد في هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية وهم ابوسفيان ومن معه قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله ابن ابي بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر من شيء يريد ان الرأي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يقتل احد منا * وقوله سبحانه قل ان الامر كله لله اعتراض اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون في انفسهم ما لا يبذلون لك الآية اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته في المنافقين لا اله الا هو * وقوله سبحانه يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هي مقالة سمعت من مُعْتَب بن قشير المغصص عليه بالنفاق وباقي الآية بين * وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم اللام في ليبتلي متعلقة بفعل متأخر

تقديره وليستلي ويمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلاء هنا الاختبار * وقوله سبحانه ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال عمر رضي الله عنه المراد بهذه الآية جيع من تولي ذلك اليوم عن العدو وقيل نزلت في الذين فروا الى المدينة قال ابن زيد فلا ادري هل عُفي عن هذه الطائفة خاصة ام عن المؤمنين جميعا * وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا طاهرة عند جمهور المفسرين انه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه والفرار من الزحف من الكبائر باجاء فيما علمت وقد عده صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية نهى الله المؤمنين ان يكونوا مثل الكفار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذي هو ان من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض فيه نفسه للسفر او للقتال وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالاجلين او نحو منه وصرح بهذه المقالة عبد الله بن ابي المنافق واصحابه قاله مجاهد وغيره والضرب في الارض السير في التجارة وغزى جمع غاز * وقوله تعالى ليجعل الله ذلك لاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذي جعله الله حسرة لهم لان الذي يتيقن ان كل قتل وموت انما هو باجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله سبحانه على قلبه والذي يعتقد ان حيمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التأويل مشى المتأولون وهو اظهر ما في الآية والتحسر التلهف على الشيء والغم به * وقوله سبحانه والله بما تعملون بصير توكيد للنهي في قوله ولا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله * وقوله سبحانه ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في ولئن قتلتم هي المودنة بمحيي القسم واللام في قوله لمغفرة هي

المتلقية للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل القتل في قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لترتيب الضرب في الارض والغزو وقدم القتل هنا لانه لا شرف لاهم ثم قدم الموت في قوله تعالى ولئن متم او قتلتم لانها آية وعظ بالآخرة والحشر وآية تزهيد في الدنيا والحياة وفي الآية تحقير لامر الدنيا وحض على طلب الشهادة والمعنى اذا كان الحشر لا بد منه في كلا الامرين فالمضي اليه في حال شهادة اولى وعن سهل بن حنيف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه رواه الجماعة لا البخاري وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولولم تصبه انفرد به مسلم اه من سلاح المومن * وقوله سبحانه فيما رجة من الله لنت لهم معناه فبرجة قال القشيري في التفسير واعلم ان الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد الا اذا رجه الله سبحانه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فيما رجة من الله لنت لهم اه قال * ع * ومعنى هذه الآية التقريع لكل من اخل يوم اُحد بمركزة اي كانوا يستحقون الملام منك ولكن برجة منه سبحانه لنت لهم وجعلك على خلق عظيم وبعثك لتنميم محاسن الاخلاق ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ الجافى في منطقه ومقاطعته وفي صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق والفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفلا وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق والرجة والانفصاض افتراق الجموع * وقوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم الآية امر سبحانه نبيه عليه السلام بهذه الاوامر التى هي بتدريج بليغ فامره ان يعفو عنهم فيما له عليهم من حق ثم يستغفر

لهم فيما لله عليهم من تبعته فاذا صاروا في هذه الدرجة كانوا اهلا للاستشارة
قال * ع * ومن لا يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا
خلاف فيه وقد وردت احاديث كثيرة في الاستشارة ومشاورته عليه السلام انما هي
في امور الحرب والبعوث ونحوه من اشخاص النوازل فاما في حلال او حرام او
حد فتلك قوانين شرع ما فرطنا في الكتاب من شيء والشورى مبنية على
اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ويتخير فاذا ارشده الله الى
ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله اذ هو غاية الاجتهاد المطلوب منه
وبهذا امر الله تعالى نبيه في هذه الآية وصفة المستشار في الاحكام ان يكون
عالما ديننا ولما يكون ذلك الا في عاقل فقد قال الحسن ابن ابي
الحسن ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله قال * ع * والتوكل على الله
سبحانه وتعالى من فروض الايمان وفصوله ولكنه مقترن بالجد في الطاعات
والشمير والحزامة بغاية الجهد وليس الالقاء باليد وما اشبهه بتوكل وانما هو كما
قال عليه السلام قيدها وتوكل * وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين هذه غاية
في الرفعة وشرف المنزلة وقد جاءت اثار صحيحة في فضل التوكل وعظيم منزلة
المتوكلين ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله
قال هم الذين لا يترقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وخرج
ابو عيسى الترمذي عن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
وعندني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي وخرجه ابن ماجه ايضا
وخرج ابو بكر البزار وابو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن ابي بكر

الصديق رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه اعطاني سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل واحد من السبعين لالف سبعين الفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني هكذا وفتح ابو وهب يديه قال ابو وهب قال هشام هذا من الله لا يدري ما عدده وخرج ابو نعيم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي مائة الف فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا واثار سليمان بن حرب بيده فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا فقال عمر ان الله عز وجل قادر ان يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر اه من التذكرة وما وقع من ذكر الحفنة والحفنة ليس هو على ظاهرة فالا سبحانه منزلة عن صفات الاجسام * وقوله تعالى وان يخذلكم اي يترككم والخذل الترك والضمير في من بعده يعود على اسم الله ويحتمل على الخذل * وقوله تعالى وما كان لنبي ان يغفل قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغفل بفتح الياء وضم الغين وقرأ باقي السبعة ان يغفل بضم الياء وفتح الغين واللفظة بمعنى الخيانة في خفاء تقول العرب اغفل الرجل يغفل اغلا لا اذا خان واختلف على القراءة الاولى فقال ابن عباس وشيرة نزلت بسبب قطيعة حمراء فقدت من المغانم يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها ف قيل كانت هذه المقالة من مومن لم يظن في ذلك حرجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود انما كان سيفا قال النقاش ويقال انما نزلت لان الرماة قالوا يوم احد الغنيمة الغنيمة فانا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وقال ابن اسحاق الآية انما انزلت اعلاما بان النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه وإما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور أي ليس لاحد ان يغفل النبي أي يخون في الغنيمة لان المعاصي تعظم بحضرة لتعيين توقيره قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك ان قوما غفلوا من الغنائم او هموا فانزل الله تعالى الآية فنهاهم الله عن ذلك رواه الترمذي اه * وقوله تعالى ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغفل من الغنيمة او في زكاته بالفضيحة يوم القيامة على رموس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم أي ياتي به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومروعا بصوته وموتجاً باظهار خيانتة اه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ادوا الخائض والمخيط فان الغلول عار ونار وشار على اهل يوم القيامة رواه مالك في الموطأ قال ابو عمر في التمهيد الشنار لفظة جامعة لمعنى العار والنار ومعناها الشين والنار يريد ان الغلول شين وعار ومنقص في الدنيا وعذاب في الآخرة اه وفي الباب احاديث صحيحة في الغلول وفي منع الزكاة * وقوله سبحانه افمن اتبع رضوان الله أي الطاعة الكفيلة برضوان الله قال * ص * افمن استفهم معناه النفي أي ليس من اتبع ما يؤول به الى رضى الله تعالى عنه فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه اه * وقوله سبحانه هم درجات عند الله قال ابن اسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان واصحاب السخط أي لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة وفي اطباق النار ايضاً وقال مجاهد والسدي ما ظاهرة ان المراد بقوله هم انما هو لمتبعي الرضوان أي لهم درجات كريمة عند ربهم وفي الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات المنازل

بعضها اعلی من بعض فی المسافة او فی التكرمة او فی العذاب وباقي الآیة وعد
ووعید * وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
آیة اللام فی لقد لام القسم ومن فی هذه الآیة معناه تطول وتفصل سبحانه وقد
يقال من بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة مشتركة وقوله من انفسهم اي فی
الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به وكونه بلسانهم
يوجب حسن التفهيم وكونه جارا وربيا يوجب التصديق والطمأنينة اذ قد
خبروه وعرفوا صدقه وامانته ثم وقف الله سبحانه المؤمنين على الخطأ فی
قلوبهم للمصيبة التي نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار فقال اولما اصابتمكم
مصيبة اي يوم احد قد اصبتم مثلها اي يوم بدر اذ قتل من الكفار سبعون واسر
سبعون هذا تفسير ابن عباس والجمهور وقال الزجاج واجد المشركين هو قتل
السبعين يوم بدر والثاني هو قتل اثنين وعشرين يوم احد ولا مدخل للاسرى
لانهم قد فدوا وانى معناها كيف ومن ابن قل هو من عند انفسكم اي حين
خالقتم النبي صلى الله عليه وسلم فی الرأي حين رأى ان يقيم بالمدينة ويترك
الكفار بشر محبس فابيتهم الا الخروج وهذا هو تاويل الجمهور وقالت طائفة هو
من عند انفسكم اشارة الى عصيان الرماة وتسببهم الهزيمة على المؤمنين وقال
علي والحسن بل ذلك لما قبلوا الفداء يوم بدر وذلك ان الله سبحانه اخبرهم
على لسان نبيه بين قتل الاسرى او ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدة
الاسرى فاختراروا اخذ الفداء ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم احد سبعون
قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال احمد بن نصر الداودي وعن الصحاح انی هذا اي باي ذنب
هذا قال ابن عباس قل هو من عند انفسكم عقوبة لمعصيتكم لنبيكم عليه السلام

اه * وقوله سبحانه وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعنى يوم احد * وقوله سبحانه وليعلم المومنين ابي ليعلم الله المومن من المنافق والاشارة بقوله سبحانه نافقوا وقيل لهم هي الى عبد الله بن ابي واصحابه حين انخزل بنحو ثلث الناس فمضى فى اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابن ابي ما ارى ان يكون قتالا ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله عليه فاستشهد * وقوله تعالى او ادفعوا قال ابن جريج وغيره معناه كثروا السواد وان لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين الى ان قول عبد الله بن عمرو او ادفعوا استدعاء للقتال حية اذ ليسوا باهل للقتال فى سبيل الله والمعنى قاتلوا فى سبيل الله او قاتلوا دفاعا عن الحوزة لا ترى ان قزمان قال فى ذلك اليوم والله ما قاتلت لا على احساب قومي وقول الانصاري يومئذ لما ارسلت قريش الظهر فى البرزخ اترعى زروع بنى قيلة ولما نصارب * وقوله تعالى الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين المتقدم لآخوانهم اى لآجل لآخوانهم او فى شأن لآخوانهم المقتولين ويحتمل ان يريد لآخوانهم لآحياء من المنافقين ويكون الضمير فى اطاعونا للمقتولين وقعدوا جلته فى موضع الحال معترضة اثناء الكلام وقولهم لو اطاعونا يريدون فى ان لا يخرجوا وباقى الآية بين ثم اخبر سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة لآحياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون يا ربنا لا فوق ما اعطينا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء لكنا نريد ان تردنا الى الدنيا

فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة اخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لا تردون
والاحاديث في فضل الشهداء كثيرة قال الفخر والروايات في هذا الباب كانها
بلغت حد التواتر ثم قال قال بعض المفسرين ارواح الشهداء احياء وهي تركع
وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة اه والعقيدة ان الارواح كلها احياء لا فرق
بين الشهداء وغيرهم في ذلك الا ما خص الله به الشهداء من زيادة المزية
والحياة التي ليست بمكيفة وفي صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا ابن مسعود
عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فقال اما انا فقد سألت عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه
وسلم ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة
حيث شاءت ثم تارى الى تلك القناديل الحديث الى ماخره اه ومن الآثار
الصحيحة الدالة على فضل الشهداء ما رواه مالك في الموطأ انه بلغه ان عمرو
ابن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل
قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد
فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدوا لم يغيرا كانما ماتا بالاس وكان احدهما قد
جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت
فرجعت كما كانت وكان بين احد وبين يوم حفر عنهما ست واربعون سنة
قال ابو عمر في التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد
متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو
ابن عمه ثم اسند ابو عمر عن جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري
العين باحد نوذي بالمدينة من كان له قتييل فليات قتييله قال جابر فاتيناهم
فاخرجناهم رطابا يتشنون فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما قال

ابو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ابدا وفي رواية فاستخرجهم يعنى معاوية بعد ست واربعين سنة لينة اجسادهم تتشنى اطرافهم قال ابو عمر الذى اصابته المسحاة اصبعه هو حزة رضي الله عنه ثم اسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نؤم حتى اذا اصابته المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانشعبت دما اه * وقوله سبحانه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية معناه يسرون ويفرحون وذهب قتادة وغيره الى ان استبشارهم هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبينهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك اذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء الى ان الاشارة في قوله بالذين لم يلحقوا الى جميع المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة وذلك لما عاينوا من ثواب الله فهم فرحون لانفسهم بما اناهم الله من فضله ومستبشرون للمؤمنين انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم اكد سبحانه استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة ثم بين سبحانه بقوله وفضل ان ادخاله اياهم الجنة هو بفضل منه لا بعمل احد واما النعمة في الجنة والدرجات فقد اخبر انها على قدر الاعمال قلت وخرج ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في انهار الجنة ياكل من كل رائحة في انهار الجنة فاذا امسى وكزة الثور بقرنه فيذكيه فياكلون لحمه يجدون في لحمه طعم كل رائحة ويبست الثور في افناء الجنة فاذا اصبح غدا عليه الحوت فوكزة بذنبه فيذكيه فياكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم

من الجنة ويدعون الله عز وجل ان تقوم الساعة الحديث اه مختصرا وقد ذكره صاحب التذكرة مطولا وقرأ الكسائي وان الله بكسر الهمزة على استيناف الاخبار وقرأ باقي السبعة بالفتح على ان ذلك داخل فيما يستبشر به وقوله الذين استجابوا يحتمل ان يكون صفة للمؤمنين على قراءة من كسر الالف من ان والاطهر ان الذين ابتداء وخبرة في قوله للذين احسنوا منهم الآية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حراء لاسد في طلب قريش * وقوله سبحانه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم الآية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذى قاله الركب من عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حلقهم اوسفيان ذلك فالناس الاول هم الركب والناس الثانى عسكر قريش هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال ان الآية نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى لميعاد ابي سفيان وان الناس هنا هو نعيم بن مسعود قول ضعيف وعن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه مسلم والبحاري انتهى وقوله سبحانه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الآية اشارة الى جميع ما جرى من اخبار الركب عن رسالة ابي سفيان ومن جزع من جزع من الخبر وقرأ الجمهور يخوف اولياءه قال قوم معناه يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وحكى ابو الفتح بن جني عن ابن عباس انه قرأ يخوفكم اولياءه فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان وهي مفسرة لقراءة الجماعة وفي قراءة ابي ابن كعب يخوفكم بوليائه وفي كتاب القصد الى الله تعالى للمحاسبي قال وكلما

عظمت هيبة الله عز وجل في صدور الاولياء لم يهابوا معه غيره حياء منه عز وجل
ان يخافوا معه سواه انتهى وقوله سبحانه ولا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر المسارعة في الكفر هي المبادرة الى اقواله وافعاله والجد في ذلك وسلى
الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الآية عن حال المنافقين والمجاهرين اذ كلهم
مسارع وقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا خبر في ضمنه وعيد لهم اي وانما
يضرون انفسهم والحظ اذا اطلق فانما يستعمل في الخير وقوله سبحانه ولا يحسن
الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم نملى معناه نملى نمل في العمر والمعنى
لا نحسن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم فالآية رد على الكفار في قولهم ان كوننا
ممولين اصحة دليل على رضى الله بحالتنا وقوله تعالى ما كان الله ليزر اي
ليدع المؤمنين مختلطيين بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض
بما يظهره من هؤلاء وهؤلاء في أحد من الافعال والاقوال هذا تفسير مجاهد وغيره
وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي في امر أحد وما كان من الهزيمة
وايضا فما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصرحا وتسمية لهم ولكن بقرائن افعالهم
واقوالهم قال الفخر وذلك ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على
غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك لامتياز الابطاحانات كما تقدم فاما
معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا
قال تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء انتهى وقال الزجاج وغيره روي
ان بعض الكفار قال لم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت هذه الآية ويجتبي معناه
يختار ويصطفى وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين يبخلون بما اناهم الله
من فضله الآية قال السدي وجماعة من التأولين الآية نزلت في البخل بالمال
والانفاق في سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك قال ومعنى سيطرون

ما بخلوا به هو الذى ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذى رحم ياتى ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه قلت وفى البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من ائاه الله ما لا يؤد زكاته مثل له شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ياخذ بلهزمتيه يعنى شقيقه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما ائاهم الله من فضله الآية قلت واعلم انه قد وردت اثار صحيحة بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو ينجأ نفسه بحديدته فى نار جهنم والذى قتل نفسه بالسهم فهو يتحساه فى نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي فى الجواهر واعلم ان المعاني فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شي بصورة توارى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذر يطأهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء انتهى وهو كلام صحيح يشهد له صحيح الآثار ويؤيده النظر والاعتبار اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه قال ابن العربي فى احكامه قال علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الآية فى الزكاة الواجبة لان هذا وعيد لمانعيها والوعيد اذا اقترن بالفعل المأمور به او المنهي عنه اقتضى الوجوب او التحريم انتهى وتعميمها فى جميع انواع الواجب احسن وقوله سبحانه ولله ميراث السموات والارض خطاب على ما يفهمه البشر دال على فناء الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله سبحانه * وقوله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الآية نزلت بسبب فحاص اليهودي واشباهه كحيي بن اخطب وغيره لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالوا يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغني وهذا من تحريف اليهود

للتناويل على نحو ما صنعوا في توراتهم * وقوله تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة * وقوله تعالى سنكتب ما قالوا الآية وعيد لهم اي سنخصي عليهم قولهم ويتصل ذلك بفعل ابائهم من قتل الانبياء بغير حق * وقوله سبحانه وان الله اي وبان الله ليس بظلام للعبيد قال * ص * قيل المراد هنا نفى القليل والكثير من الظلم كقول طرفة

ولست بحلال التلّاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم ارفد ولا يريد انه قد يحل التلّاع قليلا وزاد ابو البقاء وجهاء اخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه الى ظلم فيكون من باب بزاز وطار انتهى قلت وهذا القول احسن ما قيل هنا فمعنى وما ربك بظلام اي بذى ظلم * وقوله سبحانه الذين قالوا ان الله عهد الينا الآية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك لم تاتنا بقربان تاكله النار فنحن قد عهد الينا لا نومن لك * وقوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم من امر القربان والمعنى ان هذا منكم تعلل وتعت ولو اتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقوة فيمن تقدم من الانبياء قال الفخر والمراد بالبينات المعجزات انتهى والزبر الكتاب المكتوب قال الزجاج زبرت كتبت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولا منه عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح في الآخرة فبالفكرة في الموت يهون امر الكفار وتكذيبهم وانما توفون اجوركم اي على الكمال ولا محالة ان يوم القيامة تقع فيه توفية الاجور وتوفية العقوبات وزحج معناه ابعد والمكان الزحاج البعيد وفاز معناه نجا من خطره وخوفه والغرور الخدع والترجية بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال هي متاع قليل

يخدع المرء ويمتية الأباطيل وعلى هذا فسر الآية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية فلت واسند أبو بكر بن الخطيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط إلا التا ط منها بخصال ثلاث أمل لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عنه انتهى * وقوله تعالى لتبلون في أموالكم وانفسكم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامتد والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في أموالكم بالمصائب والأرزاء وبالأفناق في سبيل الله وفي سائر تكاليف الشرع والابتلاء في الانفس بالموت والأمراض وفقد الأحبة قال الفخر قال الواحدي اللام في لتبلون لام قسم انتهى * وقوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب الآية قال عكرمة وغيره السبب في نزولها أقوال فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب بن الأشرف حتى بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله ولاذى اسم جامع في معنى الضرر وهو هنا يشمل أقوالهم فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سب وأقوالهم في جهة الله سبحانه وأنبيائه وندب سبحانه إلى الصبر والتقوى وأخبرانه من عزم الأمور أي من أشدها وأحسنها والعزم امضاء الأمر المرؤى المنقح وليس ركوب الرأي دون روية عزمًا * وقوله سبحانه وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علم الله علما وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بالجام من نار والضمير في لتبيننه ولا تكتُمونه عائد على الكتاب والنبذ الطرح وأظهره لأقوال في هذه الآية أنها نزلت في اليهود وهم المعنيون ثم كل كاتم من هذه الأمة يأخذ بحظه

من هذه المذمة * وقوله سبحانه لا يحسن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية ذهبت جاعة الى ان الآية في المنافقين وقالت جاعة كبيرة انما نزلت في اهل الكتاب احبار اليهود قال سعيد بن جبير الآية في اليهود فرحوا بما اعطى الله ال ابراهيم من النبوة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقهم وقراءة سعيد بن جبير بما اتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم المعنى الذى قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجا وباقي الآية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر والعبرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه خلفه ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الآخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام والآيات العلامات الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام في تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى اثاره القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال وذكر الادعية فختتم بهذه الآيات بنحو ما في سورة البقرة انتهى * وقوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا الذين في موضع خفض صفة لاولى الالباب وهذا وصف ظاهرة استعمال التوحيد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وابن ادم متنقل في هذه الثلاث الهيئات لا يخلو في غالب امره منها فكانها تحصر زمنه وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمن في قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه قلت خرجه ابو داود فدخل في

ذلك كونه على الخلاء وغيره وذهب جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاة اي لا يضيعونها ففى حال العذر يصلونها فعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التى هي ذكر الله باللسان او الصلاة فرضها وندبها بعبادة اخرى عظيمة وهي الفكرة فى قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر التى بث وفى كل شيء له . اية * تدل على انه واحد

قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الاحياء ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون فى الله فقال تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدرة قال * ع * وهذا هو قصد الآية فى قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وقال بعض العلماء المتفكر فى ذات الله كالناظر فى عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكير وانبساط الذهن فى المخلوقات وفى احوال الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس وابو الدرداء فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقال سِرِّي السَّقَطِي فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها فى الآخرة وقال الحسن بن ابى الحسن الفكرة مرءاة المومن ينظر فيها الى حسناته وسيئاته واخذ ابو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده صيف فرأه لما ادخل اصبعه فى اذن القدح اقام كذلك مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال انى لما طرحت اصبعى فى اذن القدح تذكرت قول الله سبحانه اذ لا غلال فى اغانقهم والسلاسل فتفكرت فى حالى وكيف اتلقى الغل ان طرح فى عنقى يوم القيامة فما زلت فى ذلك حتى اصبح قال * ع * وهذه نهاية الخوف وخير الامور واساطها وليس علماء

الامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنته رسوله
لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن ان لا تخلو البلاد من مثل
هذا قال * ع * وحديثى ابنى رحمه الله عن بعض علماء المشرق قال
كنت باثنا فى مسجد الاقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع فى
كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت صلاة الصبح
قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جروته فى الصلاة
بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهوينشد
منسجى الجسم غائب حاصر * منتبه القلب صامت ذاكر
منبسط فى الغيوب منقبض * كذاك من كان عارفا ناكر
يبسيت فى ليله اخا فكر * فهو مدى الليل نائم ساهر
قال فعلت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرف عنه قال الفخر ودلت الآية
على ان اعلى مراتب الصديقين التفكير انتهى وفى العتبية قال مالك قيل
لام الدرداء ما كان اكثر شان ابنى الدرداء قالت كان اكثر شانه التفكير
قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون
فى خلق السموات والارض قال ابن رشد والتفكر من الاعمال كما قاله مالك
رحمه الله وهو من اشرف الاعمال لانه من اعمال القلوب التى هي اشرف
الجوارح لا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من سائر الطاعات
الامع مشاركة القلوب لها باخلاص النية لله عز وجل فى فعلها انتهى من البيان
والتحصيل قال ابن بطال ان الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره كان الغالب
عليه الاشفاق والخوف انتهى قال ابن عطاء الله الفكرة سير القلب فى ميادين
لاعتبار والفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت قال بعض المحققين

وذلك ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال الامام ابو القاسم
القشيري رحمه الله التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم ثم فكر
الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفاتها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين
في جيل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء
فيزدادون محبة للحق سبحانه انتهى * وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
اي يقولون ياربنا على الذناء ما خلقت هذا باطلا يريد لغير غاية منصوبة بل
خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوجدوك ويعبدوك فمن فعل ذلك نعمته
ومن ضل عن ذلك عذبه وقولهم سبحانه اي تنزيها لك عما يقول المبطلون
وقولهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فلا تفعل ذلك بنا والخزي
الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر الموء قال انس بن مالك والحسن بن ابي
الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد في النار واما من يخرج منها
بالشفاعة والايمان فليس بمخزي اي وما اصابه من عذابها انما هو تمحيص لذنوبه
* وقوله سبحانه وما للظالمين من انصار هو من قول الداعين * وقوله سبحانه ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية حكاية عن اولى الالباب قال ابو الدرداء يرحم
الله المؤمنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم قال ابن جريج وغيره
المنادي محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادي كتاب الله
وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وقولهم ما وعدتنا على رسلك
معناه على السنة رسلك وقولهم ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد
اشارة الى قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فهذا وعده
تعالى وهو دال على ان الخزي انما هو مع الخلود قال * ص * قال ابو البقاء
الميعاد مصدر بمعنى الوعد اه * وقوله سبحانه فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع

عمل عامل منكم من ذكر او انشى الآية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت الآية وهي آية وعد من الله اي هذا فعله سبحانه مع الذين يتصفون بما ذكر قال الفخر روي عن جعفر الصادق انه قال من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية قال لان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم انتهى * وقوله تعالى بعضكم من بعض يعنى في الاجر وتقبل الاعمال اي ان الرجال والنساء في ذلك على حد واحد قال الفخر قوله سبحانه بعضكم من بعض اي شبه بعض او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت في الثواب بين الذكر والانثى اذا استنوا في الطاعة وهذا يدل على ان الفصل في باب الدين انما هو بالاعمال لا بسر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له في هذا الباب انتهى وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الآية بعد تنسحب على كل من اودي في الله وهاجر ايضا الى الله الى يوم القيامة * وقوله سبحانه واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار واللام في قوله لا كفرن لام القسم وثوابا مصدر مؤكد وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الآية نزلت لا يغرنك في هذه الآية منزلة لا تظن ان حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والتقلب التصرف في التجارات والارباح والحروب وسائر الآمال وقوله نزلا معناه تكرمته * وقوله تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هؤلاء فيه من الثقلب والتنعم ويحتمل ان يريد خير مما هم فيه في الدنيا وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر

قال القاضي ابن الطيب هذا بالاضافة الى ما يصير اليه كل واحد منهما في الآخرة وفي المعنى انها سجن المؤمن لانها موضع تبعه في الطاعة * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الآية نزلت بسبب اصحمة النجاشي سلطان الحبشة ءامن بالله وبمحمد عليه السلام واصحمة تفسيره بالعربية عطية قاله سفيان وغيره وقال قوم نزلت في عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت في جميع من ءامن من اهل الكتاب * وقوله سبحانه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتاب لتبديلهم واثارهم مكاسب الدنيا على ءاخرتهم وعلى آيات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانه السورة بهذه الوصاة التي جعلت الظهور في الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الآخرة فحص سبحانه على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة فقليل معناه مصابرة الاعداء فانه زيد بن اسلم وقيل معناه مصابرة وعد الله في النصر قاله محمد بن كعب القرظي اي لا تسأموا وانتظروا الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم انتظروا الفرج بالصبر عبادة قال الفخر والمصابرة عبارة عن تحمل المكارة الواقعة بين الانسان وبين الغير انتهى وقوله واربطوا معناه عند الجمهور رابطوا اعداءكم الخيل اي اربطوها كما يربطها اعداؤكم قلت وروى مسلم في صحيحه عن سليمان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة ويامن من فتنة القبر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود

بمعناه وقال ويومن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان ويبعث الله أمانا من الفزع وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انتهى وجاء في فضل الرباط احاديث كثيرة يطول ذكرها قال صاحب التذكرة وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في رمضان افضل عند الله واعظم اجرا أراه قال من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره القرطبي مسندا انتهى والرباط هو الملازمة في سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لشعر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او رجلا واللفظة مأخوذة من الربط قلت قال الشيخ زين الدين العراقي في اختصاره لغريب القرآن لأبي حيان معنى رابطوا دوماً وثابتوا ومتى ذكرت العراقي فمرادى هذا الشيخ انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه ان هذه الآية اصبروا وصابروا وربطوا انما نزلت في انتظار الصلاة خلف الصلاة قاله ابوسلمة بن عبد الرحمن قال ولم يكن يومئذ عدو يربط فيه انتهى وقوله سبحانه لعلمكم تفاحون ترج في حق البشر والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء مدنية

الآية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى

اهلها الآية وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني قد بنى بها * قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الآية في الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حص على التواصل لحكمة هذا النسب والمراد بالنفس ادم صلى الله عليه وسلم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وزوجها يعنى حواء قال ابن عباس وغيره خلق الله ادم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احدى اضلاعه القصيرى من شماله وقيل من يمينه فخلق منها حواء ويعضد هذا الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع اعوج الحديث وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراس المبثوث اي المنتشر وفي تكرير الامر بالتقوى تاكيد لنفوس المأمورين وتساءلون معناه تتعاطفون به فيقول احذكم اسألك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام وقرأ حمزة والارحام بالخفض عطفا على الضمير كقولهم اسألك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال * ع * وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمير مخفوض الا في ضرورة الشعر كقوله * فاذهب فما بك ولايام من عجب * لان الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل بعض النحاة هذه القراءة انتهى كلام * ع * قال * ص * والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين قال وقد اعنا الكلام عليه في قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام انتهى وهو حسن ونحوه للامام الفخر وفي قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد قال المحاسبى سألت ابا جعفر محمد بن موسى فقلت اجمل حالات العارفين ما هي فقال ان

الحال التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة
فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك في حركتك وسكونك وجميع
احوالك فانك بعين الله عز وجل في جميع تقلباتك وانك في قبضته
حيث كنت وان عين الله على قلبك وناظر الى سرّك وعلايتك فهذه الصفة
يا فتى بجزيرة ليس له شط بحر تجري منه السواقي والانهار وتسير فيه السفن الى
معادن الغنيمة انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقوله سبحانه واتوا
اليتمى اموالهم الآية قال ابن زيد هذه مخاطبة لمن كانت عاداته من العرب
ان لا يرث الصغير من الاولاد وقالت طائفة هذه مخاطبة للأوصياء قال ابن
العربي وذلك عند الابتلاء والارشاد انتهى * وقوله ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب قال ابن المسيب وغيره هو ما كان يفعل بعضهم من ابدال الشاة السمينة
من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب بالزائف وقيل المراد لا تاكلوا
اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل غير هذا والطيب هنا الحلال والخبيث
الحرام وقوله الى اموالكم التقدير ولا تصيفوا اموالهم الى اموالكم في الاكل والضمير
في انه عائد على الاكل والحبوب الاثم قاله ابن عباس وغيره وتحبب الرجل اذا
لقى الحوب عن نفسه وكذلك تحنت وتائم وتحرج فان هذه الاربعة بخلاف
تفعل كله لان تفعل معناه الدخول في الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه
ويالحق بهذه الاربعة تفكّهون في قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلم
تفكّهون اي تطرحون الفكاهة عن انفسكم * وقوله تعالى كبيرا نص على ان اكل
مال اليتيم من الكبائر * وقوله تعالى وان خفتن لا تقسطوا في اليتامى الآية قال ابو
عبدة خفتن هاهنا بمعنى ايقنتم قال * ع * وما قاله غير صحيح ولا يكون
الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن

الى احدى الجهتين قلت وكذا رد الداودي على ابى عبيدة ولفظه وعن ابى
عبيدة فان خفتم لا تعدلوا مجازة ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على ظاهر الكلمة
انتهى وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت
عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في اولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال
وليائهم فيريدون ان يبخسوهن في المهر لمكان ولا يتهم عليهن ف قيل لهم اقسطوا
في مهرهن فمن خاف لا يقسط فليتزوج ما طاب له من الاجنبيات اللواتي
يكايسن في حقوقهن وقاله ربعة قال الحسن وغيره ما طاب معناه ما حل وقيل
ما ظرفية اي ما دتم تستحسنون النكاح وضعف قلت وفي تضعيفه نظر فتأمل
قال الامام الفخر وفي تفسير ما طاب بما حل نظر وذلك ان قوله تعالى فانكحوا
امر اباحة فلو كان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة
ما يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الآية عن
الفائدة ويصيرها مجملة لا محالة اما اذا حملنا طاب على استطابة النفس وميل
القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت في اصول الفقه انه اذا وقع
التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصص
حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا انتهى وهو حسن ومثنى
وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات لا
تنصرف لانها معدولة وصفة * وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت
ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف ان لا يعدل في عشرة واحدة فما ملكت
يمينه واسند الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن
لا ترى انها المنفقة كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه
وهي المعاهدة المباعدة قال ابن العربي قال علماءنا وفي الآية دليل على ان ملك

اليمين لا حق له في السوط والقسم لان المعنى فان خفتم لا تعدلوا في القسم
فواحدة او ما ملكت ايمانكم فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة
فانتفى بذلك ان يكون للامة حق في وطه او قسم انتهى من الاحكام * وقوله
ذلك ادنى لا تعولوا ادنى معناه اقرب لا تعولوا اي لا تميلوا قاله ابن عباس
وغيره وقالت فرقة معناه ادنى لا يكثر عيالكم وقدح في هذا الزجاج وغيره * وقوله
تعالى واثوا النساء صدقاتهن نحلة الآية قال ابن عباس وغيره الآية خطاب
للزواج وقال ابو صالح هي خطاب لاولياء النساء لان عادة بعض العرب كانت
ان ياكل ولي المرأة مهرها فرفع الله ذلك بالاسلام وقيل ان الآية في المتشاورين
الذين يتزوجون امرأة باخرى فامروا ان يضربوا المهور قال * ع * والآية
تتناول هذه التاويلات الثلاث ونحلة اي عطية منكم لهن وقيل نحلة معناه شرعة
ماخوذ من النحل وقيل التقدير نحلة من الله لهن قال ابن العربي وذلك
ان النحلة في اللغة العطية عن غير عوض انتهى * وقوله فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا الآية الخطاب حسبا تقدم من الاختلاف والمعنى ان وهبن غير
مكرهات طيبة نفوسهن والضمير في منه يعود على الصداق قاله عكرمة وغيره
ومن تتضمن الجنس هاهنا ولذلك يجوز ان تهب المهر كله * وقوله تعالى
هنيئا مريئا قال اللغويون الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة
وكذلك المريء * وقوله سبحانه ولا توتوا السفهاء اموالكم قال ابو موسى الاشعري
وغيره نزلت في كل من اقتضى الصفة التي شرط الله من السفر كان من كان
وقوله اموالكم يريد اموال المخاطبين قاله ابو موسى الاشعري وابن عباس
والحسن وغيرهم وقال ابن جبير يريد اموال السفهاء و اضافها الى المخاطبين اذ
هي كاموالهم وقيما جمع قيمة * وقوله تعالى وارزقوهم فيها الآية قيل معناه فيمن

تلززم الرجل نفقته وقيل في المحجورين من اموالهم ومعروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا لكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام تعرفه النفوس وتانس اليه ويقتضيه الشرع * وقوله وابتلوا اليتامى الآية الابتناء الاختبار وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبلغ الرجال بحلم او حيض او غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وأنستم معناه علمتم وشعرتهم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال * ع * والبلوغ لم تسقه الآية سياق الشرط ولكنها حالة الغالب على بنى آدم ان تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت الذى لا يعتبر شرط الرشد لافيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك لان التوقيت بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التى هي قاعدة حروف الشرط واذا ليست بحرف شرط الا فى ضرورة الشعر قال ابن عباس الرشد فى العقل وتدبير المال لا غير وهو قول ابن القاسم فى مذهبنا وقال الحسن وقتادة الرشد فى العقل والدين وهو رواية ايضا عن مالك * وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي منه سبحانه للاوصياء عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف الافراط فى الفعل والسرف الخطأ فى مواضع الانفاق وبدارا معناه مبادرة كبرهم اي ان الوصي يستغنم مال محجورة وان يكبروا نصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير مخافة ان يكبروا * وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعفف اذا امسك فامر الغني بالامساك عن مال اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمة بالمعروف واختلف العلماء فى حد المعروف فقال ابن عباس وغيره انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من الثمر بما يهنا الجرباء ويلط الحوض ويجد الثمر وما اشبهه

قلت يقال للقطران الهناء في لغة العرب كذا رأيته منصوفا عليه * وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر من الله تعالى بالتحرز والحزم وهذا هو الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان حبسها اولا معروفا قال * ع * ولا تظهر ان حسيبا هنا معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد لكل جاحد حق * وقوله سبحانه للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية قال قتادة وغيره سبب نزول هذه الآية ان العرب كان منها من لا يورث النساء ويقولون لا يرث الا من طامن بالرمح وقاتل بالسيف * وقوله تعالى واذا حضر القسمه اولوا القربى الآية اختلف فيمن خوطب بهذه الآية ف قيل الخطاب للوارثين وقيل للمحتضرين والمعنى اذا حضركم الموت ايها المومنون وقسمتم اموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من ذوى القرابة واليتامى فارزقوهم منه قاله ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة بآية الموارث او هي محكمة وعلى انها محكمة فهل الامر على الوجوب فيعطى لهم ما خف او على الندب خلاف والضمير في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على الاصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما يتأنس به من دعاء او عدة او غير ذلك * وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية اختلف من المراد في هذه الآية فقال ابن عباس وغيره المراد من حضر ميتا حين يوصى فيقول له قدم لنفسك واعط لفلان وفلان ويؤدى الورثة بذلك فكان الآية تقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعدكم فكذلك فاحشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال مقسم وحضرمي نزلت في عكس ذلك وهو ان يقول للمحتضر اسك على ورثتك وابق لولدك وينهاه عن الوصية فيضر بذلك ذوى القربى واليتامى والمساكين وكل من يستحق ان يوصى له ف قيل لهم كما كنتم تخشون على

ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك فسددوا القول في جهة اليتامى
والمساكين قال * ع * والقولان لا يطردان في كل الناس بل الناس صنفان
يصلح لاحدهما القول الواحد وللآخر القول الثانى وذلك ان الرجل اذا ترك
ورثة اغنياء حسن ان يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه واذا ترك
ورثة ضعفاء مقولين حسن ان يندب الى الترك لهم ولاحتياط فان اجرة في قصد
ذلك كاجرة في المساكين فالمراعى انما هو الضعف فيجب ان يمال معه وقال
ابن عباس ايضا المراد بالآية ولالة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول
لهم واتقوا الله في اكل اموالهم كما تخافون على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف
ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى امرهم بالتقوى في الايتام
واولاد الناس والتسديد لهم في القول وان لم يكونوا في حجوهم كما يريد كل احد
ان يفعل بولده بعده والسديد معناه المصيب للحق * وقوله تعالى ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية اكثر الناس ان الآية نزلت في الاوصياء
الذين ياكلون ما لم يبح لهم من اموال اليتامى وهى تتناول كل اكل وان لم
يكن وصيا وورد في هذا الوعيد احاديث منها حديث ابى سعيد الخدرى قال
حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رأيت قوما لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافهم ثم يجعل في افواههم صخرا من
نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما قلت تأمل رجلك الله صدر هذه السورة معظمه انما هو في شان
الاجوفين البطن والفرج مع اللسان وهما المهلكان واعظم الجوارح افة وجناية
على الانسان وقد روينا عن مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين

لحييه وما بين رجله ما بين لحييه وما بين رجله قال ابو عمر بن عبد البر
في التمهيد ومعلوم انه اراد صلى الله عليه وسلم ما بين لحييه اللسان وما بين
رجليه الفرج والله اعلم ولهذا اردف مالك حديثه هذا بحديثه عن زيد بن
اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب دخل على ابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو
يجبذ لسانه فقال له عمر مـ غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردني الموارد
قال ابو عمرو في اللسان اثار كثيرة ثم قال ابو عمرو عن ابي هريرة ان اكثر ما
يدخل الناس النار الاجوفان البطن والفرج ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتكفل لي بما بين لحييه وما بين
رجليه وضمن له الجنة ومن طريق جابر نحوه انتهى والصلى هو التسخن
بقرب النار او بمباشرتها والمجترق الذي يذهبه الحرق ليس بصال الا في بدء
امره واهل جهنم لا تذهبهم النار فهم فيها صالون اعادنا الله منها بجوده وكرمه
والسعير الجمر المشتعل وهذه آية من آيات الوعيد والذي يعتقد اهل السنة
ان ذلك نافذ على بعض العصاة ليلا يقع الخبر بخلاف مخبره ساقط بالمشيئة
عن بعضهم * وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية تتضمن الفرض والوجوب
قال نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله *
وقوله للذكر مثل حظ الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين * وقوله فوق اثنتين
معناه اثنتين فما فوقهما تقتضى ذلك قوة الكلام واما الوقوف مع اللفظ فيسقط
معه النص على اثنتين ويشبث الثلثان لهما بالاجماع ولم يحفظ فيه خلاف الا ما
روي عن ابن عباس انه يرى لهما النصف ويشبث لهما ايضا ذلك بالقياس
على الاختين وبحديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين
بالثلثين * وقوله سبحانه فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد ذكر كان او انشى

فلامه الثلث اي وللاب الثلثان * وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اي كانوا اشقاء او للاب او للام والاجماع على انهم لا يأخذون السدس الذى يحبون الام عنه وكذا اجمعوا على ان اخوين فصاعدا يحبون الام عنه لا ما روي عن ابن عباس من ان الاخوين في حكم الواحد وقدم الوصية في اللفظ اهتماما بها وندبا اليها اذ هي اقل لزوما من الدين وايضا قدمها لان الشرع قد حص عليها فلا بد منها والدين قد يكون وقد لا يكون وايضا قدمها اذ هي حظ مساكين وضعاف وآخر الدين لانه حق غريم يطلبه بقوة وله فيه مقال واجمع العلماء على ان الدين مقدم على الوصية والاجماع على انه لا يوصى باكثر من الثلث واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث * وقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمرة تقديره هم المقسوم عليهم او هم المعطون وهذا عرض للحكمة في ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعنى في الدنيا والآخرة قال الفخر وفي الآية اشارة الى الانقياد الى الشرع وترك ما يميل اليه الطبع انتهى * وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الآية الولد هنا في هذه الآية وفي التي بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة خلو الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح * وقوله تعالى وله اخ او اخت الآية الاجماع على ان الاخوة في هذه الآية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة سواء هم المذكور في آخر السورة وقرا سعد بن ابى وقاص وله اخ او اخت لأمه ولا نثى والذكر في هذه النازلة سواء باجماع * وقوله سبحانه غير مضار قال ابن عباس المضار في الوصية من الكبائر ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مضار في وصيته القاه الله تعالى في واد في

جهنم قال * ع * وجوه المضارة كثيرة من ذلك ان يقر بحق ليس عليه اويوصي باكثر من ثلثه اولوارثه قال * ص * غير مضار منصوب على الحال اي غير مضار ورثته انتهى قلت وتقدير ابي حيان ورثته ياباه فصاحة الفاظ الآية اذ مقتضاها العموم فلو قال غير مضار ورثته او غيرهم لكان احسن لكن الغالب مضارة الورثة فلهذا قدرهم * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية تلك اشارة الى القسمة المتقدمة في المواريث وباقي الآية بين * وقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الآية الفاحشة في هذا الموضع الزنا وقوله من نسائكم اضافة في معناها لاسلام وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم الا باربعة شهداء تغليظا على المدعى وسنرا على العباد قلت ومن هذا المعنى اشتراط رؤية كذا في كذا كالسرود في المكحلة قال * ع * وكانت اول عقوبة الزناة الامساك في البيوت ثم نسخ ذلك بالاذى الذي بعده ثم نسخ ذلك بآية النور وبالرجم في الثيب قاله عبادة بن الصامت وغيره وعن عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي ثم اقلع عنه وجهه محمرا فقال قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجته مسلم وهو خبر آحاد ثم ورد في الخبر المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة تنسخ القروان جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذي عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ القروان اذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها ان يقال ان الناسخ لحكم الجلد هو القروان المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه في قوله تعالى الشيخ والشيخة فارجوها البتة وهذا نص في الرجم وقد

قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة والحديث بكماله في مسلم والسنة هي المبينة ولفظ البخاري او يجعل الله لهن سبيلا الرجم للثيب والجلد للبكر انتهى * وقوله تعالى والذان ياتيانها منكم الآية قال مجاهد وغيره الآية الاولى في النساء عموما وهذه في الرجال فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفى نص الكلام اصناف الزناة عامة ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم واجمع العلماء على ان هاتين الآيتين منسوختان كما تقدم * وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية قال * ص * التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة انتهى قال * ع * انما حاصرة وهو مقصد المتكلم بها ابدا فقد تصادف من المعنى ما يقتضى العقل فيه الحصر كقوله تعالى انما الله واحد وقد لا تصادف ذلك كقوله انما الشجاع عنزة وهي في هذه الآية حاصرة اذ ليست التوبة الا لهذا الصنف المذكور وتصح التوبة وان نقصها النائب في ثاني حال بمعاودة الذنب فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد واقعة الذنب الى توبة اخرى مستأنفة وتصح ايضا التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا من اقام على ذنب * وقوله تعالى على الله اي على فضل الله ورجته لعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم ما حق العباد على الله انما معناه ما حقه على فضله ورجته والعقيدة انه لا يجب على الله تعالى شيئا عقلا والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي وقوله تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية وليس المعنى ان تكون الجهالة بان ذلك الفعل معصية لان المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة وهذا فاسد اجاعا وما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ذكر ذلك عنهم ابو العاليتة وقال قتادة اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به ابن عباس ومجاهد والسدي وروي عن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال * ع * يريد الخاصة بها الخارجية عن طاعة الله سبحانه وهذا المعنى عندى جار مع قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو واختلف المتأولون في قوله تعالى من قريب فقال ابن عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل المعاناة للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه وروى ابو قلابة ان الله تعالى لما خلق ادم فراه ابليس اجوف ثم جرى له ما جرى ولعن وانظر قال وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح قال * ع * فابن عباس رضي الله عنه ذكر احسن اوقات التوبة والجمهور حدوا اخر وقتها وروى بشير بن كعب والحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ ويغلب على عقله قال * ع * لان الرجاء فيه باق ويصح منه الندم والعزم على الترتك وقوله تعالى من قريب انما معناه من قريب الى وقت الذنب ومدة الحياة كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل قلت بل المبادرة واجبة * وقوله تعالى وكان الله عليا اي بمن يتوب وييسره هو سبحانه للتوبة حكيما فيما ينفذه من ذلك وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة الآتية ان يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز الياس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والعرق فلم ينفعه ما اظهره من لايمان وبهذا قال ابن عباس وجاعة المفسرين قال * ع * والعقيدة عندى في هذه الآيات

ان من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب
هذا مذهب ابى المعالى وغيره وقال غيرهم بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى
بذلك وابو المعالى يجعل تلك الاخبار طواهر مشروطة بالمشيئة ومن لم يتب
حتى حضره الموت فليس فى حكم التائبين فان كان كافرا فهو يخلد وان كان
مومنا فهو عاص فى المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوى الظن فى تعذيبه
ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصنفية من يغفر الله تعالى له تفضلا منه
لايعذبه وأعلم الله تعالى ايضا ان الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم ولا توبة فى
الآخرة * وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين
يموتون وهم كفار فقط فالعذاب عذاب خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى
من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب الا مع حضور الموت فهو فى جهة هؤلاء عذاب لا
خلود معه واعتدنا معناه يسرناه واحضرناه * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا يحل
لكم ان تراثوا النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا فى الجاهلية اذا مات الرجل
كان اولياؤه احق بامراته من اهلها ان شاموا تزوجها احدهم وان شاموا زوجوها
من غيرهم وان شاموا منعوها الزواج فنزلت الآية فى ذلك وقال بعض المتأولين
معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتى انتم اولياء لهن وامساكن دون
تزويج حتى يمتن فتورث اموالهن قال * ع * فعلى هذا القول فالمرورث
مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس * وقوله تعالى ولا تعضلوهن الآية قال
ابن عباس وغيره هي ايضا فى اولئك الاولياء الذين كانوا يرثون المرأة لانهم
كانوا يتزوجونها اذا كانت جيلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت دميمة وقال
نحوه الحسن وعكرمة وقال ابن عباس ايضا هي فى الازواج فى الرجل يمسك
المرأة ويسمى عشرتها حتى تفتدي منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتادة وهو

اقوى لافوال ودليل ذلك قوله لا ان ياتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما سنبنه الآن ان شاء الله وكذلك قوله عاشروهن الى ماخر الآية يظهر منه تقوية ما ذكرته واختلف في معنى الفاحشة هنا فقال الحسن بن ابى الحسن هو الزنا قال ابو قلابة اذا زنت امرأة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن قلت وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم فذاك بما استحلت من فرجها الحديث وقال ابن عباس وغيره الفاحشة في هذه الآية البغض والنشوز فاذا نشزت حل له ان ياخذ مالها قال * ع * وهو مذهب مالك وقال قوم الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولا وفعلًا وهذا في معنى النشوز قال * غ * والزنا اصعب على الزوج من النشوز ولاذى وكل ذلك فاحشة تحل اخذ المال * وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر يعم الازواج والاولياء ولكن المتلبس في الاغلب بهذا الامر الازواج والعشرة المخالطة والممازجة * وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير في المرأة الولد وقال نحوه ابن عباس قال * ع * ومن فصاحة القروان العموم الذى في لفظة شيء لانه يطرد هذا النظر في كل ما يكره المومما يجعل الصبر عليه ويحسن اذ عاقبة الصبر الى خير اذا اريد به وجه الله * وقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذى سببه المرأة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق الذى سببه الزوج والمنع من اخذ مالها مع ذلك وقال بعض الناس يوخذ من الآية جواز المغالاة بالمهور وقال قوم لا تعطى الآية ذلك لان التمثيل انما جاء على جهة المبالغة والبهتان

مصدر في موضع الحال ومعناه مبهتائم وظ تعالى عباده وافضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره لافضاء في هذه الآية الجماع قال ابن عباس ولكن الله كريم يَكْنَى واختلف في المراد بالميثاق الغليظ فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فامسك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ عقدة النكاح وقول الرجل نكحت وملكت النكاح ونحوه فهذه التي بها تستحل الفروج وقال عكرمة والربيع الميثاق الغليظ يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء لا ما قد سلف سبب الآية ما اعتادته بعض قبائل العرب ان يخلف ابن الرجل على امرأة ابيه وقد كان في العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زُرارة واختلف في مقتضى الفاظ الآية فقالت فرقة قوله ما نكح يريد النساء اي لا تنكحوا النساء اللواتي نكح اباؤكم وقوله لا ما قد سلف معناه ولكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنكم لمن كان واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف وقالت فرقة معناه لا تنكحوا كما نكح اباؤكم من عقودهم الفاسدة لا ما قد سلف منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم لاقامة عليه في الاسلام اذا كان مما يقرر لاسلام عليه وقيل لا ما قد سلف فهو معفو عنكم وقال ابن زيد معنى الآية النهي عن ان يطأ الرجل امرأة وطئها الاب لا ما سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم لان ذلك الزنا كان فاحشة والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها المقوت وساء سبيلا اي بشئ الطريق والمنهج لمن يسلكه اذ عاقبته الى عذاب الله قال * ص * ساء للمبالغة في الذم كبئس وسبيلا تفسيره والمخصوص بالذم

محذوف اي سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بيس الشراب اي ذلك الماء انتهى * وقوله سبحانه حرمت عليكم امهاتكم الآية حكم حرم الله به سبعة من النسب وستا من بين رضاع وصهر والحقت السنة المتواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها ومضى عليه الاجماع وروي عن ابن عباس انه قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلا هذه الآية وقال عمرو بن سالم مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات * وقوله تعالى وامهات نسائكم اي سواء دخل بالبنت او لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت لام هذا الذي عليه الجمهور * وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر الاغلب من هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة في الاكثر وهي محرمة وان لم تكن في الحجر ويقال جربكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب للانسان وما بين يديه منه ثم استعملت اللفظة في الحفظ والستر * وقوله اللاتي دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع وجمهور العلماء يقولون ان جميع انواع التلذذ بالام يحرم الابنة كما يحرمها الجماع والحلائل جمع حليلة لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة * وقوله تعالى الذين من اصلا بكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجاع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب * وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين واجعت الامة على منع جميعها بنكاح ولا خلاف في جواز جمعها بالملك ومذهب مالك ان له ان يطأ ايتها شاء والكف عن الاخرى موكل الى امانته فان اراد وطء الاخرى فيلزمه ان يحرم فرج الاولى بعثق او كتابة او غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه نهى ان يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها واجعت لامة على ذلك * وقوله تعالى لا ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله للاسلام فان الله تعالى يغفره ولاسلام يَجِبُهُ * وقوله تعالى والمحصنات عطا على المحرمات قيل والتحصن التمتع ومنه الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع واحصنت نفسها واحصنها غيرها والاحصان تستعمله العرب في اربعة اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل فتستعمله في الزواج لان ملك الزوج منعة وحفظ وتستعمله في الحرية لان الاماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا والحرمة بخلاف ذلك لا ترى الى قول هند وهل تزنى الحرمة وتستعمله في الاسلام لانه حافظ وتستعمله في العفة لانها اذا ارتبط بها انسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيث ما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض كما سيأتي بيانه في اماكنه ان شاء الله فقوله سبحانه في هذه الآية والمحصنات قال فيه ابن عباس وغيره هن ذوات الازواج محرمات لا ما ملكت اليمين بالسبي وروي عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء فقال نرى انه حرم في هذه الآية ذوات الازواج والعفاف من حرائر ومملوكات ولم يحل شيء من ذلك لا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عثم لفظ الاحصان ولفظ ملك اليمين وذلك راجع الى ان الله حرم الزنا قال عبدة السلماني وغيره قوله سبحانه كتاب الله عليكم اشارة الى ما ثبت من القرآن من قوله سبحانه مثني وثلاث ورباع وفي هذا بعد ولا ظهران قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت الجاهلية تفعله قال الفخر وكتاب الله عليكم مصدر من غير

لفظ الفعل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم خبرا
له فيكون المعنى الزموا كتاب الله انتهى وفي التهيد لابي عمر بن عبد البر
كتاب الله عليكم اي حكمه فيكم وقضاؤه عليكم انتهى * وقوله سبحانه واحل لكم
ما وراء ذلكم قال عطاء وغيره المعنى واحل لكم ما وراء من حرم قلت اي على ما
علم تفصيله من الشريعة قال * ع * وان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج
والشراء ومحصنين معناه متعفيين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي
غير زناة والسفاح الزنا * وقوله سبحانه فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن
قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة فقد
وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره ان الآية نزلت في
نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال * ع * وقد كانت المتعة في صدر
الاسلام ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما
تراضيتن به اي من حظ او تأخير بعد استقرار الفريضة ومن قال بان الآية المتقدمة في
المتعة قال لاشارة بهذه الى ان ما تراضيا عليه من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الاجر
جائز * وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية قال ابن عباس وغيره الطول
هنا السعة في المال وقاله مالك في المدونة فعلى هذا التاويل لا يصح للحر ان يتزوج
الامة الا باجتماع شرطين عدم السعة في المال وخوف العنت وهذا هو نص مالك في
المدونة قال مالك في المدونة وليست الحرية تحته بطول ان خشي العنت وقال في
كتاب محمد ما يقتضى ان الحرية بمثابة الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو
ظاهر القروان ونحوه عن ابن حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرية تحته لا يجوز معه
نكاح الامة وقاله الطبري وتقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفصل ووجد
واتسع وطولا بضمها في ضد القصر والمحصنات في هذا الموضع الحرائر والفتاة وان

كانت في اللغة واقعة على الشابة آية كانت فعرها في الاماء وفتى كذلك
والمومنات في هذا الموضع صفة مشترطة عند مالک وجمهور اصحابه فلا يجوز نكاح
امة كافرة عندهم قلت والعلّة في منع نكاح الامّة ما يؤول اليه الحال من استرقاق
الولد * وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله اعلم ببواطن
الامور ولكم طواهرها فاذا كانت الفتاة طاهرها لايمان فنكاحها صحيح وفي اللفظ
ايضا تنبيه على انه ربما كان ايمان امة افضل من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا
بمعنى الحرية والمقصد بهذا الكلام ان الناس سواء بنو الحرائر وبنو الاماء اكرمهم
عند الله انتقامهم وفي هذا توطئة لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الامّة
* وقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية اربابهن المالكين وءاتوهن
اجورهن اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة ومحضات الطاهران
بمعنى عفيفات قال * ص * محضات منصوب على الحال والطاهران العامل
وءاتوهن ويجوز ان يكون العامل فانكحوهن محضات اي غنائف انتهى
والمسافحات الزواني المتبذلات اللواتي هن سوق للزنا ومتخذات لالاخذان هن
المستترات اللواتي يصحبن واحدا واحدا ويزنين خفية وهذان كانا نوعين في زنا
الجاهلية قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فاذا احصن الآية اي تزوجن قال
الزهري وغيره فالمتزوجة محدودة بالقراءان والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث
وفي مسلم والبخاري انه قيل يا رسول الله الامّة اذا زنت ولم تحصن فواجب
عليها الحد والفاحشة هنا الزنا قال * ص * وجواب اذا فان اثنين وجوابه
انتهى والمحضات في هذه الآية الحرائر اذ هي الصفة المشروطة في الحد الكامل
والرجم لا يتنصف فلم يُرد في الآية باجماع والعنت في اللغة المشقة قال ابن
عباس وغيره والمقصد به هنا الزنا * وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعني عن نكاح

الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى الشرك وعلته ما يؤدي اليه نكاح
الاماء من استرقاق الولد ومهنتهن * وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم
الآية التفدير عند سيبويه يريد الله لان يبين لكم ويهديكم بمعنى يرشدكم
والسنن الطرق ووجوه الامور وانحائها والذين من قبلنا هم المؤمنون من كل شريعة
* وقوله سبحانه والله يريد ان يتوب عليكم الآية مقصد هذه الآية الاخبار عن ارادة
الذين يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله تعالى توطئة مطهرة لفساد ارادة
متبعي الشهوات واختلف المتأولون في تعيين متبعي الشهوات فقال مجاهد هم
الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم
ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد ذلك على
العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة ورجحه الطبري * وقوله تعالى يريد الله ان
يخفف عنكم الآية اي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم باباحة
الاماء قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الآية ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية
مخرج التفصل لانها تتناول كل ما خففه الله سبحانه عن عباده وجعله الدين
يسرا ويقع الاخبار عن ضعف الانسان عاما حسبا هو في نفسه ضعيف يستميله
هواه في الاغلب * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة الآية الاستثناء منقطع المعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها واخرج
البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ اموال الناس يريد اداها
ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله انتهى * وقوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم ان الله كان بكم رحيفا اجمع المتأولون على ان المقصود بهذه الآية النهي
عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه
للقتل او بان يحملها على غرر رُبما مات منه فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج

عمرو بن العاصي بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه * وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الآية اختلف في المشار اليه بذلك فقال طاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهى عنه من اول السورة وقال الطبري ذلك عائد على ما نهى عنه من اخر وعيد وذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان كل ما نهى عنه قبله الى اول السورة قرن به وعيد قال ابن العربي في احكامه والقول الاول اصح وما عداه محتمل انتهى والعدوان تجاوز الحد قال * ص * عدوانا وظلما مصدران في موضع الحال اي متعددين وظالمين ابو البقاء او مفعول من اجله انتهى واختلف العلماء في الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله عنه فهو كبير وعلى هذا القول ائمة الكلام القاضى وابو المعالي وغيرهما قالوا وانما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها والا فهي في نفسها كبيرة من حيث المعصية بالجميع واحد واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة من الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر تكفر الصغائر قطعا واما الاصوليون فقالوا محتمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء لا على القطع ومحتمل الكبائر عند الاصوليين في هذه الآية اجناس الكفر والآية التي قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكريما يقتضى كرم الفضيلة ونفي العيوب كما تقول ثوب كريم وهذه اية رجاء وروى ابو حاتم البستي في المسند الصحيح له عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس

على المنبر ثم قال والذي نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع لا فتحت له ثمانية ابواب من الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية انتهى من التذكرة للقرطبي ونحوه ما رواه مسلم عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال القرطبي وعلى هذا جماعة اهل التاويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصدق وقوله الحق سبحانه واما الكبائر فلا تكفرها الا التوبة منها انتهى قلت وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات انتهى * وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية سبب الآية ان النساء قلن ليتنا استويننا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال الرجال ليت لنا في الآخرة حظا زائدا على النساء كما لنا عليهن في الدنيا فنزلت الآية قال * ع * لان في تمنيههم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا الى الدفع في صدر حكم الله تعالى فهذا نهي عن كل تمن بخلاف حكم شرعي واما التمنى في الاعمال الصالحة فذلك هو الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت ان اقتتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتتل ثم احيا الحديث وفي غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من

فضله قال القشيري سمعت الشيخ ابا علي يقول من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلت او كثرت لا من الله تعالى مثل موسى اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الى رغي ف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير انتهى من التحبير * وقوله تعالى للرجال نصيب الآية قالت فرقة معناه من الاجر والحسنات فكانه قيل للناس لا تتمنوا في امر مخالف لما حكم الله به لا اختيار ترونه انتم فان الله تعالى قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا قول حسن وفي تعليقه سبحانه النصيب بالاكتساب حص على العمل وتنبيه على كسب الخير * وقوله سبحانه وسألوا الله من فضله قال ابن جبير وغيره هذا في فضل العبادات والدين لا في فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك على العموم وهو الذي يقتضيه اللفظ فقوله وسألوا الله يقتضى مفعولا ثانيا تقديره وسألوا الله الجنة او كثيرا من فضله * وقوله تعالى ولكل جعلنا موالى الآية اي ولكل احد قال ابن عباس وغيره الموالى هنا العصبية والورثة والمعنى ولكل احد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والاقربون * وقوله تعالى والذين رفع بالابتداء والخبر في قوله فاتوهم نصيبهم واختلف من المراد بالذين فقال الحسن وابن عباس وابن جبير وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت تتوارث بالحلف ثم نسخت بشايات الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال ابن عباس ايضا هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بينهم كانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا يَتَّبِعُونَ قال * ع * ولفظة المعاهدة والايمان ترجح ان المراد الاحلاف * وقوله الرجال قوامون ببناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه فقيام الرجال على النساء هو على هذا

الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضى ان للرجال عليهن استيلاء
قال ابن عباس الرجال امرأ على النساء قال ابن العربي فى احكامه وللرجال
عليهن درجة لفصل القوامية فعليه ان يبذل المهر والنفقة وحسن العشرة
ويجبها ويأمرها بطاعة الله تعالى ويُنهي اليها شعائر الاسلام من صلاة
وصيام وما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والاحسان الى اهله
والالتزام لامره فى العجبة وغيرها لا باذنه وقبول قوله فى الطاعات انتهى
وما مصدرية فى الموضعين والصلاح فى قوله فالصالحات هو الصلاح فى
الدين وقانتات معناه مطيعات لازواجهن اوله فى ازواجهن حافظات للغيب
معناه لكل ما غاب عن علم زوجها مما استُرِعِيَتْهُ وروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان
تكون بمعنى الذى ويكون العائد فى حفظ ضمير نصب اى بالذى حفظه الله
ويكون المعنى اما حفظ الله ورعايته التى لا يتم امر دونها واما اوامره ونواهي
للنساء فكانها حفظه بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وبقدرة * وقوله تعالى
واللاتى يخافون نشوزهن الآية النشوز ان تتعوج المرأة ويرتفع خلقها
وتستعلى على زوجها واهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها
ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مضاجعتهم وقال ابن جبير هي هجرة الكلام
اى لا تكلموهن واعرضوا عنهم فيقدر حذف تقديره واهجروهن فى سبب المضاجع
حتى يراجعنها * م * قوله فى المضاجع ذكر ابو البقاء فيه وجهين الاول
ان فى على بابها من الظرفية اى اهجروهن فى مواضع الاضطجاع اى اتركوا

مصاجعتهم دون ترك مكالتهم الثانى انها بمعنى السبب اي اهجروهم بسبب المضاجع كما تقول فى هذه الجناية عقوبة انتهى وكونها للظرفية اظهر والله اعلم والضرب فى هذه الآيتة هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء اذا عصيكنم فى معروف ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالشراك ونحوه قال ابن العربي فى احكامه قوله عز وجل واضربوهن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان لكم على نساكنم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن لا ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفى هذا دليل على ان الناشز لا نفقة لها ولا كسوة وان الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب وبين انه لا يكون مبرحا اي لا يظهر له اثر على البدن انتهى قال * ع * وهذه العظة والهجر والضرب مراتب ان وقعت الطاعة عند احداها لم يتعد الى سائرهما وتبغوا معناه تطلبوا وسبيلا اي الى الاذى وهو التعنيت والتعسف بقول او فعل وهذا نهى عن ظلمهن وحسن هنا الانصاف بالعلو والكبر اي قدره سبحانه فوق كل قدر ويده بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلى احد بالظلم على امرأته فالله تعالى بالمرصاد وينظر الى هذا حديث ابى مسعود قال كنت اضرب غلامى فسمعت قائلا يقول اعلم ابا مسعود اعلم ابا مسعود فصرفت وجهى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد الحديث * وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا الآيتة تختلف من المامور بالبعثة فقليل الحكام وقيل المخاطب الزوجان

واليهما تقديم الحكمين وهذا في مذهب مالك ولاول لربيعه وغيره ولا يبعث الحكمان الا مع شدة الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء ان الحكمين ينظران في كل شيء ويحملان على الظالم ويمضيان ما رأياه من بقاء او فراق وهو قول علي بن ابي طالب في المدونة وغيرها * وقوله ان يريد اصلاحا قال مجاهد وغيره المراد الحكمان اي اذا نصحا وقصدا الخير بورك في وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان ولاول اظهر وكذلك الضمير في بينهما يحتمل الامرين ولاظهر انه للزوجين والاتصاف بعليم خبير يناسب ما ذكر من ارادة لاصلاح * وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا العبادة التذلل بالطاعة واحسانا مصدر والعامل فيه فعل تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا وبذى القربى هو القريب النسب من قبل الاب والام قال ابن عباس وغيره والجار ذو القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الجار الاجنبي وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة قال ابن عباس وغيره الصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن ابي ليلى وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيصة فقطع قضيبين احدهما معرج وخرج فاعطى صاحبه القويم وحبس هو المعرج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له يا فلان ان كل صاحب يصحب الآخر فانه مسئول عن صحابته ولو ساعة من نهار قلت واسند الحافظ محمد بن طاهر المقدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند

الله خيرهم لصاحبه وخير الحيران عند الله خيرهم لجاره انتهى من صفوة
التصوف وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه اخرجه البخاري واخرجه
ايضا من طريق عائشة رضي الله عنها انتهى وابن السبيل المسافر وسمي ابنه
للزومه له وما ملكت ايمانكم هم العبيد لارقاء قال ابن العربي في احكامه وقد امر
الله سبحانه بالرفق بهم والاحسان اليهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اخوانكم ملككم الله رقابهم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم انتهى ونفى سبحانه
محبتة عن من صفته الخيلاء والفخر وذلك ضرب من التوعد يقال خال الرجل يخول
خولا اذا تكبر واعجب بنفسه وخص سبحانه هاتين الصفتين هنا اذ مقتضاهما العجب
والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله بالاحسان
اليهم * وقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الآية قالت فرقة
الذين في موضع نصب بدل من من في قوله من كان مختالا ومعناه على هذا يبخلون
باموالهم ويامرون الناس يعني اخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل بالاموال ان
تنفق في شيء من وجوه الاحسان الى من ذكر ويكتمون ما اناهم الله من فضله
يعنى من الرزق والمال فالآية اذن في المومنين اي واما الكافرون فاعد لهم عذابا
مهينا وروي ان الآية نزلت في احبار اليهود بالمدينة اذ كتموا امر النبي صلى
الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم واتدنا معناه يسرنا واحضرنا
والعتيد الحاضر والمهين الذي يقتصر به خزي وذل وهو انكى واشد على المعبذب
* وقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رياء الناس الآية الذين في موضع رفع على
القطع والخبر محذوف وتقديره بعد اليوم الآخر معذبون والصحيح الذي عليه

الجمهور ان هذه الآية في المنافقين والقريين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهي الملازمة والاصطحاب والانسان كله يقارنه الشيطان لكن الموفق عاص له * وقوله تعالى وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية التقدير واي شيء عليهم لو آمنوا وفي هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضى حيلة واشفاقا وكان الله بهم عليما اخبار يتضمن وعيدا وينبه على سوء تواطئهم اي لا ينفعهم كتم مع علم الله بهم * وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية مثقال مفعال من الثقل والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن عباس انه قال الذرة راس النملة وقرأ ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء لان تفضل حسنتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا جميعا * وقوله سبحانه وان تك حسنة التقدير وان تك زنة الذرة وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم وفيه فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق والريح والطير وكجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذكر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم

يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مشقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا
وكان ابوسعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقربوا ان شئتم
ان الله لا يظلم مشقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عز وجل شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ
اِلا اَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
الحديث انتهى ولفظ البخاري فما انتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم
من المؤمنين يوشك للجبار اذا رآوا انهم قد نجوا في اخوانهم الحديث وقرأ نافع
وابن كثير حسنة بالرفع على تمام كان التقدير وان توجد حسنة ويضاعفها جواب
الشرط وقرأ ابن كثير يضعفها وهو بناء تكثير يقتضى اكثر من مرتين الى اقصى ما
تريد من العدد قال بعض المتأولين هذه الآية خص بها المهاجرون لان الله
تعالى اعلم في كتابه ان الحسنه لكل مومن مضاعفة عشر مرار واعلم في هذه الآية
انها مضاعفة مرارا كثيرة حسبما روى ابو هريرة من انها تضاعف الف مرة
وروى غيره الف الف مرة وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع المؤمنين قال
* ع * والآية تعم المؤمنين والكافرين فاما المؤمنون فيجازون في الآخرة على
مناقب الذر فما زاد واما الكافرون فما يفعلونه من خير فانه تقع عليه المكافأة بنعم
الدنيا ويأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم قلت وقد ذكرنا في هذا المختصر من
احاديث الرجا واحاديث الشفاعة جملة صالحة لا توجد مجمعة في غيره على
نحو ما هي فيه حسب الله ان ينفع به الناطق فيه ومن اعظم احاديث الرجا ما
ذكره عياض في الشفاة قال ومن حديث انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا شفعون يوم القيامة الا كشمس ما في الارض من شجر وجراه وهذا الحديث

اخرجه النساءى ولفظه انى لاشفع يوم القيامة لا كثر مما على الارض من شجر
وجر الحديث انتهى من الكوكب الدرى ومن لدنه معناه من عنده والاجر
العظيم الجنة قاله ابن مسعود وغيره واذا من الله سبحانه بتفضله على عبده
بلغ به الغاية اللهم من علينا بخير الدارين بفضلك * وقوله جلت قدرته فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية لما تقدم فى
التى قبلها الاعلام بتحقيق الاحكام يوم القيامة حسن بعد ذلك التنبيه على
الحالة التى يحضر ذلك فيها ويحاج فيها بالشهداء على الامم ومعنى الآية ان
الله سبحانه ياتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة
فى هذه الآية جميع من بعث اليه من آمن منهم ومن كفر وكذلك قال المتأولون
ان الاشارة بهؤلاء الى كفار قريش وغيرهم روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا قرأ هذه الآية فاصت عيناه وكذلك ذرفت عيناه عليه السلام
حين قرأها عليه ابن مسعود حسبما هو مذكور فى الحديث الصحيح وفى صحيح
البخارى عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى
احد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالموتع للاحياء والاموات ثم طاع المنبر
فقال انى بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لا نظر
اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكنى اخشى عليكم
الدنيا ان تنافسوها قال فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انتهى * وقوله تعالى لو تسوى قالت فرقة معناه تنشق الارض فيحصلون
فيها ثم تتسوى هي فى نفسها عليهم وبهم وقالت فرقة معناه لو تسوى هي معهم
فى ان يكونوا ترابا كالبهائم * وقوله تعالى ولا يكتُمون الله حديثا معناه عند طائفة
ان الكفار لما يرونه من الهول وشدة المخاوف يودون لو تسوى بهم الارض فلا

ينالهم ذلك الخوف ثم استأنف الكلام فاخبر انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق جوارحهم بذلك كله حين يقول بعضهم والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه كذبتهم ثم تنطق جوارحهم فلا تكتم حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام كله متصل وودهم ان لا يكتنموا الله حديثا انما هو ندم على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والرسول في هذه الآية الجنس شرف بالذكر وهو مفرد دل على الجمع * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية نزلت قبل تحريم الخمر وجمهور المفسرين على ان المراد سكر الخمر الا الضحائى فانه قال المراد سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة معا قال ابن العربي في الاحكام وروي في سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه انه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر يعنى وذلك قبل تحريمها قال فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فانزل الله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية خرجه الترمذي وصححه انتهى * وقوله ولا جنبا لا عابرى سبيل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره عابر السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطر في المسجد وعابر سبيل هو من العبور اي الخطور والجواز والمريض المذكور في الآية هو الحضري واصل الغائط ما انخفض من الارض ثم كثر استعماله في قضاء الحاجة واللمس في اللغة لفظ يقع للمس الذي هو الجماع وللمس الذي هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف في موقعها هنا فمالك رجع الله يقول اللفظة هنا تقتضى الوجهين فالملاص بالجماع

يتيم والملامس باليد يتيم ومعنى قوله سبحانه فتتيموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الارض قاله الخليل وغيره واختلف الفقهاء فيه من اجل تقييد الآية اياه بالطيب فقالت طائفة يتيم بوجه الارض ترابا كان او رملا او حجارة او معدنا او سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا هو مذهب مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفة لا تجيز التيم بغيره فمكان الاجماع ان يتيم في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب وترتيب القروان الوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور وفي المدونة ان التيم ضربتان وجمهور العلماء انه ينتهي في مسح اليدين الى المرافق * وقوله سبحانه الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية الم تر من رؤية القلب وهي علم بالشئ والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ يتناول معهم النصارى وقال ابن عباس نزلت في رفاعه بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والانجيل ويشترون عبارة عن ايثارهم الكفر وتركهم لايمان وقالت فرقة اراد الذين كانوا يعطون اموالهم للاخبار على اقامة شرعهم فهو شراء حقيقة ويريدون ان تصلوا السبيل معناه ان تكفروا * وقوله سبحانه والله اعلم باعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا اي اكتفوا بالله وليا * وقوله سبحانه من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعة على الذين لاولى وقالت فرقة من متعلقة بنصيرا والمعنى ينصرم من الذين هادوا فعلى هذين التاويلين لا يوقف في قوله نصيرا وقالت فرقة هي ابتداء كلام وفيه اضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب ابى علي وعلى هذا التاويل يوقف في نصيرا وقول سيبويه اصوب لان اضمار الموصول ثقيل واضمار الموصوف اسهل وتحريفهم للكلام على وجهين اما بتغيير اللفظ وقد

فعلوا ذلك في الاقل واما بتغيير التاويل وقد فعلوا ذلك في الاكثر واليه ذهب
الطبري وهذا كله في التوراة على قول الجمهور وقالت طائفة هو كلم القرآن
وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا في التاويل
* وقوله تعالى عنهم سمعنا وسمعنا عبارة عن عتوهم في كفرهم وطفغانهم فيه وغير سمع
يتخرج فيه معنيان احدهما غير مامور وغير صاغر كانهم قالوا غير ان تسمع مامورا
بذلك والآخر على جهة الدعاء اي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو
ذلك فكانت اليهود اذا خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بغير سمع ارادت
في الباطن الدعاء عليه وأرت ظاهرا انها تريد تعظيمه قال ابن عباس وغيره نحوه
وكذلك كانوا يريدون منه في انفسهم معنى الرعونة وحكى مكي معنى رعاية
الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى لي اللسان وقال الحسن ومجاهد
غير مسمع اي غير مقبول منك وليا اصله لؤيا وطعنا في الدين اي توهينا له
واظهارا للاستخفاف به قال * ع * وهذا اللي باللسان الى خلاف ما في
القلب موجود حتى الآن في بنى اسرائيل ويحفظ منه في عصرنا امثلة لا انه لا
يليق ذكرها بهذا الكتاب * وقوله تعالى ولو انهم الآية المعنى ولو انهم ءامنوا وسمعوا
واطاعوا واقوم معناه اعدل واصوب وقليل نعت اما لايمان واما لنفرا و قوم والمعنى
مختلف * وقوله تعالى يا ايها الذين اتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
الآية هذا خطاب لليهود والنصارى ولما معكم معناه من شرع وملته لا لما معهم من
مبدل ومغيّر والطامس الدائر المغير للاعلام قالت طائفة طمس الوجوه هنا هو خلو
الحواس منها وزوال الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه ان تزال العينان
خاصة منها وترد العينان في القفا فيكون ذلك ردا على الادبار ويمشى التهقرى
وقال مالك رحمه الله كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر برجل من الليل وهو

يقرأ هذه الآية يا ايها الذين اوتوا الكتاب . امنوا الآية فوضع كفيه على وجهه
ورجع القهقري الى بيته فاسلم مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى
يطمس وجهي واصحاب السبت هم الذين اعتدوا في السبت في الصيد
حسبما تقدم قال قتادة وغيره وامر الله في هذه الآية واحد الامور دال على
جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعة هنا او ما اقتضاه
كل موضع مما يختص به * وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء الآية هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات
الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها ان يقال الناس اربعة اصناف كافرين على
كفره فهذا مخلد في النار باجاع ومومن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك
فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى باجاع وتائب مات
على توبته فهو عند اهل السنة وجهور فقهاء الامة لا حق بالمومن المحسن
الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة ومذنب مات قبل توبته فهذا هو
موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا
آيات الوعيد كلها في الكفار وآيات الوعد عامة في المومنين تقيهم وعاصيهم
وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد وقالت الخوارج اذا
كان صاحب كبيرة او صغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له لا بهم يرون كل
الذنوب كبائر وجعلوا آيات الوعد كلها في المومن الذي لم يعص قط والمومن
التائب وقال اهل السنة هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في
موضع النزاع وذلك ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فصل مجمع
عليه وقوله ويغفر ما دون ذلك فصل ناطع للمعتزلة راد على قولهم ردا لا محيد
لهم عند الورود فثبت في هذا الكلام اصح قول المرجئة فجاء قوله لمن

يشاء ردا عليهم مبينا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من انه مغفور لكل مومن ولما حتم سبحانه على انه لا يغفر الشرك ذكر قبح موقعه وقدره في الذنوب والفريية اشد مراتب الكذب قبحا وهو لا اختلاق * وقوله تعالى الم ترالى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء الآية لا خلاف بين المتأولين ان المراد بالآية اليهود وانما اختلفوا في المعنى الذى به زكوا انفسهم فقال الحسن وقتادة ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا الى غير ذلك من غرورهم قال * ع * فتقتضى هذه الآية الغص من المزكى لنفسه بلسانه والاعلام بان الزاكي المزكى من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل قال ابن عباس وغيره الفتيل الخيط الذى فى شق نواة التمرة وذلك راجع الى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيرة وان الله لا يظلمه ولا شيء دونه فى الصغر فكيف بما فوقه * وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب الآية يبين ان تزكيتهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى ان التزكية كانت بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ان الافتراء اعظم فى هذه المقالة وكيف يصح ان تكون فى موضع رفع بالابتداء والخبر فى قوله يفترون وكفى به اثما مبينا خبر فى ضمنه تعجب وتعجيب من امرهم قال * ص * وكفى به عائد على الافتراء وقيل على الكذب انتهى * وقوله تعالى الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية اجمع المتأولون ان المراد بها طائفة من اليهود والقصص يبين ذلك ومجموع ما ذكره المفسرون فى تفسير الجبت والطاغوت يقتضى انه كل ما عبد واطيع من دون الله تعالى * وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا الآية سببها ان قريشا قالت لكعب بن الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك انا قوم ننحر الكوماء

ونقرى الضيف ونصل الرحم ونسقى الحجيح ونعبد الهتنا التى وجدنا عليها
ءاباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم فمن اهدى نحن او هو فقال كعب انتم اهدى
منه واقوم ديننا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس فالضمير فى يقولون عائد على
كعب وعلى الجماعة التى معه من اليهود المحرضين على قتال النبي صلى الله
عليه وسلم والذين كفروا فى هذه الآية هم كفار قريش والاشارة بهؤلاء اليهم
والذين ءامنوا هم النبي صلى الله عليه وسلم وامته وقالت فرقة بل المراد حيي
ابن اخطب واتباعه وهم المقصود من اول الآيات قال * ص * للذين اللام
للتبليغ متعلقة يقولون انتهى * وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الآية
عرف ام ان تعطف بعد استفهام متقدم كقولك اقام زيد ام عمرو فاذا وردت
ولم يتقدمها استفهام كما هي هنا فمذهب سيبيويه انها مضمنة معنى الاضراب
عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام فهي بمعنى
بل مع همزة استفهام كقول العرب انها لا بل ام شاء التقدير عند سيبيويه انها
لا بل بل اهي شاء وكذلك هذا الموضع بل ألهم نصيب من الملك فاذا عرفت
هذا فالمعنى على الأرجح الذى هو مذهب سيبيويه والحقاق ان هذا استفهام
على معنى الانكار اي ألهم ملك فاذن لو كان لاخلوا به والنكير هي النكتة التى
فى ظهر النواة من التمر هذا قول الجمهور وهذا كناية عن الغاية فى الحقايرة والقللة
وتكتب اذا بالنون وبالألف فالنون هو الاصل كعن ومن وجاز كتبها بالألف
لصحة الوقوف عليها فاشبهت نون التنوين ولا يصح الوقوف على عن ومن
* وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله الآية ام هذه على بابها من
العطف بعد الاستفهام وقال * ص * ام يحسدون ام ايضا منقطعة
تتقدر ببل والهمزة انتهى قلت والظاهر ما قاله * ع * واختلف فى

المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوة فقط والمعنى فلم يخصصه بالحسد ولا يحسدون ما ل ابراهيم في جميع ما اتيناهم من هذا وغيره من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسرائيل في ان كان النبي صلى الله عليه وسلم منها والفضل على هذا التاويل هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر وقد ذم الله قوما على حسدهم فقال ام يحسدون الناس على ما اناهم الله من فضله ثم حدث بسنده عن عمرو ابن ميمون قال لما رفع الله موسى نجيا رأى رجلا متعلقا بالعرش فقال يا رب من هذا فقال هذا عبد من عبادى صالح ان شئت اخبرتك بعمله فقال يا رب اخبرني فقال كان لا يحسد الناس على ما اناهم الله من فضله ثم حدث ابو عمر بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وذكر عبد الرزاق عن معمر عن اسماعيل بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلم منهن احد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد * وقوله تعالى فمنهم من آمن به اختلف في الضمير من به فقال الجمهور هو عائذ على القرآن الذى في قوله تعالى امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فاعلم الله سبحانه ان منهم من آمن كما امر فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع وصد قوم ثبت الوعيد عليهم في الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائذ على ابراهيم عليه السلام وقيل هو عائذ على الفضل الذى اناه الله النبي عليه السلام والعرب على ما تقدم * وقوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا آية لما تقدم في الآية وصف المردة من بنى اسرائيل وذكر افعالهم وذنوبهم

جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من الكفرة واختلف في معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبذل عليهم جلوداً اغيار اذ نفوسهم هي المعذبة والجلود لا تالم في ذاتها وقالت فرقة تبديل الجلود هو اعادة ذلك الجلد بعينه الذي كان في الدنيا وانما سماه تبديلاً لان اوصافه تتغير قال الحسن بن ابي الحسن تبذل عليهم في اليوم سبعين الف مرة عافانا الله من عذابه برحمته ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقب بوعد المؤمنين بالجنة على الايمان والاعمال الصالحة وظليلاً معناه عند بعضهم يقى الحر والبرد ويصح ان يريد انه ظل لا يستحيل ولا يتنقل وصح وصفه بظليل لا امتداده فقد قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة ما يقطعها ورأيت لبعضهم ما نصه وذكر الطبري في كتابه قال لما خلق الله عز وجل الجنة قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مقدار رحمتي فامتدت فهي تمتد ابد الآبدين فليس للجنة طرف كما انه ليس لرحمة الله طرف انتهى فهذا لا يُعلم الا من جهة السمع فهو مما اطلع عليه الطبري وهو امام حافظ محدث ثقة قاله الخطيب احمد بن علي بن ثابت * وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج وغيره الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبه فطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف السدانة الى السقاية فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسرها كان فيها من الاوثان واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعد تتناول الولاية فيما لديهم من الامانات في قسمة الاموال ورد الظلمات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يُحَكَّم في نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات امانات لله تعالى قال ابن العربي في احكامه هذه الآية في اداء الامانة والحكم بين الناس عامته في الولاية والخلق لان كل مسلم عالم بل كل مسلم حاكم ووال قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وهم الذين يعدلون في انفسهم واهليهم وما ولّوا وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في اهل بيته وهو مسئول عنهم والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عنه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فهذه الاحاديث الصحيحة تدل على ما قلناه انتهى ونعما اصله نعم ما سكنت الميم الاولى وادغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخصت بالكسر اتباعا للنون وما المردوفة على نعم انما هي مهيتة لاتصال الفعل بها ومع انها موطئة فهي بمعنى الذي * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الآية لما تُقَدِّم الى الولاية في الآية المتقدمة تُقَدِّم في هذه الى الرعية فامر بطاعته عز وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على قول الجمهور وهو قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا التاويل هو ضد النهي ومنه لفظة الامير وقال جابر وجماعة اولوا الامر اهل القروان والعلم قال عطاء طاعة الرسول هي اتباع سنته يعني بعد موته ولفظ ابن العربي في احكامه قال قوله تعالى واولى الامر منكم فيها قولان الاول قال ميمون بن مهران

هم اصحاب السرايا وروى في ذلك حديثا وهو اختيار البخاري وروي عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية والثاني هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك والطبري والصحيح عندي انهم الامراء والعلماء اما الامراء فلان الامر منهم والحكم اليهم واما العلماء فلان سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه تأمر الزوج على الزوجة لانه حاكم عليها انتهى * وقوله تعالى فان تنازعتم في شئ الآية معنى التنازع ان كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر في كتابه العزيز والرد الى الرسول هو سؤاله صلى الله عليه وسلم في حياته والنظر في سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد وغيره وهو الصحيح * وقوله سبحانه ان كنتم ترمنون بالله الآية فيد بعض وعيد وتاويفا معناه مثلا في قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتأولا منكم اذا انفردتم بتأولكم * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا في الامر الذي يضعف فيه التحقيق وغاية درجة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى رتب زعم ان تبقى معينا عهدة الخبر على المخبر قال عامر الشعبي نزلت الآية في منافق اسمد بشر خاصم رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين عليه انهم لا يرتشون وكان المنافق يدعو اليهودي الى اليهود عليه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان اتيا كاهنا كان بالمدينة فرصياه فنزلت هذه الآية فيهما وفي تصنيفهما فالذين يزعمون انهم امنوا بما انزل على محمد عليه السلام هم المنافقون والذين يزعمون انهم امنوا بما انزل من قبله هم اليهود وكل قد اُمر في كتابه بالكفر بالطاغوت والطاغوت

هنا الكاهن المذكور فهذا تانيب للصنفين وقال ابن عباس الطاغوت هنا هو كعب ابن الاشرف وهو الذي تراضيا به وقيل غير هذا وقوله رأيت هي رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرًا وتخابشا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن الصادرة عنه * وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم قالت فرقة هي في المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم فالمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت لا توفيق الحكم وتقريبه * وقوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اي فهو سبحانه مجازيهم فاعرض عنهم وعظمهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواظ * وقوله سبحانه وقل لهم في انفسهم قال * ص * اي قل لهم خاليا بهم لان النصيح اذا كان في السر كان النجس انفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولاً يبلغ منهم الزجر عن العود الى ما فعلوا انتهى واختلف في القول البليغ فقليل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون في نفوسهم والبلاغة مأخوذة من بلوغ المراد بالقول * وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله تنبيد على جلاله الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وطلبوا انفسهم اي بالمعصية والنفاق وعن العتبي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا وقد جئتكم مستعفيا من ذنوبي مستغفرا الى ربي ثم انشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاى وفيه الجود والكرم
قال ثم انصرف فحملتنى عيناى فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم
فقال لى يا عتبى الحق لاعرابى فبشرة ان الله تعالى قد غفرله انتهى من حلية
النووي وسنن الصالحين للبايجي وفيه مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى
ربى * وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية
قال الطبري قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم بما
انزل اليك ثم استأنف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنهي
واظهارا لقوته قال ابن عطاء الله فى التنوير وفى قوله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم دلالة على ان الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن
حكم الله ورسوله على نفسه قولا وفعلًا واخذًا وتركًا وحبا وبغضا فتبين لك من
هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام
لقهره سبحانه انتهى وشجر معناه اختلط والتف من اموره وهو من الشجر شبه
بالنفائى لانصاف والخرج الصيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا شكا * وقوله
تسليما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق فى التسليم لان العرب انما تردف الفعل
بالمصدر اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال
مجاهد وغيره المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت
وفيههم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق الآية وقالت طائفة نزلت فى
رجل خاصم الزبير بن العوام فى السقي بماء الحرّة كما هو مذكور فى البخاري
 وغيره وان الزبير قال فما احسب ان هذه الآية نزلت الا فى ذلك وكتبنا معناه
فرصنا ان اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا وقد تقدم نظيره فى البقرة

وسبب الآية على ما حكى ان اليهود قالوا لما لم يرض المذاق بحكم النبي صلى
الله عليه وسلم ما رأينا اسخف من هؤلاء يرمون بمحمد ثم لا يرضون بحكمه ونحن
قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت بن قيس
لركتب ذلك علينا لفعلاه فنزلت الآية معللة بحال اولئك المنافقين وانه ليركتب
ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعلوه الا قليل مومنون محققون كتابت قلت
وفي العتبية عن مالك عن ابي بكر رضي الله عنه مقالته ثابت بن قيس
قال ابن رشد ولا شك ان ابا بكر من القليل الذي استثنى الله تعالى في الآية
فلا احد احق بهذه الصفة منه انتهى قال * ص * الا قليل الجمهور
بالرفع على البدل من واو فعلوه عدد البصريين انتهى وانهم فعلوا ما يوعظون
به اي لو ان هؤلاء المنافقين انعطوا وانابوا لكان خيرا لهم وتشبيها معناه يقينا
وتصديقا ونحو هذا اي يشبههم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفصله
بالاجر ووصفه اياه بالعظيم مقتضى ما لا يحصىه بشر من النعم المقيم والصراط
المستقيم الايمان المردى الى الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه
* وقوله جلت عظمته ومن يطم الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
الآية لما ذكر الله سبحانه الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك
ثواب من يفعلوه وهذه الآية تفسر قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انها نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن
زيد الانصاري الذي اوى للاذان يا رسول الله اذا مت ومنتنا كنت في عليين
فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر خبره على ذلك فنزلت هذه الآية قال
ع * ومعنى انهم معتم في دار واحدة ومنعهم واحد وكل من فيها قد رزق
الرضى بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفطور وان كنا نحن قد علمنا من

الشريعة ان اهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله على من يشاء والصديق فعيل من الصدق وقيل من الصدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصديقون المتصدقون ولفظ الشهداء في هذه الآية يعم انواع الشهداء قال * ص * وحسن اولائك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولائك رفيقا وقد قدمنا في كلام ابن الحاج ما يدل على ان التعجب لازم لفعل المستعمل للمدح والذم على كل حال سواء استعملت استعمال نعم اولا انتهت * وقوله تعالى ذلك الفضل من الله لاشارة بذلك الى كون المطيعين مع المنعم عليهم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم الآية هذا خطاب للمخلصين من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامرهم ببجود الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الاسلام وخذوا حذرکم اي احزموا واستعدوا بانواع الاستعداد وانفروا معناه اخرجوا وثبات معناه جماعات متفرقات وهي السرايا والثبة حكى انها فوق العشرة جميعا معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره * وقوله تعالى وان منكم ايجاب والخطاب لجماعة المؤمنين والمراد بمن المنافقون وعبر عنهم بمنكم اذ هم في الظاهر في عداد المؤمنين واللام الداخلة على من لام التاكيد والداخلية على يُبْطِن لَم القسم عند الجمهور وتقديره وان منكم امن والله ليبطن ويبطن معناه يبطئ غيره اي يبطئه ويحمله على التخلف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة يعنى من قتال واستشهاد وانما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد وانما الشهادة في الحقيقة نعمة من الله سبحانه لحسن مآلها وشهيدا معناه مشاهدا * وقوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله اي ظفرتم وغنمتم ندم المنافق وقال يا ليتني كنت معهم فانز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد

كان عاهد ان يفعله ثم غدر في عهده * وقوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم وقال الزجاج قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة مؤخر وانما موضعه فان اصابكم مصيبة قال * ع * وهذا ضعيف لانه يفسد فصاحة الكلام قال * ص * وقوله فافوز بالنصب هو جواب التمني انتهى * وقوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية هذا امر من الله سبحانه للمؤمنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعون ثم وصف سبحانه ثواب المقاتلين ولاجر العظيم الجنة * وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الآية ما استفهام والمستضعفين عطف على اسم الله عز وجل اي وفي سبيل المستضعفين لاستنقاذهم ويعنى بالمستضعفين من كان بمكة تحت اذلال كفرة قريش وفيهم كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انج المستضعفين من المؤمنين والولدان عبارة عن الصبيان والقرية هنا مكة باجاء والآية تتناول المؤمنين والاسرى في حواضر الشرك الى يوم القيامة قال ابن العربي في احكامه قال علماؤنا رحمهم الله اوجب الله تعالى في هذه الآية القتال لاستنقاذ الاسرى من يد العدو وقد روى الائمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعنى لاسير قال مالك رحمه الله على الناس ان يفكوا الاسرى بجميع اموالهم وكذلك قالوا عليهم ان يواسوهم انتهى * وقوله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الآية هذه الآية تقتضى تقوية قلوب المؤمنين وتحريثهم وقرينة ذكر الشيطان بعد تدل على ان المراد بالطاغوت هنا الشيطان واعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان فيه تقوية لقلوب المؤمنين وتجريته لهم على مقارعة الكيد الضعيف فان العزم والحزم الذى يكون على حقائق الايمان يكسره ويهدده

* وقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقموا الصلوة الآية اختلف المتأولون فيمن المراد بقوله الذين قيل لهم فقال ابن عباس وغيره كان جماعة من المؤمنين قد انفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسيح لهم مقاتلة المشركين فامرهم عن الله تعالى بكف الايدي فلما كتب عليهم القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخور والكآخ عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد انما الآية حكاية عن حال اليهود انهم فعلوا ذلك مع نبيهم في وقته فمعنى الحكاية عنهم تنبيه فلعلم ونهي المؤمنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون واو تقدم شرحها في سورة البقرة في قوله تعالى او اشد قسوة لان الموضعين سواء وقولهم لم كنبت علينا القتال رد في صدر اوامر الله سبحانه وقلته استسلام له ولاجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا قال المفسرون قال * ع * وهذا يحسن اذا كانت الآية في اليهود او في المنافقين وأما اذا كانت في طائفة من الصحابة فانما طلبوا التأخر الى وقت ظهور الاسلام وكثرة عددهم وبحسن القول بانها في المنافقين اطراد ذكرهم فيما ياتى بعد من الآيات * وقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا اي الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم عليه قليل وباقي الآية بيّن وهذا اخبار منه سبحانه يتضمن تحقير الدنيا قلت ولما علم الله في الدنيا من الآفات حمى منها اوليائه ففى الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يظّل احدكم يحمى سقيم الماء قال ابو عيسى وفى الباب عن صهيب وام المنذر وهذا حديث حسن وفى الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه فقلنا

يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال مالي وما للدنيا ما انا في الدنيا لا
كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وفي الباب عن ابن عمرو بن عباس
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه في بروج
الاكثر والاصح الذي عليه الجمهور انه اراد بالبروج الحصون التي في الارض
المنية لانها غاية البشر في التحصن والمنعة فمثل الله لهم بها قال قتادة المعنى
في قصور محسنة وقاله ابن جريج والجمهور وبترج معناه ظهور منه تبرج المرأة
ومشيئة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة ومنه اشاد الرجل ذكر الرجل اذا
رفعه وقالت طائفة مشيدة معناه محسنة بالشيد وهو الجص وروى النسائي
عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر هادم اللذات
يعنى الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي وخرجه ابو نعيم الحافظ باسناده من
حديث مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن
الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن ابن
عمر انه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال
احسنهم خُلُقًا قال فاي المؤمنين اكيس قال اكثروهم للموت ذكرا واحسنهم لما
بعده استعدادا اولئك لا كياس واخرجه مالك ايضا انتهى من التذكرة
* وقوله تعالى وان تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين
قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على انهم المنافقون لان المؤمنين لا تليق بهم
هذه المقالة ولان اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت امر فتصيبهم
بسببه اسواء والمعنى ان تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنمة او غير ذلك
وأما ان ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك ولايمان بك وان

تصحبهم سيئة اي هزيمة او شدة جوع او غير ذلك قالوا هذه بسببك وقوله قل كل من عند الله اعلام من الله سبحانه ان الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم وبخهم سبحانه بالاستفهام عن علمهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق والفقہ في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في امور الدين ثم غلب عليه الاستعمال في علم المسائل الاحكامية * وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع واستيناف الاخبار من الله عز وجل بان الحسنة منه ومن فضله وبان السيئة من الانسان باذنايه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي مصحف ابن مسعود فمن نفسك وانا قضيتها عليك وقرأ بها ابن عباس وفي روايته وانا قدرتها عليك ويعضد هذا التاويل احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها ان ما يصيب ابن ادم من المصائب فانما هو عقوبة ذنوبه قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره انتهى * وفي قوله سبحانه وارسلناك للناس رسولا ثم تلاه بقوله وكفى بالله شهيدا توعد للكفار وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه * وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالمعنى ان الرسول عليه السلام انما يامر وينهى ببياننا وتبليغا عن الله وتولى معناه اعرض وحفيظا يحتمل معنيين اي لتحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه او لتحفظ مساوئهم وتحسبها عليهم وهذه الآية تقتضي لاعراض عن من تولى والتروك له وهي قبل نزول القتال وانما كانت تروضة ورفقا من الله

عز وجل حتى يستحكم امر الاسلام * وقوله تعالى ويقولون طاعة الآية نزلت في المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد امرنا طاعة فاذا خرجوا من عندك اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك وبيت معناه فعل ليلا وهو مأخوذ من بات او من البيت لانه ملتزم بالليل * وقوله تقول يحتمل ان يكون معناه تقول انت ويحتمل تقول هي لك والامر بالاعراض انما هو عند معاقبتهم ومجازاتهم واما استمرار عظمتهم ودعوتهم فلازم ثم امر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى ثقة بانجاز وعده في النصر والوكيل القائم بالامور المصلح لما يخاف من فسادها * وقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن الآية المعنى افلا يتدبر هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه وتلوح لهم ادلته قلت اعلم رحمت الله تعالى ان تدبر القرآن كفيلا لصاحبه بكل خير واما الهدمة والعجلة فتأثيرها في القلب ضعيف قال النووي رحمه الله وقد كسره جاعة من المتقدمين الحتم في يوم وليلة ويدل عليه ما روينا بالاسانيد الصحيحة في سنن ابي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث انتهى قال * ع * والتدبر هو النظر في اعقاب الامور وتاويلات الاشياء هذا كله يقتضيه قوله سبحانه افلا يتدبرون القرآن وهذا امر بالنظر والاستدلال ثم عرف تعالى بموقع الحجة اي لو كان من كلام البشر لدخله ما في البشر من التصور وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه اذ ذلك موجود في كلام البشر والقرآن منزلة عنه اذ هو كلام المحيط بكل شيء سبحانه قال * ع * فان عرضت لاحد شبهة وطن اختلاف في شيء من كتاب الله فالواجب ان ينهم نظره ويسأل من هو اعلم منه * وقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية

قال جمهور المفسرين ان الآية في المنافقين حسبا تقدم والمعنى ان المنافقين كانوا يتشوفون الى سماع ما يسيء النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طرأت لهم شبهة امن للمسلمين او فتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذا عاوا ذلك التحقير والتصغير واذا طرأت لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها واذا عاوا ذلك واذا عاوا به معناه افشوه وهو فعل يتعدى بحرف الجر وبنفسه احيانا وقالت فرقة الآية نزلت في المنافقين وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المؤمنين وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه جاء وقوم في المسجد يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء ثم قال فقلت يا رسول الله اطلقت نساءك فقال لا قال عمر فقامت على باب المسجد فقلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساء فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية قال وانا الذي استنبطته * وقوله تعالى ولوردوه الى الرسول الآية المعنى لو امسكوا عن الخوض واستقصوا الامر من قبل الرسول واولى الامر بهم الامراء والعلماء لعلهم طلابد من اولى الامر والبحثة عند وهم مستنبطوه كما يستنبط الماء وهو استخراج من الارض * وقوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته الآية خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من التأولين وقوله لا قليلا هو مستثنى في قول جماعة من قوله لا تبعنم الشيطان لا قليلا وقال ابن عباس وابن زيد ذلك مستثنى من قوله اذا عاوا به لا قليلا ورجحه الطبري وقال قتادة هو مستثنى من قوله يستنبطونه لا قليلا * ت * قال الداودي قال ابو عبيدة وانما كره العلماء ان يجعلوا الاستثناء من قوله لا تبعنم الشيطان لا قليلا لانه لا وجد له فانه لو لا فضل الله ورحمته لا تبعوا الشيطان كلهم انتهى وهو حسن واما قوله لا وجه له ففيه نظر فقد وجهه العلماء بما لا نطيل بذكره * وقوله تعالى فقاتل

في سبيل الله الآية هذا امر في ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لكن
لم نجد قط في خبر ان القتال فرض على النبي صلى الله عليه وسلم دون الامّة
مدة ما والمعنى والله اعلم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اللفظ وهو
مثال ما يقال لكل واحد في خاصّة نفسه اي انت يا محمد وكل واحد من امتك
القول له فقاتل في سبيل الله لا تكلف لا نفسك ولا هذا ينبغي لكل مومن ان
يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم والله
لا قاتلنكم حتى تنفرد سالفتي وقول ابى بكر رضي الله عنه وقت الردة ولو
خالفنني يعني لجاهدتها بشمالى وعسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة
وغيره هي واجبة بفضل الله ووعدّه الجميل قلت اي واقع ما وعد به سبحانه
والتنكيل لاخذ بانواع العذاب * وقوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة
الآية قال مجاهد وغيره هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع
لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل والكفل التعيب ويستعمل في الخير
وفي الشر وفي كتاب الله تعالى يوثكم كفالين من رحمة وروى ابو داود عن ابى
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاحد شفاعة فاهدى له
هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا انتهى ومقيتا معناه قديرا
ومنه قول الزبير بن عبد المطلب

وذى صغن كفت النفس عند * وكنت على اساتم مقيتا
اي قديرا وقيل مقيتا معناه شهيدا وقيل حفيظا وذهب مقاتل الى انه الذى
يقتر كل حيوان قال الداودي قال الكلبي المقيت هو المقدّر بلغة قريش انتهى
* وقوله سبحانه واذا حييتم بتحية الآية قالت فرقة معنى الآية تخير
الراد فاذا قال البادئ السلام عليك فالمراد ان يقول وعليك السلام فقط وهذا هو

الرد وله ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وهذا هو التحية باحسن وروي عن ابن عمر وغيره انتهاء السلام الى البركة وقالت فرقة المعنى اذا حييتم بتحية فان نقص المسلم من النهاية فحيوا باحسن منها وان انتهى فردوها كذلك قال عطاء والآية في المؤمنين خاصة ومن سلم من غيرهم فيقال له عليك كما في الحديث وفي ابي داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بالله من بدأ بالسلام انتهى واكثر اهل العلم على ان لا ابتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد من متحابين في الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر وروينا فيه عن انس ايضا قال ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وروينا فيه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقوا فتصافحا وتكاشروا بود ونصيحة تنائرت خطاياهما بينهما وفي رواية اذا التقى المسلمين فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما انتهى وحسبنا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب * وقوله سبحانه الله لا اله الا هو ليجمعنكم الآية لها تقدم لانذار والتحذير الذي تضمنه قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه الا اعلام بصفة الربوبية وحال الوجدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب اعلاما بقسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر * وقوله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا المعنى لا احد اصدق من الله تعالى * وقوله تعالى فما لكم في

المنافقين فمئتين الآية واختلف في هؤلاء المنافقين فقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة اظهروا لايمان لا صحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كتب بعثوا بها الى المدينة ثم خرجوا مسافرين الى الشام واعطتهم قريش بضاعات وقالوا لهم انتم لا تخافون اصحاب محمد لانكم تحذعونهم باظهار لايمان فاتصل خبرهم بالمدينة فاختلف المومنون فيهم فقالت فرقة نخرج اليهم فانهم منافقون وقالت فرقة بل هم مومنون لا سبيل لنا اليهم فنزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال * ع * ويعضده ما في اخر الآية من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بن ثابت نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين الذين رجعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو في صحيح البخاري مسندا قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي انتهى قال * ع * وعلى هذا فقوله سبحانه حتى يهاجروا المراد هجر ما نهى الله عنه كما قال عليه السلام والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وفئتين معناه فرقتين واركسهم معناه ارجعهم في كفرهم وضلالهم والركس الرجيع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الروثة انها ركس وحكى النضر بن شميل والكساي ركس واركس بمعنى واحد اي ارجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم او اضلهم فانما هو بالمعنى وباقي الآية بين قال * ص * اركسهم اي ردهم في الكفر وقال ابن العربي في احكامه اخبر الله تعالى انه رد المنافقين الى الكفر وهو الاركاس وهو عبارة عن الرجوع الى الحالة المكروهة كما قال في الروثة انها ركس اي رجعت الى حالة مكروهة فنهى الله سبحانه الصحابة ان يتعلقوا فيهم بظاهر لايمان اذ كان باطنهم الكفر وامرهم بقتلهم حيث وجدوهم انتهى * وقوله تعالى لا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال * ص * لا الذين يصلون استثناء متصل من

مفعول فخذوهم واقتلوهم انتهى قال * ع * هذه الآية من آيات المواعدة في اول الاسلام ثم نسخت بما في سورة براءة فالآية تقتضى ان من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الى هؤلاء اهل العهد فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من المواعدة فلا سبيل عليه * وقوله تعالى او جاءكم عطف على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين مختلف وهذا ايضا حكم قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل القتال وجاء الى دار الاسلام مسالما كاره لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه وهذه نسخت ايضا بما في براءة ومعنى حصرت ضاقت وخرجت ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم وحصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمشاركة عليكم فان اعتزلوكم اي اذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا كله والذي في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هاهنا الصلح * وقوله تعالى ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية لها وصف الله سبحانه المحققين في المشاركة والقاء السلم به على طائفة مخادعة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهلهم يقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم ويقولون ايضا للمسلمين نحن معكم وعلى دينكم خشة منهم وخديعة وقوله الى الفتننة معناه الى الاختبار حكى انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربى الخنفساء ربى العود ربى العقرب ونحوه فيقولها ومعنى اركسوا اي رجعوا رجع ضلالة اي اهلكوا في الاختبار بما واقعه من الكفر وهذه الآية حص على قتل هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم وثقتهموهم ماخوذ من الثقال اي

ظفروهم بهم مغلوبين متمكنا منهم والسلطان الحقبة قال عكرمة حيشا وقع السلطان
في كتاب الله عز وجل فهو الحقبة * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل
مومنا الا خطأ الآية قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في اذن الله وفي امره
للمومن ان يقتل مومنا بوجه ثم استثنى استثناء منقطعاً ليس من الاول وهو
الذى تكون فيه لا بمعنى لكن والتقدير لكن الخطأ قد يقع ويصح في معنى
الآية وجه اخر وهو ان تقدر كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد ولا تقرر
ولا ساغ لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ اذ هو مغلوب فيه فيجي الاستثناء على
هذا متصلاً وتتضمن الآية على هذا اعظام العمد وبشاعة شأنه * وقوله تعالى
وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية حقيقة الخطأ ان لا يقصد بالقتل
ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره الرقبة
المومنة هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت لايمان وقالت جماعة منهم
مالك بن انس يجزئ كل من يحكم له بحكم لاسلام في الصلاة عليه ان مات
قال مالك ومن صلى وصام احب الي ولا يجزئ ذو العيب الكثير كاطع
اليدين او الرجلين او الاعشى اجاعاً فيما علمت ومسلمة معناه مودة مدفوعة
رحي على العاقلة فيما جاوزت الدية ولا ان يصدقوا يريد اولياء المقتول
وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن الآية اي وان كان هذا المقتول خطأ
مومنا قد آمن وبقي في قومه وجم كفرة عدوكم فلا دية فيه وانما كفارته
تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره وسقطت الدية عندهم اوجبين احدهما
ان اولياء المقتول كفار فلا يصح دفع الدية اليهم والآخر قلته حكمة هذا المقتول
فلا دية فيه واحتجوا بقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا وقالت فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء

كفار فقط وسواء قتل بين اظهر المسلمين او بين قومه الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال * ع * وقائل المقالة الاولى يقول ان قتل المومن في بلد المسلمين وقومه حرب فيه الدية لبيت المال والكفارة * وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ لانبالى كان مومنا او كافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير * وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين الآية اي فمن لم يجد الرقبة ولا اتسع ماله لشراؤها فيجزيه صيام شهرين متتابعة لا ايام لا يتخللها فطر وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل * وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية المتعمد في لغة العرب القاصد الى الشيء والجمهور ان المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة او غيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي وغيره ان القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد ورأوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه العمد ولا يقول به وانما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا او خطأ لا غير * وقوله تعالى فجزاؤه جهنم تقديره عند اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اي هو اهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه قال * ع * ومن اقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبوع في الآخرة والوعيد غير نافذ عليه اجماعا والحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت انه من عوقب في الدنيا فهو كفارة له ومعنى الخلود هنا مدة طويلة ان جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التابيد قال * ع * والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون الاغلاط والتخويف احيانا فيطلقون ان لا تقبل توبته منهم ابن شهاب وابن عباس فكان ابن شهاب اذا سأل من يفهم منه انه قد قتل قال له توبتك مقبولة واذا سأل من لم يفعل قال لا توبة للقاتل وعن ابن عباس

نحوه قال الداودي وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله
للدنيا وما فيها اهن على الله من قتل نفس بغير حق ومن اعان على قتل مسلم
بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن
معاوية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره
الا من قتل مومنا متعمدا او مات كافرا وعن ابي هريرة انه سئل عن قاتل المومن
هل له من توبة فقال لا والله الذي لا اله الا هو لا يدخل الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط قال ولو ان اهل السموات والارض اشركوا في دم مومن
الاكبرهم الله جميعا في النار انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا الآية تقول ضربت في الارض اذا سرت لتجارة او غزو
او غيره مقترنة بفي وضربت الارض دون في اذا قصدت قضاء الحاجة وقال
* ص * ضربتم اي سافرت قال * ع * وسبب هذه الآية ان سرية
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومُنْتِيع وقيل
غُنَيْمَة فسلم على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم
فقتله واختلف في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة والذي عليه
الاكثر وهو في سير ابن اسحاق وفي مصنف ابي داود وغيرهما ان القاتل
مُحَلِّم بن جُثَامَة والمقتول عامر بن الاضبط ولا خلاف ان الذي لفظته الارض
حين مات هو محلم بن جثامة وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ حمزة والكسائي
فتثبتوا بالثاء المثناة في الموضعين هنا وفي الحجرات وقرأ نافع وغيره السلم ومعناه
الاستسلام اي القى بيده واستسلم لكم واطهر دعوتكم وقرأ باقي السبعة السلام
بالالف يريد سلام ذلك المقتول على السرية لان سلامه بتحيةة الاسلام
موذن بطاعته وانقياده وفي بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون

اللام وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاثة متقارب وقرئ لست مؤمناً بفتح الميم
اي لسنا نؤمنك * وقوله تعالى فعند الله مغام كثيرة عِدَّة منه سبحانه بما ياتي
به من فضله من الحلال دون ارتكاب محظور اي فلا تنهافتوا واختلف في
قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن جبير معناه كذلك كنتم مستخفين
من قومكم باسلامكم فمن الله عليكم باعزاز دينكم واطهار شريعتكم فهم الآن كذلك
كل واحد منهم خائف من قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذا وصل ان
تقتلوه حتى تتبينوا امره وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمن الله
عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا ان يكون هو كافرا ثم يسلم لحينه ثم وكذ تبارك وتعالى
الوصية بالتبيين وأعلم انه خبير بما يعمل العباد وذلك منه خبر يتضمن
تحذيرا منه سبحانه اي فاحفظوا انفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم * وقوله
تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر الآية في قوله تعالى
لا يستوى ايهام على السامع وهو ابلغ من تحديد المنزلة التي بين المجاهد
والقاعد فالتمأل يمشى مع فكرته ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما والقاعدون
عبارة عن المتخلفين قلت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة
تخرج من اعلاها الحلل ومن اسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ماحمة بالدر
والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات اجنحة فيجلس عليها اولياء الله فتطير بهم حيث
شاءوا فيقول الذين اسفل منهم يا اهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ هؤلاء هذه
الكرامة فيقول الله تعالى انهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون بالليل
وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون
انتهى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمرزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره

غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق ان الآية نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فجاء ابن ام مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضريب البصر فنزلت عند ذلك غير اولى الضرر قال الفلتان بن عاصم رضي الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزل عليه وكان اذا اوحى اليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وبصره لما ياتيه من الله وكنا نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ قال للكاتب اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون الى اخر الآية قال فقام لاعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فانزل الله على رسوله فقلنا للاعمى انه ينزل عليه قال فخاف ان ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول اتوب الى رسول الله حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير اولى الضرر واهل الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضررت بهم حتى منعهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى باموالهم وانفسهم هي الغاية في كمال الجهاد قال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من اهل العذر قال * ع * لانهم مع المؤمنين بنيانهم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جريج والتفصيل بالاجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها الله المؤمنين وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن مخيريز الدرجات هي درجات في الجنة سبعون ما بين الدرجتين حُصِر الجواد المضمر سبعين سنة قلت وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة مائة درجة اعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى

وقال ابن زيد الدرجات في الآيات هي السبع المذكورة في براءة في قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب آية قال * ع * ودرجات الجهاد لوحصرت اكثر من هذه لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال في ان تكون كلمة الله هي العليا ولا شك ان بحسب مراتب الاعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاقوال كلها متقاربة وباقي الآيات وعد كريم وتائيس * وقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم آية المراد بهذه الآية الى قوله مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر فنزلت الآية فيهم قال * ع * والذي يجرى مع الاصول ان من مات من هؤلاء مرتدا فهو كافر وماواه جهنم على جهة الخلود المؤبد وهذا هو ظاهر امر هؤلاء وان فرضنا فيهم من مات مومنا واكرهه على الخروج او مات ببكة فانما هو عاص في ترك الهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود * وقوله تعالى توفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويحتمل ان يكون مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التائين وتكون في العبارة اشارة الى ما ياتى من هذا المعنى في المستقبل بعد نزول الآية وظالمى انفسهم نصب على الحال اي ظالميها بترك الهجرة وتوفاهم الملائكة معناه تقبض ارواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغى الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين في الارض اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون التحيل ويهتدون السبل ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض الاولى هي ارض مكة خاصة وارض الله هي الارض بالاطلاق والمراد فتنها جروا فيها

الى مواضع الامن وهذه المقالة انما هي بعد توفى الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين ولا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه حقيقة من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان قال ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام فى جميع السبل ثم رضى الله تعالى هؤلاء بالغفونهم والمراغم المتحول والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المتزحزح عما يكره وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغى للمعيشة قال * ع * وهذا كله تفسير بالمعنى واما الخاص باللفظة فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء المحبوسين بمكة لا رغم انوف قريش بحصوله فى منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس وغيره السعة هنا هي السعة فى الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال * ع * وهذا هو المشبه للفصاحة ان يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه الفرج وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن انس رحمه الله الآية تعطى ان كل مسلم ينبغي له ان يخرج من البلاد التى تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق * وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية حكم هذه الآية باقى فى الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه قلت وفى الباب حديث عن ابي امامة وسياضى عند قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال * ع * والآية نزلت بسبب رجل من كثانة وقيل من خزاعة اسمه ضمرة فى قول الاكشر لما سمع قول الله تعالى الذين لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا قال انى لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجونى الى المدينة فاخرج فى سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت الآية بسببه قال * ع * ومن هذه الآية رأى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهم من الغنيمة قاسوا ذلك على الاجرووقع عبارة عن الثبوت وكذلك هي وجب لان الوقوع والوجوب نزول فى الاجرام بقوة فشبه لازم المعانى بذلك وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الآية ضربتم معناه سافرتم قال مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه تقصر الصلاة فى اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم احاديث رويت فى ذلك عن ابن عمروابن عباس وقال الحسن والزهرى تقصر فى مسيرة يومين وروى هذا ايضا عن مالك وروى عنه تقصر فى مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال الثلاثة تتقارب فى المعنى والجمهور على جواز القصر فى السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا فى سفر طاعة وسبيل خير والجمهور انه لا قصر فى سفر معصية والجمهور انه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب فى الارض وهو قول مالك وجداعة المذهب والى ذلك فى الرجوع وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير فيه وقاله الابهرى وعليه حذاق المذهب وقال مالك فى المبسوط القصر سنة وهذا هو الذى عليه جمهور المذهب وعليه جواب المدونة بالاعادة فى الوقت لمن اتم فى سفره وقال ابن سحنون وغيره القصر فرض * وقوله تعالى ان خفتن ان يفتنكم الذين كفروا

الآية وفي حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول ان خفتهم وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشغال نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى في اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتهم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخر صلاة الخوف * وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية قال جمهور الامة الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة وكذلك جمهور العلماء على ان صلاة الخوف تصلى في الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم معناه حدودها وهيئتها * وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اي وسائرهم وجاه العدو ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع واختلف من المأمور باخذ الاسلحة هنا فقل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال * ع * ولفظ الآية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف قلت ومن المعلوم انه اذا كانت الطائفة المصلية هي المأمورة باخذ السلاح فالحارسة من باب اخرى واختلفت الآثار في هيئة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن سهل بن ابى حنيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع فصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالساً واتموا لانفسهم ثم سلم

بهم وروى القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه
الا انه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالطائفة الاخيرة ركعة
سلم ثم قصت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك واليه رجع
بعد ان كان اولاً يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد
قال لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات
الرقاع من ارض بنى سليم ومرة بعُصفان والمشركون بضجنان بينهم وبين القبلة
قال * ع * وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقتضى انه صلى صلاة الخوف في غير هذين الموطئين وقد ذكر ابن عباس
انه كان في غزوة ذي قرد صلاة خوف * وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم الآية المعنى فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على
بعض الهيآت المروية وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على رواية
ابن ابي حنيفة والضمير في قوله فليكونوا يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل
ان يكون للطائفة القائمة اولاً بازاء العدو ويجيء الكلام وصاة في حال الحذر
والحرب * وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الآية اخبار عن معتقد
القوم وتحذير من الغفلة لئلا ينال العدو امله واساحة جمع سلاح وفي قوله تعالى
ميلة واحدة مبالغة اي مستاملة لا يحتاج معها الى ثانية * وقوله تعالى ولا
جناح عليكم الآية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف
كان مريضاً فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال * ع * كانوا تلقوا
الامر باخذ السلاح على الوجوب فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس
عليهما كل غدر ثم قوى سبحانه نفوس المؤمنين بقوله ان الله اعد للكافرين
عذاباً مهيناً * وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً الآية

ذهب جمهور العلماء الى ان هذا الذكر المأمور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما امروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو ذكر باللسان والطمانينة في الآية سكون النفوس من الخوف وقال بعض المتأولين المعنى فاذا رجعت من سفركم الى الحضر فاقموها تامة اربعا * وقوله تعالى كتابا موقوتا معناه منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر بالغة * وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تلينوا وتضعفوا يقال جبل واهن اي ضعيف ومنه وهن العظم وابتغاء القوم طلبهم وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين وتحقير لامر الكفرة ثم تأكد التشجيع بقوله وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المؤمنين وباقي الآية بين * وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الآيات في هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة في الحكم وتانيب ما على قبول ما رُفع اليه في امر بني أبييرق بسرعة * وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او نظرجار على سنن الوحي وقد تضمن الله تعالى لانبائه العصمة * وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما اي مخاصما ولا دافعا انتهى قال * ع * سببها باتفاق من المتأولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة بشرو وبشير ومبشر وطعيمة وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر لغيره فكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا يتنصل فيه فمنه قوله اني كل ما قال الرجال قصيدة * نُحِلْتُ وقالوا ابن ابييرق قالها قال قتادة بن النعمان وكان بنو ابييرق اهل فاقة فابتاع عمى رفاعة بن زيد

جلا من درمك الشام فجعله في مشربة له وفي المشربة درعان له وسيفان فعدي على المشربة من الليل فلما اصبح اتانى عمى رفاعة فقال يا ابن اخى اتعلم انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فالفتحسنا في الدار وسألنا ف قيل لنا قد رأينا بنى ابيرق استوقدوا نارا في هذه الليلة ولا تُراه الا على بعض طعانكم قال وقد كان بنو ابيرق قالوا ونحن نسأل والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فسمع ذلك لبيد فاخطر سيفه ثم اتى بنى ابيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لنبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لى عمى يا ابن اخى لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيت صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال انظر في ذلك فلما سمع بذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه رفاعة عمدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرميانهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة من غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن بعض مالى ولم اكله فاتيت عمى فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم نلبث ان نزل القرآن انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات قال فالحائذون بنو ابيرق والبريء المرمى لبيد بن سهل والطائفة التى همت اسير واصحابه قال * ع * قال قتادة وغير واحد هذه القصة ونحوها انها كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال

* ع * وطعته بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد وهرب الى مكة فروي انه نكب حائط بيت ليسرقه فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرقهم فقتلوه * وقوله تعالى واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للناس قال * ع * وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر للمؤمنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك لا غفر له ما كان في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والحاكم ايضا من طرق عن عائشة وغيرها انتهى من السلاح * وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج تحته اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثما رفيق وابقاء فان الخوان هو الذي تنكرر منه الخيانة كطعيمة بن الابيرق وكاثيم هو الذي يقصدها فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك واختيان لانفس هو بما يعود عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والآخرة * وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هذه النازلة ويدخل في معنى هذا التوبيخ كل

من يفعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفوس المرتكبة
للمحارم المحتقبة للمآثم والمظالم شبيهة بالآراقم تملأ افواهها سما وتقصد من
تقذفه عليه عدوانا وظلما تجمع في صمائها سموم شرورها وضررها وتحتال لالقائها
على الغافلين عن مكائدها وخذعها انتهى ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة
ويبيتون يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة مأخوذة من البيت اي
يستتروا في تدبيرهم بالجدرات * وقوله تعالى هانتم هؤلاء خطاب للقوم
الذين يتعصبون لاهل الربب والمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل النازلة
وهو لا ظهر عندي بحكم التأكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين ومن مصابيح
البغوي عن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته
دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في
سخط الله حتى ينزع ومن قال في مومن ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال
حتى يخرج مما قال ويروى من اعان على خصومة لا يدرك احق ام باطل فهو
في سخط الله حتى ينزع انتهى * وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم
القيامة الآية وعيد محض ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجال لله
سبحانه ولا وكيل يقوم بأمر العصاة عنده عقب ذلك بهذا الرجاء العظيم والمهل
المنفس فقال ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الآية وباقي الآية بين * وقوله
تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس الى انها لفظان بمعنى كرر
لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة
تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الآية لفظها عام
ويندرج تحت ذلك العموم اهل النازلة المذكورة وبريء النازلة وهو لبيد كما
تقدم اي ويتناول عموم الآية كل بري * وقوله فقد احتمل بهتاناً تشبيهه اذ

الذنوب ثقل ووزر فهي كالحمولات وبهتاننا معناه كذبا ثم وقف الله تعالى نبيه على مقدار عصمته له وانها بفضل منه سبحانه ورجة * وقوله تعالى لهمت معناه لجعلته معها وشغلها حتى تنفذه وهذا يدل على ان الالفاظ عامة في غير اهل النازلة ولا فاهل التعصب لبنى ابيسرق قد وقع همهم وثبت ثم اخبر تعالى انهم لا يصلون الا انفسهم وما يضررونك من شيء قلت ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال ابن العربي في رحلته اعلم ان علوم القرآن ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير هو معظم القرآن فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب وما يرتبط بها ويدعو اليها ويكون عنها وذلك معنى تتسع ابوابه وتمتد اطنابه انتهى وباقي الآيات وعد كريم لنبيه عليه السلام وتقرير نعمه لديه سبحانه لا اله غيره * وقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية الضمير في نجواهم عائد على الناس اجمع وجاءت هذه الآيات عامة التناول وفي عمومها يندرج اصحاب النازلة وهذا من الفصاحة ولايجاز المصن الماضي والغابر في عبارة واحدة قال النووي وروينا في كتابي الترمذي وابن ماجه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى انتهى والنجوى المسارة وقد تسمى بها الجماعة كما يقال قوم عدل وليست النجوى بمقصورة على الهمس في الاذن والمعروف لفظ يعم الصدقة والاصلاح وغيرها ولكن خصا بالذكر اهتماما اذ هما عظيمتا الغناء في مصالح العباد ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضى الله تعالى * وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية لفظ عام نزل بسبب طعمة بن ابيسرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج

الانحاء عليه في طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيامة * وقوله نوله ما تولى وعيد بان يترك مع فاسد اختياره في تودد الطاغوت ثم اوجب تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد مضى تفسير مثل هذه الآية * وقوله تعالى ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا الآية الضمير في يدعون عائد على من ذكر في قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما ويدعون عبارة مغنية موجزة في معنى يعبدون ويتخذون الهة قلت وفي البخاري الا انا يعني الموات حجرا ومدرا وما اشبهه انتهى وفي مصحف عائشة الا اوثانا ونحوه عن ابن عباس والمراد بالشيطان هنا ابليس قاله الجمهور وهو الصواب لان سائر المقالة به تليق ومريدا معناه متمردا عاتيا صليبا في غوايته واصل اللعن الابعاد والمفروض معناه في هذا الموضع المنحاز وهو مأخوذ من الفرض وهو الحز في العود وغيره قال * ع * ويحتمل ان يريد واجبا ان اتخذه وبعث النار هو نصيب ابليس * وقوله ولا صلنهم الآية معنى اصلنهم اصرفهم عن طريق الهدى ولا منينهم لاسولن لهم وامانيه لا تنحصر في نوع واحد والبنك القطع * وقوله ولا مرنهم فليغيرن خلق الله اختلف المتأولون في معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الآية ان كل تغيير صار فهو داخل في الآية وكل تغيير نافع فهو مباح وفي مختصر الطبري فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن ابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وفسر ابن زيد لا تبديل لخلق الله اي لدين الله واختار الطبري هذا القول واستدل له بقوله تعالى ذلك الدين القيم واجاز ان يدخل في الآية كل ما نهى الله عنه من معاصيه والترك لطاعته انتهى وهو حسن قال * ع * والامات كلها للقسم قال * ص * ولا صلنهم مفعوله محذوف اي عن الهدى وكذا ولا منينهم اي

الباطل وكذا ولآمرنهم اي بالبتك فليبتكن وكذا ولآمرنهم اي بالتغيير فليغيرن كل ما اوجده الله للطاعة فيستعينون به في المعصية انتهى ولما ذكر الله سبحانه عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر تبارك وتعالى عباده بان شرط لمن يتخذها وليا جزاء الخسران * وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم اي يعدهم باباطيله من الهال والحجاء وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل احد ما يليق بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم اخبر سبحانه بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان مأواهم جهنم لا يدافعونها بحيلة ولا يتروغون ومحيصا من حاص اذا راغ ونفرو منه قول الشاعر

ولم ندر ان حصنا من الموت حيضة * كم العمر باق والمدى متناول
ومنه الحديث فحاصوا حيضة حمر الوحش ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الوعيد واقتضى ذلك التحذير عقب ذلك عز وجل بالترغيب في ذكره حالة المؤمنين واعلم بصحة وعده ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في قوله ومن اصدق من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز * وقوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب الآية الاماني جمع امنية وهي ما يتشهاه المرء ويطمع نفسه فيه قال ابن عباس وغيره الخطاب لامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي مختصر الطبري عن مسروق وغيره قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون نحن اهدى وقال اهل الكتاب نحن اهدى فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قال الطبري وقول مجاهد اولى بالصواب وذلك ان المسلمين لم يجبر لامانيهم ذكر

فيما مضى من الآي وانما جرى ذكر امانى نصيب الشيطان انتهى وعليه عول
* ص * فى سبب نزول الآيۃ اعنى على تاويل مجاهد * وقوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به قال جمهور الناس لفظ الآيۃ عام فالكافر والمومن مجازى فاما
مجازات الكافر فالنار واما مجازات المومن فبنكبات الدنيا فمن بقي له سوءا
الى الآخرة فهو فى المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازى من يشاء * وقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعض اذ الصالحات على الكمال مما لا
يطيقه البشر ففى هذا رفق بالعباد لكن فى هذا البعض الفرائض وما امكن من
المدبوب اليه ثم قيد الامر بالايمان اذ لا ينفع عمل دونہ والنقيير النكتة التى
فى طهر النواة ومنه تنبت وعن ابن عباس ما تنقره باصبعك ثم اخبر تعالى
اخبارا موقفا على انه لا احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله اى اخلص مقصده
وتوجهه واحسن فى اعماله واتبع الحنيفية ملته ابراهيم امام العالم وقدوة لاديان
ثم ذكر سبحانه تشريفه لنبيه ابراهيم عليه السلام بانخاذه خليلاً وسماه خليلاً
اذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التى يجرى اليها المحب المبالغ
وذهب قوم الى انه سمي خليلاً من الخلطة بفتح الخاء اى لانه انزل خلته
وفاقته بالله تعالى وكذلك شرف الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالخلطة
كما هو مصرح به فى الحديث الصحيح * وقوله تعالى ولله ما فى السموات
وما فى الارض الآيۃ ذكر سبحانه سعة ملكه واحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين
وتبيين الجادة منه ترغيباً فى طاعته والانقطاع اليه سبحانه * وقوله تعالى
ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم الآيۃ معنى قوله يفتيكم فيهن اى يبين
لكم حكم ما سألتم عنه قال * ع * تحتمل ما ان تكون فى موضع رفع
عطفاً على اسم الله عز وجل اى ويفتيكم ما يتلى عليكم فى الكتاب يعنى القرآن

والاشارة بهذا الى ما تقدم من الآية في امر النساء وهو قوله تعالى في صدر السورة وان خفتم لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية قالت عائشة نزلت هذه الآية اولاً ثم سأل ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر النساء فنزلت ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية * وقوله تعالى في يتامى النساء اللاتي لا توتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدمية الغنية حتى تموت فيرثها العاضل والذي كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر * وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن اي ان كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها وان كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها * وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذي يتلى في المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية وذلك ان العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير ففرض الله تعالى لكل واحد حقه * وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف ايضاً على ما تقدم والذي تلي في هذا المعنى هو قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم الآية الى غير ذلك مما ذكر في مال اليتيم والقسط العدل وباقي الآية بين * وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً الآية هذه الآية حكم من الله تعالى في امر المرأة التي تكون ذات سن ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة فهذه التي اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف في سبب نزول الآية فقال ابن عباس وجماعة نزلت في النبي عليه السلام وسودة بنت زمعة وفي المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب

رافع بن خديج وامراته خولة وقال مجاهد نزلت بسبب ابى السنابل وامراته
ولفظ ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا الآية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها هي المرأة تكون عند الرجل
ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول له اجعلك من شانى فى حل
فنزلت الآية قال الفقيه ابو بكر بن العربي فرضوان الله على الصديقة المطهرة
لقد وفيت بما جعلها ربها من العهد فى قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة انتهى * وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق
يقتضى ان الصلح الحقيقي الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف
خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين على ما ذكرنا خير
من الفقرة * وقوله تعالى واحضرت لانس الشح معذرة عن عبيدة تعالى
اي لا بد للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حتى يحمل
صاحبه على بعض ما يكره وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير هو
شح المرأة بالنفقة من زوجها ويقسمه لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه
ومنها قال * ع * وهذا حسن والشح الضبط على المعتقدات وفى الهمم
والاموال ونحو ذلك فما افراط منه ففيه بعض المذمة وهو الذى قال تعالى فيه
ومن يوق شح نفسه وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية او التى تقتضيها
المروءة فهو البخيل وهي رذيلة لكنها قد تكون فى المومن ومنه الحديث قيل يا
رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح ففى كل احد وينبغى ان لا
يفراط لا على الدين ويدلك على ان الشح فى كل احد قوله تعالى واحضرت
لا نفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت ان لكل نفس شحا
وقول النبي عليه السلام وان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا

بعينه وليس يجمل ان يقال هنا ان تصدق وانت صحيح بخيل * وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان في تحسين العشرة والصبر على خلق الزوجة وتتقوا معناه تتقوا الله في وصيته بهن اذ هن عوان عندكم * وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا آية معناه العدل التام على الاطلاق والمستوى في الافعال والاقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تواخذنى بما تملك ولا املك فوصف الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخليفة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الأزواج دون بعض ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفصيل وهو يقدر ان لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان فى امر حقير * وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي أيم ولا ذات زوج وجاء فى التى قبل وان تحسنوا وفى هذه وان تصالحوا لان الاولى فى مندوب اليه وفى هذه فى لازم اذ يلزمه العدل فيما يملك * وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الآية اي ان شح كل واحد من الزوجين فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق فان الله تعالى يغنى كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطائف صنعه فى المال والعشرة والسعة وجود المراتات والتمكن منها والواسع معناه الذى عنده خزائن كل شيء * وقوله سبحانه ولله ما فى السموات وما الارض تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض تنبيها على استغنائها عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة * ت * وفى تمشيته هذه عندى نظر والاحسن

بقاء الكلام على نسقه فقولہ رحمہ اللہ تنبیہ علی موضع الرجاء لہذین
المفتقرین حسن وانما الذی فیہ قلق ما بعدہ من توجیہہ * وقولہ تعالیٰ
ولقد وصینا الذین اوتوا الکتاب من قبلکم وایاکم الآیۃ لفظ عام لكل من اوتي
کتابا فان وصیتہ سبحانہ لعبادہ لم تنزل منذ اوجدہم * ت * قال الاستاذ
ابوبکر الطرطوشي فی سراج الملوک ولما ضرب ابن ملجم علیا رضي اللہ عنہ
ادخل منزله فاعترتہ غشیة ثم افاق فدعا اولادہ الحسن والحسين ومجدا فقال
اوصیکم بتقوی اللہ فی الغیب والشهادة وكلمة الحق فی الرضا والغضب والقصد
فی الغنى والفقر والعدل علی الصديق والعدو والعمل فی النشاط والکسل والرضا
عن اللہ فی الشدة والرخاء یا بنی ما شر بعدہ الجنة بشر ولا خیر بعدہ النار بخیر
وکل نعيم دون الجنة حقیر وکل بلاء دون النار عافیة من ابصر عیب نفسه شغل
عن عیب غیرہ ومن رضي بقسم اللہ لم یحزن علی ما فاتہ ومن سل سيف بغی
قتل بہ ومن حفر لایخیه بیثرا وقع فیها ومن هتک حجاب اخیه کشف
عورات بنیه ومن نسی خطیئته استعظم خطیئة غیرہ ومن استغنی بعقله زل
ومن تکبر علی الناس ذل ومن اعجب برأیه ضل ومن جالس العلماء وقرو من
خالط الاندال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخف بہ ومن
اکثر من شیء عرف بہ ومن کثر کلامه کثر خطأه ومن کثر خطأه قل حیأه
ومن قل حیأه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار
یا بنی لادب خیر میراث وحسن الخلق خیر قرین یا بنی العافیة عشرة
اجزاء تسعة منها فی الصمت لای ذکر اللہ وواحد فی ترک مجالسة السفهاء
یا بنی زینة الفقر الصبر وزینة الغنى الشکر یا بنی لاشرف اعز من لاسلام
ولا کرم اعز من التقوی یا بنی الحرص مفتاح البغی ومطیة النصب طوبی

لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبّه وبغضه واخذّه وتتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله انتهى والوكيل القائم بالامور المنفذ فيها ما رآه وقوله ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم وقوله بآخرين يريد من نوعكم وتحتمل الآية ان تكون وعيدا لجميع بني ادم ويكون الآخرون من غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين في قصة بني ابيرق بعيد واللفظ انما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة او العالم الحاضر * وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة الآية اي من كان لا مراد له الا في ثواب الدنيا ولا يعتقد ان ثم سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الدارين فمن قصد الآخرة اعطاه الله من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان له في الآخرة العذاب والله تعالى سميع للاقوال بصير بالاعمال والنيات وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما لأعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انه قال انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المؤمنين بقوله كونوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى شهداء لله اي لذاته ولوجهه ولمرضاته سبحانه وقوله ولو على انفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس وان هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق ويحتمل ان يكون المعنى شهداء لله بالوحدانية ويتعلق قوله ولو على انفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء على نفسه هو اقراره بالحقائق قال * ص * وقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا ضمير يكن عائد الى المشهود عليه والضمير في بهما عائد على جنسي الغني والفقير

انتهى قال * ع * وقوله اولى بهما اي هو انظر لهما وروى الطبري ان هذه الآية هي بسبب نازلة بنى ابيرق وقيام من قام فيها بغير القسط * وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى نهى بين واتباع الهوى مرد مهلك * وقوله تعالى ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون معناه محبة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط * وقوله تعالى وان تلوا او تعرضوا الآية قال ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضى فيكون لي القاضى واعراضه لاحدهما على الآخر وقال ابن زيد وغيره هي في الشهود يلقى الشهادة بلسانه او يعرض عن ادائها قال * ع * ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان ماخوذ بان يعدل والخصم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمل وقد تقدم تفسير آل وباقى الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله الآية اختلف من المخاطب بهذه الآية ف قيل الخطاب للمؤمنين ومضمون هذا الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة الخطاب لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين ءامنوا في الظاهر ليكن ايمانكم حقيقة * وقوله سبحانه ومن يكفر بالله الى اخر الآية وعيد وخبر مضمونه تحذير المؤمنين من حالة الكفر * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا ثم كفروا الآية قال مجاهد وابن زيد الآية في المنافقين فان منهم من كان يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن ثم يكفر ثم ازداد كفرا بان تم على نفاقه حتى مات قال * ع * وهذا هو التأويل الراجح وتأمل قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فانها عبارة تقتضى ان هؤلاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذلك ترددوا وليست هذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتأمل الفرق بين العبارتين فانه من

دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه * وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الآية في هذه الآية دليل ما على ان التي قبلها انما هي في المنافقين ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على اشدها ضررا وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم المومنين ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى ان يقع في نوع منه من المومنين غفلة او جهالة او مسامحة ثم وقفهم سبحانه على جهة التوبيخ فقال ايبتغون عندهم العزة والاستكثار اي ليس الامر كذلك فان العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها المومنين وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه وعزنى في الخطاب اي غلبنى بشدته * وقوله سبحانه وقد نزل عليكم في الكتاب الآية مخاطبة لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه امتثال اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الآية الى قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى نحو هذا من الآيات والكتاب في هذا الموضع القروان وفي الآية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع والمعاصي وان لا يجالسوا وقد قيل

عن المرو لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتصد وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ثم توعده سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتأكد بذلك النهي عن مجالستهم وخطبتهم * وقوله تعالى الذين يتربصون بكم الآية هذه صفة المنافقين ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح للمومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من المومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاته الكفار وهذا حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب على امركم ونحوطكم

ومنه استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امرهم ثم سلى سبحانه المؤمنين
وانسهم بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم وينصفكم
من جميعهم وبقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي يوم
القيامة قاله علي رضي الله عنه وعليه جميع اهل التأويل والسبيل هنا الحجة
والعلبة قلت لا ابن العربي لم يرتض هذا التأويل قال وانما معنى الآية احد
ثلاثة وجوه الاول لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يحو به دولة
المؤمنين ويستبيح بيضتهم الثاني لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا لا
ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهاوا عن المنكر ويتباعدوا عن التوبة فيكون تسليط
العدو من قبلهم وهذا نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا بالشرع فان وجد ذلك فبخلاف الشرع ونزع بهذا علماؤنا بالاعتجاج
على ان الكافر لا يملك العبد المسلم انتهى ومخادعة المنافقين هي لاولياء الله
ففى الكلام حذف مضاف اذ لا يقصد احد من البشر مخادعة الله سبحانه
* وقوله تعالى وهو خادعهم عبارة عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج
والحسن والسدي وغيرهم من المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطى
لهذه الامة يوم القيامة نورا لكل انسان مومن او منافق فيفرج المنافقون ويظنون
انهم قد نجوا فاذا جاءوا الى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المومنون
فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم فذلك هو الخدع الذى
يجرى على المنافقين ثم ذكر سبحانه كسلهم فى الصلاة وتلك حال كل من يعمل
كارها غير معتقد فيه الصواب بل تقية او مصانعة قال ابن العربي فى احكامه
قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا روى لائمة مالك وغيره عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين

تلك صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرّت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام ينقر اربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً قال ابن العربي وقد بين تعالى صلاة المؤمنين بقوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ومن خشع خضوع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل انتهى ومذبذبين معناه مضطربين لا يثبتون على حال والتذبذب الاضطراب فهولاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر والايمان * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين آية خطابه سبحانه للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان ففى اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله سبحانه اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبيناً لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل المؤدى الى هذه الحال والمؤمنون المخلصون ما ألتوا قط بشيء من ذلك ويقوى هذا المنزع قوله تعالى من دون المؤمنين اى والمؤمنون العارفون المخلصون غيب عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين بل المعنى يا ايها الذين اظهروا لايمان والتزموا لوازمه والسلطان الحجّة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم فى الدرك الاسفل من نار جهنم وذلك لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد تمكناً من اذى المسلمين قلت وايضا لانهم شاهدوا من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وما جعل الله على يديه من الخوارق ما لم يشاهد غيرهم من الكفار فكانت الحجّة عليهم اعظم وكان كفرهم محض عناد وروي عن ابى هريرة وابى مسعود وغيرهما انهم قالوا المنافقون فى الدرك الاسفل من النار فى توابيت من النار تقفل عليهم ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان

يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله اي يجعله منفعته وملاجأه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب وقوله فاولائك مع المومنين اي في رجة الله سبحانه وفي منازل الجنة ثم وعد سبحانه المومنين الاجر العظيم وهو التخليد في الجنة وقال * ص * فاولائك خبرة مضر والتقدير فاولائك مومنون مع المومنين قاله ابو البقاء انتهى ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الآية اي ابي منفعة له سبحانه في ذلك او حاجة قال ابو عبد الله اللخمي زعم الطبري ان قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم خطاب للمنافقين ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضى ان يحمل عليهم خاصة مع احتمال الآية للعموم فقطعه بان الآية في المنافقين حكم لا يقوم به دليل انتهى وهو حسن اذ حمل الآية على العموم احسن والعجب من * ع * كيف تبع الطبري في هذا التخصيص ويظهر والله اعلم انهما عولا في تخصيص الآية على قوله تعالى وامنتم وهو محتمل ان يحمل في حق المنافقين على ظاهرة وفي حق المومنين على معنى دتم على ايمانكم والله اعلم والشكر على الحقيقة لا يكون الا مقتربا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد سبحانه بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل وينمي به فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور من البهائم الذي ياكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول في مثل اشكر من برؤفة لانها يقال تخضر وتنضر بطل السحاب دون مطروفي قوله عليما تحذير ونذب الى الاخلاص * وقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية قراءة الجمهور بضم الظاء وقرئ شاذا بفتحها واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا من

ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح منه فقال ابن عباس وغيره لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول اي بما يوازى الظلمة وقال مجاهد وغيره نزلت في الضيف المحوّل رحله فانه رخص له ان يجهر بالسوء من القول للذى لم يكرمه يريد بقدر الظلم والظلمة وفي صحيح البخاري عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت انتهى وسميع عليم صفتان لا تقتسان بالجهر بالسوء وبالظلم ايضا فانه يعلمه ويجازى عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم في ان يجهر بالسوء لظلمه اتبع ذلك عرض ابداء الخير واخفائه والعفو عن السوء ثم وعد عليه سبحانه بقوله فان الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه في العفو اذ ذكر انها صفة مع القدرة على الانتقام قال * ع * ففى هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تأملها قال الداودي وعن ابن عمر انه قال لا يحب الله سبحانه ان يدعو احد على احد الا ان يظلم فقد رخص له في ذلك انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى اخر الآية نزل في اليهود والنصارى وقد تقدم بيان هذه المعانى * وقوله تعالى والذين ءامنوا بالله ورسله الآية لما ذكر سبحانه ان المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعد اولئك فبين الفرق بين المنزلتين * وقوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية قال قتادة سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بكتاب من عند الله خاص

لليهود يامرهم فيه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج وزاد الى فلان والى فلان انك رسول الله ثم قال سبحانه على جهة التسليية لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألو موسى اكبر من ذلك وفي الكلام محذوف يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فانها عادتهم وجهور المتأولين على ان جهرة معمول لا رنا اي حتى نراه جهازا اي عيانا واهل السنة معتقدون ان هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد اخبر تعالى على السنة انبيائه انه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر وهي جائزة عقلا من غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات كذلك هو مروي لا كالمرويات سبحانه هذه جهة اهل السنة وقولهم وقد تقدم قصص القوم في البقرة وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه * وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل ثم للترتيب في الاخبار لا في نفس الامر التقدير ثم قد كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان اتخاذ العجل كان عند امر المضي الى المناجاة ولم يكن الذين صنعوا ممن اتخذ العجل لكن الذين اتخذوه كاذ قد جاءتهم البينات * وقوله سبحانه ففعلونا عن ذلك يعني بما امتحنهم به من القتل لانفسهم ثم وقع الغفوع الباقين منهم * وقوله سبحانه فيما نقصهم ما زائدة مؤكدة التقدير فنقصهم فالآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد ما امروا به وحذف جواب هذا الكلام بليغ مبهم متروك مع ذهن السامع تقديره لعناهم ونحوه ثم قال سبحانه وبكفرهم اي بعيسى وقولهم على مريم بهتاناً هو رميهم اياها بالزنا بعد رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية هذه الآية والتي قبلها عدد الله تعالى فيهما اقوال بنى اسرائيل وافعالهم على

اختلاف الأزمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين
لبنينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التي قالت انا قتلنا المسيح غير
الذين نقصوا الميثاق في الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بنى اسرائيل
انما هو الى قوله عيسى ابن مريم * وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله
تعالى بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل
ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى
وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله فلزمهم الذنب من حيث اعتقدوا ان
قتلهم وقع في عيسى قال * ص * وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح
ورسول الله كذلك ويجوز ان يكون صفة لعيسى وان يكون نصبا على اضرار
اعنى قلت وهذا لاخير احسنها من جهة المعنى انتهى ثم اخبر سبحانه ان بنى
اسرايل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواة في هذه القصة
والذى لا يشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويدعو الى الله
وكانت بنو اسرائيل تطلبه وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان
عيسى قد انصوى اليه الحواريون يسرون معه حيث سار فلما كان في بعض
الافاق شعر بامر عيسى فروي ان رجلا من اليهود جعل له جعل فما زال
ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه بتلاحق الطالبين بهم
دخلوا بيتا بمراى من بنى اسرائيل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر وروي ثمانية
عشر وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة
ووجههم الى الآفاق وبقي هو ورجل معه فرفع عيسى والقي شبهه على الرجل
فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه الذي على اليهودي الذى دل عليه
فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقي

عليه شبهى فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقى فى الجنة فقال سرجس انا فالقى عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القى على الجماعة كلها فلما اخرجهم بنو اسرائيل نقصوا واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه الروايات التى ذكرناها فصلبوه وروي ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر رفع عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الامر * وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه الآية يعنى اختلاف المحاولين لاخذة لانهم حين فقدوا واحدا من العدد وتحدث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا لكن اجعوا على صلب واحد من غير ثقة ولا يقين انه هو * وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قال ابن عباس وجاعة المعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه يقينا فالضمير فى قتلوه عندهم عائد على الظن كما تقول ما قتل ما قتل هذا الامر علما قلت وعبارة السدي وما قتلوا امره يقينا ان الرجل هو عيسى انتهى من مختصر الطبري وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه فى الحقيقة جلته واحدة لا يقينا ولا شكاً لكن لما حصلت فى ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا فيه وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام فى قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي فى قوله وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم يقينا او ايقنوا بذلك يقينا وقال * ص * بعد كلام والظاهر ان الضمير فى قتلوه عائد الى عيسى لتتحد الضمائر ويقينا منصوب فى موضع الحال من فاعل قتلوه اي مستيقنين انه عيسى او نعت لمصدر محذوف اي قتلا يقينا انتهى * وقوله تعالى بل رفعه الله اليه يعنى الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام فى السماء على ما تضمنه حديث الاسراء فى ذكر ابني الحالة عيسى ويحي ذكره البخاري فى حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيى

فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب
الا ليومنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير
في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لا يبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل
عيسى الى الارض الا يومن بعيسى كما يومن سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا
يعنى يرجعون على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى واحد من امته
وعلى شريعته واثمتنا منا كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس
ايضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت
فهو ايمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبل
موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يومن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يومن في ذلك
الوقت وفي مصحف ابي بن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية لعود
الضمير على الكتابي قال * ص * وان من اهل الكتاب الآية ان هنا نافية
والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما احد من اهل الكتاب كما
حذف في قوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
اي وما احد منا وما احد منكم قال الشيخ ابو حيان ليومنن به جواب قسم
محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذلك ايضا الا له مقام والا واردها هما
الخبر قال الزجاج وحذف احد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما
قام لازيد اي ما قام احد لازيد انتهى * وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله سبحانه
فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطيور والحوت وغير ذلك
وقرأ ابن عباس طيبات كانت احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل

ان يريد صدهم في ذاتهم ويحتمل ان يريد صدهم غيرهم واخذهم الربوا هو الدرهم بالدرهمين الى اجل ونحو ذلك مما هو مفسدة وقد نهوا عنه ثم استثنى سبحانه الراسخين في العلم منهم كعبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق ومن جرى مجراهم واختلف الناس في قوله سبحانه والمقيمين وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم وما تأخر فقال بعض نحاة البصرة والكوفة انما هذا من قطع النعوت اذا كشرت على النصب باعنى والرفع بعد ذلك بهم وقال قوم والمقيمين عطف على ما في قوله وما انزل من قبلك والمعنى ويؤمنون بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة او من تقدم من الانبياء وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير في منهم وقال آخرون بل على الكافي في قوله من قبلك وزاد * ص * والمقيمين منصوب على المدح قال وقراً جماعة والمقيمون انتهى * وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده الآية سبب نزولها قول بعض احبار يهود ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله سبحانه الآية تكذيباً لهم قال * ع * اسماعيل هو الذبيح في قول المحققين والوحي القاء المعنى في خفاء وعرفه في الانبياء بوساطة جبريل عليه السلام وكلم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا صوت والذي عليه الراسخون في العلم ان الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى ادراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام وكما ان الله تعالى موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلام * وقوله سبحانه رسلاً مبشرين ومنذرين الآية رسلاً بدل من الاول واراد سبحانه ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الي رسول لا منت والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة لاحد عليه حكيم في افعاله فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه * وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الآية

سببها قول اليهود ما انزل الله على بشر من شيء وقال * ص * لكن استدراك ولا يبتدأ بها فيتعين تقدير جلة قبلها يبينها سبب النزول وهو انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انتهى * وقوله تعالى انزله بعلمه هذه الآية من اقوى متعلقات اهل السنة في اثبات علم الله عز وجل خلافا للمعتزلة في انهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزله وهو يعلم انزاله ونزوله * وقوله سبحانه والملائكة يشهدون تقوية لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورد على اليهود * وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا تقديره وكفى الله شهيدا لكنه دخلت الباء لتدل على ان المراد اكتفوا بالله وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الآية خطاب لجميع الناس وهي دعاء الى الشرع ولو كانت في امر من اوامر الاحكام ونحو هذا لكانت يا ايها الذين امنوا والرسول في الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وهذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب من النصارى وهوان يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد * وقوله في دينكم معناه في دين الله الذى انتم مطلوبون به بان توحّدوا الله ولا تقولوا على الله كالا الحق وليست الاشارة الى دينهم المصلل وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم ادخله الله من اي ابواب الجنة الثمانية شاء انتهى * وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله اي الذين من جملتهم عيسى

ومحمد عليهما السلام * وقوله تعالى انما الله واحد انما في هذه الآية حاصرة
وسبحانه معناه تنزيها له وتعظيما والاستنكاف اباية بأنفة قال * ع *
وقوله سبحانه ولا الملائكة المقربون زيادة في الحجّة وتقريب من الاذهان اي
وهؤلاء الذين هم في اعلى درجات المخلوقين لا يستنكفون عن ذلك فكيف
بسواهم وفي هذه الآية دليل على تفصيل الملائكة على الانبياء * وقوله سبحانه
فسيحشرهم عبارة وعيد قال * ع * وهذا لاستنكاف انما يكون من الكفار
عن اتباع الانبياء وما جرى مجراه * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم الآية اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجّة النيرة
الواضحة التي تعطى اليقين التام والنور المبين يعنى القرآن لان فيه بيان
كل شيء وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فينا خطيبا فحمد الله تعالى واثني عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها
الناس فانما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربى فاجيب وانا تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى
اذكركم الله ثلاثا فى اهل بيتى الحديث وفي رواية كتاب الله فيه الهدى والنور
من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفي رواية لا وانى
تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله وهو جيل الله من اتبعه كان على الهدى
ومن تركه كان على ضلالة انتهى * وقوله سبحانه فاما الذين امنوا بالله
واعتصموا به اي اعتصموا بالله ويحتمل اعتصموا بالقرآن كما قال عليه السلام القرآن
حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم
معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلهم

بالهم الآية لان هداية الارشاد قد تقدمت وتحصلت حين امنوا بالله واعتصموا بكتابه فيهديهم هنا بمعنى يعرفهم وباقي الآية بين * وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله قد تقدم القول في تفسير الكلاله في صدر السورة وكان امر الكلاله عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا والله اعلم ما الذي اشكل عليه منها وقول النبي صلى الله عليه وسلم له تكفيك منها اية الصيف التي نزلت في اخر سورة النساء بيان فيه كفاية قال كثير من الصحابة هذه الآية هي من اخر ما نزل * وقوله سبحانه يبين الله لكم ان تصلوا التقدير ليلا تصلوا والله بكل شيء عليم سبحانه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الآية عامة في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول كان ذلك في تعاهد على بتر او في عقدة نكاح او بيع او غيره فمعنى الآية امر جميع المؤمنين بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الآيات الى قوله ان الله سريع الحساب قال * ع * واصوب ما يقال في هذه الآية ان تعم الفاظها بغاية ما تتناول فيعم لفظ المؤمنين في مومني اهل الكتاب وفي كل مظهر للايمان

وان لم يبطنه وفي المومنين حقيقة ويعمم لفظ العقود في كل ربط بقول موافق
للحق والشرع * وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اختلف في معنى بهيمة
الانعام فقال قتادة وغيره هي الانعام كلها * ع * كانه قال احلت لكم الانعام
وقال الطبري قال قوم بهيمة الانعام وحشها وهذا قول حسن وذلك ان الانعام
هي الثمانية الازواج وانضاف اليها من سائر الحيوان ما يقال له انعام بمجموعه معها
والبهيمة في كلام العرب ما ابيهم من جهة نقص النطق والفهم * وقوله لا ما يتلى
عليكم استثناء ما تلي في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وما في موضع نصب
على اصل الاستثناء * وقوله سبحانه غير محلى الصيد نصب غير على الحال
من الكاف والميم في قوله احلت لكم وهو استثناء بعد استثناء قال * ص *
وهذا هو قول الجمهور واعترض بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم غير محلين
الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا قال * ص * والجواب عندي عن هذا
ان المفهوم هنا متروك لدليل خارجي وكثير في القراءان وغيره من المفهومات المتروكة
لمعارض ثم ذكر ما نقله ابوحيان من الوجوه التي لم يرتضها * م * وما فيها من
التكلف ثم قال ولا شك ان ما ذكره الجمهور من ان غير حال وان لزم عنه الترك
بالمفهوم فهو اولى من تخريج تنبوعه الفهم انتهى * وقوله سبحانه ان الله يحكم
ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي فانت ايها
السامع لنسخ تلك التي عهدت تنبئة فان الله الذي هو مالك الكل يحكم ما
يريد لا معقب لحكمه سبحانه قال * ع * وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة
معانيها على قلة الفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار وقد حكى
النقاش ان اصحاب الكندي قالوا للكندي ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القروان
فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر عليه

ولا يطبق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو
قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء
ثم اخبر عن قدرته وحكمته فى سطين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا فى اُجلاد
* وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمؤمنين حقا
ان لا يتعدوا حدود الله فى امر من الامور قال عطاء بن ابى رباح شعائر الله
جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه وهذا قول راجح فالشعائر جمع شعيرة اى قد
اشعر الله انها حدة وطاعته فهي بمعنى معالم الله * وقوله تعالى ولا الشهر الحرام
اى لا تحلوه بقتال ولا غارة ولا اظهر ان الشهر الحرام اريد به رجب ليشهد
امره وهو شهر كان تحريمه مختصا بقريش وكانت تعظمه ويحتمل انه اريد به
الجنس فى جميع الاشهر الحرم * وقوله سبحانه ولا الهدي اى لا يستحل
ولا يغار عليه ثم ذكر المقلد منه تأكيدا ومبالغة فى التنبيه على الحرمة فى التقليد
هذا معنى كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدي عام فى انواع ما يهدى قربة
والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من لِحَاء السَّمُر وغيره امته لهم وقال * ص *
ولا القلائد اى ولا ذوات القلائد وقيل بل المراد القلائد نفسها مبالغة فى النهي
عن التعرض للهدي انتهى * وقوله تعالى ولا ءامين البيت الحرام اى
قاصدين من الكفار المعنى لا تحلوه فتغيرون عليهم وهذا منسوخ بآية السيف
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فكل ما فى هذه الآية مما يتصور
فى مسلم حاج فهو محكم وكل ما كان منها فى الكفار فهو منسوخ * وقوله سبحانه
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيد جمهور المفسرين معناه يبتغون
الفصل من الارباح فى التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه فى ظنهم وطمعهم
وهذه الآية نزلت عام الفتح وفيها استيلاف من الله سبحانه للعرب ولطف بهم

لتنبسط النفوس بتداخل الناس ويردون الموسم فيسمعون القرآن ويدخل
الآيمان في قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذى كان ثم نسخ الله ذلك كله بعد
عام في سنة تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي في الناس بسورة براءة *
وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا محيي . اباحة الصيد عقب التشديد فيه حسن في
فصاحة القول * وقوله سبحانه فاصطادوا امر ومعناه الاباحة باجماع * وقوله
تعالى ولا يجرمكم معناه لا يكسبكم وجرم الرجل معناه كسب وقال ابن عباس معناه
لا يحملكم والمعنى متقارب والتفسير الذى يخص اللفظة هو معنى الكسب
* وقوله تعالى شنآن قوم الشنآن هو البغض فاما من قرأ شنآن بفتح النون
فلاظهر فيه انه مصدر كانه قال لا يكسبكم بغض قوم من اجل أن صدوكم عدوانا
عليهم وظلما لهم وهذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان عشرين اراد المسلمون ان
يستطيروا على قريش والفاها المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك
بغضة في قلوب المؤمنين وحكمة للكفار فنهى المؤمنون عن مكافأتهم واذ لله
فيهم ارادة خيروفي علمه ان منهم من يؤمن كالذى كان وقرأ ابو عمرو وابن
كثير ان صدوكم ومعناه ان وقع مثل ذلك في المستقبل وقراءة الجمهور امكن ثم
امر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى قال قوم هما لفظان بمعنى وفي
هذا تسامح والعرف في دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب
والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الآخر فبتجاوز قلت قال
احمد بن نصر الداودي قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه
انتهى وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان لفظ التقوى يطلق على معان وقد
بيناه في اخر سورة النور وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد ما كان

العبد في عون اخيه قال ابن الفاكهاني عند شرحه لهذا الحديث وقد روينا في بعض الاحاديث من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له اولم تقض غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق انتهى من شرح الاربعين حديثا ثم نهى تعالى عن التعاون على الائم والعدوان ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر والائم قال نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والائم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن روينا في مسند احمد يعني ابن حنبل والدارمي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن النّوّاس ابن سَمْعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والائم ما حاك في نفسك وكرّهت ان يطلع عليه الناس انتهى * وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم آية تعدد لما يتلى على الامة مما استثنى من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتض لشحمه باجماع وما اهل لغير الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التي تموت خنقا والموقودة التي ترمى او تضرب بعضا وشبهها والمتردية هي التي تنزى من علو الى سُفل فتموت والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واطفار من الحيوان وكانت العرب تاكل هذه المذكورات ولم تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء في قوله تعالى الاها ذكيتم فقال ابن عباس وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف بعين او يحرك ذنبا وبالجمل ما يتحقق انه لم تفص نفسه بل له حياة فانه يذكى على سنة الذكاة ويوكل وما فاضت نفسه فهو الميتة وقال مالك مرة بهذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه وعن

اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى لا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق انها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة فلا استثناء عند مالك متصل كقول الجمهور لكنه يخالف في الحال التي يصح فيها ذكاة هذه المذكورات واحتج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت لا تحرم الا بموتها لكان ذكر الميتة اولاً يغنى عنها ومن حجة المخالف ان قال انما ذكرت بسبب ان العرب كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكر لها غير الميتة لظنت انها ميتة الوجود حسبما كانت عليه والذكاة في كلام العرب الذبح * وقوله سبحانه وما ذبح على النصب عطف على المحرمات المذكورة والنصب حجارة تنصب يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب باصنام فان الصنم يصور وينقش وهذه حجارة تنصب وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به شيء واحد قال * ع * ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشبهة امره * وقوله سبحانه وان تستقسموا بالازلام حرم سبحانه طلب القسم وهو النصيب او القسم بفتح القاف وهو المصدر بالازلام وهي سهام قال صاحب سلاح المؤمن والاستقسام هو الضرب بها لخراج ما قسم لهم وتمييزه بنزعهم انتهى وازلام العرب على انواع منها الثلاثة التي كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الآخر لا تفعل وثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاخرج احدها واثمر له وانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القدح الذي لا شيء فيه اعاد الضرب وقوله سبحانه ذككم فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام * وقوله تعالى

اليوم ينس الذين كفروا من دينكم معناه عند ابن عباس وغيره من ان ترجعوا الى دينهم وظاهر امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه وظهور الدين يقتضى ان ينس الكفار عن الرجوع الى دينهم قد كان وقع منذ زمان وانما هذا الياس عندى من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان يترجاه من بني من الكفار لا ترى الى قول اخى صفوان بن امية فى يوم هوازن حين انكشف المسلمون وطنها هزيمة لا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الآية فى قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره نزلت فى عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفى ذلك اليوم اتحنى امر الشرك من مشاعر الحج ولم يحضر من المشركين الموسم بشر فيحتمل قوله تعالى اليوم ان تكون اشارة الى اليوم بعينه ويحتمل ان تكون اشارة الى الزمن والوقت اي هذا لاوان ينس الكفار من دينكم * وقوله الذين كفروا يعم سائر الكفار من العرب وغيرهم وهذا يقوى ان الياس انما هو من انحلال امر الاسلام وامر سبحانه بخشيته التى هي راس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير * وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم تحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه حكى الطبري ان النبي عليه السلام لم يعيش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة والظاهر انه عاش صلى الله عليه وسلم اكثر بايام يسيرة ثلث وفى سماع ابن القاسم قال مالكت بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى اليوم الذى توفي فيه وقف على بابي فقال انى لا احل الا ما احل الله فى كتابه ولا احرم الا ما حرم الله فى كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعلا لما عند الله فانى لا اغنى عنكما من الله شيئاً قال ابن رشد هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل ما فرطنا فى الكتاب من شيء وقال تعالى تبينانا لكل شيء فالمعنى فى ذلك ان الله عز وجل نص على بعض الاحكام واجمل القول فى

بعضها واحال على الادلة في سائرهما بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم ما اجمله الله في
كتابه كما امره حيث يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فما احل صلى الله عليه وسلم
او حرم ولم يوجد في القرآن نصا فهو مما بين من مجمل القرآن او علمه بما
نصب من الادلة فيه فهذا معنى الحديث والله اعلم فما ينطق صلى الله عليه
وسلم عن الهوى ان هو الاوحى يوحى انتهى من البيان والتحصيل وفي الصحيح
ان عمر بن الخطاب قال له يهودي اية في كتابكم تقرءونها لو علينا نزلت
لاخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له عمر اية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم
فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
واقف بعرفة يوم الجمعة قال * ع * ففي ذلك اليوم عيدان للاسلام
الى يوم القيامة واتمام النعمة هو في ظهور الاسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة
الاحوال وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه الملة الحنيفية الى دخول الجنة والخلود
في رحمة الله سبحانه جعلنا الله ممن شملته هذه النعمة * وقوله سبحانه ورضيت
لكم الاسلام دينا يحتمل الرضى في هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل
ان يكون صفة فعل عبارة عن اظهار الله اياه لان الرضى من الصفات المترددة
بين صفات الذات وصفات الافعال والله تعالى قد اراد لنا الاسلام ورضيه لنا
وتم اشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها * وقوله سبحانه فمن اضطر في مخمصة يعنى
من دعت ضرورة الى اكل الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله عليه وسلم
متى تحل الميتة للناس فقال اذا لم يصطبخوا ولم يغتبقوا ولم يحتفوا بقللا والمخمصة
المجاعة التى نخمض فيها البطون اى تضر * وقوله سبحانه غير متجانف
لاثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره قال * ص * متجانف اى

ماثل منحرف انتهى وقد تقدم في البقرة * وقوله تعالى يسألونك ما إذا احل
لهم سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب سأله عاصم
ابن عدي وغيره ما إذا يحل لنا من هذه الكلاب قال * ع * وظاهر الآية ان
سائلا سأل عما يحل للناس من المطاعم لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات
ليس بجواب عما يحل للناس اتخاذ من الكلاب الا ان يكون من باب اجابة
السائل باكثر مما سأل عنه وهو موجود كثيرا من النبي صلى الله عليه وسلم والطيب
الحلال * وقوله سبحانه وما علمتم اي وصيد ما علمتم قال الضحاك وغيره وما
علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة قال العراقي في مكلبين اصحاب
الكلب لها معلمين انتهى واعلى مراتب التعليم ان يشلى الحيوان فينشلى
ويُدعى فيجيب وبزجر بعد طفرة بالصيد فينزجر وجوارح جمع جارح اي كاسب
يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
اي ما كسبتم من حسنة وسيئة قال * ع * وقرأ جمهور الناس وما علمتم بفتح
العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اي من
امر الجوارح والصيد بها وقرأ جمهور الناس مكلبين بفتح الكاف وشد اللام
والمكَلَّب معلم الكلاب ومُضَرَّيها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك
الحيوان كالكلب * وقوله سبحانه تعلمونهن مما علمكم الله اي تعلمونهن الحيلة
في الاصطياد والتأني لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الانسان فمن
للتبعيض * وقوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم يحتمل مما امسكن فلم ياكلن
منه شيئا ويحتمل مما امسكن وان اكلن منه وبحسب هذا الاحتمال اختلف
العلماء في جواز اكل الصيد اذا اكل منه الجارح * وقوله سبحانه واذكروا اسم
الله عليه امر بالتسمية عند الارسال وذهب مالك وجمهور العلماء ان التسمية واجبة

مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها ناسيا سمي عند الاكل وكانت الذبيحة جائزة وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد ثم امر سبحانه بالتقوى على الجملة والاشارة الى ما تضمنته هذه الآيات من الاوامر والنواهي وفي قوله ان الله سريع الحساب وعيد وتحذير * وقوله سبحانه اليوم احل لكم الطيبات اشارة الى الزمن والاوان والخطاب للمؤمنين * وقوله سبحانه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الطعام في هذه الآية الذبائح كذا قال اهل التفسير واختلفوا في لفظة طعام فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة انما احل لنا طعامهم من الذبيحة اي الحلال لهم منها لا مالا يحل لهم كالطريف والشحوم المحصنة واختلف في لفظة اوتوا الكتاب فقالت طائفة انما احل لنا ذبائح الصرحاء منهم لا من كان دخيلا في هذين الدينين وقال جمهور لامته ابن عباس والحسن ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصراني حلال كان من بني تغلب او غيرهم وكذلك اليهود وتأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم * وقوله سبحانه وطعامكم حل لهم اي ذبائحكم فهذه رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضي ان شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا ان نحمله منهم رخص الله تعالى لنا في ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاور * وقوله سبحانه والمحصنات عطف على الطعام المحلل ذهب جماعة منهم مالك الى ان المحصنات في هذه الآية الحرائر فمنعوا نكاح لامته الكتابية وذهب جماعة الى انهن العفاف فاجازوا نكاح لامته الكتابية والاجور في الآية المهور وانتزع بعض العلماء من لفظ ما يتيموهن انه لا ينبغي ان يدخل زوج بزوجه لا بعد ان يبذل من المهر ما يستحلها به ومحصنين معناه متزوجين على السنة * وقوله

سبحانه ومن يكفر بالايان اي بالامور التي يجب الايمان بها وباقي الآية بين
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية
قال ابن العربي في احكامه لا خلاف بين العلماء ان هذه الآية مدنية كما انه
لا خلاف ان الوضوء كان معقولا قبل نزولها غير متلوا ولذلك قال علماؤنا ان
الوضوء كان بمكة سنة ومعناه كان مفعولا بالسنة وقوله اذا قمتم معناه اذا اردتم
القيام الى الصلاة انتهى قال زيد بن اسلم والسدي معنى الآية اذا قمتم من
المضاجع يعنى النوم والقصد بهذا التاويل ان يعم لاحداث بالذكر فى الآية
على هذا التاويل تقديم وتأخير تقديره يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة
من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعنى بالملامسة الصغرى
فاغسلوا وهنا تمت احكام الحدث الاصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا
حكم نوع ءاخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك
وغیره وقال جمهور اهل العلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس فى
الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتب فى الآية حكم واجد الماء الى قوله
فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى فى قولنا محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله
وان كنتم مرضى الى ءاخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت
الملامسة هي الجماع وقال * ص * اذا قمتم اي اذا اردتم وعبر بالقيام عن
ارادته لانه مسبب عنها انتهى ومن احسن الاحاديث واصحها فى فضل
الطهارة والصلاة ما رواه مالك فى الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اخبركم بما يحو الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطى الى المساجد

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب العين الرباط ملازمة الشغور قال والرباط مواظبة الصلاة ايضا انتهي والغسل في اللغة ايجاد الماء في المغسول مع امرار شيء عليه كاليد والوجه ما واجه الناظر وقابلته والناس كلهم على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما روي عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغعة تقع على العضو من المنكب الى اطراف الاصابع وحده الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل ام لا وتحريم العبارة في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فلا احتياط يعطى ان الحد آخر المذكور بعدها ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه وقد روى الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ اذار الماء على مرفقيه انتهى واختلف في رد اليدين في مسح الرأس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان المسح الاثرى فرض فالجمهور على انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح الرأس باليدين جميعا وعلى الاجزاء بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور الاجزاء ويترجح عدم الاجزاء لانه خروج عن سنة المسح وكأنه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرر مرض ونحوه فينبغي ان لا يختلف في الاجزاء والماء في قوله تعالى بروهوسكم مؤكدة زائدة عند من يرى عموم الرأس والمعنى غدة وامسحوا بروهوسكم وهي اللصاق المحض عند من يرى اجزاء بعض الرأس كان المعنى اوجدوا مسحاً بروهوسكم فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك

* ت * قال ابن العربي في احكامه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة مسح الرأس انه اقبل بيده وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وفي البخاري فادبر بهما واكل وهما صحيحان متوافقان وهي مسألة من اصول الفقه في تسمية الفعل بابتدائه او بغايته انتهى وقرأ حزة وغيره وارجلكم بالخفض وقرأ نافع وغيره بالنصب والعامل اغسلوا ومن قرأ بالخفض جعل العامل اقرب العاملين وجمهور الامّة من الصحابة والتابعين على ان الفرض في الرجلين الغسل وان المسح لا يجزئ وفي الصحيح ويل للعقاب من النار اذ رأى صلى الله عليه وسلم اعقابهم تلوح قال ابن العربي في القبس ومن قرأ وارجلكم بالخفض فانه اراد المسح على الخفين وهو احد التاويلات في الآية انتهى وهذا هو الذي صححه في احكامه والكلام في قوله الى الكعبين كما تقدم في قوله الى المرافق وفي صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فقال عمر التي قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الشمانية يدخل من ايها شاء واخرجه الترمذي من حديث ابى ادريس الحولاني عن عمر زاد في اخره اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين انتهى مختصرا واختلف اللغويون في الكعبين والجمهور على انهما العظامان الناتئان في جنبتي الرجل والفاظ الآية تقتضي الموالاة بين الاعضاء قال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان وروى الدارقطني في سننه من

توضاً فذكر اسم الله على وضوءه كان طهوراً لجسده ومن توضأ ولم يذكر اسم الله على وضوءه كان طهوراً لأعضائه انتهى من الكوكب الدرّي وكذلك تتضمن الفاظ الآية الترتيب وأطهروا أمر لواجد الماء عند الجمهور وقال عمر بن الخطاب وغيره لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء * وقوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الآية لا إرادة صفة ذات وجاء الفعل مستقبلاً مراعاة للحوادث التي تظهر عن الإرادة والخرج الضيق والحرّة الشجر الملتف المتضايق ويجرى مع معنى هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الآية على العموم والشّيء المذكور بقرب هو أمر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج في تحمل الماء ابداً ولذلك قال أسيد ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر * وقوله سبحانه ولكن يريد ليظهركم الآية اعلام بما لا يوازي بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلكم ترج في حق البشر وفي الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأان أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقراءة حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها رواه مسلم والترمذي وفي رواية له التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملأه والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض والصوم نصف الصبر وزاد في رواية أخرى ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه انتهى * وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الآية خطاب للمؤمنين ونعمة الله اسم جنس يجمع للاسلام وحسن الحال وحسن المآل والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة

وبيعة الرضوان وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا قول ابن عباس
وجماعة من المفسرين وقال مجاهد المراد الميثاق المأخوذ على النسم حين
استخرجوا من ظهر آدم عليه السلام ولأول أرجح واليق بنمط الكلام وباقي الآية
بين متكرر قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه بهجة المجالس روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده
ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله
انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والجمهور ان سبب هذه الآية
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استعان بيهود في دية الرجلين اللذين قتلها
عمرو بن امية الضمري وصاحبه قالوا نعم يا ابا القاسم انزل حتى نصنع لك
طعاما وننظر في معونتك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل جدار
وكان معه ابو بكر وعمر وعلي فتآمرت يهود في قتله وقالوا من رجل يظهر على
الحائط فيصب عليه جرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
الخبر فقام صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة ونزلت الآية في
ذلك ويترجح هذا القول بما يأتى بعد من الآيات في وصف غدر يهود ونقصهم
المواثيق * وقوله سبحانه ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا هذه الآية المتضمنة للخبر عن نقصهم مواثيق الله تعالى
تقوى ان الآية المتقدمة في كف لايدى انما كانت في امر بنى النضير
والاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم بامرهم قال قتادة وغيره هؤلاء
النقباء قوم كبار من كل سبط تكفل بكل واحد سبطه بان يؤمنوا ويلتزموا التقوى
قال * ع * ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله

عليه وسلم والضمير في معكم لبنى اسرائيل اي معكم بنصرى وحياطتى وتأيدى
واللام في قوله لئن هي المودنة بمجيء القسم ولام القسم هي قوله لأكفرن
والدليل على ان هذه اللام انما هي مودنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم
الكلام دونها ولو كانت لام قسم لم يترتب ذلك واقامة الصلاة توفية شروطها
والزكاة هنا شيء من المال كان مفروضاً عليهم فيما قال بعض المفسرين وعزرتهم
معناه وقرتتهم وعظمتهم ونصرتهم وقرأ عاصم الجحدري وعزرتهم خفيفة
الزاي حيث وقع وقرأ في سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم
الزاي وسواء السبيل وسطه وسائر ما في الآية بين والله المستعان * وقوله
تعالى فيما نقصهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الآية اي فنقصهم والقسوة
غلظ القلب ونُبُوَّة عن الرقة والموعظة وصلابته حتى لا ينفعل لخير * وقوله
تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي قد كان لهم حظ
عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال في
مستأنف الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامور فاسدة قالت فرقة خائنة
مصدر والمعنى على خيانه وقال آخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل
صفة لمؤنث * وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما في براءة وباقي
الآية بين * وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى من متعلقة باخذنا
التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان تكون معطوفة
على خائنة منهم والاول ارجح وعلق قولهم نصارى بقولهم ودعواهم من حيث هو
اسم شرعي يقتضى نصردين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق * وقوله
سبحانه فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء مأخوذ من
الغراء الذى يلصق به وقال البخاري الاغراء التسليط انتهى والضمير في بينهم

يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها الفتن الى يوم القيامة ثم توعدهم بعذاب الآخرة اذ صنعهم كفر يوجب الخلود في النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت اثار صحيحة في ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطاحا انظروا هذين حتى يصطاحا وفي رواية تعرض الاعمال في كل خميس واثنين فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الحديث انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ مسلم ان يهاجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق ما دام على صرامهما فاولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة وردت على الآخر الشياطين واذا ماتا على صرامهما لم يدخلوا الجنة اراه قال ابدا انتهى وسنده جيد ونصه قال ابن المبارك اخبرنا شعبة عن يزيد الرثك عن معاذا العدوية قالت سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقوله لم يدخلوا الجنة ليس على ظاهرة اي لم يدخلوا الجنة ابدا حتى يقتتص لبعضهم من بعض اويقع العفو او تحل الشفاعة حسبما هو معلوم في صحيح الآثار * وقوله سبحانه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية اهل الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا مجاورى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهاجرة وفي اعلامه صلى الله

عليه وسلم بخفي ما في كتبهم وهو امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوته لو الهمهم الله للخير ويعفوا عن كثير اي لم يفضحهم فيه ابقاء عليهم والضمير في يعفوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين هو القرآن ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو اتبعتموها حق لا تباع ولاول هو ظاهر الآية وهو اظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة ويحتمل ان يكون السلام هنا اسما من اسماء الله عز وجل فالمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور الايمان وباقي الآية بين متكرر * وقوله سبحانه قل فمن يملك اي لا مالك ولاراد لارادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره * وقوله سبحانه يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام * وقوله تعالى والله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات * وقوله سبحانه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية النبوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرفقة لانهم ذكروا ان الله سبحانه اوحى الى اسرائيل ان اول اولادك بكرى فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولو صح ما رويوا لكان معناه بكرا في التشريف او النبوة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي عليه السلام الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لانا ابناء الله واحباؤه ذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم فيها اربعين يوما فرد الله عليهم قولهم فقال لنبيه عليه السلام قل فاسم يعذبكم بذنوبكم اي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم ثم تركت الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل في غيره فقال بل انتم بشر

كسائر الناس والخلق اكرمهم عند الله اتقاهم يهذى من يشاء للايمان فيغفر له ويورث من يشاء في الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما فله بحق الملك ان يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه واليه مصير العباد بالحقشر والمعاد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام * وقوله على فترة من الرسل اي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة في الاجرام ويستعار ذلك للمعانى وقد قال عليه السلام لكل عمل شرة ولكل شرة فترة وفي الصحيح ان الفترة التي كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر بعد موسى من شيء قاله ابن عباس وقوله ان تقولوا معناه حذارا ان تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشيروا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادي والمضل لا رب غيره * وقوله سبحانه واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوءتك ثم عدد عيون تلك النعم فقال اذ جعل فيكم انبياء اي حاطة ومنقذون من النار وشرف في الدنيا والآخرة وجعلكم ملوكا اي فيكم ملوكا لان الملك شرف في الدنيا وحاطة في نوائبها واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين قال مجاهد هو المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء وعلى هذا القول فالعالمون على العموم وعلى القول بان المؤتى هو آيات موسى فالعالمون عالم زمانهم لان ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم من آيات الله اكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف انها بيسن الفرات وعريش مصر

قال * ع * وتظاهرت الروايات ان دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد على الادبار وذلك هو الرجوع القهقري والخاسر الذى قد نقص حظه ثم ذكر عز وجل انهم تعنتوا ونكصوا فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كانه لقدرته وغشمه وبطشه يجبر الناس على ارادته والنخلة الجبارة العالية التى لا تنال بيد وكان من خبر الجبارين انهم كانوا اهل قوة فلما بعث موسى لاثني عشر نقيباً مطلعين من امر الجبارين واحوالهم رأوا لهم قوة وبطشا وتخيلوا ان لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك من بنى اسرائيل وان يعلموا به موسى ليرى فيه امر ربه فلما انصرفوا الى بنى اسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراتهم ومن وثقوا به ففشا الخبر حتى اعوج امر بنى اسرائيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ولم يف من النقباء الا يوشع بن نون وكالب بن يوفتا ويقال فيه كالوث بئاء مثلثة * وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون ابي يخافون الله سبحانه قال اكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى وكالب بن يوفتا انعم الله عليهما بالايمان الصحيح وربط الجاش والثبوت وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا الآية عبارة تقتضى كفرا وقيل المعنى فاذهب انت وربك يعينك وان الكلام معصية لا كفر وذكر ابن اسحاق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم الناس يوم بدر وقال لهم اشيروا علي ايها الناس فقال له المقداد بن الاسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم ورأى عصيانهم تبرأ الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب انى لا املكك لا نفسى واخى يعنى هارون

وقوله فافرق بيننا داء حرج والمعنى فافرق بيننا وبينهم حتى لا نشقى
بفسقهم قال فانها محرمة عليهم اي قال الله وحرم الله تعالى على بنى اسرائيل
دخول تلك المدينة اربعين سنة يتيهون فى الارض اي فى ارض تلك
النازلة وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثلاثين ميلا فى عرض ستة
فراسخ ويروى انه لم يدخل المدينة احدا من ذلك الجيل الا يوشع وكالوث
وروي ان يوشع نبى بعد كمال الاربعين سنة وخرج ببنى اسرائيل من التيه
وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفى تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة
حتى استمر هزم الجبارين والتهب الذهاب فى الارض الى غير مقصد معلوم * وقوله
تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الآية لموسى
عليه السلام قال ابن عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال
الله له فلا تأس على القوم الفاسقين * وقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق اذ قربا قربانا الآية اتل معناه اسرد واسمعهم اياه وهذه من علوم الكتب
الاول فهي من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من غامض
كتب بنى اسرائيل قال الفخر وفى الآية قولان احدهما اتل على الناس والثانى
اتل على اهل الكتاب انتهى وابني آدم هما لصلبه وهما هابيل وقابيل روت
جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود ان سبب هذا التقريب ان حواء كانت
تلد فى كل بطن ذكرا وانثى وكان الذكر يتزوج انثى البطن الآخر ولا تحل له
اخذة قومته فولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا ليست كذلك
فلما اراد آدم ان يزوجهما من هابيل قال قابيل انا احق باختى فامرء آدم فلم
ياتمرا فاتفقوا على التقريب فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت
قابيل فحينئذ قال لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام

قبله محذوف تقديره ولم تقتلنى وليس لى ذنب فى قبول الله قربانى وانما
يتقبل الله من المتقين واجماع اهل السنة فى معنى هذه الالفاظ انها اتقاء
الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التى تصدق فيها نيته مقبولة واما المشقى
للسرك وللمعاصى فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرجة علم ذلك باخبار
الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله تعالى عقلا قلت قول * ع * فى معنى
هذه الالفاظ يعنى حيث وقعت فى الشرع واما فى هذه الآية فليس باتقاء شرك
على ما سياتى وقول هابيل ما انا بباسط يدي اليك الآية قال عبد الله بن عمر
وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تخرج وهذا هو الاظهر قال
* ع * ومن هنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لو كان كافرا لم يكن
للتخرج هنا وجه وتبوء معناه تمضى متحملا وقوله بائى واثمك قيل معناه بائى
قتلى وسائر ااثامك وقيل المعنى بائى الذى يختص بى فيما فرط لى وهذا
تاويل يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة
فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم تكن
له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه * وقوله وذلك جزاء الظالمين
يحتمل ان يكون من قول هابيل لاختيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى
لمحمد عليه السلام قال الفخر وقوله تعالى فطوت له نفسه قتل اختيه قال
المفسرون معناه سهلت له نفسه قتل اختيه انتهى * وقوله سبحانه فاصبح من
الخاسرين اصبح عبارة عن جميع اوقاته وهذا مهيع كلام العرب ومنه * اصبحت
لا اجل السلاح * البيت وقول سعد فاصبحت بنو اسد تعزرنى الى غير ذلك
من استعمال العرب ومن خسران قابيل ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما قتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها وذلك لانه

اول من سن القتل * وقوله تعالى فبعث الله غرابا الآية قيل اصبح في ثانی يوم قتله يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حیا الى غراب ميت فجعل يبحث في الارض ويلقى التراب على الغراب الميت وظاهر الآية ان هابيل هو اول ميت من بنى ءادم ولذلك جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما في الكتب الاول والسوءة العورة ويحتمل ان يراد الحالة التي تسوء الناظر ثم ان قابيل وارى اخاه وندم على ما كان منه من مصیة في قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء في قابيل هل هو من الكفار او من العصاة والظاهر انه من العصاة قال الفخر ولم ينتفع قابيل بندمه لان ندمه كان لاسباب منها سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله ونحو ذلك ولما كان ندمه لهذه الاسباب لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم * وقوله تعالى من اجل ذلك هو اشارة الى ما تضمنته هذه القصة من انواع المفساد الحاصلة بسبب القتل الحرام لا انه اشارة الى قصة قابيل وهابيل انتهى * وقوله سبحانه من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرايل الآية جمهور الناس على ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة ومن جرّاهما كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف من النادمين ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرهما * وقوله سبحانه بغير نفس اي بغير ان تقتل نفس نفسا والفساد في الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة * وقوله سبحانه فكانما قتل الناس جميعا روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتبهت حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافتی

واستحيها فهو كمن احيا الناس جميعا قال الحسن وابن زيد ومن احيها اي عفا عن من وجب له قتله بعد القدرة وقيل غير هذا ثم اخبر تعالى عن بنى اسرائيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات في هذا وفي سواه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود * وقوله سبحانه انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية روى انس بن مالك وغيره ان الآية نزلت في قوم من عُكْل وعُربنة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في لقاح الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب في اثارهم فاخذوا قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم من خلف وسمرا عينهم ويروى وسمل وتركهم في جانب الحرة يستسقون فلا يسقون ف قيل ان هذه الآية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعربيين ووقف الامر على هذه الحدود وقال جماعة انها غير ناسخة لذلك الفعل لان العربيين مرتدون لا سيما وفي بعض الطرق انهم سملوا اعين الرعاء وقالوا هذه الآية هي في المحارب المومن قال مالك المحارب عندنا من جل على الناس السلاح في مصر او برية فكابروهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة وبهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا والامام مخير فيه بان يعاقبه بما رأى من هذه العقوبات فاما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فبعد القتل عند جماعة وقال جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك وهو الاظهر من الآية وهو الانكى في النكال واما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرجل الشمال من المفصل * وقوله سبحانه او ينفوا من

الارض الظاهران الارض في هذه الآيّة هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما الارض التي اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذي ناء بصدرة نحو الارض المقدسة وينبغي للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن به ان يعود الى حرابة وافساد ان يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب تركت مسرحا وهذا هو صريح مذهب مالك * وقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا والآيّة اشارة الى هذه الحدود التي توقع بهم فيحتمل الخزي لمن عوقب وعذاب الآخرة لمن سلم في الدنيا وبالجملّة فهم في المشيئة * وقوله سبحانه لا الذين تابوا الآيّة استثنى عز وجل التائب قبل ان يقدر عليه واخبر سبحانه بسقوط حقوقه عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم والعلماء على ان الآيّة في المؤمنين ويؤخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الآيّة هذه الآيّة وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة وجلّة وابتغوا معناه اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ايضا من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يوتاها في الدنيا ويتصف بهما ويكون ثمرة ذلك في الآخرة الشفيع في المقام المحمود قلت وفي كلامه هذا ما لا يخفى وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة التي كان يرجوها من ربه وانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون لا لعبد من عباد الله وارجوان اكون انا هو الحديث وخص سبحانه الجهاد بالذكر وان كان داخلا في معنى الوسيلة تشريفا له اذ هو قاعدة الاسلام * وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار اخبار بانهم يتمنون هذا وقال الحسن بن ابي الحسن اذا فارت بهم النار

قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطعمون به وتأول هو وغيره الآية على هذا قلت ويؤيده ما خرجه البخاري في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حيث اتاه اتيان فاخذا بيده وفيه فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه وفيه ايضا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه صيق واسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالوا انطلق الحديث واخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد * وقوله سبحانه والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية قلت المسروق مال او غيره فشرط المال ان يكون نصابا بعد خروجه مملوكا لغير السارق ملكا محترما تاما لا شبهة له فيه محرزا مخرجا منه الى ما ليس بحرز له استسارارا فالنصاب ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوي ثلاثة دراهم وقوله ايديهما يعنى أيمن النوعين والنكال العذاب والنكل القيد * وقوله سبحانه فمن تاب من بعد ظله واصلح فان الله يتوب عليه الآية جمهور العلماء على ان توبة السارق لا تسقط عنه القطع وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يتلبس بالحكام باخذه فتوبته تدفع عنه حكم القطع قياسا على توبة المحارب * وقوله سبحانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اي فلا معقب لحكمه سبحانه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو * وقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الآية تسليية لنبيه عليه السلام وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقي من طوائف المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى المسارعة في الكفر البدار الى نصره والسعي في كيد الاسلام واطفاء نوره قال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا امانا

بافواههم ولم تومن قلوبهم يراد به المنافقون * وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين يراد به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين لان جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة اذ المراد انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك * وقوله سبحانه سماعون لقوم آخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود فذلك وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم آخرين بمعنى جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة قلت وهذا هو الذى نص عليه ابن اسحاق في السير قال * ع * وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله عز وجل فقال نعم وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين * وقوله سبحانه يحرفون الكلم من بعد مواضعه هذه صفة اليهود في معنى ما حرفة من التوراة وفيما يحرفونه من الاقوال عند كذبهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصدت به وجوه القويمة يقولون ان اوتيتهم هذا فخذوه روي ان يهود فذلك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقيل غير هذا من وقائعهم فالاشارة بهذا الى التحميم والجلد في الزنا على قول ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام على جهة قطع الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم في علمه ان لا يظهر قلوبهم وان يكونوا مدّسين بالكفر لهم في الدنيا خزي بالذلة والمسكنة التي ضربت عليهم في اقطار الارض وفي كل امة قال * ص * سماعون اي هم سماعون ومثله اكالون انتهى * وقوله سبحانه اكالون للمسحت فعالون

بناء مبالغة اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت كل ما لا يحل كسبه من المال
* وقوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى الله
عليه وسلم ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله
سبحانه وان احكم بينهم بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو
الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الآية ان الامة مجمعة فيما علمت على ان حاكم
المسلمين يحكم بين اهل الذمة في تظالمهم واما نوازل الاحكام التي لا تظالم فيها
فالحاكم مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد من رضى اساقفتهم او اخبارهم قاله
ابن القاسم في العتبية قلت وعبرة الداودي قال مالك ولا يحكم بينهم اذا
اختار الحكم الا في المظالم فيحكم بينهم بما انزل الله ولا يحكم فيهم في الزنا الا ان
يعلنوه فيعاقبون بسبب اعلانه ثم يردون الى اساقفتهم قال مالك وانما رجم
النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل ان تكون لهم ذمة انتهى وقال ابن
العربي في احكامه انما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم ليحقق
تحريفهم وتبديلهم وكذبهم وكنتمهم ما في التوراة ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها
والرجم على زناهم وعنه اخبر الله تعالى بقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فيكون ذلك من آياته
الباهرة وحججه البينة وبراهينه القاطعة الدامغة للامة المخزية اليهودية انتهى
* وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا امن الله سبحانه نبيه من
ضررهم اذا اعرض عنهم وحقر في ذلك شانهم وان حكمت اي اخترت الحكم
في نازلة ما فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل ثم قال سبحانه وكيف يحكمونك
المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم التوراة التي يصدقن
بها وتولوا عن حكم الله فيها فانست الذي لا يؤمنون بك اخرى بان يخالفوا

حكمك وهذا بين انهم لا يحكمونه عليه السلام لا رغبة في ميله الى اهوائهم * وقوله سبحانه من بعد ذلك اي من بعد كون حكم الله في التوراة في الرجم وما اشبهه * وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين يعنى بالتوراة وبموسى * وقوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى اي ارشاد في المعتقد والشرائع والنور ما يستضاء به من اوامرها ونواهيها والنبیون الذين اسلموا هم من بعث من لدن موسى ابن عمران الى مدة نبينا محمد عليه السلام واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم لله سبحانه وقوله للذين هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة لبنى اسرائيل وعليهم والربانيون عطف على النبيين اي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء وقد تقدم تفسير الرباني والاحبار ايضا العلماء واحدهم خبر بكسر الحاء وفتحها وكثر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الخبر الذى يكتب به وانما اللفظ عام في كل خبر مستقيم فيما مضى من الزمان قبل مبعث نبينا محمد عليه السلام * وقوله سبحانه بما است حفظوا اي بسبب استحفاظ الله تعالى اياهم امر التوراة واخذة العهد عليهم في العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه وهؤلاء ضيعوا لما است حفظوا حتى تبدلت التوراة والقرآن بخلاف هذا لقوله تعالى وانا له لحافظون * وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون حكاية لما قيل لعلما بنى اسرائيل * وقوله ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا نهى عن جميع المكاسب الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة وحكامها ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى اخر الآيت خطابا لامة نبينا محمد عليه السلام واختلف العلماء في المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب قال

الفخر وتمسكت الخوارج بهذه الآية في التكفير بالذنب واجيب بان الآية
نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان الاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب قلت وهذه مسألة خلاف في العام الوارد على سبب
هل يبقى على عمومه او يُقصر على سببه انتهى وقالت جماعة عظيمة من اهل
العلم الآية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنها في امراء هذه الامة كفر
معصية لا يخرجهم عن الايمان وهذا تاويل حسن وقيل لتحذيفة بن اليمان انزلت
هذه الآية في بنى اسرائيل فقال نعم لاهوة لكم بنو اسرائيل ان كانت لكم كل
حلو ولهم كل مرة لتسلكن طريقهم قذ الشراك * وقوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس الآية اي وكتبنا على بنى اسرائيل في التوراة ومعنى
هذه الآية الخبر بان الله تعالى كتب فرضا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا
فيجب في ذلك اخذ نفسه ثم هذه الاعضاء المذكورة كذلك ثم استمر هذا
الحكم في هذه الامة بما علم من شرع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
ورخص الله لهذه الامة ووسع لها بالدية ولم يجعل لبنى اسرائيل دية فيما نزل
على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد به الخصوص في المتماثلين
كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وكذلك
قوله سبحانه والجروح قصاص عموم يراد به الخصوص فيما لا يخاف منها
على النفس وكتب الفقه محل استيعاب الكلام على هذه المعاني قال * ص *
والجروح قصاص اي ذات قصاص انتهى * وقوله سبحانه فمن تصدق به
فهو كفارة له المعنى ان من تصدق بجرحه او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة
لذنوبه يعظم الله اجرة بذلك قاله ابن عمر وغيره وفي معناه حديث مروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قلت وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يصاب

بشيء في جسده فتصدق به لا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة رواه
الترمذي انتهى وقيل المعنى فذلك العفو كفارة للجراح عن ذلك الذنب
كما ان القصاص كفارة فكذلك العفو كفارة واما اجر العاقي فعلى الله تعالى قاله
ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا
الجاني بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه * وقوله
سبحانه وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم الآية الضمير في اثارهم للنبيئين
* وقوله وهدي وموعظة للمتقين خص المتقون بالذكر لانهم المقصود به في علم الله
وان كان الجميع يدعى الى توحيد الله ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى
وحيرة وقرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل
بها والمعنى واثيناه الانجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم اهله بما
انزل الله فيه وقرأ باقى السبعة وليحكم بسكون لام الامر وجزم الفعل ومعنى امره
لهم بالحكم اي هكذا يجب عليهم قلت واذا من لازم حكمهم بما انزل الله فيه
اتباعهم لنبينا محمد عليه السلام والايمان به كما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
والانجيل قال الفخر قيل المراد وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الدلائل
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل والمراد بالفاسقين من لم يمثل من
النصارى انتهى وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما انزل
الله * وقوله سبحانه ومهيمن اي جعل الله القرآن مهيماً على الكتب يشهد بما
فيها من الحقائق وعلى ما نسب المحرفون اليها فيصح الحقائق ويبطل
التحريف وهذا هو معنى مهيمن اي شاهد ومصدق ومؤتمن وامين حسب
اختلاف عبارة المفسرين في اللفظة وقال المبرد مهيمن اصله مؤتمن بني من
امين ابدلت همزته هاء كما قالوا ارقط الماء وهرقته واستحسنه الزجاج * وقوله

سبحانه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق المعنى
عند الجمهور ان اخترت ان تحكم فاحكم بينهم بما انزل الله وليست هذه الآية
بناسخة لقوله او اعرض عنهم ثم حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من اتباع اهوائهم
* وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل امة قاله الجمهور وهذا عندهم
في الاحكام واما في المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل ان يكون
المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل عليهم وتجيء الآية مع هذا
لا احتمال تنبيها لنبينا محمد عليه السلام اي فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا
تستزك اليهود او غيرهم في شيء منه واكثر المتأولين على ان الشرعة والمنهاج
بمعنى واحد وهي الطريق وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاج سبيلا وسنة ثم
اخبار سبحانه انه لو شاء لجعل الناس امة واحدة ولكنه لم يشأ لانه اراد اختبارهم
وابتلاهم فيما اتاهم من الكتب والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم امر سبحانه
باستباق الخيرات في امتثال الاوامر وختم سبحانه بالموظة والتذكير بالمعاد فقال
الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار * وقوله سبحانه فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون معناه في الشواب والعقاب فتخبرون به اخبار ايقاع وهذه الآية
بارعة الفصاحة جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك
الا انا بقصور افهامنا يبين لنا في بعض اكثر مما يبين لنا في بعض * وقوله
تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الآية الهوى مقصور يجمع
على اهواء والهواء ممدود يجمع على اهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه السلام من
اليهود ان يفتنوه بان يصرفوه عن شيء مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا
يريدون ان يخدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له مرارا احكم لنا في نازلة
كذا بكذا ونتبعك على دينك * وقوله سبحانه فان تولوا قبله محذوف تقديره

فان حكموك واستقاموا فنعما ذلك وان تولوا فاعلم الآية وخصص سبحانه
اصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لان هذا الوعيد انما هو في الدنيا وذنوبهم
نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى الى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبه
توعدهم الله في الدنيا وانما يعذبون بالكل في الآخرة وقال الفخر وجوزوا ببعض
الذنوب في الدنيا لان مجازاتهم ببعض كاف في اهلاكهم وتدميرهم انتهى *

وقوله سبحانه فاعلم الآية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجزه بقصة بنى
قَيْنُقَاع وقصة قُرَيْظَةَ والنضير واجلاء عمر اهل خيبر وفدك وغيرهم * وقوله
تعالى وان كثيرا من الناس لفاسقون اشارة اليهم ويندرج في عموم الآية غيرهم *

وقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا ياخذون
الحلولان ويحكمون بحسب الشهوات ومن احسن من الله حكما اي لا احد
احسن منه حكما تبارك وتعالى * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء نهى الله سبحانه المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود
والنصارى اولياء في النصرة والخطاة المؤدية الى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه
الآية باق وكل من اكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظ من هذا المقت الذي
تضمنه قوله تعالى فانه منهم وسبب نزول هذه الآية انه لما انقضت بدر
وشجر امر بنى قَيْنُقَاع اراد النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام دونهم عبد الله
ابن ابي ابن سلول مخاصما وقال يا محمد احسن في موالى فاني امرؤ اخاف
الدوائر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الآية في ذلك
* وقوله عز وجل بعضهم اولياء بعض جملة مقطوعة من النهي * وقوله تعالى ومن
يتولهم منهم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وعلى كل من اتصف بهذه
الصفة * وقوله سبحانه فترى الذين المعنى فتري يا محمد الذين في قلوبهم

مرض اشارة الى عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حاية بنى قينقاع * وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله ابن ابي ومن تبعه من المنافقين ودائرة معناه نازلة من الزمان وانما كان ابن ابي يظهر انه يستبقيهم لنصرة النبي عليه السلام وانه الرأي وكان يبطن خلاف ذلك * وقوله سبحانه فعسى الله ان ياتي بالفتح وهو ظهور نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بنى قينقاع وقريظة والنضير وفتح مكة او اثر من عنده يهلك به اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع فيه للبشر سبب وقرأ ابن الزبير فيصبح الفساق على ما اسروا في انفسهم ناديين * وقوله تعالى يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقساموا بالله جهد ايمانهم قرأ نافع وغيره يقول بغيروا وقرأ حمزة وغيره ويقول وقرأ ابو عمرو وحده ويقول بالواو ونصب اللام فذهب كثير من المفسرين الى ان هذا القول من المؤمنين انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفصحهم الله تعالى فحينئذ يقول المؤمنون اهؤلاء الذين اقساموا الآية وتحتمل الآية ان تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم ان تمسكهم باليهود انما هو ارضاء لله ولرسوله فمقتهم النبي عليه السلام والمؤمنون وترك لهم النبي عليه السلام بنى قينقاع رغبة في المصاحبة والالفة واما قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب فلا ينتج معها ان يكون قول المؤمنين لا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفصحتهم * وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الايمان انهم لمعكم قد ظهر الآن منهم من موالة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب ايمانهم * وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه ويحتمل ان يكون من قول المؤمنين ويحتمل ان يكون قوله

حبطت دعاء اي بطلت اعمالهم * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا من
يرتدد منكم عن دينه الآية خطاب للمؤمنين الى يوم القيامة ومعنى الآية ان الله
عز وجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه يحبي . سبحانه بقوم ينصرون الدين
ويغنون عن المرتدين قال الفخر وقدم الله تعالى محبته لهم على محبتهم له اذ
لولا حبه لهم لما وفقهم ان صاروا محبين له انتهى وفي كتاب التقصد الى الله
سبحانه للمحاسبي قلت للشيخ فهل يلحق المحبين لله عز وجل خوف قال نعم
الخوف لازم لهم كما لزهم الايمان لا يزول الا بزواله وهذا هو خوف عذاب
التقصير في بدايتهم حتى اذا صاروا الى خوف الفوت صاروا الى الخوف
الذى يكون في اعلى حال فكان الخوف الاول يطرقهم خطرات وصار خوف
الفوت وطنات قلت فما الحالة التي تكشف عن قلوبهم شديد الخوف
والحزن قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عز وجل واملهم منه
ان يظفروا بمراهم اذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت انفسهم
حسرات وماتوا كمدا قلت اي شيء اكثر شغلهم وما الغالب على قلوبهم في
جميع احوالهم قال كثرة الذكر لمحبيهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون
ولا يفترون وقد اجمع الحكماء ان من احب شيئاً اكثر من ذكره ثم قال قال ذو
النون ما اولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله تعالى انتهى وفي الآية انحاء
على المنافقين وعلى من ارتد في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه
الآية اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزاً وقد ارتدت العرب
وغيرهم ايام ابي بكر فنصر الله الدين واتى بخير منهم انتهى * وقوله سبحانه
اذلته على المؤمنين معناه متذللين من قبل انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز
وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه السلام المؤمن لين وفي قراءة

ابن مسعود اذلة على المؤمنين غطاء على الكافرين * وقوله تعالى ولا يخافون
لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين في انهم يعتذرون بملاحة الاحلاف
والمعارف من الكفار ويراعون امرهم قلت وخرج ابوبكر بن الخطيب بسنده
على ابي ذر قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصاني ان انظر الى من
هو دوني ولا انظر الى من هو فوقى (يعنى في شان الدنيا) واوصاني بحب
المساكين والدنو منهم واوصاني ان اقول الحق وان كان مرا واوصاني ان اصل
رحمى وان ادبرت واوصاني ان لا اخاف في الله لومة لائم واوصاني ان لا اسأل
الناس شيئاً واوصاني ان استكثر من لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله
سبحانه ذلك فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله عز وجل ويحبهم
واسع معناه ذو سعة فيما يملك ويعطى وينعم به سبحانه * وقوله تعالى
انما وليكم الله ورسوله الآيتة انما في هذه الآيتة حاضرة وقرأ ابن مسعود انما
مولاكم الله والزكاة هنا لفظ عام للزكاة المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل
افعال البر اذ هي منمية لحسنات مطهرة للمرء من دنس السيئات
ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركوع وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلاة وهي
هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سبحانه والركع السجود هذا هو الصحيح
وهو تاويل الجمهور ولكن اتفق مع ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اعطى خاتمه وهو راع قال السدي وان اتفق ذلك لعلي فالآيتة عامة في
جميع المؤمنين ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فانه غالب كل
من ناواه وجاءت العبارة عامة في ان حزب الله هم الغالبون ثم نهى سبحانه
المؤمنين عن اتخاذ الذين اتخذوا ديننا هزوا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار في
قوله سبحانه انا كفيهاك المستهزين وثبت استهزاء اهل الكتاب في لفظ هذه

الآية وثبت استهزاء المنافقين في قولهم لشياطينهم انا معكم انما نحن مستهزون
ثم امر سبحانه بتقواه ونبه النفوس بقوله ان كنتم مومنين * وقوله سبحانه
واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا الآية انحاء على اليهود وتبيين لسوء
فعلهم * وقوله وان اكثرتم فاسقون معنى المحاورة هل تنقمون منا الا مجموع هذه
الحال من انا مومنون وانتم فاسقون كما تقول لمن تخاصمه هل تنقم مني لا ان
صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المتأولين وان اكثرتم معطوف على ما كانه
قال لا ان آمنا بالله وبكتبه وبان اكثرتم فاسقون وهذا مستقيم المعنى وقال اكثرتم
من حيث ان فيهم من آمن كابن سلام وغيره * وقوله سبحانه قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة يعنى مرجعا عند الله يوم القيامة ومنه واذا جعلنا البيت
مثابة للناس ومشى المفسرون في هذه الآية على ان الذين امر عليه السلام ان يقول
لهم هل انبئكم هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزوا ولعبا قال ذلك الطبري
وتوبع عليه ولم يسند في ذلك الى متقدم شيئا والآية تحتل ان يكون القول
للمومنين اي قل يا محمد للمومنين هل انبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقين في
وقت المرجع الى الله اولئك اسلافهم الذين لعنهم الله و غضب عليهم * وقوله
سبحانه وجعل هي بمعنى صير وقد تقدم قصص مسخهم قردة في البقرة وعبد
الطاغوت تقديرة ومن عبد الطاغوت وقراً جزء وحده وعبد الطاغوت بفتح العين
وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت وذلك ان عبد لفظ مبالغة كقُدس قال الفخر
قيل الطاغوت هنا العجل وقيل الطاغوت احبارهم وكل من اطاع احدا في معصية
الله فقد عبده انتهى ومكانا يحتمل ان يريد في الآخرة فالكان على وجهه اي
المحل اذ محلهم جهنم ويحتمل ان يريد في الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة
* وقوله سبحانه واذا جاءوك يعنى اليهود وخاصة المنافقين منهم قاله ابن عباس

وغيره * وقوله والله اعلم بما كانوا يكتنون اي من الكفر والرؤية هنا تختمل ان تكون
قلبية وان تكون بصرية وفي الاثم اي موجبات الاثم واللام في لبس لام قسم *
وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تخصيص في ضمنه توبيخ لهم قال الفخر
والمعنى هلا ينهاهم انتهى قال الطبري كان العلماء يقولون ما في القرآن آية هي
اشد توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا اخوف عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم
ما في القرآن آية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال نحو هذا ابن عباس
* وقوله سبحانه عن قولهم الاثم ظاهرة ان الاثم هنا يراد به الكفر ويحتمل ان يراد
سائر اقوالهم المنكرة في النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقرأ ابن عباس ببس
ما كانوا يصنعون بغير لام قسم * وقوله سبحانه وتعالى وقالت اليهود يد الله الى
قوله لا يحب المفسدين هذه الآية تعديد كبيرة في اقوالهم وكفرهم اي فمن يقول
هذه العظيمة فلا يستنكر نفاقه وسعيه في رد امر الله تعالى قال ابن عباس وجماعته
معنى قولهم التبخيل وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هذه المقالة يعنون
بها ان الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة تعالى الله عن قولهم وهذا المعنى يشبه ما
في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق الحديث وذكر الطبري والنقاش
ان هذه الآية نزلت في فتناس اليهودي وانه قالها * وقوله سبحانه غلت
ايديهم خبر يحتمل في الدنيا ويحتمل في الآخرة فان كان خبرا عن الدنيا فالمعنى
غلت ايديهم عن الخير والانفاق في وجوه البر ونحوه واذا كان خبرا عن الآخرة
فالمعنى غلت في النار قلت ويحتمل الامرين معا * وقوله تعالى بل يدها
مبسوطتان العقيدة في هذا المعنى نفى التشبيه عن الله سبحانه وانه ليس بجسم
ولا له جارية ولا يشبه ولا يُكَيَّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول

المبتلون علوا كبيرا قال ابن عباس في هذه الآية يداه نعمتاه ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين النعمتين فقليل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والظاهر ان قوله سبحانه بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكثرته يديه ومنه قول الاعشى

يداك يدا مجد فكف مفيدة * وكف اذا ماض بالمال تنفق
ويؤيد ان اليدين هنا بمعنى الانعام قرينة لانفاق ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام وليزیدن كثيرا منهم يعنى اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال سبحانه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو والبغضاء قد لا تتجاوز النفوس وقد القى الله سبحانه الامرين على بنى اسرائيل قال الفخر وقد اوقع الله بين فرقهم الخصومة الشديدة وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفي قوله والقينا بينهم العداوة الآية قولان احدهما ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى ذكرهم في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهذا قول الحسن ومجاهد والثانى ما وقع من العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحدة وبعضهم مشبهة وكذلك بين فرق النصارى كالملاكية والنسطورية واليعقوبية انتهى * وقوله سبحانه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى الآية كلما اوقدوا نارا لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا محمد عليه السلام والمؤمنين وباقي الآية بين * وقوله تعالى ولوان اهل الكتاب امنوا الآية هذه الآية تحتل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وتحتل ان يراد بها الاسلاف والمعاصرون

* وقوله سبحانه ولو انهم اقاموا التوراة اي اظهروا احكامها فهي كاقامة السوق
واقامة الصلاة * وقوله سبحانه والانجيل يقتضى دخول النصارى فى لفظ اهل
الكتاب فى هذه الآية قلت وقال مكي معنى اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا بما
فيهما واقرؤا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوءه انتهى من الهداية * وقوله
وما انزل اليهم من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء عليهم السلام
واختلف فى معنى من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى
لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله تعالى وقال الطبري وغيره ان الكلام
استعارة ومبالغة فى التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من قرنه الى قدمه * وقوله
سبحانه منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال والرفق
والتوسط الحسن فى الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من
اهل الكتاب قال * ع * وهذا هو الراجح * وقوله سبحانه يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك الآية هذه الآية امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام
بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه قد كان بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امرى
هذه الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته عليه السلام
تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقي منهم صلى الله
عليه وسلم عننا وربما خافهم احيانا قبل نزول هذه الآية فقال الله تعالى له بلغ ما
انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس قالت عائشة ام
المومنين رضي الله عنها من زعم ان مجدا كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية
والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقال عبد الله
ابن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقه اصحابه يحرسونه فلما نزلت
والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس الحقوا بلاحقكم فان الله

قد عصمى قلت وخرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة وكما
وجب عليه التبليغ عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه السلام بلغوا عني
ولو آية وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول نصر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه قرب حامل فقه الى
من ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه ابو داود واللفظ له
والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي هذا
حديث حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حسن صحيح انتهى من
السلاح وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية بسبب لاعرابي الذي
اخطرت سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقترله به قال ابن العربي قوله تعالى
والله يعصمك من الناس معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول
مكروههم اليك كعصم القربة الذي يمنع سيلان الماء منها ولعلمائنا في الآية
تاويلات اصحها ان العصمة عامة في كل مكروه وان الآية نزلت بعد ان شج وجهه
وكسرت ربايته صلى الله عليه وسلم وقيل انه اراد من القتل خاصة والاول اصح
وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض هذه العصمة بمكة في قوله تعالى انا
كفيناك المستهزين ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس كلهم انتهى
من كتابه في تفسير افعال الله الواقعة في القرآن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان
يقول لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي على شيء مستقيم حتى
تقيموا التوراة والانجيل وفي اقامتهما لايمان بنينا محمد عليه السلام قلت وهذه
الآية عندي من اخوف آية في القرآن كما اشار الى ذلك سفيان فتأملها حق
التأمل * وقوله سبحانه وما انزل اليكم من ربكم الآية يعنى به القرآن * وقوله
تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر

وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا لفظ عام لكل مومن من
ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيرها من الملل فكان اللفظ حصر بها
الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها وهذا هو تاويل الجمهور وقد مضى
الكلام في سورة البقرة فراجع هناك وقرأ الجمهور والصابون وقرأ خارج السبعة
والصابين وهي بينة لأعراب وأما على قراءة الجمهور فاختلف في أعرابها
ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه من المقدم الذي معناه التأخير كأنه
قال ان الذين ءامنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابون والنصارى كذلك قال * ص * ووجه
ثان ان خبر ان محذوف أي ان الذين ءامنوا لهم اجرهم وخبر الصابين من
آمن وما بعده قال ابن عصفور وهو حسن جدا اذ ليس فيه اكثر من حذف
خبر ان للفهم وهو جائز في فصيح الكلام انتهى قلت قال ابن مالك وهو سهل
من التقديم والتأخير وقيل ان الصابين في موضع نصب ولكنه جاء على لغة
بأحارث الذين يجمعون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على كل
حال قاله ابو البقاء وقيل غير هذا * وقوله سبحانه وحسبوا لا تكون فتنه المعنى
في هذه الآية وطن هؤلاء الكفرة بالله والعصاة من بنى اسرائيل ان لا يكون من الله
ابتلاء لهم واخذ في الدنيا فلجوا في شهواتهم وعموا فيها اذ لم يبصروا الحق وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعنى ويصم * وقوله سبحانه ثم تاب
الله عليهم قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس
بعد الاخراج الاول ورد ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا
الخروج الثانية ولم ينجبوا ابدا ومعنى تاب الله عليهم أي رجع بهم الى الطاعة
والحق ومن فصاحة القروان استناد هذا الفعل الشريف الى الله تعالى واستناد

العمى والصمم للذين هما عبارة عن الضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائلين ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم الآية فضلوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات * وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام * وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الآية اخبار مؤكدة كالذى قبله عن هذه الطائفة الناطقة بالتثليث وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم ولا معنى لذكر اقوالهم فى كتب التفسير * وقوله سبحانه ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان تصيف كما تقدم وجاز ان لا تصيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة * وقوله سبحانه وما من اله الا اله واحد الآية خبر صادق بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم توعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفع جل وعلا بهم بتخصيصه اياهم على التوبة وطاب المغفرة ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران والرحمة استجلابا للتائبين وتائسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال * ص * ليمس اللام فيه جواب قسم محذوف قبل اداة الشرط انتهى * وقوله تعالى وانه صديقة بناء مبالغة من الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها نبيية * وقوله سبحانه كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج الى الغذاء تنتفى معها الالهية ويوفكون معناه

يصرفون ومنه قوله عز وجل يوفك عنه من افك والارض المافوكة التي صرفت
عن ان ينالها المطر والمطر في الحقيقة هو المصروف ولكن قيل ارض مافوكة لما
كانت مافوكا عنها * وقوله تعالى قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم الآية الضرب يفتح الضاد المصدر وبضمها الاسم
وهو عدم الخير والسميع لا قوالهم والعليم بنيانهم والغلو تجاوز الحد من غلا السهم
اذا تجاوز الغرض المقصود وتلك المسافة هي غلوته وهذه المخاطبة هي للنصارى
الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع اهوائهم هم بنو اسرائيل
ووصف تعالى اليهود بانهم ضلوا قديما واصلوا كشييرا من اتباعهم ثم أكد الامر
بتكرار قوله تعالى واصلوا عن سواء السبيل * وقوله تعالى لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل الآية قال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا في
التوراة وفي الزبور والانجيل والفرقان * وقوله سبحانه كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه الآية ذم الله سبحانه هذه الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اي انهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وان نهى منهم ناه لم يمتنع عن
مواصلة العاصي ومواكلته وخطئته وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل من بنى اسرائيل كان اذا رأى اخاه على ذنب نهاه عنه
تغذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه ان يكون اكيله او خليطه فلما رأى
الله تعالى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم
داود وعيسى قال ابن مسعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكأ فجلس
وقال لا والله حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا والاجماع
على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهى بمعروف اي برفق وقول
معروف وامن الضرر عليه وعلى المؤمنين فان تعذر على احد النهي لشيء من

هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل العلم ليس من شروط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا * وقوله سبحانه ليس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق او قال كلمة عدل عند سلطان جائر او امير جائر انتهي * وقوله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ترى كثيرا يحتمل ان تكون رؤية عين فلا يريد الا معاصريه ويحتمل ان تكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم والذين كفروا عبدة الاوثان * وقوله سبحانه ليس ما قدمت لهم انفسهم الآيات اي قدمته للآخرة واجترحته ثم فسر ذلك قوله تعالى ان سخط الله عليهم فان سخط في موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم * وقوله تعالى والنبي ان كان المراد الاسلاف فالنبي داود وعيسى وان كان المراد معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بالنبي هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله سبحانه ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بنى اسرائيل وانه يعنى به المنافقين ونحوه لمجاهد * وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا الآية اللام في قوله لتجدن لام ابتداء وقال الزجاج هي لام قسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا هو الامر حتى الآن وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة للمؤمنين وكذلك المشركون عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل الاسلام من استشعروا

منه صحة دين ويستهيئون من فهموا منه الفسق فهم ان حاربوا فانما حربهم انفت لا ان شرعهم ياخذهم بذلك واذا سالموا فسلهم صاف واليهود لعنهم الله ليسوا على شيء من هذه الخلل بل شانهم الخبث واللي باللسنة والمكر والغدر ولم يصف الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين وفي قوله سبحانه الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى بانهم ليسوا على حقيقة النصرانية وانما هو قول منهم وزعم * وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا الآية معناه ذلك بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة وان لم يكونوا على هدى فهم يميلون الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط اهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها منتظولون في البنيان وامور الدنيا حتى كانهم لا يؤمنون بالآخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال الفخر القس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين انتهى ووصف الله سبحانه النصارى بانهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم مدحهم سبحانه فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع الآية قال النووي ينبغي للقارئ ان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخصوع فهذا هو المقصود المطلوب وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة او معظم ليلة يتدبرها وصعق جماعات منهم عند سماع القُرآن وقراءته ومات جماعات منهم ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة

العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله عز وجل ويخرون للأذقان يكون
ويزيدهم خشوعا وقد وردت آثار كثيرة في ذلك انتهى من الحلية للنووي
وذكر ابن عباس وابن جبير ومجاهد أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم
النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرؤه ويعرفوا حاله فقرأ النبي صلى
الله عليه وسلم عليهم القرآن فبكوا وامنوا ورجعوا إلى النجاشي فثامن ولم يزل مومنا
حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وروى أن نعش النجاشي
كشف للنبي عليه السلام فكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة
أن النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال
ابوصالح كانوا سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب
الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية في قرب المودة
عام فيهم ولا يتوجه أن يكون صدر الآية خاصا فيمن آمن وانما وقع التخصيص
من قوله تعالى واذا سمعوا وجاء الضمير عاما إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد
منهم وفي هذا استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليؤمنوا قال * ص *

ما عرفوا من الحق من الأولى لا ابتداء الغاية قال ابو البقاء ومعناها من أجل
الذي عرفوا ومن الثانية لبيان ما الموصولة انتهى قال العراقي تفيض أي تسيل
منها العبرة وفي الحديث اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا خرجه البزار
انتهى من الكوكب الدرري وفيه عن البزار أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار
حتى يعود اللبس في ضرعه انتهى وقولهم مع الشاهدين يعني نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابن عباس وغيره وقال الطبري لو قال قائل معنى
ذلك مع الشاهدين بنوحيدك من جميع العالم لكان صوابا وهو كلام صحيح

وكان ابن عباس خصص امته محمد لقول الله سبحانه وكذلك جعلناكم امته وسطا
الآية وقولهم وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة
لمن عارضهم من الكفار والقوم الصالحون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله
ابن زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر تعالى ما اثابهم به من النعيم على ايمانهم
واحسانهم ثم ذكر سبحانه حال الكافرين المكذبين وانهم قرءاء الجحيم * وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية قال ابن
عباس وغيره نزلت بسبب جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بلغت منهم المواعظ وخوف الله تعالى الى ان حرم بعضهم النساء وبعضهم النوم
بالليل والطيب وهم بعضهم بالاختصاص فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اما انا فاقوم وانام واصوم وافطروا اتى النساء وانال الطيب فمن رغب عن
سنتي فليس مني قال الطبري كان فيما يتلى من رغب عن سنتك فليس من
امتك وقد صل عن سواء السبيل والطيبات في هذه الآية المستلذات بدليل
اضافتها الى ما احل الله وبقرينة ما ذكر من سبب الآية * وقوله سبحانه
ولا تعتدوا قال عكرمة وغيره معناه في تحريم ما احل الله وقال الحسن بن ابي
الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله فالنهيان على هذا تضمنتا الطرفين
كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قلت وروى
مالك في الموطأ عن ابي النضر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
مات عثمان بن مظعون ومربجنازته ذهبَّت ولم تلبس منها بشيء قال ابو عمر
في التمهيد هذا الحديث في الموطأ مقطوع وقد روينا متصل مسندا من وجه
صالح حسن ثم اسند ابو عمر عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون
كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى

بكاء طويلا فلما رُفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها قال ابو عمر كان عثمان بن مظعون احد الفضلاء العباد الزاهدين في الدنيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبتلين منهم وقد كان هو وعلي بن ابي طالب هما ان يترهبيا ويتركا النساء ويقبلا على العبادة ويحرما طيبات الطعام على انفسهما فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية ونقل هذا معمر وغيره عن قتادة انتهى * وقوله سبحانه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان معناه شددتم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العنجا وشدوا فوقه الكربا
قال الفخر واما وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها فهو ما تقدم من ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم حرّموا على انفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية انتهى * وقوله سبحانه فكفارتها اطعام عشرة مساكين اي اشباعهم مرة واحدة وحكم هؤلاء ان لا يتكرر واحد منهم في كفارة يمين واحدة واختلف في معنى قوله سبحانه من اوسط فرأى مالكا وجماعة معه هذا التوسط في القدر ورأى ذلك جماعة في الصنف والوجه ان يُعم بلفظ الوسط القدر والصنف فرأى مالكا ان يطعم المسكين بالمدينة مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلاث وهذا لصيق المعيشة بالمدينة ورأى في غيرها ان يتوسع ورأى من يقول ان التوسط انما هو في الصنف ان يكون الرجل المكفر يتجنب ادنى ما ياكل الناس في البلد وينحط عن الاعلى ويكفر بالتوسط من ذلك ومذهب المدونة ان يراعي المكفر عيش البلد وتاويل العلماء في الحانث

في اليمين بالله انه مخير في الاطعام او الكسوة او العتق والعلماء على ان العتق افضل ذلك ثم الكسوة ثم الاطعام وبدأ الله تعالى عباده باليسر فلايسر قال الفخر وبدأ سبحانه بالاطعام لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه سبحانه يراعى التخفيف والتسهيل في التكاليف وثانيها ان الاطعام افضل قلت وهذا هو مشهور مذهب مالك انتهى ويجزئ عند مالك من الكسوة في الكفارة ما يجزئ في الصلاة * وقوله سبحانه او تحرير رقبة اي مومنة قاله مالك وجماعة لان هذا المطلق راجع الى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطي * وقوله سبحانه فمن لم يجد معناه لم يجد في ملكه احد هذه الثلاث المذكورة واختلف العلماء في حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء اذا كان المكفر لا يملك لا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم فان كان عنده زائد على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الاطعام قال الطبري وقال اخرون جائز لمن لم يكن له فضل على راس ماله الذي يتصرف به في معاشه ان يصوم وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود ثلاثة ايام متتابعات وقال بذلك جماعة وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزأ وقوله اذا حلفتم معناه واردم الحنث او وقعتم فيه * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية قال * ع * وفي معنى الازلام الزجر بالطير واخذ الفال في الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واخبر سبحانه ان هذه الاشياء رجس قال ابن عباس في هذه الآية رجس سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال * ع * الرجس كل مكروه ذميم وقد يقال للعذاب والرجز العذاب لا غير والركس العذرة لا غير والرجس يقال للامرين * وقوله سبحانه فاجتنبوه امر باجتنابه فحرمت الخمر بظاهر القرآن

ونص الاحاديث واجماع الامة وامر الخمر انما كان بتدريج ونوازل كثيرة كقصّة حمزة حين جَبَّ لاسنمة وقوله وهل انتم لاعبيد ابي ثم اعلم سبحانه عباده ان الشيطان انما يريد ان تقع العداوة بسبب الخمر وما يعتري عليها بين المؤمنين وبسبب الميسر اذ كانوا يتقامرون على الاموال حتى ربما بقي المقمور فقيرا فتحدث من ذلك صفائن وعداوات فان لم يصل الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجهّد العدو والبغضاء تنقص عرى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المؤمنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات والخمر والميسر والقمار كله من اعظم الآفات في ذلك وفي قوله سبحانه فهل انتم منتهون وعيد زائد على معنى انتهوا * وقوله سبحانه ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال ابن عباس وغيره لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الآية وهذا نظير سؤالهم عن من مات على القبلة الاولى والجناح الاثم والحرَج والتكرار في قوله سبحانه اتقوا يقتضى في كل واحدة زيادة على التى قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم وليست الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها واتقى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاميا احيانا اذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مومن عامل للصالحات متق في غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه وطعموا معناه ذاقوا فصاعدا في رتب الاكل والشرب وقد

يستعار للنوم وغيره وحقيقته في حاسة الذوق * وقوله سبحانه يا ايها الذين
ءامنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم ليرى طاعتكم من معصيتكم
وقوله بشيء يقتضى تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل ان تكون
لبيان الجنس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * وقوله تعالى ليعلم
الله من يخافه بالغيب معناه ليستمر عليه تعالى عليه وهو موجود اذ قد علم تعالى
ذلك في الازل وبالغيب قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه
فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب من الناس اي في الخلوة ممن خاف
الله انتهى قلت وقول الطبري اظهر ثم نوءد تعالى من اعتدى بعد النهي بالعذاب
الاليم وهو عذاب الآخرة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم الآيتة الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فوقع على الحيوان المصيد
ولفظ الصيد هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا ما استثنى وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والجذأة والفارة
والعقرب والكلب العقور واجمع الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا في
كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذي يدخل في الحرم اوفى الاحرام واختلف
في قوله متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فهذا يكفر
واما ان كان ذاكرا لاحرامه فهو اعظم من ان يكفر وقد حل ولا رخصة له وقال
جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد
للقتل اذاكر لاحرامه فهو يكفر وكذلك الناسى والقاتل خطأ يكفران وقرأ نافع
 وغيره فجزاء مثل باضافة الجزاء الى مثل وقرأ حزة وغيره فجزاء بالرفع مثل بالرفع
ايضا واختلف في هذه المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور الى ان الحكيمين
ينظران الى مثل الحيوان المقتول في الخلقة وعظم المراءى فيجعلان ذلك من

النعم جزاءه وذهب الشعبي وغيره الى ان المماثلة انما هي في القيمة يقوم الصيد
المقتول ثم يشتري بقيمته ند من النعم ورد الطبري وغيره هذا القول والنعم لفظ
يقع على الابل والبقر والغنم اذا اجتمعت هذه الاصناف فان انفرد كل صنف
لم يقل نعم لا للابل وحدها وقصر القراءن هذه النازلة على حكيمين عدلين عالين
بحكم النازلة وبالتقدير فيها وعلى هذا جمهور الناس قال ابن وهب في العتبية
من السنة ان يخير الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله تعالى في ان يخرج
هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدى
حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك
شاة لانها ادنى الهدى فما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير في ان يطعمه
او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك قال مالك في المدونة اذا اراد المصيب ان
يطعم او يصوم فان كان لما اصاب نظير من النعم فانه يقوم صيده طعما لا دراهم
قال وان قوماه دراهم واشتري بها طعام لرجوت ان يكون واسعا والاول اصبوب
فان شاء اطعمه والا صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك على شهرين او ثلاثة
وقال يحيى بن عمر من اصحابنا انما يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد
فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك
الطعام وان شاء صام عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد تكون قيمة
الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الاطعام * وقوله تعالى هديا بالغ
الكعبة ذكرت الكعبة لانها ام الحرم والحرم كله منحر لهذا الهدى ولا بد ان
يجمع في هذا الهدى بين الحل والحرم حتى يكون بالغ الكعبة فالهدى لا
ينحر الا في الحرم واختلف في الطعام فقال جماعة لا طعام والصوم حيث شاء
المكفر من البلاد وقال عطاء بن ابي رباح وغيره الهدى والا طعام بكثرة والصوم

حيث شئت * وقوله سبحانه ليزدق وبال امره الذوق هنا مستعار والوبال
سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذى يتأذى به بعد اكله وعبر بامره عن جميع
حاله من قتل وتكفير وحكم عليه ومُضَيّ ماله او تعبته بالصوم واختلف في
معنى قوله سبحانه عفا الله عما سلف الآية فقال عطاء بن ابي رباح وجاعة
معناه عفا الله عما سلف في جاهليتهم من قتلكم الصيد في الحرمة ومن عاد الآن
في الاسلام فان كان مستحلاً فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر في ظاهر الحكم وان
كان عاصياً فالنقمة هي في الزام الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفر
قال * ع * ويخاف المتورعون ان تبقى النقمة مع التكفير وهذا هو قول
الفقهاء مالك ونظرانه واصحابه رجهم الله وقال ابن عباس وغيره اما المتعمد فانه
يكفر اول مرة وعفا الله عن ذنبه فان اجتراً وعاد ثانياً فلا يحكم عليه ويقال له
ينتقم الله منك كما قال الله تعالى * وقوله سبحانه والله عزيز ذو انتقام
تنبيه على صفتين تقتضيان خوف من له بصيرة ومن خاف ازدرج ومن هذا
المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
قلت والصيد لله مكره وروى ابو داود في سننه عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن
اتى السلطان افتتن انتهى * وقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً
لكم الآية البحر الماء الكثير مالحاً كان او عذبا وكل نهر كبير بحر وطعامه هو كل ما
قذى به وما طفا عليه قاله جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب
مالك ومتاعاً نصب على المصدر والمعنى متعمكم به متاعاً تنتفعون به وتأندمون
ولكم يريد حاضري البحر ومدنه وللسيارة المسافرين واختلف في مقتضى
قوله سبحانه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً فتلقاه بعضهم على العموم من

جميع جهاته فقالوا ان المحرم لا يحل له ان يصيد ولا ان يامر من يصيد ولا ان ياكل صيدا صيد من اجله ولا من غير اجله وان لحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى باسا للمحرم ان ياكل ما صاده حلال لنفسه او لحلال مثله وقال بمثل قول عمر عثمان بن عفان والزبير ابن العوام وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من الحمار الذي صاده ابو قتادة وهو حلال والنبي عليه السلام محرم ثم ذكر سبحانه بامر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير ولما بان في هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمه بالا حرام من اجل الكعبة وانها بيت الله تعالى وعنصر هذه الفضائل ذكر سبحانه في قوله جعل الله الكعبة البيت تنبيها سنه في الناس وهداهم اليه وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم ان الكعبة قوام والهدي قوام والقلائد قوام اي امر يقوم للناس بالتأمين ووضع الحرب او زارها وأعلم تعالى ان التزام الناس لذلك هو مما شرعه وارتضاه وجعل في هذه الآية بمعنى صير والكعبة بيت مكة وسمي كعبة لتربيعة قال اهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة وذهب بعض المتأولين الى ان معنى قوله تعالى قياما للناس اي موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبادات وضبط النفوس في الشهر الحرام ومع الهدي والقلائد قال مكى معنى قياما للناس اي جعلها بمنزلة الرئيس الذى يقوم به امر اتباعه فهي تجزهم عن ظلم بعضهم بعضا وكذلك الهدي والقلائد جعل ذلك ايضا قياما للناس فكان الرجل اذا دخل الحرم امن من عدوه واذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له وكان الرجل اذا اراد الحج تقلد بقلادة من شعر واذا رجع تقلد بقلادة من لحاء شجر الحرم فلا يعرض له ولا يؤذى حتى يصل الى اهله قال ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك

تدفع عن بعضهم ظلم بعض فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض انتهى من الهداية والشهر هنا اسم جنس والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب وشهر مصر وهو رجب واما الهدي فكان امانا لمن يسوقه لانه يعلم انه في عبادة لم يات لحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السمُر او غيره شيئا فكان ذلك امانا له وكذلك اذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم وقوله ذلك اشارة الى ان جعل الله هذه الامور قياما * وقوله سبحانه بكل شيء عليم عام عموما تاما في الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا الحاد في الدين وكفر * وقوله سبحانه ما على الرسول الا البلاغ الآية اخبار للمؤمنين مضمنه الوعيد ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ الرسول اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قلت قال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال فايما قلب رماه موثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله ما عرف الحق من لم يؤثره وما اطاعه من لم يشكره انتهى * وقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية لفظ عام في جميع الامور فيتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع جميل العاقبة وينظر الى هذه الآية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والخبيث هو الفساد الباطن في الاشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك * وقوله سبحانه فاتقوا الله يا اولى الالباب تنبيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل وخص اولوا الالباب بالذكر لانهم المتقدمون في ميز هذه الامور والذين لا ينبغي لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن

اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية اختلف الرواة في سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسبما هو معلوم في الروايات فزجرهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية واشياء اسم لجمع شيء قال ابن عباس معنى الآية لا تسألوا عن اشياء في ضمن الانبياء عنها مساءة لكم اما بتكليف شرعي يلزمكم واما بخبر يسوءكم ولكن اذا نزل القرآن بشيء وابتدأكم ربكم بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله وبيانه بُيِّنَ لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ان يكون في معنى الوعيد كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته قال النووي وعن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها روايناه في سنن الدارقطني انتهى وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامرفاتوا منه ما استطعتم انتهى وعفا الله عنها معناه تركها ولم يُعَرَفَ بها قد سألتها قوم من قبلكم الآية قال الطبري يقوم صالح في سؤالهم الناقية وكبني اسرائيل في سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم قديما التعمق في الدين من انبيائها ثم لم تف بما كلفت * وقوله سبحانه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية اي لم يجعل سبحانه شيئا من ذلك ولا سنه لعبادة المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره من رؤسائهم يفترون على الله الكذب بقولهم هذه قربة الى الله واكثرهم يعنى الاتباع لا يعقلون بل يتبعون هذه

الأمور تقليدا وجعل في هذه الآية لا يتجه ان تكون بمعنى خلق ولا بمعنى
صير وانما هي بمعنى ماسن ولا شرع قال * ص * ما جعل ذهب ابن
عطية والزمخشري الى انها بمعنى شرع قال ابن عطية ولا تكون بمعنى خلق
لان الله تعالى خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني قال ابو
حيان ولم يذكر النحويون لها هذا وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها
قليلًا فتحمل هذه على حذف المفعول الثاني اي ما صير الله بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حاميا مشروعا وهو اول من اثبات معنى لم يسمع فيها وذكر ابو
البقاء انها هنا بمعنى سَمَى انتهى قلت وحاصل كلام ابى حيان انه شهادة على
نفي وعلى تقدير صحته فيحمل كلام ابن عطية على انه تفسير معنى لا تفسير
اعراب وبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وبَحَرَ شَقَّ كانوا اذا نتجت الناقة عشرة
بطون شقوا اذنبا بنصفين طولاً فهي مبحورة وتركزت ترعى وترد الماء ولا ينتفع
بشيء منها ويحرم لحمها اذا ماتت على النساء ويحلل للرجال وذلك كله
ضلال والسائبة هي الناقة تسبب للآلهة والناقة ايضا اذا تابعت ثنتي عشرة
اناثا ليس فيهن ذكر سببت وكانت السوائب ايضا في العرب كالقربة عند
المرض يُبرأ منه والقُدوم من السفر واذا نزل باحدهم امر يشكر الله تعالى عليه
تقرب بان يسبب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره يرون ذلك
كعتق بنى ادم ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه
النوق فاخذها او انتفع منها بشيء فانه تاحقه عقوبة من الله والوصيلة قال
اكثر الناس ان الوصيلة في الغنم قالوا اذا ولدت الشاة ثلاثة بطون او خمسة
فان كان اخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وان كان عَنافا استحويوها وان كان
جدي وعناق استحويوها وقالوا هذه العناق وصلت اخاها فمنعته من ان يذبح

وعلى ان الوصيلة في الغنم جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن ابن
المسيب ان الوصيلة من الابل واما الحامي فانه الفحل من الابل اذا ضرب في
الابل عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد ولده قالوا
حمى ظهره فسيبوه لا يركب ولا يسخر في شيء . وعبرة الفخر وقيل الحامي
الفحل اذا ركب ولد ولده انتهى قلت والذي في البخاري والحام فحل الابل
يضرب الضراب المعداد واذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل
فلم يحمل شيء عليه وسموه الحامي انتهى * وقوله سبحانه واذا قيل لهم
يعنى لهؤلاء الكفار المستتين بهذه الاشياء تعالوا الى ما انزل الله يعنى القرآن
الذى فيه التحريم الصحيح قالوا حسبنا معناه كفانا * وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الآية قال ابو ثعلبة الخشني
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك بخويصة نفسك وذُرْ عوامهم فان وراكم اياما اجر العامل فيها كاجر
خمسین منكم وهذا هو التاويل الذى لا نظر لاحد معه لانه مستوف للصالح
صادر عن النبي عليه السلام وجملته ما عليه اهل العلم في هذا ان الامر بالمعروف
متعين متى رجي القبول او رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الامر ضررا
يحقه في خاصته او فتنة يدخلها على المسلمين اما بشق عصا واما بضرر
ياحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم محكم واجب ان يوقف
عنده * وقوله سبحانه الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون هذا
تذكير بالحق وما بعده وذلك مسئل عن امور الدنيا مكروها ومحبوها روي
عن بعض الصالحين انه قال ما من يوم الا ويحى الشيطان فيقول ما تاكل وما

تلبس واين تسكن فاقول له أكل الموت والبس الكفن واسكن القبر قال * ع *
فمن فكر في مرجعه الى الله سبحانه فهذا حاله قلت وخرج البغوي في
المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس انكم
تعملون اعمالا تعزب عنكم الى يوم القيامة وتوشك العوازب ان تثوب الى اهلها
فمسرور بها ومكظوم انتهى من الكوكب الدرري والله المستعان * وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
الآية الى قوله يوم يجمع الله الرسل قال مكي هذه الآيات عند اهل المعاني
من اشكل ما في القرءان اعرابا ومعنى وحكما قال * ع * وهذا كلام من لم
يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله نستعين لا نعلم خلافا
ان سبب هذه الآية ان تيمما الداري وعدي بن بداء وكنا نصرانيين سافرا الى
المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة ايضا ابن ابي مارية مولى
عمرو بن العاصي يريد الشام تاجرا قال الفخروكان مسلما فخرجوا رفاقة فمرض
ابن ابي مارية في الطريق واوصى الى تميم وعدي ان يؤديا رحله الى اوليائه
من بنى سهم وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئى الناس من هذه
الآية غيرى وغير عدي بن بداء وذكر القصة الا انه قال وكان معه جام فضة
يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف وقسمنا ثمنه فلما اسلمت بعد
قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهلهم
فاخبرتهم الخبر واديت خمسمائة فوثبوا الى عدي فاتوا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحلف عمرو بن العاصي ورجل اخر معه ونزعت من عدي خمسمائة
قال * ع * واختلفت الفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود الامر ولم تصح
لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد صنفه في الصحابة بعض

المتأخرين ولا وجه عندى لذكره فى الصحابة. واما معنى الآية من اولها الى اخرها فهو ان الله سبحانه اخبر المؤمنين ان حكمه فى الشهادة على الموصى اذا حضره الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان فى سفر وهو الضرب فى الارض ولم يكن معه من المؤمنين احد فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما وأدىا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهدنا به حق ما كتمنا فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا او نحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اولياء الموصى فى السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب ابى موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وابى مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى قوله منكم اي من المؤمنين ومعنى من غيركم اي من الكافرين قال بعضهم وذلك ان الآية نزلت ولا مومن الا بالمدينة وكانوا يسافرون فى التجارة مع انواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابى موسى لاشعري وغيره ان الآية محكمة ومذهب جماعة منهم انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وبما عليه اجماع جمهور الناس ان شهادة الكفار لا تجوز قال * ع * ولنرجع الآن الى الاعراب ولنقص القول المفيد لان الناس خطوا فى تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفى تبسيين الحق الذى تتلقاه الاذهان بالقبول مقنع والله المستعان فقله تعالى شهادة بينكم هي الشهادة التى تحفظ لتؤدى ورفعها بالابتداء والخبر فى قوله اثنان وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قارب الحضور والعامل فى اذا المصدر الذى هو شهادة وهذا على ان تجعل اذا بمنزلة حين لا تحتاج الى جواب ولك ان

تجعل اذا في هذه الآية المحتاجة الى الجواب لكن استغني عن جوابها بما
تقدم في قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغي ان
يشهد وقوله حين الوصية ظروف زمان والعامل فيه حضروا شئت جعلته
بدلاً من اذا وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة ايضاً بعد صفة
وقوله من غيركم صفة لاخران وقوله تحبسونهما صفة لاخران ايضاً واعترض
ببين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد الاعتراض ان
العدول الى اخرين من غير الملة انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت
فيه واستغني عن جواب ان لما تقدم من قوله او آخران من غيركم وقال
جمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر وقال ابن عباس انما هي صلاة الذميين
واما العصر فلا حرمة لها عندهما والفاء في قوله فيقسمان عاطفة جملة على
جملة لان المعنى تم في قوله من بعد الصلاة وقوله ان ارتبتم شرط لا يتجه
تحليف الشاهدين الا به والضمير في قول الحالفين لا نشترى به عائد على
القسم او على اسم الله وقوله لا نشترى جواب يقتضيه قوله فيقسمان بالله
لان اقسام ونحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان وقوله ثمن اي ذا ثمن وخص
ذو القربى بالذكر لان العرب اميل الناس الى قراباتهم واستسهالهم في جنب
نفعهم ما لا يستسهل وقوله ولا نكتم شهادة الله اضاف الشهادة اليه تعالى
من حيث هو الامر باقامتها الناهي عن كتمانها وروي عن الشعبي وغيره شهادة
بالتنوين الله بقطع الالف دون مد وخفض الهاء وقال ايضاً يقف على الهاء
من شهادة بالسكون ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم وروي عنه
كان يقرأ آله بمد الف للاستفهام في الوجهين اعني بسكون الهاء من شهادة
وتحريكها منونة منصوبة ورويت هذه التي هي تنوين شهادة ومد الف

لاستفهام بعد عن علي بن ابي طالب قال ابو الفتح انما تسكن هاهنا شهادة في الوقف عليها * وقوله سبحانه فان عثر استعارة لما يقع على علمه بعد خفائه واستحقاقا انما معناه استوجابه من الله وكانا اهلا له لانهما ظلما وخانا * وقوله تعالى فاحران اي اذا عثر على خيانتهم فأوليان باليمين واقامة القضية . اخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق عليهم حظهم او نصيبهم او مالهم او ما شئت من هذه التقديرات وقرأ نافع وغيره استحق مضمومة التاء والاوليان على تشنية الاولى وروي عن ابن كثير استحق بفتح التاء وكذلك روى حفص عن عاصم وفي قوله استحق استعارة لانه لا وجه لهذا الاستحقاق الا الغلبة على الحال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقربائه او لاهل دينه فاستحق هنا كما تقول لظالم يظلمك هذا قد استحق علي مالي او منزلي بظلمه فتشبهه بالمستحق حقيقة اذ تصور صورة وتملك تملكه وهكذا هي استحق في الآية على كل حال وان اسندت الى النصيب ونحوه وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابي بكر استحق بضم التاء لاوليين على جمع اول ومعناها من القوم الذين استحق عليهم امرهم اذ غلبوا عليه ثم وصفهم بانهم اولون اي في الذكر في هذه الآية وذلك في قوله اثنان ذوا عدل منكم ثم بعد ذلك قال او آخران من غيركم وقوله فيقسمان يعنى الآخرين اللذين يقومان مقام شاهدي الزور وقولهما لشهادتنا اي لما اخبرنا نحن به وذكرناه من نص القصة احق مما ذكرناه او لا وحرفاء وما اعتدينا في قولنا هذا وقولهما انا اذا لمن الظالمين تبتر في صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم * وقوله تعالى ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمانهم بعد ايمانهم الآية للاشارة بذلك هي الى جميع ما حد قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين

ثم ان عشر على جورهما ردت اليمين وغرما فذلك كله اقرب الى اعتدال هذا الصنف فيما عسى ان ينزل من النوازل لانهم يخافون الفضيحة ورد اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير في ياتوا او يخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى ذلك الحكم كله اقرب الى ان ياتوا واقرب الى ان يخافوا وباقي الآية بين * وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذهب قوم الى ان العامل في يوم ما تقدم من قوله تعالى لا يهدى وذلك ضعيف ورصف الآية وبراعتها انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدر اما اذكر او تذكر او احذروا ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق وهم المكلمون اولا وما ذا اجبتم معناه ما ذا اجابتمكم الامم وهذا السؤال للرسل انما هو لتقوم الحجية على الامم واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا قال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع وقاله الحسن وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا الا ما علمتنا انت اعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو اصوب هذه المناحي لانه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الامر اليه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فرأوا التسليم والخضوع لعلمه المحيط سبحانه قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهو اختيار الطبري وقيل لما كان السؤال عاما يقتضى بعمومه سؤالهم عن سر الامم وعلايتها ردوا الامر اليه اذ ليس عندهم الا علم الظاهر قال مكي وهذا القول احب لاقوال الي قال ومعنى مسألة الله الرسل عما اجيبوا انما هو لمعنى التوبيخ لمن ارسلوا اليه كما قال تعالى واذا المودودة سنلت

انتهى من الهداية * وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك الآية قال هنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه فى القيامة تقدمه لقوله سبحانه انت قلت للناس * وقوله سبحانه واذ تخرج الموتى اى من قبورهم وكف بنى اسرائيل عنه عليه السلام هورفعه حين احاطوا به فى البيت مع الحواريين وكذلك منعه منهم قبل ذلك الى تلك النازلة الاخيرة فهناك ظهر عظم الكف * وقوله سبحانه واذ اوحيت الى الحواريين هو من جلة تعديد النعم على عيسى عليه السلام واوحيت فى هذا الموضع اما ان يكون وحي الهام او وحي امر وبالجملته فهو القاء معنى فى خفاء اوصله سبحانه الى نفوسهم كيف شاء والرسول فى هذه الآية عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله سبحانه ويحتمل ان يكون لعيسى * وقوله سبحانه اذ قال الحواريون الآية اعتراض اثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن للاعتراض اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته بنازلة الحواريين فى المائدة اذ هي مثال نافع لكل امة مع نبيا تقتدى بحاسنه وتزدجر عما ينفر منه من طلب الآيات ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقم منه اجابة اليه ولم يكن منهم هذا شك فى قدرة الله سبحانه اذ هم اعرف بالله من ان يشكوا فى قدرته وقرأ الكسائي هل يستطيع ربك بالياء ونصب الباء من ربك والمعنى هل يستطيع سؤال ربك وادغم اللام فى التاء اعنى الكسائي وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة فى صدر الامر قبل علمهم بانه يبرئ الاكهم والابرص ويحي الموتى ويظهر من قوله عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مومنين انكار لقولهم واقتراحهم الآيات والتعرض لسخط الله بها وقلته طمانينتهم الى ما قد ظهر ولما خاطبهم عليه السلام بهذه المخاطبة صرحوا

بمقاصدهم التى حلتهم على طلب المائدة فقالوا نريد ان ناكل منها فنشرف فى العالم وتطمئن قلوبنا اى تسكن فكرنا فى امرك بالمعاينة لامر نازل من السماء باعيننا ونعلم علم الضرورة والمشاهدة ان قد صدقتنا فلا تعرضنا الشبه التى تعرض فى علم الاستدلال وهذا يؤيد ان مقالتهم كانت فى مبدأ امرهم ثم استمروا على ايمانهم وصبروا وهلك من كفر وقولهم ونكون عليها من الشاهدين اى من الشاهدين بهذه النازلة الناقلين لها الى غيرنا الداعين الى هذا الشرع بسببها وروي ان الذى نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح هو ان عيسى قال لهم مرة هل لكم فى صيام ثلاثين يوما لله سبحانه ثم ان سألتموه حاجة قضاها فلما صاموها قالوا يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم فهل يستطيع ربك فارادوا ان تكون المائدة عيد ذلك الصوم * وقوله سبحانه قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآيت اى اجابهم عيسى عليه السلام الى ما سألوا فيروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلى ويبكى والعيد المجتمع وقوله لاولنا واخلنا روي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لجمعينا اولنا واخلنا قال فاكل من المائدة حين وضعت اول الناس كما اكل اخرهم واية منك اى علامة على صدقى فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال انى منزلها عليكم ثم شرط عليهم سبحانه شرطه المتعارف فى الامم انه من كفر بعد اية الاقتراح عذب اشد عذاب والجمهور ان المائدة نزلت كما اخبر الله سبحانه واختلفوا فى كيفية ذلك فقال ابو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزاً وسمكاً وقال عطية المائدة سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اين ما نزلوا اذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سألوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تحبثوا او تخونوا فان فعلتم عذبتم قال

فما مضى يوم حتى خبثوا وخانوا يعنى بنى اسرائيل فمسحوا قردة وخنازير وقال
ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليهم لايدى بكل طعام
الا اللحم واكثر الناس فى قصص المائدة مما رأيت اختصاره لعدم سنده * وقوله
سبحانه واذا قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى
الهيمن من دون الله الآية اختلف المفسرون فى وقت وقوع هذا القول فقال
السدي وغيره لما رفع الله عيسى الى السماء قالت النصارى ما قالت وزعموا ان
عيسى امرهم بذلك فسأله تعالى عن قولهم فقال سبحانك الآية ويجيى على
هذا قوله وان تغفر لهم اي فى التوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء فى
الدنيا وقال ابن عباس وجهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقوله
الله له على رموس الخلائق فيرى الكفار تبريه منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه
باطل فقال على هذا التاويل بمعنى يقول ونزل الماضى موضع المستقبل لدلالته
على كون الامر وثبوته وقوله ااخرا وان تغفر لهم معناه ان عذبت العالم كله
فبحقك فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك وان غفرت
وسبق ذلك فى عليك فلانك اهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع
لك فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزى عنهم مع علمه بانهم كفره
قد حتم عليهم العذاب وهذا القول عندى ارجح ويتقوى بما ياتى بعد وهو
قوله سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها
لك عن ان يقال هذا وينطق به ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اي
ما يكون لبشر محدث ان يدعي الالهية ثم قال ان كنت قلته فقد علمته لانك
احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوفق الله عيسى لهذه الحجة
البالغة وقوله تعلم ما فى نفسى خص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء

على المعلومات والمعنى ان الله سبحانه يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل امره مما عسى ان لا يكون في نفسه وقوله ولا اعلم ما في نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها لا يجاز وهذا ينظر من طرف خفي الى قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قاد اليها طلب المقابلة اللفظية اذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى بانه سبحانه علام الغيوب اي ولا علم لي انا بغيب وقوله فلما توفيتني اي قبضتني بالرفع والتصيير في السماء والرقيب الحافظ المراعى وقوله فانك انت العزيزاي في قدرتك الحكيم في افعالك والمعنى ان يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك وان يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مومن بالله سبحانه وكل ما كان اثنى فهو اذ دخل في العبارة وجاءت هذه العبارة مشيرة الى عيسى عليه السلام في حاله وصدقه فيحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر تعالى ما اعدة لهم برجته وطوله جعلنا الله منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا مرجو في الدارين سواه وباقي الآية بين جعل الله ما كتبناه من هذه الاحرف نورا يسعى بين ايدينا بمنه والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام قيل كلها مكية الا آيات يسيرة

قال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يجأرون

بالتسبيح قالت وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور قال علي بن عبد الرحمن اليفرنى فى شرحه للبرهانية قال لامام الفخر لفظ الحمد معرّفا لا يقال الا فى حق الله عزوجل لانه يدل على التعظيم ولا يجوز ان يقال الحمد لزيد قاله سيبويه وذكر ابن العربي فى القانون عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد وابلغ الحمد الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفى بعض الآثار ما من نعمة عظمت الا والحمد لله اعظم منها انتهى قال * ع * وجعل هاهنا بمعنى خلق ولا يجوز غير ذلك قال قتادة والسدي وجمهور من المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال * ع * وهذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين فى اللغة عن ظاهرة الحقيقي الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذى برئ القروان منه والنور ايضا هنا للجنس * وقوله تعالى ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها الموجبة لحمده وتوحيده قد تقرر وآياته قد سطعت وانعامه بذلك على العباد قد تبين فكان الواجب عليهم اخلاص التوحيد له ثم هم بعد هذا كله بربهم يعدلون اي يُسَوِّون ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا فى هذا الموضع كل من عبد شيئا سوى الله الا ان السابق من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب لمجاورتهم له ولفظ الآية ايضا يشير الى المانوية العابدين للنور

القائلين ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام * وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فالمعنى خلق آدم من طين * وقوله سبحانه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف فى هذين الاجلين فقال الحسن بن ابى الحسن وغيره اجلا اجل الانسان من لدن ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت موته الى حشره ووصفه بمسمى عنده لانه استأثر سبحانه بعلم وقت القيامة وقال ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى الآخرة وقيل غير هذا وتمتروا معناه تشكون * وقوله سبحانه وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام فى هذه الآية ان حلول الله فى الاماكن مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان واذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة فى المعنى كانه قال وهو الله المعبود فى السموات وفى الارض وعبر بعضهم بان قدر وهو الله المدبر للامر فى السموات والارض وقال الزجاج فى متعلقة بما تضمنه اسم الله من المعانى كما يقال امير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب قال * ع * وهذا عندى افضل لا قول واكثرها احرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه اراد ان يدل على خلقه واثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها فى قوله وهو الله اى الذى له هذه كلها فى السموات وفى الارض كانه قال وهو الله الخالق الرازق المحيى المحيط فى السموات وفى الارض كما تقول زيد السلطان فى المشرق والمغرب والشام والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصد قولك الامر الناهى الناقص المبرم الذى يعزل ويولى فى المشرق والمغرب فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحاً صحيحاً فكذلك فى الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت

فرقة وهو الله ابتداء وخبرتم الكلام عنده ثم استأنف وتعلق قوله في السموات
بمفعول يعلم كأنه قال وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض * وقوله
تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون خبر في ضمنه تحذير وزجر وتكسبون
لفظ عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال * وقوله سبحانه وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين تضمنت هذه الآية مذمة هؤلاء الذين
يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل آية وكذبوا بالحق وهو محمد عليه السلام
وما جاء به قال * ص * من آية من آيات ربهم من الأولى زائدة
للاستغراق وما بعدها فاعل بقوله تأتيهم ومن الثانية للتبعض انتهى * وقوله
تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون هذا وعيد لهم شديد وهذه
العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الآخرة *
وقوله سبحانه ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
لكم هذا حص على العبرة والرؤية هنا رؤية القلب والقرن لامة المقترنة في مدة
من الزمن واختلف في مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة وقيل
غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن
قال عياض في الاكمال واختلف في لفظ القرن وذكر الحربي فيه الاختلاف من
عشر سنين الى مائة وعشرين ثم قال يعنى الحربي وليس منه شيء واضح
وأرى القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى والضمير في مكناهم عائد
على القرن والمخاطبة في لكم هي للمومنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر
الناس والسماء هنا المطر ومدارا بناء تكثير ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة
* وقوله سبحانه وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين انشأنا اخترعنا وخلقنا ويظهر من
الآية ان القرن انما هو وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال * وقوله تعالى ولونزلنا

عليك كتابا في قرطاس الآية لما اخبر عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية اتبع ذلك باخبار فيه مبالغة والمعنى ولو نزلنا بمرأى منهم عليك كتابا اي كلاما مكتوبا في قرطاس اي في صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين * وقوله سبحانه وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يصدق محمدا في نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس وغيره في الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الامر بعدا بهم ولم ينظروا حسبا سلف في كل امة اقترحت بآية وكذبت بعد ان اظهرت اليها وقالت فرقة لقضي الامر اي لما اتوا من هول رؤية الملك في صورته ويؤيد هذا التاويل ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل مجمعون ان ذلك لانهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فاز قد تتعقد انهم لا يطيقون رؤية الملك في صورته فالاول في قوله لقضي الامر اي لما اتوا لهول رؤيته ثم لا ينظرون اي لا يؤخرون ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون في حرب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول في السحاب اقدم حيزوم فانكشف قناع قلب احدهما فمات لهول ذلك فكيف برؤية ملك في خلقته وللبنسنا اي لفعلنا لهم في ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به وذلك لا يحسن قلت وفي البخاري وللبنسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا * وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالاسوة في الرسل وتقوية لنفسه على محاجة المشركين واخبار يتضمن وعيد مكذبيه والمستهزئين به وحاق معناه نزل واحاط وهي مخصوصة في الشريقال

حاق يحقق حيفا * وقوله سبحانه قل سيروا في الارض حص على الاعتبار بشائر
من مضى من فعل مثل فعلهم * وقوله سبحانه قل لمن ما في السموات والارض
قل لله قال بعض اهل التاويل تقدير الكلام قل لمن ما في السموات والارض فاذا
تحيروا فلم يجيبوا قل لله والصحيح من التاويل ان الله عز وجل امر نبيه عليه
السلام ان يقطعهم بهذه الحجّة والبرهان القطعي الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا
عند احد ليتقعد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه
فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما
في السموات والارض ثم سبّهم فقال لله اي لا مدافعة في هذا عندكم ولا عند
احد تم ابتداء يخبر عن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وانفذها
وفي هذا المعنى احاديث صحيحة ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فاسكت عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض
جزوا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن
ولدها خشية ان تصيبه ولمسلم في طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين
السماء والارض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري
وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي طريق سبقت غضبي الى غير
ذلك من الاحاديث انتهى قال * ع * فما اشقى من لم تسعه هذه
الرحمات تغمدنا الله بفضل منه ويتضمن هذا الاخبار عن الله سبحانه بانه
كتب الرحمة تانيس الكفار ونفي يأسهم من رحمة الله اذا انابوا واللام في قوله
ليجمعنكم لام قسم والكلام مستأنف وهذا اظهر الاقوال واصحها * وقوله سبحانه
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون الذين رفع بالابتداء وخبره فهم لا يؤمنون

* وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار الآية وله عطف على قوله لله وسكن هي من السكنى ونحوه اي ما ثبت وتقرر قاله السدي وغيره وقالت فرقة هو من السكن وهو ضعيف * وقوله تعالى قل اغير الله اخذ وليا فاطر السموات والارض الآية قال الطبري وغيره امر عليه السلام ان يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه الى عبادة اوثانهم فتحيي الآية على هذا جوابا لكلامهم قال * ع * وهذا يحتاج الى سند والفصيح انه لما قرر معهم ان الله تعالى له ما في السموات والارض وله ما سكن في الليل والنهار امر ان يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف اغير الله الذي هذه افعاله اخذ وليا بمعنى ان هذا خطأ بين ممن يفعلوه والولي لفظ عام لمعبود وغير ذلك ثم اخذ في صفات الله تعالى فقال فاطر بخفض الراء نعت لله عز وجل قال * ص * فاطر الجهور بالجرو وجهه ابن عطية وغيره على انه نعت لله وابو البقاء على انه بدل وكأنه رأى الفصل بين البدل والمبدل اسهل لان البدل في المشهور على نية تكرار العامل انتهى وفطر معناه ابتدع وخلق وانشأ وفطر ايضا في اللغة شق ومنه هل ترى من فطور اي من شقوق ويطعم ولا يطعم المقصود به يرزق ولا يرزق * وقوله قل اني امرت الى عظيم قال المفسرون المعنى اول من اسلم من هذه الامة وبهذه الشريعة ولفظة عصيت عامة في انواع المعاصي ولكنها هاهنا انما تشير الى الشرك المنهي عنه واليوم العظيم هو يوم القيامة وقرأ نافع وغيره من يصرف عنه مسندا الى المفعول وهو الضمير العائد على العذاب وقرأ حزة وغيره من يصرف باسناد الفعل الى الضمير العائد الى ربي ويعمل في ضمير العذاب المذكور لكنه محذوف وقوله وذلك اشارة الى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوز النجاة * وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو يمسسك معناه يصبك وينلك

والضر بضم الصاد سوء الحال في الجسم وغيره وبفتحها ضد النفع ومعنى الآية
الاخبار ان الاشياء كلها بيد الله ان صرفلا كاشف لضره غيره وان اصاب بخير
فكذلك ايضا وعن ابن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما
فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامّة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليكم رفعت الاقلام
وجفت الصحف رويته في الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير
الترمذي زيادة احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك
وفي اخره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال
النووي هذا حديث عظيم الموقع انتهى من الحلية وقرأت فرقة واوحى الي
هذا القرآن على بناء الفعل للفاعل ونصب القرآن وفي اوحى ضمير يعود على الله
تعالى * وقوله لا نذكركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور بلاغ القرآن أي لا
نذكركم وانذر من بلغه ففى بلغ ضمير محذوف لانه في صلة من محذوف
لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلم وردي في معنى التاويل الاول احاديث
وطاهر الآية انها في عبدة الاصنام وذكر الطبري انه قد ورد من وجه لم تثبت
صحته انها في قوم من اليهود قالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال لهم لا اله
الا الله وبذلك امرت فنزلت الآية والله اعلم وامر الله سبحانه نبيه عليه
السلام ان يعلن بالتبري من شهادة الكفرة والاعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبري
من اشراكهم قال الغزالي في الاحياء وينبغي للتالى ان يقدر انه المقصود بكل خطاب

في القروان فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور وكذا ان سمع وعدا او وعيدا وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار قال تعالى وكل نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال واوحى الي هذا القروان لا نذركم به ومن بلغ قال محمد ابن كعب القرظي من بلغه القروان فكانما كلمه الله عز وجل انتهى * وقوله سبحانه الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قتادة وغيره يعرفون محمدا عليه السلام وقوله الذين خسروا انفسهم آية روي ان كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فالمؤمنون ينزلون منازل اهل الكفر في الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة في النار فهنا هي الخسارة البينة والربح للآخرين وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم * وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشيء ولاعجاب به وتقال بمعنى الاختبار ومن قال ان اصل الفتنة لاختبار من فتنن الذهب في النار ثم يستعار بعد ذلك في غير ذلك فقد اخطأ لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع عليه باستحالة حقيقته في الموضع الذي استعير له كقول ذي الرمة * ولَفَ الثريا في ملاءته الفجر * ونحوه والفتنة لا يستحيل ان تكون حقيقة في كل موضع قيلت عليه وباقي الآية مضي تفسيره عند قوله سبحانه ولا يكتنمون الله حديثا فانظروا هناك قال * ع * وعبر قتادة عن الفتنة هنا بان قال معذرتهم وقال الضحاک كلامهم وقيل غير هذا مما هو في ضمن ما ذكرناه * وقوله سبحانه انظر كيف كذبوا على انفسهم هذا خطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا في امر لم يقع اذ هي حكاية عن يوم
القيامة فلا اشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل ويفيدنا استعمال
الماضي تحقيقا في الفعل واثباتا له. وهذا مهيع في اللغة وصل عنهم معناه ذهب
افتراؤهم في الدنيا وكذبهم على الله * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية اكنة جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه اي
يفهموه والوقر النقل * وقوله سبحانه وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها الروية
هنا روية العين يريد كانشقاق القمر وشبهه وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين
اشارة الى القروان والاساطير جمع اسطار كاقوال واقاويل واسطار جمع سطر او سطر
وقيل اساطير جمع إسطورة وهي الترهات وقيل جمع أسطورة كعجوبة واضحوة
وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشمايط والمعنى اخبار الاولين
وقصصهم واحاديثهم التي تسطر وتحكى ولا تحقق كالتواريخ وانما شبهها الكفار
باحاديث النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية عن رستم ونحوه ومجادلة
الكفار كانت مرادتهم نور الله باقوالهم المبطله وهم ينهاون عنه قال قتادة وغيره
المعنى ينهاون عن القروان وقال ابن عباس وغيره ينهاون عن النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ينهاون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي البعد قال
* ص * وان يهلكون ان نافية بمعنى ما وانفسهم مفعول بيهلكون انتهى
وما يشعرون معناه ما يعلمون علم حس ونفسي الشعور مذمة بالغة اذ البهائم
تشعر وتحس فاذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه العلم النفي العام الذي
يقتضى انه لا يعلم ولا المحسوسات * وقوله جلت عظمته ولو ترى اذ وقفوا
على النار الآية المخاطبة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف
تقديره في اخر الآية لرايت هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حسوا ويحتمل

قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قاله الطبري ويحتمل ان يكون اشرفوا عليها وعابوها وقولهم يا ليتنا نرد معناه الى الدنيا * وقوله سبحانه بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل الآية يتضمن انهم كانوا يخفون امورا في الدنيا فظهرت لهم يوم القيامة او ظهر وبأل ذلك وعاقبته فحذى المصاف واقيم المصاف اليه مقامه وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا ذلك الخوف ليلا يشعر بهم اتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح ان يكون مقصد الآية الاخبار عن هول ما لقوه فعبّر عن ذلك بانهم ظهرت لهم مستوراتهم في الدنيا من معاص وغيرها فكيف الظن بما كانوا يعلنونه من كفر ونحوه وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى في تعظيم شان يوم القيامة يوم تبلى السرائر * وقوله سبحانه ولوردوا لعادوا اخبار عن امر لا يكون كيف كان يوجد وهذا النوع مما استأثر الله تعالى بعلمه فان اعلم بشيء منه علم ولا لم يتكلم فيه قال الفخر قال الواحدي هذه الآية من الادلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة لان الله تعالى حكى عن هؤلاء انهم لوردوا لعادوا لما نهوا عنه وما ذاك الا للقضاء السابق فيهم انتهى * وقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا على تاويل الجمهور ابتداء كلام واخبار عنهم بهذه المقالة وان نافية ومعنى الآية عنهم التكذيب بالحشر والعودة الى الله * وقوله سبحانه اليس هذا بالحق لاشارة بهذا الى البعث الذي كذبوا به في الدنيا وقولهم بلى وربنا ايمان ولكنه حين لا ينفع * وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى باشرؤ مباشرة الذائق وبغته معناه فجأة تقول بغتني الامر اي فجأني ومنه قول الشاعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة * واقطع شيء حين يفجأك البغت

ونصبتها على المصدر في موضع الحال وقولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء

الحسرة على تعظيم الامر وتشنيعه وفرطنا معناه قصرنا والضمير في قوله فيها عائد على الساعة اي في التقدمة لها قاله الحسن ويحتمل ان يعود الضمير على الدنيا اذ المعنى يقتضيها وتجيء الظرفية امكن قلت قال عبد الحق في العاقبة لا يعرف مقدار الحياة الا الموتى لانهم قد ظهرت لهم الامور وانكشفت لهم الحقائق وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلموا مقدار ما ضيعوا قيمة ما فيه فرطوا ندموا واسفوا وودوا انهم الى الدنيا رجعوا فالذى عمل صالحا ودا ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمله الصالح ويكثر من تجرة الرباح والمقصود انه لو رد ليستدرك ما فيه فرط وقد قال عليه السلام ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع خرجه الترمذي انتهى * وقوله تعالى وهم يحملون السوا والاحمال ولاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال ومن قال انه من الوزر وهو الجبل الذى يلجأ اليه فهو قول غير بين وقال الطبري وغيره هذا على جهة الحقيقة ورووا في ذلك خبرا ان المؤمن يلقاه عمله في احسن صورة وافوحها فيسلم عليه ويقول طال ما ركبتك في الدنيا واجهدتك فاركنى اليوم قال فيحمله تمثال العمل وان الكافر يلقاه عمله في افسح صورة وانتها فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى في الدنيا بشهواتك فانار كبتك اليوم قال فيحمله تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره قلت ولاحاديث الصحيحة في معنى ما ذكره الطبري كثيرة كاحاديث مانعى الزكاة وغيرها قال مكي وروى المقبري عن ابي هريرة في حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرئ مؤمن عمله وبعث مع الكافر عمله فلا يرى المؤمن شيئا يروعه ولا

شيئا يفزعده ويخافه الا قال له عمله ابشر بالذى يسرك فانك لست بالذى يراد بهدا ولا يرى الكافر شيئا يفزعده ويروعده ويخافه الا قال له عمله ابشريا عدو الله بالذى يسوءك فوالله انك لانت الذى تراد بهذا انتهى * وقوله سبحانه وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو الآلية هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا والمعنى انها اذ كانت فانية لا طائل لها اشبهت اللعب واللهو الذى لا طائل له اذا تنقضى وهذه الآلية تتضمن الرد على قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وهو المقصود بها قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رجك الله ان حب الدنيا هو سبب طول الامل والاكباب عليها يمنع من الفكرة فى الخروج عنها والجهل بغوانها يحمل على الارادة لها والازدياد منها لان من احب شيئا احب الكون معه والازدياد منه ومن كان مشغوبا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها وامالته برونقها كيف يحب مفارقتها او يحب مزاييلتها هذا امر لم تجر العادة به ولا حدثننا عنه بل نجد من كان على هذه الصفة اعمى عن طريق الخير اصم عن داعى الرشد افسن الراي سىئ النظر ضعيف الايمان لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يرى انما دينه وشغله وحديثه دنياه لها ينظر ولها يسمع قد ملأت عينه وقلبه ثم قال واعلم ان اهل القبور انما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يُقَدِّمون فما عليه اهل القبور يندمون اهل الدنيا عليه يقتتلون انتهى * وقوله سبحانه قد نعلم الآلية نعلم اذا كانت من الله تعالى تتضمن استمرار العلم وقدمه فهي تعم الماضي والحال والاستقبال قلت ونحو هذا لابي حيان قال وعبر هنا بالمضارع لان المراد الاتصاف بالعلم واستمراره ولم يلاحظ فيه الزمان كقولهم فلان يعطى ويمنع انتهى وقرأ نافع وحده ليحزنك من احزن وقرأ الباقر ليحزنك من حزن الرجل وقرأ ابن كثير وابوعمره وابن عامر وعاصم وحمزة لا يكذبونك بتشديد الذال وفتح الكاف

وقراها ابن عباس وردها على قارئى قرأ عليه يكذبونك بضم الياء وقال انهم كانوا يسمونه لامين وقرأ نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك اي لا يعتقدون كذبتك وانهم يعلمون صدقتك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما وهذا تاويل فتادة والسدي وغيرهما وحكي عن طائفة من الكفار انها كانت تقول انا لنعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امانا به فضلنا بنو هاشم بالنبوة فنحن لا نومن به ابدا رويت هذه المقالة عن ابي جهل ومن جرى مجراه واسند الطبري ان جبريل وجد النبي صلى الله عليه وسلم حزينا فسأله فقال كذبتى هؤلاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القران تعطيه ويجحدون حقيقته في كلام العرب لانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار * وقوله سبحانه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية قال ابن جريج والضحاك عزى الله بهذه الآية نبيه عليه السلام ثم قوى سبحانه رجاء نبيه فيما وعده من النصر بقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لا راد لامره وكلماته السابقة بما يكون فكأن المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتى وثق بهذا الاخبار فانه لا مبدل له * وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية فيها الزام الجحمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه حتى يبين ان لا وجه لا الصبر والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن فان كنت تقدر على دخول سرب في اعماق الارض او على ارتقاء سلم في السماء فافعل اي ولست بقادر على شيء من هذا ولا بُد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين في ان تأسف وتحزن على امر ارادة الله وامضاه

وروى الدارقطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب احدكم هم او حزن فليقل سبع مرات الله الله ربى لا اشرك به شيئا انتهى من الكوكب الدرري وتانيهم بآية ابي بعلامة وقال مكى والمهدوي الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ قلت وما قاله * ع * فيه عندى نظر لان هذا شان التأويل اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مكيا رحمه الله نقل هذا القول عن غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اي ممن لا يعلم ان الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه وقيل معنى الخطاب لامته النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين ومثله في القرآن كثير انتهى من الهداية * وقوله سبحانه انما يستجيب الذين يسمعون هذا من النمط المتقدم في التسليّة اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعى الايمان الذين يفهمون الآيات وينلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم وهذه لفظة تستعملها الصوفية رضي الله عنهم اذا بلغت الموعظة من احد مبلغا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى والموتى يريد الكفار اي هم بمثابة الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن المؤمنين وبالصفة التى تشبه حالهم فى العمى عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد والحسن وقتادة ويبعثهم الله يحتمل معنيين قال الحسن معناه يبعثهم بان يؤمنوا حين يوفقهم وقراءة الحسن ثم اليه ترجعون بالتاء من فوق فتناسبت الآية وقال مجاهد وقتادة والموتى يريد الكفار يبعثهم الله اي يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اي الى سطوته وعقابه يرجعون * وقوله سبحانه وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه لولا تخصيص بمعنى هلا ومعنى الآية هلا نزل على محمد بيان واضح كملكك يشهد له او كنز

او غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا ثم امر عليه السلام بالرد عليهم بان الله عز وجل قادر على ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون انها لو نزلت ولم يومنها لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون انه سبحانه انما جعل الانذار في آيات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل آخرون * وقوله سبحانه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى في هذه الآية التنبيه على آيات الله الموجودة في انواع مخلوقاته المنصوبة لمن فكر واعتبر كالذباب والطير ويدخل في هذين جميع الحيوان وهي امم اي جماعات ماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر ويحتمل ان يريد بالماثلة في كونها امما لا غير لا ان الفائدة في هذه الآية بان تكون الماثلة في اوصاف غير كونها امما قال الطبري وغيره والماثلة في انها يهتبل باعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها من بعض على ما روي في الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون عقلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون فيما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقتضى بينهما وقال مكى الماثلة في انها تعرف الله وتعبده وقوله بجناحيه تأكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة اذ يقال طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره في عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه في المقسمات فقوله تعالى بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله * وقوله سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء التفريط التقصير في الشيء مع القدرة على تركه التقصير قال ابو حيان اصل فرطنا ان يتعدى بفي ثم يضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول به وهو هنا كذلك فيكون من شيء في موضع المفعول به انتهى والكتاب القران وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآيات وقيل اللوح المحفوظ ومن شيء

على هذا القول عام في جميع الاشياء وعلى القول بأنه القراءان خاص وبحشرون
قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالاحاديث المضمنة ان الله
تعالى يقتص للجما من القراء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة
فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها * وقوله سبحانه والذين كذبوا
بآياتنا صم وبكم الآية كانه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء الا فيه آية منصوبة
دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يتلقون
ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآية انها تعم كل مكذب وقال النقاش نزلت في بنى
عبد الدار قال * ع * ثم تنسحب على سواهم وقوله في الظلمات ينوب
عن عمي وفي الظلمات اهل عبارة وافصح ووقع في النفس قال ابو حيان في
الظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هم في الظلمات او صفة لبيكم اي كائنون في
الظلمات او حال من الضمير المقدر في الخبر اي صالون في الظلمات انتهى
* وقوله سبحانه قل ارايتكم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء والمعنى
ارايتم اذا خفتكم عذاب الله او خفتكم هلاكاً او خفتكم الساعة ادعون اصنامكم
وتأجسون اليها في كشف ذلك ان كنتم صادقين في قولكم انها الهة بل انما
تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء وتنسون اصنامكم اي
تتركونهم فعبعن الترك باعظم وجوهه الذي هو مع الترك ذهول واغفال فكيف
يجعل لاهاً من هذه حاله في الشدائد والازمات * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم في الكلام حذف تقديره فكذبوا فاخذناهم اي
تابعناهم بالبأساء والآية والبأساء المصائب في الاموال والضرر في الابدان هذا قول
الاكثر وقيل قد يرصع كل واحد بدل الآخر والتصرع التذلل والاستكانة ومعنى
الآية توعد الكفار وضرب المثل لهم ولولا تخصيص وهي التي تلى الفعل بمعنى

هلا وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب واطهار سوء فعله مع تحسر ما عليه قلت
اي مع تحسر ما باعتبار حالة البشر * وقوله سبحانه فلما نسوا ما ذكروا به الآية
عبر عن الترتك بالنسيان وفتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من النعم الدنيوية بعد
الذى اصابهم من البأساء والضراء وفرحوا معناه بطروا واعجبوا وظنوا ان ذلك لا
يبيد وانه دال على رضى الله عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روي عن بعض
العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى
عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما
يشاؤون على معاصيهم فذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية كلها واخذناهم
في هذا الموضع معناه استأصلناهم بغتة اي فجأة والبلس الحزين الباهت اليأس من
الخير الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال * وقوله تعالى فقطع دابر
القوم الآية الدابر اخر القوم الذى ياتى من خلفهم وهذه كناية عن استيصال
شافتهم ومحو آثارهم كأنهم وردوا العذاب حتى ورد اخرهم الذى دبرهم وحسن
الحمد عقب هذه الآية لجمال الافعال المتقدمة فى ان ارسل سبحانه الرسل
ولطف فى الاخذ بالبأساء والضراء ليتضرع اليه فيرحم وينعم وقطع فى اخر الامر
دابر ظلمة وذلك حسن فى نفسه ونعمة على المؤمنين فحسن الحمد عقب
هذه الافعال وبحمده سبحانه ينبغي ان يُختتم كل فعل وكل مقال اذ هو الحمود
على كل حال لا رب غيره ولا خير الا حيره * وقوله تعالى قل ارايتكم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم الآية اخذ معناه اذهب والضمير فى به عائد على الماخوذ
ويصدفون معناه يعرضون وينفرون ومنه قول الشاعر

اذا ذكرن حديثا فلن احسنه * وهن عن كل سوء يُتقى صدق

* وقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة الآية وعيد وتهديد قال

* ع * رأيتم عند سيبويه تننزل منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقوله بغتة معناه لم يتقدم عندكم منه علم وجهرة معناه تبدوا لكم مخايله ومباده ثم يتوالى حتى ينزل قال الحسن بن ابى الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد بغتة فجأة امنين وجهرة وهم ينظرون قال ابو حيان هل يهلك هل حرف استفهام معناه هنا النفي اي ما يهلك ولذلك دخلت لا على ما بعدها انتهى * وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي لا ليبشروا بانعامنا ورحمتنا من آمن ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر قال ابو حيان مبشرين ومنذرين حال فيها معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار انتهى ثم وعد سبحانه من سلك طريق البشارة فآمن واصلح في امثال الطاعة واوعد الآخرين * وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك الآيت هذا من الرد على القائلين لولا نزل عليه آية والطالبين ان ينزل ملك او تكون له جنة او كنز ونحو هذا والمعنى انما انا بشر وانما اتبع ما يوحى الي وهو القرآن وسائر ما ياتيه من الله سبحانه اي وفي ذلك عبرة آيات لمن تأمل * وقوله سبحانه قل هل يستوى الاعمى والبصير اي هل يستوى المومن المفكر في الآيات مع الكافر المعرض عن النظر افلا تتفكرون وجاء الامر بالفكرة في عبارة العرض والتحضيض * وقوله تعالى وانذر به اي وانذر بالقرآن الذين هم مظنة لايمان واهل للانتفاع والصمير في به عائد على ما يوحى * وقوله سبحانه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اخبار من الله سبحانه عن صفة الحال يوم الحشر قال الفخر قوله لعلمهم يتقنون قال ابن عباس معناه وانذرهم لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي انتهى * وقوله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي المراد

بالذين ضعفت المومنين في ذلك الوقت في امور الدنيا كبلال وصهيب وعمار
وخباب وصبيح وذى الشمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآية ان بعض اشراف
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنا واقدارنا لا يمكننا ان نختلط
بهؤلاء فلو طردتهم لا تبغناك ورد في ذلك حديث عن ابن مسعود وظاهر الامر
انهم ارادوا بذلك الخديعة فنزلت الآية ويدعون ربهم بالغداة والعشي
قال الحسن بن ابى الحسن المراد به صلاة مكة التى كانت مرتين فى اليوم
بكرة وعشيا وقيل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وان الزمان
معمر به والمراد على هذا التأويل قيل الصلوات الخمس قاله ابن عباس وغيره
وقيل الدعاء وذكر الله واللفظة على وجهها وقيل القرآن وتعلمه قاله ابو جعفر
وقيل العبادة قاله الضحاك * وقوله تعالى يريدون وجهه قلت قال
الغزالي فى الجواهر النية والعمل بهما تمام العبادة فالنية احد جزئي العبادة
لكنها خير الجزئين ومعنى النية ارادة وجه الله سبحانه بالعمل قال الله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى اخلاصها
تصفية الباعث عن الشوائب ثم قال الغزالي واذا عرفت فضل النية وانها تحل
حدقة المقصود فاجتهد ان تستكثر من النية فى جميع اعمالك حتى تنوي
بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك لهديت لطريق رشدك انتهى
* وقوله سبحانه ما عليك من حسابهم من شيء قال الحسن والجمهور اى
من حساب عملهم والمعنى انك لم تكلف شيئا غير دعائهم وقوله فتطردم
هو جواب النفي فى قوله ما عليك وقوله فتكون جواب النهي فى قوله ولا
تطرد * وفتنا بعضهم ببعض اى ابتلينا وليقولوا معناه ليصير بحكم القدر امرهم الى
ان يقولوا على جهة الاستخفاف والهز اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاللام

في ليقولوا لام الصيرورة * وقوله سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين اي
يا ايها المستخفون ليس الامر امر استخفاف فالله اعلم بمن يشكر نعمه * وقوله
سبحانه واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية قال جمهور
المفسرين هؤلاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بان امر سبحانه
ان يسلم النبي عليه السلام عليهم ويؤنسهم قال خباب بن الارت لما نزلت واذا
جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية فكنا ناتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول
لنا سلام عليكم ونقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية فكان يقعد معنا فاذا بلغ الوقت الذي
يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم وسلام عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت او واجب
عليكم والمعنى امنت لكم من عذاب الله في الدنيا والآخرة ولفظه لفظ الخبر وهو
في معنى الدعاء قال الفخر قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس
ها هنا بمعنى الذات والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى مقدس عنه انتهى
قلت قال ابن العربي في كتاب تفسير الافعال الواقعة في القرآن قوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة قال علماؤنا كتب معناه اوجب وعندي انه
كتب حقيقة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق القلم فقال له اكتب
فكتب ما يكون الى يوم القيامة انتهى وقرأ عاصم وابن عامر انه بفتح الهمزة في
الاول والثانية فانه الاول بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء مضمرة تقديره
فامر انه غفور رحيم هذا مذهب سيبويه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائي انه بكسر الهمزة في الاول والثانية وقرأ نافع بفتح الاول وكسر الثانية
والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبه بها وذلك ان المتعمد
لفعل الشيء الذي قد نهى عنه تسمى معصيته تلك جهالة قال مجاهد من

الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ان يركب الامر قلت اي
يتعمده ومن الجهالة التي لا تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم في استعاذته
او اجعل او يجهل علي ومنها قول الشاعر

لا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال الفخر قال الحسن كل من عمل معصية فهو جاهل فقليل المعنى انه جاهل
بمقدار ما فاتته من الثواب وما استحقه من العقاب قلت وايضا فهو جاهل بقدر
من عصاه انتهى والاشارة بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات الى ما تقدم من
النهي عن طرد المؤمنين وبيان فساد منزع العارضين لذلك وتفصيل الآيات
تبيينها وشرحها واطهارها قلت ومما يناسب هذا المحل ذكر شيء مما ورد في
فصل المصافحة وقد اسند ابو عمر في التمهيد عن عبد الرحمن بن الاسود عن
ابيه وعلقمة انهما قالا من تمام التحية المصافحة وروى مالك في الموطأ عن
عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل
وتهادوا تحابوا وتذهب الشحنة قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث يتصل
من وجوه شتى حسان كلها ثم اسند ابو عمر من طريق ابى داود وغيره عن البراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر
لهما قبل ان يتفرقا ثم اسند ابو عمر عن البراء بن عازب قال لقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان
المصافحة للعجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان
فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة لا القيت دنوبهما بينهما
واسند ابو عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
التقى المسلمان فتصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذي بدأ

بالمصافحة وعشرة للذى صوفح وكان احبهما الى الله احسنهما بشراً بصاحبه انتهى
وقد ذكرنا طرفاً من آداب المصافحة فى غير هذا الموضع فقف عليه واعمل به
ترشد فان العلم انما يراد للعمل وبالله التوفيق وخص سبيل المجرمين بالذكر
لانهم الذين آثروا ما تقدم من الاقوال وهو اهم فى هذا الموضع لانها آيات رد
عليهم وايضا فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المؤمنين وتأول ابن زيد ان
قوله المجرمين معنى به الآمرون بطرد الضعفة * وقوله سبحانه قل انى
نهييت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهلواكم الآيه امر الله
سبحانه نبيه عليه السلام ان يجاهرهم بالتبرى مما هم فيه وتدعون معناه
تعبدون ويحتمل ان يريد تدعون فى اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادهم
الاصنام الهة * وقوله تعالى قل انى على بينة من ربى المعنى قل انى
على امر بين وكذبتم به الضمير فى به عائد على بين او على الرب وقيل على
القرآن وهو جلي وقال بعض المفسرين الضمير فى به الثانى عائد على ما والمراد
بها الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين وقيل المراد به العذاب وهو
يترجح من وجهين احدهما من جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن
انكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب الا انه ليس عندى والآخر من جهة لفظ
الاستعجال الذى لم يات فى القرآن الا للعذاب واما اقتراحهم للآيات فلم
يكن باستعجال * وقوله ان الحكم الا لله اى القضاء والانفاذ ويقص الحق اى
يخبر به والمعنى يقص القصص الحق وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما يقضى الحق
اى ينفذه * وقوله سبحانه قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر
بينى وبينكم المعنى لو كان عندى الآيات المقترحة او العذاب على التأويل
الآخر لقضى الامر اى لوقع الانفصال وتم النزاع لظهور الآيه المقترحة او لنزول

العذاب بحسب التأويلين وقيل المعنى لقامت القيامة وقوله والله اعلم
بالظالمين يتضمن الوعيد والتهديد * وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا
يعلمها الا هو مفاتيح جمع مفتاح وهذه استعارة عبارة عن التوصل الى الغيوب كما
يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب ولو كان جمع مفتاح لقال مفاتيح ويظهر
ايضا ان مفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم اي مواضع تفتح عن المغيبات ويؤيد
هذا قول السدي وغيره مفاتيح الغيب خزائن الغيب فاما مفتاح بالكسر فهو بمعنى
مفتاح قال الزهراوي ومفتاح اوضح وقال ابن عباس وغيره الاشارة بمفاتيح الغيب
هي الى الخمسة في ما اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الآيت قلت وفي صحيح
البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ما اذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي
ارض تموت ان الله عليم خبير انتهى * وقوله سبحانه من ورقته اي من
ورق النبات ولا حبة في ظلمات الارض يريد في اشد حال التغيب وحكى
بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقط من اولاد بنى
آدم والحبة يراد بها الذى ليس بسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد
به الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي
ان يلتفت اليه * وقوله تعالى الا في كتاب مبين قيل يعنى كتابا على الحقيقة
ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون
ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المشار اليه ليتحققوا صحة ما كتبوه وقيل المراد
بقوله الا في كتاب علم الله عز وجل المحيط بكل شيء قال الفخر وهذا هو الاصول
ويجوز ان يقال ذكر تعالى ما ذكر من الورقة والحبة تنبيهها للمكلفين على امر

الحساب انتهى قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما في الارض شجرة ولا مغرز
ابرة الا عليها ملك موكل ياتى الله بعلمها ببسها اذا يبست ورطوبتها اذا
رطبت وقيل المعنى في كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلوا ان هذا الذى ليس
فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف ما فيه ثواب او عقاب انتهى من الهداية
* وقوله سبحانه وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى به النوم ويعلم ما جرحتم اي
ما كسبتم بالنهار ويحتمل ان يكون جرحتم هنا من الجرح كأن الذنب جرح في
الدين والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد ويعبشكم يريد به الايقاظ والضمير
في فيه عائد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفى
اي يوقظكم في التوفى اي في خلاله وتضاعفه قاله عبد الله بن كثير وليقضى
اجل مسمى المراد به اجل بنى ادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم
ينبئكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة ففى هذه الآية ايضاح الآيات
المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث
على نحو ما * وقوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل
اي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب فيصير ان تجعل فوق ظرفية للجهة
لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى
القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على
حد ما تقول الياقوت فوق الحديد والاحرار فوق العبيد ويرسل عليكم معناه يبثهم
فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الاعمال وروي
انهم الملائكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض المفسرين حفظة
يحفظون لانسان من كل شيء حتى ياتي اجله والاول اظهر وقرأ حمزة وحده توفاه

* وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا ابي العباد الى الله مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذى ليس بباطل ولا مجاز لا له الحكم كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو اسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد فى يوم واحد قال كما يرزقهم فى الدنيا فى يوم واحد * وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الآية هذا تماد فى توبيخ العادلين بالله الاوثان وتركهم عبادة الرحمن الذى ينجي من الهلكات ويُلجأ اليه فى الشدائد ودفع الملمات وظلمات البر والبحر يريد بها شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقة وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذوكواكب يريدون به الشدة قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه فى موضع الحال والتضرع صفة بادية على الانسان وخفية معناه الاختفاء وقرأ عاصم فى رواية ابي بكر وخفية بكسر الخاء وقرأ لاعمش وخيفة من الخوف * وقوله سبحانه قل الله ينجيكم منها الآية سبق فى المجادلة الى الجواب اذ لا محيد عنه ومن كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح العموم الذى فى الظلمات ثم انتم اي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له انتم تشركون * وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم الآية هذا اخبار يتضمن الوعيد والاطهر من نسق آيات ان هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي بن كعب وجماعة هو للمؤمنين وهم المراد وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما يظهر من ان الآية تغناول معانيها المشركين والمؤمنين وفى البخاري وغيره من حديث جابر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قل

هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه اهون او ايسر فاحتج بهذا الحديث من قال انها نزلت في المؤمنين قال الطبري وغيره ممنع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لامته من هذه الاشياء التي توعدها الكفار وهتّن الثالثة لانها بالمعنى هي التي دعا فيها فمنع حسب حديث الموطأ وغيره ومن فوقكم او من تحت ارجلكم لفظ عام للمنطقيين على الانسان وقال السدي عن ابي مالك من فوقكم الرجم او من تحت ارجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير ومجاهد * وقوله سبحانه او يلبسكم شيئا معناه يخلطكم فرقا والبأس القتل وما اشبهه من المكاره وفي قوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات استرجاع لهم وان كان لفظها لفظ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم فمضمونها ان هذه الآيات والدلائل انما هي لاستصرا فهم عن طريق غيهم والفقّه الفهم * وقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق الضمير في به عائد على القرآن الذي فيه جاء تصريح الآيات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا اليه الطبري وقوله قل لست عليكم بوكيل معناه لست بمدفوع الى اخذك بالايمان والهدى وهذا كان قبل نزول آيات الجهاد والامر بالقتال ثم نسخ * وقوله سبحانه لكل نبي مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه من كذبه وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد * وقوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون في الخطاب معه هذا هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشملهم واياه فامر النبي صلى الله عليه وسلم هو

والمؤمنون ان ينادوا الكفار بالقيام عنهم اذا استهزوا وخاصوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء قلت وبدل على دخول المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انتهى والخوض اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء * واما ينسينك اما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقرأ ابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين وفتح النون والمعنى واحد لا ان التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصفهم بالظالمين متمكن لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه واعرض في هذه الآية بمعنى المفارقة على حقيقة الاعراض واكمل وجوهه وبدل على ذلك فلا تقعد * وقوله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء روي انه لما نزلت فلا تقعدوا معهم قال المؤمنون اذا كنا لا نقرب المشركين ولا نسمع اقوالهم فلا يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين يتقون الآية قال * ع * فلا باحة في هذا هي في القدر الذي يحتاج اليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها وقيل ان هذه الآية الاخيرة ليست اباحة بوجه وانما معناها لا تقعدوا معهم ولا تقرّبوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس نهيككم عن القعود لان عليكم شيئاً من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم يتقون بالامساك عن الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم للمؤمن ان يمثل حكم هذه الآية مع الملاحدين واهل الجدل والخوض فيه وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم بببيت في ربص

الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت في اعلى الجنة لمن حسن خلقه خرجه ابو داود انتهى من الكوكب الدرري وقد ذكرنا هذا الحديث من غير طريق ابى داود بلفظ اوضح من هذا * وقوله سبحانه وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هذا امر بالمشاركة وكان ذلك بحسب قلة المسلمين يومئذ قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الآية انما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله تعالى ذنبي ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغتروا بنعم الله وامهاله وطمعهم ذلك فيما لم يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء مومن مقبل على اخرته قد جعل الموت نصب عينيه ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتر بها الحمقى بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه وقد روى البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله تعالى في اي اوديتها هلك انتهى من الكوكب الدرري * وقوله سبحانه وذكر به اي بالقرآن وقيل الضمير في به عائد على الدين وان تبسل في موضع المفعول له اي ليلا تبسل ومعناه تسلم قاله الحسن وعكرمة وقال قتادة تحبس وترهن وقال ابن عباس تفصح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها متقاربة المعنى ومنه قول الشنفرى

هنالك لا ارجو حياة تسرنى * سمير الليالى مبسلا بالجرائر
وباقى الآية بين وان تعدل كل عدل اي وان تعط كل فدية وان عظمت فتجعلها
عدلا لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل المضاد للجور وردة

الطبري بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال * ع * ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل قلت واجلى من هذا ان يحمل كلام ابى عبيدة على معنى انه لا يقبل منها عدلها لاختلال شرطه وهو الايمان وابسلوا معناه أسلموا بما اجترحوه من الكثر والحميم الماء الحار ومنه الحمام والحممة * وقوله سبحانه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل فى احتياجك انطيع رأيكم فى ان ندعو من دون الله والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فايها يعبد وعليه يتوكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى وهي المشية الدنية فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير الى شر * وقوله سبحانه كالذى استهوته الشياطين فى الكلام حذف تقديره رد اكرد الذى واستهوته بمعنى استدعت هواه وامالته وهدانا بمعنى ارشدنا فسياق هذا المثل كانه قال ا يصلح ان تكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فنكون كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا وقوله له اصحاب يريد له اصحاب على الطريق الذى خرج منه فيشبهه بالاصحاب على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد وابن عباس وايتنا من الاتيان بمعنى المجيء وقول من قال ان المراد بالذى فى هذه الآية عبد الرحمن بن ابى بكر وبالصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة فى الصحيح ما نزل فينا من القروان شيء الا براءتى قلت تريد وقصة الغار اذ يقول لصاحبه وقوله ولا ياتل اولوا الفصل منكم اذ نزلت فى شان ابى بكر وشان مسطح قال * ع * حدثنى ابى رضى الله عنه قال سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من الملاحدين فانما ينبغى

ان يرد عليه بالقروان والحديث فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله ايتنا ومن
ينازعهم بالجدل ويخلق عليهم به فكانه بعد من الطريق الواضح اكثر ليرد هذا
الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال * ع * وهذا انتزاع حسن جدا
وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض بالحق
اي لم يخلقها باطلا لغير معنى بل لمعان مفيدة وحقائق بينة * وقوله سبحانه
ويوم يقول يوم نصب على الطرف وتقدير الكلام واذكر الخلق والاعادة يوم وتحتمل
الآية مع هذا ان يكون معناها واذكر لاعادة يوم يقول الله للجساد كونى معادة
* وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور الجمهور ان الصور هو القرن الذى قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وباقي الآية
بين * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر انتخذ اصناما آلهة اني
اراك وقومك في ضلال مبين قال الطبري نبه الله نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم على الافتداء بابراهيم في محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم النبي
صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما آلهة مفعولان وذكر ان
مازر ابا ابراهيم عليه السلام كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق
بالمهندسة والنجوم فحطى عنده مازر لذلك وكان على خطة عمل الاصنام
تعمل بامرته وتدبيرة ويطبع هو في الصنم بختم معلوم عنده وحينئذ يعبد ذلك
الصنم فلما نشأ ابراهيم ابنه على الصفة التى تاتي بعد كان ابوه يكلفه ببيعها
فكان ابراهيم ينادى عليها من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها
في الماء منكوسة ويقول لها اشربى فلما اشتهر امره بذلك واخذ في الدعاء الى الله
عز وجل قال لابيه هذه المقالة واراك في هذا الموضع يشترك فيها القلب
والبصر ومبين بمعنى ظاهر واضح * وقوله سبحانه وكذلك نرى ابراهيم

ملكوت السموات والارض الآيت المتقدمة تقضى بهداية ابراهيم عليه السلام
والاشارة هنا بذلك هي الى تلك الهداية اي وكما هديناه الى الدعاء الى الله
وانكار الكفر اريناه ملكوت ونرى لفظها الاستقبال ومعناها المضي وهذه الرؤية
قيل هي رؤية البصروروي في ذلك ان الله عزوجل فرج لابراهيم عليه السلام
السموات والارض حتى رأى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل وهذا هو
قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارضون فرأى مكانه في الجنة وبه
قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت وقع
له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذين بعث
اليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السموات
والارض بفكرته ونظرة وملكوت بناء مبالغة وهو بمعنى الملك والعرب تقول لفلان
ملكوت اليمن اي ملكه واللام في ليكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون
من الموقنين اريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرأ له فيه شك
وروي عن ابن عباس في تفسيره وليكون من الموقنين قال جلي له الامور سرها
وعلايتها فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب
الذنوب قال الله له انك لا تستطيع هذا فردة لا يرى اعمالهم * وقوله
سبحانه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الآيت جن الليل ستروغطي
بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون الى ان هذه القصة وقعت في حال صباه
وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكي
الطبري هذا عن فرقة وقالت انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ
اي هذا ربي وحكي ان النمرود جبار ذلك الزمان رأى له منجموه ان مولودا
يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى

ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم جلت وكانت شابة قوية فسترت جملها فلها قربت ولادتها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحييت لمصيه اليه ثم خرجت هي الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك وحكي بل كانت امه تاتي به بالبان النساء التي ذبح ابناؤه والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اصعافى ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فرأى الكواكب وجرت قصة الآية والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم على وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربي تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء صلوات الله عليهم واما ان نجعله تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال اهذا المنير البهي ربي ان عضدت ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول هذا مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل او شك وهو عليه السلام منزّه معصوم من ذلك كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجّة عليهم في عبادة الاصنام كانه قال اهذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركاى اي على زعمكم ثم عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله أمانة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم في اخر اعظم منه واحرى كذلك ثم في الشمس كذلك فكانه يقول فاذا بان في هذه المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم

التى هي خشب وحجارة اخرى ان يبين ذلك فيها ويعصده عندى هذا
التاويل قوله انى برىء مما تشركون قلت والى ترجيح هذا اشار عياض فى الشفا
قال وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى ان ابراهيم انها قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم قال * ع * ومثل لهم بهذه الامور لانهم كانوا
اصحاب علم نجوم ونظر فى الافلاك وهذا الامر كله انما وقع فى ليلة واحدة رأى
الكوكب وهو الزهرة فى قول قتادة وقال السدي هو المشتري جانحا الى الغروب
فلما افل بزغ القمر وهو اول طلوعه فسرى الليل اجمع فلما بزغت الشمس زال ضوء
القمر قبلها لا نتشار الصباح وخفي نوره ودنا ايضا من مغربه فسمى ذلك
افولا لقربه من الافول التام على تجوز فى التسمية وهذا الترتيب يستقيم فى الليلة
الخامسة عشر من الشهر الى ليلة عشرين وليس يترتب فى ليلة واحدة كما اجمع
اهل التفسير لا فى هذه الليالى وبذلك يصح التجوز فى افول القمر وافل فى
كلام العرب معناه غاب وقيل معناه ذهب وهذا خلاف فى العبارة فقط والبزوغ
فى هذه الانوار اول الطلوع وما فى كون هذا الترتيب فى ليلة من التجوز فى افول
القمر لان افوله لو قدرناه مغيبه لكان ذلك بعد بزوغ الشمس وجميع ما قلناه
يعطيه الاعتبار ويهدنى يرشدنى وهذا اللفظ يؤيد قول من قال ان القصة فى
حال الصغر والقوم الضالون هنا عبدة المخلوقات كالاصنام وغيرها ولما افلت الشمس
لم يبق شيء يمثل لهم به فظهرت حجة وقوي بذلك على منابذتهم والتبرى
من اشراكهم وقوله انى برىء مما تشركون يؤيد قول من قال ان القصة فى
حال الكبر والتكليف ووجهت وجهي اى اقبلت بقصدى وعبادتى وتوحيدي
وايمانى للذى فطر السموات والارض اى اخترعها وحيفا اى مستقيما والحنف
الميل فكانه مال عن كل جهة الى القوام * وقوله تعالى وحاجه قومه قال

انحاجوني في الله اي اتراجعوني في الحجّة في توحيد الله وقد هذان اي قد
ارشدني الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما تشركون به الصمير في به يعود على
الله والمعنى ولا اخاف الاصنام التي تشكونها بالله في الربوبية ويحتمل ان
يعود على ما والتقدير ما تشركون بسببه وقوله الا ان يشاء ربى شيئا استثناء
ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام انه لا يخاف ضررا
استثنى مشيئة ربه تعالى في ان يريد بضر وعلمنا نصب على التمييز وهو مصدر
بمعنى الفاعل كما تقول العرب تصيب زيد عرفا المعنى تصيب عرق زيد
فكذلك المعنى هنا وسع علم ربى كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبه
واظهار لموضع التقصير منهم وقوله وكيف اخاف ما اشركتم الآية الى تعلمون
هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى وكيف
اخاف اصناما لا خطب لها اذ نبذتها ولا تخافون انتم الله عز وجل وقد اشركتم
به في الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا والسلطان الحجّة ثم استفهم على جهة
التقرير فاي الفريقين منى ومنكم احق بالامن قال ابو حيان وكيف استفهام
معناه التعجب والانكار انتهى * وقوله سبحانه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم الآية قال ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما هذا قول من الله عز وجل
ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مومن تقدم او تأخر قال
ع * هذا هو البين الفصيح الذى يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها
وهو خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخالطوا والظلم في هذا الموضع الشرك
تظاهرت بذلك الاحاديث الصحيحة وفي قراءة مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم
بشرك وهم مهتدون اي راشدون * وقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه تلك اشارة الى هذه الحجّة المتقدمة * وقوله سبحانه نرفع درجات

من نشاء الدرجات اصلها في الاجسام ثم تستعمل في المراتب والمنازل المعنوية * وقوله سبحانه وهبنا له اسحاق ويعقوب الآية وهبنا عطف على اثينا واسحاق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحاق وقوله ومن ذريته المعنى وهدينا من ذريته والضمير في ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على ابراهيم ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل يعود الضمير على نوح وهذا هو الجيد ونصب داود يحتمل ان يكون بوهبنا ويحتمل ان يكون بهدينا وكذلك نجزي المحسنين وعد من الله عز وجل لمن احسن في عبادته وترغيب في الاحسان وفي هذه الآية ان عيسى عليه السلام من ذرية نوح او ابراهيم بحسب الاختلاف في عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنة وبهذا يستدل في الاحباس على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على العالمين معناه عالمي زمانهم * وقوله سبحانه ومن آباءهم وذرياتهم المعنى وهدينا من آباءهم وذرياتهم واخوانهم جاءت فمن للتبعية والمراد من آمن منهم نبيا كان او غير نبي واجتبتيناهم اي تخيرناهم وهديناهم اي ارشدناهم الى الايمان والفوز برضى الله عز وجل والذرية الابناء ويطلق على جميع البشر ذرية لانهم ابناء * وقوله تعالى ذلك هدى الله الآية ذلك اشارة الى النعمة في قوله واجتبتيناهم واولئك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به الصحف والتوراة والانجيل والزبور * وقوله سبحانه فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار قريش والى كل كافر في ذلك العصر قاله ابن عباس وغيره وقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مومناهل المدينة قاله ابن عباس وغيره والآية على هذا التاويل وان كان القصد بنزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمومنين

الى يوم القيامة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء
والمومنين وقال ابورجاء المراد الملائكة قلت ويحتمل ان يكون المراد الجميع
* وقوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الظاهر في الاشارة باولئك
الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم من المومنين المهديين ومعنى الاقتداء
اتباع الاثر في القول والفعل والسيره وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه وسلم بجميعهم
في العقود والايمان والتوحيد الذى ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع
فمختلفة وقد قال عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم هو وغيره مخاطب بشرع من قبله في العقود والايمان والتوحيد لانا نجد
شرعنا ينهى ان الكفار الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم كابويه وغيرهما
في النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار الا بترك ما كلف وذلك في قوله
سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقاعدة المتكلمين ان
العقل لا يوجب ولا يكلف وانما يوجب الشرع فالوجه في هذا ان يقال ان ادم
عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد الله عز وجل دعاء عاما واستمر ذلك على
العالم فواجب على الآدمي ان يبحث عن الشرع الأمر بتوحيد الله تعالى وينظر
في الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب الشرع النظر فيها ويومن ولا
يعبد غير الله فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم بشرع أمر بتوحيد الله وهو مع
ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولئك اهل الفترات الذين اطلق
عليهم اهل العلم انهم في الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر في
النظر والبحث فعبد صنما او غيره وكفر فهو تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب
بالنار فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله
مخاطبون على السنة لانبياء قبل بالتوحيد وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ

هي مختلفة واذا لم يدعهم اليها نبي . قال الفخر واحتج العلماء بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم السلام وتقديره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية والاخلاق الحميدة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر في تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان فيهم مفرقا باسرها ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم بكليتهم والله اعلم انتهى وقراً حمزة والكسائي فبهذا هم اقتد بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو القياس شبيهة بالف الوصل في انها تقطع في الابتداء وتسقط في الوصل * وقوله سبحانه قل لا اسألكم عليه اجرا اي قل لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسألكم على دعائى اياكم بالقروان الى عبادة الله تعالى اجرة ان هو لا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين * وقوله سبحانه وما قدروا الله حق قدره الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت في بنى اسرائيل قال النقاش وهي اية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن الضيف قاله ابن جبير وقيل فنخاص قاله السدي وقدرُوا هو من توفية القدر والمنزلة وتعليقه بقولهم ما انزل الله يقتضى بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احوالوا عليه بعثة الرسل قال الفخر قال ابن عباس ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال لا خفش ما عرفوه حق معرفته وقال ابو العالية ما وصفوه حق قدرته وعظمته وهذه المعانى كلها صحيحة انتهى وروي ان مالك بن الضيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم انشدك الله الست تقرأ فيما انزل على موسى ان الله يبغض الجبر
السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء قال الفخر وهذه الآية
تدل على ان النكرة في سياق النفي تعم ولو لم تفد العموم لما كان قوله تعالى
قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا ابطلا لقولهم ونقضا عليهم انتهى
* وقوله تعالى قل من انزل الكتاب يعنى التوراة وقراطيس جمع قرطاس اي
بطائق وأوراقا وتوبخهم بالابداء والاخفاء هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه
وسلم وجميع ما عليهم فيه حجة * وقوله سبحانه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
آباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان عليهم وعلى آباتهم
والوجه الثانى ان يكون المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم وآباؤكم ما لم تعلموه
فما انتفعتم به لا عراضكم وضلائكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجّة
اي قل الله هو الذى انزل الكتاب على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر
واعرض وهذه آية منسوخة بآية القتال ان تؤولت موادعة ويحتمل ان لا
يدخلها نسخ اذا جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجزئا من موادعة * وقوله
سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك هذا اشارة الى القران وقوله مصدق الذى
بين يديه يعنى التوراة والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تأخر
وام القرى مكتة ثم ابتداء تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم يؤمنون
بالآخرة والبعث والنشور ويؤمنون بالقرآن ويصدقون بحقيقته ثم قوى عز
وجل مدحهم بانهم يحافظون على صلاتهم التى هي قاعدة العبادات وام الطاعات
واذا انضافت الصلاة الى ضمير لم تكتب الا بالالف ولا تكتب فى المصحف
بواو الا اذا لم تضاف الى ضمير وقد جاءت اثار صحيحة فى ثواب من حافظ
على صلاته وفى فضل المشي اليها ففى سنن أبى داود عن بريدة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم
القيامة وروى ابوداود ايضا بسنده عن سعيد بن المسيب قال حضر رجلا من
الانصار الموت فقال انى محدثكم حديثا ما احدثكموه الا احتسابا سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توضأ احدكم فاحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة
لم يرفع قدمه اليمنى لا كتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط
الله عنه سيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى في جماعة غفر له فان
اتى المسجد وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما ادرك واتم ما بقي كان كذلك
فان اتى المسجد وقد صلوا فاتم الصلاة كان كذلك واخرج ابوداود عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح
فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز وجل مثل اجر من صلاها او حضرها لا ينقص
ذلك من اجورهم انتهى * وقوله سبحانه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله هذه الفاظ
عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل في الظلم
الذى قد عظمه الله تعالى وقال قتادة وغيره المراد بهذه الآيات مسيلة والاسود
الغنسي وقال عكرمة اولها في مسيلة والآخر في عبد الله بن ابي سرح وقيل
نزلت في النضر بن الحارث وبالجمل فالآية تتناول من تعرض شيئا من
معانيها الى يوم القيامة كطليحة الاسدي والمختار بن ابي عبيد وسواهما *
وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والآية جواب لو محذوف
تقديره لرأيت عجباً او هولاً ونحو هذا وحذف هذا الجواب ابلغ في نفس
السامع والظالمون لفظ عام في انواع الظلم الذى هو كفر والغمرات جمع غمرة وهي
المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة يريد ملائكة قبض الروح

وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكره وهذا المكره هو لا محالة اوائل العذاب
واماراته قال ابن عباس يضربون وجوههم وادبارهم وقوله اخرجوا انفسكم
حكاية لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون لهم اخرجوا انفسكم وذلك على
جهة الاهانة وادخال الرعب عليهم ويحتمل اخرجوا انفسكم من هذه المصائب
والمحن ان كان ما زعمتموه حقا في الدنيا وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سالف
فعلهم القبيح قلت والتاويل الاول هو الصحيح وقد اسند ابو عمر في التمهيد عن
ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثم ذكر سنده عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل
الصالح قالت اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي
حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا تزال يقال لها ذلك
حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان
فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري
بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى
السماء يعني السابعة واذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته قالت
اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة
وابشري بحميم وغساق وَاخر من شكله ازواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج
وذكر الحديث انتهى والهون الهوان * وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله
غير الحق الآية لفظ عام لانواع الكفر ولكنه يظهر منه الانحاء على من قرب ذكره
* وقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية هذه حكاية عما
يقال لهم بعد قبض ارواحهم واعلم ايها الاخ ان هذه الآية الكريمة ونحوها من
الآي وان كان مساقها في الكفار فللمومن الموقن فيها معتبر ومزدجر وقد قيل ان

القبر بحر الندامات وقد روى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت لا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان سيئا ندم الا يكون نزع انتهى وكما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول في وقت الخلقة وخولناكم معناه اعطيناكم ووراء ظهوركم اشارة الى الدنيا لانهم يتركون ذلك موجودا * وقوله سبحانه وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطي في عبادة الاصنام واعتقادهم انها تشفع وتقرب الى الله زلفى قال ابو حيان وما نرى لفظه لفظ المستقبل وهو حكاية حال انتهى وقرأ نافع والكسائي بينكم بالنصب على انه ظرف والتقدير لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسر الناس مجاهد وغيره وقرأ باقي السبعة بينكم بالرفع وقرأ ابن مسعود وغيره لقد تقطع ما بينكم وصل معناه تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وانها تشارك الله في الالهية تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه ان الله فالق الحب والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل المعنى بما قبله لان المقصد ان الله فالق الحب والنوى لا هذه الاصنام قال قتادة وغيره هذه اشارة الى فعل الله سبحانه في ان يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة منه * وقوله يخرج الحي من الميت الآية قال ابن عباس وغيره لاشارة الى اخراج الانسان الحي من النطفة الميتة واخراج النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك سائر الحيوان من الطير وغيره وهذا القول ارجح ما قيل هنا * وقوله سبحانه ذلكم الله ابتداء وخبر متضمن التنبيه فاني توفكون اي تصرفون وتصدون وفالق لاصباح اي شاقه ومظهرة والفاق الصبر

وحسبنا جمع حساب اي يجريان بحساب هذا قول ابن عباس وغيره وقال
مجاهد في صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحي وهو الدولاب والعود
الذى عليه دورانه * وقوله سبحانه وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
فى ظلمات البر والبحر الآية هذه المخاطبة تعم المؤمنين والكافرين والجمعة بها
على الكافرين قائمة والعبرة بها للمؤمنين متمكنة * وقوله سبحانه وهو الذى
انشأكم من نفس واحدة يريد ادم عليه السلام فمستقر ومستودع اختلف
المتأولون فى معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر فى الرحم
ومستودع فى ظهور الآباء حتى يقضى الله بخروجهم قال ابن عون مشيت الى
منزل ابراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فاخبرنى بعضهم ان عبد الرحمن
ابن الاسود سأل عن مستقر ومستودع فقال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب
وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن وقال ابن جبير المستودع
فى الصلب والمستقر فى الآخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس فى اكثر
الروايات ان المستقر هو الارحام والمستودع لالصلاب ثم قرأ ونقر فى الارحام
ما نشاء وما يدل على قوة هذا القول ان النطفة لا تبقى فى صلب الاب زمانا
طويلا والجنين فى رحم الام يبقى زمانا طويلا ولما كان المكث فى الرحم اكثر مما
فى صلب الاب كان حمل الاستقرار على المكث فى الرحم اولى انتهى قال
* ع * والذى يقتضيه النظر ان ابن ادم هو مستودع فى طهر ابيه وليس
بمستقر فيه استقرارا مطلقا لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم
ينتقل الى الدنيا ثم ينتقل الى القبر ثم ينتقل الى المحشر ثم ينتقل الى
الجنة او النار فيستقر فى احدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لانه لا
نقله له بعد وهو فى كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالاضافة الى

التي قبلها ومستودع بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضى فيها نقلة ولا بد * وقوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء السماء فى هذا الموضع السحاب وكل ما اظلك فهو سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء كل ما ينمو من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء والضمير فى منه يعود على النبات وفى الثانى يعود على الخضر وخضرا بمعنى اخضر ومنه قوله عليه السلام الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكأن خضرا انما ياتى ابدا لمعنى النضارة وليس اللون فيه مدخل واخضر انما تمكنه فى اللون وهو فى النضارة تجوز وجبا متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها كالصنوبر والرمان وغير ذلك * وقوله ومن النخل تقديره ونخرج من النخل والطلع اول ما يخرج من النخل فى اكمامه وقنوان جمع قنوه وهو العذق بكسر العين وهي الكباسة والعرجون عوده الذى فيه ينتظم الثمر ودانية معناه قريبة من التناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات بالنصب عطفا على قوله نبات وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولكم جنات او نحو هذا والزيتون والرمان بالنصب اجاءا عطفا على قوله حبا ومتشابهها وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه فى الورق ويتباين فى الثمر وقال الطبري جائزان يتشابه فى الثمر ويتباين فى الطعم ويحتمل ان يريد يتشابه فى الطعم ويتباين فى المنظر وهذه الاحوال موجودة بالاعتبار فى انواع الثمرات * وقوله سبحانه انظروا هونظر بصر تتركب عليه فكرة قلب والثمر فى اللغة جنى الشجر وما يطلع وان سمي الشجر ثمارا فبتحجوز وقرأ جمهور الناس وينعه بفتح الياء وهو مصدر ينعم يينع اذا نفعه وبالنصب فسر ابن عباس وقد يستعمل ينعم بمعنى استقل واخضر ناصرا

قال الفخر وقدم سبحانه الزرع لانه غذاء والثمار فواكه وانما قدم النخل على
الفواكه لان التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب انتهى * وقوله
سبحانه وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجن مفعول وشركاء مفعول
ثان قال * ص * وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجمهور على
نصب الجن فقال ابن عطية وغيره هو مفعول اول لجعلوا وشركاء الثانى وجوزوا
فيه ان يكون بدلا من شركاء والله فى موضع المفعول الثانى وشركاء الاول ورده ابو
حيان بان البدل حينئذ لا يصح ان يحل محل المبدل منه اذ لو قلت وجعلوا لله
الجن لم يصح وشرط البدل ان يكون على نية تكرار العامل على الاشهر او معمولا
للعامل فى المبدل منه على قول وهذا لا يصح كما ذكرنا قلت وفيه نظر وانتهى
قلت وما قاله الشيخ ابو حيان عندى ظاهر وفى نظر الصفاقي نظر وهذه الآيت
مشيرة الى العادلين بالله تعالى والقائلين ان الجن تعلم الغيب العابدين للجن
وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الوادى فى اسفارها
ونحو هذا واما الذين خرقوا البنين فاليهود فى ذكر عزيز والنصارى فى ذكر المسيح
واما ذاكر البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم
فكان الضمير فى جعلوا وخرقوا لجميع الكفار اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا ونحو
هذا فسر السدي وابن زيد وقرأ الجمهور وخلقهم بفتح اللام على معنى وهو خلقهم
وفى مصحف ابن مسعود وهو خلقهم والضمير فى خلقهم يحتمل العودة على الجاعلين
ويحتملها على المجعولين وقرأ السبعة سوى نافع وخرقوا بتخفيف الراء بمعنى
اختلفوا واقتروا وقرأ نافع وخرقوا بتشديد الراء على المبالغة وقوله بغير علم نص على
قبح تقحم المجهولة واقتراء الباطل على عمى وسبحانه معناه تنزه عن وصفهم
الفاقد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى مبدع وأتى بمعنى كيف

واين فهي استفهام في معنى التوقيف والتقريب وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد * وقوله سبحانه وخلق كل شيء لفظ عام لكل ما يجوز ان يدخل تحته ولا يجوز ان تدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان العموم المخصص هو ان يتناول العموم شيئا ثم يخرج التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها وانما هذا بمنزلة قول الانسان قتل كل فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل القاتل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شيء عليم فهو عموم على الاطلاق لانه سبحانه يعلم كل شيء لارب غيره وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اجمع اهل السنة على ان الله عز وجل يرى يوم القيامة يراه المومنون والوجه ان يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند الى ورود السمع بوقوع ذلك الحائز واختصار تبیین ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا في مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا مجاذي ولا مكيفا ولا محددا وكان الامام ابو عبد الله الخوي يقول مسألة العلم خلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعدي النظر بالى انما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهب اليه المعتزلة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الاحاديث الصحيحة على اختلاف الفاظها واستعمل المعتزلة الرؤية بآراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وانفصال اهل السنة عن تمسكهم بان الآية مخصوصة في الدنيا ورؤية الآخرة ثابتة باخبارها وايضا فانا نفرق بين معنى الادراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز

وجل تراه لا بصار ولا تدركه وذلك ان الادراك يتضمن لاحاطة بالشيء والوصول الى اعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال في اوصاف الله عز وجل والرؤية لا تفتقر الى ان يحيط الرأى بالمرئي ويبلغ غايته وعلى هذا التاويل يترتب العكس في قوله وهو يدرك لا بصار ويحسن معناه ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي انهم فرقوا بين الرؤية والادراك واللطف المتلطف في خلقه واختراعه والبصائر جمع بصيرة فكانه قال قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين والبصيرة ايضا هي المعتقد * وقوله سبحانه فمن ابصر ومن عمي عبارة مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان في اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك كان صلى الله عليه وسلم حفيظا على العالم اخذاهم بالاسلام او السيف * وقوله سبحانه وكذلك نصرف الآيات اي نردها ونوضحها وقرأ الجمهور وليقولوا درست بكسر اللام على انها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة اي لما صار امرهم الى ذلك وقرأ نافع وغيره درست اي يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيئنا به وقرأ ابن كثير وغيره درست اي درست غيرك وناظرته وقرأ ابن عامر درست باسناد الفعل الى الآيات كانهم اشاروا الى انها ترددت على اسماعهم حتى بليت في نفوسهم وامسحت واللام في قوله ليقولوا وفي قوله ولنبينه متعلقان بفعل متأخر تقديره صرفناها وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة في قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولان لا يقولوا درست كما اضمرها في قوله يبين الله لكم ان تضلوا قال * ع * وهذا قلق ولا يجيز البصريون اضمار لا في موضع من المواضع قلت ولكنه حسن جدا من جهة المعنى اذ لا يعلمون انه درس او دارس احدا صلى الله عليه وسلم فتأمله * وقوله سبحانه

اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو الآية هذه الآية فيها موادة وهي
منسوخة * وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الآية مخاطبة
للمؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس سبها ان كفار قريش قالوا
لابى طالب اما ان ينتهي محمد واصحابه عن سب مالهتنا والغص منها واما ان
نسب الله ونهجه فنزلت الآية وحكمها على كل حال باق فى الامة فلا يحل
لمسلم ان يتعرض الى ما يؤدى الى سب الاسلام او النبي صلى الله عليه وسلم او
الله عز وجل وعبر عن الاصنام بالذين وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة فيها
وفى هذه الآية ضرب من الموادة وعدوا مصدر من الاعتداء وبغير علم ببيان لمعنى
الاعتداء * وقوله تعالى كذلك زيننا لكل امة عملهم اشارة الى ما زين لهؤلاء من
التمسك باصنامهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه سبحانه فى النفوس من
المحبة للخير والشر وتزيين الشيطان هو ما يقذفه فى النفوس من الوسوسة
وخطرات السوء وقوله ثم الى ربهم مرجعهم الآية تنصصن وعدا جيلا للمحسنين
وعيدا ثقيلا للمسيئين * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها اللام فى قوله لئن لام توطئة للقسم واما المتلقية للقسم فهي قوله
ليؤمنن بها وآية يريد علامة وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقساموا حينئذ انها ان نزلت امنوا
فنزلت هذه الآية وحكي انهم اقترحوا ان يعود الصفا ذهابا واقسموا على ذلك
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فى ذلك فجاءه جبريل فقال له ان
شئت اصبح ذهابا فان لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالامم
المقترحة وان شئت اخروا حتى يتوب تائبهم فقال عليه الصلاة والسلام بل
حتى يتوب تائبهم ونزلت الآية قال ابن العربي قوله جهد ايمانهم يعنى غاية

ايمانهم التي بلغها علمهم وانتهت اليها قدرتهم انتهى من الاحكام ثم قال تعالى
قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة انما الآيات عند الله وليست عندي
فتتصرح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا الكفار
وقال الفراء وغيره المخاطب بهذا المومنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم
وقرأ ابن كثير وغيره انها بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار فمن قرأ
تومنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة اولاً واخيراً
للكفار ومن قرأ بالياء وهي قراءة نافع وغيره فيحتمل ان يخاطب اولاً واخيراً
المومنين ويحتمل ان يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستأنف الاخبار
عنهم للمومنين وقرأ نافع وغيره انها بفتح الالف ف قيل ان لا زائدة في قوله لا
يومنون كما زيدت في قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذراً للكفار
وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا ومنهم من جعل انها بمعنى
لعلها وحكاة سبويه عن التحليل وهذا التاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة
لا وحكى الكسائي انه كذلك في مصحف ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت
ورجح ابو علي ان تكون لا زائدة وبسط شواهد في ذلك * وقوله سبحانه
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فالمعنى على ما قالت فرقة ونقلب افئدتهم وابصارهم في النار وفي لهبها في
الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا ثم استأنف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم
يعمهم وقالت فرقة انما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والترك
في الضلالة والكفر ومعنى الآية ان هؤلاء الذين اقسوا انهم يومنون ان جاءت
آية نحن نقلب افئدتهم وابصارهم ان لو جاءت فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا

اول مرة بما دعوا اليه من عبادة الله تعالى فاخبر الله عز وجل على هذا التأويل بصورة فعله بهم وقالت فرقة قوله كما في هذه الآية انما هي بمعنى المجازاة اي لما لم يؤمنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم فكانه قال ونحن نقلب افئدتهم وابصارهم جزاء لما لم يؤمنوا اول مرة بما دعوا اليه من الشرع والضمير في به يحتمل ان يعود على الله عز وجل او على القرءان او على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم والطغيان التخبط في الشر ولا فراط فيما يتناوله المرء ويعمهمون معناه يترددون في حيرتهم * وقوله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية اخبر سبحانه انه لو اتى بجميع ما اقترحوه من انزال ملائكة واحياء سلفهم حسبما اقترحه بعضهم ان يحشر قصي وغيره فيخبر بصدق محمد عليه السلام او يحشر عليهم كل شيء قبلا ماء امنوا لا بالمشيئة والطف الذي يخلقه ويخترعه سبحانه في نفس من يشاء لا رب غيره وقرأ نافع وغيره قبلا ومعناه مواجهة ومعينة قاله ابن عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لي قبل فلان دين قال * ع * فنصبه على هذا هو على الظرف وقرأ حمزة وغيره قبلا بضم القاف والباء واختلف في معناه فقال بعضهم هو بمعنى قبل بكسر القاف اي مواجهة كما تقول قبل ودبر وقال الزجاج والفراء هو جمع قبيل وهو الكفيل اي وحشنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وغيره هو جمع قبيل اي صنفا صنفا ونوعا نوعا والنصب في هذا كله على الحال ولكن اكثرهم يجهلون اي يجهلون في اعتقادهم ان الآية تقتضي ايمانهم ولا بد فيقتضي اللفظ ان لا قل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد ان الآية لو جاءت لم يؤمن لا من شاء الله منه ذلك قلت وقال مكِّي ولكن اكثرهم يجهلون اي في

مخالفتك وهم يعلمون انك نبيء صادق فيما جئتهم به وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يداعب ابا سفيان بعد الفتح بمخصرة في يده ويطعن بها ابا سفيان فاذا احرقته قال نح عنى مخصرتك فوالله لو اسلمت اليك هذا الامر ما اختلف عليك فيه اثنان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالذى اسلمت له قتالك اياي عن اي شيء كان فقال له ابو سفيان تظن انى كنت اقاتلك تكذيبا منى لك والله ما شككت في صدقك قط وما كنت اقاتلك لاحسدا منى لك فالحمد لله الذى نزع ذلك من قلبى فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشتهى ذلك منه ويتبسم انتهى من الهداية * وقوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن الآية تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي هذا الذى امتحنت به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبياء ليبتلي الله اولى العزم منهم وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من النوعين ويوحى معناه يلقيه في اختفاء فهو كاللناجاة والسرار وزخرف القول محسنه ومزينه بالباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرفة اكثر ما تستعمل في الشر والباطل وغرورا مصدر ومعناه يغرون به المضللين والضمير في فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة ويحتمل على الوحي الذى تضمنه يوحى * وقوله سبحانه فذرهم وما يفترون لفظ يتضمن الامر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذر في كتاب الله منسوخ بالقتال * وقوله سبحانه ولتصغى معناه لتميل قال الفخر والضمير في قوله ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يعود على زخرف القول وكذلك في قوله وليرضوه والافتراء معناه لاكتساب وقال الزجاج وليقتروا اي يختلقوا ويكذبوا والاول افسح انتهى والقراء على كسر اللام في الثلاثة لافعال على انها

لام كي معطوفة على غرورا وحكما ابلغ من حاكم اذ هي صيغة للعدل من الاحكام
والحاكم جار على الفعل فقد يقال للجائر ومفصلا معناه مزال الاشكال والكتاب
اولا هو القرآن وثانيا اسم جنس للتوراة والانجيل والزبور والصحف * وقوله
تعالى فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين قلت وقد
تقدم التنبيه على انه صلى الله عليه وسلم معصوم وان الخطاب له والمراد غيره
ممن يمكن منه الشك * وقوله سبحانه وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا الآية
تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الازل صدقا وعدلا وليس
بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب السيرة من قولهم وتم حمزة على اسلامه
في الحديث مع ابي جهل والكلمات ما انزل على عباده ولا مبدل لكلماته معناه في
معانيها * وقوله سبحانه وان تطع اكثر من في الارض الآية المعنى فامض يا
محمد لما امرت به وبلغ ما ارسلت به فانك ان تطع اكثر من في الارض
يصلوك قال ابن عباس الارض هنا الدنيا وحكي ان سبب هذه الآية ان المشركين
جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الذبائح وقالوا انا ناكل ما تقتل وتترك
ما قتل الله فنزلت الآية ثم وصفهم تعالى بانهم انما يقتدون بظنونهم ويتبعون
تخرفهم والحرص الحزر والظن وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد
للمهتدين وقوله سبحانه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بشايانه مومنين الآية
القصد بهذه الآية النهي عما ذبح للنصب وغيرها وعن الميتة وانواعها ولا قصد في الآية
الى ما نسي المومن فيه التسمية او تعميدها بالترك * وقوله سبحانه وما لكم الا
تاكلوا الآية ما استفهام يتضمن التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي فصل
الحرام من الحلال وانتزعه بالبيان وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من
جميع ما حرم كالميتة وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع

* وقوله سبحانه وان كثيرا يريد الكفرة المحادين المجادلين ثم توعدهم سبحانه بقوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقوله جلت عظمتهم وذروا ظاهر الائم وباطنه نهى عام والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد وهذا ايضا حسن لانه عام وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي امامة قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم ما لائم قال ما حك في صدرك فدعه وروى ابن المبارك ايضا بسنده ان رجلا قال يا رسول الله ما يحل لي مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه ثلاث مرات في كل ذلك يسكت رسول الله ثم قال اين السائل فقال انا ذا يا رسول الله قال ما انكر قلبك فدعه انتهى وقد ذكرنا معناه من طرق في غير هذا الموضع فاغنى عن اعادته ثم توعد تعالى كسبة الائم بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك ولاقتراى لاكتساب * وقوله سبحانه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية مقصد الآية النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق ابن عمر وابن سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يוכל عمدا كان او نسيانا وجمهور العلماء على انه يוכל ان كان تركها نسيانا بخلاف العمد وقيل يוכל سواء تركت عمدا او نسيانا الا ان يكون مستحفا * وقوله تعالى وان الشياطين الآية قال عكرمة هم مردة الانس من مجوس فارس وذلك انهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من قريش ليجادلوك بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي والاولياء هم قريش وقال ابن زيد وعبد الله بن كثير بل الشياطين الجن واللفظة على وجهها واولياؤهم

كفرة قريش ووحبهم بالوسوسة وعلى السنة الكهان ثم نهى سبحانه عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعد وعرض اصعب مثال في ان يشبه المومن بالمشرك قال ابن العربي قوله تعالى وان الشياطين لىوحون الى اوليائهم سمى الله تعالى ما يقع فى القلوب من الالهام وحيا وهذا مما يطلقه شيوخ المتصوفة وينكره جهال المتوسمين بالعلم ولم يعلموا ان الوحي على ثمانية اقسام وان اطلاقه فى جميعها جائز فى دين الله انتهى من احكام القرآن * وقوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه لما تقدم ذكر المومنين وذكر الكافرين مثل سبحانه فى الطائفتين بان شبه الذين ءامنوا بعد كفرهم باموات احيوا هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم فى ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليبين عز وجل الفرق بين الطائفتين والبون بين المنزلتين ونورا امكن ما يعنى به الايمان قيل ويحتمل ان يراد به النور الذى يؤتاه المومن يوم القيامة وجعلنا فى هذه الآية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين الاول مجرميها والثانى اكبروفى الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها اكبر وقدم لاهم اذ لعلته كبرهم اجرموا ويصح ان يكون المفعول الاول اكبر ومجرميها مضاف والمفعول الثانى فى قوله فى كل قرية وليمكروا نصب بلام الصيرورة والاكبر جمع اكبر كما لافاضل جمع افضل قال الفخر وانما جعل المجرمين اكبر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وركوب الباطل من غيرهم ولان كثرة المال والجاه يحملان الانسان على المبالغة فى حفظهما وذلك الحفظ لا يتم الا بجميع الاخلاق الذميمة كالغدر والمكر والكذب والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله تعالى حكم بانه انما وصف بهذه الاوصاف الذميمة من كان له مال وجاه لكفى ذلك دليلا على

خساسة المال والجاه انتهى وما ذكره في المال والجاه هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون * وقوله سبحانه واذا جاءتهم اية ابي علامة ودليل على صحة الشرع تشبطوا وقالوا لن نؤمن حتى يفلق لنا البحر ويحي لنا الموتى ونحو ذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشبط على الله سبحانه قال الفخر قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقاً لكنت اولى بها قال الضحاك اراد كل واحد من هؤلاء الكفرة ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر عنهم سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفاً منشورة انتهى ثم تواعد سبحانه بان هؤلاء المجرمين الاكابر في الدنيا سيصيبهم عند الله صغار وذلة * وقوله سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية من شرط ويشرح جواب الشرط والآية نص في ان الله تعالى يريد هدى المومن وضلال الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى والهدى هنا هو خلق الايمان في القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان وتحسينه واعداد القلب لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفي يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل يعضده اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه عائد على المهدي قول يتركب عليه مذهب القدرية في خلق الاعمال ويجب ان يعتقد ضعفه والحذر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفس قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت والقول في قوله ومن يرد ان يصله كالقول في قوله فمن يرد الله ان يهديه وقرأ حزة وغيره حرجاً بفتح الراء وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها

يوما بفتح الراء فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغونى رجلا من كنانة
وليكن راعيا وليكن من بنى مدله فلما جاء قال له يافتى ما الحرجة عندكم قال
الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعيته ولا وحشيتها قال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير * وقوله سبحانه كانما يصعد فى
السماء اى كان هذا الضيق الصدر متى حاول الايمان او فكر فيه يجد صعوبته
عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود فى السماء قاله ابن جريج وغيره وفى السماء يريد
من سفل الى علو وتحتمل الآية ان يكون التشبيه بالصعود فى عقبة كئود كانه
يصعد بها فى الهواء ويصعد معناه يعلو ويصعد معناه يتكلف من ذلك ما يشق
عليه * وقوله كذلك يجعل الله الرجس اى وكما كان الهدى كله من الله والضللال
بارادته تعالى ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس يأتى
بمعنى العذاب ويأتى بمعنى النجس * وقوله تعالى وهذا صراط ربك
مستقيما الآية هذا اشارة الى القرآن والشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم قاله ابن عباس وفصلنا معناه بينا واوضحنا * وقوله سبحانه لقوم
يذكرون اى للمومنين والضمير فى قوله لهم دار السلام عائد عليهم والسلام يتجه ان
يكون اسما من اسماء الله عز وجل ويتجه ان يكون مصدرا بمعنى السلامة * وقوله
تعالى عند ربهم يريد فى الآخرة بعد الحشر ووليهم اى ولي الانعام عليهم وبما كانوا
يعملون اى بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر * وقوله
سبحانه ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس المعنى واذكر
يوم وفى الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم معناه افرطتم
ومن الانس يريد فى اصلالهم واغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار من الانس
وهم اولياء الجن الموبخين على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض

اي انتفع وذلك لاستعاذتهم بالجن اذ كان العربي اذا نزل واديا ينادى يا رب الوادى انى استجير بك فى هذه الليلة ثم يرى سلامته انما هي بحفظ جنى ذلك الوادى ونحو ذلك وبلوغ الاجل المؤجل هو الموت وقيل هو الحشر * وقوله تعالى قال النار مثواكم الآية اخبار من الله تعالى عما يقول لهم يوم القيامة اثر كلامهم المتقدم ومثواكم اي موضع ثوابكم كمقامكم الذى هو موضع لاقامة قاله الزجاج والاستثناء فى قوله لا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من فالمراد لا من شاء الله ممن آمن فى الدنيا بعد ان كان من هؤلاء الكفرة وقال الطبري ان المستثنى هي المدة التى بين حشرهم الى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء انه مبلغ حال هؤلاء فى علم الله ثم اسند اليه انه قال ان هذه الآية اية لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً قال * ع * والاجماع على التخليد الابدي فى الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه قال * ص * لا ما شاء الله قيل استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من العذاب الزائد على النار وقيل متصل واختلفوا فى تقديره فقيل هو استثناء من الاشخاص وهم من آمن فى الدنيا ورد بانه يختلف زمان المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعاً لا متصلاً لان من شرط المتصل اتحاد زمانى المخرج والمخرج منه انتهى وقيل غير هذا وقوله سبحانه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي بعض فى الكفر والظلم وقال ايضا المعنى نجعل بعضهم لى بعضاً فى دخول النار وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم اولياء النعمة منهم قال * ع * وقد حفظ هذا فى استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير لا ان فم الذبان قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون * وقوله تعالى

يا معشر الجن والانس الم ياتكم آية هذا الكلام داخل في القول يوم الحشر قال
الفخر قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم واحد وتحصل بينهم معاشرة ومخالطة
فالمعشر المعاشر انتهى ومنكم يعنى من الانس قاله ابن جريج وغيره وقال ابن
عباس من الطائفتين ولكن رسل الجن هم رسل الانس وهم النذر ويقصون
من القصص وقولهم شهدنا اقرار منهم بالكفر * وقوله سبحانه وغرتهم الحياة
الدنيا التفاتة فصيحة تضمنت ان كفرهم كان باذم الوجوه لهم وهو الاغترار الذى
لا يوافقه عاقل ويحتمل غرتهم ان يكون بمعنى اشبعهم واطغتهم بحلوانها كما يقال
غر الطائر فرخه * وقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
الجمع بين هذه الآية وبين الآيى التى تقتضى انكار المشركين لا شركاء هو
اما بانها طوائف واما بانها طائفة واحدة في موطن شتى * وقوله ذلك ان
لم يكن اى ذلك كلام والقرى المدن والمراد اهل القرى وبظلم يحتمل معنيين
احدهما انه لم يكن سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله تعالى ليس
بظلام للعبيد والآخرا ان الله عز وجل لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون ان ينذرهم
وهذا هو البين القوي وذكر الطبري رحمه الله التاويلين * وقوله سبحانه ولكل
درجات مما عملوا الآية اخبار من الله سبحانه ان المؤمنين في الآخرة على
درجات من التفاضل بحسب اعمالهم وتفضل المولى سبحانه عليهم ولكن كل
راض بما اعطي غاية الرضى والمشركون ايضا على درجات من العذاب قلت
وظاهر الآية ان الجن يثابون وينالون الدرجات والدرجات وقد ترجم البخاري
على ذلك فقال ذكر الجن وثوابهم وعقابهم لقوله تعالى يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم الآية الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قال
الداودي قال الضحاک من الجن من يدخل الجنة وياكل ويشرب انتهى

* وقوله سبحانه وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الآية متضمنة وعيدا وتحذيرا من بطش الله عز وجل في التعجيل بذلك واما مع المهلة ومرور الجديدين فذلك عادته سبحانه في الخلق باذهاب خلق واستخلاف اخرين * وقوله سبحانه انما توعدون ملات هو من الوعيد بقربنته وما انتم بمعجزين اي وما انتم بناجيس هربا فتعجزون طالبيكم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يتوعدهم بقوله اعملوا اي فسترون عاقبة عملكم الفاسد وصيغه افعل هنا هي بمعنى الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار اي مآل الآخرة ويحتمل مآل الدنيا بالنصر والظهور ففي الآية اعلام بغيب * وقوله وجعلوا لله ما ذرأ يعني مشركى العرب الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرأ معناه خلق وانشأ وبث وسبب نزول هذه الآية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمارها وانعامها جزأ تسميه لله وجزأ تسميه لاصنامها وكانت عاداتها التحفى والاهتبال بنصيب الاصنام اكثر منها بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بها فقر وليس ذلك بالله سبحانه فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذى لله الى الذى لشركاتهم اقروه واذا حلت من الذى لشركاتهم الى الذى لله ردوه واذا لم يصيبوا في نصيب شركائهم شيأ قالوا لا بد للآلهة من نفقة فيجعلون نصيب الله تعالى في ذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك في الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم * وقوله سبحانه وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكثير هنا يراد به من كان يئد من مشركى العرب والشركاء هاهنا الشياطين الآمرون بذلك المزبنون له والحاملون عليه ايضا من بنى مادم ومقصد

الآية الذم للوَاد والا نَحْناء على فعلته وليردوهم معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا * وقوله سبحانه ولو شاء الله ما فعلوه يقتضى ان لا شيء الا بمشيئة الله عز وجل وفيها رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله فذرهم وعيد محض * وقوله سبحانه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تتضمن ما شرعوا لا نفسهم والتزموه على جهة القربة كذبا منهم على الله سبحانه وجبر معناه التججير وهو المنع والتحریم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانت لهم ستة في انعام ما ان لا يحجج عليها فكانت تركب في كل وجه الا في الحج وقالت فرقة بل ذلك في الذبائح جعلوا آلهتهم نصيبا منها لا يذكرون الله على ذبحها * وقوله سبحانه وقالوا ما في بطون هذه لانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الآية كان من مذاهبهم الفاسدة في بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم فازواجنا يراد به جماعة النساء التى هي معدة ان تكون ازواجا قاله مجاهد وقوله وان يكن ميثة يعنى انه كان من سنتهم ان ما خرج من لاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة نفسها ثم اعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا انه من القربات * وقوله سبحانه قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية تتضمن التشنيع بسوء فعلهم والتعجيب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة وكان الوَاد في ربيعة وفي مضر قال * ع * وكان جمهور العرب لا يفعل ثم ان فاعليه كان منهم من يفعل خوف العيلة والافتقار وكان منهم من يفعل غيرة مخافة السباء وقد ضلوا اخبار عنهم بالحيرة وما كانوا يريد في هذه الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين ولكنهم زادوا

بهذه الفعلة ضللا * وقوله سبحانه وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشأ معناه خلق واخترع ومعروشات قال ابن عباس ذلك فى ثمر العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ومتشابهها يريد فى المنظر وغير متشابه فى الطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نص فى الاباحة وقوله سبحانه وءاتوا حقه يوم حصاده قال ابن عباس وجماعة هي فى الزكاة المفروضة قال * ع * وهذا القول معترض بان السورة مكية وبانه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وما فى معناه وحكى الزجاج ان هذه الآية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل قوله وءاتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذرو وعند تكديسه فى البيدر فاذا صفى وكال اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة فنسختها قال * ع * والنسخ غير مترتب فى هذه الآية ولا تعارض بينها وبين اية الزكاة بل تنبنى هذه على الندب وتلك على الفرض * وقوله سبحانه ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين النهي عن الاسراف اما للناس عن التمتع عن ادائها لان ذلك اسراف من الفعل واما للولاة عن التشطط على الناس والاذايت لهم وكل قد قيل به فى تاويل الآية * وقوله سبحانه ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة عطف على جنات معروشات التقدير وانشأنا من الانعام حمولة والحمولة ما تحمل الاثقال من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والابل وهذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم ولا مدخل فى الآية لغير الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص اباحة وازالة ما سبه الكفرة من البحيرة والسائبة

وغير ذلك ثم تابع النهي عن تلك السنن الآفكة بقوله سبحانه ولا تتبعوا خطوات الشيطان وهي جمع خطوة اي لا تمشوا في طريقه قلت ولفظ البخاري خطوات من الخطو والمعنى . اثاره انتهى * وقوله سبحانه ثمانية ازواج اختلف في نصبها ف قيل على البذل من ما في قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل على الحال وقيل على البذل من قوله حمولة وفرشا وهذا اصوب لاقوال واجراها مع معنى الآية والزوج الذكر والزوج الانثى فكل واحد منهما زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجي . ثمانية ازواج والصان جمع صائنة وصائن * وقوله سبحانه قل الذكـرين حرم ام الانثـيسن هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكـرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور او الانثـيسن فيلزمكم تحريم جميع الاناث اما اشتملت عليه ارحام الانثـيسن فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا شيأ يوجب هذا التقسيم وفي هذه السؤالات تقريع وتوبيخ ثم اتبع تقريعهم بقوله نبثوني اي اخبروني بعلم اي من جهة نبوة او كتاب من كتب الله ان كنتم صادقين وان شرط وجوابه في نبثوني * وقوله سبحانه ومن لا بل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكـرين حرم الآية القول في هذه الآية في المعنى وترتيب التقسيم كما تقدم فكانه قال انتم الذين تدعون ان الله حرم خصائص من هذه الانعام لا يخلو تحريمه من ان يكون في الذكـرين او في الانثـيسن او فيما اشتملت عليه ارحام الانثـيسن لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا ولا هذا فلم يبق الا انه لم يقع تحريم قال الفخر والصحيح عندي ان هذه الآية لم ترد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هي استفهام على سبيل الانكار وحاصل الكلام انكم لا تعترفون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام المختلفة انتهى * وقوله سبحانه ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله

بهذا استفهام على سبيل التوبيخ وشهداء جمع شهيد وباقي الآية بين *
وقوله تعالى قل لا اجد في ما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة الآية هذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء
محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات
كالخمر وكاكل كل ذي ناب من السباع مما وردت به السنة قال * ع *
ولفظه التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة
ان تنتهي بالشئ المذكور غاية المنع والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف
دون الغاية في حيز الكراهية ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة
التأويلين واجمع عليه الكل منهم ولم تضرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس
وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق
بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ
الحديث واختلف الامة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذي
ناب من السباع حرام وقد روي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل
كل ذي ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز
لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو على الكراهية
ونحوها وما اقترنت به قرينة التأويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمير الانسية
فتأول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتأول بعضهم ان ذلك
ليلا تفنى حمولة الناس وتأول بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف
في لحمها فجاز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده
وقياسه على كراهية او نحوها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية هذا خبر من الله سبحانه يتضمن تكذيب اليهود

في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيئاً وانما حرّمنا على انفسنا ما حرمه اسراييل على نفسه وكل ذى ظفر يراد به الابل والغنم والاوز ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الاصابع وله ظفر واخبرنا سبحانه في هذه الآية بتحريم الشجوم عليهم وهي الشروب وشحم الكلى وما كان شحماً خالصاً خارجاً عن الاستثناء الذى فى الآية واختلف فى تحريم ذلك على المسلمين من ذبائحهم فعن مالك كراهية شحومهم من غير تحريم * وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما يريد ما اختلط باللحم فى الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابوصالح كالايات مما جلت ظهورهما والحوايا ما تحوى فى البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس وغيره هي المباخر وقوله او ما اختلط بعظم يريد فى سائر الشخص * وقوله سبحانه ذلك جزيناهم بغيهم يقتضى ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم * وقوله سبحانه وانا لصادقون اخبار يتضمن التعريض بكذبهم فى قولهم ما حرم الله علينا شيئاً * وقوله سبحانه فان كذبتكم اي فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي فى امهاله اذ لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له بأساً لا يرد عن القوم المجرمين اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذه الآية وما جانسها من آيات مكة مرتفع حكمها بشاية القتال ثم اخبر سبحانه نبيه عليه السلام بان المشركين سيحتجبون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتدينهم بتحريم تلك الاشياء بامهال الله تعالى لهم وتقريره حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال ولا حجة لهم فيما ذكره لانه سبحانه شاء اشراكهم واقدروهم على الاكتساب ويلزمهم على احتجاجهم ان تكون كل طريقة وكل نحلة ضواها اذ كلها لو شاء الله لم تكن وفى الكلام حذف يدل عليه تناسق الكلام كانه قال سيقول

المشركون كذا وكذا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضى تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله تعالى حتى ذاقوا بأسنا وعيد بين * وقوله سبحانه قل هل عندكم من علم اي من قبل الله قل فله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الامر الذى يحتج له ثم أعلم سبحانه انه لو شاء لهدى العالم بأسره وهلم معناها هات وهي حينئذ متعددة وقد تكون بمعنى اقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كرو يدك وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الآية قل هاتوا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فان افترى لهم احد اوزور شهادة او خبرا عن نبوة ونحو ذلك فجنب انت ذلك ولا تشهد معهم قلت وهذه الآية والتي بعدها من نوع ما تقدم من ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يمكن ذلك منه وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له اندادا يسوونهم به تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لا تشركوا به شيئا هذا امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يدع جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاسود والاحمر وما نصبت بقوله اتل وهي بمعنى الذى وان في قوله ان لا تشركوا في موضع رفع التقدير الامران او ذاك ان وقال كعب الاحبار هذه الآية هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى اخر الآيات وقال ابن عباس هذه الآيات هي الحكمات المذكورة في مال عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملّة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على موسى والاملاق الفقير وعدم المال قاله ابن عباس وغيره قال القشيري خوف الفقر قرينة الكفر وحسن الثقة بالرب سبحانه نتيجة

الايمان انتهى من التحبير * وقوله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي احسن قال مجاهد التى هي احسن التجارة فيه والاشد هنا الحزم والنظر فى الامور وحسن التصرف فيها وليس هذا بالاشد المقرون بالاربعين بل هذا يكون مع صغر السن فى ناس كثير * وقوله سبحانه واوفوا الكيل والميزان امر بالاعتدال * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضى ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز * وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك اى ولو كان ميل الحق على قراباتكم * وقوله سبحانه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه لاشارة بهذا هي الى الشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري لاشارة هي الى هذه الوسايا التى تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود ان الله سبحانه جعل طريقه صراطا مستقيما طريقه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وقال ايضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية قال * ع * وهذه الآية تعم اهل الاهواء والبدع والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من اهل التعقيد فى الجدل والخوض فى الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد ولعلكم ترج بحسبنا ومن حيث كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى * وقوله سبحانه ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن

ثم في هذه الآية انما مهلتها في ترتيب القول الذي امر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما قضينا انا واثينا موسى الكتاب ويدعو الى ذلك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وثلاثه ما حرم الله والكتاب التوراة تماما مصدر وقوله على الذي احسن مختلف في معناه فقالت فرقة الذي بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكأن الكلام واثينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من اهل ملته واتماما للنعمة عليهم وهذا تاويل مجاهد ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقالت فرقة المعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه يعنى موسى عليه السلام وهذا تاويل الربيع وقتادة وقالت فرقة المعنى تماما على الذي احسن الله فيه الى عبادة من النبوات وسائر النعم وبلقاء ربهم اي بالبعث * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحون هذا اشارة الى القرآن ومبارك وصف بما فيه من التوسعات وانواع الخيرات ومعناه منى خيرة مكثر والبركة الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء الى الدين واتقوا امر بالتقوى العامة في جميع الاشياء بقريظة قوله لعلكم ترحون وان في قوله ان تقولوا في موضع نصب والعامل فيه انزلناه والتقدير وهذا كتاب انزلناه كراهية ان تقولوا والطائفتان اليهود والنصارى باجاء المتأولين والدراسة القراءة والتعلم بها ومعنى الآية ازالة الحجمة من ايدي قريش وسائر العرب ولما تقرر ان البينة قد جاءتهم والحجة قد قامت عليهم حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله سبحانه فمن اظلم ممن كذب بشايات الله وصدف عنها اي حاد عنها وزاغ واعرض وسنجزى الذين وعيد * وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون يعنى العرب المتقدم الآن ذكرهم والملائكة هنا هم ملائكة الموت الذين يصحبون عزرايل المخصوص بقبض

الأرواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج * وقوله تعالى او ياتي ربك قال الطبري لموقف الحساب يوم القيامة واسند ذلك الى قتادة وجماعة من المتأولين وقال الزجاج ان المراد او ياتي عذاب ربك قال * ع * وعلى كل تاويل فانما هو بحذف مضاف تقديره امر ربك او بطش ربك او حساب ربك والا فلا تبيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى لا ترى ان الله عز وجل يقول فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا اتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف قال الفخر والجواب المعتمد عليه هنا ان هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا يفتقر الى تاويله واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة انتهى قلت وما ذكره الفخر من ان هذا حكاية مذهب الكفار هي دعوى تفتقر الى دليل * وقوله سبحانه او ياتي بعض آيات ربك قال مجاهد وغيره هي اشارة الى طلوع الشمس من مغربها بدليل التي بعدها قال * ع * ويصح ان يريد سبحانه بقوله او ياتي بعض آيات ربك جميع ما يقطع بوقوعه من اشراف الساعة ثم خصص سبحانه بعد ذلك بقوله يوم ياتي بعض آيات ربك الآية التي ترتفع التوبة معها وقد بينت الاحاديث الصحاح في البخاري ومسلم انها طلوع الشمس من مغربها ومقصد الآية تهديد الكفار باحوال لا يخلون منها وقوله او كسبت في ايمانها خيرا يريد جميع اعمال البر وهذا الفصل هو للعصاة من المؤمنين كما ان قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين فالآية المشار اليها تقطع توبة الصنفين قال الداودي قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا يريد ان النفس المومنة التي ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ وتكون في مشيئة الله تعالى كأن لم تنب وعن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الأقاليم وحسبت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال انتهى * وقوله سبحانه

فل انتظروا انا منتظرون لفظ يتضمن الوعيد * وقوله سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي . قال ابن عباس وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم ووصفهم بالشيعة اذ كل طائفة منهم لها فرق واختلافات ففى الآية حص للمؤمنين على الاختلاف وترك الاختلاف وقال ابو الاحوص وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الآية فى اهل البدع والاهواء والفتن ومن جرى مجراهم من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي فرقوا دين الاسلام وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا * وقوله تعالى لست منهم في شي . اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على الاطلاق فى الكفار وعلى جهة المبالغة فى العصاة * وقوله سبحانه انما امرهم الى الله الآية وعيد محض وقال السدي هذه آية لم يور فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال * ع * الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة فيشبه ان يقال ان النسخ وقع فى ذلك المعنى الذى قد تقرر نسخه فى آيات اخرى * وقوله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال * ع * وهذه هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام فى جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها وقرأ يعقوب وغيره فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع * وقوله تعالى قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم الآية فى غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما وملة بدل من الدين * وقوله سبحانه قل ان صلاتى ونسكى الآية امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يعلن بان مقصده فى صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من اخلاص وإيمان عند ميثانه انما هو لله عز وجل وارادة

وجهه وطلب رضاه وفي اعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسى به حتى يلتزموا في جميع اعمالهم قصد وجه الله عز وجل ويحتمل ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته ومماته بيد الله عز وجل والله يصرفه في جميع ذلك كيف شاء سبحانه ويكون قوله وبذلك امرت على هذا التاويل راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول وعلى التاويل الاول يرجع الى جميع ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك في هذه الآية الذبائح قال * ع * ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها في السورة وقالت فرقة النسك في هذه الآية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك اذا تعبد وقرأ السبعة سوى نافع ومحيي بفتح الياء وقرأ نافع وحده ومحيي بسكون الياء قال ابو حيان وفيه جمع بين ساكنين وشوغ ذلك ما في الالف من المد القائم مقام الحركة انتهى وقوله وانا اول المسلمين اي من هذه الامة * وقوله سبحانه قل اغير الله ابغى ربا وهورب كل شيء الآية حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك واخترتك فنزلت هذه الآية وهي استفهام يقتضى التوبيخ لهم وابغى معناه اطلب فكانه قال افحسن عندكم ان اطلب الها غير الله الذى هورب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس الامر كما تظنون فلا تكسب كل نفس من الشر والاثم الا عليها وحدها ولا تزر اي تحمل وازرة اي حاملة حمل اخرى وثقلها والوزر اصله الثقل ثم استعمل في الاثم تجوزا واستعارة ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد وقوله فينبئكم بما كنتم فيه

تختلفون اي في امرى في قول بعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر الى غير ذلك
قاله بعض المتأولين وهذا التاويل يحسن في هذا الموضع وان كان اللفظ يعم جميع
انواع الاختلافات بين الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف جمع
خليفة اي يخلف بعضكم بعضا لان من اتى خليفة لمن مضى وهذا يتصور في جميع
الامم وسائر اصناف الناس ولكنه يحسن في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان
يسمى اهلها بجملة خلائف للامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم اخر الامم وعليهم
تقوم الساعة وروى الحسن بن ابى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل ويروى انتم اخرها واكرمها
على الله * وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات لفظ عام في المال والقوة والجاه
وجودة النفوس والاذهان وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله سبحانه
الخلق فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله عز وجل بهذا ففسح للناس
ميدان العمل وحضهم سبحانه على الاستباق الى الخيرات وتوعد وتوعد تخويفا منه
وترجية فقال ان ربك سريع العقاب اما باخذاته في الدنيا واما بعقاب الآخرة
وحسن ان يوصف عقاب الآخرة بسريع لما كان متحققا مضمون الاثيان والوقوع
وكل مات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة وهذا في كتاب
الله كثير وهو اقتران الوعيد بالوعد لطفًا من الله سبحانه بعباده اللهم اجعلنا
من شملته رحمتك وغفرانك بجودك واحسانك ومن كلام الشيخ الولي
العارف ابى الحسن الشاذلي رحمه الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل
رب اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب
ومن سوء الحساب فانك لسريع الحساب وانك لغفور رحيم رب انى ظلمت

نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب علي لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين انتهى نسأل الله ان ينفع به ناظره وان يجعله لنا ذخرا ونورا يسعى بين
ايدينا يوم لقائه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

* * *

انتهى هذا الجزء الاول مصححا بالمقابلة على خط مؤلفه

شكر الله سعيه و قدس ————— رة



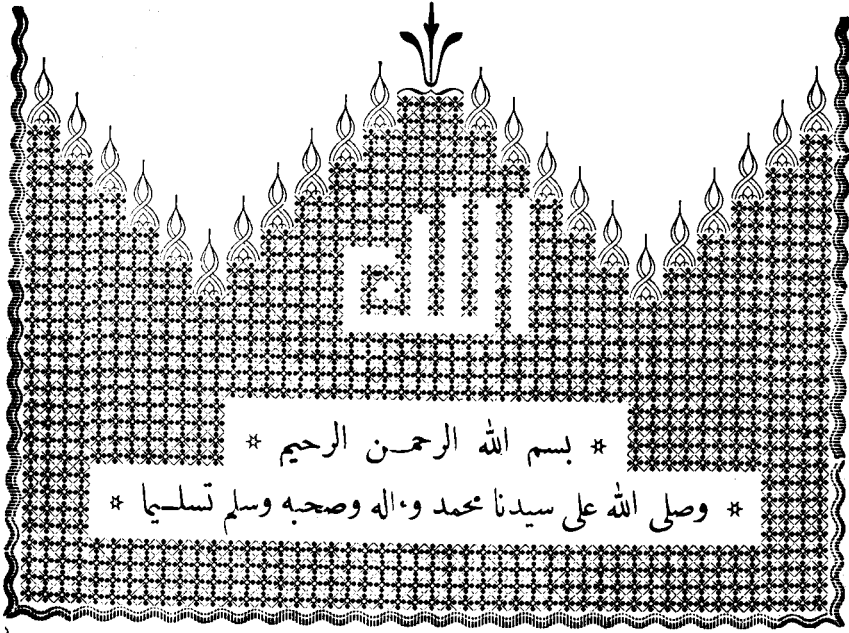
فهرس الجزء الاول من الجواهر الحسان

٦	باب في فضل القرءان
١٠	باب في فضل تفسير القرءان واعماليه
١١	فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرءان والجرأة عليه ومراتب المفسرين
١٦	فصل في ذكر الالفاظ التي في القرءان مما للغات العجم بها تعلق
١٧	باب تفسير اسماء القرءان وذكر السورة والآية
١٩	باب في الاستعاذة
٢٠	باب في تفسير البسملة
٢١	تفسير فاتحة الكتاب
٢٦	القول في آمين
٢٨	تفسير سورة البقرة
٢٤٠	— — — — — مال عمران
٢٤٥	— — — — — النساء
٤٣٦	— — — — — المائدة
٥٠٢	— — — — — الانعام

تَفْسِيرُ
التَّحْسِينِ
الموسم
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الرابع

منشورات
مؤسسة الأعلی للطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠



﴿ تفسير سورة يس وهي مكية باجماع ﴾

الا ان فرقة قالت ان قوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم نزلت في بني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى جوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وورد في فضل يس اثار عديدة فمن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الاغفر له اقرءوها على موتاكم رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم في المستدرک وهذا لفظ النسائي وهو عند الباقرين مختصر انتهى من السلاح

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع باقوال منها ان ابن جبير قال يس اسم

من اسماء محمد عليه السلام وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحشية وقال ايضا هو بلغة طيء وقال قتادة يس قسم والصراط الطريق والمعنى انك على طريق هدى ومهيع رشاد واختلف المفسرون في قوله تعالى ما انذر اباؤهم فقال عكرمة ما بمعنى الذى والتقدير الشيء الذى انذر اباؤهم من النار والعذاب ويحتمل ان تكون ما مصدرية على هذا القول ويكون الالباء هم الاقدمون على مر الدهر * وقوله فهم مع هذا التاويل بمعنى فانهم دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة وقال قتادة ما نافية فالآباء على هذاهم الاقربون منهم وهذه الآية كقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهذه النذارة المنفية هي نذارة المباشرة كما قدمنا وحق القول معناه وجب العذاب وسبق القضاء به وهذا فيمن لم يؤمن من قريش كمن قتل ببدر وغيرهم * وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآية قال مكي قيل هي حقيقة في الآخرة اذا دخلوا النار وقال ابن عباس وغيره الآية استعارة لحال الكفرة الذين ارادوا النبي صلى الله عليه وسلم بسوء فجعل الله هذه مثلاً لهم في كفهم اياهم عنه ومنعهم من اذيته حين بيئته وقالت فرقة الآية مستعارة المعانى من منع الله تعالى اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه وهذا ارجح الاقوال والفعل ما احاط بالعنق على معنى التشقيف والتضييق والتعذيب * وقوله فهي يحتمل ان تعود على الاغلال اي هي عريضة تبلغ مجرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فتضطر المغلول الى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو الاقماح وهو نحو الاقناع في الهيئة قال قتادة المقمح الرافع رأسه ويحتمل وهو قول الطبري ان تعود هي على الايدي وذلك ان الغل انما يكون في العنق مع اليدين وروي ان في مصحف ابن مسعود وابي انا جعلنا في ايمانهم وفي بعضها في ايديهم وارى الناس علي بن ابي طالب الاقماح فجعل يديه تحت خيبيه والصقة بها ورفع رأسه وقرأ الجمهور

سدا بضم السين في الموضعين وقرأ حمزة والكسائي وغيرها سدا بفتح السين فقليل هما بمعنى اي حائلا يسد طريقهم وقال عكرمة ما كان مما يفعله البشر فهو بالضم وما كان خلقة فهو بالفتح ومعنى الآية ان طريق الهدى سد دونهم * وقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية انما ليست للحصر هنا بل هي على جهة تخصيص من ينفعه الانذار واتباع الذكر هو العمل بما في كتاب الله والاقتداء به قال قتادة الذكر القرآن * وقوله بالغيب اي بالخلوات عند مغيب الانسان عن اعين البشر ثم اخبر تعالى باحيائه الموتى ردا على الكفرة ثم توعدهم بذكر كتب الآثار واحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الانسان فيدخل فيما قدم ويدخل في آثاره لكنه سبحانه ذكر الامر من الجهتين ولينبه على الآثار التي تبقى وتذكر بعد الانسان من خير وشر وقال جابر بن عبد الله وابوسعيد ان هذه الآية نزلت في بني سلمة على ما تقدم وقول النبي عليه السلام لهم دياركم تكتب آثاركم والامام المبين قال قتادة وابن زيد هو اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحف الاعمال * وقوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية الآية روي عن ابن عباس والزهري وعكرمة ان القرية هنا هي انطاكية واختلف في هؤلاء المرسلين فقال قتادة وغيره كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى حين رفع وصلب الذي القي عليه شبهه فتفرق الحواريون في الافاق فقص الله تعالى هنا قصة الذين نهضوا الى انطاكية وقالت فرقة بل هؤلاء انبياء من قبل الله عز وجل قال (ع) وهذا يرجعه قول الكفرة ما انتم الابرار مثلنا فانها محاوراة انما تقال لمن ادعى الرسالة من الله تعالى والآخر محتمل وذكر المفسرون في قصص الآية اشياء يطول ذكرها والصحة فيها غير متيقنة فاختصرته واللازم من الآية ان الله تعالى بعث اليها رسولين فدعا اهل

القرية الى عبادة الله وتوحيده فكذبوها فشدد الله امرها بثالث وقامت الحجة على اهل القرية وامن منهم الرجل الذي جاء يسعى وقتلوه في اخر امره وكفروا واصابتهم صيحة من السماء فخمدوا وقرأ الجمهور فعرزنا بشد الزاي على معنى قويننا وشددنا وبهذا فسرهم مجاهد وغيره وهذه الامة انكرت النبوءات بقولها وما انزل الرحمن من شئ قال بعض المتأولين لما كذب اهل القرية المرسلين اسرع فيهم الجذام وقال مقاتل احتبس عنهم المطر فلذلك قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاء منا بكم والاظهران تطير هؤلاء انما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف كلمتهم وافتتان الناس * وقوله ان ذكرتم جوابه محذوف اي تطيرتم قاله ابو حيان وغيره انتهى وقولهم عليهم السلام طائركم معكم معناه حفظكم وما صار لكم من خير وشر معكم اي من افعالكم ومن تكسباتكم ليس هو من اجلنا وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر ان ذكرتم بهمزتين الثانية مكسورة وقرأ نافع وغيره بتسهيل الثانية وردها ياء اين ذكرتم واخبر تعالى عن حال رجل جاء من اقصى المدينة يسعى سمع المرسلين وفهم عن الله تعالى فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايان بهم اذ هو الحق فروي عن ابن عباس وغيره ان اسم هذا الرجل حبيب وكان نجارا وكان فيما قال وهب بن منبه قد تجذم وقيل كان في غار يعبد ربه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الآية وذكر الناس في اسماء الرسل صادق وصدوق وشلوم وغير هذا والله اعلم بصحته واختلف المفسرون في قوله فاسمعون فقال ابن عباس وغيره خاطب بها قومه اي على جهة المبالغة والتنبيه وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للامر عندهم قال (ع) وهنا محذوف تواترت به الاحاديث والروايات وهو انهم قتلوه فقبل له عند موته ادخل الجنة فلما أقر الله عينه بما رأى من الكرامة قال ياليت قومي يعلمون الآية

قيل اراد بذلك الاشفاق والنصح لهم اي لو علموا ذلك لآمنوا بالله تعالى وقيل اراد ان يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم به ويخزيهم ذلك وهذا موجود في جملة البشر اذا نال الشخص عزا وخيرا في ارض غريبة ودان يعلم ذلك جيرانه واتباعه الذين نشأ فيهم كما قيل

العز مطلوب وملتمس * واجبه ما نيل في الوطن

قال (ع) والتاويل الاول اشبه بهذا العبد الصالح وفي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : صح قومه حيا وميتا وقال قتادة نصحبهم على حالة الغضب والرضا وكذلك لا تجدد المومن الا ناصحا للناس * وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند الاية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم فيها توعده لقريش وتحذير ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بقوم حبيب النجار قال مجاهد لم ينزل الله عليهم من جند اراد انه لم يرسل اليهم رسولا ولا استمعبتهم قال قتادة والله ما عاب الله قومه بعد قتله حتى اهلكهم وقال ابن مسعود اراد لم يحتج في تعذيبهم الى جند بل كانت صيحة واحدة لانهم كانوا ايسر واهون من ذلك واختلف في قوله تعالى وما كنا منزلين فقالت فرقة ما نافية وقالت فرقة ما عطف على جند اي من جند ومن الذي كنا منزلين على الامم مثلهم قبل ذلك وخامدون اي ساكنون موقى * وقوله تعالى يا حسرة الحسرة التلهف وذلك ان طباع كل بشر توجب عند سماع حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم امر الله ان يشفق ويتحسر على العباد وقال الثعلبي قال الضحاك انها حسرة الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل وقال ابن عباس حلوا محل من يتحسر عليه انتهى وقرأ الاعرج وابو الزناد ومسلم بن جندب يا حسره بالوقف على الهاء وهو ابلغ في معنى التحسر والتشفيق وهز النفس * وقوله تعالى ما ياتيهم من رسول الاية تمثيل لفعل قریش واياهم غنى بقوله لم يروا كم اهلكنا

وقرأ جمهور الناس لما جميع بتخفيف الميم وذلك على زيادة ما للتاكيد والمعنى لجميع وقرأ عاصم والحسن وابن جبير لما بشد الميم قالوا هي بمنزلة الا ومحضرون قال قتادة محشرون يوم القيامة * وقوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها الآية واية معناه وعلامة على الحشر وبعث الاجساد والضمير في لهم لكفار قريش والضمير في ثمره قيل هو عائد على الماء الذي تضمنه ذكر العيون وقيل هو عائد على جميع ما تقدم مجملا كأنه قال من ثمر ما ذكرنا وما في قوله وما عملته ايديهم قال الطبري هي اسم معطوف على الثمر اي يقع الاكل من الثمر ومما عملته الايدي بالفرس والزراعة ونحوه وقالت فرقة هي مصدرية وقيل هي نافية والتقدير انهم ياكلون من ثمره وهو شئ لم تعمله ايديهم بل هي نعمة من الله تعالى عليهم والازواج الانواع من جميع الاشياء * وقوله ومما لا يعلمون نظير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون * وقوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار هذه الايات جعلها الله عز وجل ادلة على قدرته ووجوب الألوهية له ونسلخ معناه نكشط ونقشر فهي استعارة (ت) قال الهروي قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نخرجه منه اخراجا لا يبقى من ضوء النهار معه شئ انتهى ومظلّمون داخلون في الظلام ومستقر الشمس على ما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابي ذر بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها وهو في البخاري وفي حديث آخر انها تسجد في عين حمئة ومنازل منصوب على الظرف وهي المنازل المعروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطع القمر منها كل ليلة منزلة وعودته هي استهلاله رقيقا وحينئذ يشبه العرجون وهو الغصن من النخلة الذي فيه شمار يخ التمر فانه ينحني ويصفّر اذا قدم ويجيئ اشبه شئ بالهلال قاله الحسن والوجود يشهد له والقديم معناه العتيق الذي قد مر عليه

زمن طويل وينبغي هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه لانها لاقدرة لها على غير
 ذلك والفلك فيما روي عن ابن عباس متحرك مستدير كفلكة المغزل فيه جميع
 الكواكب ويسبحون معناه يحجرون ويعومون * وقوله تعالى واية لهم انا حملنا
 ذرياتهم في الفلك الآية ذكر الذرية لضعفهم عن السفر فالنعمة فيهم امكن
 والضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس كانه قال ذريات جنسهم اوتوعهم
 هذا اصح ما يتجه في هذا واما معنى الآية فقال ابن عباس وجماعة يريد
 بالذريات المحمولين اصحاب نوح في السفينة ويريد بقوله من مثله السفن
 الموجودة في جنس بني ادم الى يوم القيامة واياها اراد بقوله وان نشأ نفرقهم
 وقال مجاهد وغيره المراد بقوله انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون السفن
 الموجودة في بني ادم الى يوم القيامة ويريد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما
 يركبون الابل وسائر ما يركب فتكون المماثلة في انه مركوب مبلغ الى الاقطار
 فقط ويعود قوله وان نشأ نفرقهم على السفن الموجودة في الناس والصربخ
 هنا بمعنى المصرخ المغيث * وقوله تعالى الارحمة منا قال الكسائي نصب رحمة
 على الاستثناء كانه قال الا ان رحمهم * وقوله الى حين يريد الى آجالهم
 المضروبة لهم ثم ابتداء الاخبار عن عتو قريش بقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين
 ايديكم قال قتادة ومقاتل ما بين ايديهم هو عذاب الامم الذي قد سبقهم في
 الزمن وهذا هو النظر الجيد وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وبما ياتي
 منها قال (ع) وهذا نحو الاول في المعنى * وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا
 مما رزقكم الله الآية الضمير في قوله لهم لقريش وسبب الآية ان الكفار لما اسلم
 حواشيهم من الموالى وغيرهم والمستضعفين قطعوا عنهم نفقاتهم وصلاتهم وكان
 الامر بمكة اولافيه بعض الاتصال في وقت نزول آيات المواعدة فنسب
 اولائك المومنون قراباتهم من الكفار الى ان يصلوهم وينفقوا عليهم مما رزقهم

الله فقالوا عند ذلك انطعم من لويشاء الله اطعمه وقالت فرقة سبب الآية ان قريشا شحت بسبب ازمة على المساكين جميعا مومن وغير مومن فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم الى النفقة على المساكين وقولهم يحتمل معنيين احدهما يخرج على اختيار لجمال العرب فقدروي ان اعرابيا كان يرعى ابله فيجعل السمان في الحصب والمهازيل في المكان الجذب فقليل له في ذلك فقال اكرم ما اكرم الله واهين ما اهان الله فيخرج قول قريش على هذا المعنى ومن امثالهم كن مع الله على المدبر والتاويل الثاني ان يكون كلامهم بمعنى الاستهزاء بقول محمد عليه السلام ان ثم الها هو الرزاق فكانهم قالوا لم لا يرزقهم الهك الذي ترعم اي نحن لانطعم من لويشاء هذا الاله الذي زعمت لاطعمه * وقوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين يحتمل ان يكون من قول الكفرة للمومنين اي في اكرم لنا بالنفقة وفي غير ذلك من دينكم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى للكفرة وقولهم متى هذا الوعد اي متى يوم القيامة وقيل ارادوا متى هذا العذاب الذي تهددنا به وما ينظرون اي ينتظرون ومانافية وهذه الصيحة هي صيحة القيامة وهي النفخة الاولى وفي حديث ابي هريرة ان بعدها نفخة الصعق ثم نفخة الحشر وهي التي تدوم فمالها من فواق واصل يخصصون يختصمون والمعنى وهم يتحاورون ويتراجعون الاقوال بينهم وفي مصحف ابي ابن كعب يختصمون ولا الى اهلهم يرجعون لاعجال الامر بل تفيض انفسهم حيث ما اخذتهم الصيحة * وقوله سبحانه ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون هذه نفخة البعث والاجداث القبور وينسلون اي يمشون مسرعين وفي قراءة ابن مسعود من اهبنا من مرقدنا وروي عن ابي بن كعب وغيره ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر قال (ع) وهذا غير صحيح الاسناد وانما الوجه في قولهم من مرقدنا انها استعارة كما تقول في

قتيل هذا مرقدہ الى يوم القيامة * وقوله هذا ما وعد الرحمن جوز الزجاج ان يكون هذا اشارة الى المرقد ثم استأنف ما وعد الرحمن ويضم الخبر حق او نحوه وقال الجمهور ابتداء الكلام هذا ما وعد الرحمن واختلف في هذه المقالة من قالها فقال ابن زيد هي من قول الكفرة وقال قتادة ومجاهد هي من قول المومنين للكفار وقال الفراء هي من قول الملائكة وقالت فرقة هي من قول الله تعالى على جهة التوبيخ وباقي الآية بين * وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس وغيره هو افتضاض الابكار وقال ابن عباس ايضا هو سماع الاوتار وقال مجاهد معناه نعم قد شغلهم قال (ع) وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء لا قياس له * وقوله سبحانه هم وازواجهم في ظلال جاء في صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه انتهى وهذا الظل المذكور في الحديث هو في المحشر قال الشيخ ابن ابي حمزة رضي الله عنه وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملك بالاعمال التي عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى فليس هناك لعمولك الاعمال ظل انتهى وهو كما قال فشر عن ساق الجد ان اردت الفوز ايها الاخ والسلام والارائك السرر المفروشة قيل ومن شرطها ان تكون عليها حجلة والافليست باريكة وبذلك قيدها ابن عباس وغيره * وقوله ما يدعون بمنزلة ما يتمنون قال ابو عبيدة العرب تقول ادع علي ماشئت بمعنى تمن علي * وقوله سلام قيل هي صفة اي مسلم لهم وخالص وقيل هو مبتدأ وقيل هو خبر

مبتدا * وقوله تعالى وامتازوا اليوم فيه حذف تقديره ونقول للكفرة وامتازوا
 معناه انفصلوا وانحجزوا لان العالم في الموقف انما هم مختلطون (ت) وهذا
 يحتاج الى سند صحيح وفي الكلام اجمال ويوم القيامة هو مواطن ثم خاطبهم
 تعالى لما تميزوا توبيخا وتوقيفا على عهده اليهم ومخالفتهم له وعبادة الشيطان هي
 طاعته والانقياد لاغوائه * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرائع
 اذ بعث الله ادم الى ذريته ثم لم تحل الارض من شريعة الى ختم الرسالة
 بسيدنا محمد خاتم النبيين والجليل الامة العظيمة ثم اخبر سبحانه نبيه محمدا
 عليه السلام اخبارا تشاركه فيه امته بقوله اليوم نختم على افواههم وذلك ان
 الكفار يجحدون ويطلبون شهيدا عليهم من انفسهم حسبما ورد في الحديث
 الصحيح فعند ذلك يختم الله تعالى على افواههم ويامر جوارحهم بالشهادة
 فتشهد * وقوله سبحانه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الضمير في اعينهم لكفار
 قريش ومعنى الآية تبسين انهم في قبضة القدرة وبمدرج العذاب قال الحسن
 وقتادة اراد الاعين حقيقة والمعنى لاعينناهم فلا يرون كيف يمشون ويؤيد هذا
 مجانسة المسخ للعمى الحقيقي * وقوله فاستبقوا الصراط معناه على الفرض
 والتقدير كانه قال ولو شئنا لاعينناهم فاحسب او قدر انهم يستبقون الصراط
 وهو الطريق فاني لهم بالابصار وقد اعينناهم وعبارة الشعابي وقال الحسن
 والسدي ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ
 انتهى وقال ابن عباس اراد اعين البصائر والمعنى لو شئنا لحمتنا عليهم بالكفر
 فلم يهتد منهم احد ابدا وبين تعالى في تنكيسه العمرين وان ذلك مما لا يقدر
 عليه الا هو سبحانه وتنكيسه تحول خلقه من القوة الى الضعف ومن الفهم الى
 البله ونحو ذلك ثم اخبر تعالى عن حال نبيه محمد عليه السلام رادا على من
 قال من الكفرة انه شاعر وان القرآن شعر بقوله وما علمناه الشعر الآية *

وقوله تعالى لتندر من كان حيا اي حي القلب والبصيرة ولم يكن ميتا لكفره وهذه استعارة قال الضحاك من كان حيا معناه عاقلا ويحق القول معناه يحتم العذاب ويجب الخلود * وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا الآية مخاطبة لقريش ايضا * وقوله ايدينا عبارة عن القدرة والله تعالى منزه عن الجارحة * وقوله تعالى فهم لها مالكون تنبيه على النعمة * وقوله وهم لهم جند محضرون اي يحضرون لهم في الآخرة على معنى التوبيخ والنعمة وسمى الاصنام جندا اذ هم عدة للنعمة من الكفرة ثم انس الله نبيه عليه السلام بقوله فلا يحزنك قولهم وتوعد الكفرة بقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون * وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الآية والصحيح في سبب نزول الآية هو ما رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحاق وغيره ان ابي بن خلف جاء بعظم رميم ففثته في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وحياله وقال من يحيي هذا يا محمد ولا بي هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقامات ومقالات الى ان قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد طعنه بجره في عنقه * وقوله ونسي خلقه يحتمل ان يكون نسيان الذهول ويحتمل ان يكون نسيان الترك والريمم البالي المتفتت وهو الرفات ثم دلهم سبحانه على الاعتبار بالنشأة الاولى ثم عقب تعالى بدليل ثالث في ايجاد النار في العود الاخضر المرتوى ماء وهذا هو زناد العرب والنار موجودة في كل عود غير انها في المتخلخل المفتوح المسام اوجد وكذلك هو المرخ والمفار وجمع الضمير جمع من يعقل في قوله مثلهم من حيث ان السموات والارض متضمنة من يعقل من الملائكة والشقلين هذا تاويل جماعة وقيل مثلهم عائد على الناس وباقي الآية بين

﴿ تفسير سورة والصفات وهي مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والصفات صفا الآية اقسام تعالى في هذه الآية باشياء من مخلوقاته قال ابن مسعود وغيره الصفات هي الملائكة تصف في السماء في عبادة الله عز وجل وقالت فرقة المراد صفوف بنى آدم في القتال في سبيل الله قال (ع) واللفظ يحتمل ان يعم هذه المذكورات كلها قال مجاهد والزاجرات هي الملائكة تجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة الزاجرات هي آيات القرآن والتاليات ذكرنا معناه القارئات قال مجاهد اراد الملائكة التي تتلو ذكره وقال قتادة اراد بنى آدم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك والمقسم عليه قوله ان الحكم لواحد * وقوله مارد قال العراقي مارد سخط عليه وهكذا يريد انتهى وهذا لفظه والملا الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمى الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملا الارض الذي هو اسفل والضمير في يسمعون للشياطين وقرا حمزة وعاصم في رواية حفص لا يسمعون بشد السين والميم بمعنى لا يسمعون فينتفى على قراءة الجمهور سماعهم وان كانوا يسمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله تعالى انهم عن السمع لمعزلون ويقذفون معناه يرمون والدحور الاصفار والاهانة لان الدحر هو الدفع بعنف وقال البخاري ويقذفون يرمون ودحورا مطردين وقال ابن عباس مدحورا مطرودا انتهى والواصب الدائم قاله مجاهد وغيره وقال ابو صالح الواصب الموجع ومنه الوصب والمعنى هذه الحال هي

الغالبة على جميع الشياطين الا من شذ فخطف خبرا اوتبأ فاتبعه شهاب فاحرقه
 والثاقب النافذ بضوءه وشعاعه المنير قاله قتادة وغيره * وقوله تعالى
 فاستفتهم اهل اشد خلقا امن خلقنا اي فلا يمكنهم ان يقولوا الا ان خلق من
 سواهم من الالم والملائكة والجن والسموات والارض والمشارق والمغرب
 وغير ذلك هو اشد من هؤلاء المخاطبين وبان الضمير في خلقنا يراد به
 ما تقدم ذكره قال مجاهد وقتادة وغيرهما ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود ام
 من عددنا وكذلك قرأ الاعمش * وقوله تعالى انا خلقناهم من طين اي خلق
 اصلهم وهو ادم عليه السلام والالزب اللازم يلزم ما جاوره ويلصق به وهو
 الصلصال بل عجت يا محمد من اعراضهم عن الحق وقرأ حمزة والكسائي بل
 عجت بضم التاء وذلك على ان يكون تعالى هو المتعجب ومعنى ذلك من الله
 تعالى انه صفة فعل ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يعجب الله من الشاب
 ليست له صبوة فانما هي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجب منه
 من التعظيم او التحقير حتى يصير الناس متعجبين منه قال الثعلبي قال الحسين
 ابن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب انتهى *
 وقوله ويستخرون اي وهم يستخرون من نبوتك * وقوله واذا رآوا آية يستسخرون
 يريد بالآية العلامة والدلالة وروي انها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين
 من اهل مكة لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في جبل خال وهو يرعى غنما له
 وكان اقوى اهل زمانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياركانة ارايت ان
 صرعتك اتومن بي قال نعم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم عرض عليه
 آيات من دعاء شجرة واقبالها ونحو ذلك مما اختلفت فيه الفاظ الحديث فلما
 فرغ ذلك لم يؤمن وجاء الى مكة فقال يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم اهل
 الارض فنزلت هذه الآية فيه وفي نظرائه ويستسخرون قال مجاهد وقتادة

معناه يسخرون ثم امر تعالى نبيه ان يجيب تقريرهم واستفهامهم عن البعث بنعم وان يزيدهم في الجواب انهم مع البعث في صغار وذلة واستكانة والداخر الصاغر الدليل وقد تقدم بيانه غير ما مرة والزجرة الواحدة هي نفخة البعث قال العراقي الزجرة الصحيحة بانتهاار انتهى والدين الجزاء واجمع المفسرون على ان قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ليس هو من قول الكفرة وانما المعنى يقال لهم * وقوله وازواجهم معناه انواعهم وضرباؤهم قاله عمر وابن عباس وقتادة ومعهم ما كانوا يعبدون من دون الله من آدمي رضي بذلك ومن صنم ووثن وتوبيخا لهم واظهارا لسوء حالهم وقال الحسن ازواجهم نساؤهم المشركات وقاله ابن عباس ايضا * وقوله تعالى فاهدوهم معناه قدموهم واحملوهم على طريق الجحيم ثم يامر الله تعالى بوقوفهم على جهة التوبيخ لهم والسؤال قال جمهور المفسرين يسئلون عن اعمالهم ويوقفون على قبجها وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد الحديث قال (ع) ويحتمل عندي ان يكون المعنى على نحو ما فسرته تعالى بقوله ما لكم لا تناصرون اي انهم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر وهذا على جهة التوبيخ وقرأ خالد لا تتناصرون (ت) قال عياض في المدارك كان ابو اسحاق الجبيني ظاهرا الحزن كثير الدمعة يسرد الصيام قال ولده ابو الطاهر قال لى ابى ان انسانا بقي في اية سنة لم يتجاوزها وهي قوله تعالى وقفوههم انهم مسئولون فقلت له انت هو فسكت فعلمت انه هو وكان اذا دخل في الصلاة لو سقط البيت الذى هو فيه ما التفت اقبالا على صلاته واشتغالا بتأجاة ربه وكان رحمه الله من اشد الناس تضيقا على نفسه ثم على اهله وكان ياكل البقل البري والجراد اذا وجده ويطحن قوته بيده شعيرا ثم يجعله بنخالته دقيا في قدر مع ما وجد من بقل بري وغيره حتى انه ربما رمى بشيء منه لكلب او هر فلا ياكله

وكان لباسه يجمعه من خرق المزابل ويرقمه وكان يتوطأ الرمل وفي الشتاء يأخذ قفاف المعاصر الملقاة على المزابل يجعلها تحته قال ولده ابو الطاهر وكنا اذا بقينا بلا شيء نقتاته كنت اسمعه في الليل يقول

ما لي تلاد ولا استطرفت من نشب * وما أأمل غير الله من احد
ان القنوع بحمد الله يمنعي * من التمرض للمنانة النكد
انتهى * وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساولون هذه الجماعة التي يقبل بعضها على بعض هي جن وانس قاله قتادة وتساولهم هو على معنى التقريع واللوم والتسخط والقتالون انكم كنتم تاتوننا اما ان يكون الانس يقولونها للشياطين وهذا قول مجاهد وابن زيد واما ان يكون ضعفة الانس يقولونها للكبراء والقادة واضطرب المتأولون في معنى قولهم عن اليمين فمير ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة ونحو هذا من العبارات التي هي تفسير بالمعنى ولا يختص بنفس اللفظة والذي يخصها معان منها ان يريد باليمين القوة اي تحملوننا على طريق الضلالة بقوة ومنها ان يريد باليمين اليمن اي تاتوننا من جهة النصائح والعمل الذي يتيمن به ومن المعاني التي تحملها الآية ان يريدوا انكم كنتم تجيئوننا من جهة الشهوات واكثر ما يتمكن هذا التأويل مع اغواء الشياطين وقيل المعنى تحلفون لنا فاليمين على هذا القسم وقد ذهب بعض العلماء في ذكر ابليس جهات بني ادم في قوله من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم الى ما ذكرناه من جهة الشهوات ثم اخبر تعالى عن قول الجن المجيبين لهؤلاء بقولهم بل لم تكونوا مومنين اي ليس الامر كما ذكرتم بل كان لكم اكتساب الكفر وما كان لنا عليكم حجة وبنحو هذا فسر قتادة وغيره انه قول الجن الى غاوين ثم اخبر تعالى بانهم جميعا في العذاب مشتركون وان هذا فعله باهل الجرم والكفر * وقوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله

الآية (ت) جاء في فضل لا اله الا الله احاديث كثيرة فمنها ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى يارب علمني شيئاً اذكرك به وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال انما اريد شيئاً تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ لابن حبان وعنه صلى الله عليه وسلم قال وقول لا اله الا الله لا تترك ذنباً ولا يشبهها عمل رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح والطائفة التي قالت اننا لتاركووا الهتنا لشاعر مجنون هي قريش واشارتهم بالشاعر الى النبي صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين الذين تقدموه ثم اخبر تعالى مخاطباً لهم بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم الآية * وقوله تعالى الاعداء الله المخلصين استثناء منقطع وهؤلاء المومنون * وقوله معلوم معناه عندهم * وقوله بيضاء يحتمل ان يعود على الكاس ويحتمل ان يعود على الحمر وهو اظهر قال الحسن خمر الجنة اشد بياضاً من اللبن وفي قراءة ابن مسعود صفراء فهذا وصف الحمر وحدها والقول اسم عام في الاذى وقال ابن عباس وغيره القول وجع في البطن وقال قتادة هو صداع في الرأس ويزفون من قولك نرف الرجل اذا سكر وبازهاب العقل فسرهم ابن عباس وقراً حمزة والكسائي يزفون بكسر الزاي من اترف وله معنيان احدهما سكر والثاني نفد شرابه وهذا كله منفي عن اهل الجنة وقاصرات الطرف قال ابن عباس وغيره معناه على ازواجهن اي لا ينظرن الى غيرهم وعين جمع عينا وهي الكبيرة العينين في جمال * وقوله تعالى كانهن بيض مكنون قال ابن جبير والسدي شبه الواهن بلون قشر البيضة

الداخلي وهو المكنون اي المصون ورجحه الطبري وقال الجمهور شبه الوانهم بلون قشر البيضة من النعام وهو بياض قد خالطه صفرة حسنة ومكنون اي بالريش وقال ابن عباس فيما حكى الطبري البيض المكنون اراد به الجوهر المصون قال (ع) وهذا يردده لفظ الآية فلا يصح عن ابن عباس * وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم الآية هذا التساؤل الذي بين اهل الجنة هو تساؤل راحة وتنعم يتذاكرون امورهم في الجنة وامر الدنيا وحال الطاعة والايمان فيها ثم اخبر تعالى عن قول قائل منهم في قصته وهو مثال لكل من له قرين سوء فيعطى هذا المثال التحفظ من قرناه السوء قال الثعلبي قوله اني كان لي قرين قال مجاهد كان شيطانا انتهى وقال ابن عباس وغيره كان هذان من البشر مومن وكافر وقال فرات بن ثعلبة البهراني في قصص هذين انهما كانا شريكين بشمانية ١٠ الاف دينار فكان احدهما مشغولا بعبادة الله وكان الآخر كافرا مقبلا على ماله فحل الشركة مع المومن وبقي وحده لتقصير المومن في التجارة وجعل الكافر كلما اشترى شيئا من دار او جارية او بستان ونحوه عرضه على المومن وفخر عليه فيمضي المومن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك ليشتري به من الله تعالى في الجنة فكان من امرهما في الآخرة ما تضمنته هذه الآية وحكى السهيلي ان هذين الرجلين هما المذكوران في قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اغراب الآية انتهى ومدينون معناه مجازون محاسبون قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى قال هل انتم مطمعون الآية في الكلام حذف تقديره فقال لهذا الرجل حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم مطمعون يخاطب بانتم الملائكة او رفقاءه في الجنة او خدمته وكل هذا حكى المهدوي وقرأ ابو عمرو في رواية حسين مطمعون بسكون الطاء وفتح

النون وقرئ شاذاً مطلعون بسكون الطاء وكسر النون قال ابن عباس وغيره
سواء الجحيم وسطه فقال له المومن عند ذلك تالله ان كدت لتردينى اى لتهلكنى
باغوائك والردى الهلاك وقول المومن افما نحن بميتين الى قوله بمعذبين يحتمل
ان تكون مخاطبة لرفقائه فى الجنة لما رأى ما نزل بقرينه ونظر الى حاله فى
الجنة وحال رفقائه قدر النعمة قدرها فقال لهم على جهة التوقيف على
النعمة افما نحن بميتين ولا معذبين ويجيى على هذا التاويل قوله ان هذا هو
الفوز العظيم الى قوله العاملون متصلاً بكلامه خطاباً لرفقائه ويحتمل قوله افما
نحن بميتين ان تكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ كانه يقول اين الذى
كنت تقول من انا نوت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب ويكون قوله تعالى
ان هذا هو الفوز العظيم الى قوله العاملون يحتمل ان يكون من خطاب المومن
لقرينه واليه ذهب قتادة ويحتمل ان يكون من خطاب الله تعالى لمحمد عليه
السلام وامته ويقوى هذا قوله لمثل هذا فيعمل العاملون وهو حض على
العمل والاخرة ليست بدار عمل * وقوله تعالى اذلك خير زلا ام شجرة الزقوم
المراد بالآية تقرير قریش والكفار قال (ع) وفى بعض البلاد الجذبة المجاورة
للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن ان مس جسم احد تورم ومات منه فى
اغلب الامر تسمى شجرة الزقوم والترقم فى كلام العرب البلع على شدة
وجهد * وقوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي
يريد ابا جهل ونظراءه وقد تقدم بيان ذلك * وقوله تعالى كانه رؤس
الشياطين اختلف فى معناه فقالت فرقة شبه طلها بثمر شجرة معروفة يقال
لها رؤس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الآسن وقالت فرقة شبه
برؤس صنف من الحيات يقال لها الشياطين وهي ذوات اعراف وقالت فرقة
شبه بما استقر فى النفوس من كراهة رؤس الشياطين وقبحها وان كانت لا ترى

لان الناس اذا وصفوا شيئاً بغاية القبح قالوا كانه شيطان ونحو هذا قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرقي مضاجعي * ومسونة زرق كانياب اغوال
 فانما شبه بما استقر في النفوس من هينها والشوب المزاج والخلط قاله ابن
 عباس وقتادة والحميم السخن جدا من الماء ونحوه فيريد به هاهنا شرابهم
 الذي هو طينة الجبال صديدهم وما ينماع منهم هذا قول جماعة من المفسرين *
 وقوله تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم كقوله تعالى يطوفون بينها وبين
 جيم آن * وقوله سبحانه انهم الفوا آباءهم الآية تمثيل لقريش ويهرعون معناه
 يسرعون قاله قتادة وغيره وهذا تكسبهم للكفر وحرصهم عليه * وقوله تعالى
 فانظر كيف كان عاقبة المذدين يقتضى الاخبار بانه عذبهم ولذلك حسن
 الاستثناء في قوله الاعداد الله المخلصين ونداء نوح تضمن اشياء كطلب النصرة
 والدعاء على قومه وغير ذلك قال ابو حيان وقوله فلنعم المجيبون جواب قسم
 كقوله * يميناً لنعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف
 اي فلنعم المجيبون نحن انتهى * وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقيين
 قال ابن عباس وقتادة اهل الارض كلهم من ذرية نوح وقالت فرقة
 ان الله تعالى ابقى ذرية نوح ومد نسله وليس الامر بان اهل الدنيا
 انحصروا الى نسله بل في الامم من لا يرجع اليه والاول اشهر عن علماء
 الامة وقالوا نوح هو ادم الاصغر قال السهيلي ذكر عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انه قال في قوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقيين انهم سام وحام
 وياث انتهى * وقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين معناه ثناء حسنا جميلا
 باقيا آخر الدهر قاله ابن عباس وغيره وسلام رفع بالابتداء مستأنف سلم الله به
 عليه ليقتدي بذلك البشر (ت) قال ابو عمر في التمهيد قال سعيد يعني ابن

عبد الرحمن الجمحي بلغني انه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب ذكر هذا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم للاسلمي الذي لدغته عقرب اما لو انك قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله قال ابو عمر وروى ابن وهب هذا الحديث عن مالك يعني حديث اعوذ بكلمات الله التامات باسناده مثل ما في الموطأ الا انه قال في اخره لم يضرك شيء انتهى * وقوله تعالى ثم اغرقنا الآخرين قال جماعة من العلماء ان الفرق عم جميع الناس واسندوا في ذلك احاديث قالوا ولم يكن الناس حينئذ بهذه الكثرة لان عهد ادم كان قريبا وكانت دعوة نوح ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللبث فيهم فتبادوا على كفرهم ولم يقبلوا ما دعاهم اليه من عبادة الرحمن فلذلك اغرق الله جميعهم * وقوله تعالى وان من شيعته قال ابن عباس وغيره الضمير عائد على نوح والمعنى في الدين والتوحيد وقال الطبري وغيره عن الفراء الضمير عائد على محمد والاشارة اليه * وقوله ائفكا استفهام بمعنى التقرير اي اكذبا ومحالا الهة دون الله تريدون * وقوله فما ظنكم توبيخ وتحذير وتوعد * وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم روي ان قومه كان لهم عيد يخرجون اليه فدعوا ابراهيم عليه السلام الى الخروج معهم فنظر حينئذ واعتذر بالسقم واراد البقاء ليخالفهم الى الاصنام وروي ان علم النجوم كان عندهم منظورا فيه مستعملا فاوهمهم هو من تلك الجهة قالت فرقة وقوله اني سقيم من المراض الجائزة * وقوله تعالى فراغ الى الهتهم راغ معناه مال * وقوله الا تاكلون هو على جهة الاستهزاء بمبدة تلك الاصنام ثم مال عند ذلك الى ضرب تلك الاصنام بفاس حتى جعلها جذاذا واختلف في معنى قوله باليمين فقال ابن عباس اراد يميني يديه وقيل اراد بقوته لانه كان يجمع يديه معا بالفاس وقيل اراد باليمين القسم في قوله وتالله لا كيدين اصنامكم

والضمير في اقبلوا لكفار قومه ويزفون معناه يسرعون واختلف المتأولون في قوله وما تعملون فمذهب جماعة من المفسرين ان ما مصدرية والمعنى ان الله خلقكم واعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق الله تعالى افعال المباد وهو مذهب اهل السنة وقالت فرقة ما بمعنى الذي والبيان قيل كان في موضع ايقاد النار وقيل بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه والله اعلم * وقوله اني ذاهب الى ربي الآية قالت فرقة كان قوله هذا بعد خروجه من النار وانه اشار بذهابه الى هجرته من ارض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج الى الشام وقالت فرقة قال هذه المقالة قبل ان يطرح في النار وانما اراد لقاء الله لانه ظن ان النار سيموت فيها وقال سيهدين اي الى الجنة نحا الى هذا المعنى قتادة قال (ع) وللعارفين بهذا الذهاب تمسك واحتجاج في الصفاء وهو محمل حسن في اني ذاهب وحده والتاويل الاول اظهر في نمط الآية بما ياتي بعد لان الهداية معه تترتب والدعاء في الولد كذلك ولا يصح مع ذهاب الموت وباقي الآية تقدم قصصها وان الراجح ان الذبيح هو اسماعيل وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح اسماعيل وترغم اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود وذكر ايضا ان عمر بن عبد العزيز سأل عن ذلك رجلا يهوديا كان اسلم وحسن اسلامه فقال الذبيح هو اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الآيات والفضل والله في ابيكم والسعي في هذه الآية العمل والعبادة والممونة قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة السعي على التقدم يريد سعيًا متمكنًا وهذا في المعنى نحو الاول * وقوله اني ارى في المنام الآية يحتمل ان يكون رأى ذلك بعينه ورؤيا الانبياء وحي وعين له وقت الامتثال ويحتمل انه امر في نومه بذبحه فعبير عن ذلك بقوله اني ارى اي ارى ما يوجب ان اذبحك قال ابن العربي في احكامه

واعلم ان رؤيا الانبياء وحى فما القى اليهم ونفث به الملك في روعهم وضرب
المثل له عليهم فهو حق ولذلك قالت عائشة وما كنت اظن انه ينزل في
قرآن تلى ولكنى رجوت ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يسبرتنى
الله بها وقد بينا حقيقة الرؤيا وان البارئ تعالى يضربها مثلاً للناس فمنها اسماء
وكنى فمنها رؤيا تخرج بصفتها ومنها رؤيا تخرج بتاويل وهو كنيستها ولما
استسلم ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام لقضاء الله اعطى ابراهيم ذبيحاً
فداء وقيل له هذا فداء ولدك فامتثل فيه ما رأيت فانه حقيقة ما خطبناك
فيه وهو كناية لاسم وجعله مصداقاً للرؤيا بمبادرة الامتثال انتهى * وقوله
تعالى فلما اسلما اي اسلما انفسهما واستسلما لله عز وجل وقرأ ابن عباس
وجاعة سلما والمعنى فوضا اليه في قضائه وقدره سبحانه فاسلم ابراهيم ابنه
واسلم الابن نفسه قال بعض البصريين جواب لما محذوف تقديره فلما اسلما
وتله للجبين اجزل اجرهما ونحو هذا مما يقتضيه المعنى وتله معناه وضعه بقوة
ومنه الحديث فى القدح فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اي وضعه
بقوة وللجبين معناه لتلك الجهة وعليها كما يقولون فى المثل * وخرصرىما لليدين
وللفم * وكما تقول سقط لشقه الايسر والجبينان ما اكتنف الجبهة من هاهنا ومن
هاهنا وان من قوله ان يا ابراهيم مفسرة لاموضع لها من الاعراب وصدقت
الرؤيا يحتمل ان يريد بقلبك اوبعملك والرؤيا اسم لما يرى من قبل الله تعالى
والمنام والحلم اسم لما يرى من قبل الشيطان ومنه الحديث الصحيح الرؤيا من
الله والحلم من الشيطان والبلاء الاختبار والذبح العظيم فى قول الجمهور كبش
ابيض اعين وجده وراءه مربوطاً بسمرة واهل السنة على ان هذه القصة
نسخ فيها العزم على الفعل خلافاً للمعتزلة قال احمد بن نصر الداودي وان نسخ
الله اية قبل العمل بها فانما ينسخها بعد اعتقاد قبولها وهو عمل انتهى

من تفسيره عند قوله تعالى ما ننسخ من آية قال (ع) ولا خلاف ان ابراهيم امر
 الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع والجمهور ان امر الذبح كان بمنى وقال الشعبي
 رأيت قرني كبش ابراهيم معاقتين في الكعبة وروى عمران بن حصين ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة قومي لاضحيتك فاشهديها فانه يغفر لك عند
 اول قطرة من دمها كل ذنب عملته وقولي ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
 لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين قال عمران قلت
 يا رسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة ام للمسلمين عامة قال لا بل
 للمسلمين عامة رواه الحاكم في المستدرک انتهى من السلاح * وقوله تعالى
 وظالم لنفسه توعد لمن كفر من اليهود بمحمد عليه السلام والكتاب المستبين
 هو التوراة قال قتادة وابن مسعود الياس هو ادريس عليه السلام وقالت
 فرقة هو من ولد هارون وقرأ نافع وابن عامر على ال ياسين وقرأ الباقون على
 الياسين بالف مكسورة ولام ساكنة فوجهت الاولى على انها بمعنى اهل ياسين
 اسم لالياس وقيل هو اسم لمحمد عليه السلام ووجهت الثانية على انها جمع
 الياسي وقرأ ابن مسعود والاعمش وان ادريس لمن المرسلين وسلام على ادريس
 قال السهيلي قال ابن جني الرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين
 والياس والياسين شي واحد انتهى (ت) وحكى الثعلبي هنا حكاية عن عبد
 العزيز بن ابي رواد عن رجل لقي الياس في ايام مروان بن الحكم واخبره بعدد
 الابدال وعن الحضرمي حكاية طويلة لا ينبغي انكار مثلها فاولياء الله يكاشفون
 بمعجائب فلا يحرم الانسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة اوليائه انتهى *
 وقوله اتدعون بعلا معناه اتعبدون قال الحسن والضحاك وابن زيد بعمل
 اسم صنم كان لهم ويقال له بعليك وذكر ابن اسحاق عن فرقة ان
 بعلا اسم امرأة كانت اتتهم بضلالة وقرأ حمزة والكسائي وعاصم الله ربكم

ورب ، ابا انكم كل ذلك بالنصب بدلا من قوله احسن الخالقين وقرأ الباقون
 كل ذلك بالرفع على القطع والاستيناف والضمير في كذبه عائد على قوم
 الياس ومحضرون معناه مجموعون لعذاب الله * وقوله تعالى وانكم لتمرون
 عليهم مخاطبة لقريش ثم ونجهم بقوله افلا تعقلون * وقوله تعالى وان يونس
 الآية هو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم وهو من بنى اسرائيل * وقوله
 تعالى اذ بق الآية وذلك انه لما اخبر قومه بوقت مجيئ العذاب وغاب عنهم ثم
 ان قومه لما رأوا مخايل العذاب انابوا الى الله فقبل توبتهم فلما مضى وقت
 العذاب ولم يصيبهم قال يونس لا ارجع اليهم بوجه كذاب وروي انه كان
 في سيرتهم ان يقتلوا الكذاب فابق الى الفلك اي اراد الهروب ودخل في
 البحر وعبر عن هروبه بالاباق من حيث انه فر عن غير اذن مولاه فروي عن
 ابن مسعود انه لما حصل في السفينة وابعدت في البحر ركدت ولم تجر وغيرها
 من السفن يجرى يمينا وشمالا فقال اهلها ان فينا لصاحب ذنب وبه يجسنا
 الله تعالى فقالوا لنقترع فاخذوا لكل واحد سهمما واقترعوا فوقعت القرعة
 على يونس ثلاث مرات فطرح حينئذ نفسه والتقمه الحوت وروي ان
 الله تعالى اوحى الى الحوت اني لم اجعل يونس لك رزقا وانما جعلت بطنك
 له حرزا وسجنا فهذا معنى فساهم والمدحض المغلوب في محاجة او مساهمة
 وعبارة ابن العربي في الاحكام واوحى الله تعالى الى الحوت انما لم نجعل يونس
 لك رزقا وانما جعلنا بطنك له مسجدا الحديث انتهى ولفظة مسجد احسن
 من السجن فرحم الله عبدا لزم الادب لاسيما مع انبيائه واصفيائه والمليم
 الذي اتي ما يلام عليه وبذلك فسر مجاهد وابن زيد * وقوله سبحانه فلولا
 انه كان من المسيحين قيل المراد القائلين سبحانه الله في بطن الحوت قاله ابن
 جريج وقالت فرقة بل التسييح هنا الصلاة قال ابن عباس وغيره صلاته في

وقت الرخاء نفعته في وقت الشدة وقال هذا جماعة من العلماء وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله عباد الله في الرخاء يذكركم في الشدة ان يونس كان عبد الله ذا كرا له فلما اصابته الشدة نفسه ذلك قال الله عز وجل فلولوا ان كان من المسيحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا باغيا فلما ادركه الفرق قال امنت فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة وقال ابن جبير الاشارة بقوله من المسيحين الى قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * وقوله سبحانه فنبذناه بالمرء الآية المرء الارض الفيحاء التي لاشجر فيها ولا معلم قال ابن عباس وغيره في قوله وهو سقيم انه كالطفل النفوس بضعة لحم وقال بعضهم كاللحم الذي الانه لم ينقص من خلقه شي فانعشه الله في ظل اليقطينة بلبن اُرؤية كانت تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها الوان الطعام وانواع شهواته قال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة وقيل كل ما لا يقوم على ساق كالقول والقرع والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه ومشهور اللغة ان اليقطين هو القرع فنبت لحم يونس عليه السلام وصح وحسن لونه لان ورق القرع انفع شي لمن تسلخ جلده وهو يجمع خصالا حميدة يرد الظل ولين الملمس وان الذباب لا يقربها حكي النقاش ان ماء ورق القرع اذا رش به مكان لم يقربه ذباب وروي انه كان يوما نائما فايبس الله تلك اليقطينة وقيل بئث عليها الارضة فقطعت ورقها فانتبه يونس لحر الشمس فمز عليه شأنها وجزع له فاوحى الله اليه يا يونس جزعك ليسبس اليقطينة ولم تجزع لا هلاك مائة الف او يزيدون تابوا فبت عليهم * وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور ان هذه الرسالة هي رسالته الاولى ذكرها الله في اخر القصص وقال قتادة وغيره هذه رسالة اخرى

بعد ان نبذ بالعراء وهي الى اهل نينوى من ناحية الموصل وقرأ الجمهور او يزيدون فقال ابن عباس او بمعنى بل وروي عنه انه قرأ بل يزيدون وقالت فرقة او هنا بمعنى الواو وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون وقال المبرد وكثير من البصريين قوله او يزيدون المعنى على نظر البشر وحزهم اي من رءاهم قال مائة الف او يزيدون وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مائة وعشرين الفا (ت) وعبارة احمد بن نصر الداودي وعن ابي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الزياتين الحسنى وزيادة وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا واحسبه قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل انتهى وفي قوله فناموا فتمنعناهم الى حين مثال لقريش ان آمنوا ومن هنا حسن انتقال القول والمحاورة اليهم بقوله فاستفتهم فانما يعود على ضميرهم على ما فى المعنى من ذكرهم والاستفتاء السؤال وهو هنا بمعنى التقرع والتوبيخ فى جعلهم البنات لله تعالى الله عن قولهم ثم اخبر الله تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الافك والكذب الى ان قالت ولد الله الملائكة لانه نكح فى سروات الجن تعالى الله عن قولهم وهذه فرقة من بنى مدج فيما روي وقرأ الجمهور اصطفى البنات بهمزة الاستفهام على جهة التقرع والتوبيخ * وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الجنة هنا قيل هم الملائكة لانها مستجنة اي مستورة وقيل الجنة هم الشياطين والضمير فى جعلوا لفرقة من كفار قريش والعرب ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي ستحضر امر الله وثوابه وعقابه ثم رزّه تعالى نفسه عما يصفه الكفرة ومن هذا استثنى عباده المخلصين لانهم يصفونه بصفاته العلى وقالت فرقة استثناهم من قوله لمحضرون وعبارة الثعلبي ولقد علمت الجنة اي الملائكة ان قاتلى هذه المقالة من الكفرة لمحضرون فى النار وقيل للحساب والاول اولى لان الاحضار متى

جاء في هذه الصورة غني به المذاب الاعباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار انتهى وفي البخاري لمحضرون اي سيحضرون للحساب انتهى * وقوله تعالى فانكم وما تعبدون بمعنى قل لهم يا محمد انكم واصنامكم ما انتم بمضلين احدا بسببها وعليها الامن قد سبق عليه القضاء فانه يصلى الجحيم في الآخرة وليس لكم اضلال من هدى الله تعالى وقالت فرقة عليه بمعنى به والفاتن المضل في هذا الموضع وكذلك فسره ابن عباس وغيره وحذفت الياء من صال للضافة ثم حكى سبحانه قول الملائكة وما منا الاله مقام معلوم وهذا يؤيد ان الجنة اراد بها الملائكة وتقدير الكلام وما منا ملك وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او واقف يصلى وعن ابن مسعود وغيره نحوه والصابون معناه الواقفون صفوفًا والمسبحون يحتمل ان يريد به الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحانه الله قال الزهراوي قيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية ولا يصصف احد من اهل الملل غير المسلمين ثم ذكر تعالى مقالة بعض الكفار قال قتادة وغيره فانهم قبل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان لنا كتاب او جاءنا رسول لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد كفروا به فسوف يعلمون وهذا وعيد محض ثم انس تعالى نبيه واوليائه بان القضاء قد سبق والكلمة قد حقت بان رسله سبحانه هم المنصورون على من ناواهم وجند الله هم الغزاة * وقوله تعالى قتل عنهم امر لنبيه بالموادعة ووعد جميل وحتى حين قيل هو يوم بدر وقيل يوم القيامة * وقوله تعالى وابصرهم فسوف يبصرون وعيد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد لهم ثم ونجهم على استعجال العذاب فاذا نزل اي العذاب بساحتهم فساء صباح المنذرين والساحة الفناء وسوء الصباح ايضا مستعمل في ورود الفارات (ت) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما اشرف على خير

الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى وقرأ ابن مسعود فبيس صباح والعزة في قوله رب العزة هي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء والمومنين وكذلك قال الفقهاء من اجل انها مربية قال محمد بن سحنون وغيره من حلف بعزة الله فان كان اراد صفته الذاتية فهي يمين وان كان اراد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة فليست بيمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا احدهم صلى الله عليه وعلى اله وعلى جميع النبيين وسلم

﴿ تفسير سورة ص وهي مكيتة باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قرأ ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صا د بكسر الدال والمعنى مائل القرآن بعملك وقاربه بطاعتك وكذا فسرہ الحسن اي انظر اين عملك منه وقال الجمهور انه حرف معجم يدخله ما يدخل اوائل السور من الاقوال ويختص هذا بان قال بعض الناس معناه صدق محمد وقال الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب القرظي هو مفتاح اسماء الله صمد صادق ونحوه * وقوله والقرءان ذى الذكر قسم قال ابن عباس وغيره معناه ذى الشرف الباقي المخلد وقال قتادة ذى التذكرة للناس والهداية لهم وقالت فرقة ذى الذكر للامم والقصص والغيوب (ت) ولا مانع من ان يراد الجميع قال (ع) واما جواب القسم فاختلف فيه فقالت فرقة الجواب في قوله ص اذ هو بمعنى صدق الله او صدق محمد وقال الكوفيون والزجاج الجواب في قوله ان

ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال بعض البصريين ومنهم الاخفش الجواب في قوله ان كل الاكذب الرسل قال (ع) وهذان القولان بعيدان وقال قتادة والطبري الجواب مقدر قبل بل وهذا هو الصحيح تقديره والقرآن ما الامر كما يزعمون ونحو هذا من التقدير فتدبره وقال ابو حيان الجواب انك لمن المرسلين وهو ما اثبت جوابا للقرآن حين اقسم به انتهى وهو حسن قال ابو حيان وقوله في عزة هي قراءة الجمهور وعن الكسائي بالفتن المعجمة والراء اي في غفلة انتهى والعزة هنا المعازة والمغالبة والشقاق ونحوه اي هم في شق والحق في شق وكما للتكثير وهي خبر فيه مثال ووعد وهي في موضع نصب باهلكنا * وقوله فننادوا معناه مستغيثين والمعنى انهم فعلوا ذلك بعد المعايضة فلم يفهم ذلك ولم يكن في وقت نفع ولات بمعنى ليس واسمها مقدر عند سيبويه تقديره ولات الحين حين مناص والمناص المفرناص ينوص اذا فروقات قال ابن عباس المعنى ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم والضمير في عجبوا لكفار قريش * قوله تعالى وانطلق الملائمة ان امشوا واصبروا على . المهتم الآية روي في قصص هذه الآيات ان اشراف قريش اجتمعوا عند مرض ابي طالب وقالوا ان من القبيح علينا ان يموت ابو طالب ونوذى محمدا بعده فتقول العرب تركوه مدة عمه فلما مات . اذوه ولكن لنذهب الى ابي طالب فينصفنا منه ويربط بيننا وبينه ربطا فنهضوا اليه فقالوا يا ابا طالب ان محمدا يسب . المهتنا ويسفه . اراءنا ونحن لا نقاره على ذلك ولكن افصل بيننا وبينه في حياتك بان يقيم في منزله يعبد ربه الذي يزعم ويدع . المهتنا وسبها ولا يعرض لاحد منا بشيء من هذا فبعث ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان قومك قد دعوك الى النصفه وهي ان تدعهم وتعبد ربك وحدك فقال او غير ذلك يا عم قال وما هو قال يعطونني كلمة تسدين لهم بها العرب

وتؤدى اليهم الجزية بها العجم قالوا وما هي فانا نبادر اليها قال لا اله الا الله فنفروا عند ذلك وقالوا ما يرضيك منا غير هذا قال والله لو اعطيتهموني الارض ذهباً ومالا وفي رواية لو جعلتم الشمس في يميني والقمر في شمالي ما ارضاني منكم غيرها فقاموا عند ذلك وبعضهم يقول لبعض اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب ويرددون هذا المعنى وعقبة بن ابي معيط يقول امشوا واصبروا على المهتمكم فتقوله تعالى وانطلق الملاء عبارة عن خروجهم عن ابي طالب وانطلاقهم من ذلك الجمع هذا قول جماعة من المفسرين * وقوله ان امشوا نقل الامام الفخران ان بمعنى اي انتهى وقولهم ان هذا لشيء يراد يريدون ظهور محمد وعلمه اي يراد منا الانقياد له وان نكون له اتباعا ويريدون بالملة الآخرة ملة عيسى قاله ابن عباس وغيره وذلك انها ملة شهر فيها التثليث ثم توعدهم سبحانه بقوله بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لتحققوا ان هذه الرسالة حق * وقوله تعالى ام عندهم خزائن رحمة ربك الآية عبارة الثعلبي ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة حتى يعطوا من اختاروا نظيرها اهم يقسمون رحمة ربك ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما يعني ان ذلك لله تعالى يصطفي من يشاء فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا فيما يوصلهم الى السموات فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وهذا امر توبيخ وتعجيز انتهى ونحوه كلام (ع) ثم وعد الله نبيه النصر فقال جند ما هنالك مهزوم اي مغلوب ممنوع من الصعود الى السماء من الاحزاب اي من جملة الاحزاب قال (ع) وهذا تاويل قوي وقالت فرقة الاشارة بهنالك الى حماية الاصنام وعصدها اي هؤلاء القوم جند مهزوم في هذه السيل وقال مجاهد الاشارة بهنالك الى يوم بدر وهي من الامور المغيبة اخبر بها عليه السلام وما في قوله جند مازائدة مؤكدة وفيها تخصيص وباقي الآية بين وقال ابو حيان جند خبر مبتدا محذوف اي هم جند ومازائدة اوصفة

اريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم والاستخفاف لان الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنا لك ظرف مكان يشار به الى البعيد في موضع صفة لجند اي كائن هنا لك او متعلق بمهزوم انتهى * وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء اي ينتظر الاصيحة واحدة قال قتادة توعدهم سبحانه بصيحة القيامة والنفخ في الصور قال الثعلبي وقد روي هذا التفسير مرفوعا وقالت طائفة توعدهم الله بصيحة يهلكون بها في الدنيا ما لها من فواق قرأ الجمهور بفتح الفاء وقرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء قال ابن عباس هما بمعنى اي ما لها من انقطاع وعودة بل هي متصلة حتى تهلكهم ومنه فواق الحلب وهو المهلة التي بين الشخبين وقال ابن زيد وغيره المعنى مختلف فالضم كما تقدم من معنى فواق الناقة والفتح بمعنى الافاق اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه والقط الحظ والنصيب والقط ايضا الصك والكتاب من السلطان بصلة ونحوه واختلف في القط هنا ما ارادوا به فقال ابن جبير ارادوا به عجل لنا نصيبنا من الخير والنعم في دنيانا وقال ابو العالية ارادوا عجل لنا صحفنا بايماننا وذلك لما سمعوا في القرآن ان الصحف تعطى يوم القيامة بالايمان والشمال وقال ابن عباس وغيره ارادوا ضد هذا من العذاب ونحوه وهذا نظير قولهم فامطر علينا حجارة من السماء قال (ع) وعلى كل تاويل فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف والهزء * واذكر عبدنا داود ذا الاید اي فتأس به ولا تلتفت الى هؤلاء والاید القوة في الدين والشرع والصدع به والابواب الرجاء الى طاعة الله وقاله مجاهد وابن زيد وفسره السدي بالمسبح وتسبيح الجبال هنا حقيقة والاشراق ضياء الشمس وارتفاعها وفي هذين الوقتين كانت صلاة بني اسرائيل قال الثعلبي وليس الاشراق طلوع الشمس وانما هو صفاؤها وضوءها انتهى قال ابن العربي في احكامه قال ابن عباس ما كنت اعلم صلاة الضحى في القرآن

حتى سمعت الله تعالى يقول يسبحن بالعشي والاشراق قال ابن العربي اما صلاة الضحى فهي في هذه الآية نافلة مستحبة ولا ينبغي ان تصلى حتى تتبين الشمس طالعة قد اشرق نورها وفي صلاة الضحى احاديث اصولها ثلاثة الاول حديث ابى ذر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من ابن ادم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة ونهيه عن المنكر صدقة واماطته الاذى عن الطريق صدقة وبضه اهله صدقة ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى الثانى حديث سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الاخيرا غفرت خطاياہ وان كانت اكثر من زبد البحر الثالث حديث ام هانئ ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات انتهى (ت) وروى ابو عيسى الترمذي وغيره عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة قال الترمذي حديث حسن انتهى قال الشيخ ابو الحسن ابن بطال في شرحه للبخاري وعن زيد بن اسلم قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لابي ذر اوصنى يا اعم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة انتهى والطيء عطف على الجبال اي وسخرنا الطير ومحشورة معناه مجموعة والضمير في له قالت فرقة هو عائذ على الله عز وجل فكل على هذا يراد به داود والجبال والطيء وقالت فرقة هو عائذ على داود فكل على

هذا يُراد به الجبال والطير * وقوله تعالى وشددنا ملكه عبارة عامة لجميع ما
وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة وفصل الخطاب قال ابن عباس وغيره هو
فصل القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي اراد قول اما بعد
فانه اول من قالها قال (ع) والذي يعطيه اللفظ انه اتاه الله فصل الخطاب
بمعنى انه اذا خاطب في نازلة فصل المعنى واوضحه لا ياخذ في ذلك حصراً ولا
ضعف * وقوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه
وسلم واستفتحت بالاستفهام تعجيباً من القصة وتفخيماً لها والخصم يوصف به
الواحد والاثنان والجمع وتسوروا معناه علوا سورده وهو جمع سورة وهي
القطعة من البناء وتحتل هذه ية ان يكون المسور اثنان فقط فعبّر عنهما
بلفظ الجمع ويحتمل ان يكون مع كل واحد من الحصين جماعة والمحراب
الموضع الارتفاع من القصر او المسجد وهو موضع التبعد وانما فزع منهم من
حيث دخلوا من غير الباب ودون استيذان ولا خلاف بين اهل التأويل ان
هذا الخصم انما كانوا ملائكة بعثهم الله ضرب مثل لداود فاخصموا اليه في
نازلة قد وقع هو في نحوها فافتاهم بفتيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعروهم
المراد خر راكعاً واناب واستغفر واما نازلته التي وقع فيها ففيها للقصاص تطويل
فلم تر سوق جميع ذلك لعدم صحته وروى في ذلك عن ابن عباس ما معناه ان
داود كان في محرابه يتعبد اذ دخل عليه طائر حسن الهيئة فد يده اليه لياخذه
فزال مطعماً له من موضع الى موضع حتى اطلع على امرأة لها منظر وجمال فخطر
في نفسه ان لو كانت من نسائه وسأل عنها فاخبر انها امرأة اوريا وكان في
الجهاد فبلغه انه استشهد فخطب المرأة وتزوجها فكانت ام سليمان فيما روي عن
قتادة فبعث الله الخصم ليفتي قالت فرقة من العلماء وانما وقعت المعاقبة على
همه ولم يقع منه شيء سوى الهم وكان لداود فيما روي تسع وتسعون امرأة

وفي كتب بني اسرائيل في هذه القصة صور لا تليق وقد قال علي بن ابي طالب من حدث بما قال هؤلاء القصص في امر داود جلده حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره * وقوله خصمان تقديره نحن خصمان وبني معناه اعتدى واستطال ولا تشطط معناه ولا تتعد في حكمك وسواء الصراط معناه وسطه * وقوله ان هذا اخي اعراب اخي عطف بيان وذلك ان ما جرى من هذه الاشياء صفة كالخلق والخلق وساير الاوصاف فانه نعت محض والعامل فيه هو العامل في الموصوف وما كان منها مما ليس يوصف به بته فهو بدل والعامل فيه مكرر اي تقديرا يقال جاءني اخوك زيد فالتقدير جاءني اخوك جاءني زيد وما كان منها مما لا يوصف به واحتسب الى ان يبين به ويجرى مجرى الصفة فهو عطف بيان والنعمة في هذه الآية عبر بها عن المرأة والنعمة في كلام العرب تقع على انثى بقر الوحش وعلى انثى الضأن وتعبّر العرب بها عن المرأة * وقوله اكفنيها اي ردها في كفالتى وقال ابن كيسان المعنى اجعلها كفلى اي نصيبي وعزى معناه غلبني ومنه قول العرب من عز بز اي من غلب سلب ومعنى قوله في الخطاب اي كان اوجه منى فاذا خاطبته كان كلامه اقوى من كلامي وقوته اعظم من قوتي ويروى انه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعمتك تبسما عند ذلك وذهبا ولم يرها لحينه فشمّر حينئذ للامر ويروى انهما ذهبا نحو السماء برأى منه والخطاء الشركاء في الاملاك والامور وهذا القول من داود وعظ وبسط لقاعدة حق ليحذر الخصم من الوقوع في خلاف الحق * وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال ابو حيان وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الاعمال ذكر الله على كل حال والانصاف من نفسك ومواساة الاخ في المال انتهى *

وقوله تعالى وظن داود انما فتناه معناه شعر للامر وعلمه وفتناه اي ابتليناه
وامتحناه وقال البخاري قال ابن عباس فتناه اي اختبرناه واسند البخاري
عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن سجدة ص ابن تسجد فقال او ما تقرأ
ومن ذريته داود وسليمان الى قوله اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
فكان داود ممن امر نبيكم ان يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى فتأمله وما فيه من الفقه وقرأ ابو عمرو في رواية علي
ابن نصر فتناه بتخفيف التاء والنون على اسناد الفعل للخصمين اي امتحناه
عن امرنا قال ابو سعيد الخدري رأيتني في النوم اكتب سورة ص فلما بلغت
قوله وخررا كعنا وانا بسجد القلم ورأيتني في منام آخر وشجرة تقرأ سورة ص
فلما بلغت هذا سجدت وقالت اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وسجدت انت يا ابا سعيد قلت لا قال انت كنت احق بالسجدة من
الشجرة ثم تلاني الله الآيات حتى بلغ وانا بسجد وقال كما قالت الشجرة
واناب معناه رجع (ت) وحديث سجود الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه
والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم هو من شرط الصحة انتهى من
السلاح والزلفى القربة والمكانة الرفيعة والمساب المرجع في الآخرة من اب
يؤوب اذا رجع * وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض تقدير
الكلام وقلنا له يا داود قال (ع) ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفاء
فكل واحد خليفة للذي قبله وما يجيء في الشعر من تسمية احدهم خليفة الله
فذلك تجوز وغاوا لا ترى ان الصحابة رضي الله عنهم حرزوا هذا المعنى فقالوا
لاي بكر خليفة رسول الله وبهذا كان يدعى مدة خلافته فلما ولي عمر قالوا
يا خليفة خليفة رسول الله فطال الامر ورأوا انه في المستقبل سيطول اكثر

فدعوه امير المؤمنين وقصر هذا الاسم على الخلفاء * وقوله فيضلك قال ابو حيان منصوب في جواب النهي (ص) ابو البقاء وقيل مجزوم عطفا على النهي وفتحت اللام لالتقاء الساكنين انتهى * وقوله سبحانه ان الذين يضلون عن سبيل الله الى قوله وليتذكر اولوا الالباب اعتراض فصيح بين الكلامين من امر داود وسليمان وهو خطاب لبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظة لآمته ونسوا في هذه الآية معناه تركوا ثم وقف تعالى على الفرق عنده بين المؤمنين العاملين بالصالحات وبين المفسدين الكفرة وبين المتقين والفجار وفي هذا التوقيف حض على الايمان والتقوى وترغيب في عمل الصالحات قال ابن العربي نفى الله تعالى المساواة بين المؤمنين والكافرين وبين المتقين والفجار فلا مساواة بينهم في الآخرة كما قاله المفسرون ولا في الدنيا ايضا لان المؤمنين المتقين معصومون دما ومالا وعرضا والمفسدون في الارض والفجار مباحو الدم والمال والعرض فلا وجه لتخصيص المفسرين بذلك في الآخرة دون الدنيا انتهى من الاحكام وهذا كما قال وقوله تعالى في الآية الاخرى سواء محياهم ومماتهم يشهد له وباقي الآية بين * وقوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته قال الغزالي في الاحياء اعلم ان القرآن من اوله الى آخره تحذير وتحذير لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العلم غرور يزيد على هذا انتهى من كتاب ذم الغرور واختلف المتأولون في قصص هذه الخيل المروضة على سليمان عليه السلام فقال الجمهور ان سليمان عليه السلام عرضت عليه الاف من الخيل تركها ابوه فاجريت بين يديه عشاء فتشاغل بجريها ومحبته حتى فاتته وقت صلاة المشي فأسف لذلك وقال ردوا علي الخيل

فطفق يمسح سوقها واعناقها بالسيف قال الثعلبي وغيره وجعل ينحرها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا لهم كما ابيح لنا بهيمة الانعام قال (ع) فروي ان الله تعالى ابدله منها اسرع منها وهي الريح قال ابن العربي في احكامه والخير هنا هي الخيل وكذلك قرأها ابن مسعود اني احببت حب الخيل انتهى والصابن الذي يرفع احدي يديه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهية وانشد الزجاج

الف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا
قال بعض العلماء الخير هنا اراد به الخيل والمرب تسمى الخيل الخير وفي مصحف ابن مسعود حب الخيل باللام والضمير في توارت للشمس وان كان لم يتقدم لها ذكر لان المعنى يقتضيها وايضا فذكر العشي يتضمنها وقال بعض المفسرين حتى توارت بالحجاب اي الخيل دخلت اصطبلاتها وقال ابن عباس والزهري مسح بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ورجحه الطبري وفي البخاري فطفق مسح اعراف الخيل وعراقيبها انتهى وعن بعض العلماء ان هذه القصة لم يكن فيها فرت صلاة وقالوا عرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة فاشار اليهم اي اني في صلاة فازالوها عنه حتى ادخلوها في الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب الخير اي الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي كانه يقول فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى ادخلت اصطبلاتها ردها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها تكرمة لها اي لانها معدة للجهاد وهذا هو الراجح عند الفخر قال ولو كان معنى مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤوسكم وارجلكم قطعها (ت) وهذا لا يلزم للقرينة في الموضعين اه قال ابو حيان وحب الخير قال الفراء مفعول به واحببت مضمن معنى آثرت وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي حبا مثل حب

الخير انتهى * وقوله عن ذكر ربي عن علي كل تاويل هنا للمجازاة من شيء الى شيء وتدبره فانه مطرد * وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الآية (ت) اعلم رحمك الله ان الناس قد اكثرُوا في قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته وحكي الثعلبي في بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما قُتِن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط وايقن بالفتنة وان اصف بن برخيا قال له يا نبي الله انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك اربعة عشر يوما ففر الى الله تعالى تائباً من ذنبك وانا اقوم مقامك في عالمك ان شاء الله تعالى الى ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمان هارباً الى ربه منفرداً لعبادته واخذ اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وقيل ان الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسداً هو اصف كاتب سليمان وهو الذي عنده علم من الكتاب واقام اصف في ملك سليمان وعياله يسير بسيرته الحسنة ويعمل بعمله اربعة عشر يوماً الى ان رجع سليمان الى منزله تائباً الى الله تعالى ورد الله تعالى عليه ملكه فاقام اصف عن مجلسه وجلس سليمان على كرسيه واعاد الخاتم وقال سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود عليهما السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه ان يا سليمان احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي ولم تنصف مظلوماً من ظالم وذكر حديث الخاتم كما تقدم انتهى وهذا الذي نقلناه اشبه ما ذكر واقرب الى الصواب والله اعلم وقال عياض قوله تعالى ولقد فتنا سليمان معناه ابتليناه وابتلاؤه هو ما حكى في الصحيح انه قال لا طوفن الليلة على مائة امرأة كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل الحديث قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي بقي على كرسيه حين عرض عليه وهي كانت عقوبته ومحنته وقيل بل مات والتي على كرسيه ميتا واما عدم استثنائه فاحسن

الاجوبة عنه ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقول ان شاء الله ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلمه على ملكه وتصرفه في امته لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله انتهى (ت) قال ابن العربي والقينا على كرسية جسدا يعنى جسده لا اجساد الشياطين كما يقوله الضعفاء انتهى من كتاب تفسير الافعال له قال ابن العربي في احكامه وما ذكره بعض المفسرين من ان الشيطان اخذ خاتمه وجلس مجلسه وحكم الخلق على لسانه قول باطل قطما لان الشياطين لا يتصورون بصور الانبياء ولا يمكنون من ذلك حتى يظن الناس انهم مع نبهم في حق وهم مع الشياطين في باطل ولو شاء ربك لوهب من المعرفة والدين لمن قال هذا القول ما يزرعه عن ذكره ويمنعه من ان يسطره في ديوان من بعده انتهى * وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد الاية قال (ع) من المقطوع به ان سليمان عليه السلام انما قصد بذلك قصدا يرا لان الانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوة * وقوله تعالى فسخرنا له الريح الاية كان لسليمان كرسي فيه جنوده وتاتي عليه الريح الاعصار فتنتقله من الارض حتى يحصل في الهواء ثم تتولاه الرخاء وهي اللينة القوية لاتاتي فيها دُفْعَ منرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر وحيث اصاب معناه حيث اراد قاله وهب وغيره قال (ع) ويشبه ان اصاب معدى صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وقال الزجاج معناه قصد (ت) وعليه اقتصر ابو حيان فانه قال اصاب اي قصد وانشد الثعلبي اصاب الكلام فلم يستطع * فاخطا الجواب لدى المِفْصَل

انتهى * وقوله كل بناء بدل من الشياطين ومقرنين معناه موثقين قد قرن بعضهم ببعض والاصفاد القيود والاغلال قال الحسن والاشارة بقوله هذا عطاؤنا الاية الى جميع ما اعطاه الله سبحانه من الملك وامره بان يمن على من

يشاء ويمسك عن من يشاء فكانه وقفه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيه بمشيئته وهذا اصح الاقوال واجمعها لتفسير الآية وتقدمت قصة ايوب في سورة الانبياء * وقوله اني مسني الشيطان بنصب الآية النصب المشقة فيحتمل ان يشير الى مسه حين سلطه الله على اهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي في ذلك وقيل اشار الى مسه اياه في تعرضه لاهله وطلبه منها ان تشرك بالله فكان ايوب تشكى هذا الفصل وكان عليه اشد من مرضه وهنا في الآية محذوف تقديره فاستجاب له وقال اركض برجلك فروي ان ايوب ركض الارض فنبتت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض في اخل جسده ثم اغتسل فذهب ما كان في ظاهر بدنه وروي ان الله تعالى وهب له اهله وماله في الدنيا ورد من مات منهم وما هلك من ماشيته وحاله ثم بارك له في جميع ذلك وروي ان هذا كله وعد به في الآخرة والاول اكثر في قول المفسرين (ت) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد قط اذا اصابه هم او حزن اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الاذهب الله غمه وابدله مكان حزنه فرحا قالوا يارسول الله ينبغي لنا ان نتعلم هذه الكلمات قال اجل ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن قال صاحب السلاح رواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه (ت) وروناه من طريق الثوري عن ابن السني بسنده عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انا عبدك ابن عبدك ابن امتك في قبضتك وفيه فقال رجل من القوم ان المغبون لمن غبن هؤلاء

الكلمات فقال اجل فقولوهن وعلموهن من قالهن التماس ما فيهن اذهب الله تعالى حزنه واطال فرحه انتهى * وقوله وذكرى معناه موعظة وتذكيرة يعتبر بها اولوا العقول ويتأسون بصره في الشدائد ولا ينسون من رحمة الله على حال وروي ان ايوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف اليه فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب ومرة في هيئة ناصح وعلى غير ذلك فيقول لها لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرئى لو ذبح عناقا للصنم الفلاني لبرئى ويعرض عليها وجوها من الكفر فكانت هي ربما عرضت شيئا من ذلك على ايوب فيقول لها لقيت عدو الله في طريقك فلما اغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئى من مرضه ليضربها مائة سوط فلما برئى امره الله تعالى ان ياخذ ضغثا فيه مائة قضيب والضعف القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب قاله الضحاك واهل اللغة فيضرب به ضربة واحدة فتبرئ منه وهذا حكم قد ورد في شرعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حد الزنا لرجل زمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شمار يخ مائة او نحوها فضرب ضربة ذكر الحديث ابو داود وقال بهذا بعض فقهاء الامة وليس يرى ذلك مالك بن انس واصحابه وكذلك جمهور العلماء على ترك القول به وان الحدود والبر في الايمان لا تقع الا بتمام عدد الضربات وقرأ الجمهور اولى الايدى يعنى اولى القوة في طاعة الله قاله ابن عباس ومجاهد وقالت فرقة معناه اولى الايدى والنعم التي اسداها الله اليهم من النبوة والمكانة والابصار عبارة عن البصائر اي يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقرأ نافع وحده بخالصة ذكرى الدار على الاضافة وقرأ الباقر بخالصة على تنوين خالصة فذكرى على هذه القراءة بدل من خالصة فيحتمل ان يكون معنى الآية انا اخلصناهم بان خالص لهم التذكير بالدار الآخرة ودعاؤ الناس اليها وهذا قول قتادة وقيل المعنى انا اخلصناهم

بان خالص لهم ذكرهم للدار الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وهذا
 قول مجاهد وقال ابن زيد المعنى انا وهبناهم افضل ما في الدار الآخرة واخلصناهم
 به واعطيناهم اياه ويحتمل ان يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكر الثناء
 والتعظيم من الناس * وقوله تعالى هذا ذكر يحتمل معنيين احدهما ان
 يشير الى مدح من ذكر وابقاء الشرف له فيتأيد بهذا قول من قال ان الدار
 يراد بها الدنيا والثاني ان يشير بهذا الى القراء ان اي ذكر للعالم وجنات بدل من
 حسن مثاب ومفتحة نعت لجنات والابواب مفعول لم يسم فاعله وباق الآية
 بين * وقوله سبحانه هذا وان للطايعين لشر مثاب الآية التقدير الامر هذا
 ويحتمل ان يكون التقدير هذا واقع او نحوه والطغيان هنا في الكفر * وقوله
 تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق قرأ الجمهور غساق بتخفيف السين وهو
 اسم بمعنى السائل قال قتادة الغساق ما يسيل من صديد اهل النار قال (ص) الغساق
 السائل وعن ابى عبيدة ايضا البارد المنق بلغة الترك انتهى قال الفخر هذا
 فليذوقوه حميم وغساق فيه وجهان الاول على التقديم والتاخير والتقدير هذا
 حميم وغساق اي منه حميم وغساق انتهى (ت) والوجه الثاني ان الآية ليس
 فيها تقديم ولا تاخير وهو واضح وقرأ الجمهور وَاٰخِرُ الْاَفْرَادِ اي ولهم عذاب
 آخر ومعنى من شكله اي من مثله وضربه وقرأ ابو عمرو وحده وَاٰخِرُ عَلَى الْجَمْعِ
 وازواج معناه انواع والمعنى لهم حميم وغساق واغذية اخر من ضرب ما ذكر *
 وقوله تعالى هذا فوج هو مما يقال لاهل النار اذا سبق عامة الكفار والاتباع
 اليها لان رؤساءهم يدخلون النار اولاً والظاهر ان قائل ذلك لهم ملائكة
 العذاب وهو الذى حكاه الثعلبي وغيره ويحتمل ان يكون ذلك من قول
 بعضهم لبعض فيقول البعض الاخر لا مرحبا بهم اي لاسعة مكان ولا خير يلقونه *
 وقوله بل انتم لا مرحبا بكم حكاية لقول الاتباع لرؤسائهم اي انتم قدمتموه

لنا باغوائكم واسلفتم لنا ماوجب هذا قال العراقي
 مقتحم اي داخل بشده * مجاوز لما اقتحم بالشده
 انتهى * وقوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا الآية هو حكاية
 لقول الاتباع ايضا دعوا على رؤسائهم بان يكون عذابهم مضاعفا * وقوله تعالى
 وقالوا ما لنا لازى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الآية الضمير في قالوا لاشراف
 الكفار ورؤسائهم وهذا مطرد في كل امة وروي ان قائل هذه المقالة اهل القلب
 كابي جهل وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة ومن جرى مجراهم وان الرجال
 الذين يشيرون اليهم هم كمار بن ياسر وبلال وصهيب ومن جرى مجراهم قاله مجاهد
 وغيره والمعنى كنا في الدنيا نعدهم اشرارا وقرأ حمزة والكسائي وابو عمرو
 اتخذناهم بصلة الالف على ان يكون ذلك في موضع الصفة لرجال وقرأ
 الباقر اتخذناهم بهمزة الاستفهام ومعناها تقرير انفسهم على هذا على
 جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك وقرأ نافع
 وحمزة والكسائي سخريا بضم السين من السخرة والاستخدام وقرأ الباقر
 سخريا بكسر السين ومعناها المشهور من السخر الذي هو بمعنى الهزء وقولهم
 ام زاغت معادلة لما في قولهم ما لنا لازى والتقدير في هذه الآية امفقودون
 هم ام هم معنا ولكن زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم والزيغ الميل ثم اخبر تعالى
 نبيه بقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والاشارة بقوله تعالى قل هو بأعظيم
 الى التوحيد والمعاد فهي الى القران وجميع ما تضمن وعظمه ان التصديق
 به نجا والتكذيب به هلكة ووبخهم بقوله انتم عنه مرضون ثم امر عليه السلام
 ان يقول محتجا على صحة رسالته ما كان لي من علم بالمسبلا الاعلى لولا ان الله
 اخبرني بذلك والملا الاعلى اراد به الملائكة واختلف في الشيء الذي هو
 اختصاصهم فيه فقالت فرقة اختصاصهم في شأن ادم كقولهم تجعل فيها من

يفسد فيها ويدل على ذلك ما ياتي من الآيات وقالت فرقة بل اختصامهم في الكفارات وغفر الذنوب ونحوه فان العبد اذا فعل حسنة اختلفت الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما شاء. وروي في هذا حديث فسرته ابن فورك يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ربه عز وجل في نومه اتردى فيم يختصم الملائكة الا على قلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فاما الكفارات فاسباغ الوضوء في الغدوات الباردة ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام الحديث قال ابن العربي في احكامه وقد رواه الترمذي صحيحا وفيه قال سل قال اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلي وترحمني واذا اردت فتنة في قوم فستوفني غير مقتون واسألك حبك وحب من يحبك وعملا يقرب الى حبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فارسموها ثم تعلموها انتهى * وقوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين قال الفراء ان شئت جعلت انما في موضع رفع كانه قال ما يوحى الي الا الانذار او ما يوحى الي الا اني نذير مبين انتهى وهكذا قال ابو حيان ان بمعنى ما وبقى الآية بين مما تقدم في البقرة وغيرها * وقوله تعالى بيدي عبارة عن القدرة والقوة * وقوله استكبرت المعنى احدث لك الاستكبار الآن ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكاف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ له * وقوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الآية الرجيم اي المرجوم بالقول السيئ واللعنة الابعاد * وقوله سبحانه فالحق والحق اقول قال مجاهد المعنى فالحق انا وقرأ الجمهور فالحق والحق بنصب الاثنين فاما الثاني فمنصوب باقول واما الاول

فيحتمل ان ينتصب على الاغراء ويحتمل ان ينتصب على القسم على اسقاط حرف القسم كانه قال فوالحق ثم حذف الحرف كما تقول الله لا فعلن تريد والله ويقوى ذلك قوله لاملأن وقد قال سيديوه قلت للخليل ما معنى لا فعلن اذا جاءت مبتدأة فقال هي بتقدير قسم منوي وقالت فرقة الحق الاول منصوب بفعل مضمر وقرأ ابن عباس فالحق والحق برفع الاثنين وقرأ عاصم وحمة فالحق بالرفع والحق بالنصب وهي قراءة مجاهد وغيره ثم امر تعالى نبيه ان يخبرهم بانه ليس بسائل منهم عليه اجرا وانه ليس ممن يتكلف ما لم يجبل اليه ولا يحتلى بغير ما هو فيه قال الزبير بن العوام نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للذين لا يدعون ولا يتكلفون الا انى يري من التكلف وصالحوا متى * وقوله ان هو يريد القرآن وذكر بمعنى تذكرة ثم توعدهم بقوله وتعلمن نبأه بعد حين وهذا على حذف تقديره لتعلمن صدق نبأه بعد حين قال ابن زيد اشار الى يوم القيامة وقال قتادة والحسن اشار الى الآجال التى لهم لان كل واحد منهم يعرف الحقائق بعد موته

تفسير سورة الزمر وهي مكية باجماع

غير ثلاث آيات نزلت فى شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وهي قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآيات وقالت فرقة الى آخر السورة هو مدني وقيل فيها مدني سبع آيات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تنزيل الكتاب الآية تنزيل رفع بالابتداء والخبر قوله من الله وقالت

فرقة تنزيل خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل والاشارة الى القرءان قاله
المفسرون ويظهر لي انه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله فكانه اخبر
اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعة انما تنزيلها من الله تعالى وجعل
هذا الاخبار مقدمة وتوطئة لقوله انا انزلنا اليك الكتاب * وقوله بالحق
معناه متضمنا الحق اي بالحق فيه وفي احكامه واخباره والدين هنا يعم المعتقدات
واعمال الجوارح قال قتادة والدين الخالص لا اله الا الله * وقوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء الاية اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وفي مصحف ابن مسعود قالوا ما نعبدهم وهي قراءة ابن عباس وغيره
وهذه المقالة شائعة في العرب في الجاهلية يقولون في معبوداتهم من الاصنام
وغيرها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود
في عزيز وقوم من النصارى في عيسى وزلفى بمعنى قربى وتوصلة كانهم قالوا
ليقربونا الى الله تقريبا وكان هذه الطوائف كلها ترى نفوسها اقل من ان
تتصل هي بالله فكانت ترى ان تتصل بمخلوقاته وزلفى عند سيوية مصدر
في موضع الحال كانه تنزل منزلة متزلفين والعامل فيه يقربونا وقرأ الجحدري
كذاب كفار بالمبالغة فيهما وهذه المبالغة اشارة الى التوغل في الكفر * وقوله
تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا معناه اتخاذ التشريف والتبني وعلى هذا يستقيم
قوله تعالى لاصطفى مما يخلق واما الاتخاذ المهود في الشاهد فمستحيل
ان يوهم في جهة الله تعالى ولا يستقيم عليه معنى قوله لاصطفى مما يخلق وقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا لفظ يعم اتخاذ النسل واتخاذ
الاصطفا فاما الاول فمعقول واما الثاني فعرف بخبر الشرع ومما يدل على ان معنى
قوله ان يتخذ انما المقصود به اتخاذ اصطفا وتبين قوله مما يخلق اي من
موجوداته ومحدثاته ثم نزه سبحانه نفسه تزيتها مطلقا عن كل ما لا يليق به

سبحانه * وقوله تعالى يكور الليل على النهار الآية معناه يعيد من هذا على هذا ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض فكان الذي يطول من النهار او الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره وكان الآخر الذي يقصر يابج في الذي يطول فيستر فيه * وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها قيل ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الوجود وقيل قوله خلقكم من نفس واحدة هو اخذ الذرية من ظهر ادم وذلك شيء كان قبل خلق حواء (ت) وهذا يحتاج الى سند قاطع * وقوله سبحانه في ظلمات ثلاث قالت فرقة الاولى هي ظهر الاب ثم رحم الام ثم المشيمة في البطن وقال مجاهد وغيره هي المشيمة والرحم والبطن وهذه الايات كلها فيها عبر وتنبه على توحيد الخالق الذي لا يستحق العبادة غيره وتوهين لامر الاصنام * وقوله سبحانه ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية قال ابن عباس هذه الآية مخاطبة للكفار قال (ع) وتحتل ان تكون مخاطبة لجميع الناس لان الله سبحانه غني عن جميع الناس وهم فقراء اليه واختلف المتأولون من اهل السنة في تاويل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فقالت فرقة الرضى بمعنى الارادة والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالايمان وحتمه له فعباده على هذا ملائكته ومومنو الانس والجن وهذا يتركب على قول ابن عباس وقالت فرقة الكلام عموم صحيح والكفر يقع ممن يقع بارادة الله تعالى الا انه بعد وقوعه لا يرضاه ديناً لهم ومعنى لا يرضاه لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيراً فالرضى على هذا هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه وتأمل الارادة فانما هي حقيقة فيما لم يقع بعد والرضى فانما هو حقيقة فيما قد وقع واعتبر هذا في آيات القرءان تجده وان كانت العرب قد تستعمل في اشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا * وقوله تعالى وان تشكروا يرضه لم عموم والشكر الحقيقي في ضمنه الايمان قال النووي وروينا

في سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً وجبت له الجنة انتهى * وقوله تعالى وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه الآية الإنسان هنا الكافر وهذه الآية بين تعالى بها على الكفار أنهم على كل حال يلجئون إليه في حال الضرورات وخوله معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء من الله لا مجازاة ولا يقال في الجزاء خول * وقوله تعالى نسي ما كان يدعوا إليه قالت فرقة ما مصدرية والمعنى نسي دعاءه إليه في حال الضرورة ورجع إلى كفره وقالت فرقة ما بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى أي نسي الله وعبارة الثعلبي قوله نسي ما كان يدعوا إليه من قبل أي ترك عبادة الله تعالى والتضرع إليه من قبل في حال الضرر انتهى وباقي الآية بين * وقوله تعالى آمن هو قانت بتخفيف الميم هي قراءة نافع وابن كثير وحزمة والهمزة للتقرير والاستفهام وكأنه يقول اهذه القانت خير أم هذا المذكور الذي يتمتع بكفره قليلاً وهو من أصحاب النار وقرأ الباقون آمن بتشديد الميم والمعنى اهذه الكافر خير أم هو قانت والقانت المطيع وبهذا فسرهُ ابن عباس رضي الله عنهما والقنوت في الكلام يقع على القراءة وعلى طول القيام في الصلاة وبهذا فسرهُ ابن عمر رضي الله عنهما قال الفخر قيل إن المراد بقوله آمن هو قانت أنا الليل عثمان بن عفان لأنه كان يحكي الليل والصحيح أنها عامة في كل من اتصف بهذه الصفة وفي هذه الآية تنبيه على فضل قيام الليل انتهى وروي عن ابن عباس أنه قال من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً (ت) قال الشيخ عبد الحق في العاقبة وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال نظرت إلى ربي عياناً فقال لي * هنيئاً رضاءي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بمعبرة محزون وقلب عميد
 فدونك فاختر اي قصر تريده * وزرني فاني منك غير بعيد
 وكان شعبة بن الحجاج ومسر بن كدام رجلين فاضلين وكانا من ثقات
 المحدثين وحفاظهم وكان شعبة اكبر فماتا قال ابو احمد اليزيدي فرأيتهما في
 النوم وكنت الى شعبة اميل مني الى مسر فقلت يا ابا بسطام ما فعل الله بك
 فقال وفقك الله يا بني احفظ ما اقول

حباني الهى فى الجنان بقبة * لها الف باب من لجين وجوها
 وقال لي الجبار يا شعبة الذى * تبجر فى جمع العلوم واكثر
 تمتع بقربى انى عنك ذو رضى * وعن عبدى القوام فى الليل مسر
 كفى مسر عزا بان سيزورنى * واكشف عن وجهى ويدنولنظرا
 وهذا فعلى بالذين تنسكوا * ولم يالفوا فى سالف الدهر منكرا
 انتهى والآء الساعات واحدها انى كمى ويقال انى بكسر الهمزة وسكون
 النون وانا على وزن قفا * وقوله سبحانه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال
 الجوزي فى المنتخب يقول الله تعالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا امنين من
 خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة يا اخى
 امتطى القوم مطايا الدجى على مركب السهر * فما حلوا ولا حلوا رحالهم حتى
 السحر * درسوا القرآن فغرسوا بايدى الفكر ازكى الشجر * ومالوا الى
 النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر * رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر *
 ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر * فاذا جاء النهار قدموا طعام الجوع
 وقالوا للنفس هذا الذى حضر * حذوا غزوات طاحت الارض بينها فصار
 سراهم فى ظهور العزائم * تراهم نجوم الليل ما يبتغونه على عائق الشعري
 وهام النعائم * مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالانغصان * وهز

الخوف افسان القلوب فانتشرت الافنان * فالقلب يخشع واللسان يضرع
 والعين تدمع والوقت بستان * خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان *
 سرورهم اساورهم والخشوع تيجان * خضوعهم حلاهم وما دمعهم در
 ومرجان * باعوا الحرص بالقناعة فما ملك انوشروان * فاذا وردوا القيامة
 تلقاهم بشر لولاكم ما طاب الجنان * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان *
 اين انت منهم يانائهم كيقظان * كم بينك وبينهم اين الشجاع من الجبان *
 ما للمواعظ فيك نجح موضع القلب باللهومنك مكان * يا اخي قف على باب
 النجاح ولكن وقوف لهفان * واركب سفن الصلاح فهذا الموت طوفان *
 اخواني انما الليل والنهار مراحل * ومركب العمر قد قارب الساحل *
 فانتبه لنفسك وازد جر يا غافل * يا هذا انت مقيم في مناسخ الراحلين
 وتحمك اغتنم ايام القدرة قبل صيحة الانتزاع فما اقرب ما ينتظر * وما اقل
 المكث فيما يزول ويتغير * انتهى * وقوله تعالى قل يا عباد الذين امنوا اتقوا
 ربكم يروى ان هذه الآية نزلت في جعفر بن ابى طالب واصحابه حين
 عزموا على الهجرة الى ارض الحبشة ووعده سبحانه بقوله للذين احسنوا فى هذه
 الدنيا حسنة فقوله فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا والمعنى ان الذين يحسنون فى
 الدنيا لهم حسنة فى الآخرة وهى الجنة والنعيم قاله مقاتل ويحتمل ان يريد ان
 الذين يحسنون لهم حسنة فى الدنيا وهى العافية والظهور وولاية الله تعالى قاله
 السدي والاول ارجح ان الحسنة هى فى الآخرة * وقوله سبحانه وارض الله
 واسعة خض على الهجرة ثم وعد تعالى على الصبر على المكاره الخروج من
 الوطن ونصرة الدين وجميع الطاعات بتوفية الاجور بغير حساب وهذا يحتمل
 معنيين احدهما ان الصابر يوقى اجره ولا يحاسب على نعيم ولا يتابع بذنوب
 ويكون فى جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى من المعنيين ان اجور

الصابرين توفى بغير حصر ولا عدد بل جُزأفا وهذه استعارة للكثرة التي لا تحصى
والى هذا التاويل ذهب جمهور المفسرين حتى قال قتادة ليس ثم والله مكيال
ولاميزان وفى الحديث انه لما نزلت والله يضاعف لمن يشاء قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم زد امتى فنزلت بعد ذلك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال اللهم زد امتى حتى نزلت انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب قال رضيت يارب * وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم من المعلوم انه عليه السلام معصوم من العصيان وانما الخطاب بالآية
لامته يعمهم حكمه ويحفظهم وعيده * وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه هذه
صيغة امر على جهة التهديد وهذا فى القرآن كثير والظلة ما غشى وعم
كالسحابة وسقف البيت ونحوه * وقوله سبحانه ذلك يخوف الله به عباده
يريد جميع العالم * وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الآية قال ابن زيد ان
سبب نزولها زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والاشارة
اليهم (ت) سلمان انما اسلم بالمدينة فيلزم على هذا التاويل ان تكون الآية مدنية
وقال ابن اسحاق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص
وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر سمعوا ذلك فجاءوه فقالوا
اسلمت قال نعم وذكرهم بالله سبحانه فثامنوا باجمعهم فنزلت فيهم هذه الآية
وهي على كل حال عامة فى الناس الى يوم القيامة يتناولهم حكمها والطاغوت
كل ما عبد من دون الله * وقوله سبحانه الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه كلام عام فى جميع الاقوال والمقصد الثناء على هؤلاء فى نفوذ بصائرهم
وقوام نظرهم حتى انهم اذا سمعوا قولاً ميزوه واتبعوا احسنه قال ابو حيان الذين
يستمعون صفة لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدأ خبره اولئك وما
بعده انتهى * وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تسقذ من فى

النار قالت فرقة معنى الآية افن حقت عليه كلمة العذاب فانت تنقذه لكنه زاد الهمزة الثانية توكدًا وظهر الضمير تشهيرا لهؤلاء القوم واهلارا لحسة منازلهم * وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف الآية معادلة وتخفيض على التقوى وعادلت غرف من فوقها غرف ما تقدم من الظلل فوقهم وتحتهم والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ثم وقف تعالى نبيه عليه السلام وامته على معتبر من مخلوقاته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء الآية قال الطبري الاشارة الى ماء المطر ونبع العيون منه وسلكه معناه اجراه وادخله في الارض ويهيج معناه ييبس وهاج الزرع والنبات اذا ييبس والحطام اليا بس المتفتت ومعنى لذكرى اي للبعث من القبور واحياء الموتى على قياس هذا المثال المذكور * وقوله تعالى افن شرح الله صدره للاسلام الآية روي ان هذه الآية نزلت في علي وحزمة وابي لهب وابنه وهما اللذان كانا من القاسية قلوبهم وفي الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره افن شرح الله صدره كالتقاسى القلب المعرض عن امر الله وشرح الصدر استعارة لتحصيله للنظر الجيد والايمان بالله والنور هداية الله تعالى وهي اشبه شيء بالضوء قال ابن مسعود قلنا يارسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشراح وانفسح قلنا يارسول الله وما علامة ذلك قال الابابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت والقسوة شدة القلب وهي مأخوذة من قسوة الحجر شبه قلب الكافريه في صلابته وقلة انفعاله للوعظ وروى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابد الناس من الله القلب القاسى قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انتهى وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بمقوبة اعظم من قسوة قلبه قال ابن هشام قوله تعالى فويل

للقاسية قلوبهم من ذكر الله من هنا مرادفة عن وقيل هي للتعليل اي من اجل ذكر الله لانه اذا ذكر الله قست قلوبهم عياذا بالله وقيل هي للابتداء انتهى من المعنى قال الفخر اعلم ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية وقد يوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الجبشة الشيطانية فاذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية ورتبتها هو ذكر الله فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النفوس مرضا لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولائك في ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق انتهى * وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث يريد القراءان وروي عن ابن عباس ان سبب هذه الآية ان قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا باحاديث حسان واخبرنا باخبار الدهر فنزلت الآية * وقوله متشابهها معناه مستويا لا تناقض فيه ولا تدافع بل يشبه بمضه بعضا في رصف اللفظ ووثاقة البراهين وشرف المعاني اذ هي اليقين في العقائد في الله وصفاته وافعاله وشرعه ومثاني معناه موضع تشنية للقصص والاقضية والمواعظ تشني فيه ولا تمل مع ذلك ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد وقال ابن عباس ثني فيه الامر مرارا ولا ينصرف مثاني لانه جمع لانظيره في الواحد * وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عبارة عن قف شعر الانسان عند ما يداخله خوف ولين قلب عند سماع موعظة او زجر قراءان ونحوه وهذه علامة وقوع المعنى المخشع في قلب السامع وفي الحديث ان ابي بن كعب قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقت القلوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتسنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال العباس ابن عبد المطلب قال النبي صلى الله عليه وسلم من اقشعر جلده من خشية الله تعالى

تحأت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقالت أسماء بنت أبي بكر كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن قيل لها إن أقواما اليوم إذا سمعوا القرآن خر أحداهم مغشياً عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان وعن ابن عمر نحوه وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرآن أن يجعل أحداهم على حائط ماذا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن كله فإن رمى بنفسه فهو صادق (ت) وهذا كله تغليظ على المراءين والمتصنعين ولا خلاف أعلمه بين أرباب القلوب وأئمة التصوف أن المتصنع عندهم بهذه الأمور ممقوت وأما من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتى أذهب عن حسه فهو أن شاء الله من السادة الأخيار والأولياء الأبرار وقد وقع ذلك لكثير من الأخيار يطول تعدادهم كابن وهب وأحمد بن معتب المالكيين ذكرهما عياض في مداركه وإنهما ما تأتا من ذلك وكذلك مالك بن دينار مات من ذلك ذكره عبد الحق في العاقبة وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في قواعده الصغرى قال وقد يصيح بمضهم لغلبة الحال عليه والجائها إياه إلى الصياح وهو في ذلك معذور ومن صاح لغير ذلك فتصنع ليس من القوم في شيء وكذلك من أظهر شيئاً من الأحوال رياء أو تسميعاً فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار انتهى * وقوله تألى ذلك هدى الله يحتمل أن يشير إلى القرآن ويحتمل أن يشير إلى الحشية واقشمرار الجلود أي ذلك إمامة هدى الله قال الغزالي في الأحياء والمستحب من التالى للقرآن أن يثأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه انتهى قال الشيخ الولي عبد الله بن أبي جرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم في

قيامه يكسوه من كل آية يقرأها حال يناسب معنى تلك الآية وكذلك ينبغي ان تكون تلاوة القرآن وان لا يكون تاليه كمثل الحمار يحمل اسفارا انتهى *

وقوله تعالى افن يتقى بوجهه سوء العذاب الآية تقرير بمعنى التمجيب والمعنى افن يتقى بوجهه سوء العذاب كالمتممين في الجنة قال مجاهد يتقى بوجهه اي يجر على وجهه في النار وقالت فرقة ذلك لما روي ان الكافر يلقى في النار مكتوفا مربوطة يده الى رجليه مع عنقه ويكب على وجهه فليس له شيء يتقى به الاوجهه وقالت فرقة المعنى في ذلك صفة كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه بكل جراحة منه حتى بوجهه الذي هو اشرف جوارحه وهذا المعنى ابين بلاغة ثم مثل لقريش بالامم الذين من قبلهم وما نالهم من العذاب في الدنيا المتصل بعذاب الآخرة الذي هو اكبر ونفى الله سبحانه عن القرآن العوج لانه لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجهه * وقوله سبحانه ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية هذا مثل ضربه الله سبحانه في التوحيد فمثل تعالى الكافر العابد للآوثان والشياطين بعبد لرجال عدة في اخلاقهم شكاسة وعدم مسامحة فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بتضايقتهم في اوقاتهم ويضايقون العبد في كثرة العمل فهو ابدى في نصب منهم وعناء فكذلك عابد الآوثان الذي يعتقد ان ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها وبجراحة حاله منها ومتى توهم انه ارضى ضمنا بالذبح له في زعمه تفكر فيما يضع مع الآخر فهو ابدى تعب في ضلال وكذلك هو المصانع للناس المتحن بخدمة الملوك ومثل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمل على تودة وقد ساس مولاة فالمولى يغفر زلته ويشكره على اجادة عمله ومثلا مفعول بضرب ورجلا نصب على البذل ومتشاكسون معناه لا سمح في اخلاقهم بل فيها الجالج وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما اي سالما من الشركة ثم وقف تعالى الكفار بقوله هل يستويان مثلا

ونصب مثلاً على التمييز وهذا التوقيف لا يجيب عنه أحد إلا بأنهما لا يستويان
فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنهم قد اجابوا فقال الحمد لله أي على
ظهور الحجة عليكم من أقوالكم وباقي الآية بين والاختصاص في الآية قيل
عام في المؤمنين والكافرين قال (ع) ومعنى الآية عندى أن الله تعالى توعدهم
بأنهم سيتخاصمون يوم القيامة في معنى ردهم في وجه الشريعة وتكذيبهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي من حديث عبد الله بن الزبير
قال لما نزلت ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تحتصمون قال الزبير يا رسول الله أتكرر
علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا في الدنيا قال نعم قال إن الأمر اذن لشديد
انتهى * وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله الآية الإشارة بهذا
الكذب إلى قولهم أن الله صاحبة وولدا وقولهم هذا حلال وهذا حرام افتراء
على الله ونحو ذلك وكذبوا أيضاً بالصدق وذلك تكذيبهم بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم سبحانه توعداً فيه احتقارهم بقوله اليس في
جهنم مثوى للكافرين وقرأ ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به والصدق
هنا القرآن والشرع بجملة وقال فرقة الذى يراد به الذين وحذفت النون
قال (ع) وهذا غير جيد وتركيب جاء عليه يرد ذلك بل الذى هاهنا هي
للجنس والآية معادلة لقوله فمن اظلم قال قتادة وغيره الذى جاء بالصدق هو
محمد عليه السلام والذى صدق به هم المؤمنون وهذا اصوب الأقوال وذهب
قوم إلى أن الذى صدق به أبو بكر وقيل علي وتعميم اللفظ اصوب * وقوله
سبحانه أولئك هم المتقون قال ابن عباس اتقوا الشرك * وقوله تعالى
ليكفر يحتمل أن يتعلق بقوله المحسنين أي الذين أحسنوا لكي يكفر وقاله ابن
زبير ويحتمل أن يتعلق بفعل مضمر مقطوع مما قبله تقديره يسرهم الله لذلك
ليكفر لأن التكفير لا يكون إلا بعد التيسير للخير * وقوله تعالى اليس الله

بكاف عبده تقوية لنفس النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي عباده يريد الانبياء وانت يا محمد احدهم فيدخل في ذلك المومنون المطيعون والمتوكلون على الله سبحانه * وقوله سبحانه ويخوفونك بالذين من دونه اي بالذين يعبدون وباقي الآية بين وقد تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه اي فلنفسه عمل وسعى ومن ضل فعليها جنى ثم نبه تعالى على اية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية وان ذلك لا شركة فيه لصم وهي حالة التوفى وذلك ان ما توفاه الله تعالى على الكمال فهو الذي يموت وما توفاه توفيا غير مكمل فهو الذي يكون في النوم قال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وكثر الناس في هذه الآية وفي الفرق بين النفس والروح وفرق قوم بين نفس التمييز ونفس التخيل الى غير ذلك من الاقوال التي هي غلبة ظن وحقيقة الامر في هذا هي مما استأثر الله به وغيبه عن عباده في قوله قل الروح من امر ربي ويكفيك ان في هذه الآية يتوفى الانفس وفي الحديث الصحيح ان الله قبض ارواحنا حين شاء وردھا علينا حين شاء وفي حديث بلال في الوادي فقد نطقت الشريعة بقبض الروح والنفس وقد قال تعالى قل الروح من امر ربي والظاهر ان الحوض في هذا كله عناء وان كان قد تعرض للقول في هذا ونحوه ائمة ذكر الثعلبي عن ابن عباس انه قال في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه وجاء في اداب النوم واذكار النائم احاديث صحيحة ينبغي للعبد ان لا يخلي نفسه منها وقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أوى الرجل الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فان ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك بكمؤه فان استيقظ قال

الملك افتح بخير وقال الشيطان افتح بشرفان قال الحمد لله الذي رد الى
 نفسى ولم يمتها في منامها الحمد لله الذى يمسك السموات والارض ان تزولا
 ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا الحمد لله
 الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم
 فان وقع من سريره فمات دخل الجنة رواه النسائي واللفظ له والحاكم فى
 المستدرک وابن حبان فى صحيحه وقال الحاکم صحيح على شرط مسلم وزاد
 اخره الحمد لله الذى يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير انتهى من السلاح
 وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يأوى الى
 فراشه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
 قدير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
 والله اكبر غفرت له ذنوبه او خطاياها شك مسعر وان كانت مثل زبد البحر
 رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه النسائي موقوفا انتهى وروى الترمذي عن
 ابى امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أوى الى فراشه
 طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسئل الله شيأ
 من خير الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه انتهى والاجل المسمى فى هذه الآية هو
 عمر كل انسان والضاير فى قوله تعالى اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون
 للاصنام * وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
 بالآخرة الآية قال مجاهد وغيره نزلت فى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة
 النجم عند الكعبة بحضور من الكفار وقرأ افرأيت اللات والعزى الآية والقي
 الشيطان يعنى فى اسماع الكفار تلك الغرائقة العلى على مامر فى سورة الحج
 فاستبشروا واشمأزت نفوسهم معناه تقبضت كبرا وانفة وكراهية ونفورا *
 وقوله تعالى قل اللهم فاطر السموات الآية امر لنبيه عليه السلام بالدعاء

اليه ورد الحكم الى عدله ومعنى هذا الامر تضمن الاجابة * وقوله تعالى
وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال الثعلبي قال السدي ظنوا اشياء انها
حسنات فبدت سيئات قال (ع) قال سفيان الثوري ويل لاهل الرياء من
هذه الآية وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند الموت فقيل له ما
هذا فقال اخاف هذه الآية وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وقوله
تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا الآية قال الزجاج التحويل العطاء عن غير مجازاة
والنعمة هنا عامة في المال وغيره وتقوى الاشارة الى المال بقوله انما اوتيته على
علم قال قتادة يريد انما اوتيته على علم منى بوجه المكاسب والتجارات ويحتمل ان
يريد على علم من الله في واستحقاق حزنه عند الله في هذا التأويل اغترار بالله
وفي الاول اعجاب بالنفس ثم قال تعالى بل هي فتنة اي ليس الامر كما
قال بل هذه الفعلة به فتنة له وابتلاء ثم اخبر تعالى عن سلف من
الكفرة انهم قد قالوا هذه المقالة ككفارون وغيره فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال والذين ظلموا من هؤلاء المعاصرين لك يا محمد
سيصيبهم سيئات ما كسبوا قال ابو حيان فما اغنى يحتمل ان تكون ما نافية
او استفهامية فيها معنى النفي انتهى * وقوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية هذه الآية عامة في جميع الناس الى
يوم القيامة فتوبة الكافر تمحو ذنبه وتوبة العاصي تمحو ذنبه على ما تقدم تفصيله
واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن يسار نزلت في وحشي قاتل
حمزة وقال ابن اسحاق وغيره نزلت في قوم بمكة امنوا ولم يهاجروا وفتنتهم
قريش فافتتنوا ثم ندموا وظنوا انهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم منهم
الوليد بن الوليد وهشام بن العاصي وهذا قول عمر بن الخطاب وانه كتبها
بيده الى هشام بن العاصي الحديث وقالت فرقة نزلت في قوم كفار من

اهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الاسلام ونحن قد زينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه ارجى اية في القرآن وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي واسرفوا معناه افرطوا والقنط اعظم اليأس وقرأ نافع والجمهور تقنطوا بفتح النون قال ابو حاتم فيلزمهم ان يقرأوا من بعد ما قنطوا بكسرهما ولم يقرأ به احد وقرأ ابو عمرو وتقنطوا بالكسر * وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص لان الشرك ليس بداخل في الآية اجماعا وهي ايضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وقرأ ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء وانيبوا معناه ارجعوا * وقوله سبحانه واتبعوا احسن معناه ان القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة واوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وتضمن ايضا حدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها فالاحسن للمرء ان يسلك طريق الطاعة والانتها عن المصيبة والعفو في الامور ونحو ذلك من ان يسلك طريق الغفلة والمصيبة فيحد او يقع تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود بالاحسن وليس المعنى ان بعض القرآن احسن من بعض من حيث هو قرآن (ت) وروى ابو بكر بن الخطيب بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل يا حسرتى قال الحسرة ان يرى اهل النار منازلهم من الجنة قال فهي الحسرة انتهى * وقوله فرطت في جنب الله اي في جهة طاعته وتضييع شريعته والايمان به وقال مجاهد في جنب الله اي في امر الله وقول الكافر وان كنت لمن الساخرين ندامة على استهزائه بامر الله تعالى وكرة مصدر من كريك وهذا الكون في هذه الآية داخل في التمنى وباقي الآية انواره لاثثة وحججه واضحة ثم خاطب تعالى نبيه بنجر ما

يراه يوم القيامة من حالة الكفار وفي ضمن هذا الخبر وعيد بين لمعاصريه عليه السلام فقال ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ترى من رؤية العين وظاهر الآية ان وجوههم تسود حقيقة * وقوله سبحانه وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية ذكر تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من شقاوة الكافرين وفي ذلك ترغيب في حالة المتقين لان الاشياء تتبين باضدادها ومفازتهم مصدر من الفوز وفي الكلام حذف مضاف تقديره وينجي الله الذين اتقوا باسباب مفازتهم والمقالييد المفاتيح وقاله ابن عباس واحدا مقلاد كمفتاح وقال عثمان بن عفان سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مقالييد السموات والارض فقال هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن يحي ويميت وهو على كل شيء قدير * وقوله تعالى ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك قالت فرقة المعنى ولقد اوحى الى كل نبي لئن اشركت ليحبطن عملك (ت) قد تقدم غير ما مرة ان ما ورد من مثل هذا فهو محمول على ارادة الامة لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطف هو صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال (ص) ليحبطن جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه انتهى * وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره معناه وما عظموا الله حق عظمتة ولا وصفوه بصفاته ولا نفوا عنه ما لا يليق به قال ابن عباس نزلت هذه الآية في كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردا عليهم وقالت فرقة نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله تعالى فالحدوا وجسموا واتوا بكل تخليط * وقوله تعالى والارض جميعا قبضته معناه في قبضته واليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة والقوة وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل وصعق في هذه الآية معناه خرميتا

والصور القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فالتوجه
 قوله في نفخة البعث وقد تقدم بيان نظير هذه الآية في غير هذا الموضع *
 وقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى هي نفخة البعث وفي الحديث ان بين النفختين
 اربعين لا يدري ابو هريرة سنة او شهرا او يوما او ساعة (ت) ولفظ مسلم عن
 ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا
 هريرة اربعون سنة قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون يوما قال
 ابيت الحديث قال صاحب التذكرة فقل معنى قوله ابيت اي امتنعت من
 بيان ذلك اذ ليس هو مما تدعو اليه حاجة وعلى هذا كان عنده علم ذلك وقيل
 المعنى ابيت ان اسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وعلى هذا فلا علم عنده
 والاول اظهر وقد جاء ان ما بين النفختين اربعين عاما انتهى وقد تقدم ان
 الصحيح في المستثنى في الآية انهم الشهداء قال الشيخ ابو محمد بن بزيعة في
 شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذي تلقيناه من شيوخنا المحققين ان العوالم
 التي لا تغنى سبعة العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والارواح انتهى
 واشرقت الارض بنور ربها معناه اضاءت وعظم نورها والارض في هذه الآية
 الارض المبدلة من الارض المعروفة * وقوله بنور ربها اضافة مخلوق الى
 خالق والكتاب كتاب حساب الخلائق ووحدته على اسم الجنس لان كل احد
 له كتاب على حدة وجيء بالنبيين اي ليشهدوا على اممهم والشهداء قيل هو
 جمع شاهد وقيل هو جمع شهيد في سبيل الله والاول ابين في معنى التوعد
 والضمير في قوله بينهم عائد على العالم باجمعه اذ الآية تدل عليهم وزمرا معناه
 جماعات متفرقة واحدها زمرة * وقوله فتحت جواب اذا والكلام هنا
 يقتضى ان فتحها انما يكون بعد مجيئهم وفي وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم
 وهكذا هي حال السجون ومواضع الشفاف والمذاب بخلاف قوله في اهل

الجنة وفتحت فالواو موزنة بانهم يجدونها مفتوحة كمنازل الافراح والسرور * وقوله تعالى وقال لهم خزنتها لم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم الآية في قوله منكم اعظم في الحجة اي رسل من جنسكم لا يصعب عليكم مرافهم ولا فهم اقوالهم * وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا الشرك والواو في قوله وفتحت موزنة يدخل الجنة من المؤمنين الذين اتقوا الشرك والواو في قوله وفتحت موزنة بانها قد فتحت قبل وصولهم اليها وقالت فرقة هي زائدة وقال قوم اشار اليهم ابن الانباري وضمف قولهم هذه واو الثمانية وقد تقدم الكلام عليها وجواب اذا فتحت وعن المبرد جواب اذا محذوف تقديره بعد قوله خالد بن سعدوا وسقطت هذه الواو في مصحف ابن مسعود وسلام عليكم تحية وطبتم معناه اعمالا ومعتقدا ومسقرا وجزاء واورثنا الارض يريد ارض الجنة ونبأوا معناه نتخذ امكنة ومساكن ثم وصف تعالى حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به والحفوف الاحداق بالشئ وهذه اللفظة مأخوذة من الحفاف وهو الجانب قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا معمر عن ابى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي انه تلا هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها قال وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عيان فعمدوا الى احداها كما انما امروا بها فاغتسلوا بها فلم تشعث رءوسهم بعدها ابدا ولم تتغير جلودهم بعدها ابدا كما انما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربو منها فطهرت اجوافهم وغسلت كل قدر فيها وتلقاهم على كل باب من ابواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يحيي من النيبة يقولون ابشراعد الله لك كذا وكذا واعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من ازواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول له انت رأيت فيستخفها الفرح حتى تقوم

على اسكفة بابها ثم ترجع فيجيء فينظر الى تاليس بنيانه من جندل التؤلؤ
 اخضر واصفر واحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زراي ماثوثة واكواب
 موضوعة ثم يرفع رأسه فلولاً ان الله قدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثل
 البرق ثم يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
 انتهى * وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قالت فرقة معناه ان تسبيحهم يتأتى
 بحمد الله وفضله وقالت فرقة تسبيحهم هو بترديد حمد الله وتكراره قال الثعلبي
 متلذذين لا متعبدين مكفين * وقوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين ختم
 للامر وقول جزم عند فصل القضاء اي ان هذا الملك الحاكم العادل ينبغي ان
 يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضائه بين عباده ومن هذه الآية جمعت الحمد
 لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم قال قتادة فتح الله اول
 الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم القيامة
 بالحمد في هذه الآية قال (ع) وجعل سبحانه الحمد لله رب العالمين فاتحة
 كتابه فيه يبدأ كل امر وبه يختم وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي ان يكون
 من المومن كما قيل

وآخر شيء انت في كل ضجعة * واول شيء انت عند هبوب

﴿ تفسير سورة غافر وهي مكية ﴾

روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحواميم ديباج القرآن ومعني
 هذه العبارة انها خلت من الاحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق

الآخرة محضا وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرتع في رياض مونة من الجنة فليقرأ الحواميم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم تقدم القول في الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع بقول آخر قاله الضحاك والكسائي ان حم هجاء حم بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة كانه يقول حم الامر ووقع تنزيل الكتاب من الله وقال ابن عباس الروح حم ون هي حروف الرحمن مقطعة في سور وسأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو فقال بدأ اسماء وفواتح سور وذى الطول معناه ذى التطول والمن بكل نعمة فلا خير الا منه سبحانه فترتب في هذه الآية وعيد بين وعدين وهكذا رحمته سبحانه تغلب غضبه قال (ع) سمعت هذه النزعة من ابي رحمه الله وهو نحو من قول عمر رضي الله عنه لن يغلب عسريسين (ت) هو حديث والطول الانعام وعبرة البخاري الطول التفضل وحكى الثعلبي عن اهل الإشارة انه تعالى غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير فردا وقال ابن عباس الطول السعة والغنى وتقلب الذين كفروا في البلاد عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والاسفار وغير ذلك وهمت كل امة برسولهم لياخذوه اي ليهلكوه كما قال تعالى فاخذتهم والعرب تقول للقتيل اخيذ والاسير كذلك قال قتادة لياخذوه معناه ليقتلوه وليدحضوا معناه ليزلقوا ويذهبوا والمدحضة المزالة والمزلقة * وقوله فكيف كان عقاب تعجيب وتعظيم وليس باستفهام عن كيفية وقوع الامر * وقوله سبحانه وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا الآية في مصحف ابن مسعود وكذلك سبقت كلمة ربك والمعنى وكما اخذت اولئك المذكورين

فاهلكتهم فكذلك حقت كلماتي على جميع الكفار من تقدم منهم ومن تأخر انهم اصحاب النار * وقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الآية اخبر الله سبحانه بنجر يتضمن تشريف المؤمنين ويعظم الرجاء لهم وهو ان الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش وهؤلاء افضل الملائكة يستغفرون للمؤمنين ويسألون الله لهم الرحمة والجنة وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية كان على ربك وعدا مسئولا اي سألته الملائكة قال (ع) وفسر في هذه الآية المجمل الذي في قوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض لان الملائكة لا تستغفر لكافر وقد يجوز ان يقال ان استغفارهم لهم بمعنى طلب هدايتهم وبلغني ان رجلا قال لبعض الصالحين ادع لي واستغفر لي فقال له تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير مني وتلا هذه الآية وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح العباد للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الآية وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة قال الداودي وعن هارون بن رباب قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن فاربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك انتهى وروى ابو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام انتهى وقد تقدم * وقولهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما معناه وسعت رحمتك وعلمك كل شيء * وقوله ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم روي عن سعيد بن جبير في ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابى اين امى اين ابنى اين زوجى فيلحقون به

لصالحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة * وقولهم وقهم السيئات معناه اجعل لهم وقاية تقيهم السيئات واللفظ يحتمل ان يكون الدعاء في ان يدفع الله عنهم انفس السيئات حتى لا ينالهم عذاب من اجلها ويحتمل ان يكون الدعاء في دفع العذاب اللاحق من السيئات فيكون في اللفظ على هذا حذف مضاف كأنه قال وقهم جزاء السيئات قال الفخر وقوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعني من تق السيئات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيامة انتهى وهذا راجع الى التاويل الاول * وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الآية روي ان هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فانهم اذا دخلوا فيها مقتوا انفسهم وتناديهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ لمقت الله اياكم في الدنيا اذ كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم هذا هو معنى الآية وبه فسر مجاهد وقتادة وابن زيد واللام في قوله لمقت يحتمل ان تكون لام ابتداء ويحتمل ان تكون لام قسم وهو اصبوب واكبر خبر الابتداء واختلف في معنى قولهم امتنا اثنتين الآية فقال ابن عباس وغيره ارادوا مودة كونهم في الاصلاح ثم احياءهم في الدنيا ثم اماتتهم الموت المعروف ثم احياءهم يوم القيامة وهي كالتى في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وقال السدي ارادوا انه احياءهم في الدنيا ثم اماتتهم ثم احياءهم في القبر وقت السؤال ثم اماتهم فيه ثم احياءهم في الحشر قال . وهذا فيه الاحياء ثلاث مرار والاول اثبت وهذه الآية متصلة المعنى بالتى قبلها وبعد قولهم فهل الى خروج من سبيل محذوف يدل عليه الظاهر تقديره لا اسعاف لطلبكم وانحو هذا من الرد * وقوله تعالى ذلكم يحتمل ان يكون اشارة الى العذاب الذى هم فيه اولى مقتهم انفسهم اولى النع والزجر والاهانة * وقوله تعالى ذلكم بانه اذ ادعى

الله وحده معناه بحالة توحيد ونفي لما سواه كفرتم وان يشرك به الالات والعزى
 وغيرها صدقتم فالحكم اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار لله لا لتلك التي كنتم
 تشركونها معه في الالهوية * وقوله سبحانه فادعوا الله مخلصين له
 الدين الآية مخاطبة للمؤمنين اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا
 معناه اعبدوا * وقوله تعالى رفيع الدرجات يحتمل ان يريد بالدرجات
 صفاته العلى وعبر بما يقرب من افهام السامعين ويحتمل ان يريد رفيع الدرجات
 التي يعطيها للمؤمنين ويتفضل بها على عباده المخلصين في جنته والعرش هو
 الجسم المخلوق الاعظم الذي السموات السبع والكرسي والارضون فيه
 كالدنانير في الفلاة من الارض * وقوله تعالى يلقى الروح من امره على من
 يشاء من عباده قال الضحاك الروح هنا هو الوحي القرآني وغيره مما لم يتل
 وقال قتادة والسدي الروح النبوة ومكانتها كما قال تعالى روحا من امرنا
 وسمي هذا روحا لانه تحي به الامم والازمان كما يحي الجسد بروحه ويحتمل ان
 يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في تفهيمه الايمان
 والمعقولات الشريفة والمنذر بيوم التلاقى على هذا التأويل هو الله تعالى قال
 الزجاج الروح كل ما فيه حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال كاليت *
 وقوله من امره ان جعلته جنسا للامور فمن للتبعيض او لابتداء الغاية وان جعلت
 الامر من معنى الكلام فمن اما لابتداء الغاية واما بمعنى الباء ولا تكون للتبعيض
 بته وقرأ الجمهور لتنذر بالباء على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ ابي بن
 كعب وجماعة لينذر بالياء ويوم التلاقى معناه تلاقى جميع العالم بعضهم بعضا
 وذلك امر لم يتفق قط قبل ذلك اليوم * وقوله يوم هم بارزون معناه في براز
 من الارض يسمعون الداعي وينفذهم البصر * وقوله تعالى لمن الملك اليوم
 روي ان الله تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب

سبحانه هو نفسه بقوله لله الواحد القهار ثم يعلم الله تعالى اهل الموقف بان اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وباقي الآية تكرر معناه فانظره في مواضعه ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بانذار العالم وتحذيرهم من يوم القيامة واهواله والآزفة القريبة من اذف الشيء اذا قرب والآزفة في الآية صفة لمحذوف قد علم واستقر في النفوس هوله والتقدير يوم الساعة الآزفة او الطامة الآزفة ونحو هذا * وقوله سبحانه اذ القلوب لدى الخاجر معناه عند الخاجر اي قد صعدت من شدة الهول والجزع والكاظم الذي يرد غيظه وجزعه في صدره فمعنى الآية انهم يطعمون في رد ما يحدونه في الخاجر والحال تغالبهم ويطاع في موضع الصفة لشفيع لان التقدير ولا شفيع مطاع قال ابو حيان يطاع في موضع صفة لشفيع فيحتمل ان يكون في موضع خفض على اللفظ او في موضع رفع على الموضع ثم يحتمل النفي ان يكون منسجبا على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع ويحتمل ان ينسحب على الموصوف وصفته اي لا شفيع فيطاع انتهى وهذا الاحتمال الاخير هو الصواب قال (ع) وهذه الآية كلها عندي اعتراض في الكلام ببلغ * وقوله يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب وقالت فرقة يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهذا قول حسن يقويه تناسب المعنيين ويضعفه بعد الآية من الآية وكثرة الحائل والخائنة مصدر كالخيانة ويحتمل ان تكون خائنة اسم فاعل اي يعلم الاعين اذا خانت في نظرها قال ابو حيان والظاهر ان خائنة الاعين من اضافة الصفة الى الموصوف اي الاعين الخائنة كقوله * وان سقيت كرام الناس فاسقين * اي الناس الكرام وجوزوا ان يكون خائنة مصدرا كالعافية اي يعلم خيانة الاعين انتهى وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات فمن ذلك كسر الجفون والغمز بالعين او النظرة التي تفهم معنى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه في شأن رجل ارتد ثم جاء ليسلم هلا قام اليه رجل منكم حين تلكأت عنه فضرب عنقه فقالوا يا رسول الله الا اوأأت الينا فقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين وفي بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد المهمل انا العالم بجمال الفكر وكسر الجفون وقال مجاهد خائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يجوز ثم قوى تعالى هذا الاخبار بقوله وما تحفى الصدور بما لم يظهر على عين ولا غيرها واسند ابو بكر بن الخطيب عن مولى ام معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم طهر قلبي من النفاق وعمل من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الحيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تحفى الصدور انتهى قال القشيري في التعبير ومن علم اطلاع الحق تعالى عليه يكون مراقبا لربه وعلامته ان يكون محاسبا لنفسه ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين عليه بعلمه ان نظر الله اليه سابق على نظره الى ما ينظر اليه انتهى * وقوله سبحانه والله يقضى بالحق اي يجازي الحسنة بعشر والسيئة بمثلها وينصف المظلوم من الظالم الى غير ذلك من افضية الحق والعدل والاضمان لا تقضى بشيء ولا تنفذ امرا ويدعون معناه يعبدون * وقوله سبحانه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق الضير في يسيروا الكفار قرش والآثار في الارض هي المباني والمنازل والصيت الديوي وذنوبهم كانت تكذيب الانبياء والواق السائر المانع مأخوذ من الوقاية وباقي الآية بين وخص تعالى هامان وقارون بالذكر تنبيها على مكانهما من الكفر ولكونهما اشهر رجال فرعون وقيل ان قارون هذا ليس بقارون بنى اسرائيل وقيل هو ذلك ولكنه كان

منقطعا الى فرعون خادما له مستغنيا معه * وقوله ساحراي في امر المصا وكذاب في قوله اني رسول الله ثم اخبر تعالى عنهم انهم لما جاءهم موسى بالنبوة والحق من عند الله قال هؤلاء الثلاثة واجمع رأيهم على ان يُقتل ابناء بني اسرائيل اتباع موسى وشبانهم واهل القوة منهم وان يستحيى النساء للخدمة والاسترقاق وهذا رجوع منهم الى نحو القتل الاول الذي كان قبل ميلاد موسى ولكن هذا الاخير لم تتم لهم فيه عزيمة ولا اعانهم الله تعالى على شيء منه قال قتادة هذا قتل غير الاول الذي كان حذر المولود وسموا من ذكرنا من بني اسرائيل ابناء كما تقول لانجاد القبيلة او المدينة واهل الظهور فيها هؤلاء ابناء فلانة * وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال عبارة وجيزة تعطى قوتها ان هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل احد من بني اسرائيل ولا نجحت لهم فيهم سعاية * وقوله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى الآية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرتهم آيات موسى عليه السلام انهد ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في امره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفي هذه الآية على ذلك دليلان احدهما قوله ذروني فليست هذه من الفاظ الجبارة المتكئين من انفاذ او امرهم والدليل الثاني مقالة المومن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون اكثر من مسارته وحكمه بنبوة موسى اظهر من توريته في امره واما فرعون فانما نحا الى المخرقة والتمويه والاضطراب ومن ذلك قوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه اي اني لا ابالي برب موسى ثم رجع الى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لئن حلت نجسي في بني اسد * في دين عمرو وحالت بيننا فذك
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم او ان يظهر وقرأ الباقر وان يظهر فعلى القراءة

الاولى خاف فرعون احد امرين وعلى الثانية خاف الامرين معا ولما سمع موسى مقالة فرعون دعا وقال انى عدت بربى وربكم الآية ثم حكى الله سبحانه مقالة رجل مومن من آل فرعون شرفه بالذكر وخلد ثناءه فى الامم غابر الدهر قال (ع) سمعت ابى رحمه الله يقول سمعت ابا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل ان يتكلم فى شيء من فضائل الصحابة فاطرق قليلا ثم رفع رأسه وانشد

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتد
ماذا تريد من قوم قرنهم الله بنبيه وخصهم بمشاهدة وحيه وقد اثنى الله تعالى على رجل مومن من آل فرعون كنتم ايمانه واسره فجعله تعالى فى كتابه واثبت ذكره فى المصاحف لكلام قاله فى مجلس من مجالس الكفر واين هو من عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ جرد سيفه بمكة وقال والله لا اعبد الله سرا بعد اليوم قال مقاتل كان هذا المومن ابن عم فرعون قال الفخر قيل انه كان ابن عم لفرعون وكان جاريا مجرى ولي العهد له ومجرى صاحب السر له وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وقيل انه كان من بنى اسرائيل والقول الاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة انتهى قال الثعلبي قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسمه حزقيل وقيل حزبقال وقيل غير هذا انتهى * وقوله يصبكم بعض الذى يعدكم قال ابو عبيدة وغيره بعض هنا بمعنى كل وقال الزجاج هو الزام الحجة بايسر ما فى الامر وليس فيه نفي اصابة الكل قال (ع) ويظهر لى ان المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعدبه لانه عليه السلام وعدهم ان آمنوا بالنعيم وان كفروا بالعذاب الاليم فان كان صادقا فالعذاب بعض ما وعده به وقول المومن يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض استنزال لهم ووعظ * وقوله فى الارض يريد ارض مصر وهذه الاقوال تقتضى زوال هيبة فرعون

ولذلك استكان هو وراجع بقوله ما اريكم الا ما ارى واختلف الناس من المراد بقوله تعالى وقال الذى آمن فقال الجمهور هو المومن المذكور قص الله تعالى اقاويله الى آخر الآيات وقالت فرقة بل كلام ذلك المومن قد تم وانما اراد تعالى بالذى آمن موسى عليه السلام محتجين بقوة كلامه وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا بملاينة لهم * وقوله مثل يوم الاحزاب اي مثل يوم من ايامهم لان عذابهم لم يكن فى عصر واحد والمراد بالاحزاب المتحزون على الانبياء ومثل الثانى بدل من الاول والدأب العادة ويوم التنادى معناه يوم ينادى قوم قوما ويناديهم الآخرون واختلف فى التنادى المشار اليه فقال قتادة هو نداء اهل الجنة اهل النار فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل هو النداء الذى يتضمنه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال (ع) ويحتمل ان يكون المراد التذكير بكل نداء فى القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة وذلك كثير وقرأ ابن عباس والضحاك وابو صالح يوم التناد بشد الدال وهذا معنى آخر ليس من النداء بل هو من ند البعير اذا هرب وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية وروى هذه الفرقة فى هذا المعنى حديثا ان الله تعالى اذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا بعد صف مستديرة بالارض التى عليها الناس للحساب فاذا رأى الخلق هول القيامة واخرجت جهنم عنقا الى اصحابها فر الكفار وندوا مدبرين الى كل جهة فتردهم الملائكة الى المحشر لا عاصم لهم والعاصم المنجى * وقوله ولقد جاءكم يوسف الاية قالت فرقة منهم الطبري يوسف المذكور هنا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وروى عن وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمن موسى وروى اشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون عمر اربعمائة سنة واربعين سنة وقالت فرقة بل هو فرعون

آخر * وقوله كبر مقتا اي كبر مقتا جدالمهم عند الله فاختصر ذكر الجدل
لدلالة تقدم ذكره عليه وقرأ ابو عمرو وحده على كل قلب بالتسوين وقرأ الباقر
بغير تسوين وفي مصحف ابن مسعود على قلب كل متكبر جبار ثم ان فرعون
لما اعيتته الحيل في مقاومة موسى نحا الى المخرقة ونادى هامان وزيره ان
يبنى له صرحا فيروى انه طبخ الاجر لهذا الصرح ولم يطبخ قبله وبناه ارتفاع
اربعمائة ذراع فبعث الله جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر تفرقت
اثنتان ووقعت ثالثة في البحر والاسباب الطرق قاله السدي وقال قتادة اراد
الابواب وقيل عنى لعله يجد مع قربه من السماء سببا يتعلق به وقرأ حمزة
والكسائي وعاصم وصد عن السبيل بضم الصاد وفتح الدال عطفا على زين
والباقر بفتح الصاد والتباب الخسران ومنه بتت يدا ابى لهب وبه فسرهما
مجاهد وقتادة ثم وعظهم الذي امن فدعا الى اتباع امر الله * وقوله اتبعون
اهدكم يقوى ان المتكلم موسى وان كان الآخر يحتمل ان يقول ذلك اي
اتبعوني في اتباع موسى ثم زهدهم في الدنيا وانها شي يتمتع به قليلا ورغب
في الآخرة اذ هي دار الاستقرار قال الغزالي في الاحياء من اراد ان يدخل
الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في التلاوة والذكر والتفكر في حسن المشاب
ومن اراد ان ترجح كفة حسنة وتشغل موازين خيرا فليستوعب في الطاعة
اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره في خطر لكن الرجاء غير
منقطع والغفوة من كرم الله منتظر انتهى * وقوله تعالى ويا قوم مالي ادعوكم
الى النجاة الآية قد تقدم ذكر الخلاف هل هذه المقالات لموسى اولومن ال
فرعون والدعاء الى النجاة هو الدعاء الى سببها وهو توحيد الله تعالى وطاعته
وباقى الآية بين * وقوله ان ما تدعوننى المعنى وان الذى تدعوننى اليه من
عبادة غير الله ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعى احد اليه ثم توعدهم

بانهم سيذكرون قوله عند حلول العذاب بهم والضمير في وقاه يحتمل ان يعود على موسى او على مومن ءال فرعون على ما تقدم من الخلاف وقال القائلون بانه مومن ءال فرعون ان ذلك المومن نجا مع موسى عليه السلام في البحر وفسر في جملة من فرمعه من المتبعين * وقوله تعالى في ءال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية قوله النار رفع على البدل من قوله سوء وقيل رفع بالابتداء وخبره يعرضون قالت فرقة هذا الغدو والعشي هو في الدنيا اي في كل غدو وعشي من ايام الدنيا يعرض ءال فرعون على النار قال القرطبي في التذكرة وهذا هو عذاب القبر في البرزخ انتهى وكذا قال الامام الفخر وروي في ذلك ان ارواحهم في اجواف طير سود تروح بهم وتغدو الى النار وقاله الاوزاعي عافانا الله من عذابه وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احداكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة انتهى * وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة اي ويوم القيامة يقال ادخلوا ءال فرعون اشد العذاب وءال فرعون اتباعه واهل دينه والضمير في قوله يحتاجون لجميع كفار الامم وهذا ابتداء قصص لا يختص بءال فرعون والعامل في اذ فعل مضمرة تقديره اذكر ثم قال جميع من في النار لخزنتها ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فراجعهم الخزنة على معنى التوبخ والتقرير او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فافر الكفار عند ذلك وقالوا بلى اي قد كان ذلك فقال لهم الخزنة عند ذلك ادعوا انتم اذن وهذا عل معنى الهزء بهم * وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال قيل هو من قول الخزنة وقيل هو من قول الله تعالى اخبارا منه لمحمد عليه السلام ثم اخبر تعالى انه ينصر رسله والمومنين في الدنيا والاخرة ونصر المومنين داخل

فى نصر الرسل وايضا فقد جمل الله للمؤمنين الفضلاء وداو وهبهم نصرا اذا ظلموا
 وحضت الشريعة على نصرهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من رد عن اخيه فى
 عرضه كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم وقوله عليه السلام من حمى مومنا
 من منافق يغتابه بعث الله ملكا يحميه يوم القيامة * وقوله تعالى ويوم يقوم
 الاشهاد يريد يوم القيامة قال الزجاج والاشهاد جمع شاهد وقال الطبري جمع
 شهيد كشراف واشراف ويوم لا ينفع بدل من الاول والمعدرة مصدر كالمعذر
 ثم اخبر تعالى بقصة موسى وما اتاه من النبوة تائيسا لمحمد وضرب اسوة
 وتذكيرا بما كانت العرب تعرفه من امر موسى فبين ذلك ان محمدا ليس ببديع
 من الرسل والهدى النبوة والحكمة والتوراة تتم جميع ذلك * وقوله تعالى
 واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال الطبري الابكار من طلوع
 الفجر الى طلوع الشمس وقيل من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وقال
 الحسن بالعشي يريد صلاة العصر والابكار يريد صلاة الصبح * وقوله تعالى
 ان فى صدورهم الاكبر اي ليسوا على شيء بل فى صدورهم كبر وانفة
 عليك ثم نفى ان يكونوا يبلغون امالهم بحسب ذلك الكبر ثم امره تعالى
 بالاستعانة بالله فى كل امره من كل مستعاذ منه * وقوله تعالى لخلق
 السموات والارض اكبر من خلق الناس فيه توبيخ لهؤلاء الكفرة المتكبرين
 كانه قال مخلوقات الله اكبر واجل قدرا من خلق البشر فما لاحد منهم يتكبر على
 خالقه ويحتمل ان يكون الكلام فى معنى البعث وان الذى خلق السموات
 والارض قادر على خلق الناس تارة اخرى والخلق هنا مصدر مضاف الى
 المفعول والذين امنوا وعملوا الصالحات يعادلهم قوله ولا المني وهو اسم
 جنس يعم المسيئين * وقوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم اية
 تفضل ونعمة ووعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالاجابة عند الدعاء قال

النووي وروينا في كتاب الترمذي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا اياه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلهما ما لم يدع باثم او قطعة رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله اكثر قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الحاكم في المستدرک من رواية ابي سعيد الخدري وزاد فيه او يدخر له من الاجر مثلهما انتهى قال ابن عطاء الله لا يکن تأخر امد العطاء مع الاحاح في الدعاء موجبا لياسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد انتهى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا دعاني رواه الجماعة الا ابا داود واللفظ لمسلم انتهى من السلاح وقالت فرقة معنى ادعوني اعبدوني واستجب معناه بالنصر والثواب ويدل على هذا قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية (ت) وهذا التاويل غير صحيح والاول هو الصواب ان شاء الله للحديث الصحيح فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان في صحيحهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد انتهى من السلاح والداخر الصاغر الذليل * وقوله تعالى الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآيات هذا تنبيه على آيات الله وعبره متى تأملها العاقل ادته الى توحيد الله سبحانه والاقرار بربوبيته وتوفكون معناه تصرفون عن طريق النظر والهدى كذلك يوفك اي على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بشايات الله من الامم المتقدمة عن طريق الهدى * وقوله تعالى

هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل الآية تنبيه على الوحدةانية
بالعبرة فى ابن آدم وتدرىج خلقه * وقوله سبحانه ومنكم من يتوفى من قبل
عبارة تردد فى الادراج المذكورة فمن الناس من يموت قبل ان يخرج طفلا
واخرون قبل الاشد واخرون قبل الشيخوخة وتبلغوا اجلا مسمى اي ليبلغ
كل واحد اجلا مسمى لا يتعداه ولعلمكم تعقلون الحقائق اذا نظرتم فى هذا
وتدبرتم حكمة الله تعالى * وقوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله
الآية فى الكفار المجادلين فى رسالة نبينا محمد عليه السلام ويسحبون معناه
يجرون والسحب الجر والحميم الذائب الشديد الحر من النار ويسجرون قال
مجاهد معناه توقد النار بهم والعرب تقول سجرت التنور اذا ملأته نارا وقال
السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يقال لهم اين الاصنام التى كنتم
تعبدون فى الدنيا فيقولون ضلوا اي تلفوا لنا وغابوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون
الى الكذب فيقولون بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ثم يقال لهؤلاء الكفار
المعذبين ذلکم العذاب الذى انتم فيه بما كنتم تفرحون فى الدنيا بالمعاصى والكفر
وترحون قال مجاهد معناه الاشر والبطر * وقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم
معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة فى اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما
هى بعد دخولهم ثم انس تعالى نبيه ووعدته بقوله فاصبر ان وعد الله حق اي
فى نصرک واطهار امرک فان ذلك امر اما ان ترى بعضه فى حياتك فتقر عينك
به واما ان تموت قبل ذلك فالى امرنا وتعدينا يصيرون ويرجعون قال ابو حيان
وما فى اما زائدة لتأكيد معنى الشرط انتهى * وقوله تعالى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك هذه
الآية رد على العرب الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا * وقوله تعالى

فاذا جاء امر الله قضي بالحق الآية يحتمل ان يريد بامر الله القيامة فتكون الآية توعدا لهم بالآخرة ويحتمل ان يريد بامر الله ارسال رسول وبعثة نبي. قضى ذلك وانفذه بالحق وخسر كل مبطل (ت) والاول ابين * وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها الآية هذه آيات فيها عبر وتعميد نعم والانعام الازواج الثمانية ومنها الاولى للتبعيض وقال الطبري في هذه الآية الانعام تعم الابل والبقر والغنم والحيل والبغال والحمير وغير ذلك مما يستفيع به من البهائم فمنها في الموضعين على هذا للتبعيض * وقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الآية هذا احتجاج على قريش بما اظهر سبحانه في الامم السالفة من نعماته في الكفار الذين كانوا اكثر منهم واشد قوة قال ابو حيان فما اغنى ما نافية واستفهامية بمعنى النبي انتهى * وقوله سبحانه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات الآية الضمير في جاءتهم عائد على الامم المذكورة واختلف المفسرون في الضمير في فرحوا على من يعود فقال مجاهد وغيره هو عائد على الامم المذكورين اي فرحوا بما عندهم من العلم في ظنهم ومعتقدهم من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون قال ابن زيد واغترروا بعلمهم بالدنيا والمعاش وظنوا انه لا آخرة ففرحوا وهذا كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وقالت فرقة الضمير في فرحوا عائد على الرسل وفي هذا التاويل حذف وتقديره فلما جاءتهم رسلهم بالبينات كذبوهم ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله والثقة به وبانه سينصرهم والضمير في بهم عائد على الكفار بلا خلاف ثم حكى سبحانه حالة بعضهم ممن آمن بعد تلبس العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك وفي ذكر هذا حض على المبادرة وسنة نصب على المصدر (ت) وقيل المعنى احذروا سنة الله كقوله ناقة الله قال الفخر وقوله هنالك اسم مكان

مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية الباس انتهى وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ تفسير سورة حم السجدة وهي مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحتج عليه ويبين
له امر مخالفته لقومه فلما فرغ عتبة من كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى
قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ
وقف شعره وامسك على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ان
يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيئا ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة
ولا هو بالسحر ولقد ظننت ان صاعقة العذاب على رأسي والرحمن الرحيم
صفتار جاء ورحمة لله عز وجل وفصلت معناه بينت آياته اي فسرت معانيه
ففضل بين حلاله وحرامه ووعدده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل اي نزل
نحوما ولم ينزل مرة واحدة وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الاي ولم يكن
يرجع الى قافية ونحوها كالسجع والشعر * وقوله تعالى لقوم يعلمون قالت
فرقة يعلمون الاشياء ويعقلون الدلائل فكان القرآن ان فصلت آياته لهؤلاء اذ هم
اهل الانتفاع بها فخصوا بالذكر تشريفا وقالت فرقة يعلمون متعلق في المعنى
بقوله عربيا اي لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون انها لم يخرج شيئا منها عن كلام

العرب وكان الآيـة على هذا التاويل رادة على من زعم ان في كتاب الله ما ليس في كلام العرب والتاويل الاول ابين واشرف معنى وبين انه ليس في القرآن الا ما هو من كلام العرب اما من اصل لغتها واما مما عربته من لغة غيرها ثم ذكر في القرآن وهو معرب مستعمل * وقوله تعالى فهم لا يسمعون نبي لسماعهم النافع الذي يعتد به ثم حكى عنهم مقاتلهم التي باعدوا فيها كل الماعدة وارادوا ان يأسوه من قبولهم ما جاء به وهي قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه واكنة جمع كنان والوقر الثقل في الاذن الذي يمنع السمع * وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الآيـة قال الحسن المراد بالزكاة زكاة المال وقال ابن عباس والجمهور الزكاة في هذه الآيـة لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون هل لك الى ان تركي ويرجع هذا التاويل ان الآيـة مكية وزكاة المال انما نزلت بالمدينة وانما هذه زكاة القلب والبدن اي تطهيره من المعاصي وقاله مجاهد والربيع وقال الضحاك ومقاتل معنى الزكاة هنا النفقة في الطاعة وغير ممنون قال ابن عباس معناه غير منقوص وقالت فرقة معناه غير مقطوع يقال مننت الجبل اذا قطعته وقال مجاهد معناه غير محسوب قال (ع) ويظهر في الآيـة انه وصفه بعدم المن والاذى من حيث هو من جهة الله تعالى فهو شريف لا من فيه واعطيات البشر هي التي يدخلها المن والانداد الاشياء والامثال وهي اشارة الى كل ما عبد من دون الله * وقوله تعالى وبارك فيها اي جعلها منبئة للطيبات والاطعمة وجعلها طهورا الى غير ذلك من وجوه البركة وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها واختلف في معنى قوله اقواتها فقال السدي هي اقوات البشر وارزاقهم و اضافها الى الارض من حيث هي فيها وعنهما وقال قتادة هي اقوات الارض من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن والاشياء التي بها قوام الارض ومصالحها وروى

ابن عباس في هذا حديثا مرفوعا فشبها بالقوت الذي به قوام الحيوان وقال مجاهد اراد اقواتها من المطر والمياه وقال الضحاك وغيره اراد بقوله اقواتها خصائصها التي قسمها في البلاد من الملبوس والمطعم فجعل في بلد وفي قطر ما ليس في الآخر ليجتاج بعضهم الى بعض ويتقوت من هذه في هذه وهذا قريب من الاول * وقوله تعالى في اربعة ايام يريده باليومين الاولين وقرأ الجمهور سواء بالنصب على الحال اي سواء هي وما انقضى فيها وقرأ ابو جعفر ابن القعقاع سواء بالرفع اي هي سواء وقرأ الحسن سواء بالخفض على نعت الايام واختلف في معنى للسائلين فقال قتادة معناه سواء لمن سأل واستفهم عن الامر وحقيقة وقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى وقال ابن زيد وجماعة معناه مستوهمياً امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فمبر عنهم بالسائلين بمعنى الطالبين لانه من شأنهم ولا بد طلب ما ينتفعون به فهم في حكم من سأل هذه الاشياء اذ هم اهل حاجة اليها ولفتة سواء تجرى مجرى عدل وزور في ان ترد على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث * وقوله سبحانه ثم استوى الى السماء معناه بقدرته واختراعه الى خلق السماء وابتدائها * وقوله تعالى وهي دخان روي انها كانت جسماً رخوا كالدخان او البخار وروي انه مما امره الله تعالى ان يصعد من الماء وهما محذوف تقديره فاوجدها واتقنها واكمل امرها وحينئذ قال لها وللارض ايتيا بمعنى ايتيا امرى وارادتي فيكما وقرأ ابن عباس ايتيا بمعنى اعطيا من انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرها وما قدره الله من اعمالها * وقوله او كرها فيه محذوف تقديره ايتيا طوعا والايتيا كرها * وقوله سبحانه قالتا اراد الفرقتين جعل السموات سماء والارضين ارضا واختلف في هذه المقالة من السموات والارض هل هو نطق حقيقة او هو مجاز لما ظهر عليها من التذلل والخضوع والانتقاد

الذى يتنزل منزلة النطق قال (ع) والقول الاول انه نطق حقيقة احسن لانه لاشيء يدفعه وان العبرة به اتم والقدرة فيه اظهر * وقوله تعالى فقضاهن معناه فصنمنهن واوجدهن ومنه قول ابى ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود او صنع السوانج تبع

* وقوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة اوحى الى سكانها وعمرتها من الملائكة واليا هي فى نفسها ما شاء تعالى من الامور التى بها قوامها وصلاحيها * وقوله ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اى اوجده بقدرته واحكمه بعلمه * وقوله تعالى فان عرضوا يعنى قريشا والعرب الذين دعوتهم الى عبادة الله تعالى عن هذه الآيات البينات فقل اندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرأ النخعي وغيره صعقة فيهما وهذه قراءة بينة المعنى لان الصعقة الهلاك الوحيّ واما الاولى فهي تشبيه بالصاعقة وهي الوقعة الشديدة من صوت الرعد فشبهت هنا وقعة العذاب بها لان عادا لم تعذب الا بريح وانما هذا تشبيه واستعارة وعبرة الثعلبي صاعقة اى واقعة وعقوبة مثل صاعقة عاد وثمود انتهى قال (ع) وخص عادا وثمودا بالذكر لوقوف قريش على بلادها فى اليمن وفى الحجر فى طريق الشام قال الثعلبي ومن بين ايديهم ومن خلفهم يعنى قبلهم وبعدهم وقامت الحجة عليهم فى ان الرسالة والندارة عمتهم خيرا ومباشرة وقال (ع) قوله ومن خلفهم اى جاءهم رسول بعد اكتمال اعمارهم وبعد تقدم وجودهم فى الزمن فذلك قال ومن خلفهم ولا يتوجه ان يجعل ومن خلفهم عبارة عما اتى بعدهم لان ذلك لا يلحقهم منه تقصير (ت) وما تقدم للثعلبي وغيره احسن لان مقصد الآية اتصال الندارة بهم وبين قبلهم وبين بعدهم اذ ما من امة الا وفيها نذير وكما قال تعالى رسلنا تنرا وايضا فانه جمع فى اللفظ عادا وثمودا وبالضرورة ان الرسول الذى ارسل الى ثمود هو بعد عاد فليس لرد (ع) وجه

فتأمله * وقوله تعالى فارسنا عليهم ربحا الآية تقدم قصص هؤلاء، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير نحسات بسكون الحاء وهي جمع نحس وقرأ الباقر نحسات بكسر الحاء جمع نحس على وزن حذر والمعنى في هذه اللفظة مشائيم من النحس المعروف قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس نحسات معناه متتابعات وقيل معناه شديدة أي شديدة البرد * وقوله تعالى فهديناهم معناه بينا لهم قاله ابن عباس وغيره وهذا كما هي الآن شريعة الاسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين بنا ولكنهم يعرضون ويستغلون بالصد فذلك استجاب العمى على الهدى والعذاب المون هو الذى معه هوان واذلال قال أبو حيان المون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب انتهى واعداء الله هم الكفار المخالفون لأمر الله سبحانه ويوزعون معناه يكف أولهم حبسا على آخرهم قاله قتادة والسدي وأهل اللغة وهذا وصف حال من أحوال الكفرة في بعض أوقات القيامة وذلك عند وصولهم إلى جهنم فإنه سبحانه يستقرهم عند ذلك على أنفسهم ويسألون سؤال توبيخ عن كفرهم فيجحدون ويحسبون أن لأشاهد عليهم ويطلبون شهيدا عليهم من أنفسهم وفي الحديث الصحيح أن العبد يعنى الكافر يقول يا رب اليس وعدتني أن لا تظلمني قال فان ذلك لك قال فاني لا أقبل علي شاهدا إلا من نفسى قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل قال فيقول لمن بعدا لكن وسحقا فنكن كنت ادافع الحديث قال أبو حيان حتى إذا ما جاءوها ما بعد إذا زائدة للتوكيد انتهى * وقوله تعالى وما كنتم تستترون يهتمل أن يكون من كلام الجلود ويهتمل أن يكون من كلام الله عز وجل وجهور الناس على أن المراد بالجلود الجلود المعروفة وأما معنى الآية فيحتمل وجهين أحدهما أن يريد وما كنتم تتصاونون وتحجزون أنفسكم عن المعاصي والكفر خوف أن يشهد أولاًجل أن يشهد عليكم سمعكم الآية وهذا هو منحنى مجاهد والمعنى

الثاني ان يريد وما يمكنكم ولا يسمعكم الاختفاء عن اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم وهذا هو منحي السدي وعن ابن مسعود قال اني لمستتر باستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع منه شيئاً فانه يسمعه كله فجت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيه بذلك فزلت هذه الآية وما كنتم تستترون وقرأ حتى بلغ وان يستعقبوا فاهم من المعتين قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في آخر مختصر المدونة له واعلم ان الاجساد التي اطاعت او عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود التي كانت في الدنيا والالسة والايدي والارجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد انتهى قال القرطبي في تذكرته واعلم ان عند اهل السنة ان تلك الاجساد الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها بلاخلاف بينهم في ذلك انتهى ومعنى ارداكم اهلككم والردى الهلاك وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وذكره ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عز وجل وزاد فيه فان قوما قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين انتهى ونقله ايضا صاحب التذكرة * وقوله تعالى فان يصبروا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان يصبروا اولايصبروا واقتصر لدلالة الظاهر على ما ترك * وقوله تعالى وان يستعقبوا معناه وان طلبوا العقبى وهي الرضا فاهم ممن يعطاها ويستوجبها قال ابو حيان قراءة الجمهور وان يستعقبوا مبنيا للفاعل ومن المتعبين مبنيا للمفعول اي وان يمتدروا فاهم من المعذورين انتهى ثم وصف تعالى

حالمهم في الدنيا وما اصابهم به حين اعرضوا لختهم عليهم فقال وقضنا لهم قرنا.
اي يسرنا لهم قرنا سوء من الشياطين وغواة الانس * وقوله فزينوا لهم ما بين
ايديهم اي علموهم وقرروا لهم في نفوسهم معتقدات سوء في الامور التي
تقدمتهم من امر الرسل والنبوءات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الآباء الى
غير ذلك مما يقال انه بين ايديهم وذلك كل ما تقدمهم في الزمن واتصل اليهم
اثره او خبره وكذلك اعطوهم معتقدات سوء فيما خلفهم وهو كل ما يأتي
بعدهم من القيامة والبعث ونحو ذلك وحق عليهم القول اي سبق عليهم
القضاء الحتم وامر الله بتعذيبهم في جملة امم معذبين كفار من الجن والانس
وقالت فرقة في بمعنى مع اي مع امم قال (ع) والمعنى يتأدى بالحرفين ولا يحتاج
ان نجعل حرفا بمعنى حرف اذ قد ابى ذلك رؤساء البصريين * وقوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن الآية حكاية لما فعله بعض كفار
قريش كابى جهل وغيره لما خافوا استمالة القلوب بالقرآن قالوا متى قرأ محمد
فالغطوا بالصفير والصياح وانشاد الشعر حتى يخفى صوته فهذا الفعل منهم هو
اللعو وقال ابو العالية ارادوا قموا فيه وعبوه وقولهم لعلكم تغلبون اي تطمسون
امر محمد وتميتون ذكره وتصرفون عنه القلوب فهذه الغاية التي تمنوها ويأبى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون * وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا الآية قوله فلنذيقن الفاء دخلت على لام القسم وهي آية وعيد لقريش
والعذاب الشديد هو عذاب الدنيا في بدر وغيرها والجزاء باسوا اعمالهم هو
عذاب الآخرة (ت) حدث ابو عمر في كتاب التمهيد قال حدثنا احمد بن
قاسم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا ابراهيم بن موسى بن جميل قال
حدثنا عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا العتيكي قال حدثنا خالد ابو يزيد
الرقبي عن يحيى المدني عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال خرجت مرة فمررت

بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً في عنقه سلسلة ومعى اداة من ماء فلما رآه اناى قال يا عبد الله اسقنى قال فقلت عرفنى فدعانى باسمى او كلمة تقولها العرب يا عبد الله اذ خرج على اثره رجل من القبر فقال يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم اخذ السلسلة فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافنى الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتاً يقول بول وما بول شن وما شن فقلت للمعجوز ما هذا قالت كان زوجا لى وكان اذا بال لم يتيق البول وكنت اقول له ويحك ان الجمل اذا بال تفاج وكان يابى فهو ينادى من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقنى فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتاً فهو ينادى منذ مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فنهى ان يسافر الرجل وحده قال ابو عمر هذا الحديث فى اسناده مجهولون ولم نوره للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس فى روايته عن الضعفاء انتهى من ترجمة عبد الرحمن بن حرمة وكلامه على قول النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم وقد ذكرنا الحكاية الاولى عن الوائلى فى سورة اقرأ باسم ربك بغير هذا السند وان الرجل الاول هو ابو جهل انتهى ثم ذكر تعالى مقالة كفار يوم القيامة اذا دخلوا النار فانهم يرون عظيم ما حل بهم وسوء منقلبهم فتجول افكارهم فيمن كان سبب غوايتهم ومبادهي ضلالتهم فيعظم غيظهم وحنقهم عليه ويودون ان يحصل فى اشد عذاب فحينئذ يقولون ربنا ارنا الذين اضلانا وظاهر اللفظ يقتضى ان الذى فى قولهم الذين انما هو للجنس اى ارنا كل مغو من الجن والانس وهذا قول جماعة من المفسرين * وقيل طلبوا ولد ادم الذى سن القتل والمعصية من البشر وابليس الابالسة من الجن وهذا قول لا يخفى ضعفه

والاول هو القوي وقولهم نجعلهما تحت اقدامنا يريدون في اسفل طبقة في النار وهي اشد عذابا * وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولا تحزنوا قال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم (ت) هذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه قال صاحب المفهم جوابه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وكأنه منتزع من قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية وتلخيصه اعتدلوا على طاعته قولاً وفعلاً وعقداً انتهى من شرح الاربعين حديثاً لابن الفاكهاني قال (ع) واختلف الناس في مقتضى قوله ثم استقاموا فذهب الحسن وجماعة الى ان معناه استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصي وتلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا وغان الثعالب قال (ع) فذهب رحمه الله الى حمل الناس على الاتم الافضل والا فيلزم على هذا التاويل من دليل الخطاب ان لا تتنزل الملائكة عند الموت على غير مستقيم على الطاعة وذهب ابو بكر رضي الله عنه وجماعة معه الى ان المعنى ثم استقاموا على قولهم ربنا الله فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب ايمانهم قال (ع) وفي الحديث الصحيح من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وهذا هو المعتقد ان شاء الله وذلك ان العصاة من امة محمد وغيرها فرقتان فاما من غفر الله له وترك تعذيبه فلا محالة انه ممن تتنزل عليهم الملائكة بالبشارة وهو انما استقام على توحيدهم فقط واما من قضى الله تعذيبه سدة ثم يامر بادخاله الجنة فلا محالة انه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه وليس يصح ان تكون حاله كحالة الكافر واليائس من رحمة الله واذا كان هذا فقد حصلت له بشارة بان لا يخاف الخلود ولا يحزن منه ويدخل فيمن يقال لهم ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ومع هذا كله فلا يختلف في ان الموحد المستقيم على الطاعة

اتم حالاً واكمل بشاره وهو مقصد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وبالجملة فكلم
كان المرء اشد استعداداً كان اسرع فوزاً بفضل الله تعالى قال الثعلبي قوله
تعالى تنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا قال
وكيع والبشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وفي البخاري
تنزل عليهم الملائكة اي عند الموت انتهى قال ابن العربي في احكامه تنزل
عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وانا اقول كل يوم واوكد الايام يوم
الموت وحين القبر ويوم الفرع الاكبر وفي ذلك اثار بينها في موضعها انتهى
قال (ع) قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا امانة عامة في كل هم مستانف وتسليه
تامة عن كل فأت ماض وقال مجاهد المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه ولا
تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم (ت) وذكر ابو نعيم عن ثابت البناني انه قرأ
حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة
فوقف وقال بلغنا ان العبد المومن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا
معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة التي كنت توعده قال
فامن الله خوفه وقرعنه الحديث انتهى قال ابن المبارك في رقائقه سمعت
سفيان يقول في قوله تعالى تنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا
ما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من ضيعاتكم وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون قال يبشر بثلاث بشارات عند الموت واذا خرج من القبر واذا فرغ
نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا قال كانوا معهم قال ابن المبارك واخبرنا رجل عن
منصور عن مجاهد في قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا قال قرباؤهم
يلقونهم يوم القيامة فيقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة اه * وقوله تعالى نحن
اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة المتكلم بنحن اولياؤكم هم الملائكة القائلون
لا تخافوا ولا تحزنوا اي يقولون للمومنين عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن

كنا اولياءكم في الدنيا ونحن هم اولياؤكم في الآخرة قال السدي المعنى نحن
 حفظكم في الدنيا واولياؤكم في الآخرة والضمير في قوله فيها عائد على الآخرة
 وتدعون معناه تطلبون قال الفخر ومعنى كونهم اولياء للمومنين اشارة الى ان
 للملائكة تأثيرات في الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمناجات
 الخفية كما ان للشاطين تأثيرات في الارواح باللقاء الوسوس وبالجمله فكون
 الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة
 لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما ان تلك الولايات حاصله في
 الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير مائلة الى
 الزوال بل تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس من جنس
 الملائكة وهي كالشملة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر وانما
 التعلقات الجسدانية والتدبيرات البدنية هي الحائلة بينها وبين الملائكة فاذا
 زالت تلك العلائق فقد زال النطاء واتصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشملة
 بالشمس انتهى (ت) وقد نقل الثعلبي من كلام ارباب المعاني هنا كلاما
 كثيرا حسنا جدا موقظا لارباب الهمم فانظره ان شئت وروى ابن المبارك في
 رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فنيت ايام الدنيا عن
 هذا العبد المومن بمت الله الى نفسه من يتوفاها قال فيقال صاحباه اللذان
 يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا اخا وصاحبيا وقد حان اليوم منه فراق
 فاذنوا لنا او قال دعونا نثني على اخينا فيقال اثنيا عليه فيقولان جزاك الله خيرا
 ورضي عنك وغفر لك وادخلك الجنة فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان
 ايسر مؤنتك واحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا ان نصعد
 الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له ويقول الذي يتوفى نفسه اخرج ايها
 الروح الطيب الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك اخرج الى الروح

والريحان وجنات النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت ايام الدنيا عن
العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحبا اللذان كانا يحفظان
عليه عمله ان هذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فاذنوا لنا ودعونا نث
على صاحبنا فيقال اثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه ولا غفر له وادخله
النار فبيس صاحب ما كان اشد مؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت
خطايا وذنوبه لتمنعا ان نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول
الذي يتوفى نفسه اخرج ايها الروح الحبيث الى شريوم مر عليك فبيس ما
قدمت لنفسك اخرج الى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان انتهى *

وقوله تعالى ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله الآلية ابتداء توصية لتبنيه عليه
السلام وهو لفظ يعم كل من دعا قديماً وحديثاً الى الله عز وجل من الانبياء
والمؤمنين والمعنى لا احد احسن قولاً ممن هذه حاله والى العموم ذهب الحسن
ومقاتل وجماعة وقيل ان الآلية نزلت في المؤذنين وهذا ضعيف لان الآلية مكية
والاذان شرع بالمدينة قال ابو حيان ولا السيئة لازائدة للتوكيد انتهى *

وقوله تعالى ادفع بالتى هي احسن اية جمعت مكارم الاخلاق وانواع الحلم
والمعنى ادفع ما يعرض لك مع الناس في مخالطتهم بالفعل او بالسيرة التى هي
احسن قال ابن عباس امره الله تعالى فى هذه الآلية بالصبر عند الغضب والحلم عند
الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل المؤمنون ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع
لهم عدوهم كانه ولي حميم البخاري ولي حميم اي قريب انتهى وفسر مجاهد وعطاء
هذه الآلية بالسلام عند اللقاء قال (ع) ولا شك ان السلام هو مبدأ الدفع
بالتى هي احسن وهو جزء منه والضمير فى قوله يلقاها عائد على هذه الخلق التى
يقتضيها قوله ادفع بالتى هي احسن وقالت فرقة المراد وما يلقي لا اله الا الله
وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ * وقوله سبحانه الا الذين صبروا مدح بليغ

للصابرين وذلك بين للتأمل لان الصبر على الطاعات وعن الشهوات جامع
 لحصال الخير كلها والحظ العظيم يحتمل ان يريد من العقل والفضل فيتمكون
 الآية مدحا للمتصف بذلك ويحتمل ان يريد ذوحظ عظيم من الجنة وثواب
 الآخرة فتكون الآية وعدا وبالجنة فسرقادة الحظ هنا * وقوله تعالى واما
 ينزغك من الشيطان نزع فاستعد بالله اما شرط وجواب الشرط قوله فاستعد
 والنزع فعل الشيطان في قلب او يد من القاء غضب او حقد او بطش في
 اليد فمن الغضب هذه الآية ومن الحقد قوله نزع الشيطان بيني وبين اخوتي
 ومن البطش قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح
 لا ينزع الشيطان في يده فيلقيه في حفرة من حفر النار ومن دعاء الشيخ الولي
 العارف بالله سبحانه محمد بن مسرة القرطبي اللهم لا تجعل صدري للشيطان
 مراعاً ولا تصير قلبي له مجالاً ولا تجعلني ممن استفزه بصوته واجاب عليه بخيله
 ورجله وكن لي من حباله منجياً ومن مصائده منقذاً ومن غوايته مبعداً اللهم
 انه وسوس في القلب والقي في النفس ما لا يطيق اللسان ذكره ولا تستطيع
 النفس نشره مما نهك عنه علو عزك وسمو مجدك فازل ياسيدي ما سطر وامح
 ما زور وبابل من سحائب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك واسل على سيف
 ابعادك وارشفه بسهام اقصادك واحرقه بنار انتقامك واجعل خلاصى منه
 زائداً في حزنه وموكداً لاسفه ثم قال رحمه الله اعلم انه ربما كان العبد في خلوته
 مشتغلاً بتلاوته ويجد في نفسه من الوسوسة ما يحول بينه وبين ربه حتى لا
 يجد لطمع الذكر حلاوة ويجد في قلبه قساوة وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد في
 قراءته وعلّة ذلك ان الذكر ذكران ذكر خوف ورهبة وذكر امن وغفلة فاذا
 كان الذكر بالخوف والرهبة خنس الشيطان ولم يحتمل الحملة واذهب الوسوسة
 لان الذكر اذا كان باجتماع القلب وصدق النية لم يكن للشيطان قوة عند ذلك

وانقطعت علائق حيله وانما قوته ووسوسته مع الغفلة واذا كان الذكر بالامن والغفلة لم تفارقه الوسوسة وان استدأى العبد الذكر والقراءة لان على قلب الغافل غشاوة ولا يجد صاحبها لطمع الذكر حلاوة فتحفظ على دينك من هذا العدو وليس لك ان تزله عن مرتبه ولا ان تريحه عن وطنه وانما ابيح لك مجاهدته فاستعن بالله يعنك وثق بالله فانه لا يخذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين انتهى من تصنيفه رحمه الله وندب سبحانه في الآية المتقدمة الى الاخذ بمكارم الاخلاق ووعد على ذلك وعلم سبحانه ان خلقة البشر تغلب احيانا وتشور بهم سورة الغضب وثرغ الشيطان فدلهم في هذه الآية على ما يذهب ذلك وهي الاستعاذة به عز وجل ثم عدد سبحانه آياته ليعبر فيها فقال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كانت لكم فيها منافع لان النفع منها انما هو بتسخير الله اياهما فهو الذي ينهى ان يسجد له والضمير في خلقهن قيل هو عائذ على الآيات المتقدم ذكرها وقيل عائذ على الشمس والقمر والاثنان جمع وايضا جمع ما لا يعقل يؤث فلذلك قال خلقهن ومن حيث يقال شمس واقمار لاختلافهما بالايام ساغ ان يعود الضمير مجموعا وقيل هو عائذ على الاربعة المذكورة (ت) ومن كتاب المستغِيثين بالله لابي القاسم بن بشكوال حدث بسنده الى انس بن مالك قال تقرأ حم السجدة وتسجد عند السجدة وتدعو فانه يستجاب لك قال الراوى وجربته فوجدته مستجابا انتهى ثم خاطب جل وعلا نبه عليه السلام بما يتضمن وعيدهم وحقارة امرهم وانه سبحانه غني عن عبادتهم بقوله فان استكبروا الآية وقوله فالذين يعنى بهم الملائكة هم صافون يسبحون وعند هنا ليست بظرف مكان وانما هي بمعنى المنزلة والقربة كما تقول زيد عند الملك جليل وروى ان تسبيح الملائكة قد صار لهم كالنفس لبنى

آدم ولا بسنمون معناه لا يملون ثم ذكر تعالى آية منصوبة ليعتبر بها في امر
 البعث من القبور ويستدل بما شوهد من هذه على ما لم يشاهد فقال ومن
 آياته انك ترى الارض خاشعة الآية وخشوع الارض هو ما يظهر عليها من
 استكانة وشعث بالجذب فهي عابسة كما الخاشع عابس يكاد يبكي واهتزاز الارض
 هو تخلخل اجزائها وتشققها للنبات وربوها هو انتفاخها بالماء وعلو سطحها به
 وعبرة البخاري اهتزت بالنبات وربت ارتفعت اه ثم ذكر تعالى بالامر الذي
 ينبغي ان يقاس على هذه الآية والعبرة وذلك احياء الموتي فقال ان الذي احيها
 لمحي الموتي وهو على كل شيء قدير والشئ في اللغة الموجود * وقوله تعالى ان
 الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا الآية آية وعيد والاحاد الميل وهو
 هنا ميل عن الحق ومنه لحد الميت لانه في جانب يقال لحد الرجل والحد بمعنى
 واختلف في الحادهم هذا ما هو فقال قتادة وغيره هو الحاد بالكذب وقال
 مجاهد وغيره هو بالمكان والصفير واللغو الذي ذهبوا اليه وقال ابن عباس الحادهم
 وضعهم للكلام غير موضعه ولفظة الاحاد تعم هذا كله وباقي الآية بين *
 وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وعيد في صيغة الامر باجماع من اهل العلم * وقوله
 تعالى ان الذين كفروا بالذكر الآية يريد بالذين كفروا قريشا والذكر ان
 باجماع واختلف في الخبر عنهم اين هو فقالت فرقة هو في قوله اولئك ينادون
 من مكان بعيد ورد بكثرة الحائل وان هنالك قوما قد ذكروا يحسن رد قوله
 اولئك ينادون عليهم وقالت فرقة الخبر مضمرة تقديره ان الذين كفروا بالذكر
 لما جاءهم هلكوا اوضحوا وقيل الخبر في قوله وانه لكتاب عزيز وهذا ضعيف لا
 يتجه وقال عمرو بن عبيد معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
 كفروا به وانه لكتاب عزيز قال (ع) والذي يحسن في هذا هو اضرار الخبر ولكنه
 عند قوم في غير هذا الموضع الذي قدره هؤلاء فيه وانما هو بعد حكيم حميد

وهو اشد اظهارا لمذمة الكفار به وذلك لان قوله وانه لكتاب داخل في صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه ووصف الله تعالى الكتاب بالعمة لانه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى قال ابن عباس معناه كريم على الله تعالى * وقوله تعالى لا ياتيه الباطل قال قتادة والسدي يريد الشيطان وظاهر اللفظ يعم الشيطان وان يجي امر يبطل منه شياً * وقوله من بين يديه معناه ليس فيما تقدم من الكتب ما يبطل شياً منه * وقوله ولا من خلفه اي ليس ياتي بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل شياً منه والمراد باللفظة على الجملة لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات * وقوله تنزيل خبر مبتدأ اي هو تنزيل * وقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يحتمل معنيين احدهما ان يكون تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم عن مقالات قومه وما يلقاه من المكروه منهم والثاني ان يكون المعنى ما يقال لك من الوحي وتخطب به من جهة الله تعالى الا ما قد قيل للرسل من قبلك * وقوله تعالى ولوجعلناه قرآنا اعجبيا الآية الاعجبى هو الذى لا يفصح عربيا كان او غير عربي والعجبى الذى ليس من العرب فصيحاً كان او غير فصيح والمعنى ولوجعلنا هذا القرآن اعجبيا لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قرش في اقوالهم من اجل حروف وقعت في القرآن وهي مما عرب من كلام العجم كسجين واستبرق ونحوه وقرأ الجمهور اعجبى وعربى على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الالف وقرأ حمزة والكسائي وحفص اعجبى بهمزتين وكانهم ينكرون ذلك ويقولون اعجبى وعربى مختلط هذا لا يحسن ثم قال تعالى قل هو يعنى القرآن الذين امنوا هدى وشفاء واختلف الناس في قوله وهو عليهم عمى فقالت فرقة يريد بهو القرآن وقالت فرقة يريد بهو الوراق وهذه كلها استعارات

والمعنى انهم كالاغنى وصاحب الوقور وهو الثقل فى الاذن المانع من السمع وكذلك قوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد يحتمل معنيين وكلاهما مقول للمفسرين احدهما انها استعارة لقلة فهمهم بالرجل ينادى على بعد يسمع منه الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه وهذا تاويل مجاهد والاخر ان الكلام على الحقيقة وان معناه انهم يوم القيامة ينادون بكفرهم وقبيح اعمالهم من بعد حتى يسمع ذلك اهل الموقف ليفضحوا على رؤوس الخلائق ويكون اعظم لتوبيخهم وهذا تاويل الضحاك قال ابو حيان عمى بفتح الميم مصدر عمى انتهى ثم ضرب الله تعالى امر موسى مثلاً للنبي عليه السلام ولقريش اى فعل اولئك كافعال هؤلاء حين جاءهم مثل ما جاء هؤلاء والكلمة السابقة هي حتم الله تعالى بتأخير عذابهم الى يوم القيامة والضمير فى قوله لنى شك منه يحتمل ان يعود على موسى او على كتابه * وقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه الآية نصيحة بليغة للعالم وتحذير وترجىة * وقوله تعالى اليه يرد علم الساعة الآية المعنى ان علم الساعة ووقت مجيئها يرد على كل مومن متكلم فيه الى الله عز وجل * وقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى الآية التقدير واذا ذكر يوم يناديهم والضمير فى يناديهم الاظهر والاسبق فيه للفهم انه يريد الكفار عبدة الاوثان ويحتمل ان يريد كل من عبد من دون الله من انسان وغيره وفى هذا ضعف واما الضمير فى قوله وضل عنهم فلا احتمال لعودته الا على الكفار واذناك قال ابن عباس وغيره معناه اعلمناك ما منا من يشهد ولا من شهد بان لك شريكا وضل عنهم اى نسوا ما كانوا يقولون فى الدنيا ويدعون من الالهة والاصنام ويحتمل ان يريد وضل عنهم الاصنام اى تلفت فلم يجدوا منها نصرا وتلاشى لهم امرها * وقوله وظنوا يحتمل ان يكون متصلا بما قبله ويكون الوقف عليه ويكون قوله ما لهم من محيص استيناف نفي ان يكون لهم ملجأ او موضع روغان تقول

حاص الرجل اذا راغ لطلب النجاة من شيء ومنه الحديث فخاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ويكون الظن على هذا التاويل على بابه اي ظنوا ان هذه المقالة مامنا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون به ويحتمل ان يكون الوقف في قوله من قبل ويكون وظنوا متصلا بقوله ما لهم من محيص اي ظنوا ذلك ويكون الظن على هذا التاويل بمعنى اليقين وقد تقدم البحث في اطلاق الظن على اليقين (ت) وهذا التاويل هو الظاهر والاول بعيد جدا * وقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير هذه آيات نزلت في كفار قيل في الوليد بن المغيرة وقبل في عتبة بن ربيعة وجل الآية يعطى انها نزلت في كفار وان كان اولها يتضمن خلقا ربما شارك فيها بعض المؤمنين ودعاء الخير اضافته اضافة المصدر الى المفعول وفي مصحف ابن مسعود من دعاء بالخير والخير في هذه الآية المال والصحة وبذلك تليق الآية بالكفار * وقوله تعالى ليقولن هذا الى اي بعمل وبما سميت ولا يرى ان النعم انما هي فضل من الله تعالى قال (ص) ليقولن قال ابو البقاء هو جواب الشرط والفاء محذوفة وقيل هو جواب قسم محذوف قال (ص) قلت هذا هو الحق والاول غلط لان القسم قد تقدم في قوله ولئن فالجواب له ولان حذف الفاء في الجواب لا يجوز انتهى وفي تغليط الصفاقسي لابي البقاء نظر * وقوله وما اظن الساعة قائمة قول بين فيه الجحد والكفر ثم يقول هذا الكافر ولئن رجعت الى ربي كما تقولون ان لي عنده للحسنى اي حالا ترضيني من مال وبنين وغير ذلك قال (ع) والاماني على الله تعالى وترك الجحد في الطاعة مذموم لكل احد فقد قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله * وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونسا بجانب الآية ذكر سبحانه الخلق الذميمة من الانسان جملة وهي في الكافر بيئة متمكنة واما المومن ففي الغلب يشكر على النعمة

وكثيرا ما يصبر عند الشدة وننا معناه بعد ولم يمل الى شكر ولا طاعة *
 وقوله فذودعاء عريض اي وطويل ايضا وعبارة الثعلبي عريض اي كثير
 والعرب تستعمل الطول والعرض كليهما في الكثرة من الكلام انتهى ثم امر
 تعالى نبيه ان يوقف قريشا على هذا الاحتجاج وموضع تقريرهم بانفسهم فقال
 قل ارايتم ان كان من عند الله وخالفتموه الستم على هلكة فمن اضل ممن يبق
 على مثل هذا الغرر مع الله وهذا هو الشقاق ثم وعد تعالى نبيه عليه السلام
 بانه سيرى الكفار اياته واختلف في معنى قوله سبحانه في الآفاق وفي انفسهم
 فقال المنهال والسدي وجماعة هو وعد بما يفتحه الله على رسوله من الاقطار حول
 مكة وفي غير ذلك من الارض كخير ونحوها وفي انفسهم اراد به فتح مكة
 قال (ع) وهذا تاويل حسن يتضمن الاعلام بنيب ظهر بعد ذلك وقال قتادة
 والضحاك سنريهم اياتنا في الآفاق هو ما اصاب الامم المكذبة في اقطار
 الارض قديما وفي انفسهم يوم بدر والتاويل الاول ارجح والله اعلم والضمير في
 قوله تعالى انه الحق عائد على الشرع والقراءان فابظهار الله نبيه وفتح البلاد
 عليه يتبين لهم انه الحق * وقوله بربك قال ابو حيان الباء زائدة وهو فاعل
 يكف اي او لم يكفهم ربك انتهى وباقي الآية بين

— — — — —

تفسير سورة الشورى وهي مكية

وقال مقاتل فيها مدني قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الى الصدور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم عسق قال الثعلبي قال ابن عباس ان حم عسق هذه الحروف باعياؤها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي: انزل عليه كتاب ولذلك قال تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك وقرأ الجمهور يوحى باسناد الفعل الى الله تعالى وقرأ ابن كثير وحده يوحى بفتح الحاء على بناء الفعل للمفعول والتقدير يوحى اليك القرآن * وقوله تعالى والى الذين من قبلك يريد من الانبياء الذين نزل عليهم الكتاب وقرأ نافع والكسائي يتفطرن وقرأ ابو عمرو وعاصم ينفطرن والمعنى فيها يتصدعن ويتشققن خضوعا وخشية من الله تعالى وتمظيما وطاعة * وقوله من فوقهن اى من اعلاهن وقال الاخفش علي بن سليمان الضمير في من فوقهن للكفار اى من فوق الجماعات الكافرة والفرق الماحدة من اجل اقوالها يكاد السموات يتفطرن فهذه الآية على هذا كالتى في كهيص يكاد السموات يتفطرن منه الآية وقالت فرقة معناه من فوق الارضين اذ قد جرى ذكر الارض * وقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض قالت فرقة هذا منسوخ بقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا قال (ع) وهذا قول ضعيف لان النسخ فى الاخبار لا يتصور وقال السدي ما معناه ان ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص فى المومنين فكانه قال ويستغفرون لمن فى الارض من المومنين وقالت فرقة بل هي على عمومها لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران للكفرة مع بقائهم على كفرهم وانما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التى تؤدى الى الغفران لهم وتاويل السدي ارجح * وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل هذه آية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد للكافرين

والمعنى ليس لك الا البلاغ فقط فلا تهتم بعدم ايمان قريش وغيرهم الله هو الحفيظ عليهم كفرهم المحصى لاعمالهم المجازى عليها وانت لست بوكيل عليهم وما فى هذه الالفاظ من موادة فتنسوخ قال الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه الحفيظ قال بعضهم ما من عبد حفظ جوارحه الاحفظ الله عليه قلبه وما من عبد حفظ الله عليه قلبه الاجعله حجة على عباده انتهى ثم قال تعالى وكذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا المعنى وكما قضينا امرك هكذا وامضيناه فى هذه السورة كذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا مبينا لهم لا يحتاجون الى اخر سواه اذ فهمه متأت لهم ولم نكلفك الا انذار من ذكر وام القرى هي مكة ويوم الجمع هو يوم القيامة اي تخوفهم اياه * وقوله فريق مرتفع على خبر الابتداء المضر كانه قال هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم قوى تعالى تسلية نبيه بان عرفه ان الامر موقوف على مشيئة الله من ايمانهم او كفرهم وانه لو اراد كونهم امة واحدة على دين واحد لجمعهم عليه ولكنه سبحانه يدخل من سبقت له السعادة عنده فى رحمته وييسره فى الدنيا لعمل اهل السعادة وان الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير قال عبد الحق رحمه الله فى العاقبة وقد علمت رحمك الله ان الناس يوم القيامة صنفان * صنف مقرب مصان * وءاخر مبعد مهان * صنف نصبت لهم الاسرة والحبال * والارائك والكلال * وجمعت لهم الرغائب والامال * وءاخرى اعدت لهم الاراقم والصلال * والمقاصع والاغلال * وضروب الاهوال والانكال * وانت لاتعلم من ايهما انت * ولا فى اي الفريقين كنت *

زُلوا بمكة فى قبائل نوفل * وزلت بالبيداء ابعاد منزل
وتقلبوا فرحين تحت ظلالها * وطرحت بالصحراء غير مظلل

وسقوا من الصافي المعتق ربيهم * وسقيت دمعة واله متلململ
بكي سفيان الثوري رحمه الله ليلة الى الصباح ف قيل له ابكاؤك هذا على الذنوب
فاخذ تبة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا انما ابكي خوف الخاتمة وبكى
غير سفيان وغير سفيان وانه للامريبي عليه * ويصرف الاهتمام كله اليه * وقد
قيل لا تكف دمعك * حتى ترى في المعاد ربك * وقيل يا ابن ادم الاقلام
عليك تجرى * وانت في غفلة لا تدري * يا ابن ادم دع التنافس في هذه
الدار * حتى ترى ما فعلت في امرك الاقدار * سمع بعض الصالحين منشدا
يشد * ايا راهبي نجران ما فعلت هند * فبكي ليلة الى الصباح فسل عن
ذلك فقال قلت في نفسى ما فعلت الاقدار في * وماذا جرت به علي *
انتهى * وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء ف الله هو الولي الآية قوله ام
اتخذوا كلام مقطوع مما قبله وليست بمعادلة ولكن الكلام كانه اضرب عن حجة
لهم او مقالة مقررة فقال بل اتخذوا هذا مشهور قول النحويين في مثل هذا
وذهب بعضهم الى ان ام هذه هي بمنزلة الف الاستفهام دون تقدير اضراب
ثم اثبت الحكم بانه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولا يته * وقوله تعالى وما
اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله الآية المعنى قل لهم يا محمد وما اختلفتم فيه
ايها الناس من تكذيب وتصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة
عنه ليست الي ولا بيدى وانما ذلك الى الله تعالى الذى صفاته ما ذكر من احياء
الموتى والقدرة على كل شيء * وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا يريد
زوج الانسان الانثى وبهذه النعمة اتفق الذرة وليست الازواج هاهنا
الانواع * وقوله ومن الانعام ازواجا الظاهر ايضا فيه والمتسق انه يريد اناث
الذكرا ويحتمل ان يريد الانواع والاول اظهر * وقوله يذروكم اي يخلقكم
نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن قاله مجاهد والناس فلفظة ذرا تريد على لفظة خلق

معنى آخر ليس في خلق وهو توالى طبقات على مر الزمان * وقوله فيه الضمير عائد على الجمل الذى يتضمنه قوله جعل لكم وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما اكرمه فيه وقال الثَّبَتِي الضمير للتزويج ولفظة في مشتركة على معان وان كان اصلها الوعاء واليه يردها النظر في كل وجه * وقوله تعالى ليس كمثله شيء الكاف مؤكدة للتشبيه فنفي التشبيه اوكد ما يكون وذلك انك تقول زيد كعمرو وزيد مثل عمرو فاذا اردت المبالغة التامة قلت زيد كمثل عمرو وجرت الآية في هذا الموضوع على عرف كلام العرب وعلى هذا المعنى شواهد كثيرة وذهب الطبري وغيره الى ان المعنى ليس كهُوشِي وقالوا لفظه مثل في الآية تأكيد وواقعة موقع هو والمقاليذ المفاتيح قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد هذا اصلها بالفارسية وهي هاهنا استمارة لوقوع كل امر تحت قدرته سبحانه وقال السدي المقاليذ الخزان وفي اللفظ على هذا حذف مضاف قال قتادة من ملك مقاليذ خزائن فالخزائن في ملكه * وقوله سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصى به نوحا قبل * وقوله والذى عطف على ما وكذلك ما ذكر بعد من اقامة الدين مشروع اتفقت النبوءات فيه وذلك في المعتقدات واما الاحكام بانفرادها فهي في الشرائع مختلفة وهي المراد في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واقامة الدين هو توحيد الله ورفض سواه * وقوله تعالى ولا تتفرقوا نهي عن المهلك من تفرق الانحاء والمذاهب والخير كله في الالفة واجتماع الكلمة ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من توحيد الله ورفض الاوثان قال قتادة كبر عليهم لا اله الا الله وابى الله الانصرها ثم سلاه تعالى عنهم بقوله الله يجتبي اليه من يشاء الآية اي يختار ويصطفى قاله مجاهد وغيره وينيب معناه يرجع عن الكفر ويحرص على

الخير ويطلبه وما تفرقوا يعني اوائل اليهود والنصارى الا من بعد ما جاءهم العلم * وقوله بغيا بينهم اي بنى بعضهم على بعض واداهم ذلك الى اختلاف الرأي واقتراق الكلمة والكلمة السابقة قال المفسرون هي حتمه تعالى القضاء بان مجازاتهم انما تقع فى الآخرة ولولا ذلك لفصل بينهم فى الدنيا وغلب المحق على المبطل * وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب اشارة الى معاصرى نبينا محمد عليه السلام من اليهود والنصارى وقيل هو اشارة الى العرب والكتاب على هذا هو القرآن والضمير فى قوله لنى شك منه يحتمل ان يمود على الكتاب او على محمد او على الاجل المسمى اي فى شك من البعث على قول من رأى ان الاشارة الى العرب ووصف الشك بمرىب مبالغته فيه واللام فى قوله تعالى فلذلك فادع قالت فرقة هي بمنزلة الى كانه قال فالى ما وصى به الانبياء من التوحيد فادع وقالت فرقة بل هي بمعنى من اجل كانه قال من اجل ان الامر كذا وكذا ولكونه كذا فادع انت الى ربك وبلغ ما ارسلت به وقال الفخرى فادع فلاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة فى الدين فادع الى الاتفاق على الملة الخفيفة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة انتهى وخطب عليه السلام بالاستقامة وهو قد كان مستقيما بمعنى دم على استقامتك وهكذا الشأن فى كل مامور بشئ هو متلبس به انما معناه الدوام وهذه الآية ونحوها كانت نصب عيني النبي عليه السلام وكانت شديدة الموقع من نفسه اعنى قوله تعالى واستقم كما امرت لانها جملة تحتها جميع الطاعات وتكاليف النبوة وفى هذا المعنى قال عليه السلام شيبتنى هود واخواتها فقليل له لم ذلك يانبي الله فقال لان فيها فاستقم كما امرت وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته فى امر الله عز وجل وقال هو لامته بحسب ضعفهم استقيموا ولن تحصوا * وقوله تعالى ولا تتبع اهواءهم يعنى

قريشا (ت) وفرض الفخر هذه القضية في اهل الكتاب وذكر ما وقع من اليهود ومحاجتهم في دفع الحق وجحد الرسالة وعلى هذا فالضمير في اهوائهم عائد عليهم والله اعلم اه ثم امره تعالى ان يقول "امنت بما انزل الله من كتاب وهو امر يعم سائر امته * وقوله وامرت لاعدل بينكم قالت فرقة اللام في لاعدل بمعنى ان اعديل بينكم وقالت فرقة المعنى وامرت بما امرت به من التبليغ والشرع لكي اعديل بينكم * وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الى "اخر الآية ما فيه من موادة منسوخ بآية السيف * وقوله لاحجة بيننا وبينكم اي لاجدال ولا مناظرة قد وضع الحق وانتم تعاندون وفي قوله الله يجمع بيننا وعيدبين * وقوله تعالى والذين يحاجون في الله الآية قال ابن عباس ومجاهد نزلت في طائفة من بني اسرائيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم وقيل نزلت في قريش لانها كانت ابدا تحاول هذا المعنى ويحاجون في الله معناه في دين الله او توحيد الله اي يحاجون فيه بالابطال والالحاد وما اشبهه والضمير في له يحتمل ان يعود على الله تبارك وتعالى ويحتمل ان يعود على الدين والشرع ويحتمل ان يعود على النبي عليه السلام وداحضة معناه زاهقة والدحض الزهق وباقي الآية بين * وقوله سبحانه الله الذي انزل الكتاب بالحق معناه مضمنا الحق اي بالحق في احكامه واوامره ونواهيه واخباره والميزان هنا العدل قاله ابن عباس ومجاهد والناس وحكى الثعلبي عن مجاهد انه قال هو هنا الميزان الذي بأيدي الناس قال (ع) ولا شك انه داخل في العدل وجزء منه * وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وعيد للمشركين وجاء لفظ قريب مذكرا من حيث تانيث الساعة غير حقيقي واذ هي بمعنى الوقت (ت) ينبغي للمؤمن العاقل ان يتدبر هذه الآية ونظائرها ويقدر في نفسه انه المقصود بها

لاه بدنياه والايام تنعاه * والقبر غايته والحد مأواه

يلهو فلو كان يدري ما أعد له * اذن لاحزنه ما كان الهاه
قال الغزالي في الاحياء قال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في
المسجد الحرام اذ اوتي بحجر منقوش فطلب من يقرأه فاوتي بوهب بن منبه فاذا
فيه * ابن ادم انك لورأيت قرب ما بقي من اجلك * لزهدت في طول
املك * ولرغبت في الزيادة من عملك * ولقصرت من حرصك وحيلك *
وانما يلقاك غدا ندمك * لو قد زلت بك قدمك * واسلمك اهلك وحشمك *
ففارقك الولد والقريب * ورفضك الوالد والنسيب * فلا انت الى دنياك
عائد * ولا في حسناتك زائد * فاعمل ليوم القيامة * قبل الحسرة والندامة *
فبكي سليمان بكاء شديدا انتهى وباقي الآية بين ثم رجي تبارك وتعالى عباده
بقوله الله لطيف بعباده ولطيف هنا بمعنى رفيق مُتَحَفٍّ والعباد هنا المومنون *
وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة معناه ارادة مستعد عامل لا ارادة
متمن مسوف والحرث في هذه الآية عبارة عن السمي والتكسب والاعداد *
وقوله تعالى نذله في حرثه وعد متنجز قال الفخر وفي تفسير قوله نذله في حرثه
قولان الاول نذله في توفيقه واعانتة وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه
وقال مقاتل نذله في حرثه بتضعيف الثواب قال تعالى ليوفيههم اجورهم
وزيدهم من فضله انتهى وقوله ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها معناه ما شئنا
منها ولمن شئنا قرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا يريد له لا يحسن
بغيره نعوذ بالله من ذلك وهذا الذي لا يعقل غير الدنيا هو الذي نقي ان يكون
له نصيب في الآخرة * وقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
ياذن به الله ام هذه منقطعة لا معادلة وهي بتقدير بل والف الاستفهام والشركاء
في هذه الآية يحتمل ان يكون المراد بهم الشياطين والمنفوسين من اسلافهم
ويكون الضمير في لهم للكفار المعاصرين لمحمد عليه السلام فالاشتراك هاهنا هو

في الكفر والغواية وليس بشركة الاشرار بالله ويحتمل ان يكون المراد بالشركاء الاصنام والاوثان على معنى ام لهم اصنام جعلوها شركاء لله في الوهيته ويكون الضمير في شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولا بائهم والضمير في لهم للاصنام الشركاء وشرعوا معناه اثبتوا ونهجوا ورسموا والدين هنا العوائد والاحكام والسيرة ويدخل في ذلك ايضا المعتقدات السوء لانهم في جميع ذلك وضعوا اوضاعا فاسدة وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء الله تعالى بانه يوخر عقابهم للدار الآخرة والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهم * وقوله تعالى ترى الظالمين هي رؤية بصر ومشفقين حال وليس لهم في هذا الاشفاق مدح لانهم انما اشفقوا حين نزل بهم وليسوا كالمومنين الذين هم في الدنيا مشفقون من امر الساعة كما تقدم وهو واقع بهم ابو حيان ضمير هو عائد على العذاب او على ما كسبوا بحذف مضاف اي وبال ما كسبوا انتهى والروضات المواضع المونقة النضرة * وقوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده اشارة الى قوله تعالى في الآية الاخرى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا * وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى اختلف الناس في معناه فقال ابن عباس وغيره هي اية مكية نزلت في صدر الاسلام ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذاهم اي ما اسألكم على القرءان الا ان تودوني لقراية بيني وبينكم فتكفوا عني اذاكم قال ابن عباس وابن اسحاق وقتادة ولم يكن في قریش بطن الا ولتني صلى الله عليه وسلم فيه نسب او صهر فالآية على هذا فيها استعطاف ما ودفع اذى وطلب سلامة منهم وذلك كله منسوخ بآية السيف ويحتمل هذا التاويل ان يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم اي لا اسألكم غرامة ولا شيئ الا ان تودوني لقرايتي منكم وان تكونوا اولى بي من غيركم قال (ع) وقریش كلها عندي قربي وان كانت تتفاضل وقدروي عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة وقال ابن عباس ايضا ما يقتضى ان الآية مدنية وان الانصار جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالا وساقته اليه فرده عليهم ونزلت الآية في ذلك وقيل غير هذا وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن ويقترب معناه يكتسب ورجل قُرْفَة اذا كان محتالا كسوبا وغفور معناه ساتر عيوب عباده وشكور معناه مجاز على الدقيقة من الخير لا يضيع عنده لعامل عمل * وقوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا ام هذه مقطوعة مضمنة اضرابا عن كلام متقدم وتقريرا على هذه المقالة منهم * وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك معناه في قول قتادة وفرقة من المفسرين ينسبك القرآن والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان ابطالها كانه يقول وكيف يصح ان تكون مفتريا وانت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر لو شاء ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصد اللفظ هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا وقال مجاهد المعنى فان يشأ الله يختم على قلبك بالصبر لاذى الكفار ويربط عليك بالجلد فهذا تاويل لا يتضمن الرد على مقالاتهم قال ابو حيان وذكر القشيري ان الخطاب للكفار اي يختم على قلبك ايها القائل فيكون انتقالا من الغيبة للخطاب ويمح استيناف اخبار لا داخل في الجواب وتسقط الواو من اللفظ لالتقاء الساكنين ومن المصحف حملا على اللفظ انتهى * وقوله تعالى ويمح فعل مستقبل خبر من الله تعالى انه يحو الباطل ولا بد اما في الدنيا واما في الآخرة وهذا بحسب نازلة نازلة وكتب يمح في المصحف بجاء مرسل كما كتبوا ويدع الانسان الى غير ذلك مما ذهبوا فيه الى الحذف والاختصار * وقوله بكلماته معناه بما سبق في قديم علمه وارادته من كون الاشياء بالكلمات المعاني القائمة القديمة التي لا تبديل لها ثم ذكر تعالى النعمة في تفضله

بِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ عِبَادِهِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ فِيمَا يَسْتَأْنِفُ الْعَبْدُ مِنْ زَمَانِهِ وَأَعْمَالِهِ مَقْطُوعٌ بِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَمَّا مَا سَافَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَيَنْقَسِمُ فَمَا التَّوْبَةُ مِنَ الْكُفْرِ فَرَاحِيَةٌ كُلُّ مَا تَقْدُمُهَا مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ الْفَائِتَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَمَّا التَّوْبَةُ مِنَ الْمَعَاصِي فَلَا هَلَّ السَّنَةِ فِيهَا قَوْلَانِ هَلْ تَذْهَبُ الْمَعَاصِي السَّالِفَةُ لِلْعَبْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِقِهِ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ هِيَ مَذْهَبُهَا وَقَالَتْ فِرْقَةٌ هِيَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتَمَعُوا أَنَّهَا لَا تَذْهَبُ مَظَالِمُ الْعِبَادِ وَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْإِقْبَالُ وَالرَّجُوعُ إِلَى الطَّاعَاتِ * وَيَلْزِمُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ * وَالْعَزْمُ عَلَى مَلَازِمَةِ الْخَيْرَاتِ * وَقَالَ سُرِّي السَّقَطِيُّ التَّوْبَةُ الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الذُّنُوبِ * وَالْإِقْبَالُ بِالْقَلْبِ عَلَى عَلَامِ الْغُيُوبِ * وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ الثَّائِبُ مَنْ كَسَرَ شَبَابَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَكَسَرَ الدُّنْيَا عَلَى رَأْسِ الشَّيْطَانِ وَلَزِمَ الْفِطَامَ * حَتَّى آتَاهُ الْحِمَامُ * وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ بِمَعْنَى مَنْ عِبَادُهُ وَكَانَهُ قَالَ التَّوْبَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ عِبَادِهِ وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ يَفْعَلُونَ بِأَلْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ وَقَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَاءُ يَفْعَلُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْمَخَاطَبَةِ فِي الْآيَةِ تَوَعَّدَ * وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَيَسْتَجِيبُ قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ مَعْنَاهُ يُجِيبُ وَالْعَرَبُ تَقُولُ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ بِمَعْنَى وَالَّذِينَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مَفْعُولٌ يَسْتَجِيبُ وَرَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَتْ فِرْقَةٌ الْمَعْنَى وَيَسْتَدْعِي الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِجَابَةِ مِنْ رَبِّهِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَدَلَّ قَوْلُهُ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى فَيَجِيبُهُمُ وَالَّذِينَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَاعِلٌ يَسْتَجِيبُ وَقَالَتْ فِرْقَةٌ الْمَعْنَى وَيُجِيبُ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ فَالَّذِينَ فَاعِلٌ بِمَعْنَى يُجِيبُونَ دَعْوَةَ شَرْعِهِ وَرِسَالَتِهِ وَالزِّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ هِيَ تَضْعِيفُ الْحَسَنَاتِ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ هِيَ قَبُولُ الشَّفَاعَاتِ فِي الْمَذْنُبِينَ وَالرِّضْوَانِ * وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبْغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ أَنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ قَالَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا ثَلَاثُ لَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق فاعلمهم الله تعالى انه لو جاء الرزق على اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه عز وجل اعلم بالمصلحة في كل احد انه بعباده خير بصير بمصالحهم فهو ينزل لهم من الرزق القدر الذى به صلاحهم قرب انسان لا يصلح وتنكف عادته الا بالفقر (ت) وقد ذكرنا في هذا المختصر احاديث كثيرة مختارة في فضل الفقراء الصابرين ما فيه كفاية لمن وفق وقد روى ابن المبارك في رقائقه عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا رسول الله يجلساء الله يوم القيامة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله فهم اول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فمن اول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس الى الجنة فتخرج اليهم منها ملائكة فيقولون ارجعوا الى الحساب فيقولون على م نحاسب والله ما افيضت علينا الاموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط وما كنا امراء نعدل ونجور ولكننا جاءنا امر الله فعبدناه حتى اتانا اليقين انتهى * وقوله عز وجل وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية تعديد نعم الله الدالة على وحدانيته وانه المولى الذى يستحق ان يعبد دون ما سواه من الانداد وقرأ الجمهور قنطوا بفتح النون وقرأ الاعمش قنطوا بكسرها وهما لغتان وروي ان عمر رضي الله عنه قيل له اجدبت الارض وقنط الناس فقال مطروا اذن بمعنى ان الفرج عند الشدة * وقوله تعالى وينشر رحمته قيل اراد بالرحمة المطر وقيل اراد بالرحمة هنا الشمس فذلك تعديد نعمة غير الاولى وذلك ان المطر اذا لم بعد القنط حسن موقعه فاذا دام ستم فتجبي الشمس بعده عظيمة الموقع * وقوله تعالى وهو الولي الحميد اي من هذه افعاله هو الذى ينفع اذا والى وتحمداً لافعاله ونعمه قال القشيري اسمه تعالى الولي اي هو المتولى لاحوال عباده وقيل هو من الوالى

وهو الناصر فاولياء الله انصار دينه واشياع طاعته والولي في صفة العبد من يواظب على طاعة ربه ومن علامات من يكون الحق سبحانه وليه ان يصونه ويكفيه في جميع الاحوال ويؤمنه فيغار على قلبه ان يتعلق بمخلوق في دفع شر اوجب نفع بل يكون سبحانه هو القائم على قلبه في كل نفس فيحقق اماله عند اشاراته ويعجل مآربه عند خطراته ومن امارات ولايته لعبده ان يديم توقيفه حتى لو اراد سوءا او قصد محظورا عصمه عن ارتكابه اولو جنح الى تقصير في طاعة ابى الاتوقفا وتاييدا وهذا من امارات السعادة وعكس هذا من امارات الشقاوة ومن امارات ولايته ايضا ان يرزقه مودة في قلوب اوليائه انتهى من التحير ثم ذكر تعالى الآية الكبرى الدالة على الصانع وذلك خلق السموات والارض * وقوله تعالى وما بث فيهما من دابة يخرج على وجوه منها ان يريد احدهما وهو ما بث في الارض دون السموات ومنها ان يكون تعالى قد خلق في السموات وبث دواب لانعلمها نحن ومنها ان يريد الحيوانات التي توجد في السحاب وقد تقع احيانا كالضفادع ونحوها فان السحاب داخل في اسم السماء * وقوله تعالى وهو على جميعهم يريد يوم القيامة عند الحشر من القبور * وقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة قرا جمهور القراء فبما بقاء وكذلك هي في جبل المصاحف وقرا نافع وابن عامر بما دون فاء قال ابو علي الفارسي اصاب من قوله وما اصابكم يحتمل ان يكون في موضع جزم وتكون ما شرطية وعلى هذا لا يجوز حذف الفاء عند سيبويه وجوز حذفها ابو الحسن الاخفش وبعض البغداديين على انها مرادة في المعنى ويحتمل ان يكون اصاب صلة لما وتكون ما بمعنى الذى وعلى هذا يتجه حذف الفاء وثبوتها لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم اي لو لا كسبكم ما اصابكم مصيبة والمصيبة انما هي بكسب الايدي ومعنى الكلام مع حذفها يجوز ان يكون التلازم ويجوز ان يعرى منه قال (ع) واما

في هذه الآية فالتلازم مطرد مع الثبوت والحذف واما معنى الآية فاختلف الناس فيه فقالت فرقة هو اخبار من الله تعالى بان الرزايا والمصائب في الدنيا انما هي مجازات من الله تعالى على ذنوب المرء وخطاياهم وان الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه بمصيبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود او عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وقال مرة الحمداني رأيت على ظهر كف شريح قرحة فقلت ما هذا فقال هذا بما كسبت يدي ويعفو الله عن كثير وقيل لابي سليمان الداراني ما بال الفضلاء لا يلومون من اساء اليهم فقال لانهم يعلمون ان الله تعالى هو الذي ابتلاهم بذنوبهم وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فيما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فانه احلم من ان يعود فيه بعد عفوهم وقال الحسن معنى الآية في الحدود اي ما اصابكم من حد من حدود الله فيما كسبت ايديكم ويعفو الله عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد عليه ثم اخبر تعالى عن قصور ابن آدم وضعفه وانه في قبضة القدرة لا يعجز طلب ربه ولا يمكنه الفرار منه والجوارى جمع جارية وهي السفينة والاعلام الجبال وباقى الآية بين فيه الموعظة وتشريف الصبار الشكور * وقوله تعالى او يوبقهن بما كسبن او بقت الرجل اذا انشبهته في امر يهلك فيه وهو في السفن تقريظها وبما كسبو اي بذنوب ركابها وقرأ نافع وابن عامر ويعلم بالرفع على القطع والاستيناف وقرأ الباقر والجمهور ويعلم بالنصب على تقدير ان والمحيص المنجى وموضع الروغان ثم وعظ سبحانه عباده وحقر عندهم امر الدنيا وشأنها ورغبتهم فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه وعظم قدر ذلك في قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عبد الله خير وابقى للذين امنوا

وعلى ربهم يتوكلون وقرأ الجمهور كباثر على الجمع قال الحسن هي كل ما توعده فيه بالنار وقد تقدم ما ذكره الناس في الكباثر في سورة النساء وغيرها والفواحش قال السدي الزنا وقال مقاتل موجبات الحدود * وقوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون حض على كسر الغضب والتدرب في اطفائه اذ هو جرة من جهنم وباب من ابوابها وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتى غلبه فقد كفي هما عظيما في دنياه وآخرته (ت) وروى مالك في الموطأ ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضب قال ابو عمر بن عبد البر اراد علمني ما ينفعني بكلمات قليلة لئلا أنسى ان اكثرت علي ثم اسند ابو عمر من طرق عن الاحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة انه قال يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني الله به واقلل لي لعمري اعقله قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا كلها يرجع اليه رسول الله لا تغضب انتهى من التمهيد واسند ابو عمر في التمهيد ايضا عن عبد الله بن ابي الهذيل قال لما رأى يحيى ان عيسى مفارقة قال له اوصني قال لا تغضب قال لا استطيع قال لا تقمتن ما لا قال عسى انتهى وروى ابن المبارك في رقايقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين اقاله الله عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة قال ابن المبارك واخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ان الله تبارك وتعالى يقول من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ومن ذكرني حين يغضب ذكرته حين اغضب فلم احقه فيمن احق انتهى * وقوله تعالى والذين استجابوا لمدح لكل

من آمن بالله وقبل شرعه ومدح الله تعالى القوم الذين امرهم شورى بينهم لان في ذلك اجتماع الكلمة والتحاب واتصال الايدي والتعاضد على الخير وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هتدوا لاحسن ما بحضرتهم * وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون معناه في سبيل الله ويرسم الشرع وقال ابن زيد قوله تعالى والذين استجابوا لربهم الآية نزلت في الانصار والظاهر ان الله تعالى مدح كل من انصف بهذه الصفة كائنا من كان وهل حصل الانصار في هذه الصفة الا بعد سبق المهاجرين اليها رضي الله عن جميعهم بمنه * وقوله عز وجل والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون مدح سبحانه في هذه الآية قوما بالانتصار ممن بنى عليهم ورجح ذلك قوم من العلماء وقالوا الانتصار بالواجب تغيير منكر قال الثعلبي قال ابراهيم النخعي في هذه الآية كانوا يكرهون ان يستدلوا فاذا قدروا عفوا انتهى * وقوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل سمي الجزاء باسم الابتداء وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة قال (ع) وان اخذنا السيئة هنا بمعنى المصيبة في حق البشري يسوء هذا هذا ويسوءه الآخر فلسنا نحتاج الى ان نقول سمي العقوبة باسم الذنب بل الفعل الاول والآخر سيئة قال الفخر اعلم انه تعالى لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساواة هو العدل فلهذا السبب قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى ويدل على ذلك قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ونحوه من الآتي واللام في قوله ولمن انتصر بعد ظلمه لام التقاء القسم * وقوله من سبيل يريد من سبيل حرج ولا سبيل حكم وهذا ابلاغ في اباحة الانتصار والخلاف فيه هل هو بين المومن والمشرک او بين المومنين * وقوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية المعنى انما سبيل الحكم والاثم على الذين

يظلمون الناس روى الترمذي عن كعب بن عجرة قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اعيدك بالله يا كعب من امراء يكونون من غشي ابوابهم فصدقهم في كذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض يا كعب الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار اولى به قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرجه ايضا في كتاب الفتن وصححه انتهى *

وقوله تعالى انما السبيل الى قوله اليم اعتراض بين الكلامين ثم عاد في قوله ولمن صبر الى الكلام الاول كانه قال ولمن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك ما عليهم من سبيل ولمن صبر وغفر الآية واللام في قوله ولمن صبر يصح ان تكون لام قسم ويصح ان تكون لام الابتداء وعزم الامور محكمها ومتقنها والحמיד العاقبة منها فمن رأى ان هذه الآية هي فيما بين المؤمنين والمشركين وان الصبر للمشركين كان افضل قال ان الآية نسخت بنهاية السيف ومن رأى ان الآية بين المؤمنين قال هي محكمة والصبر والغفران افضل اجماعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فيقوم عنق من الناس كبير فيقال ما اجركم فيقولون نحن الذين عفوونا عنكم ظلمنا في الدنيا * وقوله تعالى ومن يضل الله فانه من ولي من بعده تحقير لامر الكفرة اي فلا يبالى بهم احد من المؤمنين لانهم صاترون الى ما لا فلاح لهم معه ثم وصف تعالى لنبيه حالهم في القيامة عند رؤيتهم العذاب وقولهم هل الى مرد من سبيل ومرادهم الرد الى الدنيا والرؤية هنا رؤية عين والضمير في قوله عليها عائد على النار وان لم يتقدم لها ذكر من حيث دل عليها قوله رأوا العذاب * وقوله من الذل يتعلق بخاشعين * وقوله تعالى ينظرون من طرف خفي قال قتادة والسدي المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه

من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون ببعضها قال الثعلبي قال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من اجل الذل والخوف ونحوه عن الاخفش انتهى وفي البخاري من طرف خفي اي ذليل * وقوله تعالى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية وقول الذين آمنوا هو في يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء منقلبهم * وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم يحتمل ان يكون من قول المؤمنين يومئذ حكاه الله عنهم ويحتمل ان يكون استينافا من قول الله عز وجل واخباره لنبيه محمد عليه السلام * وقوله تعالى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله الآية انحاء على الاصنام والاولئان التي اظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك ديناً ثم امر تعالى نبيه ان يامرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته من قبل اتيان يوم القيامة الذي لا يرد احد بعده الي عمل قال (ع) في الآية الاخرى في سورة الم غلبت الروم ويحتمل ان يريد لا يرد راد حتى لا يقع وهذا ظاهر بحسب اللفظ والنكير مصدر بمعنى الانكار قال الثعلبي ما لكم من ملجأ اي معقل وما لكم من نكير اي من انكار على ما ينزل بكم من العذاب يغير ما بكم انتهى * وقوله تعالى فان اعرضوا الآية تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم والانسان هنا اسم جنس وجمع الضمير في قوله تصيهم وهو عائد على لفظ الانسان من حيث هو اسم جنس * وقوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء الآية هذه اية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع وان مشيئته تعالى نافذة في جميع خلقه وفي كل امرهم وهذا لا مدخل لصنم فيه فان الذي يخلق ما يشاء هو الله تبارك وتعالى وهو الذي يقسم الخلق فيهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الاولاد الذكور او يزوجهم اي ينوعهم ذكرانا واناثاً وقال محمد بن الحنفية يريد بقوله تعالى او يزوجهم التوام

اي يحمل في بطن زوجها من الذرية ذكرا وانثى والعقيم الذى لا يولد له وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة وبدأ في هذه الآية بذكر الاناث تائيسا بهن ليتهم بصونهن والاحسان اليهن وقال النبي عليه السلام من ابتلي من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له حجابا من النار وقال واثلة بن الاسقع من يمن المرأة تبكيها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بذكر الاناث حكاه عنه الثعلبي قال وقال اسحاق بن بشر نزلت هذه الآية في الانبياء ثم عمت فيهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا عليه السلام ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه السلام او يزوجهم ذكرا وانا انا يعنى نبينا محمدا عليه السلام ويحمل من يشاء عقبا يعنى يحيى بن زكريا عليهما السلام * وقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الاية نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك ذهب قريش واليهود في ذلك الى تجسيم ونحوه فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو فبين الله تعالى انه لا يكون لاحد من الانبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه ان يكلمه الله الابان يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام قال مجاهد او النفث في القلب او وحي في منام قال النخعي وكان من الانبياء من يخط له في الارض ونحو هذا او بان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو لمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب اي من خفاء عن المكلم لا يحده ولا يتصور بذنه عليه وليس كالحجاب في الشاهد او بان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحى الله عز وجل قال الفخر قوله فيوحي باذنه ما يشاء اي فيوحي ذلك الملك باذن الله ما يشاء الله انتهى وقرأ جمهور القراء والناس او يرسل بالنصب فيوحي بالنصب ايضا وقرأ نافع وابن عامر وابن عباس واهل المدينة او يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء وقوله او من وراء حجاب من متعلقة بفعل يدل ظاهر الكلام

عليه تقديره اويكلمه من وراء حجاب وفي هذه الآية دليل على ان الرسالة من انواع التكليم وان من حلف لا يكلم فلانا وهو لم ينو المشافهة ثم ارسل رسولا حنث * وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية المعنى وبهذه الطرق ومن هذا الجنس اوحينا اليك اي بالرسول والروح في هذه الآية القران وهدى الشريعة سماه روحا من حيث يحى به البشر والعالم كما يحى الجسد بالروح فهذا على جهة التشبيه * وقوله تعالى من امرنا اي واحد من امورنا ويحتمل ان يكون الامر بمعنى الكلام ومن لابتداء الغاية * وقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان توقيف على مقدار النعمة والضمير في جعلناه عائد على الكتاب ونهذى بمعنى نرشد وقرأ جمهور الناس وانك لتهدى بفتح التاء وكسر الدال وقرأ حوشب لتهدى بضم التاء وفتح الدال وقرأ عاصم لتهدى بضم التاء وكسر الدال * وقوله صراط الله يعنى صراط شرع الله ثم استفتح سبحانه القول في الاخبار بصيرورة الامور اليه سبحانه مبالغة وتحقيقا وتثبيتا فقال الا الى الله تصير الامور قال الشيخ العارف بالله ابو الحسن الشاذلي رحمه الله ان اردت ان تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وان عمل ما عمل فقل يا من له الخير كله اسألك الخير كله واعوذبك من الشر كله فانك انت الله الغني الغفور الرحيم اسألك بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور مغفرة تشرح بها صدرى وتضع بها وزرى وترفع بها ذكرى وتيسر بها امرى وتنزه بها فكرى وتققدس بها سرى وتكشف بها ضرى وترفع بها قدرى انك على كل شئ قدير اه (ت) قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب هذا بين وقوله ولا الايمان فيه تاويلات قيل معناه ولا شرائع الايمان ومعامله قال ابو العالية يعنى الدعوة الى الايمان وقال الحسين

ابن الفضل يعنى اهل الايمان من يؤمن ومن لا يؤمن وقال ابن خزيمة الايمان هنا الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال ابن ابي الجعد وغيره احترق مصحف فلم يبق منه الا الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامتحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور نقله الثعلبي وغيره انتهى

قال العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين قد يسر الله عز وجل في تحرير هذا المختصر * وقد اودعته بحمد الله جزئيا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية وزدته فوائد جليلة من غيره وليس الخبر كالعيان توخيت فيه بحمد الله الصواب * وجملته ذخيرة عند الله ليوم المآب * لا يستغنى عنه المنتهى * وفيه كفاية للمبتدى * يستغنى به عن المطولات اذ قد حصل منها لبابها * وكشف عن الحقائق حجابها *

﴿ التعريف برحلة المؤلف ﴾

رحلت في طلب العلم في اواخر القرن الثامن ودخلت بجاية في اوائل القرن التاسع فلقيت بها الائمة المقتدى بهم اصحاب سيدى عبد الرحمن الوغليسي متوافرين فحضرت مجالسهم وكانت عمدة قراءتي بها على سيدى علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر ثم ارتحلت الى تونس فلقيت بها سيدى عيسى الغبريني والابى والبرزلي وغيرهم واخذت عنهم ثم ارتحلت الى المشرق فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فاخذت عنه علومها جميعا معظمها علم الحديث وفتح الله لى فيه فتجا عظيما وكتب لى واجازنى جميع ما حضرته عليه واطلق فى غيره ثم لقيت بمكة بعض المحدثين ثم رجعت الى الديار المصرية الى تونس وشاركت من بها ولقيت

بها شيخنا ابا عبد الله محمد بن مرزوق قادما لارادة الحج فاخذت عنه كثيرا واجازنى التدريس فى انواع الفنون الاسلامية وحرضى على اتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب الفرعي (ت) ولما فرغت من تحرير هذا المختصر وافق قدوم شيخنا ابي عبد الله محمد بن مرزوق علينا فى سفرة سافرها من تلمسان متوجها الى تونس ليصلح بين سلطانها وبين صاحب تلمسان فاوقفتها على هذا الكتاب فنظر فيه وامعن النظر فسر به سرورا كثيرا ودعا لنا بخير والله الموفق بفضله

﴿ تفسير سورة الزخرف وهي مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين والكتاب خفض بواو القسم والضمير فى جعلناه عائد على الكتاب وانه عطف على جعلناه وهذا الاخبار الثانى واقع ايضا تحت القسم وام الكتاب اللوح المحفوظ وهذا فيه تشريف للقرآن وترفع واختلف المتأولون كيف هو فى ام الكتاب فقال قتادة وغيره القرآن باجمعه فيه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وهنالك هو علي حكيمة وقال جمهور الناس انما فى اللوح المحفوظ ذكره ودرجته ومكانته من العلو والحكمة * وقوله سبحانه افنضرب بمعنى افنترك تقول العرب اضربت عن كذا وضربت اذا عرضت عنه وتركته والذكر هو الدعاء الى الله والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه وقال ابو صالح الذكر هنا اراد به العذاب نفسه وقال الضحاك ومجاهد الذكر القرآن * وقوله

صفحا يحتمل ان يكون بمعنى العفو والغفر للذنوب فكانه يقول افنترك تذكيركم
وتخويفكم عفو عنكم وغفرا لاجرامكم من اجل ان كنتم قوما مسرفين اي هذا
لا يصلح وهذا قول ابن عباس ومجاهد ويحتمل قوله صفحا ان يكون بمعنى
مغفولا عنه اي نتركه يمر لا تؤخذون بقبوله ولا بتدبره فكان المعنى افنترككم
سدى وهذا هو معنى قتادة وغيره وقرأ نافع وحزمة والكسائي ان كنتم بكسر
الهمزة وهو جزاء دل ما تقدمه على جوابه وقرأ الباقون بفتحها بمعنى من اجل
ان والاسراف في الآية هو كفرهم * وكم ارسلنا من نبي في الاولين اي في الامم
الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم * وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون
اي كما يستهزئ قومك بك وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد
بان يصيب قريشا ما اصاب من هو اشد بطشا منهم * ومضى مثل الاولين اي
سلف امرهم وسنتهم وصاروا عبرة غابر الدهر انشد صاحب عنوان الدراية
شيخه ابي عبد الله التميمي

يا ويح من غره دهر فسر به * لم يخلص الصفو الاشيب بالكدر
هو الحمام فلا تبعذ زيارته * ولا تقل ليتني منه على حذر
انظر لمن باد تنظر اية عجبا * وعبرة لاولى الالباب والعبر
اين الا الى جنبوا خيلا مسومة * وشيدوا ارما خوفا من القدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت * ولم تفد ارم للحادث النكر
بادوا فعادوا حديثا ان ذا عجب * ما اوضح الرشد لولا سيني النظر
تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * ان المقام بها كالمح بالبر
انتهى * وقوله سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض من حيث
اقروا بالخالق وعبدوا غيره وجاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم ليكون ذلك

توطئة لما عدد سبحانه من اوصافه التي ابتداء الاخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش * وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون الآية هذه اوصاف فعل وهي نعم من الله سبحانه على البشر تقوم بها الحجة على كل مشرك * وقوله الذي جعل لكم ليس هو من قول المسئولين بل هو ابتداء اخبار من الله تعالى * وقوله سبحانه والذي نزل من السماء ماء بقدر قليل معناه بقدر في الكفاية للصالح لا اكثر فيفسد ولا قلة فيقصر بل غيثا مغيثا وقليل بقدر اي بقضاء وحتم وقالت فرقة معناه بتقدير وتحرير اي قدر ماء معلوما ثم اختلف قائلوهذه المقالة فقال بعضهم ينزل في كل عام ماء قدرا واحدا لا يفضل عام عاما لكن يكثر مرة هاهنا ومرة هاهنا وقال بعضهم بل ينزل تقديرا ما في عام وينزل في آخر تقديرا ما وينزل في آخر تقديرا آخر بحسب ما سبق به قضاؤه لا اله الا هو (ت) وبعض هذه الاقوال لا تقال من جهة الرأي بل لا بد لها من سند وانشرنا معناه احيينا يقال نشر الميت وانشره الله والازواج هنا الانواع من كل شيء ومن في قوله من الفلك والانعام للتبعض والضمير في ظهوره عائد على النوع المركوب الذي وقعت عليه ما وقد بينت اية اخرى ما يقال عند ركوب الفلك وهو بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وانما هذه خاصة فيما يركب من الحيوان وان قدرنا ان ذكر النعمة هو بالقلب والتذكر بدأ الراكب بسبحان الذي سخر لنا هذا وهو يرى نعمة الله في ذلك وفي سواء ومقرنين اي مطيقين وقال ابو حيان مقرنين خبر كان ومعناه غاليين ضابطين انتهى وهو بمعنى الاول وانا الى ربنا لمنقلبون امر بالاقرار بالبعث (ت) وعن حمزة بن عمرو الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر كل بمير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله رواه ابن حبان في صحيحه انتهى من السلاح وينبغي لمن ملكه الله

شيئاً من هذا الحيوان ان يرفق به ويحسن اليه لينال بذلك رضا الله تعالى قال
 القشيري في التجبير وينبغي للعبد ان يكون معظماً لربه نفاعاً لحلقه خيراً في قومه
 مشفقاً على عباده فان رأس المعرفة تعظيم امر الله سبحانه والشفقة على خلق
 الله انتهى وروى مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما
 رجل يمشى بطريق اذا اشتد عليه العطش فوجد بيراً فترل فيها فشرب فخرج
 فاذا كلب يلهث يا كل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب
 من العطش مثل الذى بلغ منى فترل البير فلاخفه ثم امسكه بفيه حتى رقى
 فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم اجرا
 فقال في كل كبد رطبة اجر قال ابو عمر في التمهيد وكذا في الاساءة الى
 الحيوان اثم وقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلاهي اطعمتها ولاهي اطلقتها تاكل من
 خشاش الارض ثم اسند ابو عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا من
 حيطان الانصار فاذا جمل قد اتى فجر جر وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سرائه وذفراه فسكن فقال من صاحب الجمل فجاء فتى من الانصار
 فقال هولى يا رسول الله فقال اما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله انه
 شكالى انك تجعده وتدببه ومعنى ذرفت عيناه اى قطرت دموعها قطرا ضعيفا
 والسرّة الظهر والدفرى ماوراء الاذنين عن يمين النقرة وشمالها انتهى *
 وقوله سبحانه وجعلوا له من عباده جزءا اى جعلت كفار قريش والعرب لله
 جزءا اى نصيبا وحظا وهو قول العرب الملائكة بنات الله هذا قول كثير من
 المتأولين وقال قتادة المراد بالجزء الاصنام وغيرها فجزءا معناه ندا (ت) وباقي
 الآية يرجع تاويل الاكثر * وقوله ام اتخذوا اضراب وتقرير وتوبيخ اذ
 المعمود المحبوب من الاولاد قد خوله الله بنى ادم فكيف يتخذ هو لنفسه

النصيب الأدنى وباقي الآية بين مما ذكر في سورة النحل وغيرها ثم زاد سبحانه في توبيخهم وافساد رأيهم بقوله او من ينشأ في الحلية التقدير او من ينشأ في الحلية هو الذي خصصتم به الله عز وجل والحلية الحلي من الذهب والفضة والاحجار وينشأ معناه ينبت ويكبر والحصام المحاجة ومجاذبة المحاورة وقل ما تجد امرأة الا تفسد الكلام وتخلط الماني وفي مصحف ابن مسعود وهو في الكلام غير مبين والتقدير غير مبين غرضاً او منزعاً ونحو هذا وقال ابن زيد المراد بمن ينشأ في الحلة الاصنام والاوثان لانهم كانوا يجعلون الحلي على كثير منها ويتخذون كثيراً منها من الذهب والفضة وقرأ اكثر السبعة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً وقرأ الحريمان وابن عامر عند الرحمن اناثاً وهذه القراءة ادل على رفع المنزلة * وقوله تعالى أشهدوا خلقهم معناه الحضروا خلقهم وفي قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون وعيد مفصح واسند ابن المبارك عن سليمان ابن راشد انه بلغه ان امرأ لا يشهد شهادة في الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الاشهاد ولا يمتدح عبداً في الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته وهذا صحيح يدل على صحته قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون وقوله ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد انتهى * وقوله سبحانه وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الآية اي ما عبدنا الاصنام (ت) وقال قتادة وغيره يعني ما عبدنا الملائكة وجعل الكفار امهال الله لهم دليلاً على رضاه عنهم وان ذلك كالامر به ثم نفي سبحانه علمهم بهذا وليس عندهم كتاب منزل يقتضى ذلك وانما هم يظنون ويمجدسون ويخمنون وهذا هو الحرص والتخرس والامة هنا بمعنى الملة والديانة والآية على هذا تعيب عليهم التقليد وذكر الطبري عن قوم ان الامة الطريقة ثم ضرب الله المثل لنبيه محمد عليه السلام وجعل له الاسوة فيمن مضى من النذر والرسل وذلك ان

المترفين من قومهم وهم اهل التنعم والمال قد قابلوهم بمثل هذه المقالة وفي قوله عز وجل فانتقمنا منهم الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم المعذبة المكذبة لانبيائها * وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم المعنى واذكر اذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون اى فافعل انت فعله وتجد جلدك وبراى صفة تجرى على الواحد والاثنين والجمع كعدل وزور وقرأ ابن مسعود بري * وقوله الا الذى فطرني قالت فرقة الاستثناء متصل وكانوا يعرفون الله ويعظمونه الا انهم كانوا يشركون معه اصنامهم فكان ابراهيم قال لهم انا لا اوافقكم الا على عبادة الله الذى فطرني وقالت فرقة الاستثناء منقطع والمعنى لكن الذى فطرني هو معبودى الهادى المنجى من العذاب وفى هذا استدعاء لهم وترغيب فى طاعة الله وتطبيع فى رحمته والضمير فى قوله وجعلها كلمة الآية قالت فرقة هو عائد على كلمته بالتوحيد فى قوله اننى براء وقال مجاهد وغيره المراد بالكلمة لا اله الا الله وعاد عليها الضمير وان كان لم يجر لها ذكر لان اللفظ يتضمنها والعقب الذرية وولد الولد ما امتد فرعهم * وقوله بل تمتع هؤلاء يعنى قريشا حتى جاءهم الحق ورسول وذلك هو شرع الاسلام والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ومبين اى يبين لهم الاحكام والمعنى فى الآية بل امهلت هؤلاء وامتعتهم بالنعمة ولما جاءهم الحق يعنى القرآن قالوا هذا سحر وقالوا يعنى قريشا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين يعنى من احدى القريتين وهما مكة والطائف ورجل مكة هو الوليد بن المغيرة فى قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد هو عتبة بن ربيعة وقيل غير هذا ورجل الطائف قال قتادة هو عروة بن مسعود وقيل غير هذا قال (ع) وانما قصدوا الى من عظم ذكره بالسنن والافرسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعظم من هؤلاء اذ كان المسمى عندهم الامين ثم ونجهم سبحانه بقوله اهم يقسمون رحمت ربك والرحمة اسم

عام يشمل النبوة وغيرها وفي قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم ترهيد في
 السعيات وعون على التوكل على الله عز وجل والله در القائل
 كم جاهل يملك دورا وقرى * وعالم يسكن بيتا بالكر
 لما سمعنا قوله سبحانه * نحن قسمنا بينهم زال المرا
 وروى ابن المبارك في رقايقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
 اراد الله بعبد خيرا ارضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما
 قسم له ولم يبارك له فيه انتهى وسخر يا بمعنى التسخير ولا مدخل لمعنى الهز في
 هذه الآية * وقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون قال قتادة والسدي
 يعنى الجنة قال (ع) ولا شك ان الجنة هي الغاية ورحمة الله في الدنيا بالهداية
 والايمان خير من كل مال وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وترهيد فيها ثم استمر القول
 في تحقيرها بقوله سبحانه ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية وذلك ان
 معنى الآية ان الله سبحانه ابقى على عباده وانعم عليهم بمراعاة بقاء الخير
 والايمان وشاء حفظه على طائفة منهم بقية الدهر ولولا كراهية ان يكون الناس
 كفارا كلهم واهل حب في الدنيا وتجرد لها لوسع الله على الكفار غاية التوسعة
 وممكنهم من الدنيا وذلك لحقارتها عنده سبحانه وانها لا قدر لها ولا وزن
 لفنائها وذهاب رسومها فقوله امة واحدة معناه في الكفر قاله ابن عباس وغيره
 ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح
 بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وروى ابن المبارك في رقايقه بسنده عن
 علقمة عن عبد الله قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فآثر
 الحصير في جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه واقول يا رسول الله الا اذنتني
 قبل ان تنام على هذا الحصير فابسط لك عليه شيا يقيك منه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مالى وللدينا وما للدينا ومالى ما انا والدنيا الا كراكب استظل

في في: اوظل شجرة ثم راح وتركها انتهى وقد خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وسقفا جمع سقف والمعارض الادراج التي يطلع عليها قاله ابن عباس وغيره ويظهرون معناه يعلون ومنه حديث عائشة رضي الله عنها والشمس في حجرتها لم تظهر بعد والسر جمع سرير والزخرف قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي هو الذهب وقالت فرقة الزخرف التزويق والنقش ونحوه وشاهده حتى اذا اخذت الارض زخرفها وقرأ الجمهور وان كل ذلك لما بتخفيف الميم من لما فان مخففة من الشقيلة واللام في لما داخلة لتفصل بين النفي والايجاب وقرأ عاصم وحزمة وهشام بخلاف عنه بتشديد الميم من لما فان نافية بمعنى ما ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وفي قوله سبحانه والآخرة عند ربك للمتقين وعد كريم وتحريض على لزوم التقوى اذ في الآخرة هو التباين الحقيقي في المنازل قال الفخر بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا واما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله وفي حكمه للمتقين المعرضين عن حب الدنيا المقلبين على حب المولى انتهى * وقوله عز وجل ومن يعيش عن ذكر الرحمن الآية وعشا يعيش معناه قل الابصار منه ويقال ايضا عشي الرجل يعيش اذا فسد بصره فلم يرا ولم ير الا قليلا فالمعنى في الآية ومن يقل بصره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن اي فيما ذكر به عباده اي فيما انزله من كتابه واوحاه الى نبيه * وقوله نقيض له شيطانا اي يسرله ونمده وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح وهذا كما يقال ان الله تعالى يعاقب على المعصية بالترديد في المعاصي ويجازي على الحسنة بالترديد من الحسنات وقد روي هذا المعنى مرفوعا قال (ص) ومن يعيش الجمهور بضم الشين اي يتعام ويتجاهل فمن شرطية ويعيش مجزوم بها ونقيض جواب من انتهى والضمير في قوله وانهم عائد على الشياطين وفيما بعده عائد على الكفار وقرأ نافع وغيره حتى اذا جاءنا على

التشنية يريد العاشي والقرين قاله قتادة وغيره وقرأ أبو عمرو وغيره جاءنا يريد العاشي وحده وفاعل قال هو العاشي قال الفخر وروي أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطان بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار فذلك حيث يقول يا ليت بنى وبينك بعد المشرقين انتهى * وقوله بعد المشرقين يحتمل معانها أحدها أن يريد بعد المشرق من المغرب فسماهما مشرقين كما يقال القمران والعمران والثاني أن يريد مشرق الشمس في أطول يوم ومشرقها في أقصر يوم والثالث أن يريد بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين (ت) واستبعد الفخر التأويل الثاني قال لأن المقصود من قوله يا ليت بنى وبينك بعد المشرقين المبالغة في حصول البعد وهذه المبالغة إنما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد أزيد منه والبعد بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليس كذلك فيبعد حمل اللفظ عليه قال والأكثرون على التأويل الأول انتهى *

وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم الآية حكاية عن مقالة تقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة فيها زيادة تعذيب لهم ويأس من كل خير وفاعل ينفعكم الاشتراك ويجوز أن يكون فاعل ينفعكم التبرى الذي يدل عليه قوله يا ليت * وقوله سبحانه أفأنت تسمع الصم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباقي الآية تكرر معناه غير ما مرة * وقوله تعالى فاستمسك بالذى أوحى إليك أي بما جاءك من عند الله من الوحي المتلو وغيره * وقوله وأنه لذكر لك يحتمل أن يريد وأنه لشرف في الدنيا لك ولقومك يعني قريشا قاله ابن عباس وغيره ويحتمل أن يريد وأنه لتذكرة وموعظة فالقوم على هذا أمته باجمعها وهذا قول الحسن بن أبي الحسن * وقوله وسوف تسألون قال ابن عباس وغيره معناه عن أوامر القرآن ونواهيهِ وقال الحسن معناه عن شكر النعمة فيه واللفظ يحتمل هذا كله ويعمه *

وقوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية قال ابن زيد والزهري

اما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسئل الرسل ليلة الاسراء عن هذا لانه كان اثبت يقينا من ذلك ولم يكن في شك وقال ابن عباس وغيره اراد واسئل اتباع من ارسلنا وحملة شرائعهم وفي قراءة ابن مسعود واي واسئل الذين ارسلنا اليهم (ت) قال عياض قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك الآية الخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد المشركون قاله القسبي ثم قال عياض والمراد بهذا الاعلام بان الله عز وجل لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى انتهى * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية ضرب مثل واسوة للنبي صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السلام ولكفار قريش بقوم فرعون * وقوله واخذناهم بالمذاب اي كالطوفان والجراد والقمل والضفادع وغير ذلك لعلمهم يرجعون اي يتوبون ويرجعون عن كفرهم وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى يا ايه الساحر اي العالم وانما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير لان علم السحر عندهم كان علما عظيما وقيل انما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والاول ارجح وقولهم ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون اي ان نفعتنا دعوتك * وقوله اليس لى ملك مصر الآية مصر من بحر الاسكندرية الى أسوان بطول النيل والانهار التي اشار اليها هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل * وقوله ام انا خير قال سيبويه ام هذه المعادلة والمعنى افانتم لا تبصرون ام تبصرون وقالت فرقة ام بمعنى بل وقرأ بعض الناس اما انا خير حكاة الفراء وفي مصحف ابي بن كعب ام انا خير ام هذا ومهين معناه ضعيف ولا يكاد يبين اشارة الى ما بقي في لسان موسى من اثر الجمرة وكانت احدث في لسانه عقدة فلما دعا في ان تحل ليفقه قوله اجيبت دعوته لكنه بقي اثر كان البيان يقع معه فميره فرعون به * وقوله ولا يكاد يبين يقتضى

انه كان يبين * وقوله فلولا التي عليه يريد من السماء على معنى التكرمة وقرأ الجمهور اساورة وقرأ حفص عن عاصم أسيرة وهو ما يحمل في الذراع من الحلي وكانت عادة الرجال يومئذ لبس ذلك والتزين به (ت) وذكر بعض المفسرين عن مجاهد انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا التي رب موسى على موسى اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له انتهى وقال (ع) قوله مقترنين اي يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجته (ت) وما تقدم لغيره احسن ولا يشك ان فرعون شاهد من حماية الله لموسى امورا لم يبق معه شك في ان الله قد منعه منه * وقوله سبحانه اسفونا معناه اغضبونا بلا خلاف * وقوله فجعلناهم سلفا السلف الفارط المتقدم اي جعلناهم متقدمين في الهلاك ليتعظ بهم من بعدهم الى يوم القيامة وقال البخاري قال قتادة مثالا للآخرين عظة انتهى * وقوله سبحانه ولما ضرب ابن مريم مثالا الآية روي عن ابن عباس وغيره في تفسيرها انه لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الآية وكون عيسى من غير خل قالت قريش ما يريد محمد من ذكر عيسى الا ان نعبد نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم * وقوله تعالى وقالوا آللهتنا خير ام هو هذا ابتداء معنى ثان وذلك انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال ابن الزبيري ونظراؤه يا محمد آللهتنا خير ام عيسى فنحن نرضى ان تكون آللهتنا مع عيسى اذ هو خير منها واذا قد عبد فهو من الحصب اذن فقال الله تعالى ما ضربه لك الاجدلا ومغالطة ونسوا ان عيسى لم يعبد برضى منه وقالت فرقة المراد بهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وفي مصحف ابي خيرام هذا فالاشارة الى نبينا محمد عليه السلام وقال ابن زيد وغيره المراد بهو عيسى وهذا هو

الراجح ثم اخبر تعالى عنهم انهم اهل خضام ولدوا واخبر عن عيسى بقوله ان هو
الاعبد انعمنا عليه اي بالنبوة والمنزلة العالية (ت) وروينا في جامع الترمذي
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم
خصمون قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله وجعلناه مثلاً
اي عبرة واية لبنى اسرائيل والمعنى لا تستغربوا ان يخلق عيسى من غير فحل
فان القدرة تقتضى ذلك واكثر منه * وقوله ولو نشاء لجعلنا منكم معناه لجعلنا
بدلاً منكم اي لو شاء الله لجعل بدلاً من بنى آدم ملائكة يسكنون الارض
ويخلفون بنى آدم فيها وقال ابن عباس ومجاهد يخلف بعضهم بعضاً والضمير في
قوله وانه لعلم قال ابن عباس وغيره الاشارة به الى عيسى وقالت فرقة الى محمد
وقال قتادة وغيره الى القران (ت) وكذا نقل ابو حيان هذه الاقوال الثلاثة
ولو قيل انه ضمير الامر والشان استعظاما واستهوالا لامر الآخرة ما بعد بل
هو المتبادر الى الذهن يدل عليه فلا تمتن بها والله اعلم وقرأ ابن عباس وجماعة
لعلم بفتح العين واللام اي اماره وقرأ عكرمة للعلم بلامين الاولى مفتوحة وقرأ
ابي لذكر للساعة فن قال ان الاشارة الى عيسى حسن مع تاويله علم وعلم اي هو
اشعار بالساعة وشرط من اشراطها يعنى خروجه في آخر الزمان وكذلك من قال
الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي هو آخر الانبياء وقد قال بعثت انا
والساعة كهاتين يعنى السبابة والوسطى ومن قال الاشارة الى القران حسن قوله
مع قراءة الجمهور اي يعلمكم بها وباهوالها * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة
الى الشرع * وقوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات يعنى احياء الموتى وبراء الاكهم
والايرص وغير ذلك وباقي الآية تكرر معناه * وقوله هذا صراط مستقيم حكاية
عن عيسى عليه السلام اذ اشار الى شرعه * وقوله سبحانه هل ينظرون يعنى

قريشا والمعنى ينتظرون وبغته معناه فجأة ثم وصف سبحانه بعض حال
القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وذلك لهول مطلقها والخوف
المطيف بالناس فيها يتعادي ويتباغض كل خليل كان في الدنيا على غير تقي لانه
يرى ان الضرر دخل عليه من قبل خليله واما المتقون فيرون ان النفع دخل من
بعضهم على بعض هذا معنى كلام علي رضي الله عنه وخرج البزار عن ابن
عباس قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزادكم
في علمكم منطقه وذكركم بالله عمله اه فمن مثل هؤلاء تصلح الاخوة الحقيقية والله
المستعان ومن كلام الشيخ ابي مدين رضي الله عنه دليل تخليطك صحبتك
للمخطئين * ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين * وقال ابن عطاء الله في
التنوير قل ما تصفوك الطاعات * او تسلم من المخالفات * مع الدخول في
الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد * ومخالطة اهل الغفلة والبعاد * واكثر
ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين * واكثر ما يدخلك في الذنب رؤية
المذنبين * كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احداكم من يخالل
والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة
لها على وجود الغفلة انتهى وفي الحكم الفارقة من ناسب شيئا انجذب اليه *
وظهر وصفه عليه * وفي سماع العتبة قال مالك لا تصحب فاجرا ليلا تتعلم
من فجوره قال ابن رشد لا ينبغي ان يصحب الا من يقتدى به في دينه وخيره
لان قرين السوء يردى قال الحكيم

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردي فتدري مع الردى
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
انتهى (ت) وحديث المرء على دين خليله اخرجه ابو داود وابو بكر بن الخطيب
وغيرهما وفي الموطأ من حديث معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتبازلين في والمتزاوين في قال ابو عمر اسناده صحيح عن ابى ادريس الحولاني عن معاذ وقد رواه جماعة عن معاذ ثم اسند ابو عمر من طريق ابى مسلم الحولاني عن معاذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله قال ابو مسلم فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ فقال وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه قال حقت محبتي على المتحابين في وحقت محبتي على المتزاوين في وحقت محبتي على المتبازلين في والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله انتهى من التمهيد * وقوله تعالى يا عبادى المعنى يقال لهم اى للمتقين وذكر الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال سمعت ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا فرع فينادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتمبها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فيياس منها جميع الكفار * وقوله الذين آمنوا نفت للعباد وتحبرون معناه تنعمون وتسرون والحبرة السرور والاكواب ضرب من الاوانى كالاباريق الا انها لا آذان لها ولا مقابض * وقوله تعالى ان المجرمين يعنى الكفار والمبلس المبعد اليأس من الخير قاله قتادة وغيره وقولهم ليقض علينا ربك اى ليمتنا ربك فنستريح فالقضاء في هذه الآية الموت كما في قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وروي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس ان مالكا يقيم بعد سؤالهم الف سنة ثم حينئذ يقول لهم انكم ما كنون * وقوله سبحانه لقد جئناكم بمحكم يحتمل ان يكون من تمام قول مالك لهم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى لقريش فيكون فيه تخويف فصيح بمعنى انظروا كيف يكون حالكم * وقوله تعالى ام ابرموا امرا اى احكموا

امرا في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا في نصره ومجازاتهم والمراد بالرسول هنا الحفظة من الملائكة يكتبون اعمال العباد وتمدد للجزاء يوم القيامة واختلف في قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فقال مجاهد المعنى ان كان لله ولد في قولكم فانا اول من عبد الله ووحده وكذبكم وقال ابن زيد وغيره ان نافية بمعنى ما فكانه قال قل ما كان للرحمن ولد وهنا هو الوقف على هذا التاويل ثم يبتدئ قوله فانا اول العابدين قال ابو حاتم قالت فرقة العابدون في الآية من عبد الرجل اذا انف وانكر والمعنى ان كان للرحمن ولد في قولكم فانا اول الاتنفين المنكرين لذلك وقرأ ابو عبد الرحمن فانا اول العابدين قال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدني حتى اي جحدني وباقي الآية تنزيه لله سبحانه ووعد للكافرين ويومهم الذي يوعدون هو يوم القيامة هذا قول الجمهور وقال عكرمة وغيره هو يوم بدر * وقوله جلت عظمتة وهو الذي في السماء اله الآية اية تعظيم واخبار بالوهيته سبحانه اي هو النافذ امره في كل شيء وقرأ عمر بن الخطاب واي ابن مسعود وغيرهم وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله وباقي الآية بين ثم اعلم سبحانه ان من عبد من دون الله لا يملك شفاعة يوم القيامة الا من شهد بالحق وهم الملائكة وعيسى وعزير فانهم يملكون الشفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه فالاستثناء على هذا التاويل متصل وهو تاويل قتادة وقال مجاهد وغيره الاستثناء في المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هؤلاء الملائكة وعيسى وعزير الا فيمن شهد بالحق اي بالتوحيد فتامن على علم وبصيرة فالاستثناء على هذا التاويل منفصل كانه قال لكن من شهد بالحق فيشفع فيهم هؤلاء والتاويل الاول اصوب وقرأ الجمهور وقيله بالنصب وهو مصدر كالقول والضمير فيه لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم واختلف في الناصب له فقالت فرقة هو معطوف على قوله سرهم ونجواهم ولفظ البخاري وقيله يارب تفسيره يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب انتهى وقيل العامل فيه يكتبون ونزل قوله تعالى وقيله يا رب بمنزلة شكوى محمد عليه السلام واستغاثته من كفرهم وعتوهم وقرأ حمزة وعاصم وقيله بالحفض عطفًا على الساعة * وقوله سبحانه فاصفح عنهم موادة منسوخة وقل سلام تقديره امرى سلام اي مسالمة فسوف تعلمون

﴿ تفسير سورة الدخان وهي مكيتة ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة الآية قوله والكتاب المبين قسم اقسام الله تعالى به وقوله انا انزلناه يحتمل ان يقع القسم عليه ويحتمل ان يكون وصفا للكتاب ويكون الذى وقع القسم عليه انا كنا منذرين واختلف في تعيين الليلة المباركة فقال قتادة والحسن وابن زيد هي ليلة القدر ومعنى هذا النزول ان ابتداء نزوله كان في ليلة القدر وهذا قول الجمهور وقال عكرمة الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان قال القرطبي والصحيح ان الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة انتهى من التذكرة ونحوه لابن العربي * وقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم معناه يفصل من غيره ويتخلص فعن عكرمة ان الله تعالى يفصل ذلك للملائكة في ليلة النصف من شعبان وفي بعض الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له
ولقد خرج اسمه في الموتى وقال قتادة والحسن ومجاهد يفصل في ليلة القدر
كل ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق والآجال وغير ذلك وامرا نصب
على المصدر * وقوله انا كنا مرسلين يحتمل ان يريد الرسل والاشياء ويحتمل
ان يريد الرحمة التي ذكر بعد واختلف الناس في الدخان الذي امر الله تعالى
بارتقابه فقالت فرقة منها علي وابن عباس وابن عمر والحسن بن ابي الحسن
وابو سعيد الخدري هو دخان يحيي قبل يوم القيامة يصيب المومن منه مثل
الزكام وينضح رءوس المنافقين والكافرين حتى تكون كأنها مصنية حنيذة وقالت
فرقة منها ابن مسعود هذا الدخان قدراته قريش حين دعا عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم بسبع كسبع يوسف فكان الرجل يرى من الجوع دخانا بينه وبين
السماء وما ياتي من الآيات يؤيد هذا التاويل وقولهم انا مومنون كان ذلك
منهم من غير حقيقة ثم قال تعالى اني لهم الذكري اي من اين لهم التذكير
والاتباع بعد حلول المذاب وقد جاءهم رسول مبين يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم فتولوا عنه اي عرضوا وقالوا معلم مجنون * وقوله انكم عاندون اي
الى الكفر واختلف في يوم البطشة الكبرى فقالت فرقة هو يوم القيامة وقال
ابن مسعود وغيره هو يوم بدر * وقوله ان ادوا ماخوذ من الاداء كأنه يقول
ان ادفعوا الي واعطوني ومكنوني من بني اسرائيل واياهم اراد بقوله عباد الله
وقال ابن عباس المعنى اتبعوني الى ما ادعوكم اليه من الحق فعباد الله على هذا
منادى مضاف والمؤدى هي الطاعة والظاهر من شرع موسى عليه السلام انه
بعث الى دعاء فرعون الى الايمان وان يرسل بني اسرائيل فلما ابى ان يومن
ثبتت المكافئة في ان يرسل بني اسرائيل وقوله بعد وان لم تومنوا لي فاعتزلون
كالنص في انه اخر الامر انما يطلب ارسال بني اسرائيل فقط * وقوله وان لا تعلموا

على الله الآية المعنى كانت رسالته وقوله ان ادوا وان لا تعلموا على الله اي على شرع الله وعبر بالعلو عن الطغيان والعنوان ترجمون معناه الرجم بالحجارة المؤدى الى القتل قاله قتادة وغيره وقيل اراد الرجم بالقول والاول اظهر لانه الذى عاذ منه ولم يعذ من الآخر (ت) وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيدوه ومن سألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فاجبروه ومن اتى اليكم بمعروف فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه رواه ابو داود والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما واللفظ للنسائي وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلم اه من السلاح * وقوله فاعتزلون متاركة صريحة قال قتادة اراد خلوا سبيلى * وقوله فدعا ربه قبله محذوف تقديره فما اجابوه لما طلب منهم * وقوله فاسر قبله محذوف اي قال الله له فاسر بعبادى قال ابن العربي فى احكامه السرى سير الليل والادلاج سير السحر والتاويب سير النهار ويقال سرى واسرى انتهى واختلف فى قوله تعالى واترك البحر رهوا متى قالها لموسى فقالت فرقة هو كلام متصل بما قبله وقال قتادة وغيره خوطب به بعد ما جاز البحر وذلك انه هم ان يضرب البحر ليلتهم خشية ان يدخل فرعون وجنوده وراءه ورهوا معناه ساكننا كما جزته قاله ابن عباس وهذا القول هو الذى تؤيده اللغة ومنه قول القطامي

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل ومنه * وامة خرجت رهوا الى عيد * اي خرجوا فى سكون وتمهل فليل لموسى عليه السلام اترك البحر ساكننا على حاله من الانفراق ليقضى الله امرا كان مفعولا * وقوله تعالى كم تركوا كم للتكثير اي كم ترك هؤلاء المغفرون من كثرة الجنات والعيون فروي ان الجنات كانت متصلة ضفتي النيل جميعا من رشيد الى أسوان واما العيون فيحتمل انه اراد الخليجان فشبهها بالعيون ويحتمل انها

كانت ونضبت ذكر الطرطوشي في سراج الملوك له قال قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فنظر الى دير هناك قديم حسن البناء بين مزارع واشجار فدخله فبينما هو يطوف به اذ بصر برقعة قد الصقت في صدره فامر بقلعها فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا * تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس * ولم تبختر في قبابك حور
وابناء املاك غواشم سادة * صغيرهمو عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعموابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يادير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة * وانت طروب والزمان غرير
ورضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الفيث صوب سحاب * عليك لها بمد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فمزيت نفسى وهي نفس اذا جرى * لها ذكر قومي انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم * لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور
فلما قرأها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فسأله عن كتبها فقال لاعلم
لى به وانصرف انتهى وفي هذا وشبهه عبرة لاولى البصائر المستيقظين اللهم
| لا تجعلنا ممن اغتر بزخارف هذه الدار

الا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
وقرأ جمهور الناس ومقام بفتح الميم قال ابن عباس وغيره اراد المتأثر وعلى قراءة
ضم الميم قال قتادة اراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها والقول بالمنابر
بعيد جدا والنعمة بفتح النون غضارة العيش ولذاذة الحياة والنعمة بكسر
النون اعم من هذا كله وقد تكون الامراض والمصائب نعمة ولا يقال فيها نعمة
بالفتح وقرأ الجمهور فاكهين ومعناه فرحين مسرورين كذلك واورثناها قوما
آخرين اي بعد القبط وقال قتادة هم بنو اسرائيل وفيه ضعف وقد ذكر
الثعلبي عن الحسن ان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون واختلف
المأولون في معنى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض فقال ابن عباس
 وغيره وذلك ان الرجل المومن اذا مات بكى عليه من الارض موضع عباداته
اربعين صباحا وبكى عليه من السماء موضع صعود عمله قالوا ولم يكن في قوم
فرعون من هذه حاله فتبكي عليهم السماء والارض قال (ع) والمعنى الجيد في
الآية انها استعارة فصيحة تتضمن تحقير امرهم وانه لم يتغير لاجل هلاكهم
شيء ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عزرا وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما مات مومن في غربة غابت عنه فيها بواكيه
الابكت عليه السماء والارض ثم قرأ هذه الآية وقال انهما لا يبكيان على كافر
قال الداودي وعن مجاهد ما مات مومن الابكت عليه السماء والارض وقال
افى هذا عجب وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما
للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل انتهى
وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا الاوزاعي قال حدثني عطاء الخراساني قال ما
من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت
عليه يوم يموت انتهى وروى ابن المبارك ايضا عن ابي عبيد صاحب سليمان ان

العبد المؤمن اذا مات تنادت بقاع الارض عبد الله المؤمن مات فتبكي عليه السماء والارض فيقول الرحمن تبارك وتعالى ما يبكيكما على عبدى فيقولان يا ربنا لم يمش على ناحية من اقط الا وهو يذكرنا به ومنظرين اى مؤخرين والعذاب المهيمن هو ذبح الابناء والتسخير وغير ذلك * وقوله على علم اى على شي: قد سبق عندنا فيهم وثبت فى علمنا انه سينفذ ويحتمل ان يكون معناه على علم لهم وفضائل فيهم على العالمين اى عالمى زمانهم بدليل ان امة محمد خير امة اخرجت للناس واثناهم من الآيات لفظ جامع لما اجرى الله من الآيات على يدي موسى ولما انعم به على بنى اسرائيل والبلاء فى هذا الموضع الاختبار والامتحان كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الآية ومبين بمعنى بين ثم ذكر تعالى قريشا على جهة الانكار لقولهم وانكارهم للبعث فقال ان هؤلاء يقولون ان هي اى ما هي الاموتتنا الاولى وما نحن بمنشرين اى بمبعوثين وقول قريش فاتوا بابائنا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم طلبوا منه ان يجيى الله لهم بعض ابائهم وسموا له قصيا وغيره كي يستلوهم عما راوا فى اخرتهم * وقوله سبحانه اهم خير ام قوم تبع الآية اية تقرير ووعد وتبع ملك حميري وكان يقال لكل ملك منهم تبع الا ان المشار اليه فى هذه الآية رجل صالح روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق سهل بن سعد ان تبعا هذا اسلم وامن بالله وقد ذكره ابن اسحاق فى السيرة قال السهيلي وبعد ما غزا تبس المدينة واراد خرابها اخبر بانها مهاجرة نبي اسمه احمد فانصرف عنها وقال فيه شعرا واودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كبرا عن كبر الى ان هاجر اليهم النبي عليه السلام فادوه اليه ويقال ان الكتاب والشركا عند ابي ايوب الانصاري ومنه

شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلوئمد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج وابن ابى الدنيا انه حفر قبر بصنماء فى الاسلام فوجد فيه امرأتان
صحيحتان وعند رأسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حُببى وَلَيْسَ
ويروى وتماضر ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا اله الا الله ولا تشركان به شيئاً
وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما انتهى ويوم الفصل هو يوم القيامة وهذا هو
الاخبار بالبعث والمولى فى هذه الآية يعم جميع الموالى * وقوله سبحانه ان
شجرت الزقوم طعام الاثيم روي عن ابن زيد ان الاثيم المشار اليه ابو جهل ثم
هي بالمعنى تتناول كل اثم وهو كل فاجر روي انها لما نزلت جمع ابو جهل
عجوة وزبدا وقال لاصحابه ترقوا فهذا هو الزقوم وهو طعامى الذى حدث به
محمد قال (ع) وانما قصد بذلك ضرباً من المغالطة والتلبيس على الجهلة *
وقوله سبحانه كالمهل قال ابن عباس وابن عمر المهل دُرْدِي الزيت وعُكْرَه وقال
ابن مسعود وغيره المهل ما ذاب من ذهب او فضة والمعنى ان هذه الشجرة اذا
طعمها الكافر فى جهنم صارت فى جوفه تفعل كما يفعل المهل المذاب من الاحراق
والافساد والحميم الماء السخن الذى يتطاير من غليانه * وقوله خذوه الآية
اي يقال يومئذ للملائكة خذوه يعنى الاثيم فاعتلوه والقتل السوق بعنف واهانة
ودفع قوي متصل كما يساق ابداً مرتكب الجرائم والسواء الوسط وقيل المعظم
وذلك متلازم * وقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم مخاطبة على معنى
التقريع * وقوله سبحانه ان هذا ما كنتم به تمترون عبارة عن قول يقال
للكفرة ثم ذكر تعالى حالة المتقين فقال ان المتقين فى مقام امين اي مامون
والسندس رقيق الحرير والاستبرق خشنه * وقوله متقابلين وصف لمجالس
اهل الجنة لان بعضهم لا يستدير بمضا فى المجالس وقرأ الجمهور وزوجناهم بحور
عين وقرأ ابن مسعود بعيس عين وهو جمع عيساء وهي البيضاء وكذلك هي
من النوق وروى ابو قرصافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخراج

القائمة من المسجد مهوور الحور العين قال الشعبي قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كعب احدهن كالمرآة من رقعة الجلد وصفاء اللون انتهى * وقوله سبحانه يدعون فيها بكل فاكهة اي يدعون الخدمة والمتصرفين قال ابو حيان الا الموتة استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها انتهى والضمير في يسرناه عائد على القراء ان بلسانك اي بلغة العرب قال الواحدي لعلمهم يتذكرون اي يعظون انتهى وفي قوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد للكافرين

تفسير سورة الجاثية وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين قال ابو حيان اجاز الفخر الرازي في العزيز الحكيم ان يكونا صفتين لله وهو الراجح او للكتاب ورد بانه لا يجوز ان يكونا صفتين للكتاب من وجوه انتهى وذكر تبارك وتعالى هنا الآيات التي في السموات والارض مجملة غير مفصلة فكانها احالة على غوامض تثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع فلذلك جعلها للمومنين ثم ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان وكأنه اغمض فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين ثم ذكر اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح فجعل ذلك لقوم يعقلون اذ كل عاقل يحصل هذه

ويفهم قدرها قال (ع) وان كان هذا النظر ليس بلازم ولا بد فان اللفظ
يعطيه والرزق المنزل من السماء هو الماء وسماه الله سبحانه رزقا بمثاله لان
جميع ما يرتق فغن الماء هو * وقوله نتلوها عليك بالحق اي بالصدق والاعلام
بحقائق الامور في انفسها * وقال جلت عظمتة فأي حديث بعد الله وآياته
يومنون آية تقريع وتوبيخ وفيها قوة تهديد والافاك الكذاب الذي يقع منه
الافك مرارا والاثيم بناء مبالغة اسم فاعل من اثم يأثم وروي ان سبب الآية
ابو جهل وقيل النضر بن الحارث والصواب انها عامة فيهما وفي غيرها وانها تعم
كل من دخل تحت الاوصاف المذكورة الى يوم القيامة ويصر معناه يثبت على
عقيدته من الكفر * وقوله فبشره بعذاب اليم اي مولم * وقوله تعالى واذا
علم من آياتنا شيئا اي اخبر بشيء من آياتنا فلم نفس الخبر لا المعنى الذي
تضمنه الخبر ولو علم المعاني التي تضمنها اخبار الشرع وعرف حقائقها لكان
مومنا (ت) وفي هذا نظر لانه ينحو الى القول بان الكفر لا يتصور عنادا محضا
وقد تقدم اختياره رحمه الله لذلك في غير هذا المحل فقف عليه وخشية
الاطالة منعتني من تكراره هنا * وقوله سبحانه هذا هدى اشارة الى القرآن *
وقوله لهم عذاب بمنزلة قولك لهم حظ فمن هذه الجهة ومن جهة تغاير اللفظين
حسن قوله عذاب من رجز اذ الرجز هو العذاب * وقوله لتجري الفلك فيه بامره
اقام القدرة والاذن مناب ان يامر البحر والناس بذلك وقرأ مسلمة بن محارب
جميعا منه بضم التاء وقرأ ايضا جميعا منه بفتح الميم وشد النون والماء وقرأ ابن
عباس منه بالنصب على المصدر * وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
قال الغزالي في الاحياء الفكر والذكر اعلى مقامات الصالحين وقال رحمه الله اعلم ان
الناظرين بانوار البصيرة علموا ان لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى
اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا به وان المحبة والانس لا يتحصلان

الا بدوام ذكر المحبوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر ولن تيسر دوام الذكر
 والفكر الا بدواع الدنيا وشهواتها والاجترأ منها بقدر البلغة والضرورة ثم قال والقرآن
 جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبير انتهى * وقوله تعالى قل
 للذين آمنوا يغفروا الآية قال اكثر الناس هذه الآية منسوخة بآية القتال
 وقالت فرقة بل هي محكمة قال (ع) الآية تتضمن الغفران عموما فينبغي ان يقال
 ان الامور العظام كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك قد نسخت غفرانه آية السيف
 والجزية وما احكمه الشرع لاحالة وان الامور الحقة كالجفاء في القول ونحو
 ذلك تحتمل ان تبقى محكمة وان يكون العفو عنها اقرب الى التقوى * وقوله
 ايام الله قالت فرقة معناه ايام انعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك وقال
 مجاهد ايام الله ايام نقمه وعذابه وباقي الآية بين * وقوله سبحانه فما اختلفوا
 الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الآية قد تقدم بيان نظيرها في سورة
 يونس وغيرها * وقوله سبحانه ثم جعلناك على شريعة من الامر الآية الشريعة
 لغة مورد المياه وهي في الدين من ذلك لان الناس يردون الدين ابتغاء رحمة
 الله والتقرب منه والامر واحد والامور ويحتمل ان يكون واحد الامر والذين
 لا يعلمون هم الكفار وفي قوله تعالى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي
 المتقين تحقير للكفرة من حيث خروجهم عن ولاية الله تعالى (ت) وقد قال صلى الله
 عليه وسلم يوم احد اجيبوهم فقولوا الله مولانا ولا مولى لكم وذلك ان قريشا
 قالوا للصحابه لنا العزى ولا عزى لكم * وقوله عز وجل هذا بصائر للناس يريد
 القرآن وهو جمع بصيرة وهو المعتقد الوثيق في الشيء كانه من ابصار القلب
 قال ابو حيان وقرئ هذه اي هذه الآيات انتهى * وقوله سبحانه ام حسب
 الذين اجترحوا السيئات قيل ان الآية نزلت بسبب افتخار كان للكفار على
 المؤمنين قالوا لئن كانت آخرة كما ترغمون لنفضلن عليكم فيها كما فضلنا في الدنيا

واجترحوا معناه اكتسبوا وهذه الآية متناولة بلفظها حال العصاة من حال اهل التقوى وهي موقف للعارفين يبكون عنده وروي عن الربيع بن خيثم انه كان يردد ها ليلة حتى اصبح وكذلك عن الفضيل بن عياض وكان يقول لنفسه ليت شعري من اي الفريقين انت وقال الثعلبي كانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين قال (ع) واما لفظها فيعطى انه اجترح الكفر بدليل معادلته بالايان ويحتمل ان تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الحائفون رضي الله عنهم (ت) وروى ابن المبارك في رقايقه بسنده ان تيمما الداري رضي الله عنه بات ليلة الى الصباح يركع ويسجد ويردد هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية ويبكي رضي الله عنه انتهى * وقوله ساء ما يحكمون ما مصدرية والتقدير ساء الحكم حكمهم * وقوله سبحانه افرأيت من اتخذ الهه هواه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تهتم بامر الكفرة من اجل اعراضهم عن الايمان وقوله الهه هواه اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهونون من الحجارة وقال قتادة المعنى لا يهوى شيئاً الا ركه لا يخاف الله فهذا كما يقال الهوى اله معبود وهذه الآية وان كانت نزلت في هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز مع اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال سهل التستري هواك داؤك * فان خالفته فدواؤك * وقال وهب اذا عرض لك امران وشككت في خيرها فانظر ابعدهما من هواك فاته ومن الحكمة في هذا قول القائل

اذا انت لم تعص الهوى قاذك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال
قال الشيخ ابن ابي جرة قوله صلى الله عليه وسلم فيقال من كان يعبد شيئاً فليتبعه شيئاً يعم جميع الاشياء مدركة كانت او غير مدركة فالمدرک كالشمس

والقمر وغير المدرك مثل الملائكة والهوى لقوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه وما اشبه ذلك انتهى قال القشيري في رسالته وحكي عن ابي عمران الواسطي قال انكسرت بنا السفينة فبقيت انا وامراتي على لوح وقد ولدت في تلك الحال صبية فصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت هوذا يرى حالنا فرفعت رأسي فاذا رجل في الهواء جالس في يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر فقال هاك اشربا قال فاخذت الكوز فشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك وابرء من الثلج واحلى من العسل فقلت من انت رحمك الله فقال عبد لمولاك فقلت له بم وصلت الى هذا فقال تركت هواي لمرضاته فاجلسني في الهواء ثم غاب عني ولم اره انتهى * وقوله تعالى على علم قال ابن عباس المعنى على علم من الله تعالى سابق وقالت فرقة اي على علم من هذا الضال بتركه للحق واعراضه عنه فتكون الآية على هذا التاويل من آيات العناد من نحو قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم * وقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة استعارات كلها * وقوله من بعد الله فيه حذف مضاف تقديره من بعد اضلال الله اياه واختلف في معنى قولهم نموت ونحيى فقالت فرقة المعنى يموت الآباء ويحيى الإبناء وقالت فرقة المعنى نحيى ونموت فوقع في اللفظ تقديم وتأخير وقولهم وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان * وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات يعني قريشا ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بآبائنا اي يا محمد احى لنا قصيا حتى نسأله الى غير ذلك من هذا النحو فنزلت الآية في ذلك ومعنى ان كنتم صادقين اي في قولكم انا نبعث بعد الموت ثم امر الله تعالى نبيه ان يخبرهم بالحال السابقة في علم الله التي لا تبدل بانه يحيى الخلق ثم يميتهم الى آخر الآية وباقي الآية بين والمبطلون الداخلون في الباطل * وقوله سبحانه وترى كل امة جاثية هذا وصف حال

القيامة وهولها والامة الجماعة العظيمة من الناس وقال مجاهد الامة الواحد من الناس قال (ع) وهذا قلق في اللغة وان قيل في ابراهيم امة وفي قس بن ساعدة فذلك تجوز على جهة التشريف والتشبيه وجائية معناه على الركب قاله مجاهد وغيره وهي هيئة المذنب الخائف وقال سلمان في القيامة ساعة قدر عشر سنين ينخر الجميع فيها جثاة على الركب * وقوله كل امة تدعى الى كتابها قالت فرقة معناه الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته وقالت فرقة اراد الى كتابها الذي كتبه الحفظة على كل واحد من الامة * وقوله سبحانه هذا كتابنا يحتمل ان تكون الاشارة الى الكتب المنزلة اولى اللوح المحفوظ اولى كتب الحفظة وقال ابن قتيبة الى القرءان * وقوله سبحانه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال الحسن هو كتب الحفظة على بنى ادم وروى ابن عباس وغيره حديثا ان الله يامر بمرض اعمال العباد كل يوم خميس فينقل من الصحف التي كانت ترفع الحفظة كل ما هو معد ان يكون عليه ثواب او عقاب ويلينى الباقي فهذا هو النسخ من اصل * وقوله عز وجل فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته واما الذين كفروا افلم تكن اي فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم وقرأ حمزة وحده والساعة بالنصب عطفا على قوله وعد الله وقرأ ابن مسعود وان الساعة لاريب فيها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وبدا لهم سيئات ما عملوا الآية حكاية حال يوم القيامة وحق معناه نزل واحاط وهي مستعملة في المكروه وفي قوله ما كانوا حذف مضاف تقديره جزاء ما كانوا به يستهزون * وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم معناه نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا و آيات الله هنا لفظ جامع لآيات القرءان وللادلة التي نصبها الله تعالى للنظر ولاهم يستعقبون اي لا يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح * وقوله سبحانه فله الحمد رب السموات ورب الارض الى اخر

السورة تحميد لله عز وجل وتحقيق لالوهيته وفي ذلك كسر لامر الاصنام وسائر ما تعبد به الكفرة والكبرياء بناء مبالغة

﴿ تفسير سورة الاحقاف وهي مكيتة ﴾

الايتين وهما قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية وقوله سبحانه فاصبر كما صبر اولوا العزم الآية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه حم تنزيل الكتاب يعني القرآن * وقوله سبحانه ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون هذه الآية موعظة وزجر المعنى فانتبهوا ايها الناس وانظروا ما يراد بكم ولم خلقتم والاجل المسمى هو يوم القيامة * وقوله قل ارايتم ما تدعون معناه ما تمبدون ثم وقفهم على السموات هل لهم فيها شرك ثم استدعى منهم كتابا منزلا قبل القرآن يتضمن عبادة الاصنام قال ابن العربي في احكامه هذه الآية من اشرف آية في القرآن فانها استوفت الدلالة على الشرائع عقليها وسمعيها لقوله عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات فهذا بيان لادلة العقل المتعلقة بالتوحيد وحدوث العالم وانفراد الباري تعالى بالقدرة والعلم والوجود والخلق ثم قال ايتوني بكتاب من قبل هذا على ما تقولون وهذا بيان لادلة السمع فان مدرك الحق انما يكون بدليل العقل او بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الادلة في كتب

الاصول ثم قال او اثاره من علم يعنى او علم يورث اي يروى وينقل وان لم يكن مكتوبا انتهى * وقوله او اثاره معناه او بقية قديمة من علم احد العلماء تقتضى عبادة الاصنام والاثارة البقية من الشئ وقال الحسن المعنى من علم تستخرجونه فتثرونه وقال مجاهد المعنى هل من احد ياثر علما فى ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

ان الذى فيه تمارىتا * بين للسامع والآثر

اي وللمسند عن غيره وقال ابن عباس الاثارة الخط فى التراب وذلك شئ كانت العرب تفعله والضمير فى قوله وهم عن دعائهم غافلون هو للاصنام فى قول جماعة ويحتمل ان يكون لعبدتها * وقوله سبحانه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وصف ما يكون يوم القيامة بين الكفار واصنامهم من التبرى والمناكرة وقد بين ذلك فى غير هذه الآية * واذا تتلى عليهم اياتنا اى ايات القرآن قال الذين كفروا للحق يعنى القرآن هذا سحر مبين اي يفرق بين المرء وبنيه * وقوله سبحانه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيا المعنى ان افتريته فالله حسبي فى ذلك وهو كان يعاقبنى ولا يمهلىنى ثم رجع القول الى الاستسلام الى الله والاستنصار به عليهم وانتظار ما يقتضيه علمه بما يفيضون فيه من الباطل ومرادة الحق وذلك يقتضى معاقبتهم فى اللفظ تهديد والضمير فى به عائد على الله عز وجل * وقوله سبحانه وهو الغفور الرحيم ترجية واستدعاء الى التوبة ثم امره عز وجل ان يحتج عليهم بانه لم يكن بدعا من الرسل والبدع والبديع من الاشياء ما لم ير مثله المعنى قد جاء قبلى غيرى قاله ابن عباس وغيره (ت) ولفظ البخاري وقال ابن عباس بدعا من الرسل اي لست باول الرسل واختلف الناس فى قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فقال ابن عباس وجماعة كان هذا فى صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله عز وجل بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبان

المؤمنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنة وبان الكافرين في نار جهنم والحدث الصحيح الذى وقع في جنازة عثمان بن مظعون يؤيد هذا وقالت فرقة معنى الآية وما ادرى ما يفضل بي ولا بكم من الاوامر والنواهي وقيل غير هذا * وقوله ان اتبع الاما يوحى الي معناه الاستسلام والتبرى من علم المغيبات والوقوف مع النذارة من عذاب الله عز وجل * وقوله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل الآية جواب هذا التوقيف محذوف تقديره اليس قد ظلمتم ودل على هذا المقدر قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال مجاهد وغيره هذه الآية مدنية والشاهد عبد الله بن سلام وقد قال عبد الله بن سلام في نزلت وقال مسروق بن الاجدع والجمهور الشاهد موسى بن عمران عليه السلام والآية مكية ورجحه الطبري * وقوله على مثله يريد بالمثل التوراة والضمير عائذ في هذا التأويل على القرآن اى جاء شاهد من بنى اسرائيل بمثله انه من عند الله سبحانه * وقوله فامن على هذا التأويل يعنى به تصديق موسى وتبشيريه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه ومن قبله اى من قبل القرآن كتاب موسى يعنى التوراة وهذا كتاب يعنى القرآن مصدق للتوراة التى تضمنت خبره وفي مصحف ابن مسعود مصدق لما بين يديه والذين ظلمواهم الكفار وعبر عن المؤمنين بالمحسنين ليناسب لفظ الاحسان في مقابلة الظلم ثم اخبر تعالى عن حسن حال المستقيمين وذهب كثير من الناس الى ان المعنى ثم استقاموا بالطاعات والاعمال الصالحات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه المعنى ثم استقاموا بالدوام على الايمان قال (ع) وهذا اعم رجاء واوسع وان كان في الجملة المومنة من يعذب وينفذ عليه الوعيد فهو ممن يخلد في الجنة وينتفى عنه الخوف والحزن الحال بالكفرة * وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون قد جعل الله سبحانه الاعمال امارات على ما

سيصير اليه العبد لانهما توجب على الله شيئاً * وقوله سبحانه ووصينا الانسان يريد النوع اي هكذا مضت شرائى وكتبى فهى وصية من الله فى عباده وبر الوالدين واجب وعقوقهما كبيرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين قال (ع) ولن يدعوا فى الغالب الا اذا ظلمهما الولد فهذا يدخل فى عموم قوله عليه السلام اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ثم عدد سبحانه على الابناء ممن الامهات * وقوله تعالى حملته امه كرها قال مجاهد والحسن وقتادة حملته مشقة ووضعت مشقة قال ابو حيان وحمله على حذف مضاف اي مدة حمله انتهى * وقوله ثلاثون شهرا يقتضى ان مدة الحمل والرضاع هي هذه المدة وفى البقرة والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل ما يرضع الطفل عام وتسعة اشهر واكمال الحولين هو لمن اراد ان يتم الرضاعة وهذا فى امد الحمل هو مذهب مالك وجماعة من الصحابة واقرى الاقوال فى بلوغ الاشد ستة وثلاثون سنة قال (ع) وانما ذكر تعالى الاربعين لانها حد للانسان فى فلاحه ونجاته وفى الحديث ان الشيطان يحرق يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب فيقول باى وجه لا يفلح (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب فى تاريخ بغداد بسنده المتصل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد اربعين سنة امنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة لما يجب فاذا بلغ سبعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فى اهل بيته وناداه مناد من السماء هذا اسير الله فى ارضه انتهى وهذا والله اعلم فى العبد المقبل على اخرفته المشتغل بطاعة ربه * وقوله رب اوزعني معناه ادفع عني الموانع واجرنى من

القواطع لاجل ان اشكر نعمتك ويحتمل ان يكون اوزعني بمعنى اجعل حظي ونصيبى وهذا من التوزيع (ت) وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمنى وعبارة الفخر قال ابن عباس اوزعني معناه الهمنى قال صاحب الصحاح استوزعت الله فاوزعنى اى استلهمته فالهمنى انتهى قال ابن عباس نعمتك فى التوحيد وصالحا ترضاه الصلوات والاصلاح فى الذرية كونهم اهل طاعة وخير وهذه الآية معناها ان هكذا ينبغى للانسان ان يكون فى وصية الله تعالى للانسان فى كل الشرائع وقول من قال انها فى ابى بكر وابويه ضعيف لان هذه الآية نزلت بمكة بلا خلاف وابو قحافة اسلم عام الفتح وفى قوله تعالى اولائك الذين يتقبل عنهم الآية دليل على ان الاشارة بقوله ووصينا الانسان انما اراد به الجنس * وقوله فى اصحاب الجنة يريد الذين سبقت لهم رحمة الله قال ابو حيان فى اصحاب الجنة قيل فى على بابها اى فى جملتهم كما تقول اكرمنى الامير فى ناس اى فى جملة من اكرم وقيل فى بمعنى مع انتهى * وقوله تعالى والذى قال لوالديه قال الثعلبي معناه اذ دعواه الى الايمان اف لكما الآية انتهى والذى يعنى به الجنس على حد العموم فى التى قبلها فى قوله ووصينا الانسان هذا قول الحسن وجماعة ويشبه ان لها سببا من رجل قال ذلك لابويه فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق وقد انكرت عائشة ان تكون الآية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر وقالت ما نزل فى ءال ابى بكر من القرءان غير براءتى (ت) ولا يعترض عليها بقوله تعالى ثاني اثنين ولا بقوله ولا ياتل اولوا الفضل كما بينا ذلك فى غير هذه الآية قال (ع) والاصوب ان تكون الآية عامة فى اهل هذه الصفات والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى اولائك الذين حق عليهم القول فى امم وكان عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه من افاضل الصحابة ومن ابطال المسلمين ومن له فى الاسلام غناء يوم اليمامة وغيره واف بالتنوين قراءة

نافع وغيره والتسوين في ذلك علامة تنكير كما تستطعم رجلا حديثا غير معين فتقول ايه منونة وان كان حديثا مشارا اليه قلت ايه بغير تنوين * وقوله التمداني ان اخرج المعنى ان اخرج من القبر الى الحشر وهذا منه استفهام بمعنى الهزء والاستبعاد وقد خلت القرون من قبلي معناه هلكت ومضت ولم يخرج منهم احدهما يستغيثان الله يعني الوالدين يقولان له ويلك * امن * وقوله ما هذا الاساطير الاولين اي ما هذا القول الذي يتضمن البعث من القبور الاشياء سطره الاولون في كتبهم يعني الشرائع وظاهر الفاظ هذه الآية انها نزلت في مشار اليه قال وقيل له فنعى الله الينا اقواله تحذيرا من الوقوع في مثلها * وقوله اولائك ظاهره انها اشارة الى جنس وحق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم قال ابو حيان في امم اي في جملة امم في على بابها وقيل في بمعنى مع وقد تقدم ذلك انتهى * وقوله قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقتضى ان الجن يموتون وهكذا فهم الآية قتادة وقد جاء حديث يقتضى ذلك * وقوله سبحانه ولكل درجات يعنى المحسنين والمسيئين قال ابن زيد ودرجات المحسنين تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا وباقي الآية بين في ان كل امرئ يجتنى ثمرة عمله من خير او شر ولا يظلم في مجازاته * وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار الآية المعنى واذا ذكر يوم يعرض وهذا العرض هو بالمباشرة اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا والطيبات هنا الملاذ وهذه الآية وان كانت في الكفار فهي رادعة لاولى النهي من المؤمنين عن الشهوات واستعمال الطيبات ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه اتظنون انا لانعرف طيب الطعام ذلك لباب البر بصغار المعزى ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم انهم اذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ذكر هذا في كلامه مع الربيع بن زياد وقال ايضا نحو هذا الخالد بن الوليد حين دخل الشام فقدم اليه

طعام طيب فقال عمر هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من
خبز الشعير فقال خالد لهم الجنة فيكي عمر وقال لئن كان حظنا في الحطام
وذهبوا بالجنة فقد بانوا بونا بعيدا وقال جابر بن عبد الله اشتريت لحما بدرهم
فرواني عمر فقال او كلما اشتهى احدكم شيئا اشتراه فاكله اما تخشى ان تكون
من اهل هذه الآية وتلا اذهبتم طيباتكم (ت) والا تآثر في هذا المعنى كثيرة
جدا فمنها ما رواه ابو داود في سننه عن عبد الله بن بريدة ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم رحل الى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال
اما اني لم اأتك زائرا ولكن سمعت انا وانت حديثا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجوت ان يكون عندك منه علم قال ما هو قال كذا وكذا قال فمالى
اراك شعئا وانت امير الارض قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى
عن كثير من الارفاه قال فمالى لا ارى عليك حذاء قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرنا ان نحتفي احيانا وروى ابو داود عن ابي امامة قال ذكر اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان
قال ابو داود يعنى التقحل وفسر ابو عمر بن عبد البر البذاذة برث الهيئة ذكر
ذلك في التمهيد وكذلك فسرهما غيره انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه من
طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج في اصحابه الى بقيع الفرقد
فقال السلام عليكم يا اهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم
ثم اقبل على اصحابه فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله اخواننا اسلمنا كما
اسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا واتوا على اجالهم فمضوا فيها
وبقينا في اجالنا فما يجعلهم خيرا منا قال هؤلاء خرجوا من الدنيا لم ياكلوا من
اجورهم شيئا وخرجوا وانا الشهيد عليهم وانكم قد اكلتم من اجوركم ولا ادري ما

تحدثون من بعدى قال فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها وقالوا انا لمحاسيون بما اصبنا من الدنيا وانه لمتنقص به من اجورنا انتهى ومنها حديث ثوبان في سنن ابى داود قال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر كان اخر عهده بانسان من اهله فاطمة واول من يدخل عليها فاطمة فقدم من غزاة وقد علفت مسحا او سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قُلبين من فضة فلم يدخل فظنت انما منعه ان يدخل ما رأى فهتكت الستر وفكت القليلين عن الصبيين وقطعتهما عنهما فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكيان فاخذهما منهما وقال يا ثوبان اذهب بهما الى ال فلان ان هؤلاء اهلى اكره ان ياكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا يا ثوبان اشترى لفاطمة قلادة من عَصْب وسوارين من عاج انتهى (ص) قرأ الجمهور اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم طيباتكم وابن كثير بهمزة بعدها مدة مطولة وابن عامر بهمزيين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير في رواية والاستفهام هنا على معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر فى المعنى ولهذا حسنت الفاء فى قوله فالיום ولو كان استفهاما محضا لما دخلت الفاء انتهى وعذاب الهون هو الذى اقترن به هوان فالهون والهوان بمعنى ثم امر تعالى نبيه بذكر هود وقومه عاد على جهة المثال لقريش وقد تقدم قصص عاد مستوفى فى سورة الاعراف فلينظر هناك والصحيح من الاقوال ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد والاحقاف جمع حقف وهو الجبل المستطيل الموعج من الرمل * وقوله سبحانه وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الاتقيدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم خلت معناه مضت الى الارض الحلاء والنذر جمع نذير وقولهم لتافكنا معناه لتصرفنا وقولهم فاتنا بما تعدنا تصميم منهم على التكذيب وتعجيزه فى زعمهم * وقوله سبحانه قال انما العلم عند الله الآية المعنى قال لهم هود ان هذا الوعيد ليس من قبلى

وانما الامر فيه الى الله وعلم وقته عنده وانما علي ان ابلغ فقط والضمير في رأوه
يحتمل ان يعود على العذاب ويحتمل ان يعود على الشيء المرءي الطالع عليهم
وهو الذي فسرله قوله عارضا والعارض هو ما يعرض في الجو من السحاب
المطر قال ابن العربي في احكامه عند تفسيره قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض في السماء من السحاب عارض
لانه منع من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب انتهى وروي في معنى قوله
مستقبل اوديتهم ان هؤلاء القوم كانوا قد قحطوا مدة فطلع هذا العارض من
جهة كانوا يمحطون بها ابداء جاءهم من قبل واد لهم يسمونه المغيث قال ابن عباس
ففرحوا به وقالوا هذا عارض ممطرنا وقد كذب هود فيما اوعد به فقال لهم
هود عليه السلام ليس الامر كما رأيتم بل هو ما استعجلتم به في قولكم فاتنا بما
تعذنا ثم قال ريح فيها عذاب اليم وفي قراءة ابن مسعود ممطرنا قال هود بل هو
ريح باظهار المقدر وتدمير معناه تهلك والدمار الهلاك * وقوله كل شيء
ظاهره العموم ومعناه الخصوص في كل ما امرت بتدميره وروي ان هذه
الريح رمتهم اجمعين في البحر ثم خاطب جل وعلا قريشا على جهة الموعظة بقوله
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه فما بمعنى الذي وان نافية وقعت مكان ما لمختلف
اللفظ ومعنى الآية ولقد اعطيناهم من القوة والغنى والبسط في الاموال
والاجسام ما لم نمطكم ونالههم بسبب كفرهم هذا العذاب فانتم احرى بذلك اذا
تماديتكم في كفركم وقالت فرقة ان شرطية والجواب محذوف تقديره في الذي ان
مكناكم فيه طغيتم وهذا تنطع في التاويل وما نافية في قوله فما اغنى عنهم ويقوى
ذلك دخول من في قوله من شيء وقالت فرقة بل هي استفهام على جهة
التقرير ومن شيء على هذا تأكيد وهذا على غير مذهب سيبويه في دخول من
في الجواب * وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الآية مخاطبة

لقريش على جهة التمثيل وصرفنا الآيات يعني لهذه القرى * وقوله سبحانه
فلولا نصرهم الآية يعني فهلا نصرتهم اصنامهم بل ضلوا عنهم اي انتفوا عنهم
وقت الحاجة وذلك افكهم اشارة الى قولهم في الاصنام انها الهة * وقوله وما
كانوا يفترون يحتمل ان تكون ما مصدرية فلا تحتاج الى عائد ويحتمل ان تكون
بمعنى الذى فهناك عائد محذوف تقديره يفترونه * وقوله تعالى واذا صرفنا
اليك نفرا من الجن الآية ابتداء وصف قصة الجن ووفادتهم على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد اختلفت الرواة هنا هل هذا الجن هم الوفد او المتجسسون
واختلفت الراويات ايضا عن ابن مسعود وغيره في هذا الباب والتحرير في هذا ان
النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون ان يشعر بهم وهم المتجسسون
المتفرون من اجل رجم الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المراد بقوله تعالى
قل اوحى الي الآيات ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسبا ورد في ذلك من
الآثار * وقوله نفرا يقتضى ان المصروفين كانوا رجالا لانثى فيهم والنفر
والرھط هم القوم الذين لاثى فيهم * وقوله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا
فيه تأدب مع العلم وتعليم كيف يتعلم فلما قضى اي فرغ من تلاوة القرآن
واستماع الجن قال جابر بن عبد الله وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي الا ربكما تكذبان قالوا لا بشي من
الاثك نكذب ربنا لك الحمد ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة
للجن وقولهم انا سمعنا كتابا يعنون القرآن (ت) وقولهم من بعد موسى
يحتمل انهم لم يعلموا بعيسى قاله ابن عباس او انهم على دين اليهود قاله عطاء نقل
هذا الثعلبي ويحتمل ما تقدم ذكره في غير هذا وانهم ذكروا المتفق عليه انتهى *
مصدقا لما بين يديه وهي التوراة والانجيل وداعي الله هو محمد صلى الله عليه
وسلم وامنوا به اي بالله يغفر لكم من ذنوبكم الآية (ت) وذكر الثعلبي خلافا في

مومنى الجن هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة او يحارون من النار فقط الله اعلم بذلك قال الفخر والصحيح انهم فى حكم بنى آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول مالك وابن ابى ليلى قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون انتهى وقد تقدم ما نقلناه عن البخاري فى سورة الانعام انهم يثابون * وقوله سبحانه ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز الآية يحتمل ان يكون من تمام كلام المنذرين ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل والمعجز الذاهب فى الارض الذى يعجز طالبه فلا يقدر عليه * وقوله سبحانه اولم يروا الضمير لقريش وذلك انهم انكروا البعث وعود الاجساد وهم مع ذلك مترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض فاقامت عليهم الحجة من اقوالهم قال ابو حيان والباء فى قوله بقادر زائدة انتهى * وقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار المعنى واذكر يوم وهذا وعيد لكفار قريش وغيرهم وهذا عرض مباشرة * وقوله اليس هذا بالحق اى يقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فصدقوا بذلك حيث لا يفهم التصديق فروي عن الحسن انه قال انهم ليعذبون فى النار وهم راضون بذلك لانفسهم يعترفون انه العدل واختلف فى تعيين اولى العزم من الرسل ولا محالة ان لكل نبي ورسول عزما وصبرا * وقوله ولا تستعجل لهم معناه ولا تستعجل لهم عذابا فانهم اليه حائرون ولا تستطل تعميرهم فى هذه النعمة فانهم يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة لا يصدقون ذلك لان المقضي من الزمان يصير عدما (ت) واذا علمت ايها الاخ ان الدنيا اضغاث احلام كان من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد وحفظ الحواس ومراعاة الانفاس ومراقبة مولاك فاتخذة صاحباً وذراً الناس جانباً قال ابو حامد الغزالي رحمه الله اعلم ان صاحبك الذى لا تفارقه فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل فى

حياتك وموتك هو ربك ومولاك وسيدك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليستك
اذ قال تعالى انا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في
حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي
فلو عرفته يا اخي حق معرفته لا اتخذته صاحبا وتركك الناس جانبا فان لم تقدر
على ذلك في جميع اوقاتك فايك ان تحلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه
بمولاك وتلذذ بمناجاته وعند ذلك فعليك بآداب الصلوة مع الله تعالى وآدابها
اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر
واجتناب النهي وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر باللسان وملازمة
الفكر وايقار الحق والياس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت
الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة
بحسن اختياره وهذا كله ينبغي ان يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك فانه
آداب الصلوة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك في بعض اوقاتك
انتهى من بداية الهداية * وقوله بلاغ يحتمل معاني احدها ان يكون خبر
مبتدأ محذوف اي هذا انذار وتبليغ ويحتمل ان يريد ان لم يلبثوا الا ساعة كانت
بلاغهم وهذا كما تقول متاع قليل وقيل غير هذا وقرأ ابو مجلز وغيره بلغ على
الامر وقرأ الحسن بن ابي الحسن بلاغ بالحفض نقلا لنهار * وقوله سبحانه
فهل يهلك الا القوم الفاسقون وقرني شاذا فهل يهلك ببناء الفعل للفاعل وفي
هذه الآية وعيد محض وانذار بين وذلك ان الله عز وجل جعل الحسنه بعشر
امثالها والسيئة بمثلها وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ووعد الغفران على التوبة
فلن يهلك على الله الا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي يقال ان قوله
تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون ارجى آية في كتاب الله عز وجل للمؤمنين

تفسير سورة القتال وهي مدنية ﴿﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم الذين كفروا
 اشارة الى اهل مكة الذين اخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله والذين
 امنوا وعملوا الصالحات الآية اشارة الى الانصار الذين اواوا ونصروا وفي الطائفتين
 نزلت الآيتان قاله ابن عباس ومجاهد ثم هي بمد تمم كل من دخل تحت الفاظها *
 وقوله اضل اعمالهم اي اتلفها ولم يجعل لها نفعا (ت) وقد ذكرنا في سورة
 الصف ان اسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتسم به احد قبله الا قوم قليلون
 رجاء ان تكون النبوة في ابنائهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن القطان
 وعن خليفة والد أبي سويد قال سألت محمد بن عدي بن أبي ربيعة كيف سماك
 أبوك محمدا قال سألت أبي عما سألتني عنه فقال لي كنت رابع اربعة من بني
 غنم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن جرير وامامة بن هند بن خندف ويزيد بن
 ربيعة فخرجنا في سفرة يزيد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير
 فيه شجرات وقربه شخص ناثم فتحدثنا فاستمع كلامنا فاشرف علينا فقال ان
 هذه لغة ما هي لغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اي المضرين
 قلنا من خندف قال انه يبعث فيكم خاتم النبيئين فسارعوا اليه وخذوا بحظكم
 منه ترشدوا قلنا ما اسمه قال محمد فرجنا فولد لكل واحد منا ابن سماه محمدا
 وذكره المدائني انتهى * وقوله تعالى في المؤمنين واصلح بالهم قال قتادة معناه
 حالهم وقال ابن عباس شأنهم وتحرير التفسير في اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع

الذى فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك منه فقد صلح حاله فكان اللفظة مشيرة الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع فقولك خطر في بالى كذا وقولك اصلح الله بالك المراد بهما واحد ذكره المبرد والبال مصدر كالحال والشان ولا يستعمل منه فعل وكذلك عرفه لا يثنى ولا يجمع وقد جاء مجموعا شاذا في قولهم باللات والباطل هنا الشيطان وكل ما يامر به قاله مجاهد والحق هنا الشرع ومحمد عليه السلام * وقوله كذلك يضرب الله الاشارة الى الاتباع المذكورين من الفريقين * وقوله سبحانه فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الآية قال اكثر العلماء ان هذه الآية واية السيف وهي قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم محكمتان فقوله هنا فضرب الرقاب بمثابة قوله هنالك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصرح هنا بذكر المن والفداء ولم يصرح به هنالك فهذه مبينة لتلك وهذا هو القول القوي وقوله فضرب الرقاب مصدر بمعنى الفعل اي فاضربوا رقابهم وعين من انواع القتل اشره والمراد اقتلوهم باي وجه امكن وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله في النار ابدا وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار انتهي والاثخان في القوم ان يكثر فيهم القتل والجرحى ومعنى فشدوا الوثاق اي بمن لم يقتل ولم يترتب فيه الا الاسر ومنا وفداء مصدران منصوبان بفعلين مضميرين * وقوله حتى تضع الحرب اوزارها معناه حتى تذهب الحرب وترول اثقالها والاوزار الاثقال ومنه قول عمرو بن معدى كرب

واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيالا ذكورا

واختلف المتأولون في الغاية التى عندها تضع الحرب اوزارها فقال قتادة حتى يسلم الجميع وقال حذاق اهل النظر حتى تغلبوهم وتقتلوهم وقال مجاهد حتى

ينزل عيسى بن مريم قال (ع) وظاهر اللفظ انه استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع اوزارها فجاء هذا كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيامة وانما تريد انك تفعله دائما * ولو شاء الله لانتصر منهم اي بعذاب من عنده ولكن اراد سبحانه اختبار المؤمنين وان يبلو بعض الناس ببعض وقرأ الجمهور قاتلوا وقرأ عاصم بخلاف عنه قتلوا بفتح القاف والتاء وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء قال قتادة نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم احد من المؤمنين * وقوله سبحانه سيديهم اي الى طريق الجنة (ت) ذكر الشيخ ابو نعيم الحافظ ان ميسرة الخادم قال غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديد فحمل على المينة فثناها ثم على الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم انشأ يقول

احسن بمولايك سعيدُ ظننا * هذا الذي كنت له تمنى
تنح يا حور الجنان عنا * مالك قاتلنا ولا قُتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما اعلنا
قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو
فاذا هو رضي الله تعالى عنه قد حمل على الناس وانشأ يقول
قد كنت ارجو ورجاؤي لم ينجب * ان لا يضيع اليوم كدى والطلب
يا من ملا تلك القصور بالآعب * لولايك ما طابت ولا طاب الطرب
ثم حمل رضي الله عنه فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب
عليه العدو فحمل رضي الله عنه في المرة الثالثة وانشأ يقول
يا أُنعبة الخلد قفى ثم اسمعى * مالك قاتلنا فكفى وارجى
ثم ارجى الى الجنان واسرعى * لا تطمى لا تطمى لا تطمى

فقاتل رضي الله عنه حتى قتل انتهى من ابن عباد شارح الحكم * وقوله تعالى عرفها لهم قال ابو سعيد الخدري وقتادة ومجاهد معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفي نحو هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأحدكم بمنزله في الجنة اعرف منه بمنزله في الدنيا قال القرطبي في التذكرة وعلى هذا القول اكثر المفسرين قال وقيل ان هذا التعريف الى المنازل هو بالدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشی بين يديه انتهى وقالت فرقة معناه سماها لهم ورسمها كل منزل باسم صاحبه فهذا نحو من التعريف وقالت فرقة معناه شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من الاعراف التي هي الجبال ومنه اعراف الخيل وقال مؤرج وغيره معناه طيبها ما خوذ من العرف ومنه طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل قال ابو حيان واصحح بالهم البال الفكر ولا يشئ ولا يجمع انتهى * وقوله سبحانه ان تنصروا الله اي دين الله ينصره كمن يخلق القوة لكم وغير ذلك من المعاونة ويثبت اقدامكم اي في مواطن الحرب وقيل على الصراط في القيامة * وقوله فتعسا لهم معناه عثارا وهلاكاً لهم وهي لفظة تقال للماثر اذا اريد به الشر قال ابن السكيت التعس ان يخرج على وجهه * وقوله تعالى كرهوا ما انزل الله يريد القراء ان فاحبط اعمالهم قال (ع) ولا خلاف ان الكافر له حفظة يكتبون سيئاته واختلف الناس في حسناتهم فقالت فرقة هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط وقالت فرقة هي محصاة من اجل ثواب الدنيا ومن اجل انه قد يسلم فينضاف ذلك الى حسناته في الاسلام وهذا احد التاويلين في قوله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام اسلمت على ما سلف لك من خير * وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض توقيف لقريش وتوبيخ والذين من قبلهم يريد ثمود وقوم شعيب وغيرهم والدمار والافساد وهدم البناء واذهاب العمران والضمير في قوله امثالها يصح ان يعود على العاقبة ويصح ان

يعود على الفعلة التي يتضمنها قوله دمر الله عليهم * وقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا الآية المولى الناصر المولى قال قتادة نزلت هذه الآية يوم احد ومنها انتزع النبي صلى الله عليه وسلم رده على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * وقوله سبحانه والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام اي اكلا مجردا عن الفكر والنظر وهذا كما تقول الجاهل يمش كما تمش البهيمة والمعنى يمش عديم الفهم والنظر في العواقب * وقوله سبحانه وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك يعني مكة التي اخرجتك منها وقت الهجرة ويقال ان هذه الآية نزلت اثر خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وقيل غير هذا * وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله الآية توقيف وتقرير وهي معادلة بين هذين الفريقين واللفظ عام لاهل هاتين الصفتين غابر الدهر وعلى بينة اي على يقين وطريق واضحة وعقيدة نيرة بينة * وقوله سبحانه مثل الجنة الآية قال النضر بن شميل وغيره مثل معناه صفة كانه قال صفة الجنة ما تسمعون فيها كذا وكذا * وقوله فيها انهار من ماء غير اسن معناه غير متغير قاله ابن عباس وقتادة وسواء انتن او لم ينتن * وقوله في اللبن لم يتغير طعمه نبي لجميع وجوه الفساد فيه * وقوله لذة للشاربين جمعت طيب الطعم وزوال الافات من الصداغ وغيره وتصفية العسل مذهبة لمومه وضرره (ت) وروينا في كتاب الترمذي عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الحمر ثم تشقق الانهار بعد قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله ولهم فيها من كل الثمرات اي من هذه الانواع لكنها بمدة الشبه تلك لا عيب فيها ولا تعب * وقوله ومغفرة من ربهم معناه وتنعيم اعطته المغفرة وسببته والا للمغفرة انما هي قبل دخول الجنة * وقوله

سبحانه كمن هو خالد في النار الآية قبله محذوف تقديره اسكان هذه او تقديره اهؤلاء المتقون كمن هو خالد في النار * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع يعنى بذلك المنافقين حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا على جهة الاستخفاف ومنهم من يقوله جهالة ونسيانا وانفا معناه مبتدئا كانه قال ما القول الذى ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه والمفسرون يقولون انفا معناه الساعة الماضية وهذا تفسير بالمعنى (ت) وقال الثعلبي انفا اي الآن واصله الابتداء قال ابو حيان انفا بالمد والقصر اسم فاعل والمستعمل من فعله ائتنفت ومعنى انفا مبتدئا فهو منصوب على الحال واعربه الزمخشري ظرفا اي الساعة قال ابو حيان ولا اعلم احدا من النحاة عدة من الظروف انتهى وقال العراقي انفا اي الساعة * وقوله تعالى والذين اهدوا زادهم هدى اي زادهم الله هدى ويحتمل زادهم استهزاء المنافقين هدى قال الثعلبي وقيل زادهم ما قال النبي صلى الله عليه وسلم هدى قال (ع) الفاعل في واتاهم يتصرف القول فيه بحسب التاويلات المذكورة واقواها ان الفاعل الله تعالى واتاهم معناه اعطاهم اي جعلهم متقين * وقوله تعالى فهل ينظرون يريد المنافقين والمعنى فهل ينتظرون وبغته معناه فجأة * وقوله فقد جاء اشراطها اي فينبغي الاستعداد والخوف منها والذي جاء من اشراط الساعة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخر الانبياء وقال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين والاحاديث كثيرة في هذا الباب * وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله الآية اضراب عن امر هؤلاء المنافقين وذكر الاهم من الامر والمعنى دم على علمك وهذا هو القانون في كل من امر بشيء هو متلبس به وكل واحد من الامة داخل في هذا الخطاب وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الافتحت له ابواب الجنة حتى تقضي الى العرش ما اجتنت الكبائر رواه الترمذي والنسائي

وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى واستغفر لذنبك اي لتستن امك بسنتك (ت) هذا لفظ الثعلبي وهو حسن وقال عياض قال مكّي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته انتهى قال (ع) وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات وبوب البخاري رحمه الله العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله * وقوله تعالى واستغفر لذنبك الآية وواجب على كل مومن ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات فانها صدقة وقال الطبري وغيره متقلبكم متصرفكم في يقظكم ومشواكم مناكم وقال ابن عباس متقلبكم تصرفكم في حياتكم الدنيا ومشواكم اقامتكم في قبوركم وفي اخرتكم * وقوله عز وجل ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة الآية هذا ابتداء وصف حال المؤمنين على جهة المدح لهم ووصف حال المنافقين على جهة الذم وذلك ان المؤمنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تمني ظهور الاسلام وتمني قتال العدو وكانوا يانسون بالوحي ويستوحشون اذا ابطأ وكان المنافقون على العكس من ذلك * وقوله محكمة معناه لا يقع فيها نسخ واما الاحكام الذي هو الاتقان فانقر ان كاه سواء فيه والمرض الذي في قلوب المنافقين هو فساد معتقدتهم ونظر الخائف الموله قريب من نظر الغشي عليه وخسبهم هذا الوصف والتشبيه * وقوله تعالى فاوّلٰ لهم طاعة اولى وزنها افضل من وليك الشيء يليك والمشهور من استعمال اولى انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك فقط على جهة الاختصار لما معها من القول على جهة الزجر والتوعد فتقول اولى لك يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله تعالى اولى لك فاوّلٰ وقالت فرقة اولى رفع بالابتداء وطاعة خبره قال (ع) وهذا هو المشهور من استعمال اولى وقيل غير هذا قال ابو حيان قال صاحب الصحاح

اولى لك تهديد ووعيد قال ابو حيان والاكثر على انه اسم مشتق من
الولي وهو القرب وقال الجرجاني هو ماخوذ من الوليل فقلب فوزه اطلع انتهى
فاذا عزم الامر ناقضوا وعصوا قال البخاري قال مجاهد عزم الامر جد الامر
انتهى * وقوله سبحانه فهل عسيتم لمخاطبة لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض
والمعنى فهل عسى ان تفعلوا ان توليتم غير ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم ومعنى ان توليتم اي ان اعرضتم عن الحق وقيل المعنى ان توليتم امور
الناس من الولاية وعلى هذا قيل انها نزلت في بني هاشم وبني امية ذكره الثعلبي
(ت) وهو عندي بعيد لقوله اولائك الذين لعنهم الله فتعين التأويل الاول
والله اعلم وفي البخاري عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه اه وفي
صحيح مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وفي رواية لا يدخل الجنة
قاطع وفي طريق من سره ان يبسط عليه رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه
وخرجه البخاري من طريق ابى هريرة على ما تقدم وخرج البخاري عن ابى
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من
خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل
من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فافروا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم وفي رواية قال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته
انتهى وروى ابو داود في سننه عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الرحمن وهي الرحم شققت

لها من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها بته انتهى * وقوله تعالى اولائك الذين لعنهم الله اشارة الى المرضى القلوب المذكورين * وقوله فاصمهم واعمي ابصارهم استعارة لعدم فهمهم * وقوله عز من قائل افلا يتدبرون القرآن الآية توقيف وتوبيخ وتدبر القرآن زعيم بالتبيين والهدى لتأمله (ت) قال الهروي قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن معناه افلا يتفكرون فيعتبرون يقال تدبرت الامر اذا نظرت في ادباره وعواقبه انتهى * وقوله تعالى ام على قلوب اقفالها معناه بل على قلوب اقفالها وهو الرين الذي منهم من الايمان وروي ان وفد اليمن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شاب فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال الفتى عليها اقفالها حتى يفتحها الله تعالى ويفرجها قال عمر فعظم في عيني فما زالت في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي الخلافة فاستعان بذلك الفتى * وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم الآية قال قتادة نزلت في قوم من اليهود وقال ابن عباس وغيره نزلت في منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تعم كل من دخل في ضمن لفظها غابر الدهر وسول معناه رجاهم سؤلهم وامانيهم ونقل ابو الفتح عن بعضهم انه بمعنى دلاهم ماخوذ من السؤل وهو الاسترخاء والتدلى وقال العراقي سول اي زين سوء الفعل * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا الآية قيل انها نزلت في بني اسرائيل الذين تقدم ذكرهم الآن وروي ان قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلاف عليه بنصر وموازرة فذلك قولهم سنطيعكم في بعض الامر وقرأ الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم بكسرها * وقوله سبحانه فكيف اذا توفتهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه والضمير في يضربون للملائكة وفي نحو هذا احاديث تقتضى صفة الحال وما اسخط الله هو الكفر والرضوان هنا الحق والشرع المؤدى الى الرضوان *

وقوله سبحانه ام حسب الذين في قلوبهم مرض الآية توبيخ للمنافقين وفضح
لسرائرهم والضعف الحقد وقال البخاري قال ابن عباس اضغانهم حسدهم
انتهى * وقوله سبحانه ولو نشاء لاريناكم الآية لم يعينهم سبحانه بالاسماء
والتعريف التام ابقاء عليهم وعلى قراياتهم وان كانوا قد عرفوا بلحن القول وكانوا في
الاشتهار على مراتب كابن ابي وغيره والسيما العلامة وقال ابن عباس والضحاك
ان الله تعالى قد عرفه بهم في سورة براءة بقوله ولا تصل على احد منهم مات
ابدا وفي قوله قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال (ع) وهذا
في الحقيقة ليس بتعريف تام ثم اخبر تعالى انه سيعرفهم في لحن القول اي في
مذهب القول ومنحاه ومقصده واحتج بهذه الآية من جعل الحد في التعريض
بالقذف (ص) قال ابو حيان ولتعرفنهم اللام جواب قسم محذوف انتهى *
وقوله سبحانه والله يعلم اعمالكم مخاطبة للجميع من مومن وكافر * وقوله سبحانه
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية كان الفضيل بن عياض اذا
قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا *
وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول الآية
قالت فرقة نزلت في بني اسرائيل وقالت فرقة نزلت في قوم من المنافقين وهذا
نحو ما تقدم وقال ابن عباس نزلت في المطعمين في سفرة بدر وقالت فرقة بل
هي عامة في كل كافر * وقوله لن يضروا الله شيأ تحقير لهم * وقوله سبحانه
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم روي ان هذه
الآية نزلت في بني اسد من العرب وذلك انهم اسلموا وقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم نحن آثرناك على كل شي، وجئناك بانفسنا واهلينا كانهم يمنون بذلك فنزل
فيهم يمنون عليك ان اسلموا الآية ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم *
وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار الآية

روي انها نزلت بسبب ان عدي بن حاتم قال يا رسول الله ان حاتمًا كانت له افعال بر
فما حاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو في النار فبكى عدي وولى فدعاه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ابي وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن في النار ونزلت
هذه الآية في ذلك وظاهر الآية العموم في كل ما تناولته الصفة * وقوله
سبحانه فلا تهنوا معناه لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي الى المسالمة وقال قتادة
معنى الآية لا تكونوا اولى الطائفتين ضرعت للآخرى قال (ع) وهذا حسن
ملتئم مع قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها * وانتم الاعلون في موضع الحال
المعنى فلا تهنوا وانتم في هذه الحال ويحتمل ان يكون اخبارا بغميب ابرزه الوجود
بمد ذلك والاعلون معناه الغالبون والظاهرون من العلو * وقوله والله معكم
معناه بنصره ومعاونته ويتر معناه ينقص ويذهب والمعنى لن يترككم ثواب اعمالكم *
وقوله سبحانه انما الحياة الدنيا لعب ولهو تحقير لامر الدنيا * وقوله وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم معناه هذا هو المطلوب منكم لا غيره لا تسئلون اموالكم
ثم قال سبحانه منها على خلق ابن آدم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا والاحفاء
هو اشد السؤال وهو الذى يستخرج ما عند المسئول كرها (ت) وقال الثعلبي
فيحفكم اي يجهدكم ويلحف عليكم * وقوله تبخلوا جز ما على جواب الشرط ويخرج
اضغانكم اي يخرج الله اضغانكم وقرأ يعقوب ونخرج بالنون والاضغان معتقدات السوء
وهو الذى كان يخاف ان يمتري المسلمين ثم وقف الله تعالى عباده المؤمنين على
جهة التوبيخ لبعضهم بقوله هانتم هؤلاء وكررها التنبيه تأكيد * وقوله
تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي بالثواب والله الغني اي عن صدقاتكم
وانتم الفقراء الى ثوابها (ت) هذا لفظ الثعلبي قال (ع) يقال نبخلت عليك
بكذا وبخلت عنك بمعنى امسكت عنك وروى الترمذي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من

الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى * وقوله سبحانه وان تتولوا يستبدل قوما غيركم قالت فرقة هذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئذ والقوم الغير هم فارس وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا لو كان الدين في الثريا لئاله رجال من اهل فارس * وقوله سبحانه ثم لا يكونوا امثالكم معناه في الخلاف والتولى والبخل بالاموال ونحو هذا وحكى الثعلبي قولان ان القوم الغيرهم الملائكة (ت) وليس لاحد مع الحديث اذا صح نظر ولولا الحديث لاحتمل ان يكون الغير بما ياتي من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر في غير هذا الموضع

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية وفي ذلك احاديث كثيرة عن انس وابن مسعود وغيرها وفي تلك السفارة قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لقد ازلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها خرجه البخاري وغيره

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قال قوم يريد فتح مكة وقال جمهور

الناس وهو الصحيح الذي تمعده قصة الحديبية ان قوله انا فتحنا لك انما معناه هو ما يسر الله عز وجل لنبيه في تلك الحرجة من الفتح البين الذي استقبله وزلت السورة موضة للمومنين لانهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم ومن تلك المهادنة التي جعلها الله سببا للفتوحات واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السفارة انه هادن عدوه ريثما يتقوى هو وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش واتفقتبيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وبلغ هديه محله قاله الشعبي واستقبل فتح خيبر وامتلأت ايدي المومنين وظهرت في ذلك الوقت الروم على فارس فكانت من جملة الفتح فسربها صلى الله عليه وسلم هو والمومنون لظهور اهل الكتاب على المجوس وشرفه الله بان اخبره انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي وان لم يكن ذنب (ت) قال الثعلبي قوله ليغفر لك الله قال ابو حاتم هذه لام القسم لما حذفت النون من فعله كسرت ونصب فعلها تشبيها بلام كي انتهى قال عياض ومقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان انتهى قال ابو حيان ليغفر اللام للعة وقال (ع) هي لام الصيرورة وقيل هي لام القسم ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها واجيب بان الكسر قد علل بالحمل على لام كي واما الحركة فليست نصبا بل هي الفتحة الموجودة مع النون بقيت بعد حذفها دالة على المحذوف ورد بانه لم يحفظ من كلامهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد انتهى وفي صحيح البخاري عن انس ابن مالك انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية انتهى * وقوله سبحانه ويتم نعمته عليك اي باظهارك وتغليبك على عدوك والرضوان في الآخرة والسكينة فميلة من السكون وهو تسكين قلوبهم لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمانت وعلموا ان وعد الله حق * وقوله سبحانه ليدخل المومنين والمومنات جنات

تجرى من تحتها الانهار الآية روي في معنى هذه الآية انه لما نزلت وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم تكلم فيها اهل الكفر وقالوا كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس فبين الله في هذه السورة ما يفعل به بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلما سمعها المؤمنون قالوا هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت ليدخل المؤمنون والمومنات جنات الى قوله مصيرا ففرقه الله ما يفعل به وبالمؤمنين وبالكافرين وذكر النقاش ان رجلا من عك قال هذا الذي لرسول الله فما لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي لى ولامتى كهاين وجمع بين اصبعيه * وقوله ويكفر عنهم سيئاتهم هو من ترتيب الجمل في السرد لا ترتيب وقوع معانيها لان تكفير السيئات قبل ادخالهم الجنة * وقوله الظانين بالله ظن السوء قيل معناه من قولهم لن ينقلب الرسول الآية وقيل هو كونهم يعتقدون الله بغير صفاته العلى * وقوله عليهم دائرة السوء اي دائرة السوء الذى ارادوه بكم في ظنهم السوء ويقال للاقدار والحوادث التى هي في طي الزمان دائرة لانها تدور بدوران الزمان * وقوله سبحانه انا ارسلناك شاهدا الآية من جمل الشاهد محصل الشهادة من يوم يحصلها فقوله شاهدا حال واقعة ومن جعل الشاهد مؤدي الشهادة فهي حال مستقبلية وهي التى يسميها النحلة المقدرة والمعنى شاهدا على الناس باعمالهم واقوالهم حين بلغت ومبشرا اهل الطاعة برحمة الله ونذيرا من عذاب الله اهل المعصية ومعنى تعزروه تعظموه وتكبروه قاله ابن عباس وقرأ ابن عباس وغيره تعزروه بزاءين من العزة قال الجمهور الضمير في تعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم وفي تسبحوه لله عز وجل والبركة القدو والاصيل العشي * وقوله سبحانه ان الذين يبايعونك يريدون في بيعة الرضوان وهي بيعة الشجرة حين اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش لما بلغه قتل عثمان بن عفان رسوله اليهم

وذلك قبل ان ينصرف من الحديبية وكان في الف واربعمائة وباليهم صلى الله عليه وسلم على الصبر المتناهي في قتال العدو الى اقصى الجهد حتى قال سلمة ابن الاكوع وغيره يا لعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وقال عبد الله ابن عمر وجابر بن عبد الله يا لعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لانفر والمبايعة في هذه الآية مفاعلة من البيع لان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومعنى انما يبايعون الله ان صفقتهم انما يمضيا ويمنح الثمن الله تعالى (ت) وهذا تفسير لايمس الآية ولابد وقال الثعلبي انما يبايعون الله اى اخذك البيعة عليهم عقد الله عليهم انتهى وهذا تفسير حسن * وقوله تعالى يد الله قال جمهور التأولين اليد بمعنى النعمة اذ نعمة الله في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق ايديهم التي مدوها لبيعتك وقيل المعنى قوة الله فوق قواهم في نصره (ت) وقال الثعلبي يد الله فوق ايديهم اى بالوفاء والمهد وقيل بالشواب وقيل يد الله في المنة عليهم فوق ايديهم في الطاعة عند المبايعة وهذا حسن قريب من الاول * وقوله تعالى فمن نكث اى فمن نقض هذا المهد فانما يجنى على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنوته اجرا عظيما وهو الجنة * وقوله سبحانه سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وغيره هم جبهة ومزينة ومن كان حول المدينة من الاعراب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه هؤلاء المخلفون ورأوا انه يستقبل عدوا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة وهم الاحابيش ولم يكن تمكن ايمان هؤلاء المخلفين فقمعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحلفوا وقالوا لن يرجع محمد ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله في هذه الآية

واعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل ان يصل اليهم فكان كما اخبر الله سبحانه فقالوا شغلنا اموالنا واهلونا عنك فاستغفر لنا وهذا منهم خبث وابطال لانهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولاندم فلذلك قال تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا اي من يحى منه اموالكم واهليكم ان اراد بكم فيها سوا وفي مصحف ابن مسعود ان اراد بكم سوا ثم رد عليهم بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم فسر لهم العلة التي تحلفوا من اجلها بقوله بل ظننتم الآية وبورا معناه هلكى فاسدين واليوار الهلاك والبور في لغة ازد عمان الفاسد ثم رجبى سبحانه بقوله والله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيا ثم ان الله سبحانه امر نبيه على ما روي بغزو خيبر ووعد به بفتحها واعلمه ان المخلفين اذا راوا مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة في عرض الدنيا والغنيمة فكان كذلك * وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وقال ابن زيد كلام الله هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال (ع) وهذا ضعيف لان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك في اخر عمره صلى الله عليه وسلم واية هذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت جهينة ومزينة بعد هذه المدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني غزوة الفتح فتح مكة (ت) قال الثعلبي وعلى التاويل الاول عامة اهل التاويل وهو اصبوب من تاويل ابن زيد * وقوله كذلك قال الله من قبل يريد وعده قبل باختصاصهم بها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه استدعون الى قيم اولى بأس شديد قال قتادة وغيره هم هوازن ومن حارب النبي عليه السلام يوم حنين وقال الزهري وغيره هم اهل الردة وبنو حنيفة باليامة وحكى

الثعلبي عن رافع بن خديج انه قال والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني خنيفة فعلمنا انهم هم المراد وقيل هم فارس والروم وقرأ الجمهور او يسلمون على القطع اي او هم يسلمون دون حرب قال ابن العربي والذين تعين قتالهم حتى يسلموا من غير قبول جزية هم العرب في اصح الاقوال او المرتدون فاما فارس والروم فلا يقاتلون الى ان يسلموا بل ان بذلوا الجزية قبلت منهم وهذه الآية اخبار بمنيب فهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم انتهت من الاحكام * وقوله فان تطيعوا اي فيما تدعون اليه وباقي الآية بين ثم ذكر تعالى اهل الاعذار ورفع الحرج عنهم وهو حكم ثابت لهم الى يوم القيامة ومع ارتفاع الحرج فجاز لهم الغزو واجبرهم فيه مضاعف وقد غزا ابن ام مكتوم وكان يمسك الراية في بعض حروب القادسية وقد خرج النساء في هذا المعنى وذكر ابن ام مكتوم رحمه الله * وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين الآية تشرىف لهم رضي الله عنهم وقد تقدم القول في المبايعة ومعناها وكان سبب هذه المبايعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يبعث الى مكة رجلا يبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خدش بن امية الخزاعي وحمله صلى الله عليه وسلم على جمل له يقال له الثعلب فلما كلمهم عقروا الجمل وارادوا قتل خدش فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاراد بئس عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله اني اخاف قرشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي احد يحميني ولكن ابئس عثمان فهو اعز بمكة مني فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب فلقه ابان بن سعيد بن العاصي فنزل عن دابته فحمله عليها واجاره حتى بلغ الرسالة فقالوا له ان شئت يا عثمان ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لا طوف حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان بني

سعيد بن العاصي حبسوا عثمان على جهة المبرة فابطأ على النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على نحو عشرة اميال فصرخ صارخ من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عثمان فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لا نبرح ان كان هذا حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عنها الا الجند بن قيس المنافق وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده وقال هذه يد لعثمان وهي خير ثم جاء عثمان سالماً والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين * وقوله سبحانه فعلم ما في قلوبهم قال الطبري ومنذر بن سعيد معناه من الايمان وصحته والحب في الدين والحرص فيه وقرأ الناس وأثابهم قال هارون وقد قرئت وآثامهم بالتاء بنقطتين والفتح القريب خيبر والمغانم الكثيرة فتح خيبر * وقوله تعالى وعدكم الله الآية مخاطبة للمؤمنين ووعد بجميع المغانم التي اخذها المسلمون وياخذونها الى يوم القيامة قاله مجاهد وغيره * وقوله فعجل لكم هذه يريد خيبر وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة خيبر وهذه اشارة الى البيعة والتخلص من امر قريش وقاله ابن عباس * وقوله سبحانه وكف ايدي الناس عنكم قال قتادة يريد كف ايديهم عن اهل المدينة في مغيب النبي عليه السلام والمؤمنين ولتكون آية اي علامة على نصر المؤمنين وحكي الثعلبي عن قتادة ان المعنى كف الله غطفان ومن معها حين جاءوا لنصر خيبر وقيل اراد كف قريشا * وقوله سبحانه واخرى لم تقدروا عليها قال ابن عباس الاشارة الى بلاد فارس والروم وقال قتادة والحسن الاشارة الى مكة وهذا قول يتسق معه المعنى ويتأيد * وقوله قد احاط الله بها معناه بالقدرة والقهر لاهلها اي قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها (ت) قوله وظهر فيها الى اخره كلام غير محصل ولفظ الثعلبي واخرى لم تقدروا عليها اي وعدكم فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط

بها لكم حتى يفتحها عليكم وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال مجاهد هو ما فتحوه حتى اليوم ثم ذكر بقية الاقوال انتهى * وقوله سبحانه ولو قاتلكم الذين كفروا يعني كفار قريش في تلك السنة لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * وقوله سنة الله اي كسنة الله اشارة الى وقعة بدر وقيل اشارة الى عادة الله من نصر الانبياء ونصب سنة على المصدر * وقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية روي في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في عدد هؤلاء اختلافا متفاوتا فلذلك اختصرته فلما احس بهم المسلمون بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا امامهم حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة فسيقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فن عليهم واطلقهم قال الواحدي وكان ذلك سبب الصلح بينهم انتهى * وقوله سبحانه هم الذين كفروا يعني اهل مكة وصدوكم عن المسجد الحرام اي منعوكم من العمرة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى الحديبية في ذى القعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بائة بدنة وقيل بسبعين فاجمعت قريش لحربه وغوروا المياه التي تقرب من مكة فجاء صلى الله عليه وسلم حتى نزل على بير الحديبية وحينئذ وضع سهمه في الماء فجري غمرا حتى كفى الجيش ثم بعث صلى الله عليه وسلم اليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالا آخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على ان ينصرف صلى الله عليه وسلم ويعتمر من قابل فهذا صدهم اياه وهو مستوعب في السير والهدي معطوف على الضمير في صدوكم اي وصدوا الهدي ومعكروا حال ومنهائ محبوسا تقول عكفت الرجل عن حاجته اذا حبسته وحبس الهدي من قبل المشركين هو

بصدهم ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونظرهم في امرهم لاجل ان يبلغ الهدي محله وهو مكة والبيت وهذا هو حبس المسلمين وذكر تعالى العلة في ان صرف المسلمين ولم يمكنهم من دخول مكة في تلك الوجهة وهي انه كان بمكة مومنون من رجال ونساء خفي ايمانهم فلو استباح المسلمون بيضتها اهاكوا اولائك المومنين قال قتادة فدفع الله عن المشركين باولائك المومنين والوطء هنا الاهلاك بالسيف وغيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشد وطأتك على مضر قال ابو حيان ولولا رجال جوابها محذوف لدلالة الكلام عليه اي ما كنت ايديكم عنهم انتهى والمرة السوء والمكروه اللاحق ما خوذ من العر والمرة وهو الحرب الصعب اللازم واختلف في تعيين هذه المرة فقال الطبري وحكاه الثعلبي هي الكفارة وقال منذر المرة ان يميهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقال بعض المفسرين هي الملام والقول في ذلك وتألم النفس في باقي الزمان وهذه اقوال حسان وجواب لولا محذوف تقديره لولا هؤلاء لدخلتم مكة لكن شرفنا هؤلاء المومنين بان رحمتهم ودفعنا بسبيهم عن مكة ليدخل الله اي ليبين لناظر ان الله يدخل من يشاء في رحمته او اي ليقع دخولهم في رحمة الله ودفعه عنهم (ت) وقال الثعلبي قوله بغير علم يحتمل ان يريد بغير علم ممن تكلم بهذا والمرة المشقة ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشاء من اهل مكة قبل ان تدخلوها انتهى * وقوله تعالى لو تريبوا اي لو ذهبوا عن مكة تقول زلت زيدا عن موضعه ازالة اي اذهبه وليس هذا الفعل من زال يزول وقد قيل هو منه وقرأ ابو حيوة وقتادة تريبوا بالف اي ذهب هؤلاء عن هؤلاء وقال النحاس وقد قيل ان قوله ولولا رجال مومنون الآية يريد من في اصلاب الكافرين ممن سيومن في غابر الدهر وحكاه الثعلبي والتقاش عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مرفوعا والحمة التي جعلوها هي حمة اهل مكة في الصد قال الزهري وهي حمة سهل ومن شاهد منهم عقد الصلح وجعلها سبحانه حمة جاهلية لانها كانت منهم بغير حجة اذ لم يات صلى الله عليه وسلم محاربا لهم وانما جاء معتمرا معظما لبيت الله والسكينة هي الطمانينة الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثقة بوعده الله والطاعة وزوال الانفة التي لحقت عمر وغيره وكلمة التقوى قال الجمهور هي لا اله الا الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مصحف ابن مسعود وكانوا اهلها واحق بها والمعنى كانوا اهلها على الاطلاق في علم الله وسابق قضائه لهم وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نادى المنادي فتحت ابواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب او شدة فليتحين المنادي فاذا كبر كبر واذا تشهد تشهد واذا قال حي على الصلاة قال حي على الصلاة واذا قال حي على الفلاح قال حي على الفلاح ثم يقول رب هذه الدعوة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى احينا عليها وامتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خيار اهلها احياء وامواتا ثم يسئل الله حاجته رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح فقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث معنى كلمة التقوى على نحو ما فسر به الجمهور والصحيح انه يعموز عن الجملة الحوقلة في صحيح مسلم ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله الحديث انتهى * وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليا اشارة الى علمه بالمومنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم والى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية فيروى انه لما انعقد الصلح امن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة وامتزجوا وعلت دعوة الاسلام وانقاد الى الاسلام كل من له فهم وزاد عدد الاسلام في تلك المدة اضااف ما كان قبل ذلك قال (ع) ويقتضى ذلك ان

النبي صلى الله عليه وسلم كان في عام الحديبية في اربع عشرة مائة ثم سار الى مكة بعد ذلك بعامين في عشرة الاف فارس صلى الله عليه وسلم (ت) المعروف عشرة الاف وقوله فارس ما اظنه يصح فتأمله في كتب السيرة * وقوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية روي في تفسيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه عند خروجه الى العمرة انه يطوف بالبيت هو واصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وقال مجاهد رأى ذلك بالحديبية فاخبر الناس بهذه الرؤيا فوثق الجميع بان ذلك يكون في وجهتهم تلك وقد كان سبق في علم الله ان ذلك يكون لكن ليس في تلك الوجهة فلما صدهم اهل مكة قال المنافقون واين الرؤيا ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بان قال وهل قلت لكم يكون ذلك في عامنا هذا او كما قال ونطق ابو بكر قبل ذلك بنحوه ثم انزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية واللام في تدخلن لام القسم * وقوله ان شاء الله اختلف في هذا الاستثناء فقال بعض العلماء انما استثنى من حيث ان كل واحد من الناس متى رد هذا الوعد الى نفسه امكن ان يتم الوعد فيه وان لا يتم اذ قد يموت الانسان او يمرض لحينه فلذلك استثنى عز وجل في الجملة اذ فيهم ولا بد من يموت او يمرض (ت) وقد وقع ذلك حسبما ذكر في السير وقال اخرون هو اخذ من الله تعالى على عباده بآدبه في استعمال الاستثناء في كل فعل (ت) قال ثعلب استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل غير هذا ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون ان تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمان فكان كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم في العام المقبل واعتمر * وقوله سبحانه فعلم ما لم تعلموا يريد ما قدره من ظهور الاسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه * وقوله من دون ذلك اي من قبل ذلك وفيما

يدنوا اليكم واختلف في الفتح القريب فقال كثير من العلماء هو بيعة الرضوان وصلاح
الحديبية وقال ابن زيد هو فتح خيبر * وقوله تعالى محمد رسول الله قال
جمهور الناس هو ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم *
وقوله والذين معه ابتداء وخبره اشداء ورحماء خبر ثان وهذا هو الراجح لانه
خبر مضاد لقول الكفار لا تكتب محمد رسول الله والذين معه اشارة الى جميع
الصحابة عند الجمهور وحكى الثعلبي عن ابن عباس ان الاشارة الى من شهد
الحديبية (ت) ووصف تعالى الصحابة بانهم رحماء بينهم وقد جاءت احاديث
صحيحة في تراحم المؤمنين حدثنا الشيخ ولي الدين العراقي بسنده عن عبد
الله بن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واخرج الترمذي من طريق
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي
وخرج عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا
يرحم الناس لا يرحمه الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهذا الحديث
خرجه مسلم عن جرير وخرج مسلم ايضا من طريق ابي هريرة من لا يرحم لا
يرحم انتهى وبالجمل فاسباب الالفة والتراحم بين المؤمنين كثيرة ولو بان تلقى
اخاك بوجه طلق وكذلك بذل السلام وطيب الكلام فالموفق لا يحتقر من
المعروف شيئا وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له بسنده عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا التقى المسلمان كان احبهما الى الله سبحانه احسنهما بشرا بصاحبه او قال
اكثرهما بشرا بصاحبه فاذا تصافحا ازل الله عليهما مائة رحمة تسمعون منها للذي
بدأ وعشرة للذي صوفح انتهى * وقوله تراهم ركعا سجدا اي ترى هاتين
الحالتين كثيرا فيهم ويبتغون معناه يطلبون * وقوله سبحانه سيأهم في وجوههم

قال مالك بن انس كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب وقاله
 عكرمة ونحوه لابي العالية وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية هو وعد بجاههم
 يوم القيامة من الله تعالى يجعل لهم نورا من اثر السجود قال (ع) كما يجعل غرة
 من اثر الوضوء حسبا هو في الحديث ويؤيد هذا التاويل اتصال القول بقوله
 فضلا من الله وقال ابن عباس السمت الحسن هو السيام وهو خشوع يبدو على الوجه
 قال (ع) وهذه حالة مكثرى الصلاة لانها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن
 ابن ابي الحسن وشمر ابن عطية السيام بياض وصفرة وتبييض يعترى الوجوه
 من السهر وقال عطاء بن ابي رباح والربيع بن انس السيام حسن يعترى وجوه
 المصابين قال (ع) ومن هذا الحديث الذي في الشهاب من كثرت صلاته بالليل
 حسن وجهه بالنهار قال (ع) وهذا حديث غلط فيه ثابت بن موسى الزاهد
 سمع شريك بن عبد الله يقول حدثنا الاعمش عن ابي سفيان عن جابر ثم نزع
 شريك لما رأى ثابتا الزاهد فقال يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
 بالنهار فظن ثابت ان هذا الكلام حديث متركب على السند المذكور فحدث به
 عن شريك (ت) واعلم ان الله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن
 عقبى الدار والكون في الجنة مع الابرار جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي
 المختار ففي صحيح البخاري ومسلم عن انس قال مروا بمخاضة فائثوا عليها خيرا
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا باخرى فائثوا عليها شرا فقال
 وجبت فقال عمر ما وجبت فقال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا
 اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في الارض انتهى ونقل
 صاحب الكوكب الدرري من مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 يوشك ان تعرفوا اهل الجنة من اهل النار فقالوا يا رسول الله بم قال بالثناء
 الحسن والثناء السيئ انتهى ونقله صاحب كتاب التشوف الى رجال التصوف

وهو الشيخ الصالح ابو يعقوب يوسف بن يحيى التاذلي عن ابن ابي شيبة ولفظه
 وخرج ابو بكر بن ابي شيبة انه قال صلى الله عليه وسلم في خطبته توشكوا ان
 تعرفوا اهل الجنة من اهل النار او قال خياركم من شراركم قالوا بيم يا رسول الله
 قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ انتم شهداء الله بكم على بعض ومن كتاب
 التشوف قال وخرج البزار عن انس قال قيل يا رسول الله من اهل الجنة قال من
 لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن اهل النار قال من لا يموت حتى تملأ
 مسامعه مما يكره قال وخرج البزار عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله
 دلني على عمل ادخل به الجنة قال لا تغضب واتاه اخر فقال متى اعلم اني
 محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن فانك محسن واذا قالوا انك مسي فانك
 مسي انتهى ونقل القرطبي في تذكرته عن عبد الله بن السائب قال مرت
 جنازة بابن مسعود فقال لرجل قم فانظر امن اهل الجنة هو ام من اهل النار
 فقال الرجل ما يدريني امن اهل الجنة هو ام من اهل النار قال انظر ما ثناء
 الناس عليه فانتم شهداء الله في الارض انتهى وبالله التوفيق وايد نستعين *
 وقوله سبحانه ذلك مثلهم في التوراة الآية قال مجاهد وجماعة من التأولين المعنى
 ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وتم القول وكزرع ابتداء تمثيل
 وقال الطبري وحكاه عن الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة
 وتم القول ثم ابتداء ومثلهم في الانجيل كزرع (ت) وقيل غير هذا وابينها الاول
 وماعدها يفتقر الى سند يقطع الشك * وقوله تعالى كزرع على كل قول هو
 مثل للنبي عليه السلام واصحابه في ان النبي عليه السلام بمث وحده فكان
 كالزراع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطاء وهو فراخ السنبلة التي تنبت
 حول الاصل يقال اشطأت الشجرة اذا اخرجت غصونها واشطأ الزرع اذا اخرج
 شطأه وحكي النقاش عن ابن عباس انه قال قال الزرع النبي صلى الله عليه وسلم

فأزره علي بن أبي طالب فاستغلظ بابي بكر فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب (ت) وهذا لين الإسناد والمتن كما ترى والله أعلم بصحته * وقوله تعالى فأزره له معنيان أحدهما ساواه طولاً والثاني أن أزره ووأزره بمعنى أعانه وقواه مأخوذ من الأزر وفاعل أزر يحتمل أن يكون الشطء ويحتمل أن يكون الزرع * وقوله تعالى ليفيظ بهم الكفار ابتداء كلام قبله محذوف تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليفيظ بهم الكفار قال الحسن من غيظ الكفار قول عمر بمكة لا يعبد الله سرا بعد اليوم * وقوله تعالى منهم هي لبيان الجنس وليست للتبويض لانه وعد مرج للجميع

﴿ تفسير سورة الحجرات وهي مدنية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا وقرأ ابن عباس والضحاك ويعقوب بفتح التاء والدال على معنى لا تتقدموا وعلى هذا يحيى تاويل ابن زيد والمعنى على ضم التاء بين يدي قول الله ورسوله وروي أن سبب هذه الآية أن وفد بني تميم لما قدم قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله لو أمرت القعقاع بن معبد وقال عمر لا يا رسول الله بل أمر الأقرع ابن حابس فقال له أبو بكر ما أردت الإخلافي فقال عمر ما أردت خلافاً لك وارتفعت أصواتهما فنزلت الآية وذهب بعض قائل هذه المقالة إلى أن قوله لا تقدموا أي ولا

فهو من تقديم الامراء وعموم اللفظ احسن اي اجعلوه مبدأ في الاقوال والافعال
وعبارة البخاري وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يقضي الله عز وجل على لسانه انتهى * وقوله سبحانه لا ترفعوا
اصواتكم الآية هي ايضا في هذا الفن المتقدم فروي ان سببها ما تقدم عن
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والصحيح انها نزلت بسبب عادة الاعراب من
الجفاء وعلو الصوت وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ممن في
صوته جهارة فلما نزلت هذه الآية اهتم وخاف على نفسه وجلس في بيته لم
يخرج وهو كئيب حزين حتى عرف النبي صلى الله عليه وسلم خبره فبعث اليه
فانسه وقال له امش في الارض بسطا فانك من اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان
تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل شهيدا باليامة يوم مسيلمة
(ت) وحديث ثابت بن قيس وتبشير بالجنة خرج البخاري وكذلك حديث
ابي بكر وعمر وارتفاع اصواتهما خرج البخاري ايضا انتهى * وقوله كجهر
بعضكم لبعض اي كحال احدكم في جفائه فلا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد قاله
ابن عباس وغيره فامرهم الله بتوقيره وان ينعوه بالنبوة والرسالة والكلام اللين
وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونجاسة العالم وفي
المساجد وفي هذه كلها اثار قال ابن العربي في احكامه وحرمة النبي صلى الله
عليه وسلم ميتا كحرمة حيا وكلامه الماثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه
المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه
ولا يمرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله تعالى على
دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هو من الوحي وله من الحرمة مثل ما
للقرآن انتهى * وقوله تعالى ان تحبط مفعول من اجله اي مخافة ان تحبط

ثم مدح سبحانه الذين يعضون اصواتهم عند رسول الله وغض الصوت خفضه وكسره وكذلك البصر وروي ان ابا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج مع عمر بعد ذلك الى استعادة اللفظ لانه كان لا يسمعه من اخفائه اياه وامتنع معناه اختبر وطهر كما يمتحن الذهب بالنار فيسرها وهياها للتقوى وقال عمر بن الخطاب امتنعها للتقوى اذهب عنها الشهوات قال (ع) من غلب شهوته وغضبه فذلك الذى امتحن الله قلبه للتقوى وبذلك تكون الاستقامة وقال البخاري امتحن اخلص انتهى * وقوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون نزلت في وفد بني تميم وقولهم يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا وفي مصحف ابن مسعود اكثرهم بنو تميم لا يعقلون وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقرئ فتشبهوا روي في سبب الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة بن ابي معيط الى بني المصطلق مصدا فلما قرب منهم خرجوا اليه فنزع منهم وظن بهم شرا فرجع وقال للنبي صلى الله عليه وسلم قد منعوني الصدقة وطرودوني وارتدوا فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم فورد وفدهم منكبين لذلك وروي انه لما قرب منهم بلغه عنهم انهم قالوا لا نعطيهم الصدقة ولا نطيعه فقال ما ذكرناه فنزلت الآية وان تصيبوا معناه مخافة ان تصيبوا قال قتادة وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نزلت هذه الآية التثبت من الله والمجلة من الشيطان * وقوله سبحانه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم توبيخ للكذبة والعنت المشقة * وقوله تعالى اولائك هم الراشدون رجوع من الخطاب الى الغيبة كانه قال ومن اتصف بما تقدم من المحاسن اولائك هم

الراشدون * وقوله سبحانه فضلا من الله ونعمة اي كان هذا فضلا من الله ونعمة وكان قتادة رحمه الله يقول قد قال الله تعالى لاصحاب محمد عليه السلام واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وانتم والله اسخف رأيا واطيش احلاما فليتهم رجل نفسه ولينتصم كتاب الله تعالى * وقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما سبب الآية في قول الجمهور هو ما وقع بين المسلمين المتحزبين في قضية عبد الله بن ابي بن سلول حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على حماره متوجها الى زيارة سعد بن عباد في مرضه حسبا هو معلوم في الحديث الطويل ومدافعة الفئسة الباغية متوجبة في كل حال واما التهيئ لقتالهم فع الولاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم حكم الله في الفئسة الباغية ان لا يجيز على جريحتها ولا يطلب هاربها ولا يقتل اسيرها ولا يقسم فيئها وتفي معناه ترجع وقرأ الجمهور بين اخويكم وذلك رعاية لحال اقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر وقرأ ابن عامر بين اخوتكم وقرأ عاصم الجحدري بين اخوانكم وهي قراءة حسنة لان الاكثر في جمع الاخ في الدين ونحوه من غير النسب اخوان والاكثر في جمعه من النسب اخوة و.اخاء وقد تتداخل هذه الجموع وكلها في كتاب الله * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الآية هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق اهل الجاهلية وذلك انهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم لم يقومهم امر من الله ولا نهى فكان الرجل يسخر ويلمز وينبذ بالالقب ويظن الظنون ويتكلم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه الى غير ذلك من اخلاق النفوس البطالة فترت هذه الآية تاديبا لهذه الامة وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا

بحسب امرئى من الشر ان يحتقر اخاه المسلم انتهى ويسخر معناه يستهزئى وقد يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر والقوم فى كلام العرب واقع على الذكران وهو من اسماء الجمع ومن هذا قول زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى * اقوم آل حصن ام نساء

وهذه الآية ايضا تقتضى اختصاص القوم بالذكران وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور وتلزموا معناه يظن بمضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه وقد يكون اللمز بالقول وبالاشارة ونحوه مما يفهمه آخر والهمز لا يكون الا باللسان وحكى الثعلبي ان اللمز ما كان فى المشهد والهمز ما كان فى الغيب وحكى الزهراوى عكس ذلك * وقوله تعالى انفسكم معناه بعضكم بعضا كما قال تعالى ان اقتلوا انفسكم كان المومنين كنفس واحدة اذ هم اخوة كما قال صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائرهُ بالسهر والحمى وهم كما قال ايضا كالبنيان يشد بعضه بعضا والتناز التلقب والتبذ والتلقب واحد والتلقب يعنى المذكور فى الآية هو ما يعرف به الانسان من الاسماء التى يكره سماعها وليس من هذا قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف واذى وقال ابن زيد معنى ولا تنازروا بالالقباب اى لا يقل احد لاحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو هذا * وقوله سبحانه بيس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل معنيين احدهما بيس اسم تكتسبونه بمصيانكم ونزركم بالالقباب فتكونون فاسقا بالمعصية بعد ايمانكم والثانى بيس قول الرجل لاختيه يا فاسق بعد ايمانه وعن حذيفة رضى الله عنه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانى فقال اين انت من الاستغفار انى لاستغفر الله كل يوم مائة مرة رواه النسائي والفظله وابن

ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وفي رواية للنسائي
 اني لا استغفر الله في اليوم واتوب اليه مائة مرة والذرب بفتح الذال والراء هو
 الفحش انتهى من السلاح ومنه عن ابن عمر ان كنا نعد لرسول الله صلى الله
 وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي اذك انت التواب
 الرحيم رواه ابو داود وهذا لفظه والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في
 صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح غريب انتهى ثم امر تعالى المؤمنين
 باجتنب كثير من الظن وان لا يعملوا ولا يتكلموا بحسبه لما في ذلك وفي التجسس
 من التقاطع والتدابير وحكمه على بعضه انه اثم اذ بعضه ليس باثم والظن المنهي
 عنه هو ان تظن شرا برجل ظاهره الصلاح بل الواجب ان تربل الظن وحكمه
 وتتأول الخير قال (ع) وما زال اولوا العزم يحترسون من سوء الظن ويحتملون
 ذرائعه قال النووي واعلم ان سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم ان تحدث
 غيرك بمساوي انسان يحرم ان تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به وفي
 الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فانه اكذب الحديث والاحاديث
 بمعنى ما ذكرناه كثيرة والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما
 الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق
 العلماء لانه لا اختيار له في وقوعه ولا طريق له الى الانفكاك عنه انتهى قال
 ابو عمر في التمهيد وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله من
 المومن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا الخير انتهى ونقل في موضع آخر
 بسنده ان عمر بن عبد العزيز كان اذا ذكر عنده رجل بفضل او صلاح قال
 كيف هو اذا ذكر عنده اخوانه فان قالوا انه يتنقصهم وينال منهم قال عمر ليس
 هو كما تقولون وان قالوا انه يذكر منهم جيلا وخيرا ويحسن الشئاء عليهم قال هو
 كما تقولون ان شاء الله انتهى من التمهيد وروى ابو داود في سننه عن ابي

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن من حسن العبادة انتهى *

وقوله تعالى ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن مخبئات امور الناس وادفعوا بالتى هي احسن واجتروا بالظواهر الحسنة وقرأ احسن وغيره ولا تحسسوا بالحاء المهملة قال بعض الناس التجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير قال (ع) وهكذا ورد القرآن وامكن قد يتداخلان فى الاستعمال (ت) وقد وردت احاديث صحيحة فى هذا الباب لولا الاطالة لجلبناها ولا يغتب معناه لا يذكر احدكم من اخيه شياً هو فيه ويكره سماعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت ما فى اخيك فقد اغتبه واذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته وفى حديث آخر الغيبة ان تذكر المومن بما يكره قيل وان كان حقاً قال اذا قلت باطلا فذلك هو البهتان وحكى الزهراوى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغيبة اشد من الزنا قيل وكيف قال لان الزاني يتوب فيتوب الله عليه والذي يغتاب لا يتاب عليه حتى يستحل قال (ع) وقد يموت من اغتیب او يابى وروى ابو داود فى سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم انتهى والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول فى الغائب واستعملت فى المكروه ولم يبيح فى هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح الشهود وفى التعريف بمن استنصح فى الخطاب ونحوهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم اما معاوية فصعلوك لا مال له وما يقال فى الفسقة ايضا وفى ولاية الجور ويقصد به التحذير منهم ومنه قوله عليه السلام اعن الفاجر ترعون اذكروا الفاجر بما فيه متى يعرفه الناس اذا لم يذكروه (ت) وهذا الحديث خرجه ايضا ابو بكر بن الخطيب بسنده عن بهز عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس ولم يذكر في
سنده مطعنا انتهى ومنه قوله عليه السلام بيس ابن العشرة ثم مثل تعالى
الغيبة باكل لحم ابن ادم الميت ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله يجب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي فكذلك فاكرهوا الغيبة قال ابو
حيان فكرهتموه قيل خبر بمعنى الامر اي فاكرهوه وقيل على بابه فقال الفراء
فقد كرهتموه فلا تفعلوه انتهى وقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان
لم يكن صاحبه كذلك وفي رواية مسلم من دعا رجلا بالكفر او قال عدو الله
وليس كذلك الا حار عليه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم اي رجل
قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما انتهى وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا
ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية المعنى يا ايها الناس انتم سواء من
حيث انتم مخلوقون وانما جعلتم قبائل لان تتعارفوا او لان تعرفوا الحقائق واما
الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب وقرأ ابن مسعود لتعارفوا
بينكم وخيركم عند الله اتقاكم وقرأ ابن عباس لتعرفوا ان على وزن تفعلوا بكسر العين
وبفتح الهمزة من ان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان
يكون اكرم الناس فليثق الله واما الشعوب فهو جمع شعب وهو اعظم ما يوجد
من جماعات الناس مرتبطا بنسب واحد كمضر وربيعة وحير ويتلوه القبيلة ثم
العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة والاسرة وهما قرابة الرجل الادنون ثم نبه
سبحانه على الحذر بقوله ان الله عليم خبير اي بالمتقى الذي يستحق رتبة الكرم
وخرج مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اوحى الي
ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغى احد على احد وروى ابو داود
والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليتهين اقوام يفخرون بآبائهم انما

هم فحم من جهنم اوليكونن على الله اهون من الجمل الذى يدهده الحراء بانفذه
ان الله اذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها انما هو مومن تقي او فاجر شقي كلّم
بنو ادم وادم من تراب انتهى ونقله البغوي فى مصابحه * وقوله تعالى قالت
الاعراب امانا قال مجاهد نزلت فى بنى اسد وهي قبيلة كانت تجاور المدينة
اظهروا الاسلام وفى الباطن انما يريدون المغايم وعرض الدنيا ثم امر الله تعالى
نبيه ان يقول لهؤلاء المدعين للايمان لم تومنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا
اسلمنا اي استسلمنا والاسلام يقال بمعنيين احدهما الذى يعم الايمان والاعمال
وهو الذى فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والذى فى قوله عليه السلام
بني الاسلام على خمس والمعنى الثانى للفظ الاسلام هو الاستسلام والاظهار
الذى يستعصم به ويحقن الدم وهذا هو الذى فى الآية ثم صرح بان الايمان لم
يدخل فى قلوبهم ثم فتح باب التوبة بقوله وان تطيعوا الله الآية وقرأ الجمهور لا
يلتكم من لات يليت اذا نقص يقال لات حقه اذا نقصه منه وقرأ ابو عمرو لا يالتكم
من آلت يالت وهي بمعنى لات * وقوله سبحانه انما المومنون انما هنا حاصرة *
وقوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوبيخهم
بقوله اتعلمون الله بدينكم اي بقولكم امانا وهو يعلم منكم خلاف ذلك لانه
العليم بكل شي * وقوله سبحانه يمتنون عليك ان اسلموا نزلت فى بنى اسد
ايضا وقرأ ابن مسعود يمتنون عليك اسلامهم وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية والله
بصير بما يعملون

﴿ تفسير سورة ق وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل ق والقمران المجيد قال مجاهد والضحاك وابن زيد وعكرمة ق اسم الجبل المحيط بالدنيا وهو فيما يزعمون انه من زمردة خضراء منها خضرة السماء وخضرة البحر وقيل في تفسيره غير هذا والمجيد الكريم في اوصافه الذي جمع كل معلاة وق مقسم به والقمران قال الزجاج وجواب القسم محذوف تقديره ق والقمران المجيد لتبعث قال (ع) وهذا قول حسن واحسن منه ان يكون الجواب هو الذي يقع عنه الاضراب ببل كانه قال والقمران المجيد ما ردوا امرك بحجة ونحو هذا مما لا بد لك من تقديره بعد الذي قدره الزجاج وباقي الآية بين مما تقدم في ص ويونس وغيرها ثم اخبر تعالى ردا على قولهم بانه سبحانه يعلم ما تاكل الارض من ابن ادم وما تبقى منه وان ذلك في كتاب والحفيظ الجامع الذي لم يفته شي وفي الحديث الصحيح ان الارض تاكل ابن ادم الاعجب الذنب وهو عظم كالخردلة فنه يركب ابن ادم قال (ع) وحفظ ما تنقص الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق قال ابن عباس والجمهور المعنى ما تنقص من لحومهم وابشارهم وعظامهم وقال السدي ما تنقص الارض اي ما يحصل في بطنها من موتاهم وهذا قول حسن مضمونه الواسع والمريج معناه المختلط قاله ابن زيد اي بعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول شاعر الى غير ذلك من تحليطهم قال (ع) والمريج المضطرب ايضا وهو قريب من الاول ومنه مرجت عهودهم ومن الاول مرج

البحرين ثم دل تعالى على العبرة بقوله افلم ينظروا الى السماء الآية وزيناها اي
بالنجوم والفروج الفطور والشقوق خلالها واثناها قاله مجاهد وغيره (ت)
وقال الثعلبي باثر كلام للكسائي يقول كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما
فيها فتوق والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء انتهى والرواسي
الجلال والزوج النوع والبهيج الحسن المنظر قاله ابن عباس وغيره والنيب الراجع
الى الحق عن فكرة ونظر قال قتادة هو المقبل الى الله تعالى وخص هذا الصنف
بالذكر تشريفا لهم من حيث انتفاعهم بالتبصرة والذكرى وحب الحصيد البر
والشعير ونحوه مما هو نبات محبب يحصد قال ابو حيان وحب الحصيد من اضافة
الموصوف الى صفته على قول الكوفيين او على حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه اي حب الزرع الحصيد على قول البصريين وباسقات حال مقدرة لانها
حالة الانبات ليست طوالا انتهى وباسقات معناه طويلات ذاهبات في السماء
والطلع اول ظهور التمر في الكفري قال البخاري ونضيد معناه منضود بعضه
على بعض انتهى ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد ثم بين سبحانه
موضع الشبه فقال كذلك الخروج يعني من القبور وهذه الآيات كلها انما هي
امثلة وادلة على البعث واصحاب الرس قوم كانت لهم بير عظيمة وهي الرس
وكل ما لم يطو من بير او معدن او نحوه فهورس وجاءهم نبي يسمى خنظلة
ابن سفيان فيما روي فجعلوه في الرس ورددوا عليه فاهلكهم الله وقال الضحاك
الرس بير قتل فيها صاحب يس وقيل انهم قوم عاد والله اعلم * وقوله كل قال
سيبويه التقدير كلهم والوعيد الذي حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم *
وقوله سبحانه افعمينا توقيف للكفار وتوبيخ والخلق الاول انشاء الانسان من
نطفة على التدريج المعلوم وقال الحسن الخلق الاول ادم واللبس الشك والريب
واختلاط النظر والخلق الجديد البعث من القبور * وقوله سبحانه ولقد خلقنا

الانسان الآية الانسان اسم جنس وتوسوس معناه تتحدث في فكرتها
والوسوسة انما تستعمل في غير الخير * وقوله تعالى ونحن اقرب اليه من جبل
الوريد عبارة عن قدرة الله على العبد وكون العبد في قبضة القدرة والعلم قد
احيط به فالقرب هو بالقدرة والسلطان اذ لا يحجب عن علم الله لا باطن ولا
ظاهر والوريد عرق كبير في العنق ويقال انهما ويريدان عن يمين وشمال واما
قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان فقال المفسرون العامل في اذ اقرب ويحتمل عندي ان
يكون العامل فيه فعلا مضمرًا تقديره اذكر اذ يتلقى المتلقيان والمتلقيان الملكان
الموكلان بكل انسان ملك اليمين الذي يكتب الحسنات وملك الشمال الذي يكتب
السيئات قال الحسن الحفظه اربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل قال (ع) ويؤيد
ذلك الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث
بكامله وروى ان ملك اليمين امير على ملك الشمال وان العبد اذا اذنب يقول
ملك اليمين للآخر ثبت لعله يتوب رواه ابراهيم التيمي وسفيان الثوري وقعيد
معناه قاعد * وقوله سبحانه ما يلفظ من قول الآية قال الحسن بن ابي الحسن
وقتادة يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات
ويمحو غير هذا وهذا هو ظاهر هذه الآية قال ابو الجوزاء ومجاهد يكتبان عليه
كل شيء حتى ائنه في مرضه وقال عكرمة يكتبان الخير والشر فقط قال (ع)
ولا اول اصوب (ت) وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كل شيء يتكلم به ابن آدم فانه مكتوب عليه اذا اخطأ خطيئة فاحب ان يتوب
الى الله فليات فليمد يديه الى الله عز وجل ثم يقول اللهم اني اتوب اليك منها
لا ارجع اليها ابدًا فانه ينفرد له ما لم يرجع في عمله ذلك رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلم انتهى من السلاح قال
النسوي رحمه الله تعالى ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه من جميع الكلام

الأكلاما تظهر فيه مصطلحه ومتى استوى الكلام وتركه بالمصلحة فالسنة الامساك
فانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام او مكروه وهذا هو الغالب والسلامة لا
يعملها شي. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم انه قال
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وهو نص صريح فيما
قلناه قال وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الترمذي حديث حسن
وفيه عن عقبه بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك
وليستمع بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وفيه عنه
صلى الله عليه وسلم قال من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجله دخل
الجنة قال الترمذي حديث حسن انتهى والرقب المراقب والعقيد الحاضر *
وقوله وجاءت عطف عندي على قوله اذ يتلقى فالتقدير واذ تجي سكرة الموت
(ت) قال شيخنا زين الدين العراقي في ارجوزته * وسكرة الموت اختلاط
العقل * البيت انتهى * وقوله بالحق معناه بقاء الله وفقد الحياة الدنيا
وفراق الحياة حق يعرفه الانسان ويحيد منه بامله ومعنى هذا الحيد انه يقول
اعيش كذا وكذا فمتى فكر حاد بذهنه وامله الى مسافة بعيدة من الزمان
وهذا شأن الانسان حتى يفاجئه الاجل قال عبد الحق في العاقبة ولما احتضر
مالك بن انس ونزل به الموت قال لمن حضره ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة
رحمته ما لم يخطر على قلب بشر كشف له رضي الله عنه عن سعة رحمة الله وكثرة
عفو وعظيم تجاوزه ما اوجب ان قال هذا وقال ابو سليمان الداراني دخلنا على
عابد تزوره وقد حضره الموت وهويبيكي فقلنا له ما يبكيك رحمتك
الله فانشأ يقول

وحق لمثلي البكا عند موته * ومالي لا ابكي وموتي قد اقترب

ولى عمل فى اللوح احصاه خالق * فان لم يجد بالعفوصرت الى العطب
انتهى ويوم الوعيد هو يوم القيامة والسائق الحاث على السير واختلف الناس
فى السائق والشهيد فقال عثمان بن عفان وغيره هما ملكان موكلان بكل انسان
احدهما يسوقه والاخر من حفظته يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك
والشهيد العمل وقيل الشهيد الجوارح وقال بعض النظار سائق اسم جنس
وشهيد كذلك فالساقفة للناس ملائكة موكلون بذلك والشهداء الحفظة فى
الدنيا وكل من يشهد * وقوله سبحانه كل نفس يعم الصالحين وغيرهم فانما
معنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى فى شهيد اسم الجنس فتشهد الملائكة
والبقاع والجوارح وفى الصحيح لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن
ولا شئ الا شهد له يوم القيامة * وقوله سبحانه لقد كنت قال ابن عباس وغيره اى
يقال للكافر لقد كنت فى غفلة من هذا فلما كشف الغطاء عنك الآن احتد
بصرك اى بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن ونحوه وقال مجاهد
هو بصر العين اى احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك من احوال القيامة
والوجه عندى فى هذه الآية ما قاله الحسن وسالم بن عبد الله انها مخاطبة
للانسان ذى النفس المذكورة من مومن وكافر وهكذا قال الفخر قال والا قوى
ان يقال هو خطاب عام مع السامع كانه يقول ذلك ما كنت منه تحيد ايها
السامع انتهى وينظر الى معنى كشف الغطاء قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا * وقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قال جماعة من
المفسرين يبنى قرينه من زبانية جهنم اى قال هذا المذاب الذى لدى لهذا الكافر
حاضر وقال قتادة وابن زيد بل قرينه الموكل بسوقه قال (ع) ولفظ القرين
اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين وكاتب سيئاته فى الدنيا
قرين والكل تحمله هذه الآية اى هذا الذى احصيته عليه عتيد لدى وهو

موجب عذابه والقرين الذى فى هذه الآية غير القرين الذى فى قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اذ المقارنة تكون على انواع * وقوله سبحانه القيا فى جهنم كل كفار عنيد المعنى يقال القيا فى جهنم واختلف لمن يقال ذلك فقال جماعة هو قول لملكين من ملائكة العذاب وقال عبد الرحمن بن زيد هو قول للسائق والشهيد وقال جماعة من اهل العلم باللغة هذا جار على عادة كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين وذلك ان العرب كان الغالب عندها ان يترافق فى الاسفار ونحوها ثلاثة فكل واحد منهم يخاطب اثنين فكثير ذلك فى اشعارها وكلامها حتى صار عرفا فى المخاطبة فاستعمل فى الواحد ومن هذا قولهم فى الاشعار خليلي وصاحبي وقفنا بك ونحوه وقال بعض المتأولين المراد القين فعوض من النون الف وقرأ الحسن بن ابى الحسن القيا بتنوين الياء وعنيد معناه عاند عن الحق اى منحرف عنه * وقوله تعالى مناع للخير لفظ عام للمال والكلام الحسن والمعاونة على الاشياء ومعتمد معناه بلسانه ويد * وقوله سبحانه الذى جعل مع الله الآية يحتمل ان يكون الذى بدلا من كفار اوصف له ويقوى عندى ان يكون الذى ابتداء ويتضمن القول حينئذ بنى آدم والشياطين المغوين لهم فى الدنيا ولذلك تحرك القرين الشيطان المغوى فرام ان يبرئ نفسه ويخلصها بقوله ربنا ما اطغيته * وقوله ربنا ما اطغيته ليست بحجة لانه كذب ان نفي الاطغاء عن نفسه جملة وهو قد اطغاه بالسوسة والتريين واطغاه الله بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الذى هو عدل منه سبحانه لا رب غيره * وقوله سبحانه لا تختصموا لدي معناه قال الله لا تختصموا لدي بهذا النوع من المقالة التى لا تفيد شيأ وقد قدمت اليكم بالوعيد وهو ما جاءت به الرسل والكتب وجمع الضمير لانه مخاطبة لجميع القرناء اذ هو امر شائع لا يقف على اثنين فقط * وقوله سبحانه ما يبدل القول لدي اى لا

ينقض ما ابرمه كلامي من تعذيب الكفرة ثم ازال سبحانه موضع الاعتراض بقوله وما انا بظلام للعبيد اي هذا عدل فيهم لاني انذرت وامهلت وانعمت وقرأ الجمهور يوم نقول بالنون وقرأ نافع وعاصم في رواية ابي بكر بالياء وهي قراءة اهل المدينة قال (ع) والذي يترجح في قول جهنم هل من مزيد انها حقيقة وانها قالت ذلك وهي غير ملأى وهو قول انس بن مالك ويبين ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ويتزوى بعضها الى بعض ولفظ البخاري عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم فقال الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويتزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى قال (ع) ومعنى قدمه ما قدم لها من خلقه وجعلهم في علمه ساكنيها ومنه ان لهم قدم صدق عند ربهم وملاك النظر في هذا الحديث ان الجارحة والتشبيه وما جرى مجراه منتف كل ذلك عن الله سبحانه فلم يبق الا اخراج اللفظ على الوجوه السائغة في كلام العرب وازلفت الجنة معناه قربت ولما احتمل ان يكون معناه بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد قال ابو حيان غير بعيد اي مكانا غير بعيد فهو منصوب على الظرف وقيل منصوب على الحال من الجنة انتهى * وقوله سبحانه هذا ما توعدون يحتمل ان يكون معناه يقال لهم في الآخرة عند ازالاف الجنة هذا الذي كنتم توعدون به في الدنيا ويحتمل ان يكون خطابا للامة اي

هذا ما توعدون ايها الناس لكل اواب حفيظ والاواب الرجاء الى الطاعة والى مرشد نفسه وقال ابن عباس وعطاء الاواب المسيح من قوله يا جبال اوبى معه وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه وقال عبيد بن عمر كنا نتحدث انه الذى اذا قام من مجلسه استغفر الله مما جرى فى ذلك المجلس وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل والحفيظ معناه لاوامر الله فيمتثلها ولنواهيها فيتركها وقال ابن عباس حفيظ لذنوبه حتى يرجع عنها والمنيب الراجع الى الخير المائل اليه قال الداودي وعن قتادة بقلب منيب قال مقبل على الله سبحانه انتهى *

وقوله سبحانه ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها * وقوله عز وجل لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد خبر بانهم يعطون * اما لهم اجمع ثم ابهم تعالى الزيادة التى عنده للمومنين المتنعمين وكذلك هي مبهمة فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة عين وقد فسر ذلك الحديث الصحيح وهو قوله عليه السلام يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر له ما اطلعتم عليه قال (ع) وقد ذكر الطبري وغيره فى تعيين هذا المزيد احاديث مطولة واشياء ضعيفة لان الله تعالى يقول فلا تعلم نفس وهم يعينونها تكلفا وتعسفا * وقوله سبحانه فنقبوا فى البلاد اي ولجوا البلاد من انقابها طمعا فى النجاة من الهلاك هل من محيص اي لا محيص لهم وقرأ ابن عباس وغيره فنقبوا على الامر لهؤلاء الحاضرين (ت) وعبارة البخاري فنقبوا ضربوا وقال الداودي وعن ابى عبيدة فنقبوا فى البلاد طافوا وتباعدوا انتهى *

وقوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لمن كان له قلب واع يستفهم به وقال الشبلي معناه قلب حاضر مع الله لا يفتل عنه طرفه عين * وقوله تعالى اوالى السمع وهو شهيد معناه صرف سمعه الى هذه الانباء الواعظة واثبتته فى سماعها وهو

شهيد قال بمض المتأولين معناه وهو مشاهد مقبل على الامر غير معرض ولا مفكر في غير ما يسمع (ت) ولفظ البخاري او التقي السمع اي لا يحدث نفسه بغيره شهيد اي شاهد بالقلب انتهى قال المحاسبي في رعايته وقد احببت ان احضك على حسن الاستماع لتدرك به الفهم عن الله عز وجل في كل ما دعاك اليه فانه تعالى اخبرنا في كتابه ان من استمع كما يجب الله تعالى ويرضى كان له فيما يستمع اليه ذكرى يعنى التعاظا واذا سمى الله عز وجل لاحد من خلقه شياً فهو له كما سمى وهو واصل اليه كما اخبر قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او التقي السمع وهو شهيد قال مجاهد شاهد القلب لا يحدث نفسه بشيئ ليس بغائب القلب فمن استمع الى كتاب الله عز وجل او الى حكمة او الى علم او الى عظة لا يحدث نفسه بشيئ غير ما يستمع اليه قد اشهد قلبه ما استمع اليه يريد الله عز وجل به كان له فيه ذكرى لان الله تعالى قال ذلك فهو كما قال عز وجل انتهى كلام المحاسبي وهو در نفيس فحصله واعمل به ترشد وقد وجدناه كما قال وبالله التوفيق * وقوله سبحانه ولقد خلقنا السموات والارض الآيات خبر مضمونه الرد على اليهود الذين قالوا ان الله خلق الاشياء كلها ثم استراح يوم السبت فنزلت وما مسنا من لغوب واللغوب الاعياء والنصب * وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم وعم بذلك جميع الاقوال الزائفة من قريش وغيرهم وسبح معناه صل باجماع من المتأولين (ت) وفي الاجماع نظر وقد قال الثعلبي وسبح بمجد ربك اي قل سبحان الله والحمد لله قاله عطاء الخراساني انتهى ولكن المخرج في الصحيح انما هو امر الصلاة وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ومن الليل فسبحه فيه اربعة اقوال احدها انه تسبيح الله في الليل ويمضد هذا القول الحديث الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله الحديث وقد ذكرناه في سورة المزمل

والثاني صلاة الليل والثالث انها ركعتا الفجر والرابع انها صلاة العشاء الآخرة
 انتهى * وقوله بحمد ربك الباء للاقتران اي سبح سبعة يكون معها حمد
 وقبل طلوع الشمس هي الصبح وقبل الغروب هي العصر قاله ابن زيد والناس
 وقال ابن عباس الظهر والعصر ومن الليل هي صلاة العشاءين وقال ابن زيد
 هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل * وقوله وادبار السجود قال
 عمر بن الخطاب وجماعة هي الركعتان بعد المغرب واسنده الطبري عن ابن
 عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) كانه روعي ادبار صلاة النهار كما
 روعي ادبار النجوم في صلاة الليل وقال ابن عباس ايضا وابن زيد ومجاهد هي
 النوافل اثر الصلوات وهذا جار مع لفظ الآية وقرأ نافع وابن كثير وحمة وادبار
 بكسر الهمزة وهو مصدر وقرأ الباقر بفتحها وهو جمع دبر كطنب واطناب اي
 وفي ادبار السجود اي في اعقابه * وقوله سبحانه واستمع يوم يناد المنادى من
 مكان قريب واستمع بمنزلة وانتظر وانما الآية في معنى الوعيد للكفار وهذا كما
 تقول لمن تعدد بورود فتح استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا له
 فعلى هذا فنصب يوم انما هو على المفعول الصريح * وقوله سبحانه من مكان
 قريب قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق وروي عن النبي صلى
 الله عليه وسلم ان ملكا ينادى من السماء ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية
 والرمم الذاهبة هلمى الى الحشر والوقوف بين يدي الله عز وجل والصيحة هي
 صيحة المنادى والخروج هو من القبور ويومه هو يوم القيامة ويوم الخروج في
 الدنيا هو يوم العيد * وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير معادل لقول الكفرة
 ذلك رجع بعيد * وقوله سبحانه نحن اعلم بما يقولون وعيد محض للكفرة *
 وقوله سبحانه وما انت عليهم بجبار قال الطبري وغيره معناه وما انت عليهم
 بمسلط تجبرهم على الايمان وقال قتادة هو نهي من الله تعالى عن التجبر والمعنى

وما انت عليهم بمتعظم من الجبروت وروى ابن عباس ان المومنين قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فترلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيدى

تفسير سورة والذاريات وهي مكيتة
باجماع المفسرين

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والذاريات ذروا الآية اقسام الله عز وجل بهذه المخلوقات تنبيهها عليها وتشريفها ودلالة على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها الى توحيد الله عز وجل فقوله والذاريات هي الرياح باجماع وذروا نصب على المصدر والحاملات وقرا قال علي هي السحاب وقال ابن عباس وغيره هي السفن الموقورة بالناس وامتعتهم وقال جماعة من العلماء هي ايضا مع هذا جميع الحيوان الحامل وفي جميع ذلك معتبر والجاريات يسرا قال علي وغيره هي السفن في البحر وقال اخرون هي السحاب وقال اخرون هي الكواكب قال (ع) واللفظ يقتضى جميع هذا ويسرا نعمت لمصدر محذوف وصفات المصادر المحذوفة تعود احوالا ويسرا معناه بسهولة والمقسمات امرا الملائكة والامر هنا اسم جنس فكانه قال والجماعات التى تقسم امور الملكوت من الارزاق والآجال والخلق فى الارحام وامر الرياح والجبال وغير ذلك لان كل هذا انما هو بملائكة تخدمه واث المقسمات من حيث اراد الجماعات وهذا القسم واقع على قوله انما توعدون لصادق الآية وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الایعاد وهو اظهر والدين الجزاء

وقال مجاهد الحساب ثم اقسام تعالى بمخلوق آخر فقال والسماء ذات الحبك والحبك الطرائق التي هي على نظام في الاجرام ويقال لما تراه من الطرائق في الماء والرمال اذا اصابته الريح حبك ويقال لتكسر الشعر حبك وكذلك في المنسوجات من الاكسية وغيرها طرائق في موضع تداخل الحيوط هي حبك وذلك لجودة خلقة السماء ولذلك فسرهما ابن عباس وغيره بذات الخلق الحسن وقال الحسن حبكها كواكبها * وقوله سبحانه انكم لفي قول مختلف يحتمل ان يكون خطابا لجميع الناس اي منكم مومن بمحمد ومنكم مكذب له وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون خطابا للكفرة فقط لقول بعضهم شاعر وبعضهم كاهن وبعضهم ساحر الى غير ذلك وهذا قول ابن زيد ويوفك معناه يصرف اي يصرف من الكفار عن كتاب الله من صرف ممن غلبت عليه شقاوته وعرف الاستعمال في افك انما هو في الصرف من خير الى شر * وقوله تعالى قتل الخراصون دعاء عليهم كما تقول قاتلك الله وقال بعض المفسرين معناه لمن الخراصون وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ (ت) والظاهر ما قاله هذا المفسر قال عياض في الشفا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقتلهم الله اني يوفكون اي لعنهم الله انتهى وقد تقدم للشيخ عند قوله تعالى عليهم دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته انتهى بلفظه وظاهره يخالف لما هنا وسببته في سورة البروج والخراس المخمن القائل بظنه والاشارة الى مكذبي النبي صلى الله عليه وسلم والغمرة ما يغشى الانسان ويعطيه كغمرة الماء وساهون معناه عن وجوه النظر * وقوله تعالى يسئلون ايان يوم الدين اي يوم الجزاء وذلك منهم على جهة الاستهزاء * وقوله يوم هم على النار يفتنون قال الزجاج التقدير هو كائن يوم هم على النار يفتنون ويفتنون معناه يحرقون ويعذبون في النار قاله ابن عباس والناس

وفتنت الذهب احرقتة وذوقوا فتنتكم اي حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره *
ان المتقين في جنات وعيون الآية روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به
الباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقوله سبحانه في المتقين
• اخذين ما آتاهم ربهم اي محصلين ما اعطاهم ربهم سبحانه من جناته
ورضوانه وانواع كراماته انهم كانوا قبل ذلك يريد في الدنيا محسنين بالطاعات
والعمل الصالح (ت) وروى الترمذي عن سعد بن ابى وقاص عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لوان ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق
السموات والارض ولوان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء
الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى ومعنى قوله كانوا قليلا من
الليل ما يهجمون ان نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والمهجوع
النوم وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه
الا قليلا واما اعراب الآية فقال الضحاك في كتاب الطبري ما يقتضى ان
المعنى كانوا قليلا في عددهم وتم خبر كان ثم ابتداء من الليل ما يهجمون فنافية
وقليلا وقف حسن وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقليل خبر كان والمعنى
كانوا قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجي قول الحسن وغيره وهو
الظاهر عندي ان المراد كان هجوعهم من الليل قليلا قيل لبعض التابعين مدح
الله قوما كانوا قليلا من الليل ما يهجمون ونحن قليلا من الليل ما نقوم فقال
رحم الله امراً رقد اذا نفس واطاع به اذا استيقظ * وقوله تعالى وبالاسحارهم
يستغفرون قال الحسن معناه يدعون في طلب المغفرة ويروى ان ابواب الجنة
تفتح سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الآخر من الليل والباء في
قوله بالاسحار بمعنى في قاله ابو البقاء انتهى ومن كلام الجوزي في المنتخب يا

اخي علامة المحبة طلب الحلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الحلوات لما ستروا
 قيام الليل في ظلام الدجى غير ان يطلع الغير عليهم سترهم سبحانه بستر فلا
 تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة عين لما صفت خلوات الدجى ونادى اذان
 الوصال اقم فلانا وانم فلانا خرجت بالاسماء الجرائد * وفاز الاجباب
 بالفوائد * وانت غافل راقد * اه لو كنت معهم اسفل لك لو رأيتهم لأبصرت
 طلائع الصديقين في اول القوم وشاهدت ساقية المستغفرين في الركب
 وسمعت استغاثة المحبين في وسط الليل لو رأيتهم يا غافل وقد دارت كنوس
 المناجات * بين مظاهر التلاوات * فاسكرت قلب الواجد ورقمت في
 مصاحف الوجنات * تعرفهم بسيماهم يا طويل النوم فانتك مدحة تتجافى
 وحرمت منحة والمستغفرين يا هذا ان الله تعالى ربحا تسمى الصبيحة مخزونة تحت
 العرش تهب عند الاسحار * فتحمل الدعاء والالين والاستغفار * الى حضرة
 العزيز الجبار * انتهى * وفي اموالهم حق الآلة الصحيح انها محكمة وان
 هذا الحق هو على وجه النذب ومعلوم يراد به متعارف وكذلك قيام الليل
 الذى مدح به ليس من الفرائض واكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات
 والمحروم هو الذى تبعد عنه مكنات الرزق بعد قربها منه فينال حرمان وفاقه
 وهو مع ذلك لا يستل فهذا هو الذى له حق فى اموال الاغنياء كما للسائل
 حق وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع الى هذا وبعد هذا محذوف تقديره
 فكونوا ايها الناس مثلهم وعلى طريقهم وفى الارض ايات لمن اعتبر وايقن *
 وقوله سبحانه وفى انفسكم حالة على النظر فى شخص الانسان وما فيه من
 العبر وامر النفس وحياتها ونطقها واتصال هذا الجزء منها بالعقل قال ابن زيد
 انما القلب مضغة فى جوف ابن آدم جعل الله فيه العقل افيدرى احد ما ذلك
 العقل وما صفته وكيف هو (ت) قال ابن العربي فى رحلته اعلم ان معرفة

العبد نفسه من اولى ما عليه واكده اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وغير ما اية في ذلك ثم قال ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان كان لم يدرك حقيقته كذلك لا يقدر ان ينكر وجود البارئ سبحانه الذى دلت افعاله عليه وان لم يدرك حقيقته انتهى *

وقوله سبحانه وفي السماء رزقكم قال مجاهد وغيره هو المطر وقال واصل الاحدب اراد القضاء والقدر اي الرزق عند الله ياتي به كيف شاء سبحانه لا رب غيره وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الوعيد قال الضحاك المراد من الجنة والنار وقال مجاهد المراد الخير والشر وقال ابن سيرين المراد الساعة ثم اقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه في اليقين به بالنطق من الانسان وهو عنده في غاية الوضوح وما زائدة تغطي تأكيدا والنطق في هذه الآية هو الكلام بالحروف والاصوات في ترتيب المعاني وروى ان بمض الاعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال من احوج الكريم الى ان يحلف والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبي وسبل الخيرات وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله قوما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو فر احدكم من رزقه لتبعه كما يتبع الموت واحاديث الرزق كثيرة ومن كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قال قلت لشيخنا من اين وقع الاضطراب في القلوب وقد جاءها الضمان من الله عز وجل قال من وجهين احدهما قلة المعرفة بحسن الظن والقاء التهم عن الله عز وجل والوجه الثاني ان يعارضها خوف الفوت فتسجيب النفس للداعي ويضعف اليقين ويعدم الصبر فيظهر الجزع قلت شي غير هذا قال نعم ان الله عز وجل وعد الارزاق وضمن وغيب الاوقات ليختبر اهل العقول ولولا ذلك لكان كل المؤمنين راضين صابرين متوكلين لكن الله عز وجل اعلمهم انه

رازقهم وحلف لهم على ذلك وغيب عنهم اوقات العطاء فن هاهنا عرف الخاص من العام وتفاوت العباد في الصبر والرضا واليقين والتوكل والسكون فمنهم كما علمت ساكن ومنهم متحرك ومنهم راض ومنهم ساخط ومنهم جزع فعلى قدر ما تفاوتوا في المعرفة تفاوتوا في اليقين وعلى قدر ما تفاوتوا في اليقين تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل اه * وقوله سبحانه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم الآية قد تقدم قصصها وعليم اي عالم وهو اسحاق عليه السلام (ت) ولنذكر هنا شيئاً من الآثار في اداب الطعام قال النووي روى ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الطعام اذا قرب اليه اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار بسم الله انتهى وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان ادركتم المبيت واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشاء وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه الحديث انتهى والصرة الصيحة كذا فسر ابن عباس وجماعة قال الطبري عن بعضهم قالت اوة بصياح وتعجب وقال النحاس في صرة في جماعة نسوة * وقوله فصكت وجهها معناه ضربت وجهها استهوا لا لما سمعت وقال سفيان وغيره ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الآن وقولهم كذلك قال ربك اي كقولنا الذي اخبرناك * وقوله تعالى حجارة من طين بيان يخرج عن معتاد حجارة البرد التي هي من ماء وروى انه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالاجر ومسومة نعت لحجارة ثم اخبر تعالى انه اخرج بامر من كان في قرية لوط من المؤمنين منجيا لهم واعاد الضمير على القرية وان لم يجر لها قبل ذلك ذكر اشهرة

امرها قال المفسرون لافرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأخره وانما هما وصفان ذكرهم اولاً باحدهما ثم اخرا بالثاني قيل فالآية دالة على ان الايمان هو الاسلام قال (ع) ويظهر لي ان في المعنى زيادة تحسن التقديم للايمان وذلك انه ذكره مع الاخراج من القرية كأنه يقول نفذ امرنا باخراج كل مومن ولا يشترط فيه ان يكون عاملاً بالطاعات بل التصديق بالله فقط ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والاعمال والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه وفي كتاب الثعلبي وقيل لوط واهل بيته ثلاثة عشر وهلك امرأته فيمن هلك وهذه القصة ذكرت على جهة ضرب المثل لقريش وتحذيرا ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء * وقوله وتركنا فيها اي في القرية وهي سدوم آية قال ابو حيان وفي موسى اي وفي قصة موسى انتهى * وقوله سبحانه في فرعون فتولى يركنه اي اعرض عن امر الله وركنه هو سلطانه وجنده وشدة امره وقول فرعون في موسى ساحرا ومجنونا هو تقسيم ظن ان موسى لا بد ان يكون احد هذين القسمين وقال ابو عبيدة او هنا بمعنى الواو وهذا ضعيف لاداعية اليه في هذا الموضع * وقوله ما تذر من شيء اتت عليه اي ما تدع من شيء اتت عليه مما اذن لها في اهلاكه الاجملته كالريم وهو الفاني المتقطع يبسا او قدما من الاشجار والورق والمظام وروي في حديث ان تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العادي وغيره فتتزع العادي من بين الناس وتذهب به * وقوله سبحانه وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا اي اذ قيل لهم في اول بعث صالح وهذا قول الحسن ويحتمل اذ قيل لهم بعد عقر الناقة تمتعوا في دركم ثلاثة ايام وهو قول الفراء * وقوله فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي يبصرون بميوتهم وهذا قول الطبري ويحتمل ان يريد وهم ينتظرون في تلك الايام الثلاثة وهذا قول مجاهد * فما استطاعوا من

قيام اي من مصارعهم قاله بعض المفسرين وقال قتادة وغيره معناه من قيام بالامر النازل بهم ولا دفعه عنهم * وقوم نوح بالنصب وهو عطف اما على الضمير في قوله فاخذتهم اذ هو بمنزلة اهلكتهم واما على الضمير في قوله فنبتناهم * وقوله والسماء نصب باضمار فعل تقديره وبنينا السماء بيناها والايدي القوة قاله ابن عباس وغيره وانا لموسعون اي في بناء السماء اي جعلناها واسعة قاله ابن زيد ابو البقاء فنعم الماهدون اي نحن فحذف المخصوص انتهى * وقوله سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين قال مجاهد معناه ان هذه اشارة الى المتضادات والمتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والايمان والكفر ونحو هذا ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التي توجد الضدين وقال ابن زيد وغيره هي اشارة الى الانثى والذكر من كل حيوان (ت) والاول احسن لشموله لما ذكره ابن زيد * وقوله سبحانه ففروا الى الله الآية امر بالدخول في الايمان وطاعة الرحمن ونبه بلفظ الفرار على ان وراء الناس عقابا وعذابا يفر منه فجمعت لفظة فروا بين الحذير والاستدعاء (ت) واسند ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة تصنيفه عن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من زاويته واذا هو بقائل يقول اللهم اعني على ما ينجيني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك الاتضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوقتهم اليه وفيه فذهبوا ينظرون فاذا هو الحضر عليه السلام انتهى مختصرا * وقوله تعالى كذلك اي سيرة الامم كذلك قال عياض فهذه الآية ونظائرها تسلية للذي صلى الله عليه وسلم عزاه الله عز وجل بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبياؤها وانه ليس اول من

لقي ذلك انتهى من الشفا * وقوله سبحانه اتواصوا به توقيف وتعجيب من
توارد نفوس الكفرة في تكذيب الانبياء على تفرق ازمانهم اي لم يتواصوا
لكنهم فعلوا فعلا كأنه فعل من تواصى والعلة في ذلك ان جميعهم طاغ والطاغى
المستعلى في الارض المفسد * وقوله تعالى فتول عنهم اي عن الحرص المفرط
عليهم وذهاب النفس حشرات ولست بلموم اذ قد بلغت وذكر فان الذكرى
نافعة للمومنين ولمن قضى له ان يكون منهم * وقوله سبحانه وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وعلي المعنى ما خلقت الجن والانس الا
لامرهم بعبادتي وليقروا الى بالعبودية وقال زيد بن اسلم وسفيان هذا خاص
والمراد ما خلقت الطائعين من الجن والانس الالعبادتي ويؤيد هذا التاويل ان
ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما خلقت الجن والانس
من المومنين الا ليعبدون وقال ابن عباس ايضا معنى ليعبدون ليتذللوا الى ولقد رتق
وان لم يكن ذلك على قوانين شرع وعلى هذا التاويل فجميعهم من مومن وكافر
متذلل لله عز وجل الاتراهم عند القحوط والامراض وغير ذلك كيف يخضعون
لله ويتذللون (ت) قال الفخر فان قيل ما العبادة التي خلق الله الجن والانس
لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل
شرع منهما واما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة
والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان انتهى ونقل الثعلبي وغيره عن
مجاهد الا ليعبدون اي ليعرفوني قال صاحب الكلم الفارقية المرفقة بالله تملأ
القلب مهابة ومخافة والعين عبرة وعبرة وحيا وخجلة والصدر خشوعا وحرمة
والجوارح استكانة وذلة وطاعة وخدمة واللسان ذكرا وحمدا والسمع اصفا
وتفهما والحواس في مواقف المناجات خمودا والوساوس اضمحلالا انتهى *
وقوله سبحانه ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم *

وقوله ان يطعمون اي ان يطعموا خلق قاله ابن عباس ويحتمل ان يريد ان ينفعوني والتمين الشديد (ت) وروينا في كتاب الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يا بن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد ففرك والاتفضل ملأت يدك شغلا ولم اسد ففرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وروينا فيه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا الا ما قدر له انتهى * وقوله سبحانه فان للذين ظلموا يريد اهل مكة والذنوب الحظ والنصيب واصله من الدلو وذلك ان الذنوب هو ملء الدلو من الماء وكذا قال ابو حيان ذنوبا اي نصيبا انتهى واصحابهم يراد بهم من تقدم من الامم المعذبة وباقي الآية وعيد بين

﴿ تفسير سورة الطور وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور الآية هذه مخلوقات اقسام الله عز وجل بها تنبها على النظر والاعتبار بها المؤدى الى توحيد الله والمعرفة بواجب حقه سبحانه قال بعض اللغويين كل جبل طور فكانه سبحانه اقسام بالجيال وقال آخرون الطور كل جبل اجرد لا ينبت شجرا وقال نوف البكالي المراد هنا جبل طور سيناء وهو الذى اقسام الله به لفضله على الجبال والكتاب المسطور معناه باجماع المكتوب

اسطارا واختلف الناس في هذا الكتاب المقسم به فقال بعض المفسرين هو الكتاب المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه في العالم وقيل هو القرآن اذ قد علم تعالى انه يتخذ في رق منشور وقيل هو الكتب المنزلة وقيل هو الكتاب الذي فيه اعمال الخلق وهو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ورق الورق المعدة للكتب وهي مرققة فلذلك سميت رقاً وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان والمنشور خلاف المطوي والبيت المعمور هو الذي ذكر في حديث الاسراء قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعمدون اليه . اخر ما عليهم وبهذا هي عمارته وهو في السماء السابعة وقيل في السادسة وقيل انه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة وقال مجاهد وقتادة وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل ارض كذلك وهي كلها على خط من الكعبة وقاله علي بن ابي طالب قال السهيلي والبيت المعمور اسمه عريسا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله ومجده كان له نور يملأ ما بين عريسا وحريبا وهي الارض السابعة انتهى والسقف المرفوع هو السماء واختلف الناس في البحر المسجور فقال مجاهد وغيره الموقد نارا وروي ان البحر هو جهنم وقال قتادة المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري وقال ابن عباس هو الذي ذهب مأؤه فالمسجور الفارغ وروي ان البحار يذهب مأوها يوم القيامة وهذا معروف في اللغة فهو من الاضداد وقيل يوقد البحر نارا يوم القيامة فذلك سجره وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد تمسكه وكذلك لولان البحر يمسك لفاض على الارض والجمهور على انه بحر الدنيا وقال منذر بن سعيد المقسم به جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما قال صلى الله عليه وسلم في الفرس وان وجدناه

لبحرا والقسم واقع على قوله ان عذاب ربك لواقع يريد عذاب الآخرة واقع للكافرين قاله قتادة قال الشيخ عبد الحق في العاقبة ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ والطور وكتاب مسطور قال هذا قسم حق فلما بلغ القارئ الى قوله عز وجل ان عذاب ربك لواقع ظن ان العذاب قد وقع به فغشي عليه انتهى وتمور معناه تذهب وتجيء بالرياح متقطعة متفتتة وسير الجبال هو في اول الامر ثم تتفتت حتى تصير اخرها كالهن المنفوش ويدعون قال ابن عباس وغيره معناه يدفعون في اعناقهم بشدة واهانة وتعة ومنه يدع اليتيم وفي الكلام محذوف تقديره يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون توبيخاً وتقريماً لهم ثم وقفهم سبحانه بقوله افسح هذا الآية ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي عذابكم حتم فسواء جزعكم وصبركم لا بد من جزاء اعمالكم * وقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونعيم الآية يحتمل ان يكون من خطاب اهل النار فيكون اخبارهم بذلك زيادة في غمهم وسوء حالهم نعوذ بالله من سخطه ويحتمل وهو الاظهر ان يكون اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاصريه لما فرغ من ذكر عذاب الكفار عقب بذكر نعيم المتقين جعلنا الله منهم بفضله ليعين الفرق ويقع التحريض على الايمان والمستقون هنا متقوا الشرك لانهم لا بد من مصيرهم الى الجنات وكلما زادت الدرجة في التقوى قوي الحصول في حكم الآية حتى ان المتقين على الاطلاق هم في هذه الآية قطعاً على الله تعالى بحكم خبره الصادق وقرأ جمهور الناس فاكهين ومعناه فرحين مسرورين وقال ابو عبيدة هو من باب لابن وتامر اي لهم قاكهة قال (ع) والمعنى الاول ابرع وقرأ خالد فيما روى ابو حاتم فكهين والفكه والفكه المسرور المتنعم * وقوله تعالى بما اتاهم ربهم اي من انعامه ورضاه عنهم * وقوله تعالى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا متمكن في متقى المعاصي الذي لا يدخل

النار ووقاهم مشتق من الوقاية وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره *
وقوله كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهنينا نصب على المصدر *
وقوله بما كنتم تعملون منناه ان رب الجنة ونعيمها بحسب الاعمال واما
نفس دخولها فهو برحمة الله وفضله واعمال العباد الصالحات لا توجب على الله
تعالى التنعيم ايجابا لكنه سبحانه قد جعلها اماراة على من سبق في علمه
تنعيمه وعلق الثواب والمقاب بالتكسب الذي في الاعمال والخور جمع
حوراء وهي البيضاء القوية بياض بياض العين وسواد سوادها والعين
جمع عينا وهي كبيرة العينين مع جمالهما وفي قراءة ابن مسعود والنخي
وزوجناهم بعيس عين قال ابو الفتح العيساء البيضاء * وقوله سبحانه والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اختلف في معنى الآية فقال ابن
عباس وابن جبير والجمهور اخبر الله تعالى ان المؤمنين الذين اتبعهم ذريتهم في
الايان يلحق الابناء في الجنة بمراتب الآباء وان لم يكن الابناء في التقوى
والاعمال كالأباء كرامة للآباء وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم فجعلوا الحديث تفسير الآية وكذلك وردت احديث تقتضي
ان الله تعالى يرحم الآباء رعا للابناء الصالحين وقال ابن عباس ايضا والضحاك
معنى الآية ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار باحكام الآباء المؤمنين يعني في الموارثة
والدفن في مقابر المسلمين وفي احكام الآخرة في الجنة وقال منذر بن سعيد هي
في الصغار لا في الكبار قال (ع) وارجح الاقوال في هذه الآية القول الاول
لان الآيات كلها في صفة احسان الله تعالى الى اهل الجنة فذكر من جملة احسانه
سبحانه انه يرعى المحسن في المني ولفظة الحقنا تقتضي ان للملحق بعض
التقصير في الاعمال (ت) وظهر من هذا ما اشار اليه الثعلبي في بعض
انقاله ان الله تعالى يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما كانوا في الدنيا

انتهى ولم يتعرض لذكر الدرجات في هذا التأويل وهو احسن لانه قد
تقرر ان رفع الدرجات هي باعمال العاملين والآيات والاحاديث مصرحة
بذلك ولما يلزم على التأويل الاول ان يكون كل من دخل الجنة مع
ادم عليه السلام في درجة واحدة اذ هم كلهم ذريته وقد فتحت لك بابا
للبحث في هذا المعنى معنى من اتمامه ما قصده من الاختصار وبالله التوفيق *
وقوله وما التناهم اي نقصناهم ومعنى الآية ان الله سبحانه يلحق الانباء بالآباء
ولا ينقص الآباء من اجورهم شيئا وهذا تأويل الجمهور ويحتمل ان يريد من
عمل الانباء من شيء من حسن او قبيح وهذا تأويل ابن زيد ويؤيده قوله
سبحانه كل امرئ بما كسب رهين والرهين المرتين وفي هذه الالفاظ وعيد
وامددت الشيء اذا سرت اليه شيئا آخر يكثره او يكثر لديه * وقوله مما يشتهون
اشارة الى ما روي من ان المنعم اذا اشتهى لحما نزل ذلك الحيوان بين يديه
على الهيئة التي اشتهاه فيها وليس يكون في الجنة لحم يحتر ولا يتكلف فيه
الذبح والسلخ والطبخ وبالجملة لا كلفة في الجنة ويتنازعون معناه يتعاطون
ومنه قول الاخطل

نازعته طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة السارى
قال الفخر ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب
ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما عليه حال الشراب في الدنيا
فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل انتهى والكأس الاناء
فيه الشراب ولا يقال في فارغ كأس قاله الزجاج والنفوس السقط من القول والتأني
يلحق خمر الدنيا في نفس شربها وفي الافعال التي تكون من شاربها وذلك كله متف
في الآخرة (ت) قال الثعلبي وقال ابن عطاء اي لغويكون في مجلس محله جنة
عدن والساقى فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم

اضياف الله * ولا تأثم اي فعل يؤثمهم وهو تفعل من الاثم اي لا ياثمون في شربها انتهى واللؤلؤ المكنون اجمل اللؤلؤ لان الصون والكن يحسنه قال ابن جبير اراد الذى فى الصدف لم تنله الايدى وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الفلمان كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدمون قال هم كالقمر ليلة البدر (ت) وهذا تقريب للافهام والاجمال اهل الجنة اعظم من هذا يدل على ذلك احاديث صحيحة فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة وفى رواية من امتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري فى السماء اضاءة وفى رواية ثم هم بعد ذلك منازل الحديث وفى صحيح مسلم ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم ويزدادون حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوههم والله لقد ازدددتم بمدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازدددتم بمدنا حسنا وجمالا انتهى وقد اشار الغزالي وغيره الى طرف من هذا المعنى لما تكلم على رؤية العارفين لله سبحانه فى الآخرة قال بعد كلام ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر فى الآخرة متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الاباد وللشيخ ابى الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال لو كشف عن نور المومن لعبد من دون الله ولو كشف عن نور المومن العاصى لطبق السماء والارض فكيف بنور المومن المطيع نقل كلامه هذا ابن عطاء الله وابن عباد انظروا ثم وصف تعالى عنهم انهم فى جملة تنعمهم يتساءلون اي عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وانهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم عذاب الآخرة والاشفاق اشد الخشية ورقة القلب والسموم الحار وندعوه يحتمل ان يريد الدعاء على بابيه ويحتمل ان يريد نعبده وقرأ نافع والكسائي انه

بفتح الهمزة والباقون بكسرها والبر الذي يبر ويحسن * وقوله سبحانه فذكر
امر لنبيه عليه السلام بادامة الدعاء الى الله عز وجل ثم قال مؤسلا له فانت
بانعام الله عليك ولطفه بك كاهنٌ ولا يحنون * وقوله سبحانه ام يقولون اي
بل يقولون شاعر الآية روي ان قريشا اجتمعت في دار الندوة فكثرت آراؤهم
في النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم تربصوا به رب المنون اي
حوادث الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والثابتة والاعشى
وغيرهم فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية في ذلك والتربص الانتظار والمنون
من اسماء الموت وبه فسر ابن عباس وهو ايضا من اسماء الدهر وبه فسر مجاهد
والريب هنا الحوادث والمصائب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة
منى يربنى ما رابها الحديث * وقوله قل تربصوا وعيد في صيغة امر * وقوله
سبحانه ام تأمرهم احلامهم بهذا الاحلام العقول وقوله بهذا يحتمل ان يشير
الى هذه المقالة هو شاعر ويحتمل ان يشير الى ما هم عليه من الكفر وعبادة
الاصنام وتقولوه معناه قال عن الغير انه قاله فهي عبارة عن كذب مخصوص ثم
عجزهم سبحانه بقوله فليأتوا بحديث مثله والضمير في مثله عائذ على القران *
وقوله ان كانوا صادقين (ت) اي في ان محمدا تقوله قاله الثعلبي * وقوله
سبحانه ام خلقوا من غير شي * قال الثعلبي قال ابن عباس من غير اب ولا ام
فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة اليسوا خلقوا من نطفة وعلقة وقال
ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شي * اي لغير شي * لا يومرون
ولا ينهون ام هم الخالقون لانفسهم فلا ياترون لامر الله انتهى وعبر (ع) عن
هذا بان قال وقال * اخرون معناه ام خلقوا لغير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم
لذلك لا يسمعون ولا يشرعون (ت) وقد يحتمل ان يكون المعنى ام خلقوا من
غير شي * خلقهم اي من غير موجد اوجدهم ويبدل عليه مقابلته بقوله ام هم

الخالقون وهكذا قال الغزالي في الاحياء قال وقوله عز وجل ام خلقوا من غير شي . اي من غير خالق انتهى بلفظه من كتاب . اداب الثلاثة قال الغزالي ولايتوهم ان الآية تدل انه لا يخلق شي . الا من شي . انتهى وقال الفخر قوله تعالى من غير شي . فيه وجود المنقول منها ام خلقوا من غير خالق وقيل ام خلقوا لا لغير شي . عبثا وقيل ام خلقوا من غير اب وام انتهى واحسنها الاول كما قال الغزالي والله اعلم بما اراد سبحانه وفي الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شي . ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما قر الايمان في قلبي انتهى واسند ابو بكر بن الخطيب في تاريخه عن جبير بن مطعم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء اهل بدر فسمعت يقرأ في المغرب بالطور فكأنما تصدع قلبي حين سمعت القرآن انتهى *

وقوله سبحانه ام عندهم خزائن ربك بمنزلة قوله ام عندهم الاستغناء في جميع الامور والمصيطر القاهر وبذلك فر ابن عباس الآية والسلم السبب الذي يصعد به كان ما كان من خشب او بناء او حبال او غير ذلك والمعنى لهم سلم الى السماء يستمعون فيه اي عليه او منه وهذه حروف يسد بعضها مسد بعض والمعنى يستمعون الخبر بصحة ما يدعونه فليأتوا بالحجة المبينة في ذلك * وقوله سبحانه ام عندهم الغيب الآية قال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه وينخبرون به ثم قال ام يريدون كيداك وبالشرع ثم جزم الخبر بانهم هم المكيدون اي هم المغلوبون فسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ثم قال سبحانه ام لهم اله غير الله يعصمهم ويمنعهم من الهلاك قال الثعلبي قال الخليل ما في سورة الطور كلها من ذكر ام كله استفهام لهم انتهى ثم ربه تعالى نفسه عما يشركون به *

هذا سحاب مركوم بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يقول لو فعلنا هذا بهم لما امنوا ولقالوا سحاب مركوم * وقوله تعالى فذرهم وما جرى مجراه من الموادة منسوخ بآية السيف والجمهور ان يومهم الذي فيه يصعقون هو يوم القيامة وقيل هو موتهم واحدا واحدا ويحتمل ان يكون يوم بدر لانهم عذبوا فيه والصعق التعذيب في الجملة وان كان الاستعمال قد كثر فيما يصيب الانسان من الصيحة المفرطة ونحوه ثم اخبر تعالى بان لهم دون هذا اليوم اي قبله عذابا واختلف في تعيينه فقال ابن عباس وغيره هو بدر ونحوه وقال مجاهد هو الجوع الذي اصابهم وقال البراء بن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال ابن زيد هي مصائب الدنيا اذ هي لهم عذاب (ت) ويحتمل ان يكون المراد الجميع قال الفخر ان قلنا ان العذاب هو بدر فالذين ظلموا هم اهل مكة وان قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام في كل ظالم انتهى ثم قال تعالى لنبيه واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي برأى ومنظر نرى ونسمع ما تقول وانك في حفظنا وحيطتنا كما تقول فلان يراه الملك بعين وهذه الآية ينبغي ان يقررها كل مومن في نفسه فانها تفسح مضائق الدنيا * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص هو التسبيح المعروف يقول في كل قيام سبحانه الله ويحمده وقال عطاء المعنى حين تقوم من كل مجلس (ت) وفي تفسير احمد بن نصر الداودي قال وعن ابن المسيب قال حق على كل مسلم ان يقول حين يقوم الى الصلاة سبحانه الله ويحمده لقول الله سبحانه لنبيه وسبح بحمد ربك حين تقوم انتهى وقال ابن زيد هي صلاة النوافل وقال الضحاك هي الصلوات المفروضة ومن قال هي النوافل جعل اذبار النجوم ركعتي الفجر وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وقد روي مرفوعا ومن جملة التسبيح المعروف

جعل قوله حين تقوم مثالا اي حين تقوم وحين تقعد وفي كل تصرفك وحكي
منذر عن الضحك ان المعنى حين تقوم في الصلاة بعد تكبيرة الاحرام فقل
سبحانك اللهم وبجمدك وتبارك اسمك الحديث

﴿ تفسير سورة والنجم وهي مكية باجماع ﴾

وهي اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم
والمشركون يستمعون وفيها سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس
غير ابى لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفيني هذا (ت)
والذي خرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود فسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسجد من خلفه الارجلا رأته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأته
بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف انتهى وسبب نزولها ان المشركين
قالوا ان محمدا يتقول القرآن ويختلق اقواله فنزلت السورة في ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والنجم اذا هوى ما ظل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى
الآية قال الحسن وغيره النجم المقسم به هنا اسم جنس اراد به النجوم ثم
اختلفوا في معنى هوى فقال جمهور المفسرين هوى للغروب وهذا هو السابق
الى الفهم من كلام العرب وقال ابن عباس في كتاب الثعلبي هوى في
الانقضاء في اثر العفريت عند استراق السمع وقال مجاهد وسفيان النجم في
قسم الآبة الثريا وسقوطها مع الفجر هو هويها والعرب لا تقول النجم مطلقا

الا للثريا والقسم واقع على قوله ما ضل صاحبكم وما غوى (ص) اذا هوى ابو
 البقاء العامل في الظرف فعل القسم المحذوف اي اقسام بالنجم وقت هويه
 وجواب القسم ما ضل انتهى قال الفخر اكثر المفسرين لم يفرقوا بين النفي
 والضلال وبينهما فرق فالنفي في مقابلة الرشد والضلال اعم منه انتهى وما
 ينطق عن الهوى يريد محمدا صلى الله عليه وسلم انه لا يتكلم عن هواه اي بهواه
 وشهوته وقال بعض العلماء وما ينطق القرآن المنزل عن هوى (ت) وهذا
 تاويل بعيد من لفظ الآية كما ترى * وقوله ان هو الاوحي يوحى يراد به القرآن
 باجماع (ت) وليس هذا الاجماع بصحيح ولفظ الثملي ان هو الاوحي اي ما
 نطقه في الدين الا بوحى انتهى وهو احسن ان شاء الله قال الفخر الوحي اسم
 ومعناه الكتاب او مصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة
 والكلام والاشارة فان قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب ويحتمل
 ان يقال مصدر اي ما القرآن الا ارسال اي مرسل وان قلنا المراد من قوله ان
 هو الاوحي قول محمد وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام اي كلامه ملهم من الله
 او مرسل انتهى والضمير في علمه لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعلم هو
 جبريل عليه السلام قاله ابن عباس وغيره اي علم محمدا القرآن وذو مرة معناه
 ذو قوة قاله قتادة وغيره ومنه قوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذي
 مرة سوي واصل المرة من مراتر الحبل وهي فتلها واحكام عمله * وقوله فاستوى
 قال الربيع والزجاج المعنى فاستوى جبريل في الجو وهو اذ ذاك بالافق الاعلى اذ
 رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا قد سد الافق له ستمائة جناح وحينئذ
 دنا من محمد عليه السلام حتى كان قاب قوسين وكذلك رآه نذلة اخرى في
 صفته العظيمة له ستمائة جناح عند السدرة * وقوله ثم دنا فتدلى قال الجمهور
 المعنى دنا جبريل الى محمد في الارض عند حراء وهذا هو الصحيح ان جميع

ما في هذه الآيات من الاوصاف هو مع جبريل ودنا اعم من تدلى فبين تعالى بقوله فتدلى هيئة الدنو كيف كانت وقاب معناه قدر قال قتادة وغيره معناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود في وسط القوس عند المقبض * وقوله اوادنى معناه على مقتضى نظر البشري لو رآه احدكم لقال في ذلك قوسان اوادنى من ذلك وقيل المراد بقوسين اي قدر الذراعين وعن ابن عباس ان القوس في الآية ذراع يقاس به وذكر الثعلبي انها لغة بعض الحجازيين * وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال ابن عباس المعنى فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى وفي قوله ما اوحى ابهام على جهة التفضيم والتعظيم قال عياض ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بمجمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايمان والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الالجاز انتهى * وقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما رأى المعنى لم يكذب قلب محمد الشيء الذي رأى بل صدقه وتحققه نظرا قال اهل التأويل منهم ابن عباس وغيره رأى محمد الله بفؤاده وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي وقال اخرون من التأولين المعنى ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه وقال ابن عباس فيما روي عنه ان محمدا رأى ربه بعيني رأسه وانكرت ذلك عائشة وقالت انا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لي هو جبريل فيها كلها قال (ع) وهذا قول الجمهور وحديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع بكل تأويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرآن * وقوله سبحانه افتمارنه على ما يرى قرأ حمزة والكسائي

افتتمرونه بفتح التاء دون الف اي افتجحدونه (ت) قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد قال انهم لا يمارونه وانما جحدوه واختلف في الضمير في قوله ولقد رآه حسبها تقدم فقالت عائشة والجمهور هو عائذ على جبريل ونزلة معناه مرة اخرى فجمهور العلماء ان المرءى هو جبريل عليه السلام في المرتين مرة في الارض بحراء ومرة عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء رآه على صورته التي خلق عليها وسدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة وقيل لها سدرة المنتهى لانها اليها ينتهى علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها صعدا الا الله عز وجل وقيل سميت بذلك لانها اليها ينتهى من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) وهم المومنون حقا من كل جيل * وقوله سبحانه عندها جنة المأوى قال الجمهور اراد سبحانه ان يعظم مكان السدرة ويشرفه بان جنة المأوى عندها قال الحسن هي الجنة التي وعد بها المومنون * وقوله سبحانه اذ يغشى السدرة ما يغشى اي غشيها من امر الله ما غشيها فما يستطيع احد ان يصفها وقد ذكر المفسرون في وصفها اقوالا هي تكلف في الآية لان الله تعالى ابهم ذلك وهم يريدون شرحه وقد قال صلى الله عليه وسلم فغشيها الوان لا ادري ما هي * وقوله تعالى ما زاع البصر قال ابن عباس معناه ما جال هكذا ولا هكذا * وقوله وما طغى معناه ولا تجاوز المرءى وهذا تحقيق الامر ونفي لوجوه الريب عنه * وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال جماعة معناه لقد رأى الكبرى من آيات ربه اي مما يمكن ان يراها البشر وقال الآخرون المعنى لقد رأى بعضا من آيات ربه الكبرى وقال ابن عباس وابن مسعود رأى رفرقا اخضر من الجنة قد سد الافق (ت) وزاد الثعلبي وقيل المعراج وما رأى في تلك الليلة في مسراه في عوده وبدءه دليله قوله تعالى لنزيره من آياتنا الآية قال عياض وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن تفصيل

ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى وقد اشتملت هذه الآيات على اعلام الله بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه عليه السلام بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى اه ولما فرغ من ذكر عظمة الله وقدرته قال على جهة التوقيف افرأيتم اللات والعزى الآياتى ارايتم هذه الاوثان وحقارتها وبمدها عن هذه القدرة والصفات العلية واللات صنم كانت العرب تعظمه والعزى صخرة بيضاء كانت العرب ايضا تعبدوها واما مناة فكانت بالمثل من قديد وكانت اعظم هذه الاوثان عندهم وكانت الؤوس والخزرج تهملها ووقف تعالى الكفار على هذه الاوثان وعلى قولهم فيها انها بنات الله فكانه قال ارايتم هذه الاوثان وقولكم هي بنات الله الكم الذكر وله الاثنى ثم قال تعالى على جهة الانكار تلك اذا قسمة ضيزى اى عوجاء قاله مجاهد وقيل جائزة قاله ابن عباس وقال سفيان معناه منقوصة وقال ابن زيد معناه مخالفة والعرب تقول ضربته حقه اضيزه بمعنى منعه وضيزى من هذا التصريف قال ابو حيان والثالثة الاخرى صفتان لمناة للتاكيد قيل واكدت بهذين الوصفين لعظمها عندهم وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وتعقب بان اخرى مؤنت اخر ولم يوضعا للذم ولا للمدح (ت) وفى هذا التعمق تعسف والظاهر ان الوصفين مما سيقا مساق الذم لان هؤلاء الكفار لم يكتفوا بضلالهم فى اعتقادهم ما لا يجوز فى اللات والعزى الى ان اضافوا الى ذلك مناة الثالثة الاخرى الحقيرة وكل اصنامهم حقير انتهى ثم قال تعالى ان هي الااسماء يعنى ان هذه الاوصاف من انها اناث وانها الهة تعبد ونحو هذا الاسماء اى تسميات اخترعتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها برهاناً ولا حجة وما هو الا اتباع الظن وما تهوى الانفس وهوى

الانفس هو ارادتها الملذة لها وانما تجد هوى النفس ابدا في ترك الافضل لانها
مجبولة بطبعها على حب المذل وانما يردعها ويسوقها الى حسن العاقبة العقل والشرع *
وقوله سبحانه ولقد جاءهم من ربهم الهدى فيه توبيخ لهم اذ يفعلون هذه
القبائح والهدى حاضر وهو محمد وشرعه والانسان في قوله ام للانسان اسم
جنس كانه يقول ليست الاشياء بالتمنى والشهوات وانما الامر كله لله والاعمال
جارية على قانون امره ونهيه فليس لكم ايها الكفرة مرادكم في قولكم هذه الهتنا
وهي تشفع لنا وتقربنا الى الله زلنى ونحو هذا فله الآخرة والاولى اي له كل
امرهما ملكا ومقدورا وتحت سلطانه قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلي في كتاب
عيوب النفس ومن عيوب النفس كثرة التمنى والتمنى هو الاعتراض على الله عز
وجل في قضائه وقدره ومداواتها ان يعلم انه لا يدري ما يعقبه التمنى يحجره الى خير
اولى شرفاذا يتقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه ذلك ورجع الى الرضى
والتسليم فيستريح انتهى * وقوله سبحانه وكم من ملك الاية رد على قریش
في قولهم الاوثان شفعاؤنا وكم للكهنة كثير وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر لا
تغنى والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذى يكون فيه الغناء *
وقوله سبحانه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة يعنى كفار العرب * وقوله وان الظن
لا يغنى من الحق شيئا اي في المعتقدات والمواضع التى يريد الانسان ان يحجر
ما يعقل ويعتقد فانها مواضع حقائق لا تنفع الظنون فيها واما في الاحكام
وظواهرها فيجتزى فيها بالظنونات ثم سلى سبحانه نبيه وامره بالاعراض عن
هؤلاء الكفرة * وقوله عن ذكرنا قال الثعلبي يعنى القرءان * وقوله سبحانه
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الاية متصلة في معنى التسلية ومتضمنة
وعيدا للكافرين ووعدا للمؤمنين والحسنى الجنة ولاحسنى دونها وقد تقدم نقل
الاقوال في الكبائر في سورة النساء وغيرها وتحرير القول في الكبائر انها كل

معصية يوجد فيها حد في الدنيا او توعدها عليها بنار في الآخرة او لعنة ونحو هذا *
 وقوله الا اللهم هو استثناء يصح ان يكون متصلا وان قدرته منقطعا ساغ
 ذلك وبكل قد قيل واختلف في معنى اللهم فقال ابوهريرة وابن عباس والشعبي
 وغيرهم اللهم صغار الذنوب التي لا حد فيها ولا وعيد عليها لان الناس لا يخلصون
 من مواجهة هذه الصغائر ولهم مع ذلك الحسنى اذا اجتنبوا الكبائر وتظاهر العلماء
 في هذا القول وكثر المائل اليه وحكي عن ابن المسيب ان اللهم ما خطر على
 القلب يعني بذلك لمة الشيطان وقال ابن عباس معناه الا ما الموا به من المعاصي
 الفلئة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منه وعن الحسن بن ابى الحسن انه قال
 في الامة من الزنا والسرقة وشرب الخمر ثم لا يعود قال (ع) وهذا التأويل يقتضى
 الرفق بالناس في ادخالهم في الوعد بالحسنى اذ الغالب في المومنين مواجهة
 المعاصي وعلى هذا انشدوا وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا الما

وقوله سبحانه اذ انشأكم من الارض يريد خلق ابيهم ادم ويحتمل ان يراد به
 انشاء الغذاء واجنة جمع جنين * وقوله سبحانه فلا تركوا انفسكم ظاهره النهي
 عن تركية الانسان نفسه ويحتمل ان يكون نهيا عن ان يزكي بعض الناس بعضا
 واذا كان هذا فالما ينهى عن تركية السمعة والمدح للدنيا او القطع بالتزكية واما
 تركية الامام والقدوة احدا ليؤتم به اوليتهم الناس بالخير فجائز وفي الباب احاديث
 صحيحة وباقي الآية بين (ت) قال صاحب الكلم الفارقة اعرف الناس بنفسه
 اشد هم ايقاعا للثممة بها في كل ما يبدو ويظهر له منها واجلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها
 وكوامن مكرها من زكاها واحسن ظنه بها لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة
 عن الاستعداد لاخرتها انتهى وقال ابن عطاء الله اصل كل معصية وغفلة
 وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك

عنها قال شارحه ابن عباد الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساوئها وعدم الرضى عنها على عكس هذا كما قيل

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا انتهى * وقوله تعالى افرايت الذى تولى الآية قال مجاهد وابن زيد وغيرهما نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك انه سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه فقرب من الاسلام وطمع النبي صلى الله عليه وسلم فى اسلامه ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اترك ملة اباائك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا احمى لك بكل شيء تخافه فى الآخرة لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام واعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح فنزلت الآية فيه وقال السدي نزلت فى العاصى بن وائل قال (ع) فقوله واعطى قليلا واكدى على هذا هو فى المال وقال مقاتل فى كتاب الثعلبي المعنى اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي انقطع ما اعطى وهذا بين من اللفظ والآخر يحتاج الى رواية وتولى معناه ادير واعرض عن امر الله واكدى معناه انقطع عطاؤه وهو مشبه بالذى يحفر فى الارض فانه اذا انتهى فى حفر بير ونحوه الى كدية وهي ما صلب من الارض يئس من الماء وانقطع حفره وكذلك اجبل اذا انتهى فى الحفر الى جبل ثم قيل لمن انقطع عمله اكدى واجبل (ت) قال الثعلبي واصله من الكدية وهو حجر فى البير يويس من الماء قال الكسائي تقول العرب اكدى الحافر واجبل اذا بلغ فى الحفر الى الكدية والجبل انتهى * وقوله عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى معناه اعلم من الغيب ان من تحمل

ذنوب ، اخر انتفع بذلك التحمل عنه فهو لهذا الذى علمه يرى الحق وله فيه بصيرة ام هو جاهل لم نبأ بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى بما ارسل به من انه لا ترز وازرة اي لا تحمل حاملة حمل اخرى وفى البخاري و ابراهيم الذى وفى وفى ما فرض عليه انتهى * وقوله سبحانه وان ليس للانسان الا ما سعى وما بعده كل ذلك معطوف على قوله الاتر وازرة وزر اخرى والجمهور ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى محكم لانسخ فيه وهو لفظ عام مخصص * وقوله وان سعيه سوف يرى اي يراه الله ومن شاهد تلك الامور وفى عرض الاعمال على الجميع تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من سمع باخيه فيما يكره سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وفى قوله تعالى ثم يحزاه الجزاء الاوفى وعيد للكافرين ووعد للمومنين * وقوله سبحانه وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اللهم اطلعنا على خيرك بفضلك ولا تفضحنا بين خلقك وجد علينا بسترک فى الدارين وحق لعبد يعلم انه الى ربه منتهاه * ان يرفض هواه * ويزهد فى دنياه * ويقبل بقلبه على مولاه * ويقتدي بنبي فضله الله على خلقه وارتضاه * ويتأمل كيف كان زهده صلى الله عليه وسلم فى دنياه * واقباله على مولاه * قال عياض فى شفاہ واما زهده صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عنها وعن زهرتها وقد سقت اليه مجذافيرها وترادفت عليه فتوحاتها انه توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي وهوي يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله وعنهما رضي الله عنهما قالت لم يمتلئ جوف نبي الله صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ولم يبت شكوى الى

أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعاً يلتوى طول
ليته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض
وثأرها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وامسح بيدي على
بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تلفت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا أخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما
هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فآكرم مثابهم واجزل
ثوابهم فاجدني استحي أن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من
شيء هو أحب إلي من الحقوق بأخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد الاشتهار
حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه انتهى وباقي الآية دلالة على التوحيد واضحة
والنشأة الأخرى هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البلى وأقنى معناه أكسب
ما يقتني تقول قنيت المال أي كسبته وقال ابن عباس أقنى قنّع قال (ع)
والقناعة خير قنية والغنى عرض زائل فلهذا ابن عباس والشعري نجم في
السماء قال مجاهد وابن زيد هو مرزم الجوزاء وهما شعريان أحدهما الغميصاء
والأخرى العبور لأنها عبرت المجرة وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشعري العبور
ومعنى الآية وإن الله سبحانه رب هذا المعبود الذي لكم وعادا الأولى اختلف في
معنى وصفها بالأولى فقال الجمهور سميت أولى بالاضافة إلى الأمم المتأخرة عنها
وقال الطبري وغيره سميت أولى لأن ثم عادا آخرة وهي قبيلة كانت بمكة مع
العماليق وهم بنو لقيم بن هزال والله أعلم وقرأ الجمهور وثمود بالنصب عطفاً على
عاد وقوم نوح عطفاً على ثمود * وقوله من قبل لأنهم كانوا أول أمة كذبت
من أهل الأرض والموتفة قرية قوم لوط أهوى أي طرحها من هواء عال إلى
سفل * وقوله سبحانه فبأي الأربك تتماهى مخاطبة للإنسان الكافر كأنه قيل
له هذا هو الله الذي له هذه الأفعال وهو خالقك المنعم عليك بكل النعم ففي

ايها تشك وتتمارى معناه تتشكك وقال مالك الغفاري ان قوله الا تر الى قوله تتمارى هو في صحف ابراهيم وموسى * وقوله سبحانه هذا نذير يحتمل ان يشير الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وغيره وهذا هو الاشبه ويحتمل ان يشير الى القرءان وهو تاويل قوم ونذير يحتمل ان يكون بناء اسم فاعل ويحتمل ان يكون مصدرا ونذر جمع نذير * وقوله تعالى اذفت الآزفة معناه قربت القرية والآزفة عبارة عن القيامة باجماع من المفسرين وازف معناه قرب جدا قال كعب بن زهير

بان الشباب واهها الشيب قد ازفا * ولا ارى لشباب ذاهب خلفا
وكاشفة يحتمل ان تكون صفة لمؤنث التقدير حال كاشفة ونحو هذا التقدير
ويحتمل ان تكون بمعنى كاشف قال الطبري والزجاج هو من كشف السراي
ليس من دون الله من يكشف وقتها ويملمه وقال منذر بن سعيد هو من كشف
الضر ودفعه اي ليس من يكشف خطبها وهولها الا الله * وقوله سبحانه
افمن هذا الحديث تعجبون الآية روى سعد بن ابى وقاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرءان انزل يخوف فاذا قرأتموه فابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا ذكره الثعلبي واخرج الترمذي والنسائي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود
اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخر ابداء
قال النسائي ويروى في جوف ابداء ولا يجتمع الشح والايمن في قلب ابداء
قال الترمذي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عيان لا تمسها النار عين بكت من
خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله انتهى من مصابيح البغوي قال ابو
عمر بن عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وكثرة الضحك
فانه يمت القلب ويذهب بنور الوجه انتهى من بهجة المجالس وروى الترمذي

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عن هؤلاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن فقال ابو هريرة فقلت انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا وقال اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب انتهى والسامد اللاعب الالهى وبهذا فسر ابن عباس وغيره من المفسرين وسمد بلغة حمير غنى وهو كله معنى قريب بعضه من بعض ثم امر تعالى بالسجود له والعبادة تخويفا وتحذيرا وهاهنا سجدة في قول كثير من العلماء ووردت بها احاديث صحاح ولم ير مالك بالسجود هنا وقال زيد بن ثابت انه قرأ بها عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد قال ابن العربي في احكامه وكان مالك يسجدها في خاصة نفسه انتهى

تفسير سورة اقتربت الساعة وهي مكية باجماع

الاية واحدة قوله سيهزم الجمع الاية ففيها خلاف والجمهور انها ايضا مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اقتربت الساعة وانشق القمر معناه قربت الساعة وهي القيامة وامرها مجهول التحديد وكل ما يروى في عمر الدنيا من التحديد فضعيف *

وقوله وانشق القمر اخبار عما وقع وذلك ان قريشا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فاراهم الله انشقاق القمر فرأاه النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من المسلمين والكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا * وقوله وان يروا جاء اللفظ مستقبلا لينتظم ما مضى وما ياتي فهو اخبار بان حالهم هكذا * وقوله مستمر قال الزجاج فيل معناه دائم متداد وقال قتادة وغيره معناه ما رداهب عن قريب يزول ثم قال سبحانه على جهة جزم الخبر وكل امر مستقر كانه يقول وكل شيء الى غاية عنده سبحانه ومزدرج معناه موضع زجر * وقوله فما تغن النذر يحتمل ان تكون ما نافية ويحتمل ان تكون استفهامية ثم سلى سبحانه نبيه عليه السلام بقوله فتول عنهم اي لا تذهب نفسك عليهم حسرات وتم القول في قوله عنهم ثم ابتدا وعيدهم بقوله يوم والعامل في يوم قوله يخرجون وقال الرماني المعنى فتول عنهم واذكر يوم وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وقرأ الجمهور نكر بضم الكاف قال الخليل النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس الانسان من حياء او صلف او خوف ونحوه انما يظهر في الابصار والاجداث جمع جدث وهو القبر وشبههم سبحانه بالجراد المنتشر وقد شبههم سبحانه في آية اخرى بالفراش المبثوث وفيهم من كل هذا شبه وذهب بعض المفسرين الى انهم اولا كالفراس حين يموج بعضهم في بعض ثم في رتبة اخرى كالجراد اذا توجهوا نحو المحشر والداعي والمهطع المريع في مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما الخوف او طمع ونحوه قال ابو حيان مهطمين اي مسرعين وقيل فاتحين اذ انهم للصوت انتهى * ويقول الكافرون هذا يوم عسر لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته * وقوله سبحانه كذبت قبلهم قوم نوح الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم * وقوله

وازدجر اخبار من الله عز وجل انهم زجروا نوحا عليه السلام بالسب والنجبة
 والتخويف قاله ابن زيد * وقوله فانتصر اي فانتصر لي منهم بان تهلكهم *
 وقوله ففتحنا ابواب السماء قال الجمهور هذا مجاز وتشبيه لان المطر كانه من
 ابواب وهذا مبدأ الانتصار من الكفار والمنهمر الشديد الوقوع الغزير وقرأ
 الجمهور فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء العيون * وقوله سبحانه على امر قد
 قدر اي قد قضي وقدر في الازل وذات الواح ودر هي السفينة والدر
 المسامير واحدها دسار وهذا هو قول الجمهور وقال مجاهد الدر اضلاع
 السفينة قال العراقي والدار ايضا ما تشد به السفينة انتهى * وقوله تعالى تجرى
 باعيننا معناه بحفظنا وتحت نظر منا قال البخاري قال قتادة ابقى الله عز وجل
 سفينة نوح حتى ادركها اوائل هذه الامة انتهى وقرأ جمهور الناس جزاء لمن
 كان كفر مبنيًا للمفعول قال مكي قيل من يراد بها نوح والمؤمنون لانهم كفروا
 من حيث كفر بهم فجزاهم الله بالنجاة وقرئ شاذًا كفر مبنيًا للفاعل والضمير
 في تركها قال مكي هو عائد على هذه الفعلة والقصة وقال فتادة وغيره هو
 عائد على السفينة ومدكر اصله مذتكر ابدلوا من التاء دالا ثم ادغموا الدال في
 الدال وهذه قراءة الناس قال ابو حاتم ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم
 باسناد صحيح * وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذري توقيف لكفار قریش
 والنذر هنا جمع نذير وهو المصدر والمعنى كيف كان عاقبة انذارى لمن لم يحفل به كانتم
 ايها القوم ويسرنا القرآن اي سهلناه وقربناه والذكر الحفظ عن ظهر قلب قال
 (ع) يسر بما فيه من حسن النظم وشرف المعاني فله حلاوة في القلوب وامتزاج
 بالعقول السليمة * وقوله فهل من مدكر استدعا وحض على ذكره وحفظه
 لتكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس فله در من قبل وهدي (ت) وقال
 الثعلبي فهل من مدكر اي من متعظ * وقوله في يوم نحس مستمر الآية ورد

في بعض الاحاديث في تفسير هذه الآية يوم نحس مستمر يوم الاربعاء ومستمر معناه متتابع * وقوله تنزع الناس معناه تقلعهم من مواضعهم قلعا فتطرحهم وروي عن مجاهد ان الريح كانت تلقى الرجل على رأسه فيتفتت رأسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه قال (ع) فلذلك حسن التشبيه باعجاز النخل وذلك ان المنقلع هو الذى ينقلع من قره وقال قوم انما شبههم باعجاز النخل لانهم كانوا يحتفرون حفرا ليمتنعوا فيها من الريح فكانه شبه تلك الحفر بعد النزع بحفر اعجاز النخل والنخل تذكر وتؤنث وفائدة تكرار قوله فكيف كان عذابي ونذرى التخويف وهز النفوس وهذا موجود في تكرار الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم الاهل بلغت الاهل بلغت الاهل بلغت ونحوه وقول ثمود لصالح ابشرا منا واحدا نتبعه هو حسد منهم واستبعاد منهم ان يكون نوع البشر يفضل هذا التفضيل ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضىه وقولهم انا اذا لقي ضلال اي في ذهاب وانتلاف عن الصواب وسعر معناه في احتراق انفس واستعارها حنقا وقيل في جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت خفيفة الرأس هائجة على وجهها والاشر البطر وقرأ الجمهور سيعلمون بالياء وقرأ حمزة وحفص ستعلمون بالياء من فوق على معنى قل لهم يا صالح ثم امر الله صالحا بارتقاب الفرج والصبر (ت) وقال الثعلبي فارتقبهم اي انتظرهم ما يصنعون ونبئهم ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ومحتضر معناه محذور مشهود متواسى فيه وقال مجاهد كل شرب اي من الماء يوما ومن لبن الناقة يوما محتضر لهم فكانه انبأهم بنعمة الله سبحانه عليهم في ذلك وصاحبهم هو قدار بن سالف وتعاطى مطاوع عاوى فكان هذه الفعلة تدافعها الناس واعطاها بعضهم بمضا فتعاطاها هو وتناول المقربيده قاله ابن عباس وقد تقدم قصص القوم والحشيم ما تفتت وتهشم من الاشياء والمحتظر معناه

الذى يصنع حظيرة قاله ابن زيد وغيره وهي مأخوذة من الحظر وهو المنع
والعرب واهل البوادي يصنعونها للمواشى وللسكنى ايضا من الاغصان والشجر
المورق والقصب ونحوه وهذا كله هشيم يتفتت اما فى اول الصنعة واما عند
بلى الحظيرة وتساقط اجزائها وقد تقدم قصص قوم لوط والحاصب مأخوذ
من الحصباء * وقوله فتبادوا معناه تشككوا واهدى بعضهم الشك الى بعض
بتعاطيهم الشبه والضلال والنذر جمع نذير وهو المصدر ويحتمل ان يراد بالنذر
هنا وفى قوله كذبت قوم لوط بالنذر جمع نذير الذى هو اسم فاعل * وقوله
سبحانه فطمسنا اعينهم قال قتادة هي حقيقة جر جبريل شياً من جناحه على
اعينهم فاستوت مع وجوههم قال ابو عبيدة مطموسة بمجدة كالوجه وقال ابن
عباس والضحاك هذه استعارة وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً
فجعل ذلك كالطمس * وقوله بكرة قيل عند طلوع الفجر * وقوله فذوقوا
يحتمل ان يكون من قول الله تعالى لهم ويحتمل ان يكون من قول الملائكة
ونذرى جمع المصدر اي وعاقبة انذارى ومستقر اي دائم استقر فيهم حتى
يفضي بهم الى عذاب الآخرة والفرعون قومه واتباعه * وقوله كذبوا
بآياتنا كلها يحتمل ان يريد ال فرعون ويحتمل ان يكون قوله ولقد جاء آل
فرعون النذر كلاماً تاماً ثم يكون قوله كذبوا بآياتنا كلها يعود على جميع من
ذكر من الامم * وقوله تعالى اكفاركم خير من اولائكم خطاب لقريش على
جهة التوبيخ * وقوله ام لكم براءة اي من العذاب فى الزبراي فى كتب الله
المنزلة قاله ابن زيد وغيره ثم قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ام يقولون
نحن واثقون بجماعتنا منتصرون بقوتنا على جهة الاعجاب سيهزمون فلا ينفع
جمعهم وهذه عدة من الله تعالى لرسوله ان جمع قريش سيهزم فكان كما وعد
سبحانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كنت اقول فى نفسى اي جمع يهزم

فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر والجمهور على ان الآية نزلت بمكة وقول من زعم
انها نزلت يوم بدر ضعيف والصواب ان الوعد نجز يوم بدر قال ابو حيان ويولون
الجمهور بياء الغيبة وعن ابى عمرو بقاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس وحسن
افراده كونه فاصلة وقد جاء مجموعا في آية اخرى وهو الاصل انتهى ثم اضر
سبحانه تهما بامر الساعة التي هي اشد عليهم من كل هزيمة وقتل فقال بل
الساعة موعدهم وادهى افعل من الداهية وهي الرزية العظمى تنزل بالمرء وامر
من المראה (ت) وقال الثعلبي الداهية الامر الشديد الذي لا يهتدى للخلاص
منه انتهى ثم اخبر تعالى عن المجرمين انهم في الدنيا في حيرة وانتلاف وفقد
هدى وفي الآخرة في احتراق وتسعر وقال ابن عباس المعنى في خسران وجنون
والسعر الجنون واكثر المفسرين على ان المجرمين هنا يراد بهم الكفار والسحب
الجر * وقوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر قرأ جمهور الناس كل بالنصب
وقالوا المعنى انا خلقنا كل شيء بقدر سابق وليست خلقنا في موضع الصفة
لشيء وهذا مذهب اهل السنة وهذا المعنى يقتضى ان كل شيء مخلوق
الا ما قام عليه الدليل انه ليس بمخلوق كالقرآن والصفات (ت) قال الثعلبي قال
ابن عباس خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق الخير والشر فخير الخير السعادة
وشر الشر الشقاوة * وقوله سبحانه وما امرنا الا واحدة قال (ع) اي الاقولة
واحدة وهي كن (ت) قوله الاقولة فيه قلق ما وكأنه فهم ان معنى الآية راجع الى
قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وعبرة الثعلبي اي
وما امر الساعة الا واحدة اي الارجفة واحدة قال ابو عبيد هي تمت للمعنى دون
اللفظ مجازة وما امرنا الامرة واحدة كن فيكون كلمح بالبصر اي كخطف
بالبصر ف قيل له انه يعنى الساعة فقال الساعة وجميع ما يريد انتهى وكلام

ابى عبيد عندى حسن والاشياح الفرق المتشابهة فى مذهب اودين ونحوه
الاول شيعه للآخر والاخر شيعه للاول وكل شىء فعلته الامم المهلكة فى الزير
اي مكتوب محفوظ عليهم الى يوم الحساب قاله ابن عباس وغيره ومستطر اي
مسطر وقرأ الجمهور ونهر بفتح النون والهاء على انه اسم الجنس يريد به
الانهار او على انه بمعنى وسعة فى الارزاق والمنازل قال ابو حيان وقرأ الاعمش
ونهر بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن انتهى * وقوله تعالى فى مقعد
صدق يحتمل ان يريد به الصدق الذى هو ضد الكذب اي المقعد الذى
صدقوا فى الخبر به ويحتمل ان يكون من قولك عود صدق اي جيد ورجل
صدق اي خير والمليك المقتدر الله تعالى (ت) وقال الثعلبي فى مقعد صدق
اي فى مجلس حق لا لغوفيه ولا تائم وهو الجنة عند ملك مقتدر وعند اشارة
الى القربة والرتبة انتهى (ص) قال ابو البقاء فى مقعد صدق بدل من قوله فى
جنات انتهى قال المحاسبي واذا اخذ اهل الجنة مجالسهم واطمانوا فى مقعد
الصدق الذى وعده الله لهم فهم فى القرب من مولا لهم سبحانه على قدر
منازلهم عنده انتهى من كتاب التوهم ثم قال المحاسبي باثر هذا الكلام فلورأيتهم
وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور وقد بلغوا غاية الكرامة
ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنك بنظرهم الى العزيز العظيم الجليل الذى لا
تقع عليه الاوهام * ولا تحيط به الافهام * ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر
الازلي القديم الذى حارت العقول عن ادراكه وكلت اللسان عن
كنه صفاته انتهى

تفسير سورة الرحمن عز وجل وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الرحمن علم القرآن الرحمن بناءً مبالغة من الرحمة وقوله علم القرآن تعديد نعمة أي هو من به وعلمه الناس وخص حفاظه وفهمته بالفضل قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه وذكر الإنسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعاً كلها نصت على خلقه وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو والإنسان هنا اسم جنس قاله الزهراوي وغيره قال الفخر الرحمن مبتدأ خبره الجملة الفعلية التي هي علم القرآن انتهى والبيان النطق والفهم والإبانة عن ذلك بقول قاله الجمهور وبذلك فضل الإنسان من سائر الحيوان وكل المعلومات داخلة في البيان الذي علمه الإنسان فمن ذلك البيان كون الشمس والقمر بحسبان وهذا ابتداء تعديد نعم قال قتادة بحسبان مصدر كالحساب وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى والضحاك هو جمع حساب والمعنى أن هذين لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسابات شتى وهذا مذهب ابن عباس وغيره وقال قتادة الحسبان الفلك المستدير شبهة بحسبان الرحي وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة * وقوله سبحانه والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم النبات الذي لاساق له

قال (ع) وسمي نجما لانه نجم اي ظهر وهو مناسب للشجر نسبة بينة وقال مجاهد وغيره النجم اسم الجنس من نجوم السماء قال (ع) والنسبة التي لها من السماء هي التي للشجر من الارض لانهما في ظاهرهما وسمي الشجر من اشتجار غصونه وهو تداخلها قال مجاهد وسجودها عبارة عن التذلل والخضوع * وقوله سبحانه ووضع الميزان يريد به العدل قاله اكثر الناس * وقوله الا تظفوا في الميزان وقوله واقموا الوزن بالقسط وقوله ولا تحسروا الميزان يريد به الميزان المعروف وان لا هو بتقدير ليلا او مفعول من اجله وفي مصحف ابن مسعود لا تظفوا في الميزان وقرأ بلال بن ابي بردة تحسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر ويقال خسر واخسر بمعنى نقص وافسد كبير واجبر * والانام قال الحسن بن ابي الحسن هم الثقلان الانس والجن وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والشعبي هم الحيوان كله * والنخل ذات الاكام وذلك ان طلعها في كم وفروعها ايضا في اكام من ليفها والكم من النبات كل ما التف على شيء وستره ومنه كائنم الزهر وبه شبه كم الثوب * والحب ذو العصف هو البر والشعير وما جرى مجراه قال ابن عباس العصف التبن واختلف في الريحان فقال ابن عباس وغيره هو الرزق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال ابن زيد وقتادة الريحان هو كل مشوم طيب قال (ع) وفي هذا النوع نعمة عظيمة ففيه الازهار والمنديل والعقاقير وغير ذلك وقرأ الجمهور والريحان بالرفع عطفا على فاكهة وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض عطفا على العصف فالريحان على هذه القراءة الرزق ولا يدخل فيه المشوم الا بتكلف وريحان اصله روحان فهو من ذوات الواو والآلاء النعم والضمير في قوله ربكما للجن والانس اللذين تضمنها لفظ الانام وايضا ساغ تقديم ضميرها عليهما لذكر الانسان والجان عقب ذلك وفيه اتساع وقال منذر بن سعيد خوطب من يعقل لان المخاطبة بالقرآن كله هي للاناس

والجن وعن جابر قال قرأ علينا النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتاً للجن كانوا احسن رداً منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأيء الا ربكما تكذبان الا قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب * وقوله سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار الآية اختلف فى اشتقاق الصلصال فقيل هو من صل اذا اتن فهي اشارة الى الحمأة وقال الجمهور هو من صل اذا صوت وذلك فى الطين لجودته فهي اشارة الى ما كان فى تربة ادم من الطين الحر وذلك ان الله تعالى خلقه من طين مختلف فمرة ذكر فى خلقه هذا ومرة هذا وكل ما فى القرآن صفات تردت على التراب الذى خلق منه والفخار الطين الطيب اذا مسه الماء فخر اي ربا وعظم والجان اسم جنس كالجنة قال الفخر وفى الجان وجه آخر انه ابو الجن كما ان الانسان هنا ابو الانس خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجان هنا ابو الجن خلق من نار ومن بعده من ذريته انتهى والمارج اللهب المضطرب من النار قال ابن عباس وهو احسن النار المختلط من اللون شتى قال ابو حيان المارج المختلط من اصفر واخضر واحمر انتهى وكرر سبحانه قوله فبأيء ربكما تكذبان تأكيداً وتنبيهاً للنفوس وتحريكا لها وهذه طريقة من الفصاحة معروفة وهي من كتاب الله فى مواضع وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفى كلام العرب وذهب قوم الى ان هذا التكرار انما هو لما اختلفت النعم المذكورة كمر التوقيف مع كل واحدة منها قال (ع) وهذا حسن وقال الحسين بن الفضل التكرار لطرد الغفلة وللتأكيد وخص سبحانه ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف فى اضافة الرب اليهما لعظمهما فى المخلوقات (ت) وتتمثل الآية ان يراد المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو فى سورة الشعراء واختلف الناس فى البحرين قال (ع) والظاهر عندي ان قوله تعالى البحرين يريد بهما

نوعي الماء العذب والاجاج اي خلطهما في الارض وارسلهما متداخلين في
 وضعهما في الارض قريب بعضهما من بعض ولا بني قال (ع) وذكر الثعلبي
 في مرج البحرين الغازا واقوالا باطنة يجب ان لا يلتفت الى شي . منها (ت)
 ولا شك في اطراحها فمنها نقله عن الثوري مرج البحرين فاطمة وعلي اللؤلؤ
 والمرجان الحسن والحسين ثم تمادى في نحو هذا مما كان الاولى به تركه ومرج
 الشي . اي اختلط والبرزخ الحاجز قال البخاري لا ينبغي ان لا يختلطان انتهى
 قال ابن مسعود والمرجان حجر احمر وهذا هو الصواب قال عطاء الخراساني
 وهو البُسْد * وقوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال جمهور من المتأولين
 انما يخرج ذلك من الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه العذبة
 فلذلك قال منهما (ت) وهذا بناء على ان الضمير في منهما للعذب والمالح واما
 على قول من قال ان البحرين بحر فارس والروم او بحر القلزم وبحر الشام فلا
 اشكال اذ كلها مألحة وقد نقل الاخفش عن قوم انه يخرج اللؤلؤ والمرجان من
 المالح ومن العذب وليس لمن رده حجة قاطعة ومن اثبت اولى ممن نفي قال
 ابو حيان والضمير في منهما يعود على البحرين يعني العذب والمالح والظاهر
 خروج اللؤلؤ والمرجان منهما وحكاه الاخفش عن قوم انتهى والجواري جمع
 جارية وهي السفن وقرأ حمزة وابو بكر المنشآت بكسر الشين اي اللواتي
 انشأن جريهن اي ابتدأنه وقرأ الباقر بفتح الشين اي انشأها الله او الناس
 وقال مجاهد المنشآت ما رفع قلعه من السفن كالأعلام اي كالجبال (ت)
 ولفظ البخاري المنشآت ما رفع قلعه من السفن فاما ما لا يرفع قلعه فليس
 بمنشآت انتهى * وقوله سبحانه كل من عليها اي على الارض فان والاشارة
 بالفناء الى جميع الموجودات على الارض من حيوان وغيره والوجه عبارة عن
 الذات لان الجارحة منفية في حقه سبحانه قال الداودي وعن ابن عباس ذو

الجلال قال ذو العظمة والكبرياء انتهى * وقوله سبحانه يسئله من في السموات والارض اي من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم عنه سبحانه كلهم يسئله حاجته اما بلسان مقاله واما بلسان حاله * وقوله سبحانه كل يوم هو في شأن اي يظهر شأنًا من قدرته التي قد سبقت في الازل في ميقاته من الزمان من احياء واماتة ورفعة وخفض وغير ذلك من الامور التي لا يعلم نهايتها الا هو سبحانه والشأن هو اسم جنس للامور قال الحسين بن الفضل معنى الآية سوق المقادير الى المواقيت وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقليل له ما هذا الشأن يا رسول الله قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وذكر النقاش ان سبب هذه الآية قول اليهود استراح الله يوم السبت فلا ينفذ فيه شيئاً * وقوله تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان عبارة عن اتيان الوقت الذي قدر فيه وقضى ان ينظر في امور عبادته وذلك يوم القيامة وليس المعنى ان ثم شغلا يتفرغ منه اذ لا يشغله سبحانه شأن عن شأن وانما هي اشارة وعيد وتهديد قال البخاري وهو معروف في كلام العرب يقال لا فرغن لك وما به شغل انتهى والثقلان الانس والجن يقال لكل ما يعظم امره ثقل وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما ثقلا بالذنوب قال (ع) وهذا بارع ينظر الى خلقهما من طين ونار واختلف الناس في معنى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا الآية فقال الطبري قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيامة يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية قال الضحاك وذلك انه يفر الناس في اقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاءوا فحينئذ يقال لهم يا معشر الجن والانس وقال بعض المفسرين هي مخاطبة في الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت بان تنفذوا من

اقطار السموات والارض فانفذوا (ت) والصواب الاول * وقوله فانفذوا صيغة امر ومعناه التعجيز والشواظ لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال ابو حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان انتهى والنحاس هو المعروف قاله ابن عباس وغيره اي يذاب ويرسل عليهما ونحوه في البخاري قال (ص) وقال الحليل النحاس هنا هو الدخان الذي لاله له ونقله ايضا ابو البقاء وغيره انتهى * وقوله سبحانه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف مقصود به الابهام كانه يقول فاذا انشقت السماء فما اعظم الهول قال قتادة السماء اليوم خضراء وهي يوم القيامة حمراء فعنى قوله وردة اي حمرة كالوردة وهي النوار المعروف وهذا قول الزجاج وغيره * وقوله كالدهان قال مجاهد وغيره هو جمع دهن وذلك ان السماء يمتريها يوم القيامة ذوب وتميع من شدة الهول وقال ابن جريج من حر جهنم نقله الثعلبي وقيل غير هذا * وقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال قتادة وغيره هي مواطن فلا تعارض بين الآيات * وقوله سبحانه فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال ابن عباس يؤخذ كل كافر بناصيته وقدميه ويطوى ويجمع كالخطب ويلقى كذلك في النار وقيل المعنى ان بعض الكفرة يؤخذون بالنواصي وبعضهم يسحبون ويجرون بالاقدام * وقوله تعالى هذه جهنم اي يقال لهم على جهة التوبيخ وفي مصحف ابن مسعود هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون لا تموتان فيها ولا تحيان * وقوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن المعنى انهم يترددون بين نار جهنم وجرها وبين حميم وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها وان الشيء حضر وان اللحم او ما يطبخ او يغلي تضج وتناهى حره وكونه من الثاني ابين * وقوله تعالى ولن خاف مقام ربه اي موقفه بين يدي ربه قيل في هذه الآية ان كل خائف له جنتان (ت) قال الثعلبي قال محمد بن علي الترمذي جنة لحوفه من ربه وجنة

لتركه شهوته والافنان يحتمل ان تكون جمع فنن وهو الفصن وهذا قول مجاهد فكانه مدحها بظلالها وتكاثف اغصانها ويحتمل ان تكون جمع فن وهو قول ابن عباس فكانه مدحها بكثرة فواكها ونعيمها وزوجان معناه نوعان (ت) ونقل الثعلبي عن ابن عباس قال ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلوانتهى ومتكئين حال وقرأ الجمهور على فرش بضم الراء وروي في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فكيف الظواهر قال هي من نور يتلأل والاستبرق ما خشن وحسن من الديباج والسندس مارق منه وقد تقدم القول في لفظ الاستبرق والضمير في قوله فيهن للفرش وقيل للجنات اذ الجنتان جنات في المعنى والجنى ما يجنى من الثمار ووصفه بالدنولانه يدنو الى مشتهيه فيتناوله كيف شاء من قيام او جلوس او اضطجاع روي معناه في الحديث وقاصرات الطرف هن الحور قصرن الحاظهن على ازواجهن لم يطمئنن اي لم يفتضهن لان الطمث دم الفرج * وقوله ولاجان قال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن (١) اذا لم يذكر الزوج اسم الله فنفي سبحانه في هذه الآية جميع المجامعات * وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان الآية الياقوت والمرجان هي من الاشياء التي قد برع حسنهما واستشعرت النفوس جلالتهما فوق التشبيه بها فيما يشبه ويجسن بهذه المشبهات فالياقوت في املاسه وشفوفه ولو ادخلت فيه سلكا لرأيته من ورائه وكذلك المرأة من نساء الجنة

(١) قال السيد في روح المعاني ان دعوى ان الجن تجامع نساء البشر جماعا حقيقيا مع ازواجهن اذا لم يذكر اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء وقوله تعالى وشاركم في الاموال والاولاد غير نص في المراد كما لا يخفى اهـ كتبه مصححه

يرى مخ ساقها من وراء العظم والمرجان في املاسه وجمال منظره * وقوله سبحانه
هل جزاء الاحسان الا الاحسان الآية وعد وبسط نفوس جميع المومنين لانها عامة
قال ابن المنكدر وابن زيد وجاعة من اهل العلم هي للبر والفاجر والمعنى ان جزاء
من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم وحكى النقاش ان النبي صلى الله
عليه وسلم فسر هذه الآية هل جزاء التوحيد الا الجنة (ت) ولوصح هذا
الحديث لوجب الوقوف عنده ولكن الشان في صحته قال الفخر قوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان فيه وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن
ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكروني
اذكركم وثانيتهما وان عدتم عدنا وثالثتها هل جزاء الاحسان الا الاحسان
ولنذكر الاشهر منها والاقرب اما الاشهر فوجوه احداها هل جزاء التوحيد
الا الجنة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الادخول الجنة ثانيها هل
جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان في الآخرة ثالثها هل جزاء من
احسن اليكم بالنعم في الدنيا الا ان تحسنوا له العبادة والتقوى واما الاقرب فهو
التعميم اي لان لفظ الآية عام انتهى * وقوله سبحانه ومن دونهما جنتان قال
بن زيد وغيره معناه ان هاتين دون تيسنك في المنزلة والقرب فالاوليان
للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابن عباس ان المعنى انهما
دونهما في القرب الى المنعمين وانهما افضل من الاولين قال (ع) واكثر الناس
على التاويل الاول (ت) واختار الترمذي الحكيم التاويل الثاني واظن في
الاحتجاج له في نوادر الاصول له وخرج البخاري هنا عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال جنتان من فضة اثنتهما وما فيهما وجنتان من ذهب اثنتهما وما فيهما
الحديث وفيه ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية
منها اهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المومن انتهى ومداهمتان معناه قدعلا

لونهما دهمة وسواد في النظرة والخضرة قال البخاري مدهامتان سوداوان من
الري انتهى والنضاجة الفوارة التي يهيج ماؤها وكرر النخل والرمان وهما من
افضل الفاكة ثريفا لهما وقالت ام سلمة قلت يا رسول الله اخبرني عن قول
الله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقرئ شاذا
خيرات بشد الياء المكسورة (ت) وفي صحيح البخاري من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم لروحة في سبيل الله او غدوة خير من الدنيا وما فيها
ولقاب قوس احدكم في الجنة او موضع قيد سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو
ان امرأة من اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضأت ما بينهما ولملأته
ريحا ولنضيفها على رأسها يعني الحمار خير من الدنيا وما فيها * وقوله سبحانه
مقصورات اي محجوبات مصونات في الخيام وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه هي درججوف ورواه ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الداودي وعن ابن عباس والخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ في فرسخ لها
اربعة آلاف مصراع انتهى والرفرف ما تدلى من الاسرة من على الثياب
والبسط وقاله ابن عباس وغيره وما يتدلى حول الحباء من الحرقة الهفافة يسمى
رفرفا وكذلك يسميه الناس اليوم وقيل غير هذا وما ذكرناه اصوب والعقري
بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعقر وهو موضع يعمل فيه الوشي
والديباج ونحوه قال ابن عباس العقري الزرابي وقال ابن زيد هي الطنافس قال
الخليل والاصمعي العرب اذا استحسنت شيئا واستجاذته قالت عقري قال (ع)
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمر فلم اربعقريا من الناس يفرى فريه * وقوله
سبحانه تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام هذا الموضع مما اريد فيه بالاسم
سماء والدعاء بهاتين الكلمتين حسن مرجو الاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم
ارْظُوا بآذا الجلال والاكرام

تفسير سورة الواقعة وهي مكيتة باجماع ممن يعتد بقوله

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دام على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر او قال لم تصبه فاقة ابدا قال (ع) لان فيها ذكر القيامة وحفظ الناس في الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه شغل بالاستعداد

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اذا وقعت الواقعة الآية الواقعة اسم من اسماء القيامة قاله ابن عباس وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وكاذبة يحتمل ان يكون مصدرا فالعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا مشنوية وهذا قول مجاهد والحسن ويحتمل ان يكون صفة لمقدر كانه قال ليس لوقعتها حال كاذبة * وقوله سبحانه خافضة رافعة قال قتادة وغيره يعنى القيامة تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقبل ان بانفطار السموات والارض والجبال وانهدام هذه البنية ترتفع طائفة من الاجرام وتنخفض اخرى فكانها عبارة عن شدة هول القيامة (ت) والاول ابين وهو تفسير البخاري ومعنى رجبت زلزلت وحركت بعنف قاله ابن عباس ومعنى بست فتت كما تبس البسيصة وهي السويق قاله ابن عباس وغيره وقال بعض اللغويين بست معناه سيرت والهباء ما يتطاير في الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا في الشمس اذا دخلت من كوة قاله ابن عباس وغيره والمنبث بالثاء المثلثة الشائع في جميع الهواء

والخطاب في قوله وكنتم لجميع العالم والازواج الانواع قال قتادة هذه منازل الناس يوم القيامة * وقوله سبحانه فاصحاب اليمين ابتداء وما ابتداء ثان واصحاب اليمين خبر ما والجملة خبر الابتداء الاول وفي الكلام معنى التعظيم كما تقول زيد ما زيد ونظير هذا في القرآن كثير واليمين اظهر ما في اشتقاقها انها من ناحية اليمين وقيل من اليمين وكذلك المشأمة اما ان تكون من اليد الشؤمي واما ان تكون من الشؤم وقد فسرت الآية بهذين المعنيين * وقوله تعالى والسابقون ابتداء والسابقون الثاني قال سيبويه هو خبر الاول وهذا على معنى تفخيم الامر وتعظيمه وقال بعض النحاة السابقون الثاني نعت للاول ومعنى الصفة ان تقول والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والرحمة اولائك ويتجه هذا المعنى على الابتداء والخبر * وقوله اولئك المقربون ابتداء وخبر وهو في موضع الخبر على قول من قال السابقون الثاني صفة والمقربون معناه من الله سبحانه في جنة عدن فالسابقون معناه الذين قد سبقت لهم السعادة وكانت اعمالهم في الدنيا سبقا الى اعمال البر والى ترك المعاصي فهذا عموم في جميع الناس وخصص المفسرون في هذه اشياء تفتقر الى سند قاطع وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم والمقربون عبارة عن اهل منازل البشر في الآخرة قال جماعة من اهل العلم هذه الآية متضمنة ان العالم يوم القيامة على ثلاثة اصناف * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الثلة الجماعة قال الحسن بن ابى الحسن وغيره المراد السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة وروي ان الصحابة حزنوا لقلة سابقي هذه الامة على هذا التاويل فنزلت الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فرضوا وروي عن عائشة انها تأولت ان الفرقين في امة كل نبي هي في الصدر ثلة وفي اخر الامة قليل وقال النبي

صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الفرقتان في امتي فسبق اول الامة ثلة
وسابق سائرهما الى يوم القيامة قليل قال السهيلي واما اخر من يدخل الجنة
وهو اخر اهل النار خروجا منها فرجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا
نسله فعند جهينة الخبر اليقين فيسلونه هل بقي في النار احد بعدك ممن
يقول لا اله الا الله وهذا حديث ذكره الدارقطني من طريق مالك بن انس
يرفعه باسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في كتاب رواة مالك بن انس
رحمه الله انتهى * وقوله تعالى على سرر موضونة اي منسوجة بتركيب بعض
اجزائها على بعض كخلق الدرع ومنه وضين الناقة وهو حزامها قال ابن عباس
موضونة مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدرد والياقوت يطوف عليهم
للخدمة ولدان وهم صفار الخدمة ووصفهم سبحانه بالخلد وان كان جميع ما في
الجنة كذلك اشارة الى انهم في حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سن اي
لا يحولون من حالة الى حالة وقاله ابن كيسان وقال الفراء مخلدون معناه مقرطون
بالخلدات وهي ضرب من الاقراط والاول اصوب لان العرب تقول للذي كبر
ولم يشب انه لمخلد والاكواب ما كان من اواني الشرب لا اذن له ولا خرطوم
قال قتادة ليست لها عرى والابريق ماله خرطوم والكاس الآنية المعدة للشرب
بشريطة ان يكون فيها خمر ولا يقال لانية فيها ماء اولين كاس * وقوله من
معين قال ابن عباس معناه من خمر سائلة جارئة معينة * وقوله لا يصدعون
عنها ذهب اكثر المفسرين الى ان المعنى لا يلحق رءوسهم الصداع الذي يلحق
من خمر الدنيا وقال قوم معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب
من الاسباب كما يفرق اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق ولا ينفون معناه لا
تذهب عقولهم سكرًا قاله مجاهد وغيره والنزيف السكران وباقي الآية بين
وخص المكنون بالاولئ لانه اصفى لونا وابعد عن الغير وسألت ام سلمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤه من كصفاء الدر في
الاصداف الذى لا تمسه الايدى وجزاء بما كانوا يعملون اي ان هذه الرتب
والنعيم هي لهم بحسب اعمالهم لانه روي ان المنازل والقسم في الجنة هي
مقسمة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله لا بعمل
عامل كما جاء في الصحيح * وقوله تعالى الاقلا سلاما سلاما قال ابو حيان
الاقلا سلاما سلاما الظاهر ان الاستثناء منقطع لانه لا يندرج في اللغو
والثائم وقيل متصل وهو بعيد انتهى قال الزجاج وسلاما مصدر كانه يذكر انه
يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما (ت) قال الثعلبي والسدر شجر النبق ومغضود
اي مقطوع الشوك قال (ع) ولاهل تحرير النظر هنا اشارة في ان هذا الخضد
يازاء اعمالهم التي سلموا منها اذ اهل اليمين قوابون لهم سلام وليسوا بسابقين
قال الفخر وقد بان لى بالدليل ان المراد باصحاب اليمين الناجون الذين اذنبوا
واسرفوا وعفا الله تعالى عنهم بسبب ادنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت
انتهى والطلع من العضاء شجر عظيم كثير الشوك وصفه في الجنة على صفة
مباينة لحال الدنيا ومنضود معناه مركب ثمره بعضه على بعض من ارضه الى
اعلاه وقرأ علي رضي الله عنه وغيره وطلع فليل لي انما هو وطلع فقال ما
للطلع والجنة قيل له انصاحبها في المصحف فقال ان المصحف اليوم لا يهاج
ولا يغير (١) وقال علي ايضا وابن عباس الطلع الموز والظل الممدود معناه الذى

(١) وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي وكيف يقر امير
المومنين كرم الله تعالى وجهه تحريفا في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس او كيف
يظن بان نقلة القرءان ورواياته وكتابه من قبل تعمدا ذلك او غفلوا عنه هذا والله
تعالى قد تكفل بحفظه سبحانه هذا بهتان عظيم اه من روح المعاني نقله مصححه

لا تنسخه شمس وتفسير ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة لا يقطعها واقرأوا ان شتم وظل ممدود الى غير هذا من الاحاديث في هذا المعنى (ت) وفي صحيح البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها ولقاب قوس احدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس او تقرب انتهى وماء مسكوب اي جار في غير اخدود * لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا مقطوعة بالا زمان كحال فاكهة الدنيا ولا ممنوعة بوجه من الوجوه التي تمتنع بها فاكهة الدنيا والفرش الاسرة وعن ابي سعيد الخدري ان في ارتفاع السرير منها مسيرة خمس مائة سنة (ت) وهذا ان ثبت فلا بعد فيه اذ احوال الآخرة كلها خرق عادة وقال ابو عبيدة وغيره اراد بالفرش النساء ومرفوعة معناه في الاقدار والمنازل وانشأناهن معناه خلقناهن شيأ بعد شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية هن عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا جملهن الله بعد الكبر اترابا وقال للمعجوز ان الجنة لا يدخلها المعجوز فحزنت فقال انك اذا دخلت الجنة انشئت خلقا آخر * وقوله سبحانه فجعلناهن ابكارا قيل معناه دائمة البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا والعرب جمع عروب وهي المتحبة الى زوجها باظهار محبته قاله ابن عباس وعبر عنهن ابن عباس ايضا بالعواشق وقال زيد العروب الحسنة الكلام (ت) قال البخاري والعروب يسميها اهل مكة العربية واهل المدينة الغنجة واهل العراق الشكلة انتهى * وقوله اترابا معناه في الشكل والقدر قال قتادة اترابا يعني سنا واحدة ويروى ان اهل الجنة هم على قد ابن اربعة عشر عاما في الشباب والنضرة وقيل على مثال ابناء ثلاث وثلاثين سنة مردا بيضا مكحلين زاد الثعلبي على خلق آدم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال الحسن بن ابي

الحسن وغيره الاولون سالف الامم منهم جماعة عظيمة اصحاب يمين
والآخرون هذه الامة منهم جماعة عظيمة اهل يمين قال (ع) بل
جميعهم الامن كان من السابقين وقال قوم من المتأولين هاتان الفرقتان في
امة محمد وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الثلثان من
امتي وروى ابن المبارك في رقايقه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي
ثلثا اهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون
صفا انتهى * وقوله سبحانه واصحاب الشال الآية في الكلام معنى الانحاء
عليهم وتعظيم مصائبهم والسموم اشد ما يكون من الحر اليابس الذي لا بلل معه
والحميم السخن جدا من الماء الذي في جهنم واليحموم هو الدخان الاسود
يظل اهل النار قاله ابن عباس والجمهور وقيل هو سراقق النار المحيط باهلها
فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلمهم وقيل هو جبل في النار اسود * وقوله
ولا كريم معناه ليس له صفة مدح قال الثعلبي وعن ابن المسيب ولا كريم اي
ولا حسن نظيره من كل زوج كريم وقال قتادة لا بارد النزل ولا كريم المنظر
وهو الظل الذي لا يفي من اللهب انتهى والمترف المنعم في سرف وتخوض
ويعصرون معناه يعتقدون اعتقادا لا يزعمون عنه والحنث الاثم وقال الثعلبي
وكانوا يصرون يقيمون على الحنث العظيم اي الذنب انتهى ونحوه للبخاري وهو
حسن نحو ما في الرسالة قال قتادة وغيره والمراد بهذا الاثم العظيم الشرك
وباقى الآية في استبعادهم للبعث وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه ثم انكم ايها
الضالون مخاطبة لكفار قريش ومن كان في حالهم ومن في قوله من زقوم ليلان
الجنس والضمير في منها عائد على الشجر والضمير في عليه عائد على الماكول
والهميم قال ابن عباس وغيره جمع اھيم وهو الجمل الذي اصابه الهيام بضم الهاء
وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت او يسقم سقما شديدا وقال قوم

هو جمع هائم وهو ايضا من هذا المعنى لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على وجهه وذهب وقال ابن عباس ايضا وسفيان الثوري الهيم الرمال التي لا تروى من الماء والنزل اول ما ياكل الضيف والدين الجزاء * وقوله سبحانه افرايتم ما تمنون الآية وليس يوجد مفطور يخفى عليه ان المني الذي يخرج منه ليس له فيه عمل ولا ارادة ولا قدرة وقرأ الجمهور قدرنا وقرأ ابن كثير وحده قدرنا بتخفيف الدال فيحتمل ان يكون المعنى فيها قضينا واثبتنا ويحتمل ان يكون بمعنى سويتنا قال الثعلبي عن الضحاك اي سويتنا بين اهل السماء واهل الارض * وقوله وما نحن بمسبوقين اي على تبدليكم ان اردناه وان نشئكم باوصاف لا يصلها علمكم ولا يحيط بها فكركم قال الحسن من كونهم قردة وخنازير لان الآية تنحو الى الوعيد والنشأة الاولى قال اكثر المفسرين اشارة الى خلق ادم وقيل المراد نشأة الانسان في طفولته وهذه الآية نص في استعمال القياس والحض عليه وعبرة الثعلبي ويقال النشأة الاولى نقطة ثم علقمة ثم مضغة ولم يكونوا شيئاً فلولا اي فهلا تذكرون اني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم وفيه دليل على صحة القياس لانه علمهم سبحانه الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الاخرى انتهى * وقوله سبحانه انتم ترعونوه اي زرعائتم ام نحن وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقل زرعت ولكن قلت حرثت ثم تلا ابو هريرة هذه الآية والحطام اليابس المتفتت من النبات الصائر الى ذهاب وبه شبه حطام الدنيا وتفككون قال ابن عباس وغيره معناه تعجبون اي مما نزل بكم وقال ابن زيد معناه تتفجعون قال (ع) وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة والذي يخص اللفظة هو تطرحون الفكاهة عن انفسكم وقولهم انا لمغرمون قبله محذوف تقديره يقولون وقرأ عاصم الجحدري انا لمغرمون بهمزتين على الاستفهام والمعنى يحتمل ان يكون انا لمغرمون من الغرام وهو اشدد العذاب ويحتمل انا لمحملون

الغرم اي غرمتنا في النفقة وذهب زرعتنا وقد تقدم تفسير المحروم وانه الذي تبعد عنه ممكّنات الرزق بعد قربها منه وقال الثعلبي المحروم ضد المرزوق انتهى والمزن هو السحاب والاجاج اشد المياها ملوحة وتورون معناه تقتدحون من الازند تقول اوريت النار من الزناد والزناد قد يكون من حجر وحديدة ومن شجر لاسيا في بلاد العرب ولاسيا في الشجر الرخو كالرخ والعفار والكخ وما اشبهه ولعادة العرب في ازنادهم من شجر قال تعالى : انتم انشأتم شجرتها اي التي تقدح منها ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى نار جهنم قاله مجاهد وغيره والمتاع ما ينتفع به والمقوين في هذه الآية الكائنين في الارض القواء وهي الفيافي ومن قال معناه للمسافرين فهو نحو ما قلناه وهي عبارة ابن عباس رضي الله عنه تقول اقوى الرجل اذا دخل في الارض القواء * وقوله سبحانه فلا اقسم بمواقع النجوم الآية قال بعض النحاة لازائدة والمعنى فاقسم وزيادتها في بعض المواضع معروفة وقرأ الحسن وغيره فلا قسم من غير الف وقال بعضهم لا نافية كانه قال فلا صحة لما يقوله الكفار ثم ابتداء اقسام بمواقع النجوم والنجوم هنا قال ابن عباس وغيره هي نجوم القرآن وذلك انه روي ان القرآن نزل في ليلة القدر الى سماء الدنيا وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مقطعة مدة من عشرين سنة قال (ع) ويؤيده عود الضمير على القرآن في قوله انه لقرآن كريم وقال كثير من المفسرين بل النجوم هنا هي الكواكب المعروفة ثم اختلف هؤلاء في مواقعها فقليل غروبها وطلوعها وقيل مواقعها عند انقضاها اثر العفاريت * وقوله وانه لقسم تأكيد * وقوله لوتعلمون اعتراض * وقوله انه لقرآن كريم هو الذي وقع القسم عليه * وقوله في كتاب مكنون الآية المكنون المصون قال ابن عباس وغيره اراد الكتاب الذي في السماء قال الثعلبي

ويقال هو اللوح المحفوظ * وقوله لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وليس في الآية على هذا التأويل تعرض لحكم مس المصحف لسائر بني آدم وقال بعض المتأولين اراد بالكتاب مصاحف المسلمين ولم تكن يومئذ فهو اخبار بغيب مضمونه النهي فلا يمسه المصحف من بني آدم الا الطاهر من الكفر والحدث وفي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم لا يمسه القرآن الا طاهر وبه اخذ مالك وقرأ سلمان الا المطهرون بكسر الهاء * وقوله تعالى افبهذا الحديث يعني القرآن المتضمن البعث ومدهنون معناه يلاين بمضكم بعضا ويتبعه في الكفر ماخوذ من الدهن للينه واملاسه وقال ابن عباس المداينة هي المهادنة فيما لا يحل والمدارة هي المهادنة فيما يحل ونقل الثعلبي ان ادهن وداهن بمعنى واحد واصله من الدهن انتهى * وقوله سبحانه وتعملون رزقكم انكم تكذبون اجمع المفسرون على ان الآية توبيخ للقاتلين في المطر الذي ينزله الله تعالى رزقا للعباد هذا بنو كذا والمعنى وتعملون شكر رزقكم وحكى الميثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وكان علي يقرأ وتعملون شكركم انكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الله سبحانه فقال وزلنا من السماء ماء مباركا فانبثنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله انكم تكذبون اي بهذا الخبر قال (ع) والمنهي عنه هو ان يعتقد ان للنجوم تأثيرا في المطر * وقوله سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني بلغت نفس الانسان والحلقوم مجرى الطعام وهذه الحال هي نزع المرء للموت * وقوله وانتم اشارة الى جميع البشر حينئذ اي وقت النزع تنظرون اليه وقال الثعلبي وانتم حينئذ تنظرون الى امرى وسلطانى يعنى تصريحه سبحانه في الميت انتهى والاول عندى احسن وعزاه الثعلبي لابن عباس * ونحن

اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شيء عنه
وقيل المعنى وملائكتنا اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرونهم وعلى التأويل الاول من
البصر بالقلب * فلولاً ان كنتم غير مدينين اي مملوكين اذلاء والمدن المملوك
هذا اصح ما يقال في هذه اللفظة هنا ومن عبر عنها بمجازى او بحاسب فذلك
هنا قلق والمملوك مقلب كيف شاء المالك ومن هذا الملك قول الاخطل

ربت وربا في حجرها ابن مدينة * تراه على مسحاته يترك

اراد ابن امة مملوكة وهو عبد يخدم الكرم وقد قيل في معنى البيت انه اراد
اكارا حضريا فنسبه الى المدينة فمعنى الآية فهل لا ترجعون النفس البالغة
الحلقوم ان كنتم غير مملوكين مقهورين * وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة
والبيانات التي تقتضيها التحضيضات * وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين
الآية ذكر سبحانه في هذه الآية حال الأزواج الثلاثة المذكورين في اول السورة
وحال كل امرئ منهم فاما المرء من السابقين المقربين فيلقى عند موته روحا وريحانا
والروح الرحمة والسعة والفرح ومنه ولا تأسوا من روح الله والريحان الطيب وهو
دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال
(ع) الريحان ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن ابي العالية قال لا يفارق
احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بفصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه
فيه ونحوه عن الحسن انتهى فان اردت يا اخي اللحق بالمقربين * والكون في
زمرة السابقين * فاطرح عنك دنياك * واقبل على ذكر مولاك * واجعل الان
الموت نصب عينيك قال الغزالي وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينيك
لا تنفل عنه ساعة فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السيرحات بك وانت
غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامك الا
بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهات فيه انتهى من الاحياء قال ابن المبارك

فى رقايقه اخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال ما من ميت يموت الا عرض
 عليه اهل مجلسه ان كان من اهل الذكر فن اهل الذكر وان كان من اهل اللهو
 فمن اهل الله وانتهى * وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين عبارة
 تقتضى جملة مدح وصفة تخلص وحصول عال من المراتب والمعنى ليس فى
 امرهم الا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول فى مدح رجل اما فلان
 فناهيك به فهذا يقتضى جملة غير مفصلة من مدحه وقد اضطربت عبارات
 المتأولين فى قوله تعالى فسلام لك فقال قوم المعنى فيقال له سلام لك انك من
 اصحاب اليمين وقال الطبري فسلام لك انت من اصحاب اليمين وقيل المعنى
 فسلام لك يا محمد اى لا ترى فيهم الا السلامة من العذاب (ت) ومن حطت
 له السلامة من العذاب فقد فاز دليله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد
 فاز قال (ع) فهذه الكاف فى لك اما ان تكون للنبي عليه السلام وهو الاظهر
 ثم لكل معتبر فيها من امته واما ان تكون لمن يخاطب من اصحاب اليمين وغير
 هذا مما قيل تكلف ونقل الثعلبي عن الزجاج فسلام لك اى انك ترى فيهم
 ما تحب من السلامة وقد علمت ما اعد الله لهم من الجزاء بقوله فى سدر
 مخضود الآيات * والمكذبون الضالون هم الكفار اصحاب الشمال والمشتمة
 والنزل اول شيء يقدم للضيف والتولية ان يباشر بهم النار والجحيم معظم النار
 وحيث تراكمها * ان هذا لهو حق اليقين المعنى ان هذا الخبر هو نفس اليقين
 وحقيقته * وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم عبارة تقتضى الامر
 بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقتال على امور
 الآخرة وعبادة الله تعالى والدعاء اليه (ت) وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي
 صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة
 رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح

على شرط مسلم وعند النسائي شجرة بدل نخلة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها اما يجب احدكم ان يكون اولا يزال له من يذكر به ورواه ايضا ابن المبارك في رقايقه عن كعب وفيه ايضا عن كعب انه قال ان للكلام الطيب حول العرش دويا كدوي النحل يذكرن بصاحبهن انتهى وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يفرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذي تغرس قلت غرسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يفرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له والحاكم في المستدرک وقال في الاول صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وروى عقبه بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم فيحتمل ان يكون المعنى سبح الله بذكر اسمائه العلاء والاسم هنا بمعنى الجنس اي باسماء ربك والعظيم صفة للرب سبحانه وقد يحتمل ان يكون الاسم هنا واحدا مقصودا ويكون العظيم صفة له فكانه امره ان يسبحه باسمه الاعظم وان كان لم ينص عليه ويؤيد هذا ويشير اليه اتصال سورة الحديد واولها فيها التسبيح وجملة من اسماء الله تعالى وقد قال ابن عباس اسم الله الاعظم موجود في ست آيات من اول سورة الحديد فتأمل هذا فانه من دقيق النظر والله تعالى في كتابه العزيز غوامض لا تكاد الاذهان تدركها

تفسير سورة الحديد وهي مدنية ويشبه صدرها ان يكون مكية

روي عن ابن عباس ان اسم الله الاعظم هو في ست آيات من اول سورة الحديد وروي ان الدعاء بعد قراءتها مستجاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قال اكثر المفسرين التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله وهذا عندهم اخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام والاستمرار ثم اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة او مجاز على معنى ان اثر الصنعة فيها تنبه الراي على التسبيح قال الزجاج وغيره والقول بالحقيقة احسن وهذا كله في الجمادات واما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد ان تسبيحهم حقيقة * وقوله تعالى هو الاول اي الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة والآخر الدائم الذي ليس له نهاية منقضية قال ابو بكر الوراق هو الاول بالازلية والآخر بالابدية * والظاهر معناه بالادلة ونظر العقول في صنعته * والباطن بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا تصل الى معرفتها على ما هي عليه الاوهام وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم معناه بقدرته وعلمه واحاطته وهذه آية اجمعت الامة على هذا التاويل فيها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه امنوا بالله ورسوله الآية امر للمؤمنين بالثبوت على الايمان ويروى ان هذه الآية نزلت

في غزوة العسرة قاله الضحاك وقال الإشارة بقوله فالذين آمنوا منكم وانفقوا
 الى عثمان بن عفان يريد ومن في معناه كعبد الرحمن بن عوف وغيره * وقوله
 مما جعلكم مستخلفين فيه تهديد وتنبيه على ان الاموال انما تصير الى الانسان من
 غيره ويتركها لغيره وليس له من ذلك الا ما اكل فافنى او تصدق فامضى ويروى ان
 رجلا مر باعراي له ابل فقال له يا اعراي لمن هذه الابل قال هي لله عندي فهذا
 موفق مصيب ان صحب قوله عمله * وقوله سبحانه وما لكم لا تؤمنون بالله
 الآية توطئة لدعائهم رضي الله عنهم لانهم اهل هذه الرتبة الرفيعة واذا تقرر ان
 الرسول يدعوهم وانهم ممن اخذ الله ميثاقهم فكيف يمتنعون من الايمان *
 وقوله ان كنتم مومنين اي ان دتم على ايمانكم والظلمات الكفر والنور الايمان
 وباقي الآية وعد وتأنيس * وقوله تعالى وما لكم لا تنفقوا في سبيل الله والله
 ميراث السموات والارض المعنى وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله وانتم
 تموتون وتتركون اموالكم فتاب مناب هذا القول قوله والله ميراث السموات
 والارض وفيه زيادة تذكير بالله وعبرة وعنه يلزم القول الذي قدرناه * وقوله
 تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح الآية الاشهر في هذه الآية انها
 نزلت بعد الفتح واختلف في الفتح المشار اليه فقال ابو سعيد الخدري
 والشعبي هو فتح الحديبية وقال قتادة ومجاهد وزيد بن اسلم هو فتح مكة
 الذي ازال الهجرة قال (ع) وهذا هو المشهور الذي قال فيه النبي صلى الله
 عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وحكم الآية باق غابر الدهر من
 انفق في وقت حاجة السبيل اعظم اجرا ممن انفق مع استغنائه السبيل
 والحسن الجنة قاله مجاهد وقتادة والقرض السلف والتضعيف من الله تعالى
 هو في الحسنات وقد مر ذكر ذلك والاجر الكريم الذي يقترن به رضى واقبال
 وهذا معنى الدعاء بياكرم العفو اي ان مع عفوه رضى وتنميا * وقوله

سبحانه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم الآية العامل في يوم قوله وله اجر كريم والرؤية هنا رؤية عين والجمهور ان النور هنا هو نور حقيقة وقد روي في هذا عن ابن عباس وغيره ١٠ اثار مضمنها ان كل مومن ومظهر للايمان يعطى يوم القيامة نورا فيطفأ نور كل منافق ويبقى نور المؤمنين حتى ان منهم من نوره يضيء كما بين مكة وصنعاء رفعه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم من نوره يضيء ما قرب من قدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهيم بالانطفاء مرة ويسبين مرة على قدر المنازل في الطاعة والمعصية قال الفخر قال قتادة ما من عبد الا وينادي يوم القيامة يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك نعموذ بالله من ذلك واعلم ان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هي النور في القيامة فقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا انتهى ونحوه للغزالي وخص تعالى بين الايدي بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور واختلف في قوله تعالى وبآيمانهم فقال بعض التأولين المعنى وعن ايمانهم فكانه خص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفي جميع جهاتهم وقال جمهور المفسرين المعنى يسعى نورهم بين ايديهم يريد الضوء المنبسط من اصل النور وبآيمانهم اصله والشئ الذي هو متقد فيه فتضمن هذا القول انهم يحملون الانوار وكونهم غير حاملين اكرم الا ترى ان فضيلة عباد بن بشر واسيد بن حضير انما كانت بنور لا يحملانه هذا في الدنيا فكيف بالآخرة (ت) وفيما قاله (ع) عندي نظر وايضا فاحوال الآخرة لا تقاس على احوال الدنيا * وقوله تعالى بشراكم اي يقال لهم بشراكم جنات اي دخول جنات (ت) وقد جاءت بحمد الله ١٠ اثار بتبشير هذه الامة المحمدية وخرج ابن ماجه قال اخبرنا جُبارة بن المغلس قال حدثنا عبد الاعلى عن ابي بردة

عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة اذن لامة محمد صلى الله عليه وسلم في السجود فسجدوا طويلاً ثم يقال ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءً لكم من النار قال ابن ماجه وحدثنا جبارة بن المغلس حدثنا كثير بن سليمان عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة امة مرحومة عذابها بايديها فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار وفي صحيح مسلم دفع الله لكل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار انتهى من التذكرة * وقوله تعالى يوم يقول المنافقون قيل يوم هو بدل من الاول وقيل العامل فيه اذكر قال (ع) ويظهر لى ان العامل فيه قوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم ومحجي، معنى الفوز افخم كانه يقول ان المومنين يفوزون بالرحمة يوم يمتري المنافقين كذا وكذا لان ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده ابدع وافخم وقول المنافقين هذه المقالة المحكية هو عند انقطاع انوارهم كما ذكرنا قبل وقولهم انظرونا معناه انتظرونا وقرأ حمزة وحده انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء ومعناه اخرونا ومنه فنظرة الى ميسرة ومعنى قولهم اخرونا اي اخروا مشيكم لنا حتى نلتحق فننقبس من نوركم واقتبس الرجل اخذ من نور غيره قبسا قال الفخر القبس الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا في شي من انوار المومنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة في الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيامة كل احد نورا على قدر عمله ثم يؤخذ من حجر جهنم ومما فيها من الكلايب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضى زمرة من المومنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة اخرى كاضوا كوكب في السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهنا لك يقول المنافقون للذين امنوا انظرونا نقبس من نوركم انتهى *

وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم يحتمل ان يكون من قول المؤمنين لهم ويحتمل ان يكون من قول الملائكة والقول لهم فالتمسوا نورا هو على معنى التوبيخ لهم اي انكم لا تجدونه ثم اعلم تعالى انه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز فيبقى المنافقون في ظلمة وعذاب * وقوله تعالى باطنه فيه الرحمة اي جهة المؤمنين وظاهره جهة المنافقين والظاهر هنا البادى ومنه قول الكتاب من ظاهر مدينة كذا وعبرة الثعلبي فضرب بينهم بسور وهو حاجز بين الجنة والنار قال ابو امامة الباهلي فيرجعون الى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور قال قتادة حائط بين الجنة والنار له باب باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني النار انتهى قال (ص) قال ابو البقاء الباء في بسور زائدة وقيل ليست بزائدة قال ابو حيان والضمير في باطنه عائد على الباب وهو الاظهر لانه الاقرب وقيل على سور ابو البقاء والجملة صفة لباب اول سور انتهى * وقوله تعالى ينادونهم معناه ينادى المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا فيرد المؤمنون عليهم بلى كنتم معنا ولكن عرضتم انفسكم للفتنة وهي حب العاجل والقتال عليه قال مجاهد فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم معناه هنا بايمانكم فابطأتم به حتى متم وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم الدوائر وشككتكم والارتياب التشكك والاماني التي غرتهم هي قولهم سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش ستأخذه الاحزاب الى غير ذلك من امانيتهم وطول الامل غرار لكل احد وامر الله الذى جاء هو الفتح وظهور الاسلام وقيل هو موتهم على النفاق الموجب للعذاب والغرور الشيطان باجماع المتأولين وينبغي لكل مومن ان يعتبر هذه الآية في نفسه وتسويفه في توبته واعلم ايها الاخ ان الدنيا غرارة للمقبلين عليها فان اردت الخلاص والفوز بالنجاة فازهد فيها واقبل على ما يعينك من اصلاح دينك

والتزود لآخرتك وقد روى ابن المبارك في رقائقه عن ابي الدرداء انه قال يعنى
لاصحابه لئن حلفتكم لى على رجل منكم انه ازهدكم لاحضن لكم انه خيركم وروى
ابن المبارك بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث الله تبارك وتعالى
يوم القيامة عبيد من عباده كانوا على سيرة واحدة احدهما مقتور عليه والاخر
موسع عليه فيقبل المقتور عليه الى الجنة ولا ينثنى عنها حتى ينتهي الى ابوابها
فيقول حجبتها اليك فيقول اذن لا ارجع قال وسيفه فى عنقه فيقول
اعطيت هذا السيف فى الدنيا اجاهد به فلم ازل مجاهدا به حتى قبضت وانا
على ذلك فيرمى بسيفه الى الحزنة وينطلق لا يثنونه ولا يحبسونه عن الجنة
فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه الموسع عليه فيقول له يا فلان ما حبسك
فيقول ما خلى سبيلى الا الان ولقد حبست مالوان ثلاثمائة بغير اكلت خطا لا
يردن الا بخمسا وردن على عرقى لصدرن منه ربا انتهى * وقوله تعالى فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية الآية استمرار فى مخاطبة المنافقين قاله قتادة وغيره *
وقوله تعالى هي مولاكم قال المفسرون معناه هي اولى بكم وهذا تفسير
بالمعنى وانما هي استعارة لانها من حيث تضمنهم وتباشيرهم هي تواليهم
وتكون لهم مكان المولى وهذا نحو قول الشاعر * تحية بينهم ضرب
وجيع * وقوله تعالى الم يان ابتداء معنى مستأنف ومعنى الم يان الم يحسن
يقال انى الشيء يانى اذا حان وفى الآية معنى الحض والتقرير قال ابن
عباس عوتب المومنون بهذه الآية وهذه الآية كانت سبب توبة الفضيل
وابن المبارك والخشوع الاخبات والتطامن وهي هيئة تظهر فى الجوارح
متى كانت فى القلب ولذلك خص تعالى القلب بالذكر وروى شدد بن
اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع من الناس الخشوع *
وقوله تعالى لذكر الله اى لاجل ذكر الله تعالى ووحىه او لاجل تذكير الله اياهم

واوامره فيهم والاشارة في قوله اوتوا الكتاب الى بنى اسرائيل المعاصرين لموسى
 عليه السلام ولذلك قال من قبل وانما شبه اهل عصر نبي ، باهل عصر نبي *
 وقوله فطال عليهم الامد قيل معناه امد الحياة وقيل امد انتظار القيامة قال الفخر
 قال مقاتل ابن حيان الامد هنا الامل اي لما طالت ، اما لهم لا جرم قست
 قلوبهم انتهى وباقي الآية بين * وقوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
 موتها الآية مخاطبة لهؤلاء المومنين الذين ندبوا الى الخشوع وهذا ضرب مثل
 واستدعاء الى الخير يرفق وتقريب بليغ اي لا يبعد عنكم ايها التاركون
 للخشوع رجوعكم اليه وتلبسكم به فان الله يحيي الارض بعد موتها فكذلك يفعل
 بالقلوب يردّها الى الخشوع بعد بعدها عنه وترجع هي اليه اذا وقعت الانابة
 والتكسب من العبد بعد نفورها منه كما يحيي الارض بعد ان كانت ميتة وباقي
 الآية بين والمصدقين يعنى به المتصدقين وباقي الآية بين (ت) وقد جاءت
 اثار صحيحة في الحظ على الصدقة قد ذكرنا منها جملة في هذا المختصر واسند
 مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا نساء المومنات لا تحقرن
 احدا كن لجارتها ولو كراع شاة محرق وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم ردوا
 السائل ولو بظلف محرق قال ابن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث الحظ
 على الصدقة بكل ما امكن من قليل الاشياء وكثيرها وفي قول الله عز وجل فمن
 يعمل مثقال ذرة خيرا يره اوضح الدلائل في هذا الباب وتصدقت عائشة رضي
 الله عنها مجبتين من غنم فظفر اليها بعض اهل بيتها فقالت لا تعجين فكم فيها من
 مثقال ذرة ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرّة
 ولو بكلمة طيبة واذا كان الله عز وجل يربي الصدقات ويأخذ الصدقة بيمينه
 فيربيها كما يربي احدنا فلوه او فضيله فما بال من عرف هذا ينفل عنه وما التوفيق
 الا بالله انتهى من التمهيد وروى ابن المبارك في رقايقه قال اخبرنا حرملة بن عمران

انه سمع يزيد بن ابي حبيب يحدث ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس قال يزيد فكان ابو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشيء ، ولو كعكة او بصلة او كذا انتهى والصديقون بناء مبالغة من الصدق او من التصديق على ما ذكر الزجاج * وقوله تعالى والشهداء عند ربهم اختلف في تاويله فقال ابن مسعود وجماعة والشهداء معطوف على الصديقين والكلام متصل ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاتصال فقال بعضها وصف الله المؤمنين بانهم صديقون وشهداء فكل مومن شهيد قاله مجاهد وروى البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مومنوا متي شهداء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وانما خص صلى الله عليه وسلم ذكر الشهداء السبعة تشريفا لهم لانهم في اعلى رتب الشهادة الاترى ان المقتول في سبيل الله مخصوص ايضا من السبعة بتشريف يفرد به وقال بعضها الشهداء هنا من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد فكانه قال هم اهل الصدق والشهداء على الامم وقال ابن عباس ومسروق والضحاك الكلام تام في قوله الصديقون وقوله والشهداء ابتداء مستانف ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاستيناف فقال بعضها معنى الآية والشهداء بانهم صديقون حاضرون عند ربهم وعنى بالشهداء الانبياء عليهم السلام (ت) وهذا تاويل بعيد من لفظ الآية وقال بعضها قوله والشهداء ابتداء يريد به الشهداء في سبيل الله واستانف الخبر عنهم بانهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فكانه جعلهم صنفًا مذكورًا وحده (ت) وابين هذه الاقوال الاول وهذا الاخير وان صح حديث البراء لم يعدل عنه قال ابو حيان والظاهر ان الشهداء مبتدأ خبره ما بعده انتهى * وقوله تعالى ونورهم قال الجمهور هو حقيقة حسبما تقدم * وقوله سبحانه اعلموا انما الحياة

الدنيا لعب ولهو هذه الآية وعظ وتبيين لامر الدنيا وضعة منزلتها والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الاشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا واما ما كان من ذلك في طاعة الله وما كان في الضرورات التي تقيم الود وتمين على الطاعات فلا مدخل له في هذه الآية وتأمل حال الملوك بعد فقرهم يبن لك ان جميع ترفهم لعب ولهو والزينة التحسين الذي هو خارج عن ذات الشيء والتفاخر بالاموال والانساب وغير ذلك على عادة الجاهلية ثم ضرب الله عز وجل مثل الدنيا فقال كمثل غيث الاية وصورة هذا المثال ان الانسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب في النعمة ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم ياخذ بعد ذلك في الخطا ويصيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتتغير رسومه فامرته مثل مطر اصاب ارضا فنبتت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل * وقوله اعجب الكفار اي الزراع فهو من كفر الحب اي ستره وقيل يحتمل ان يعني الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ثم قال تعالى وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة الآية كانه قال والحقيقة هاهنا وذكر العذاب اولاهما به من حيث الحذر في الانسان ينبغي ان يكون اولافاذا تحرز من المخاوف مدحينئذ امله فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان وعبارة الثعلبي ثم يهيج اي يحف وفي الآخرة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة لاوليائه وقال الفراء وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة اي اما عذاب شديد واما مغفرة وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور هذا تهديد في العمل للدنيا وترغيب في العمل للآخرة انتهى وهو حسن وعن طارق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لاخرته وبقيت الدار لمن صدته عن آخرته

وقصرت به عن رضا ربه فاذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه رواه الحائِم في المستدرك انتهى من السلاح ولا يشك عاقل ان حطام الدنيا مشغل عن التأهب للآخرة قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم وقد روي مرفوعا لكل امة فتنة وفتنة امتي المال قال ابو عمر ثم نقول ان الزهد في الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها افضل من الرغبة فيها في حلالها وهذا ما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين قديما وحديثا والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصبر والزهد فيها وفضل القناعة والرضا بالكفاف والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذي يلهي ويطنى اكثر من ان يحيط بها كتاب او يشمل عليها باب والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة اكثر من الذين فتحها عليهم اضعافا مضاعفة وقد روينا عن عبد الرحمن بن عوف انه لما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدا وقال كان مصعب ابن عمير خيرا مني توفي ولم يترك ما يكفن فيه وبقيت بعده حتى اصبحت من الدنيا واصابت مني ولا احسبني الا ساحبس عن اصحابي بما فتح الله علي من ذلك وجعل يبكي حتى فاضت نفسه وفارق الدنيا رحمة الله عليه فان ظن ظان جاهل ان الاستكثار من الدنيا ليس به بأس او غلب عليه الجهل فظن ان ذلك افضل من طلب الكفاف منها وشبه عليه بقول الله تعالى ووجدك عائلا فاغني فيما عدده سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم من نعمة عنده فان ذلك ليس كما ظن بل ذلك غنى القلب دلت على ذلك الآثار الكثيرة كقوله عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس انتهى * وقوله سبحانه سابقوا الى مغفرة من ربكم الآية لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة ندب في هذه الآية الى المسارعة اليها والمسابقة وهذه الآية حجة عند جميع العلماء في الندب الى الطاعات وقد استدل بها بعضهم على ان اول اوقات الصلوات افضل لانه

يقتضى المسارعة والمسابقة وذكر سبحانه العرض من الجنة اذ المهود انه اقل من الطول وقد ورد في الحديث ان سقف الجنة العرش وورد في الحديث ان السموات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة وان الكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة (ت) ايها الاخ امرك المولى سبحانه بالمسابقة والمساورة رحمة منه وفضلا فلا تغفل عن امتثال امره واجابة دعوته

السباق السابق قولاً وفعلاً * حذر النفس حسرة المسبوق
ذكر صاحب معالم الايمان * وروضات الرضوان * في مناقب صلحاء
القيروان * قال ومنهم ابو خالد عبد الخالق المتعبد كان كثير الخوف والحزن
وبالخوف مات رأى يوماً خيلاً يسابق بها فتقدمها فرسان ثم تقدم احدهما على
الآخر ثم جد التالى حتى سبق الاول فتخلل عبد الخالق الناس حتى وصل الى
الفرس السابق فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشياً
عليه انتهى * وقوله سبحانه ما اصاب من مصيبة فى الارض الاية قال ابن
زيد وغيره المعنى ما حدث من حادث خير وشر فهذا على معنى لفظ اصاب لا
على عرف المصيبة فان عرفها فى الشر وقال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف
المصيبة فقولوه فى الارض يعنى بالقحوط والزلازل وغير ذلك وفى انفسكم
بالموت والامراض وغير ذلك * وقوله الا فى كتاب معناه الا والمصيبة فى
كتاب ونبرأها معناه نخلقها يقال برأ الله الخلق اى خلقهم والضمير عائد على
المصيبة وقيل على الارض وقيل على الانفس قاله ابن عباس وجماعة وذكر
المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر وهي كلها معان صحاح * ان ذلك
على الله يسير يريد تحصيل الاشياء كلها فى كتاب وقال الثعلبي وقيل المعنى ان
خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير انتهى * وقوله لكيلا تأسوا معناه فعل
الله هذا كله واعلمكم به ليكون سبب تسليتكم وقلة اكثرائكم بامور الدنيا فلا

تخزنوا على فائت ولا تفرحوا الفرح المبطر بما آتاكم منها قال ابن عباس ليس احد الا يحزن او يفرح ولكن من اصابته مصيبة فليجعلها صبرا ومن اصابه خير فليجعلها شكرا وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا يحزبه بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها انتهى وقد تقدم كثير فى هذا المختصر من هذا المعنى فالله المستول ان ينفع به كل من حصله او نظر فيه * وقوله تعالى والله لا يجب كل مختال فخور يدل على ان الفرح المنهي عنه انما هو ما ادى الى الاختيال والفخر واما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فانه لا يستطيع احد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه والله اعلم * وقوله الذين ييخلون قال بعضهم هو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين ييخلون وقال بعضهم هو فى موضع نصب صفة لكل وان كان نكرة فهو يخص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة وهذا مذهب الاخفش والكتاب هنا اسم جنس لجميع الكتب المنزلة والميزان العدل فى تاويل الاكثرين * وقوله تعالى وانزلنا الحديد عبر سبحانه عن خلقه الحديد بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام الآية قال جمهور من المفسرين الحديد هنا اراد به جنسه من المعادن وغيرها وقال حذاق من المفسرين اراد به السلاح ويترب معنى الآية بان الله اخبر انه ارسل رسلا وانزل كتباً وعدلا مشروعا وسلاحا يجارب به

من عاند ولم يقبل هدى الله اذ لم يبق له عذر وفي الآية على هذا التاويل حض
على القتال في سبيل الله وترغب فيه * وقوله وليعلم الله من ينصره يقوى
هذا التاويل * وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة عنه فـامن
بها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وقفنا معناه جئنا بهم بمد الاولين وهو
ماخوذ من القفا اي جـي . بالثاني في قفا الاول فيجي . الاول بين يدي الثاني
وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة
ورهبانية الجعل في هذه الآية بمعنى الخلق * وقوله ابتدعوها صفة لرهبانية
وخصها بانها ابتدعت لان الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان فيها واما
الرهبانية فهي افعال بدن مع شي . في القلب ففيها موضع للتكسب ونحو هذا
عن قتادة والمراد بالرأفة والرحمة حب بعضهم في بعض وتوادهم والمراد بالرهبانية
رفض النساء واتخاذ الصوامع والديارات والتفرد للمعابدات وهذا هو ابتداعهم
ولم يفرض الله ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله هذا تاويل جماعة
وقرأ ابن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها وقال مجاهد المعنى كتبناها عليهم
ابتغاء رضوان الله فالاستثناء على هذا متصل واختلف في الضمير الذي في قوله
فما رعوها من المراد به فقال ابن زيد وغيره هو عائد على الذين ابتدعوا الرهبانية
وفي هذا التاويل لزوم الاتمام لكل من بدأ بتطوع وفعل وانه يلزمه ان يرعاه حق
رعيه وقال الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين جاءوا بمد المبتدعين لها وروينا
في كتاب الترمذي عن كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما اعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال
قال ما اعلم يا رسول الله قال انه من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدى فان له
من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله بها كان عليه مثل . اثم من عمل بها لا ينقص

ذلك من اوزار الناس شيئاً قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وامنوا برسوله قالت فرقة الخطاب بهذه الآية لاهل الكتاب ويؤيده الحديث الصحيح ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وامن بي الحديث وقال اخرون الخطاب للمؤمنين من هذه الامة ومعنى آمنوا برسوله اي اثبتوا على ذلك ودوموا عليه يوتكم كفلين اي نصيين بالاضافة الى ما كان الامم قبل يعطونه قال ابو موسى كفلين ضعفين بلسان الحبشة والنور هنا اما ان يكون وعدا بالنور الذي يسمى بين الايدي يوم القيامة واما ان يكون استعارة للهدى الذي يمشى به في طاعة الله * وقوله تعالى ليلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرّون على شيء من فضل الله الآية روي انه لما نزل هذا الوعد المتقدم للمؤمنين حسدهم اهل الكتاب على ذلك وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وترغم انهم احباء الله واهل رضوانه فنزلت هذه الآية معلمة ان الله فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون ولا في قوله ليلا زائدة وقرأ ابن عباس والجدري ليعلم اهل الكتاب وروى ابراهيم التيمي عن ابن عباس كي يعلم وروي عن حطان الرقاشي انه قرأ لان يعلم * وقوله تعالى الا يقدرّون معناه انهم لا يملكون فضل الله ولا يدخل تحت قدرهم وباقي الآية بين



تفسير سورة المجادلة وهي مدنية الا ان النقاش حكى ان قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الاية مكي

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية اختلف الناس في اسم هذه المرأة على اقوال واختصار ما رواه ابن عباس والجمهور ان اوس ابن الصامت الانصاري اخا عبادة بن الصامت ظاهر من امراته خولة بنت خويلد وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فلما فعل ذلك اوس جاءت زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوسا اكل شبابي ونثرت له بطنى فلما كبرت ومات اهلى ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الاحرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لى اهل سواء فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال جدالها تقول اللهم اليك اشكو حالى وانفرادى وفقرى وروي انها كانت تقول اللهم ان لى منه صبية صفارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزلت الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اوس وامره بالتكفير فكفر بالاطعام وامسك اهله قال ابن العربي في احكامه والاشبه في اسم هذه المرأة انها خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت وعلى هذا اعتمد الفخر قال الفخر هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له في مهمه احد الا الخالق كفاه الله ذلك المهم انتهى والمحاورة مراجعة القول ومعاطاته

وفي مصحف ابن مسعود تحاورك في زوجها والظهار قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يريد في التحريم كانها اشارة الى الركوب اذ عرفه في ظهور الحيوان وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك فرد الله بهذه الآية على فعلهم واخبر بالحقيقة من ان الام هي الوالدة واما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الام وجعل الله سبحانه القول بالظهار منكرا وزورا فهو محرم لكنه اذا وقع لزم هكذا قال فيه اهل العلم لكن تحريمه تحريم المكروهات جدا وقد رجي الله تعالى بعمده بانه عفو غفور مع الكفارة * وقوله سبحانه ثم يعمودون الآية (ت) اختلف في معنى العود والعود في الموطأ العزم على الوطء والامساك معا وفي المدونة العزم على الوطء خاصة * وقوله تعالى من قبل ان يتاسا قال الجمهور وهذا عام في نوع المسيس الوطء والمباشرة فلا يجوز لمظاهر ان يطأ ولا ان يقبل او يلمس بيده او يفعل شيأ من هذا النوع الا بعد الكفارة وهذا قول مالك رحمه الله * وقوله تعالى ذلكم توعظون به اشارة الى التحذير اي فعل ذلك عظة لكم لتنتهوا عن الظهار * وقوله سبحانه فمن لم يستطع قال الفخر الاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة فالاستطاعة هي ان يتمكن الانسان من الفعل على سبيل السهولة انتهى وفروع الظهار مستوفاة في كتب الفقه فلا نطيل بذكرها * وقوله سبحانه ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله الآية اشارة الى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد سبحانه بقوله وتلك حدود الله اي فلتزموها ثم توعد الكافرين بقوله وللکافرين عذاب اليم * وقوله سبحانه ان الذين يحادون الله ورسوله كتبوا الآية نزلت في قوم من المنافقين واليهود كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك وكبت الرجل اذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه وقال قوم منهم ابو عبيدة اصله كبدوا اي اصابهم داء في اكبادهم فابدلت

الدال تاء وهذا غير قوي والذين من قبلهم منافقوا الامم الماضية ولفظ البخاري كتبوا احزنوا * وقوله تعالى وللكاافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله العامل في يوم قوله مهين ويحتمل ان يكون فعلا مضمرًا تقديره اذكر * وقوله تعالى الا هو رايبهم اي بعلمه واحاطته وقدرته وعبرة الثعلبي الا هو رايبهم يعلم ويسمع نجواهم يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتها انتهى * وقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون الآية قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين واذا جاءوك حيوك هو قولهم السام عليكم يريدون الموت ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التي اليها يستروحون وذلك انهم كانوا يقولون لو كان محمد نبيا لعذبنا بهذه الاقوال التي تسيئه وجهلوا ان امرهم مؤخر الى عذاب جهنم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم الآية وصية منه سبحانه للمؤمنين ان لا يتناجوا بمكروه وذلك عام في جميع الناس الى يوم القيامة * وقوله انما النجوى اي بالاثم من الشيطان وقرأ نافع واهل المدينة ليحزن بضم الياء وكسر الزاي والفعل مسند الى الشيطان وقرأ ابو عمرو وغيره ليحزن بفتح الياء وضم الزاي ثم اخبر تعالى ان الشيطان او التناجي الذي هو منه ليس بضار احدا الا ان يكون ضرابا من الله اي بامر وقدره ثم امر بتوكل المؤمنين عليه تبارك وتعالى * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الآية وقرأ عاصم في المجالس قال زيد بن اسلم وقتادة هذه الآية نزلت بسبب تضايق الناس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يتنافسون في القرب منه وسماع كلامه والنظر اليه فياتي الرجل الذي له الحق والسن والقدم في الاسلام فلا يجد مكانا فنزلت بسبب ذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن تفسحوا يفسح الله لكم قال جمهور العلماء سبب نزول الآية مجلس النبي صلى الله

عليه وسلم ثم الحكم مطرد في سائر المجالس التي هي للطاعات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اجبكم الى الله اليكم مناكب في الصلاة وركبا في المجالس وهذا قول مالك رحمه الله وقال ما ارى الحكم الا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر قال (ع) فالسنة المندوب اليها هي التفسح والقيام منه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث نهى ان يقوم الرجل فيجلس الاخر مكانه (ت) وقد روى ابو داود في سننه عن سعيد بن ابى الحسن قال جاءنا ابو بكر في شهادة فقام له رجل من مجلسه فابى ان يجلس فيه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ونهى ان يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسه وروى ابو داود عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام له رجل من مجلسه فذهب ليجلس فيه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) فاما القيام اجلالا لجائز بالحديث وهو قوله عليه السلام حين اقبل سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وواجب على المعظم ان لا يجب ذلك وياخذ الناس به لقوله عليه السلام من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (ت) وفي الاحتجاج بقضية سعد نظر لانها احتفت بها قرائن سوغت ذلك انظر السير وقد اطلب صاحب المدخل في الانحاء والرد على المجيزين للقيام والسلامة عندى ترك القيام * وقوله تعالى يفسح الله لكم معناه في رحمته وجنته (ص) يفسح مجزوم في جواب الامر انتهى واذا قيل انشزوا معناه ارتقعوا وقوموا فافعلوا ذلك ومن رياض الصالحين للنووي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنها رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية لابي داود لا يجلس بين رجلين الا باذنها وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من جلس وسط الحلقة رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي عن ابى

مجلز ان ر. بلا قمد وسط الحلقة فقال حذيفة ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اولعن الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه يرفع الله الذين امنوا منكم الآية قال جماعة المعنى يرفع الله المومنين العلماء درجات فلذلك امر بالتفسيح من اجلهم وقال ءاخرين المعنى يرفع الله المومنين والعلماء الصنفين جميعا درجات لكننا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع اخر فلذلك جاء الامر بالتفسيح عاما للعلماء وغيرهم وقال ابن مسعود وغيره يرفع الله الذين امنوا منكم وهنا تم الكلام ثم ابتداء بتخصيص العلماء بالدرجات ونصيبهم باضار فعل فللمومنين رفع على هذا التاويل وللعلماء درجات وعلى هذا التاويل قال مطرف بن عبد الله بن الشخير فضل العلم احب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وروى البخاري وغيره عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الفيت الكثير اصاب ارضا فكان منها طائفة قبلت الماء فانبثت الكلاً والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله عز وجل الذي ارسلت به انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر روي عن ابن عباس وقتادة في سببها ان قوما من شباب المومنين واغفالهم كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في غير حاجة وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد احدا فنزلت هذه الآية مشددة عليهم وقال مقاتل نزلت في الاغنيا لانهم غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته قال جماعة من

الرواه نسخت هذه الآية قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وصح
عن علي انه قال ما عمل بها احد غيري وانا كنت سبب الرخصة والتخفيف عن
المسلمين قال ثم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه العبادة قد شقت
على الناس فقال لى يا علي كم ترى ان يكون جد هذه الصدقة اتراه دينارا
قلت لا قال فنصف دينار قلت لا قال فكم قلت حبة من شعير قال انك لزهيد
فاثرل الله الرخصة يريد للواجدن واما من لم يجد فالرخصة له ثابتة بقوله فان لم
تجدوا قال الفخر قوله عليه السلام لعلي انك لزهيد معناه انك قليل المال فقدرت
على حسب حالك انتهى * وقوله سبحانه ۞ اشفقتم الآية الاشفاق هنا الفزع
من العجز عن الشيء المتصدق به او من ذهاب المال فى الصدقة * وقوله
فاقيموا الصلوة الآية المعنى دوموا على هذه الاعمال التى هي قواعد شرعكم ومن
قال ان هذه الصدقة منسوخة بآية الزكاة فقوله ضعيف * وقوله تعالى الم
ترالى الذين تولوا نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم المفضوب
عليهم قال الطبري ما هم منكم يريد به المنافقين ولا منهم اي ولا من اليهود
وهذا التاويل يجرى مع قوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء كالشاة العائرة بين الغنمين وتحتل الآية تاويلا آخر وهو ان يكون قوله
ما هم يريد به اليهود ولا منهم يريد به المنافقين ويخلفون يعنى المنافقين وقرأ
الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به ثم اخبر تعالى عن المنافقين
فى هذه الآية انه ستكون لهم ايمان يوم القيامة بين يدي الله تعالى يخيل اليهم
بجهلهم انها تنفعهم وتقبل منهم وهذا هو حسابهم انهم على شيء اي على شيء
نافع لهم * وقوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان معناه تملكهم من كل جهة
وغلب على نفوسهم وحكي ان عمر قرأ استحاذ ثم قضى تعالى على محاده بالذل
وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون

من حاد الله ورسوله الآية نفت هذه الآية ان يوجد من يؤمن بالله حق الايمان ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرا او منافقا وكتب في قلوبهم الايمان معناه اثبتة وخلقه بالايجاد * وقوله اولائك اشارة الى المؤمنين الذين يقتضهم معنى الآية لان المعنى لكنك تجدهم لا يوادون من حاد الله * وقوله تعالى بروح منه معناه بهدى منه ونور وتوفيق الاهي ينقذ لهم من القران وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والحزب الفريق وباقي الآية بين

تفسير سورة الحشر وهي مدنية باتفاق

وهي سورة بنى النصير وذلك انهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم يرون انه لا ترد له راية فلما كان شأن احد وما اكرم الله به المسلمين ارتابوا وداخلوا قريشا وغدروا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد حاصرهم حتى اجلاهم عن ارضهم فارتحلوا الى بلاد مختلفة خير والشام وغير ذلك ثم كان امر بنى قريظة مرجعه من الاحزاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الآية تقدم الكلام في تسبيح الجمادات والذين كفروا من اهل الكتاب هم بنو النصير * وقوله لاول الحشر قال الحسن بن ابى الحسن وغيره يريد حشر القيامة اي هذا اوله والقيام من القبور اخره وقال عكرمة وغيره المعنى لاول موضع

الحشر وهو الشام وذلك ان اكثرهم جاء الى الشام وقد روي ان حشر القيامة هو الى بلاد الشام * وقوله سبحانه ما ظننتم ان يخرجوا يريد لمنعتهم وكثرة عددهم * وقوله تعالى يخرجون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين اي كلما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا هم من البيوت ليجبروا الحصن (ت) والحاصل انهم يخرجون بيوتهم حسا ومعنى اما حسا فواضح واما معنى فبسوء رأيهم وعاقبة ما اضرروا من خيانتهم وغدرهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء من الوطن لمذبهم في الدنيا بالسبي والقتل قال البخاري والجلاء الاخراج من ارض الى ارض انتهى * وقوله تعالى ما قطعتم من لينة الآية سببها قول اليهود ما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى عن الفساد فرد الله عليهم بهذه الآية قال ابن عباس وجماعة من اللغويين اللينة من النخل ما لم يكن عجوة وقيل غير هذا (ص) اصل لينة لونة فقلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وجمعه لين كتمره وقر قال الاخفش واللينة كانها لون من النخل اي ضرب منه انتهى * وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم الآية اعلام بان ما اخذ لبي النضير ومن فذلك هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقا تل فيها بل على حكم خمس الغنائم وذلك ان بني النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فاخذ منها صلى الله عليه وسلم قوت عياله وقسم سائرهما في المهاجرين وادخل معهم ابا دجاجة وسهل بن حنيف من الانصار لانهما شكيا فقرا والايحاف سرعة السير والوجيف دون التقريب يقال وجف الفرس واوجفه الراكب * وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية اهل القرى في هذه الآية هم اهل الصفراء والينبوع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب وذلك انها فتحت في ذلك الوقت من غير ايحاف واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك للمهاجرين ولم يحبس منها

لنفسه شيئاً ولم يعط الانصار شيئاً لغناهم والقربى في الآية قرابته صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة فعوضوا من الفيء * وقوله سبحانه كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم مخاطبة للانصار لانه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غني والمعنى كي لا يتداول ذلك المال الاغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء وقد مضى القول في الغنائم في سورة الانفال وروي ان قوماً من الانصار تكلموا في هذه القرى المفتوحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية فرضوا بذلك ثم اطرده بعد معنى الآية في اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيهِ حتى قال قوم ان الحمر محرمة في كتاب الله بهذه الآية وانتزع منها ابن مسعود لغنة الواشمة الحديث (ت) وبهذا المعنى يحصل التعميم للاشياء في قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء * وقوله تعالى للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكرر لام الجر لما كانت الجملة الاولى مجرورة باللام ليسين ان البديل انما هو منها ثم وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضى فقرهم وتوجب الشفقة عليهم وهي اخراجهم من ديارهم واموالهم يستغنون فضلاً من الله ورضوانا يريد به الآخرة والجنة اولئك هم الصادقون اي في الاقوال والافعال والنيات والذين تبوءوا الدار هم الانصار رضي الله عن جميعهم والضمير في من قبلهم للمهاجرين والدار هي المدينة والمعنى تبوءوا الدار مع الايمان وبهذا الاقتران يتضح معنى قوله من قبلهم فتأمله قال (ص) والايمان منصوب بفعل مقدر اي واعتقدوا الايمان فهو من عطف الجملة كقوله * علفتها تبنا وماء بارداً * انتهى وقيل غير هذا واثى الله تعالى في هذه الآية على الانصار بانهم يحبون المهاجرين وبانهم يورثون على انفسهم وبانهم قد وقوا شح انفسهم (ت) وروى الترمذي عن انس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوماً ابذل لكثير ولا احسن مواساة في قليل من

قوم نزلنا بين اظهرهم لقد كفونا المشونة واشركونا في المهنة حتى لقد خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ما دعوتم الله لهم وانتم عليهم قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والحاجة الحسد في هذا الموضع قاله الحسن ثم يعم بعد وجوها وقال الثعلبي حاجة اي حزازة وقيل حسدا مما اوتوا اي مما اعطي المهاجرون من اموال بني النضير والقرى انتهى *

وقوله تعالى ويوثرون على انفسهم صفة للانصار وجاء الحديث الصحيح من غير ما طريق انها نزلت بسبب رجل من الانصار وصنيعه مع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نوم صبيانه وقدم للضيف طعامه واطفأت اهله السراج واوها الضيف انها ياكلان معه وباتا طاويين فلما غدا الانصاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية في ذلك قال صاحب سلاح المومن الرجل الانصاري الذي اضاف هو ابو طلحة انتهى قال الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له حدثنا ابي قال حدثنا عبد الله بن عاصم حدثنا الجماني حدثنا صالح المري عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة انما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة الانفس وحسن الخلق والرحمة بجميع المسلمين انتهى والايشار على النفس اكرم خلق قال ابو يزيد البسطامي قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لي ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له فما هو عندكم فقال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا وروي ان سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح هذه القرى قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم امسكتم اموالكم وتركتم لهم هذه الغنيمة فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة

فنزلت الآية والخصاصة الفاقة والحاجة وشح النفس هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الامل هذا جماع شح النفس وهو داعية كل خلق سوء. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادى الزكاة المفروضة وقرى الضيف واعطى في النائة فقد برئ من الشح والى هذا الذى قلناه ذهب الجمهور والعارفون بالكلام وقيل فى الشح غير هذا قال (ع) وشح النفس فقر لا يذهب غنى المال بل يزيده وينصب به ويوق من وقى يقى وقال الفخر اعلم ان الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اى الظافرون بما ارادوا قال ابن زيد من لم ياخذ شيئاً نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئاً امره الله تعالى باعطائه فقد وقى شح نفسه انتهى * وقوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم الآية قال جمهور العلماء اراد من يجي من التابعين وغيرهم الى يوم القيامة وقال الفراء اراد الفرقة الثالثة من الصحابة وهى من آمن فى اخر مدة النبى صلى الله عليه وسلم * وقوله يقولون حال فيها الفائدة والمعنى والذين جاءوا قائلين كذا وروى ام الدرداء وابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول دعوة المسلم لآخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لآخيه قال الملك الموكل به اامين ولك مثله رواه مسلم انتهى قال (ع) ولهذا الآية قال مالك وغيره انه من كان له فى احد من الصحابة رأى سوء او بغض فلا حظ له فى فئتي المسلمين وقال عبد الله بن يزيد قال الحسن ادركت ثلاثمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم سبعون بدرىاء كلهم يحدثنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فالجماعة الاتسبوا الصحابة ولا تماروا فى دين الله ولا تكفروا احداً من اهل التوحيد بذنب قال

عبد الله فلقيت ابا امامة و ابا الدرداء و وائلة و انسافكلهم يحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الحسن والفل الحقد والاعتقاد الردي * وقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الآفة نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول ورفاعة بن التابوت وقوم من منافق الانصار كانوا بعثوا الى بني النضير وقالوا لهم اثبتوا في معاقلكم فانا معكم كيفما تقلبت حالكم وكانوا في ذلك كاذبين وانما ارادوا بذلك ان تقوى نفوسهم عسى ان يثبتوا حتى لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فيتم مرادهم وجاءت الافعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرونهم لانها راجعة الى حكم القسم لا الى حكم الشرط والضمير في صدورهم يعود على اليهود والمنافقين والضمير في قوله لا يقاتلونكم جميعا لبني النضير وجميع اليهود هذا قول جماعة المفسرين ومعنى الآفة لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران للرعب والرهب الكائن في قلوبهم * وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد اي في غائلتهم واخلهم تحسبهم جميعا اي مجتمعين وقلوبهم شتى اي متفرقة قال (ع) وهذه حال الجماعة المتخاذلة وهي المغلوبة ابدا في كل ما تحاول واللفظة مأخوذة من الشتات وهو التفرق ونحوه * وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس هم بنو قينقاع لان النبي صلى الله عليه وسلم اجلاهم عن المدينة قبل بني النضير والوبال الشدة والمكروه وعاقبة السوء والعذاب الاليم هو في الآخرة * وقوله سبحانه كمثل الشيطان معناه ان هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النضير كمثل الشيطان مع الانسان فالنافقون مثلهم الشيطان وبني النضير مثلهم الانسان وذبح مجاهد وجهور من المتأولين الى ان الشيطان والانسان في هذه الآفة اسما جنس فكما ان الشيطان يفوى الانسان ثم يفر عنه بعد ان يورطه كذلك اغوى المنافقون بني النضير وحرصوهم على الثبوت ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن

وجوهم تركهم المنافقون في اسوأ حال وذهب قوم من رواة القصص الى ان هذا في شيطان مخصوص مع عابد مخصوص اسمه برصيصا استودع امرأة جملة وقيل سقت اليه ليشفيها بدعائه من الجنون فسول له الشيطان الوقوع عليها فحملت منه فخشي الفضيحة فسول له قتلها ودفنها ففعل ثم شهره فلما استخرجت المرأة وحمل العابد شر حمل وصلب جاءه الشيطان فقال له اسجد لي سجدة وانا اخلصك فسجد له فقال له الشيطان هذا الذي اردت منك ان كفرت بربك اني بريء منك فضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين وهذا يحتاج الى صحة سند والتاويل الاول هو وجه الكلام (ت) قال السهيلي وقد ذكر هذه القصة هكذا القاضي اسماعيل وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان راهبا كان في بني اسرائيل فذكر القصة بكاملها ويقال ان اسم هذا الراهب برصيصا ولم يذكر اسمه القاضي اسماعيل انتهى قال (ع) وقول الشيطان اني اخاف الله رياء من قوله وليست على ذلك عقيدته ولا يعرف الله حق معرفته ولا يحجزه خوفه عن سوء يوقع فيه ابن آدم من اول الى اخر فكان عاقبتهم يعني الشيطان والانسان على ما تقدم من حملهما على الجنس او الخصوص * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الآية هذه آية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة وتحذير ممن لا تخفى عليه خافية وقوله تعالى لغد يريد يوم القيامة والذين نسوا الله هم الكفار والمعنى تركوا الله وغفلوا عنه حتى كانوا كالتاسين فعاقبهم بان جعلهم ينسون انفسهم وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب قال سفيان المعنى حظ انفسهم ويعطى لفظ الآية ان من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وروي عنه ايضا انه قال من لم يعرف نفسه لم

يعرف ربه * وقوله سبحانه لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية موعظة
للانسان وذم لاخلاقه واعراضه وغفلته عن تدبر كلام خالقه واذا كان الجبل
على عظمه وقوته لو انزل عليه القرآن وفهم منه ما فهمه الانسان لحشع واستكان
وتصدع خشية لله تعالى فالانسان على حقارته وضعفه اولى بذلك وضرب الله
سبحانه هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه * وقوله سبحانه هو الله
الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الآية لما قال تعالى من خشية الله جاء
بالاوصاف العلية التى توجب لمخلوقاته هذه الخشية وقرأ الجمهور القدوس بضم
القاف من تقدس اذا تطهر وتنزه * وقوله السلام اي ذو السلام لان الايمان به
وتوحيده وافعاله هي لمن آمن سلام كلها والمومن اسم فاعل من آمن بمعنى امن
من الامن وقيل معناه المصدق عباده المومنين والمهيمن معناه الحفيظ والامين
قاله ابن عباس والجبار هو الذى لا يدانيه شيء ولا تلحق رتبته قال الفخر وفى
اسمه تعالى الجبار وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير وجبر الكسير
والثاني ان يكون الجبار من جبره اذا اكراهه قال الازهري وهي لغة تميم وكثير
من الحجازيين يقولونها بغير الف فى الاكراه وكان الشافعي رحمه الله يقول
جبره السلطان على كذا بغير الف وجعل الفراء الجبار بهذا المعنى من اجبر
بالالف وهي اللغة المعروفة فى الاكراه انتهى والتكبر معناه الذى له التكبر
حقا والبارئ بمعنى الخالق والمصور هو الذى يوجد الصور وباقي الآية بين وروى
معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث
مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر
سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات
فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة رواه الترمذي
وقال حديث حسن غريب انتهى

﴿تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية باجماع﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء الآية المراد بالعدو هاهنا كفار قريش وسبب نزول هذه الآية حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى مكة عام الحديبية (ت) بل عام فتح مكة فكتب حاطب الى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك منه ارتدادا فنزل الوحي مخبرا بما صنع حاطب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وثالثا قيل هو المقداد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها واخلوا سبيلها فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب ففتشوا رحلها فما وجدوا شيئا فقال علي ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب والله لتخرجن الكتاب اولتقين الثياب فقالت اعرضوا عني فخلته من قرون رأسها فجاءوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا فقال انا يا رسول الله فقال ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله لا تعجل علي فوالله ما كفرت منذ اسلمت وما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة عنه ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت امرأ ملصقا فيهم واهلى بين ظهرائهم فخشيت عليهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا فصدقته النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تقولوا لحاطب الا خيرا وروي ان حاطبا كتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوكم

في مثل الليل والليل واقسم بالله لو غزاكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو في جمع كثير (ص) وتلقون مفعوله محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره وبالمودة الباء للسبب انتهى * وقوله تعالى ان تؤمنوا مفعول من اجله اي اخرجوكم من اجل ان آمنتم بربكم * وقوله تعالى ان كنتم شرط جوابه متقدم في معنى ما قبله وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط والتقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء جهادا منصوب على المصدر وكذلك ابتغاء ويجوز ان يكون ذلك مفعولا من اجله والمرضاة مصدر كالرضى وتسرون حال من تلقون ويجوز ان يكون في موضع خبر ابتداء كانه قال انتم تسرون ويصح ان يكون فعلا ابتدئ به القول * وقوله تعالى اعلم يحتمل ان يكون افعل ويحتمل ان يكون فعلا لانك تقول علمت بكذا فتدخل الباء (ص) والظاهر انه افعل تفضيل ولذلك عدي بالباء انتهى وسواء يجوز ان يكون مفعولا بضل على تعدى ضل ويجوز ان يكون ظرفا على غير التعدى لانه يجي بالوجهين والاول احسن في المعنى والسواء الوسط والسبيل هنا شرع الله وطريق دينه * وقوله سبحانه ان يتقفوكم يكونوا لكم اعداء الآية اخبر تعالى ان مداراة هؤلاء الكفرة غير نافعة في الدنيا وانها ضارة في الآخرة ليبين فساد رأي مصانهم فقال ان يتقفوكم اي ان يتمكنوا منكم وتحصلوا في ثقافتهم ظهرت عداوتهم وانبسطت اليكم ايديهم بضرركم وقتلكم وانبسطت السننهم بسبكم واشد من هذا كله انما يقنعهم ان تكفروا وهذا هو ودهم ثم اخبر تعالى ان هذه الارحام التي رغبت في وصلها ليست بنافعة يوم القيامة فالعامل في يوم قوله تنفعكم وقيل العامل فيه يفصل وهو مما بعده لا مما قبله وعبارة الثعلبي لن تنفعكم ارحامكم اي قرابتكم منهم ولا اولادكم الذين عندهم بمكة يوم القيامة اذا عصيتم الله من اجلهم يفصل بينكم فيدخل

المؤمنون الجنة والكافرون النار انتهى (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلنى الآية واعلم ان المال والسبب النافع يوم القيامة ما كان لله وقصد به العون على طاعة الله والافهو على صاحبه وبال وطول حساب قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن ابي كثير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمعه يقول ويجمعون يعنى ليوم القيامة فيقال اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم فيقولون يا ربنا ابتلينا فصبرنا وانت اعلم احسبه قال ووليت الاموال والسلطان غيرنا فيقال صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوى السلطان والاموال قال قلت فاین المؤمنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور ويظل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة من نهار انتهى وفى قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعيد وتحذير * وقوله تعالى قد كانت لكم اسوة اى قدوة فى ابراهيم الخليل والذين معه قيل من آمن به من الناس وقال الطبري وغيره الذين معه هم الانبياء المعاصرون له اوقريبا من عصره قال (ع) وهذا ارجح لانه لم يروا لابراهيم اتباعا مومنين فى وقت مكافئته نمرودا وفى البخاري انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا من بلد النمرود ما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك وهذه الاسوة مقيدة فى التبرى من المشركين واشراكم وهو مطرد فى كل ملة وفى نبينا عليه السلام اسوة حسنة على الاطلاق فى العقائد وفى احكام الشرع كلها * وقوله كفرنا بكم اى كذبناكم فى عبادتكم الاصنام * وقوله الاقول ابراهيم لابيه يعنى تأسوا بابراهيم الا فى استغفاره لابيه فلا تتأسوا به فتسففروا للمشركين لان استغفاره انما كان عن موعدة وعدها اياه وهذا تاويل قتادة ومجاهد وعطاء الخراساني وغيرهم * وقوله ربنا عليك توكلنا

الى قوله انك انت العزيز الحكيم هو حكاية عن قول ابراهيم والذين معه وهذه الالفاظ بينة مما تقدم في ١٠ اي القرآن * وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة قيل المعنى لا تغلبهم علينا فنكون لهم فتنة وسبب ضلالة نحا هذا المنحى قتادة وابو مجاز وقد تقدم مستوفى في سورة يونس وقال ابن عباس المعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ادياننا فكانه قال لا تجعلنا مفتونين فعبث عن ذلك بالمصدر وهذا ارجح الاقوال لانهم انما دعوا لانفسهم وعلى منحى قتادة انما دعوا للكفار اما ان مقصدهم انما هو ان يندفع عنهم ظهور الكفار الذى بسببه فتن الكفار فجاء فى المعنى تحليق بليغ * وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اى فى ابراهيم والذين معه وباقي الآية بين وروي ان هذه الآيات لما نزلت وعزم المومنون على امتثالها وصرم حبال الكفرة لحقهم تأسف وهم من اجل قراباتهم اذ لم يؤمنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم التوادد والتواصل فنزلت عسى الله الآية موضة فى ذلك ومرجوة ان يقع فوق ذلك باسلامهم فى الفتح وصار الجميع اخوانا وعسى من الله واجبة الوقوع (ت) قد تقدم تحقيق القول فى عسى فى سورة القصص فافغنى عن اعادته * وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الآية اختاف فى هؤلاء الذين لم ينه عنهم ان يبروا فليل اراد المومنين التاركين للهجرة وقيل خزاعة وقبائل من العرب كانوا مظاهرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومجبيين لظهوره وقيل اراد النساء والصبيان من الكفرة وقيل اراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا اخرج ولم يظهر سوءا وعلى انها فى الكفار فالآية منسوخة بالقتال والذين قاتلوا فى الدين واخرجوهم هم مردة قريش * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الآية نزلت اثر صلح الحديبية وذلك ان ذلك الصلح تضمن ان من اتى مسلما من اهل مكة رد اليهم سواء كان رجلا او امرأة فنقض الله تعالى من ذلك امر النساء بهذه الآية وحكم بان

المهاجرة المومنة لا ترد الى دار الكفر وامتحنوهن معناه جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن * وقوله تعالى الله اعلم بايمانهن اشارة الى الاستربة ببعضهن (ت) وقوله تعالى فان علمتموهن مومنات الآية العلم هنا بمعنى الظن وذكر الله تعالى العلة في ان لا يرد النساء الى الكفار وهو امتناع الوطء وحرمة * وقوله تعالى واتوهم ما انفقوا الآية امر بان يوقى الكفار مهوور نسائهم التي هاجرن مومنات ورفع سبحانه الجناح في ان يتزوجن بصدقات هي اجورهن وامر المسلمين بفراق الكافرات وان لا يتمسكوا بمصمهن فليل الآية في عابدات الاوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداء وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب والعصم جمع عصمة وهي اسباب الصحة والبقاء في الزوجية وامر تعالى ان يستل ايضا المومنون ما انفقوا فروي عن ابن شهاب ان قريشا لما بلغهم هذا الحكم قالوا نحن لا نرضي بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الاخرى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الآية فامر الله تعالى المومنين ان يدفعوا الى من فرت زوجته ففاتت بنفسها الى الكفار صداقه الذي انفق واختلف من اي مال يدفع اليه الصداق فقال ابن شهاب يدفع اليه من الصدقات التي كانت تدفع الى الكفار بسبب من هاجر من ازواجهم وازال الله دفعها اليهم حين لم يرضوا حكمه قال (ع) وهذا قول صحيح يقتضيه قوله فعاقبتم وقال قتادة وغيره يدفع اليه من مغنم المغازي وقال هؤلاء التعقيب هو الغزو والمغنم وقال ابن شهاب ايضا يدفع اليه من اي وجوه الفتي، امكن والمعاقبة في هذه الآية ليست بمعنى مجازاة السوء بسوء قال الثعلبي وقرأ مجاهد فاعقبتم وقال المعنى صنعتهم بهم كما صنعوا بكم انتهى قال (ع) اي وذلك بان يفوت اليكم شيء من ازواجهم وهكذا هو التعاقب على الجمل والدواب ان يركب هذا عقة وهذا عقة ويقال عاقب الرجل صاحبه في كذا

اي جاء. ففعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر وهذه الآية كلها قد ارتفع حكمها * وقوله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المونات يباليمنك الآية هذه بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على الصفا وهي كانت في المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال (ت) وخرج البخاري بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المونات بهذه الآية يا ايها النبي اذا جاءك المونات يباليمنك الآية وكذا روى البخاري من طريق ابن عباس انه عليه السلام تلا عليهن الآية يوم الفطر عقب الصلاة ونحوه عن ام عطية في بخاري وقرأ عليهن الآية ايضا في ثاني يوم فتح مكة وكلام (ع) يوهم ان الآية نزلت في بيعة النساء يوم الفتح وليس كذلك وانما يريد انه اعاد الآية على من لم يبايعه من اهل مكة لقرب عهدهم بالاسلام والله اعلم والاثان بالبهتان قال اكثر المفسرين معناه ان تنسب الى زوجها ولدا ليس منه قال (ع) واللفظ اعم من هذا التخصيص * وقوله تعالى ولا يعصينك في معروف يعم جميع اوامر الشريعة فرضها ونذيتها وفي الحديث ان جماعة نسوة قلن يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا الآية فلما فرغن قال صلى الله عليه وسلم فيما استطعن واطقتن فقلنا الله ورسوله ارحم بنا منا لانفسنا * وقوله تعالى فبايعهن اي امض لهن صفقة الايمان بان يعطين ذلك من انفسهن ويعطين عليه الجنة واختلف في هيئة مبايعته صلى الله عليه وسلم النساء بعد الاجماع على انه لم تمس يده يد امرأة اجنبية قط والمروي عن عائشة وغيرها انه بايع باللسان قولاً وقال انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة * وقوما غضب الله عليهم هم اليهود في قول ابن زيد وغيره وبأسهم من الآخرة هو بأسهم من نعمها مع التصديق بها وقال ابن عباس قوما غضب الله عليهم في هذه الآية كفار قريش * وقوله كما يشك الكفار من اصحاب القبور على هذا التاويل هو على ظاهره في

اعتقاد الكفرة اذا مات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد به لا يبعث ابدا

تفسير سورة الصف وهي مدنية
في قول الجمهور وقيل مكية

والاول اصح لان معاني السورة تمضده ويشبه ان يكون فيها المكي والمدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قد تقدم تفسيره واختلف في السبب الذي نزلت فيه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قوم قالوا لو علمنا احب العمل الى الله تعالى لسارعنا اليه ففرض الله الجهاد واعلمهم بفضله وانه يحب المقاتلين في سبيله كالبنيان المرصوص فكرهه قوم منهم وفروا يوم الغزو فعاتبهم الله تعالى بهذه الآية وقال قتادة والضحاك نزلت بسبب جماعة من شباب المسلمين كانوا يتحدثون عن انفسهم في الغزو بما لم يفعلوا قال (ع) وحكم هذه الآية باق غابر الدهر وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت الكلام والقول الاول يترجح بما ياتي من امر الجهاد والقتال والمقت البغض من اجل ذنب اوريبة اودناءة يصنعها الممقوت وقول المرء ما لا يفعل موجب مقت الله تعالى ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير واثروا السكوت (ت) وهذا مجسب فقه الحال ان وجد الانسان من يكفيه هذه المنة في وقته فقد يسه السكوت والا فلا يسهه قال الباجي في سنن الصالحين له قال الاصمعي بلغني ان بعض

الحكماء كان يقول انى لا عظم وانى لكثير الذنوب ولو ان احدا لا يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه لتترك الامر بالخير واقتصر على الشر ولكن محادثة الاخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان وقال ابو حازم انى لا عظ الناس وما انا بموضع للوعظ ولكن اريد به نفسى وقال الحسن لمطرف عظ اصحابك فقال انى اخاف ان اقول ما لا افعل فقال رحمك الله واينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه لو ظفر منكم بهذه فلم يامر احد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر انتهى * وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله الآية قال معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات او قتل فان له اجر شهيد مختصر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه واللفظ لابن داود وقال الترمذي هذا حديث صحيح انتهى من السلاح ثم ذكر تعالى مقالة موسى وذلك ضرب مثل للمؤمنين ليحذروا ما وقع فيه هؤلاء من العصيان وقول الباطل * وقوله لم تؤذوننى اى بتعنيتم وعصيانكم واقتراحاتكم واسند الزيف اليهم لكونه فعل حطيطة وهذا بخلاف قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فاسند التوبة اليه سبحانه لكونها فعل رفعة وزاغ معناه مال وصار عرفها فى الميل عن الحق وازاغ الله قلوبهم معناه طبع عليها وكثر ميلها عن الحق وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب * وقوله ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد قال عياض فى الشفا سمي الله تعالى نبيه فى كتابه محمدا واحمد فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعول من كثرة الحمد وسمى امته فى كتب انبيائه بالحمادين ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه سبحانه وبدائع آياته انه سبحانه حى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع سبحانه ان يسمى به احد غيره حتى لا يدخل بذلك

لبس على ضعيف القلب وكذلك محمد ايضا لم يتسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناؤهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سواده منهم لا سابع لهم ولم يدع احد من هؤلاء النبوة او يظهر عليه سبب يشكك الناس انتهى وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسماوا اولادكم محمدا ثم تلعنونهم رواه الحاكم في المستدرک انتهى من السلاح * وقوله سبحانه فلما جاءهم بالبينات الآية يحتمل ان يريد عيسى ويحتمل ان يريد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه تقدم ذكره (ت) والاول اظهر * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الآية ندب وحض على الجهاد بهذه التجارة التي بينها سبحانه وهي ان يبذل المرء نفسه وماله ويأخذ ثمنا جنة الخلد وقرأ ابن عامر وحده تنجيكم بفتح النون وشد الجيم * وقوله تومنون معناه الامر اي امنوا قال الاخفش ولذلك جاء يغفر مجزوما وفي مصحف ابن مسعود امنوا بالله ورسوله واجاهدوا * وقوله ذلكم اشارة الى الجهاد والايمان وخير هنا يحتمل ان يكون للتفضيل فالمعنى من كل عمل ويحتمل ان يكون اخبارا ان هذا خير في ذاته ومساكن عطف على جنات وطيب المساكن سعتها وجمالها وقيل طيبها المعرفة بدوام امرها * وقوله سبحانه واخرى تجونها الآية قال الاخفش واخرى هي في موضع خفض عطفا على تجارة وهذا قلق وقد رده الناس لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه سبحانه انما هي مما اعطى ثمنا جزاء على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقال الفراء واخرى في موضع رفع وقيل في موضع نصب باضار فعل تقديره ويدخلكم جنات وينحكم اخرى وهي النصر والفتح القريب وقصة

عيسى مع بنى اسرائيل قد تقدمت * وقوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم
 قيل ذلك قبل محمد عليه السلام وبعد فترة من رفع عيسى رد الله الكرة لمن
 آمن به فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذى القي عليه الشبه وقيل المعنى
 فاصبحوا ظاهرين بالحجة

﴿ تفسير سورة الجمعة وهي مدنية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تقدم القول فى مثل الفاظ
 الآية والمراد بالاميين جميع العرب واختلف فى المعنيين بقوله تعالى وءاخرين
 منهم فقال ابو هريرة وغيره اراد فارس وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من الآخرون فاخذ بيد سلمان وقال لو كان الدين فى الثريا لنال رجال من
 هؤلاء خرجهم مسلم والبخاري وقال ابن زيد ومجاهد والضحاك وغيرهم اراد
 جميع طوائف الناس فقوله منهم على هذين القولين انما يريد فى البشرية والايمان
 وقال مجاهد ايضا وغيره اراد التابعين من ابناء العرب فقوله منهم يريد فى
 النسب والايمان * وقوله لما يلحقوا نبي لما قرب من الحال والمعنى انهم مزعمون
 ان يلحقوا فهي لم زيدت عليها ما تأكيد * والذين حملوا التوراة هم بنو
 اسرائيل الاحبار المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم وحملوا معناه كلّفوا القيام
 باوامرها ونواهيها فهذا كما حمل الانسان الامانة وذكر تعالى انهم لم يحملوها اي
 لم يطيعوا امرها ويقفوا عند حدودها حين كذبوا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

والتوراة تنطق بنبوته فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل حمار عليه اسفار وفي مصحف ابن مسعود كمثل حمار بغير تعريف والسفر الكتاب المجتمع الاوراق منضدة * وقوله بيس مثل القوم التقدير بيس المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله (ص) ورد بان فيه حذف الفاعل ولا يجوز والظاهر ان مثل القوم فاعل بيس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل الذين كذبوا انتهى * وقوله سبحانه قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم الآية روي انها نزلت بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر في امره وذكروا لهم نبوته وقالوا ان رأيتم اتباعه اطعناكم وان رأيتم خلافه خالفناه معكم فجاءهم جواب اهل خيبر يقولون نحن ابناؤ ابراهيم خليل الرحمن وابناؤ عزيز بن الله ومنا الانبياء ومتى كانت النبوة في العرب نحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت الآية بمعنى انكم اذا كنتم من الله بهذه المنزلة فقربه وفراق هذه الحياة الحسيسة احب اليكم فتمنوا الموت ان كنتم تعتقدون في انفسكم هذه المنزلة ثم اخبر تعالى انهم لا يمتنون به ابدا لعلمهم بسوء حالهم وروى كثير من المفسرين ان الله جلت قدرته جعل هذه الآية معجزة لمحمد نبيه فيهم فهي آية باهرة واعلمه انه ان تمنى احد منهم الموت في ايام معدودات مات وفارق الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنوا الموت على جهة التعجيز وازهار الآية فما تمناء احد منهم خوفا من الموت وثقة بصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة الآية النداء هو الاذان وكان على الجسد ان يمشي الى المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مصنف ابى داود كان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر اذان ثم زاد عثمان النداء على الزوراء لسمع الناس (ت) وفي البخاري والترمذي وصححه عن السائب بن يزيد

قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما تولى عثمان وكثر الناس زاد الاذان الثالث فاذن به على الزوراء فثبت الامر على ذلك قيل فقوله الثالث يقتضى انهم كانوا ثلاثة وفى طريق آخر الثانى بدل الثالث وهو يقتضى انهما اثنان انتهى وخرج مسلم عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اغتسل ثم اتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم انصت للامام حتى يفرغ من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام انتهى وخرجه البخاري من طريق سلمان * وقوله من يوم الجمعة قال ابن هشام من مرادفة فى انتهى * وقوله تعالى فاسمعوا الى ذكر الله الآية السمي فى الآية لا يراد به الاسراع فى المشي وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان الا ما سمي فالسمي هو بالنية والارادة والعمل من وضوء وغسل ومشى ولبس ثوب كل ذلك سمي وقد قال مالك وغيره انما توفى الصلاة بالسكينة (ت) وهو نص الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة (ت) والظاهر ان المراد بالسمي هنا المضي الى الجمعة كما فسرہ الثعلبي ويدل على ذلك اطلاق العلماء لفظ الوجوب عليه فيقولون السمي الى الجمعة واجب ويدل على ذلك قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين فامضوا الى ذكر الله وقال ابن مسعود لو قرأت فاسمعوا لاسرعت حتى يقع رداى وقال العراقي فاسمعوا معناه بادروا انتهى وقوله الى ذكر الله هو وعظ الخطبة قاله ابن المسيب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طواوا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر الحديث خرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم والخطبة عند

الجمهور شرط في انعقاد الجمعة وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها محفون بها كالعروس تهدي الى كريمها تضي لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا المؤذنون المحتسبون خرج به القاضي الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي قال صاحب التذكرة واسناده صحيح انتهى * وقوله سبحانه ذلكم اشارته الى السعي وترك البيع * وقوله فانتشروا اجمع الناس على ان مقتضى هذا الامر الاباحة وكذلك قوله واتبعوا من فضل الله انه الاباحة في طلب المعاش مثل قوله تعالى واذا حلتم فاصطادوا الا ما روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك الفضل المبغى هو عيادة مريض او صلة صديق او اتباع جنازة قال (ع) وفي هذا ينبغي ان يكون المرء بقية يوم الجمعة ونحوه عن جعفر بن محمد وقال مكحول الفضل المبغى العلم فيبغى ان يطلب اثر الجمعة * وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا الآية قال معاذ بن جبل ما شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم في المستدرک وقيل صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله سبحانه واذا رأوا تجارة اولهوا الآية نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فاقلت غير من الشام تحمل ميرة وصاحب امرها دحية بن خليفة الكلبي قال مجاهد وكان من عرفهم ان تدخل غير المدينة بالطل والمعاذف والاصباح سرورا بها فدخات العير بمثل ذلك فانفض اهل المسجد الى رؤية ذلك وسماعه وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه غير اثني عشر رجلا قال جابر بن عبد الله انا احدهم قال

(ع) ولم تمر بي تسميتهم في ديوان فيما اذكر الآن الا اني سمعت ابي رحمه الله يقول هم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف في الحادى عشر ف قيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود (ت) وفي تقييد ابي الحسن الصغير والاثنى عشر الباقر هم الصحابة العشرة والحادى عشر بلال واختلف في الثانى عشر ف قيل عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود انتهى قال السهيلي وجاءت تسمية الاثنى عشر في حديث مرسل رواه اسد بن عمرو والد موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان حتى العشرة وقال وبلال وابن مسعود وفي رواية عمار بدل ابن مسعود وفي مراسيل ابي داود ذكر السبب الذى من اجله ترخصوا فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا رضي الله عنهم انهم قد قضوا ما عليهم فحوت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة فهذا الحديث وان كان مرسلًا فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحًا والله اعلم انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء وفي حديث آخر والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد لسال بكم الوادى نارا قال البخاري انفضوا معناه تفرقوا انتهى وقرأ ابن مسعود ومن التجارة للذين اتقوا والله خير الرازيين وانما اعاد الضمير في قوله اليها على التجارة وحدها لانها اهم وهي كانت سبب اللهو (ص) وقرئ اليهما بالتشنية

تفسير سورة اذا جاءك المنافقون وهي مدنية باجماع

ونزلت في غزوة بني المصطلق بسبب ان ابن ابي سلول كانت له في تلك الغزوة اقوال منكرة وسياتي بيان ذلك ان شاء الله

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية فضح الله سرائر المنافقين بهذه الآية وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله وهم في اخبارهم هذا كاذبون لان حقيقة الكذب ان يخبر الانسان بضد ما في قلبه وهذه كانت حالهم وقرأ الناس ايمانهم جمع يمين وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به في الاجرام والمعاني * وقوله ذلك اشارة الى فعل الله بهم في فضحهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم بان كفروا بعد ايمان * وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم هذا توبيخ لهم اذ كان منظرهم يروق جمالا وقولهم يخلب بيانا لكنهم كالخشب المسندة اذ لا افهام لهم نافعة وكان عبد الله بن ابي ابن سلول من ابهى المنافقين واطولهم ويدل على ذلك انه لم يوجد قيص يكسو العباس غير قيصه قال الثعلبي تعجبك اجسامهم لاستواء خلقها وطول قامتها وحسن صورتها قال ابن عباس وكان عبد الله بن ابي جسيا صيحاً فصيحاً ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله

عليه وسلم قوله ووصفهم الله تعالى بتمام الصورة وحسن الابانة ثم شبههم بالحشب
المسندة الى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام
انتهى * وقوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هذا ايضا فضح لما كانوا يسرونه
من الخوف وذلك انهم كانوا يتوقعون ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله
بقتلهم قال مقاتل فكانوا متى سمعوا نشد ان ضالة اوصياحا باي وجه او اخبروا
بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون في غير شأنهم ثم اخبر
تعالى بانهم هم العدو وحذر منهم * وقوله تعالى قاتلهم الله دعا، يتضمن الاقصاء
والمناذرة لهم واني يوفكون معناه كيف يصرفون * وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله الآية سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني
المصطلق فازدحم اجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه مع سنان بن وبرة
الجهني حليف للانصار على الماء فكسع جهجاه سنانا فتشاورا ودعا جهجاه يا
للمهاجرين ودعا سنان يا للانصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
بال دعوى الجاهلية فلما اخبر بالقصة قال دعوها فانها منتنة فقال عبد الله بن
ابي اوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثل جلابيب قريش الا كما قال الاول سمن
كلبك يا كلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لمن
معه من المنافقين انما يقيم هؤلاء المهاجرون مع محمد بسبب معونتهم لهم ولو
قطعتم ذلك عنهم لفروا فسمعها منه زيد بن ارقم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي عند رجال من الانصار
فلغنه ذلك فجاء وحلف ما قال ذلك وحلف معه قوم من المنافقين وكذبوا
زيदा فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فبقي زيد في منزله لا يتصرف حيا من
الناس فنزلت هذه السورة عند ذلك فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى زيد
وقال له لقد صدقك الله يا زيد فخزي عند ذلك عبد الله بن ابي ومقتته الناس

ولامه المومنون من قومه وقال له بعضهم امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكاراً لهذا الرأي وقال لهم لقد اشترتم علي بالإيمان فأمنت واشترتم علي بأن اعطي زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم الا ان تأمروني بالسجود لمحمد فهذا قصص هذه السورة موجزاً وقرأ نافع والمفضل عن عاصم لووا بتخفيف الواو وقرأ الباقون بتشديد ها * وقوله تعالى سوا عليهم استغفرت لهم الآية روي انه لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وفي حديث آخر لو علمت اني لو زدت على السبعين لغفر لهم لزدت وفي هذا الحديث دليل على رفض دليل الخطاب فلما فعل ابن ابي واصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه الآية واعلم انه لن يغفر لهم دون حد في الاستغفار * وقوله تعالى هم الذين اشارة الى ابن ابي ومن قال بقوله ثم سفه تعالى احلامهم في ان ظنوا ان انفاقهم هو سبب رزق المهاجرين ونسوا ان جريان الرزق بيد الله تعالى اذا انسد باب انفتح غيره ثم اعلم تعالى ان العزة لله ولرسوله وللمومنين وفي ذلك وعيد وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلاً صالحاً لما سمع الآية جاء الى ابيه فقال له انت والله يا ابي الذليل ورسول الله العزيز ووقف على باب السكة التي يسلكها ابوه وجرد السيف ومنعه الدخول وقال والله لادخلت الى منزلك الا ان ياخذن في ذلك رسول الله وعبد الله بن ابي في اذل حال وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه ان خله يمشى الى منزله فقال اما الآن فنعم * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الآية الالهاء الاشتغال بملذ وشهوة وذكر الله هنا عام في الصلوات والتوحيد والدعاء وغير ذلك من المفروض والمندوب وكذلك قوله تعالى وانفقوا من ما رزقناكم عام في المفروض والمندوب قاله جماعة من المفسرين قال

الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب عيوب النفس ومن عيوبها تضييع اوقاتها بالاشتغال بما لا يعنى من امور الدنيا والخوض فيها مع اهلها ومداواتها ان يعلم ان ومنه اعز الاشياء فيشغله باعز الاشياء وهو ذكر الله والمداومة على الطاعة ومطالبة الاخلاص من نفسه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال الحسن بن منصور عليك بنفسك فان لم تشغلها شغلتك انتهى * وقوله لولا اخرتني الى اجل قريب طلب للكرة والامهال وسماه قريبا لانه ات وايشا فالتما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط وليس بتسع الامل حينئذ لطلب العيش ونضرت * وقوله واكن من الصالحين ظاهره العموم وقال ابن عباس هو الحج وروي الترمذي عنه انه قال ما من رجل لا يؤدي الزكاة ولا يحج الا طلب الكرة عند موته قال الثعلبي قال ابن عباس الى اجل قريب يريد مثل آجالنا في الدنيا انتهى وقرأ ابو عمرو واكون وفي قوله تعالى ولن يوخز الله نفسا اذا جاء اجلها حض على المبادرة ومساابقة الاجل بالعمل الصالح

تفسير سورة التغابن وهي مدنية
وقال آخرون مكية

الاقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم الى آخر السورة فانه مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن اي في اصل الحلقة وهذا

يجرى مع قول الملك يا رب اشقي ام سعيد الحديث وذلك في بطن امه وقيل
الآية تعديد نعم فقوله هو الذى خلقكم هذه نعمة الالهى ثم قال فنكم كافر اي
بهذه النعمة لجهله بالله ومنكم مومن بالله والايمان به شكر لنعمته فالاشارة على
هذا التاويل فى الايمان والكفر هي الى اكتساب العبد وهذا قول جماعة وقيل
غير هذا * وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها عبثا ولا
غير معنى * وقوله تعالى فاحسن صوركم هو تعديد نعم والمراد الصورة الظاهرة
وقيل المراد صورة الانسان المعنوية من حيث هو انسان مدرك عاقل والاول
اجرى على لغة العرب * وقوله تعالى الم ياتكم جزم اصله ياتكم والخطاب فى
هذه الآية لقريش ذكروا بما حل بعاد وثمود وغيرهم ممن سمعت قريش باخبارهم
ووبال الامر مكروهه وما يسوء منه * وقوله تعالى ذلك بانه اشارة الى ذوق
الوبال وباقي الآية بين * وقوله تعالى الذين كفروا ان لن يبعثوا يريد
قريشا ثم هي بعد تمم كل كافر بالبعث ولا توجد زعم مستعملة فى فصيح الكلام
الاعبارة عن الكذب او قول انفرد به قائله * وقوله سبحانه فامنوا بالله
ورسوله والنور الذى انزلنا هذه الآية دعاء من الله وتبليغ وتحذير من يوم القيامة
والنور القران ومعانيه ويوم الجمع هو يوم القيامة وهو يوم التغاين يغن فيه
المؤمنون الكافرين نحا هذا المنحى مجاهد وغيره * وقوله تعالى ما اصاب من
مصيبة يحتمل ان يريد المصائب التى هي رزايا ويحتمل ان يريد جميع الحوادث
من خير وشر والكل باذن الله والاذن هنا عبارة عن العلم والارادة وتمكين
الوقوع * وقوله سبحانه ومن يومن بالله يهد قلبه قال فيه المفسرون المعنى ومن
آمن وعرف ان كل شيء بقضاء الله وقدره وعلمه هانت عليه مصيبته وسلم
لامر الله تعالى * وقوله تعالى فان توليتم الى اخر الآية وعيد وتبرئة للنبي صلى
الله عليه وسلم * وقوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم الى اخر السورة

قرأ ان مدني واختلف في سببه فقال عطاء بن ابي رباح انه نزل في عوف بن مالك الاشجعي وذلك انه اراد غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع اهله واولاده وتشكوا اليه فراقه فرق لهم فشبطوه ولم يفز ثم انه ندم وهم بمعاقتهم فنزلت الآية بسببه محذرة من الازواج والاولاد وفتنتهم ثم صرف تعالى عن معاقتهم بقوله وان تعفوا وتصفحوا وقال بعض المفسرين سبب الآية ان قوما آمنوا وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه في الدين فندموا وهموا بمعاقة ازواجهم واولادهم ثم اخبر تعالى ان الاموال والاولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده وتحمله من الرغبة في الدنيا على ما لا يحمد في اخرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الولد مبغلة محبنة وخرج ابوداود حديثا في مصنفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جاء الحسن والحسين عليهما قيصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى اخذهما وصعد بهما ثم قرأ انما اموالكم واولادكم فتنة الآبـة وقال اني رأيت هذين فلم اصبر ثم اخذ في خطبته قال (ع) وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شأنى ايرى في شيا جئلت وهو يقول فما استطعت ان اسكت وتمشاني ما شاء الله فقلت من هم بابى انت وامى يا رسول الله قال هم الاكثرون مالا الامن قال هكذا وهكذا وهكذا وفى رواية ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الامن قال بالمال هكذا وهكذا وأشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم انتهى واللفظ للبخاري * وقوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم تقدم الخلاف هل هذه الآية ناسخة لقوله تعالى

اتقوا الله حق تقاته اوليست بناسخة بل هي مبينة لها وان المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم وهذا هو الصحيح قال الثعلبي قال الربيع بن انس ما استطعتم اي جهدكم وقيل معناه اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به انتهى * وقوله سبحانه ومن يوق شح نفسه تقدم الكلام عليه واسند ابو بكر بن الخطيب من طريق ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخاء شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن كان سخيا اخذ بفن من منها فلم يتركه الفن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار واغصانها في الارض فمن كان شحيحا اخذ بفن من اغصانها فلم يتركه الفن حتى يدخله النار انتهى وبقى الآية بين

﴿ تفسير سورة الطلاق وهي مدنية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء اي اذا اردتم طلاقهن قاله الثعلبي وغيره فطلقوهن لعدتهن وطلاق النساء حل عصمتهم وصورة ذلك وتنويه مما لا يختص بالتفسير ومعنى فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال عدتهن وعبرة الثعلبي اي لظهرهن الذي يخصينه من عدتهن وهو طهر لم يجامعها فيه انتهى قال (ع) ومعنى الآية ان لا يطلق احد امرأته الا في طهر لم يمسه فيها هذا على مذهب مالك ومن قال بقوله القائلين بان الاقراء عندهم هي الاطهار فيطلق عندهم

المطلق في طهر لم يمس فيه وتمتد به المرأة ثم تحيض حيضتين تعتد بالطهر الذي بينهما ثم تقيم في الطهر الثالث معتدة به فاذا رأت اول الحيضة الثالثة حلت ومن قال بان الاقراء الحيض وهم المراقبون قال لعدتهن معناه ان يطلق طاهرا فتستقبل بثلاث حيض كواكمل فاذا رأت الطهر بعد الثالثة حلت والاصل في منع طلاق الحائض حديث ابن عمر ثم امر تعالى باحصاء العدة لما يلحق ذلك من احكام الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك وعبرة الثعلبي واحصوا العدة اي احفظوا عدد قروءها الثلاثة ونحوه تفسير ابن العربي قال قوله تعالى واحصوا العدة معناه احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق لما يترتب على ذلك من الاحكام انتهى من احكامه ثم اخبر تعالى بانهن احق بسكنى بيوتهن التي طلقن فيها فنهى سبحانه عن اخراجهن وعن خروجهن وسنة ذلك الاتبيت عن بيتها ولا تقيم عنه نهارا الا في ضرورة وما لا خطب له من جائز التصرف وذلك لحفظ النسب والتحرز بالنساء واختلف في معنى قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة فقال الحسن وغيره ذلك الزنا فيخرجن للحد وقال ابن عباس ذلك البذاء على الاحماء فتخرج ويسقط حقها من المسكن وتلزم الاقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب وفي مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وعبرة الثعلبي عن ابن عباس الا ان تبذوا على اهلها فيحل لهم اخراجها انتهى وهو معنى ما تقدم وقرأ الجمهور مبينة بكسر اليااء تقول بان الشيء وبين بمعنى واحد الا ان التضعيف للمبالغة وقرأ عاصم مبينة بفتح اليااء * وقوله سبحانه وتلك حدود الله اشارة الى جميع اوامره في هذه الآية * وقوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال قتادة وغيره يريد به الرجعة اي احصوا العدة وامثلوا ما امرتم به تجددوا المخلص ان ندمتم فانكم لا تدرين لعل الرجعة تكون بعد * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن يريد به اخر القروء فامسكوهن بمعروف وهو حسن العشرة

او فارقوهن بمعروف وهو اداء جميع الحقوق والوفاء بالشروط حسب نازلة نازلة
وعبارة الثعلبي فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضاء عدتهن انتهى وهو
حسن * وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم يريد على الرجعة وذلك شرط
في صحة الرجعة وتمنع المرأة الزوج من نفسها حتى يشهد وقال ابن عباس على
الرجعة والطلاق معا قال النخعي العدل من لم تظهر منه ريبة والعدل حقيقة
الذي لا يخاف الا الله * وقوله سبحانه واقيموا الشهادة لله امر للشهود *
وقوله ذلكم يوعظ به اشارة الى اقامة الشهادة وذلك ان فصول الاحكام تدور
على اقامة الشهادة * وقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب قال بعض رواة الآثار نزلت هذه الآية في عوف بن مالك
الاشجعي اسر ولده وقدر عليه رزقه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فامر به بالتقوى فلم يلبث ان تفلت ولده واخذ قطع غنم للقوم الذين اسروه
فسأل عفو النبي صلى الله عليه وسلم انطيب له تلك الغنم فقال نعم قال ابو عمر
ابن عبد البر قال النبي صلى الله عليه وسلم ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق
عباده المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون وقال عليه السلام لابن مسعود لا يكثر
همك يا عبد الله ما يقدر يـكـن وما ترزق ياتيـك وعنه صلى الله عليه وسلم
استنزلوا الرزق بالصدقة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المجالس وانس
المجالس * وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه هذه الآيات كلها
عظة لجميع الناس ومعنى حسبه كافيـه وقال ابن مسعود هذه اكثر الآيات حضا
على التفويض لله * وقوله تعالى ان الله بالغ امره بيان وحض على التوكل
اي لا بد من نفوذ امر الله توكلت ايها المرء او لم تتوكل قاله مسروق فان
توكلت على الله كفأك وتمجـلت الراحة والبركة وان لم تتوكل وكلـك الى عجزك
وتسخطك وامره سبحانه في الوجهين نافذ * وقوله سبحانه واللائي يثن من

المحيض من نسائكم الآية اللاني جمع التى والياست من المحيض على مراتب
 محل بسطها كتب الفقه وروى اسماعيل بن خالد ان قوما منهم ابي بن كعب
 وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
 قالوا يا رسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغرا وكبر فنزلت هذه الآية فقال
 قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وهو
 لفظ يعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة والارتباب المذكور قيل هو
 بامر الحمل * وقوله سبحانه اسكنوهن من حيث سكنتم الآية امر باسكان
 المطلقات ولا خلاف فى ذلك فى التى لم تبت واما المتبوتة فمالك يرى لها
 السكنى لمكان حفظ النسب ولا يرى لها نفقة لان النفقة بازاء الاستمتاع وقال الثعلبي
 من حيث سكنتم اى فى مساكنكم التى طلقتموهن فيها انتهى والوجد السعة فى المال
 واما الحامل فلا خلاف فى وجوب سكاها ونفقتها تبت او لم تبت لانها مبينة فى
 الآية وانما اختلفوا فى نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها هل ينفق عليها من
 التركة ام لا وكذلك النفقة على الموضع المطلقة واجبة وبسط ذلك فى كتب
 الفقه * وقوله سبحانه واتقوا بينكم بعروف اى ليامر كل واحد صاحبه بخير
 وليقبل كل احد ما امر به من المروف * وقوله سبحانه وان تعاسرتم اى
 نشططت المرأة فى الحد الذى يكون اجرة على الرضاع فللزواج ان يسترضع بما
 فيه رفقه الا ان لايقبل المولود غير امه فتجبر هي حينئذ على رضاعه باجرة
 مثلها ومثل الزوج فى حالها وغناها (ت) وهذا كله فى المطلقة البائن قال ابن
 عبد السلام من اصحابنا الضمير فى قوله تعالى فان ارضعن لكم فئاتوهن
 اجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن
 واما ذات الزوج او الرجعية فيجب عليها ان ترضع من غير اجر الا ان تكون
 شريفة فلا يلزمها ذلك انتهى * وقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته الآية

عدل بين الازواج ليلا تضع هي ولا يكف هو ما لا يطيق ثم رضى تعالى
باليسر تسهلا على النفوس وتطيبا لها * وقوله سبحانه وكأين الثعلبي وكأين اي
وكم من قرية عنت اي عصت * وقوله فحاسبناها قال (ع) قال بعض المتأولين الآية
في احوال الآخرة اي ثم هو الحساب والتعذيب والذوق وخسار العاقبة وقال آخرون
ذلك في الدنيا ومعنى حاسبناها حسابا شديدا اي لم تغتفر لهم زلة بل اخذت
بالدقائق من الذنوب ثم ندب تامل اولى الالباب الى التقوى تحذيرا * وقوله
تعالى قد انزل اليكم ذكرا رسولا اختلف في تقديره وابين الاقوال فيه معنى
ان يكون الذكر القرءان والرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى وارسل
رسولا لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول ونحاهذا المنحى
السدي وسائر الآية بين * وقوله سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن لا خلاف بين العلماء ان السموات سبع واما الارض فالجمهور
على انها سبع ارضين وهو ظاهر هذه الآية وانما المماثلة في العدد ويبينه قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من غضب شبرا من ارض طوقه الله
من سبع ارضين الى غير هذا مما وردت به الروايات وروي عن قوم من العلماء
انهم قالوا الارض واحدة وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها في ارتفاع جرمها وفي
ان فيها عالما يعبد الله كما في كل سماء عالم يعبد الله * وقوله سبحانه ينزل الامر
بينهن الامر هنا يعم الوحي وجميع ما يامر به سبحانه من تصريف الرياح
والسحاب وغير ذلك من عجائب صنعه لا اله غيره وباقي السورة وعظ وحض
على توحيد الله عز وجل * وقوله على كل شي قد ير عموم معناه الخصوص في
المقدورات * وقوله بكل شي علما عموم على اطلاقه

﴿ تفسير سورة التحريم وهي مدنية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية وفي الحديث من طرق ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت حفصة فوجدها قد مرت لزيارة ابيها فدعا صلى الله عليه وسلم جاريته مارية فقال منها بفات حفصة وقالت يا نبي الله افى بيتى وعلى فراشى فقال لها صلى الله عليه وسلم مترضيا لها ايرضيك ان احرمها قالت نعم فقال انى قد حرمتها قال ابن عباس وقال مع ذلك والله لا اطأها ابدا ثم قال لها لا تخبرى به هذا احدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذى بينها وبين عائشة واخبرتها لتسررها بالامر ولم ترفى افشائه اليها حرجا واستكتمتها فاوحى الله بذلك الى نبيه ونزلت الآية وفي حديث آخر عن عائشة ان هذا التحريم المذكور فى الآية انما هو بسبب العسل الذى شربه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فتمألت عائشة وحفصة وسودة على ان تقول له من دنا منها انا نجد منك ريح مغاير اكلت مغاير يا رسول الله والمغاير صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة ففعلن ذلك فقال رسول الله ما اكلت مغاير ولكنى شربت عسلا فقلن له جرست نخله العرفط فقال صلى الله عليه وسلم لا اشربه ابدا وكان يكره ان توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت الا اسقيك من ذلك العسل فقال لا حاجة لى به قالت عائشة تقول سودة حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها اسكتى قال (ع) والقول الاول ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس فى

الآية ومتى حرم الرجل مالا او جارية فليس تحريمه بشي . (ت) والحديث الثاني هو الصحيح خرجه البخاري ومسلم وغيرهما ودعا الله تعالى نبيه باسم النبوة الذى هو دال على شرف منزلته وفضيلته التى خصه بها وقرره تعالى كالمعاتب له على تحريمه على نفسه ما احل الله له ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورحمه * وقوله تعالى قد فرض الله اى بين واثبت فقال قوم من اهل العلم هذه اشارة الى تكفير التحريم وقال ، اخرون هي اشارة الى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم والتحلة مصدر وزنها تفعلة وادغم لاجتماع المثلين واحال فى هذه الآية على الآية التى فسر فيها الاطعام فى كفارة اليمين بالله تعالى والمولى الموالى الناصر * واذا اسر النبي ، الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا قال الجمهور الحديث هو قوله فى امر مارية وقال ، اخرون بل هو قوله انما شربت عسلا * وقوله تعالى عرف بعضه المعنى مع شد الرأ ، اعلم به وانب عليه واعرض عن بعض اى تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط والمخاطبة بقوله ان تتوبا الى الله هي لحفصة وعائشة وفى حديث البخاري وغيره عن ابن عباس قال قلت لعمر من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفصة وعائشة * وقوله صفت قلوبكما معناه مالت والصفي الميل ومنه اصنى اليه باذنه واصنى الاناء وفى قراءة ابن مسعود فقد زاغت قلوبكما والزيع الميل وعرفه فى خلاف الحق وجمع القلوب من حيث الاثنان جمع (ص) قلوبكما القياس فيه قلبا كما مثنى والجمع اكثر استعمالا وحسنه اضافته الى مثنى وهو ضميرها لانهم كرهوا اجتماع تشنيتين انتهى ومعنى الآية ان تبنا فقد كان منكما ما ينبى ان يتاب منه وهذا الجواب الذى للشرط هو متقدم فى المعنى وانما ترتب جوابا فى اللفظ وان تظاهرا معناه تتعاوننا واصل تظاهرا تتظاهرا ومولاه اى ناصره وجبريل وما بعده يحتمل ان يكون عطفًا على اسم الله ويحتمل ان يكون جبريل رفعا بالابتداء

وما بعده عطف عليه وظهير هو الخبر وخرج البخاري بسنده عن انس قال قال
 عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الفيرة عليه فقلت لمن عسى ربه
 ان تطلقن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فترلت هذه الآية انتهى وقائتات
 معناه مطيعات والسائحات قيل معناه صائحات وقيل معناه مهاجرات وقيل معناه
 ذاهبات في طاعة الله وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل السائح ولا ينظر
 في زاد ولا مطعم وكذلك الصائم يمسك عن ذلك فيستوى هو والسائح في
 الامتناع وشظف العيش لفقد الطعام * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا
 قوا انفسكم واهليكم نارا الآية قوا معناه اجعلوا وقاية بينكم وبين النار وقوله
 واهليكم معناه بالوصية لهم والتقويم والحمل على طاعة الله وفي الحديث رحم الله
 رجلا قال يا اهله صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم (ت) وفي المتبعية
 عن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذن لي ان اتحدث عن ملك من
 الملائكة ان ما بين شحمة اذنه وعاتقه لمخفق الطير سبعين عاما انتهى وباقي الآية في
 غاية الوضوح نجانا الله من عذابه بفضله والتوبة فرض على كل مسلم وهي الندم على
 فارط المعصية والعزم على ترك مثلها في المستقبل هذا من الممكن واما غير الممكن
 كالمجبوب في الزنا فالندم وحده يكفيه والتوبة عبادة كالصلاة وغيرها فاذا تاب العبد
 وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب فتوبته الاولى لا تقسدها عودة بل هي
 كسائر ما تحصل من العبادات والنصوح بناء مبالغة من النصح اي توبة نصحت
 صاحبها وارشدته وعن عمر التوبة النصوح هي ان يتوب ثم لا يعود ولا يريد ان يعود
 وقال ابو بكر الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت كتوبة الذين خلفوا
 وروي في معنى قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
 تضرع مرة الى الله عز وجل في امر امته فاوحى الله اليه ان شئت جعلت
 حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال الله تعالى اذن لا اخزيك

فيهم * وقوله تعالى والذين آمنوا معه يحتمل ان يكون معطوفا على النبي .
 فيخرج المومنون من الحزبي ويحتمل ان يكون مبتدأ ونورهم يسعى جملة هي
 خبره وقولهم اتمم لنا نورنا قال الحسن بن ابي الحسن هو عند ما يرون من انطفاء
 نور المنافقين حسبما تقدم تفسيره وقيل يقوله من اعطي من النور بقدر ما يرى
 موضع قدميه فقط وباقي الآية بين مما تقدم في غير هذا الموضع * وقوله
 سبحانه ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح الآية هذان المثلان اللذان
 للكفار والمومنين معناهما ان من كفر لا يغني عنه من الله شيء ولا ينفعه سبب
 وان من آمن لا يدفعه عن رضوان الله دافع ولو كان في اسوأ منشأ واخس
 حال وقول من قال ان في المثلين عبرة لازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعيد
 قال ابن عباس وغيره خاتماها اي في الكفر وفي ان امرأة نوح كانت تقول
 للناس انه مجنون وان امرأة لوط كانت تنسب الى قومها خبر اضافته قال ابن
 عباس وما بنت زوجة نبي قط وامرأة فرعون اسمها اسية وقولها وعمله تمنى
 كفره وما هو عليه من الضلالة * وقوله التي احصنت فرجها الجمهور انه فرج
 الدرع وقال قوم هو الفرج الجارحة واحصانه صونه * وقوله سبحانه فننخنأ فيه
 عبارة عن فعل جبريل (ت) وقد عكس رحمه الله نقل ما نسبته للجمهور في
 سورة الانبياء فقال المعنى واذا ذكر التي احصنت فرجها وهو الجارحة المعروفة
 هذا قول الجمهور انظر بقية الكلام هناك * وقوله سبحانه من روحنا اضافة
 مخلوق الى خالق ومملوك الى مالك كما تقول بيت الله وناقة الله كذلك الروح
 الجنس كله هو روح الله وقرأ الجمهور وصدقت بكلمات ربها بالجمع فيقوى ان
 يريد التوراة ويحتمل ان يريد امر عيسى وقرأ الجحدري بكلمة فيقوى ان يريد
 امر عيسى ويحتمل ان يريد التوراة فتكون الكلمة اسم جنس وقرأ نافع وغيره
 وكتابه وقرأ ابو عمرو وغيره وكتبه بضم التاء والجمع وذلك كله مراد به التوراة

والانجيل قال الثعلبي واختار ابو حاتم قراءة ابى عمرو بالجمع لعمومها واختار ابو عبيدة قراءة الافراد لان الكتاب يراد به الجنس انتهى وهو حسن وكانت من القانتين اي من القوم القانتين وهم المطيعون العابدون وقد تقدم بيانه

﴿ تفسير سورة الملك وهي مكية باجماع ﴾

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها عند اخذ مضجعه رواه جماعة مرفوعا وروي انها تنجي من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب وروي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مومن (ت) وقد خرج مالك فى الموطأ انها تجادل عن صاحبها وخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابو الحسن بن صخر وابو ذر الهروي وغيرهم احاديث فى فضل هذه السورة نحو ما تقدم ولولا ما قصده من الاختصار لنقلتها هنا ولكن خشية الاطالة منعنى من جلب كثير من الآثار الصحيحة فى هذا المختصر وانظر الغافقي فقد استوفى نقل الآثار فى فضل هذه السورة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك تبارك من البركة وهي التزيد فى الخيرات الثعلبي تبارك الذى بيده الملك اي تعالى وتعاظم وقال الحسن تقدس الذى بيده الملك فى الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء انتهى * وقوله سبحانه الذى خلق الموت والحياة الآبىة الموت

والحياة معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع احدهما بجلول الآخر وما جاء في الحديث الصحيح من قوله عليه السلام يوتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح على الصراط الحديث فقال اهل العلم انما ذلك تمثال كبش يوقع الله العلم الضروري لاهل الدارين انه الموت الذي ذاقوه في الدنيا ويكون ذلك التمثال حاملا للموت لاعلى انه يحل الموت فيه فتذهب عنه حياة ثم يقرن الله تعالى في ذلك التمثال اعدلم الموت * وقوله سبحانه ليبلوكم اي جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم اي ليختبركم في حال الحياة ويجازيكم بمعد الممات وقال ابو قتادة ونحوه عن ابن عمر قلت يا رسول الله ما معنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فقال يقول ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم في امره ونبيه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن ايكم احسن عملا ازهدكم في الدنيا قال القرطبي وقال السدي احسنكم عملا اي اكثركم للموت ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا انتهى من التذكرة والله در القائل

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن الشغل باللذات للمرء زاجر
ابعد اقتراب الاربعين تربص * وشيب فذاك منذر لك ذاعر
فكم في بطون الارض بعد ظهورها * محاسنهم فيها بوال دوائر
وانت على الدنيا مكب منافس * لخطابها فيها حريص مكاشر
على خطر تمسى وتصبح لاهيا * اتدرى بما ذا لو عقلت تخاطر
وان امرا يسعى لدنياه جاهدا * ويذهل عن اخراه لاشك خاسر
كانك مغتر بما انت صائر * لنفسك عمدا او عن الرشد جائر
بجد ولا تغفل فعيمك زائل * وانت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فان طلا بها * وان نلت منها ثروة لك ضائر

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بموقف عدل يوم تبلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذى العرش الملوك الجبابر
انتهى وطباقا قال الزجاج هو مصدر وقيل جمع طبقة او جمع طبق والمعنى
بعضها فوق بعض وقال ابان بن ثعلب سمعت اعرابيا يذم رجلا فقال شره
طباق وخيره غير باق وما ذكره بعض المفسرين فى السموات من ان بعضها من
ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف لم يثبت بذلك حديث * وقوله
سبحانه ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب ومن خروج
عن اتقان قال بعض العلماء خلق الرحمن معنى به السموات واياها اراد بقوله
هل ترى من فطور وبقوله ينقلب اليك البصر الآية وقال اخرون بل معنى به
جميع ما خلق سبحانه من الاشياء فانها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير
اتقان قال منذر بن سعيد امر الله تعالى بالنظر الى السماء وخلقها ثم امر بتكرير
النظر وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خلا او نقصا فان
بصره ينقلب خاسئا حسيرا ورجع البصر ترديده فى الشيء المبصر وكرتين معناه
مرتين والحاسنى المبعد عن شيء اراده وحرص عليه ومنه قوله تعالى اخسئوا
فيها وكذلك البصر يحرص على رؤية فطور او تفاوت فلا يجد ذلك فينقلب
خاسئا والحسير العيى الكال * وقوله تعالى بمصابيح يعنى النجوم قال الفخر
ومعنى السماء الدنيا اى القربة من الناس وليس فى هذه الآية ما يدل على ان
الكواكب مـكوزة فى السماء الدنيا وذلك لان السموات اذا كانت شفافة
فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا او كانت فى سموات اخرى فوقها فهي
لا بد ان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح فيها فعلى كلا التقديرين فالسما الدنيا مزينة
بها انتهى * وقوله وجعلناها معناه وجعلناها منها ويوجب هذا التاويل فى الآية
ان الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يهتدى به فى البر والبحر ليست براحة

وهذا نص في حديث السير قال الثعلبي رجوما للشياطين يرجون بها اذا استرقوا السمع فلا تخطئهم فمنهم من يقتل ومنهم من يخبل انتهى * وقوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم قال (ع) تضمنت الآية ان عذاب جهنم للكفار المخلدن وقد جاء في الاثر انه يمر على جهنم زمان تحفق ابوابها قد اخطتها الشفاعة والذي يقال في هذا ان جهنم اسم تختص به الطبقة العليا من النار ثم قد تسمى الطبقات كلها باسم بعضها فالتى في الاثر هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة من المؤمنين والتي في هذه الآية هي جهنم بأسرها اي جميع الطبقات والشهيق اقبح ما يكون من صوت الحمار فاشتعال النار وغليناها بصوت مثل ذلك * وقوله تكاذم اي يزايل بعضها بعضا لشدة الاضطراب ومن الفيظ معناه على الكفرة بالله والفوج الفريق من الناس وظاهر الآية انه لا يلقى في جهنم احد الاسئل على جهة التوبيخ * وقوله سبحانه ان انتم الا في ضلال كبير يحتمل ان يكون من قول الملائكة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفار للنذر قال الفخر وقوله تعالى عنهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير قيل انما جمعوا بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل انتهى * وقوله سبحانه ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل معنيين احدهما بالغيب الذي اخبروا به من النشر والحشر والجنة والنار فآمنوا بذلك وخشوا ربهم فيه ونحنا الى هذا قيادة والمعنى الثاني انهم يخشون ربهم اذا غابوا عن عين الناس اي في خلواتهم في صلاتهم وعباداتهم * وقوله تعالى واسروا قولكم الآية خطاب لجميع الخلق وذلولاً بمعنى مذلوله ومناكبها قال مجاهد هي الطارق والفجاج وقال البخاري مناكبها جوانبها قال الغزالي رحمه الله جعل الله سبحانه الارض ذلولاً لعباده لا يستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلاً فيترودون منها محترزين من مصاندها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في

هذا العالم سفر واول منازلهم المهد و٠ اخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحل وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته ر٠ وس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بقاء الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله عز وجل مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالعافل عن نفس واحد من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله تعالى زلنى متعرض في يوم التغابن لغيبنة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتسموا بقاءا العمر فعمروها بالطاعات بحسب تكرار الاوقات انتهى قال الشيخ ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك انتهى والله الموفق بفضلته والنشور الحياة بعد الموت وتصور معناه تذهب وتجيء كما يذهب التراب المواري في الريح والحاصب البرد وما جرى مجراه والنكير مصدر بمعنى الانكار والنذير كذلك ومنه قول حسان بن ثابت

فانذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيرى

ثم احوال سبحانه على العبرة في امر الطير وما احكم من خلقتها وذلك بين عجز الاصنام والاوثان عنه وصافات جمع صافة وهي التي تبسط جناحها وتصفه وقبض الجناح ضمه الى الجنب وهاتان حالتان للطائر يستريح من احدهما الى الاخرى * وقوله سبحانه امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه هذا ايضا توقيف على امر لا مدخل للاصنام فيه * وقوله سبحانه افمن يمشى مكبا على وجهه قال ابن عباس والضحاك ومجاهد نزلت مثلا للمومنين والكافرين على العموم وقال فتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار يمشون على وجوههم والمومنين يمشون على استقامة كما جاء في الحديث ويقال اكب الرجل اذا در

وجهه الى الارض وكبه غيره قال عليه السلام وهل يكب الناس في النار على وجوههم الاحصاء السننهم فهذا الفعل على خلاف القاعدة المعلومة لان افعل هنا لا يتعدى وفعل يتعدى ونظيره قشمت الريح السحاب فانقشع وقال (ص) مكبا حال وهو من اكب غير متعد وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهزمة فيه للدخول في الشيء او للصيرورة ومطامع كب انكب تقول كيبته فانكب قال بعض الناس ولا شيء من بناء افعل مطامعا انتهى واهدى في هذه الآية افعل تفضيل من الهدى * وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد يريدون امر القيامة والعذاب المتوعد به ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يخبرهم بان علم القيامة والوعد الصادق مما تفرد الله سبحانه بعلمه * وقوله سبحانه فلما رأوه الضمير للعذاب الذي تضمنه الوعد وهذه حكاية حال تأتي والمعنى فاذا رأوه * وزلفة معناه قريبا قال الحسن عيانا * وسيئت وجوه الذين كفروا معناه ظهر فيها السوء * وتدعون معناه تتداعون امره بينكم وقال الحسن تدعون انه لاجنة ولانار وروي في تاويل قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي الآية انهم كانوا يدعون على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك فقال الله تعالى لنبيه قل لهم ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يحيركم من العذاب الذي يوجب كركم ثم وقفهم سبحانه على مياهم التي يمشون منها ان غارت اي ذهبت في الارض من يحيرهم بما كثير كاف (ص) والغور مصدر بمعنى الغائر انتهى والمعين فاعيل من معن الماء اذا كثر وقال ابن عباس معين عذب

﴿ تفسير سورة القلم وهي مكيتة بلاخلاف ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ن حرف مقطع في قول الجمهور فيدخله من الاختلاف ما يدخل اوائل السور ويختص هذا الموضع من الاقوال بان قال مجاهد وابن عباس ن اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع فيما يروى وقال ابن عباس ايضا وغيره ن اسم الدواة فن قال بانه اسم الحوت جعل القلم القلم الذي خلقه الله وامره بكتب الكائنات وجعل الضمير في يسطرون للملائكة ومن قال بان ن اسم للدواة جعل القلم هذا القلم المتعارف بايدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا بجموع امر الكتاب الذي هو قوام للعلوم والمعارف وامور الدنيا والاخرة فان القلم اخو اللسان وعضد الانسان ومطية الفطنة ونعمة من الله عامة وروى معاوية بن قره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ن لوح من نور وقال ابن عباس ايضا وغيره ن هو حرف من حروف الرحمن وقالوا انه تقطع في القرآن الروح ون ويسطرون معناه يكتبون سطورا فان اراد الملائكة فهو كتب الاعمال وما يومرون به وان اراد بنى ادم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها قال ابن العربي في احكامه روى الوليد بن مسلم عن مالك عن سمي مولى ابى بكر عن ابى صالح عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم

القيامة قال ثم ختم العمل فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزقي لا مكلك فيمن احببت ولا نقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته انتهت (ت) وهذا الحديث هو الذي يعمل عليه في تفسير الآية لصحته والله سبحانه اعلم * وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون هو جواب القسم وما هنا عاملة لها اسم وخبر وكذلك هي متى دخلت الباء في الخبر وقوله بنعمة ربك اعتراض كما تقول لانسان انت بحمد الله فاضل وسبب الآية هو ما كان من قريش في رميهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله تعالى ذلك عنه واخبره بان له الاجر وانه على الخلق العظيم تشريفا له ومدحا واختلف في معنى ممنون فقال اكثر المفسرين هو الواهن المنقطع يقال حبل منين اي ضعيف وقال آخرون معناه غير ممنون عليك اي لا يكدره من به وفي الصحيح سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال الجنيد سعي خلقه عظيما اذ لم تكن له همة سوى الله تعالى عاشر الخلق بخلقهم بخلقهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وفي وصية بعض الحكماء عليك بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق وحسن الخلق خير كله وقال عليه السلام ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وجاء في حسن الخلق آثار كثيرة منعنا من جلبها خشية الاطالة وقد روى الترمذي عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال ابو عيسى هذا حديث صحيح غريب انتهى وروى الترمذي عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة

من خلق حسن وان الله ليبغض الفاحش البذي قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى قال ابو عمر في التمهيد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لملى خلق عظيم قال المفسرون كان خلقه ما قال الله سبحانه خذ المفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين انتهى * وقوله تعالى فستبصر اي انت وامتك ويبصرون اي هم بايكم المفتون قال الاخفش والعامل في الجملة المستفهم عنها الابصار واما الباء فقال ابو عبيدة معمر وقتادة هي زائدة والمعنى ايكم المفتون قال الثعلبي المفتون المجنون الذى فتنه الشيطان انتهى * وقوله تعالى فلا تطع المكذبين يعنى قريشا وذلك انهم قالوا فى بعض الاوقات للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبت ٠ لهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمتاه وودوا ان يداهنهم النبي صلى الله عليه وسلم ويميل الى ما قالوا فيميلوا هم ايضا الى قوله ودينه والادهان الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل * وقوله فيدهنون معطوف وليس بجواب لانه لو كان لنصب والحلاف المردد لحلفه الذى قد كثر منه والمهين الضعيف الراي والعقل قاله مجاهد وقال ابن عباس المهين الكذاب والهماز الذى يقع فى الناس بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه واشارته والنميم مصدر كالنميمة وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويجرش النفوس قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى بهجة المجالس قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف عن اعراض المسلمين لسانه اقاله الله يوم القيامة عثرته وقال عليه السلام شراركم ايها الناس المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون لاهل البر العثرات انتهى وروى حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قتات وهو النمام وذهب كثير من المفسرين الى ان هذه الاوصاف هي اجناس لم يرد بها رجل بعينه وقالت طائفة بل نزلت فى معين واختلفوا فيه فقال بعضهم هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاخنس بن شريق ويؤيد ذلك انه كانت له زمة فى

حلقه كزغمة الشاة وايضا فكان من ثقيف ملصقا في قرش وقيل هو ابو جهل
وقيل هو الاسود بن عبد يعوث قال (ع) وظاهر اللفظ عموم من اتصف بهذه
الصفات والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقى الزمان لاسيا لولا الامور * وقوله
تعالى منع لخير قال كثير من المفسرين الخير هنا المال فوصفه بالشح وقال
« اخرون بل هو على عمومته فى الاموال والاعمال الصالحات والمعتدى المتجاوز
لحدود الاشياء والاثم فيعمل من الاثم والعقل القوي البنية الغليظ الاعضاء
القاسى القلب البعيد الفهم الاكول الشروب الذى هو بالليل جيفة وبالنهاري حمار
وكل ما عبر به المفسرون عنه من خلال النقص فمن هذه التى ذكرت تصدر
وقد ذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر العتل بنحو هذا وهذه الصفات
كثيرة التلازم والزيم فى كلام العرب الملصق فى القوم وليس منهم ومنه قول حسان
وانت زعيم نيط فى * ال هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
فقال كثير من المفسرين هو الاخنس بن شريق وقال ابن عباس اراد
بالزيم ان له زغمة فى عنقه وكان الاخنس بهذه الصفة وقيل الزيم المريب
القبيح الافعال * وقوله سنسمه على الخراطوم معناه على الانف قال ابن عباس
هو الضرب بالسيف فى وجهه وعلى انفه وقد حل ذلك به يوم بدر وقيل ذلك
الوسم هو فى الآخرة وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به فى الدنيا من الذم له
والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على
الانف * وقوله سبحانه انا بلوناهم يريد قرشا اى امتحناهم واصحاب الجنة
فما ذكر كانوا اخوة وكان لا بينهم جنة وحرث يغتله فكان يمسك منه قوته
ويتصدق على المساكين بباقيه وقيل بل كان يحمل المساكين معه فى وقت
حصاده وجده فيجديهم منه فمات الشيخ فقال ولده نحن جماعة وفعل ابينا
كان خطأ فلنذهب الى جنتنا ولا يدخلنا علينا مسكين ولا نعطي منها شيئا قال

فبیتوا امرهم وعزمهم فبعث الله عليها طائفا من نارا وغير ذلك فاحترقت فقليل
فاصبحت سوداء وقيل بيضاء كالزرع اليابس المحصود فلما اصبحت الى جنتهم
لم يروها فحسبوا انهم قد اخطئوا الطريق ثم تبينوها فعلموا ان الله اصابهم فيها
فذابوا حينئذ وكانوا مومنين اهل كتاب فشبّه الله قريشا بهم في انه امتحنهم
بالمصائب في دنياهم لعدم اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التوبة معرضة ان
بقي منهم * وقوله تعالى ليصر منها اي ليَجْذِنها ومصبحين معناه داخلين في
الصباح * وقوله تعالى ولا يستثنون اي لا ينشئون عن رأي منع المساكين
وقال مجاهد معناه ولا يقولون ان شاء الله والصريم قال جماعة اراد به الليل من
حيث اسودت جنتهم وقال ابن عباس الصريم الرماد الاسود بلغة خزمية وقولهم
ان كنتم صارمين يحتمل ان يكون من صرام النخل ويحتمل ان يريد ان كنتم
اهل عزم واقدم على رأيكم من قولك سيف صارم ويتخافتون معناه يتكلمون
كلما خفيا وكان هذا التخافت خوفا من ان يشعر بهم المساكين وكان لفظهم
الذي يتخافتون به ان لا يدخلها اليوم عليكم مسكين * وقوله على حرد يحتمل
ان يريد على منع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها ففتحتها وحاردت
السنة اذا كانت شهباء لاغلة لها ويحتمل ان يريد بالحرد الغضب يقال حرد الرجل
حردا اذا غضب قال البخاري قال قتادة على حرد اي على جسد في انفسهم
انتهى * وقوله تعالى قادرين يحتمل ان يكون من القدرة اي قادرين في
زعمهم ويحتمل ان يكون من التقدير الذي هو تضيق كانهم قد قدروا على
المساكين اي ضيقوا عليهم فلما رأوها اي محترقة قالوا انا لضالون طريق جنتنا
فلما تحققوها علموا انها قد اصبحت فقالوا بل نحن محرومون اي قد حرمانا غلتها
وبركتها فقال لهم اعد لهم قولا وعقلا وخلقا وهو الاوسط الم اقل لكم لولا
تسبحون قليل هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه فبادر القوم عند

ذلك وتابوا وسبحوا واعترفوا بظلمهم في اعتقادهم منع الفقراء ولام بعضهم بعضا واعترفوا بانهم طغوا اي تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا الى رجاء الله سبحانه وانتظار الفضل من لدنه في ان يبدلهم بسبب توبتهم وانابتهم خيرا من تلك الجنة قال الثعلبي قال ابن مسعود بلغني ان القوم لما اخلصوا وعلم الله صدقهم ابدلهم الله عز وجل بها جنة يقال لها الحيوان فيها غناب يحمل البغل العنقود منها وعن ابي خالد اليماني انه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم انتهى وقدرة الله اعظم فلا يستغرب هذا ان صح سنده * وقوله سبحانه كذلك العذاب اي كفعلنا باهل الجنة نفعل بمن تعدى حدودنا * ولعذاب الآخرة اكبر اي اعظم مما اصابهم ان لم يتوبوا في الدنيا ثم اخبر تعالى بان للمتقين عند ربهم جنات النعيم فروي انه لما نزلت هذه الآية قالت قريش ان كان ثم جنات نعيم فلنا فيها اكبر الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالجرمين الآية توبيخا لهم * ام لكم كتاب منزل من عند الله تدرسون فيه ان لكم ما تختارون من النعيم فان معمولة لتدرسون وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام في الخبر وهي في معنى ان بفتح الالف وقرئ شاذ ان لكم بالفتح وقرأ الاعرج ان لكم فيه على الاستفهام ثم خاطب تعالى الكفار بقوله ام لكم ايمان علينا بالغة كانه يقول هل اقسمننا لكم قسما فهو عهد لكم باننا ننعمكم في يوم القيامة وما بعده وقرأ الاعرج ان لكم لما تحكمون على الاستفهام ايضا * سلمهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن (ت) قال الهروي وقوله ايمان علينا بالغة اي موعدة انتهى * وقوله تعالى فليأتوا بشركائهم قيل هو استدعاء وتوقيف في الدنيا اي ليحضرهم حتى يرى هل هم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل هو استدعاء وتوقيف على ان يأتواهم يوم القيامة يوم يكشف عن ساق وقرأ ابن عباس تكشف بضم التاء على معنى تكشف القيامة والشدة والحال

الحاضرة وقرأ ابن عباس ايضا تكشف بفتح التاء على ان القيامة هي الكاشفة وهذه القراءة مفسرة لقراءة الجماعة فما ورد في الحديث والآية من كشف الساق فهو عبارة عن شدة الهول * وقوله جلت عظمته ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وفي الحديث الصحيح فيخرون لله سجدا اجمعون ولا يبقى احد كان يسجد في الدنيا رياء ولا سمعة ولا نفقا الا صار ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه الحديث وفي الحديث فيسجد كل مومن وترجع اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظاما واحدا فلا يستطيعون سجودا الحديث * وفوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود يريد في دار الدنيا وهم سالمون مما نال عظام ظهورهم من الاتصال والعتو * وقوله سبحانه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث الآية وعيد وتهديد والحديث المشار اليه هو القرآن وباقي الآية بين مما ذكر في غير هذا الموضع ثم امر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه وان يمضي لما امر به من التبليغ واحتمال الاذى والمشقة ونهى عن الضجر والعجلة التي وقع فيها يونس صلى الله عليه وسلم ثم اقتضب القصة وذكر ما وقع في اخرها من نداءه من بطن الحوت وهو مكظوم اي وهو كاظم لحزنه وندمه وقال الثعلبي ونحوه في البخاري وهو مكظوم اي مملوء غما وكربا انتهى وهو اقرب الى المعنى وقال النقاش المكظوم الذي اخذ بكظمه وهي مجارى القلب وقرأ ابن مسعود وغيره لولا ان تداركته نعمة والنعمة التي تداركته هي الصفح والاجتباء الذي سبق له عند الله عز وجل لنبذ بالمرء اي لطرح بالمرء وهو الفضاء الذي لا يوارى فيه جبل ولا شجر وقد نبذ يونس عليه السلام بالمرء ولكن غير مذموم وجاء في الحديث عن اسماء بنت عميس قالت علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن عند الكرب او في الكرب الله الله ربي لا اشرك به شيئا رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واخرجه الطبراني في كتاب الدعاء

انتهى من السلاح ثم قال تعالى لنبيه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم
 المعنى يكادون من الغيظ والعداوة يزلقونه فيذهبون قدمه من مكانها ويسقطونه
 قال عياض وقد روي عن ابن عباس انه قال كل ما في القرآن كاد فهو ما لا
 يكون قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها واكاد اخفيها ولم يفعل
 انتهى ذكره اثر قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقرأ الجمهور ليزلقونك بضم الياء
 من ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل وفي هذا المعنى قول الشاعر
 يتقارضون اذا التقوا في مجلس * نظرا يزل مواطني الاقدام
 وذهب قوم من المفسرين على ان المعنى ياخذونك بالعين وقال الحسن دواء
 من اصابته العين ان يقرأ هذه الآية والذكر في الآية القرآن

﴿ تفسير سورة الحاقة وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة المراد بالحاقة القيامة وهي اسم فاعل مبن
 حق الشيء يحق لانها حقت لكل عامل عمله قال ابن عباس وغيره سميت القيامة
 حاقة لانها تدى حقائق الاشياء والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة الثانية خبر
 ما والجملة خبر الاولى وهذا كما تقول زيد ما زيد على معنى التعظيم له واهام التعظيم
 ايضا ليتخيل السامع اقصى جهده * وقوله وما ادراك ما الحاقة مبالغة في هذا
 المعنى اي ان فيها ما لم تدره من احوالها وتفاصيل صفاتها ثم ذكر تعالى تكذيب
 ثمود وعاد بهذا الامر الذي هو حق مشيرا الى ان من كذب بذلك ينزل به

ما نزل باولائك والقارعة من اسماء القيامة ايضا لانها تفرع القلوب بصدمةها * وقوله سبحانه فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية قال قتادة معناه بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة وقيل المعنى بسبب الفينة الطاغية وقيل بسبب الفعلة الطاغية وقال ابن زيد ما معناه الطاغية مصدر كالمقبة فكانه قال بطغيانهم وقاله ابو عبيدة ويقوى هذا قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها واولى الاقوال واصوبها الاول وباقي الآية تقدم تفسير نظيره وما في ذلك من القصص والعائية معناه الشديدة المخالفة فكانت الريح قد عنت على خزانها بخلافها وعلى قوم عاد بشدتها وروي عن علي وابن عباس انها قالام ينزل من السماء قطرة ماء قط الابعكيال على يد ملك ولا هبت ريح الا كذلك الا ما كان من طوفان نوح وريح عاد فان الله اذن لهما في الخروج دون اذن الخزان وحسوما قال ابن عباس وغيره معناه كاملة تباعا لم يتخللها غير ذلك وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم ومعناه ان تلك الايام قطعهم بالاهلاك ومنه حسم العلل ومنه الحسام والضمير في قوله فيها صرعى يحتمل عوده على الليالي والايام ويحتمل عوده على ديارهم وقيل على الريح (ص) ومن قبله النحويان وعاصم في رواية بكسر القاف وفتح الباء اي اجناده واهل طاعته وقرأ الباقر قبله ظرف زمان انتهى * وقوله بالخاطئة صفة لمحذوف اي بالفعللة الخاطئة والرابية النامية التي قد عظمت جدا ومنه ربا المال ومنه اهترت وربت ثم عدد تعالى على الناس نعمه في قوله انا لما طغيا الماء يعني في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح والجارية سفينة نوح قاله منذر بن سعيد والضمير في لنجعلها عائدا على الجارية او على الفعللة * وقوله تعالى وتعيها اذن واعية عبارة عن الرجل الفهم المنور القلب الذي يسمع القرآن فيتلقاه بفهم وتدبر قال ابو عمران الجوني واعية عقلت عن الله تعالى وقال الثعلبي المعنى لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن ياتي بعد تقول وعيت العلم اذا حفظته

انتهى ثم ذكر تعالى بأمر القيامة وقرأ الجمهور وحملت بتخفيف الميم بمعنى حملتها
الريح او القدرة ودكتا معناه سوي جميعها والنشاق السماء هو تفطرها وتميز
بعضها من بعض وذلك هو الوهي الذي ينالها كما يقال في الجدران البالية
المتشققة واهية والملك اسم الجنس يريد به الملائكة وقال جمهور من المفسرين
الضمير في ارجائها عائد على السماء اي الملائكة على نواحيها والرجا الجانب من
اليبر او الحائط ونحوه وقال الضحاك وابن جبير وغيرها الضمير في ارجائها عائد
على الارض وان كان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضى افهام
ذلك وفسروا هذه الآية بما روي من ان الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا
فيفقون صفا على حافات الارض ثم يأمر ملائكة السماء الثانية فيصفون خلفهم
ثم كذلك ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن او الانس وجد الارض
قد احيط بها قالوا فهذا تفسير هذه الآية وهو ايضا معنى قوله وجاء ربك
والملك صفا صفا وهو تفسير يوم التناد يوم تولون مدبرين على قراءة من شدد
الدال وهو تفسير قوله يا معشر الجن والانس الآية واختلف الناس في الثمانية
الحاملين للعرش فقال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم احد
عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية املاك على هيئة الوعول وقال جماعة من
المفسرين هم على هيئة الناس ارجلهم تحت الارض السابعة ورؤوسهم وكواهلهم
فوق السماء السابعة قال الغزالي في الدرة الفاخرة هم ثمانية املاك قدم الملك
منهم مسيرة عشرين الف سنة انتهى والضمير في قوله فوقهم قيل هو للملائكة
الحملة وقيل للعالم كله * وقوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفي
الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجندال ومعاذير
واما الثالثة فمندها تتطاير الصحف في الايدي فتأخذ بيمينه واخذ بشماله
قال الغزالي يجب على مسلم البدار الى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحا وتدارك ما فرط فيه من تقصير في فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى انتهى من «آخر الاحياء» ونقل القرطبي في تذكرته هذه الالفاظ بعينها * وقوله هاؤم اقرءوا كتابيه معناه تعالوا وقوله اقرءوا كتابيه هو استبشار وسرور (ص) هاؤم ها بمعنى خذ قال الكسائي والعرب تقول ها يا رجل وللأثنين رجلين او امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللأمرأة ها بهمة مكسورة من غير يا وللنساء هاؤن وزعم القسبي ان الهمزة بدل من الكاف وهو ضعيف الا ان يعني انها تحل محلها في لغة من قال هاك وهاك وهاكا وهاكم وهاكن فذلك ممكن لانه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها انتهى * وقوله اني ظننت اني ملاق حسابه عبارة عن ايمانه بالبعث وغيره وظننت هنا واقعة موقع تيقنت وهي في متيقن لم يقع بعد ولا خرج الى الحس وهذا هو باب الظن الذي يوقع موقع اليقين وراضية بمعنى مرضية والقطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف ودونها هوانها تأتي طوع التمني فياكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها وبما اسلفتم معناه بما قدمتم من الاعمال الصالحة والايام الحالية هي ايام الدنيا لانها في الآخرة قد خلت وذهبت وقال وكيع وغيره المراد بما اسلفتم من الصوم وعموم الآية في كل الاعمال اولى واحسن (ت) ويدل على ذلك الآية الاخرى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا مالك بن مغول انه بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او اسر لحسابكم وزنوا انفسكم قبل

ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال ان المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة انتهى والذين يوتون كتبهم بشمائلهم هم المخلدون في النار اهل الكفر فيتمنون ان لو كانوا معدومين * وقوله ياليتها كانت القاضية اشارة الى مونة الدنيا اي ليتها لم يكن بعدها رجوع (ص) ما اغنى ما نافية او استفهامية انتهى والسلطان في الآية الحجة وقيل انه ينطق بذلك ملوك الدنيا والظاهر ان سلطان كل احد حاله في الدنيا من عدد وعدد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن الرجل الرجل في سلطانه ولا يجلس على تكبرته الا باذنه * وقوله سبحانه خذوه فغلوه الآية المعنى يقول الله تعالى او الملك بامر به للزبانية خذوه واجعلوا في عنقه غلا قال ابن جريج نزلت في ابي جهل * وقوله تعالى فاسلكوه معناه ادخلوه وروي ان هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره فهي في الحقيقة التي تسلك فيه لكن الكلام جرى مجرى ادخلت القلنسوة في رأسى وروي ان هذه السلسلة تلوى حول الكافر حتى تعمه وتضعفه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك * وقوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين خصت هذه الخلعة بالذكر لانها من اضر الخلال بالبشر اذا كثرت في قوم هلك مساكينهم (ت) ونقل الفخر عن بعض الناس انه قال في قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم انه اذا كان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بمن ترك الفعل قال الفخر ودلت الآية على ان الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع

الشريعة وعن ابي الدرداء انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلطنا نصف السلسلة بالايان افلا نخلع النصف الثاني انتهى * وقوله فليس له اليوم هاهنا حميم اي صديق لطيف المودة قاله الجمهور وقيل الحميم الماء السخن فكانه تعالى اخبر ان الكافر ليس له ماء ولا شي مائع ولا طعام الا من غسلين وهو ما يجري من الجراح اذا غسلت وقال ابن عباس الغسلين هو صديق اهل النار وقال قوم الغسلين شي يجري من ضريع النار (ص) الامن غسلين ابو البقاء النون في غسلين زائدة لانه غسالة اهل النار انتهى والخاطئي الذي يفعل ضد الصواب * وقوله تعالى فلا اقسم قيل لا زائدة وقيل لارد لما تقدم من اقوال الكفار والبداءة اقسم * وقوله بما تبصرون ومالا تبصرون قال قتادة اراد الله تعالى ان يعم بهذا القسم جميع مخلوقاته والرسول الكريم قيل هو جبريل وقيل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وما هو بقول شاعر نفي سبحانه ان يكون القران من قول شاعر كما زعمت قريش وقليلنا نصب بفعل مضر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية فيتصف ايمانهم بالقلّة ويكون ايمانا لغويا لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيأ ثم اخبر سبحانه ان محمدا عليه السلام لو تقول عليه لعاقبه بما ذكر (ص) الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو جمع الجمع انتهى * وقوله سبحانه لاخذنا منه باليمين قال ابن عباس المعنى لاخذنا منه بالقوة اي لئلا منه عقابه بقوة منا وقيل معناه لاخذنا بيده اليمنى على جهة الهوان كما يقال لمن يسجن او يقام لعقوبة خذوا بيده او يمينه والوتين نياط القلب قاله ابن عباس وهو عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر فمعنى الآية لا ذهبنا حياته معجلا والحاجز المانع والضмир في قوله وانه لتذكرة عائد على القران وقيل على النبي صلى الله عليه وسلم (ص) وانه لحسرة ضمير انه

يعود على التكذيب المفهوم من مكذبين انتهى وقال الفخر الضمير في قوله وانه
 لحسرة فيه وجهان احدهما انه يعود على القراء ان اي هو على الكافرين حسرة اما
 يوم القيامة اذا رأوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا رأوا دولة المؤمنين والثاني
 قال مقاتل وان تكذيبهم بالقراء ان لحسرة عليهم يدل عليه قوله ان منكم مكذبين
 انتهى ثم امر تعالى نبيه بالتسبيح باسمه العظيم ولما نزلت قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم

تفسير سورة سأل سائل وهي مكية

بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل سأل سائل بعذاب قرأ جمهور السبعة سأل بهمزة محققة قالوا
 والمعنى دعا داع والاشارة الى من قال من قريش اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وقولهم عجل لنا قطنا ونحو ذلك وقال
 بعضهم المعنى بحث باحث واستفهم مستفهم قالوا والاشارة الى قول قريش متى
 هذا الوعد وما جرى مجراه قاله الحسن وقتادة والباء على هذا التاويل في قوله
 بعذاب بمعنى عن وقرأ نافع وابن عامر سأل سائل ساكنة الالف واختلف
 القراء بها فقال بعضهم هي سأل المهموزة الا ان الهمزة سهلت وقال بعضهم
 هي لغة من يقول سلت اسال ويتساولان وهي لغة مشهورة وقال بعضهم في
 الآية هي من سأل يسيل اذا جرى وليست من معنى السؤال قال زيد بن

ثابت وغيره في جهنم واد يسمى سائلا والاخبار هنا عنه وقرأ ابن عباس سال
 سيل بسكون اليا. وسؤال الكفار عن العذاب حسب قراءة الجماعة انما كان
 على انه كذب فوصفه الله تعالى بانزله واقع وعيدا لهم * وقوله للكافرين قال
 بعض النحاة اللام بمعنى على وروي انه كذلك في مصحف ابي على الكافرين
 والمعارض في اللغة الدرج في الاجرام وهي هنا مستعارة في الرتب والفضائل
 والصفات الحميدة قاله ابن عباس وقتادة وقال الحسن هي المراقي في السماء
 قال عياض في مشارق الانوار قوله صلى الله عليه وسلم فرج بي الى السماء اي
 ارتقي بي والمعارض الدرج وقيل سلم تخرج فيه الارواح وقيل هو احسن شيء لا
 تتمالك النفس اذا رأت ان تخرج واليه يشخص بصر الميت من حسنه وقيل هو
 الذي تصعد فيه الاعمال وقيل قوله ذى المعارج معارج الملائكة وقيل ذى
 الفواضل انتهى * وقوله تعالى تخرج الملائكة معناه تصعد والروح عند
 الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال مجاهد الروح ملائكة حفظة للملائكة
 الحافظين لبني آدم لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة وقال بعض
 المفسرين هو اسم جنس لارواح الحيوان * وقوله سبحانه في يوم كان مقداره
 خمسين الف سنة قال ابن عباس وغيره هو يوم القيامة ثم اختلفوا فقال بعضهم
 قدره في الطول قدر خمسين الف سنة وقال بعضهم بل قدره في الشدة والاول
 هو الظاهر وهو ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله
 الاجعل له صفائح من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه في يوم
 كان مقداره خمسين الف سنة قال ابو سعيد الخدري قيل يا رسول الله ما
 اطول يوما مقداره خمسون الف سنة فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على
 المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة قال ابن المبارك اخبرنا معمر
 عن قتادة عن زرارة بن اوفي عن ابي هريرة قال يقصر يومئذ على المومن حتى

يكون كوقت الصلاة انتهى قال (ع) وقد ورد في يوم القيامة انه كالف سنة وهذا يشبه ان يكون في طوائف دون طوائف (ت) قال عبد الحق في العاقبة له اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام * بل هو الاف من الاعوام * يتصرف فيه هذا الانام * على الوجوه والاقدام * حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام * وليس يكون خلاصه دفعة واحدة ولا فراغهم في مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيئاً بعد شيء لكن طول ذلك اليوم خمسون الف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم فمن الناس من يطول مقامه وجبسه الى اخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من ايام الدنيا او في ساعة من ساعاته او في اقل من ذلك ويكون رايحا في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يومر به الى الجنة بغير حساب ولا عذاب كما ان منهم من يومر به الى النار في اول الامر من غير وقوف ولا انتظار او بعد يسير من ذلك انتهى * وقوله سبحانه فاصبر صبرا جميلا امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذى قومه والصبر الجميل الذي لا يلحقه عيب ولا تشك ولا قلة رضى ولا غير ذلك والامر بالصبر الجميل محكم في كل حالة اعني لا نسخ فيه وقيل ان الآية نزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة (ت) ولو قيل هذا خطاب لجنس الانسان في شأن هول ذلك اليوم ما بعد * وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا يعنى يوم القيامة والمهل عكر الزيت قاله ابن عباس وغيره فهي لسوادها وانكدار انوارها تشبه ذلك والمهل ايضا ما اذيب من فضة ونحوها قاله ابن مسعود وغيره والمعن الصوف وقيل هو الصوف المصبوغ اي لون كان والحميم في هذا الموضع القريب والولي والمعنى ولا يستله نصرة ولا منفعة ولا يجدها عنده وقال قتادة المعنى ولا يستله عن حاله لانها ظاهرة قد بصر كل احد حالة الجميع وشغل بنفسه قال الفخر قوله

تعالى يبصرونهم تقول بصرني زيد كذا وبصرني بكذا فاذا بنيت الفعل للمفعول وحذفت الجار قلت بصرت زيدا وهـ كذا معنى يبصرونهم وكأنه لما قال ولا يستل حميم حميا قيل لعله لا يبصره فقال يبصرونهم ولكن لا اشتغالهم بانفسهم لا يتمكنون من تساؤلهم انتهى وقرأ ابن كثير بخلاف عنه ولا يستل على بناء الفعل للمفعول فالمعنى ولا يستل احضاره لان كل مجرم له سيما يعرف بها كما ان كل مومن له سيما خير والصاحبة هنا الزوجة والفصيصة هنا قرابة الرجل * وقوله تعالى كلا انها لظى رد لما ودوه اي ليس الامر كذلك ولظى طبقة من طبقات جهنم والشوى جلد الانسان وقيل جلد الرأس * تدعوا من ادبر وتولى يريد الكفار قال ابن عباس وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء ابائهم وجمع اي جمع المال واوعى جعله في الوعية اي جمعه من غير حل ومنعوه من حقوق الله وكان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله تعالى يقول وجمع فاوعى * وقوله تعالى ان الانسان عموم لاسم الجنس لكن الاشارة هنا الى الكفار والمطلع فزع واضطراب يعترى الانسان عند المخاوف وعند المطامع * وقوله تعالى اذا مسه الاية مفسر للمطلع * وقوله تعالى الا المصلين اي الا المومنين الذين امر الآخرة عليهم اوكد من امر الدنيا والمعنى ان هذا المعنى فيهم يقل لانهم يجاهدونه بالتقوى * وقوله الذين هم على صلاتهم دائمون اي مواظبون وقد قال عليه السلام احب العمل الى الله ما دام عليه صاحبه (ت) وقد تقدم في سورة قد افلح ما جاء في الخشوع قال الغزالي فينبغي لك ان تفهم ما تقرأه في صلاتك ولا تغفل في قراءتك عن امره سبحانه ونهيه ووعدده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعدة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق ذكر اخبار الانبياء قال الغزالي

وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر فهذا حق القراءة وهو حق الازكار والتسيجات ايضا ثم يراعى الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ليسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آيات الرحمة وآيات العذاب والوعد والوعيد والتحميم والتعظيم انتهى من الاحياء وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا ابن لميعة عن يزيد بن ابي حبيب ان ابا الخير حدثه قال سألنا عقبة بن عامر الجهني عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه الذي اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه انتهى * وقوله سبحانه والذين في اموالهم حق معلوم قال ابن عباس وغيره هذه الآية في الحقوق التي في المال سوى الزكاة وهي ما نذبت اليه الشريعة من المواساة وهذا هو الاصح في هذه الآية لان السورة مكية وفرض الزكاة وبيانها انما كان بالمدينة وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله سبحانه والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون جمع الامانة من حيث انها متنوعة في الاموال والاسرار وفيما بين العبد وربيه فيما امر به ونهاه عنه والعهد كل ما تقلده الانسان من قول او فعل او مودة اذا كانت هذه الاشياء على منهاج الشريعة فهو عهد ينبغي رعيه وحفظه * وقوله سبحانه والذين هم بشهادتهم قائمون معناه في قول جماعة من المفسرين انهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتقنوننه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد وقال اخرون معناه الذين اذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا بدرس او حرمة لله تنتهك قاموا لله بشهادتهم * وقوله تعالى فما للذين كفروا بقلك معطمين الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند الكعبة احيانا ويقرأ القرآن فكان كثير من الكفار يقومون من

مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بمضهم لبعض شاعر وكاهن
ومفتر وغير ذلك وقبلك معناه فيما يليك والمهبط الذي يمشى مسرعا الى شيء
قد اقبل ببصره عليه وعزيرين جمع عزة والعزة الجمع اليسير كانهم كانوا ثلاثة
ثلاثة واربعة اربعة وفي حديث ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على
اصحابه وهم حلق متفرون فقال ما لي اراكم عزيرين * وقوله تعالى ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم تزلت لان بعض الكفار قال ان كانت ثمرة اخرة
وجنة فحقن اهلها لان الله تعالى لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك
الارضاه عنا * وقوله تعالى كلا رد لقولهم وطهمهم اي ليس الامر كذلك ثم
اخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قدرة واحال في العبارة على علم الناس اي فمن
خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطى الجنة بل بالايمان والاعمال الصالحة
وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا مالك بن مغول قال سمعت ابا ربيعة
يحدث عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمكم يجب ان يدخل
الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداؤك قال فاقصروا من الامل وثبتوا اجالكم بين ابصاركم
واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس
كذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلى ولا تنسوا الجوف
وما وعى ولا تنسوا الرأس وما حوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة
الدنيا هنالك استحيى العبد من الله هنالك اصاب ولاية الله انتهى وقد روينا
اكثر هذا الحديث من طريق ابي عيسى الترمذي وباقي الآيات تقدم تفسير
نظيره والاجداث القبور والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه
من علم او بناء وقال ابو العالية الى نصب يوفضون معناه الى غايات يستبقون
ويوفضون معناه يسرعون وخاشعة اي ذليلة منكسرة

تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم هذا العذب الذي توعدوا به الاظهر انه عذاب الدنيا ويحتمل ان يكون عذاب الآخرة * وقوله من ذنوبكم قال قوم من زائدة وهذا نحو كوفي واما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادة من في الموجب وقال قوم هي للتبويض قال (ع) وهذا القول عندى ابين الاقوال هنا وذلك انه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن ايمانهم والاسلام انما يجب ما قبله * وقوله سبحانه ويؤخركم الى اجل مسمى كان نوحا عليه السلام قال لهم امنوا بين لنا انكم ممن قضي له بالايمان والتاخير وان بقيتم على كفركم فسيبين انكم ممن قضي عليه بالكفر والمماجلة ثم تبين هذا المعنى ولاح بقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وجواب لو مقدر يقتضيه المعنى كانه قال فما كان احزمكم او اسرعكم الى التوبة لو كنتم تعلمون * وقوله تعالى قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآية هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بمد طول عمره وياسه من قومه * واستغشوا ثيابهم معناه جعلوها اغشية على رؤوسهم * وقوله يرسل السماء الآية روي ان قوم نوح كانوا قد اصابتهم قحوط وازمة فلذلك بدأهم فى وعده بامر المطر ومداراه من الدر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق

مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه ابو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه ولفظ النسائي من اكثر من الاستغفار انتهى من السلاح * وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابو عبيدة وغيره ترجون معناه تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة فكان الكلام على هذا التاويل وعيد وتخويف وقال بعض العلماء ترجون على بابها وكأنه قال ما لكم لا تجملون رجاءكم لله ووقارا يكون على هذا التاويل منهم كانه يقول تؤدة منكم وتمكننا في النظر * وقوله وقد خلقكم اطوارا قال ابن عباس وغيره هي اشارة الى التدريج الذي للانسان في بطن امه وقال جماعة هي اشارة الى العبرة في اختلاف خلق الوان الناس وخلقهم ومللهم والاطوار الاحوال المختلفة * وقوله سبحانه وجعل القمر فيهن نورا الآية قال عبد الله بن عمرو بن العاصي وابن عباس ان الشمس والقمر اقفاؤهما الى الارض واقبال نورهما وارتفاعه في السماء وهذا الذي يقتضيه لفظ السراج * وانبتكم من الارض استعارة من حيث خلق آدم عليه السلام من الارض * ونباتا مصدر جاء على غير الصدر التقدير فنبتم نباتا والاعادة فيها بالدفن والاخراج هو بالبعث وظاهر الآية ان الارض بسيطة غير كرية واعتقاد احد الامرين غير قاذح في الشرع بنفسه اللهم الا ان يترتب على القول بالكرية نظر فاسد واما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى وهو الذي لا يلحق عنه فساد البتة واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال لو كانت الارض كرية لما استقر الماء عليها والسبل الطرق والفجاج الواسعة وقول نوح واتبعوا من لم يزده ماله الآية المعنى اتبعوا اشرافهم وغواتهم وخسارا منه خسارانا وكبارا بناء مبالغة نحو حسان وقرني شاذا كبارا بكسر الكاف قال ابن الانباري جمع كبير * وودا وما عطف عليه اسماء اصنام وروى البخاري وغيره عن ابن عباس انها كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا

اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا
وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك وتَسَخَّ العلمُ عُبِدَتْ
قال ابن عباس ثم صارت هذه الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد انتهى *
وقوله وقد اضلوا كثيرا هو اخبار نوح عن الاشراف ثم دعا الله عليهم ان لا
يزيدهم الاضلالا وقال الحسن اراد بقوله وقد اضلوا الاصنام المذكورة *
وقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا ابتداء اخبار من الله تعالى لمحمد عليه السلام
وما فى قوله مما زائدة فكانه قال من خطيئاتهم وهي لابتداء الفاية (ص) مما
خطيئاتهم من السبب (ع) لابتداء الفاية وما زائدة للتوكيد انتهى فادخلونا ناراً
يعنى جهنم وقول نوح رب لا تذرعلى الارض من الكافرين ديارا قال قتادة
وغيره لم يدع نوح بهذه الدعوة الا من بعد ان اوحى اليه انه لن يوم من
قومك الا من قد آمن وديارا اصله ديوار من الدوران اي من يحجي ويذهب *
وقوله رب اغفرلى ولوالدي قال ابن عباس لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين ادم
عليه السلام وقرأ ابي بن كعب ولا بوي وبيته المسجد فيما قاله ابن عباس
وجمهور المفسرين وقال ابن عباس ايضا بيته شريعته ودينه استعار لها بيتا كما
يقال قبة الاسلام وفسطاط الدين وقيل اراد سفينته * وقوله وللمومنين والمومنات
تعميم بالدعاء لمومنى كل امة وقال بعض العلماء ان الذى استجاب لنوح عليه
السلام فانغرق بدعوته اهل الارض الكفار لجدد ان يستجيب له فيرحم بدعوته
المومنين والتبار الهلاك

﴿ تفسير سورة الجن وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن هؤلاء نفر من الجن هم الذين صادفوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ببطن نخلة في صلاة الصبح وقد تقدم قصصهم في سورة الاحقاف وقول الجن انا سمعنا الآيات هو خطاب منهم لقومهم * وقرأنا عجباً معناه ذا عجب لان العجب مصدر يقع من سامع القرآن لبراءته وفصاحته ومضمنااته * وقوله وانه تعالى جد ربنا قال الجمهور معناه عظمة ربنا وروي عن انس انه قال كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد في اعيننا اي عظم وعن الحسن جد ربنا غناه وقال مجاهد ذكره وقال بعضهم جلالة ومن فتح الالف من قوله وانه تعالى اختلفوا في تاويل ذلك فقال بعضهم هو عطف على انه استمع فيجيء على هذا قوله تعالى وانه تعالى مما امر ان يقول النبي انه اوحى اليه وليس هو من كلام الجن وفي هذا قلق وقال بعضهم بل هو عطف على الضمير في به كانه يقول فثامنا به وبانه تعالى وهذا القول ابين في المعنى لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض وذلك لا يحسن (ت) بل هو حسن اذ قد اتى في النظم والنثر الصحيح مثبثاً وقرأ عكرمة تعالى جد ربنا بفتح الجيم وضم الدال وتنوينه ورفع الرب كانه يقول تعالى عظيم هو ربنا وربنا بدل والجد العظيم في اللغة وقرأ ابو الدرداء تعالى ذكر ربنا وروي عنه تعالى جلال ربنا * وقوله تعالى وانه كان يقول سفيهاً لا خلاف ان هذا من قول الجن والسفيه المذكور قال جمهور

من المفسرين هو ابليس لعنه الله وقال : اخرون هو اسم جنس لكل سفیه منهم ولا محالة ان ابليس صدر في السفاهة وهذا القول احسن والشطط التعدي وتجاوز الحد بقول او فعل (ص) شططا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي قولاً شططاً انتهى ثم قال اولائك النفر وانا ظننا قبل ايماننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذباً في جهة الالوهية وما يتعلق بذلك * وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون رجال من الجن الآية من القراء من كسر الهمزة من انه ومنهم من فتحها والكسر اوجه والمعنى في الآية ما كانت العرب تفعله في اسفارها من ان الرجل اذا اراد المبيت بواد صاح باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني اعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد بذلك ان الجن يحميه ويمنعه قال قتادة فكانت الجن تحتقر بنى ءادم وترذريهم لما ترى من جهلهم فكانوا يزيدونهم مخافة ويتعرضون للتخيل لهم ويفنونهم في ارادتهم فهذا هو الرهق الذى زادته الجن بنى ءادم وقال مجاهد وغيره بنو ءادم هم الذين زادوا الجن رهقا وهي الجراءة والطفيان وقد فسر قوم الرهق بالاثم * وقوله وانهم ظنوا يريد به بنى ءادم * وقوله كما ظننتم مخاطبة لقومهم من الجن وقولهم ان لن يبعث الله احداً يحتمل معنيين احدهما بعث الحشر من القبور والاخر بعث ءادمي رسولا وذكرا المهدي تاويلاً ثالثاً ان المعنى وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الانس فهي مخاطبة من الله تعالى قال الثعلبي وقيل ان قوله وانه كان رجال من الانس الآية ابتداء اخبار من الله تعالى ليس هو من كلام الجن انتهى فهو وفاق لما ذكره المهدي وقولهم وانا لمسنا السماء قال جمهور المتأولين معناه التمسنا والشهب ككواكب الرجم والحرس يحتمل ان يريد الرمي بالشهب وكرر المعنى بلفظ مختلف ويحتمل ان يريد الملائكة ومقاعد جمع مقعد وقد تقدم بيان ذلك في سورة الحجر وقولهم فن يستمع الآن الآية قطع على ان كل من استمع الآن احرقه شهاب

فليس هنا بعد سمع اما الاحراق عند الاستماع وهذا يقتضى ان الرجم كان في الجاهلية ولكنه لم يكن بمستاصل فلما جاء الاسلام اشتد الامر حتى لم يكن فيه ولا يسير سماحة ورصدا نعت لشهاب ووصفه بالمصدر وقولهم وانا لاندري اشر اريد بن في الارض الآية معناه لاندري ايومن الناس بهذا النبي فيرشدوا ام يكفرون به فينزل بهم الشر وعبارة الثعلبي وانا لاندري اشر اريد بن في الارض حين حرست السماء ومنعنا السمع ام اراد بهم ربهم رشدا انتهى * وقولهم وانا منا الصالحون الى اخر قولهم ومنا القاسطون هو من قول الجن وقولهم ومنا دون ذلك اي غير صالحين (ص) دون ذلك قيل بمعنى غير ذلك وقيل دون ذلك في الصلاح فدون في موضع الصفة لمحدوف اي ومنا قوم دون ذلك انتهى والطرائق السير المختلفة والقدد كذلك هي الاشياء المختلفة كانه قد قد بعضها من بعض وفصل قال ابن عباس وغيره طرائق قددا اهواء مختلفة وقولهم وانا ظننا اي تيقنا فالظن هنا بمعنى العلم ان لن نعجز الله في الارض الآية وهذا اخبار منهم عن حالهم بعد ايمانهم بما سمعوا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والهدى يريدون به القرآن والبخس النقص والرهق تحميل ما لا يطاق وما يثقل قال ابن عباس البخس نقص الحسنات والرهق الزيادة في السيئات * وقوله تعالى فمن اسلم فازلائك تحروا رشدا الوجه فيه ان يكون مخاطبة من الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ويؤيده ما بعده من الايات وتحروا معناه طلبوا باجتهادهم * وقوله سبحانه وان لو استقاموا على الطريقة الآية قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير الضمير في قوله استقاموا عائد على القاسطين والمعنى لو استقاموا على طريقة الاسلام والحق لا نعمنا عليهم وهذا المعنى نحو قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الآية الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم والقاسط الظالم والماء الغدق هو الماء الكثير

ولنفقنتهم معناه لنختبرهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكون الماء فثم المال وحيث المال فثم الفتنة وزرع بهذه الآية وقال الحسن وجماعة من التابعين كانت الصحابة رضي الله عنهم سامعين مطيعين فلما فتحت كنوز كسرى وقصر على الناس ثارت الفتن ونسلكه ندخله وصعدا معناه شاقا وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري صعدا جبل في النار وان المساجد لله قيل اراد البيوت التي للعبادة والصلاة في كل ملة وقال الحسن اراد بها كل موضع يسجد فيه اذ الارض كلها جعلت مسجدا لهذه الامة وروي ان هذه الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة حينئذ فقبل للنبي صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت قال (ع) والمساجد المخصوصة بينة التمكن في كونها لله تعالى فيصلح ان تفرد للعبادة وكل ما هو خالص لله تعالى وان لا يتحدث بها في امور الدنيا ولا يجعل فيها لغير الله نصيب * وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله بمحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى ومحتمل ان يكون اخبارا عن الجن وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في كادوا محتمل ان يكون لكفار قريش وغيرهم في اجتماعهم على رد امره صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للجن والمعنى انهم كادوا يتقصفون عليه لاستماع القرآن وقال ابن جبير معنى الآية انها قول الجن لقومهم يحكون لهم والعبد محمد عليه السلام والضمير في كادوا لاصحابه الذين يطيعون له ويقتدون به في الصلاة فهم عليه لبد والبد الجماعات شبهت بالشيء المتبدل وقال البخاري قال ابن عباس لبداء اعوانا انتهى ويدعوه معناه يعبده وقيل عبد الله في الآية المراد به نوح وقرأ جمهور السبعة قال انما ادعوا ربي وقرأ حمزة وعاصم وابو عمرو بخلاف عنه قل ثم امر الله تعالى محمدا عليه السلام بالتبري من القدرة وانه لا يملك لاحد ضرا ولا نفعا والمتحد الملجأ الذي يمال اليه ومنه الاحاد وهو الميل * وقوله الابلاغ قال قتادة التقدير لا املك

الا بلاغا اليكم فاما الايمان او الكفر فلا املكه وقال الحسن ما معناه انه استثناء
 منقطع والمعنى لن يجيرني من الله احد الا بلاغا فاني ان بلغت رحماني بذلك اي
 بسبب ذلك * وقوله تعالى ومن يمص الله يريد بالكفر بدليل تايد الخلود *
 وقوله تعالى قل ان ادرى اقريب ما توعدون يعني عذابهم الذي وعدوا به والامد
 المدة والغاية * وقوله تعالى الا من ارتضى من رسول معناه فانه يظهره على ما
 شاء مما هو قليل من كثير ثم يثبت تعالى حول ذلك الملك الرسول حفظة رصد
 لا بليس وحزبه من الجن والانس * وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا الآية قال
 ابن جبير ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه
 قد ابلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد معناه ليعلم من كذب او اشرك ان الرسل
 قد بلغت وقيل المعنى ليعلم الله تعالى رسله مبلغة خارجة الى الوجود لان علمه
 بكل شيء قد تقدم والضمير في احاط واحصى لله سبحانه لا غير

تفسير سورة المزمل وهي مكية في قول الجمهور

الاقوله ان ربك يعلم الى آخر السورة فمدني وقال جماعة هي مكية كلها

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها المزمل نداء للنبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي المزمل
 اسم مشتق من حالته التي كان عليها عليه السلام حين الخطاب وكذلك المدثر
 وفي خطابه بهذا الاسم فاندتان احدهما الملائفة فان العرب اذا قصدت

ملاطفة المخاطب وترك معاتبته سموه باسم مشتق من حالته كقوله عليه السلام
لعلي حين غاضب فاطمة قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له
والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه
لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل
واقصف بتلك الصفة انتهى والتزمل الالتفاف في الثياب قال جمهور المفسرين
وهو في البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك في غار حراء
وحاوره بما حاوره به رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فقال
زملوني زملوني فنزلت يا ايها المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمّل * وقوله
تعالى قم الليل الا قليلا قال جمهور العلماء هو امر ندب وقيل كان فرضا وقت
نزول الآية وقال بعضهم كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وبقي
كذلك حتى توفي وقيل غير هذا * وقوله تعالى نصفه يحتمل ان يكون بدلا
من قوله قليلا (ص) الا قليلا استثناء من الليل ونصفه قيل بدل من الليل وعلى
هذا يكون استثناء الا قليلا منه اي قم نصف الليل الا قليلا منه والضمير في
قوله او انقص منه او زد عليه عائد على النصف وقيل نصفه بدل من قوله الا
قليلا قال ابو البقاء وهو اشبه بظاهر الآية انتهى قال (ع) وكيف ما تقلب
المعنى فانه امر بقيام نصف الليل او اكثر شيئا او اقل شيئا فالاكثر عند العلماء
لا يريد على الثلثين والاقل لا ينحط عن الثلث ويقوى هذا حديث ابن عباس
في مبيته في بيت ميمونة قال فلما انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ع) ويلزم على هذا البدل الذي ذكرناه
ان يكون نصف الليل قد وقع عليه الوصف بقليل وقد يحتمل عندي قوله الا
قليلا ان يكون استثناء من القيام فنجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي
الا الليالي التي تخل بقيامها لمذر وهذا النظر يحسن مع القول بالندب جدا

قال (ص) وهذا النظر خلاف ظاهر الآية انتهى والضمير في منه وعليه عائدان على النصف * وقوله سبحانه ورتل معناه في اللغة تمهل وفرق بين الحروف لتبين والمقصد ان يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة قال ابن كيسان المراد تفهمه تاليا له وروي في صحيح الحديث ان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بينة مترسلة لو شاء احد ان يمد الحروف لعدّها قال الغزالي في الاحياء واعلم ان الترتيل والتؤدة اقرب الى التوقير والاحترام واشد تأثيرا في القلب من الهدرمة والاستعجال والمقصود من القراءة التفكير والترتيل معين عليه وللناس عادات مختلفة في الختم واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليها تمنع الترتيل المطلوب وقد كره جماعة الختم في يوم وليلة والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان التالى من العباد السالكين طريق العمل فلا ينبغي له ان ينقص من ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على ختمة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفى في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة التريد والتأمل انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه قال حدثنا اسماعيل عن ابي المتوكل الناجي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة بناية من القرآن يكررها على نفسه انتهى * وقوله تعالى انا سنلق عليك قولا ثقيلا يعنى القرآن واختلف لم سماه ثقيلا فقال جماعة من المفسرين لما كان يحل برسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقل الجسم حتى انه كان اذا اوحى اليه وهو على ناقته بركت به وحتى كادت فخذنه ان ترض فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه وقيل لثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعدده

ووعيده ونحو ذلك وقال حذاق العلماء معناه ثقل المعاني من الامر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ومزاولة الاعمال الصالحات دائماً قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقل (ت) والصواب عندي ان يقال اما ثقله باعتبار النبي صلى الله عليه وسلم فهو ما كان يجده عليه السلام من الثقل المحسوس واما ثقله باعتبار سائر الامة فهو ما ذكر من ثقل المعاني وقد زجر مالك سائلاً سألته عن مسألة وقال يا ابا عبد الله انها مسألة خفيفة فغضب مالك وقال ليس في العلم خفيف اما سمعت قول الله تعالى انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً فالعلم كله ثقل انتهى من المدارك لعياض * وقوله سبحانه ان ناشئة الليل قال ابن جبير وغيره هي لفظة حبشية نشأ الرجل اذا قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم واشد وطأ معناه ثبوتاً واستقلالاً بالقيام وقرأ ابو عمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير وغيرهم وطأ بكسر الواو ممدوداً على وزن فمال على معنى المواطأة والموافقة وهو ان يواطئ قلبه لسانه والمواطأة هي الموافقة فهذه مواطأة صحيحة لخلو البال من اشغال النهار وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال جماعة ناشئة الليل ساعاته كلها لانها تنشأ شيئاً بعد شيء وقيل في تفسير ناشئة الليل غير هذا وقرأ انس بن مالك واصوب قياً فقليل له انما هو اقوم فقال اقوم واصوب واحد * وقوله تعالى ان لك في النهار سبعا طويلاً اي تصرفاً وتردداً في امورك ومنه السباحة في الماء وتبتل معناه انقطع اليه انقطاعاً هذا لفظ ابن عطاء على ما ثقله الثعلبي انتهى واما (ع) فقال معناه انقطع من كل شيء الا منه وافزع اليه قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا ومنه بتل الحبل وتبتلاً مصدر على غير المصدر قال ابو حيان وحسنه كونه فاصلة انتهى قال ابن العربي في احكامه فالتبتل المأمور به في الآية الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة وهو اختيار

البخاري والتبلى المنهي عنه في الحديث هو سلوك مسلك النصارى في ترك
النكاح والترهب فى الصوامع انتهى والوكيل القائم بالامر الذى توكل اليه
الاشياء * وقوله واهجرهم هجرا جميلا منسوخ بناية السيف * وقوله
سبحانه وذرنى والمكذبين اولى النعمة الآية وعيد بين والمعنى لا تشغل بهم
فكرك وكلهم الى والنعمة غضارة العيش وكثرة المال والمشار اليهم كفار قریش
اصحاب القليب ببدر ولدينا بمنزلة عندنا والانكال جمع نكل وهو القيد من
الحديد ويروى انها قيود سود من النار والطعام ذو الفصة شجرة الزقوم قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عباس شوك من نار يعترض فى حلوقهم وكل مطعموم
هنالك فهو ذو غصة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصمق
والرجفان الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول والمهيل اللين الرخو الذى
يذهب بالريح وقال البخاري كشيئا مهيلا رملا سائلا انتهى * وقوله تعالى
انا ارسلنا اليك الآية خطاب للعالم لكن المواجهون قریش وشاهدا عليهم نحو
قوله وجئناك على هؤلاء شهيدا والوبيل الشديد الردى * وقوله تعالى فكيف
تتقون معناه كيف تجملون وقاية لانفسكم ويوما مفعول بتتقون وقيل هو مفعول
بكفرتم ويكون كفرتم بمعنى جحدتم فتتقون على هذا من التقوى اى تتقون
عذاب الله ويجوز ان يكون يوما ظرفا والمعنى تتقون عقاب الله يوما وعبرة
العلبي فكيف تتقون ان كفرتم اى كيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب
فيه الطفل لهوله ان كفرتم ثم ذكر نحو ما تقدم انتهى وحكى (ص) عن بعض
الناس جواز ان يكون يوما ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة ان
كفرتم فى الدنيا (ت) وهذا هو مراد (ع) قال ابو حيان وشيئا مفعول ثان
ليجمل وهو جمع اشيب انتهى * وقوله تعالى السماء منفطر به اى ذات انفطار
والانفطار التصدع والانشقاق والضمير فى به قال منذر وغيره عائد على اليوم

وكذا قال (ص) ان ضمير به يعود على اليوم والباء سببية او ظرفية انتهى
وفي صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو وذكر صلى الله عليه وسلم بمث
النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال
فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق الحديث انتهى
وقيل عائد على الله اي منفطر بامرہ وقدرته والضمير في قوله وعده الظاهر انه
يعود على الله تعالى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة الآية الاشارة بهذه تحتل
الى ما ذكر من الانكال والجحيم والاخذ الوبيل وتحتل ان تكون الى السورة
يحملها وتحتل ان تكون الى آيات القرآن ان يحملها * وقوله سبحانه فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا ليس معناه اباحة الامر وضده بل الكلام يتضمن الوعد
والوعيد والسبيل هنا سبيل الخير والطاعة * وقوله سبحانه ان ربك يعلم انك
تقوم الآية المعنى ان الله تعالى يعلم انك تقوم انت وغيرك من امتك قياما
مختلفا مرة يكثر ومرة يقل ومرة ادنى من الثلاثين ومرة ادنى من النصف ومرة
ادنى من الثلث وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير
الزمان حقيقة انما هو لله تعالى واما البشر فلا يحصى ذلك فتاب الله عليهم اي
رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقراءة ما تيسر ونحو هذا تمطى عبارة
الفراء ومنذر فانها قالوا تحصوه تحفظوه وهذا التاويل هو على قراءة الخفض
عظفا على الثلاثين وهي قراءة ابي عمرو ونافع وابن عامر واما من قرأ ونصفه
وثلثه بالنصب عظفا على ادنى وهي قراءة باقي السبعة فالمعنى عندهم ان الله
تعالى قد علم انهم يقدررون الزمان على نحو ما امر به تعالى في قوله نصفه او
انقص منه قليلا او زد عليه فلم يبق الا قوله ان لن تحصوه فمعناه لن يطبقوا
قيامه لكثيرته وشدته فخفض الله عنهم فضلا منه لالة جهلهم بالتقدير واحصاء
الافاق ونحو هذا تمطى عبارة الحسن وابن جبير فانها قالوا تحصوه تطبقوه

وعبارة الثعلبي ومن قرأ بالنصب فالمعنى وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو الاشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلاثين ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير اقل من القلة انتهى ولو عبر الفراء بالارجح لكان احسن ادبا وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تمار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي اودعا استجيب له فان توطأ ثم صلى قبلت صلاته رواه الجماعة الا مسلما وتعار بتشديد الراء معناه استيقظ انتهى من السلاح * وقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن قال الثعلبي اي ما خف وسهل بغير مقدار من القراءة والمدة وقيل المعنى فصلوا ما تيسر فعبّر بالقراءة عنها (ت) وهذا هو الاصح عند ابن العربي انتهى قال (ع) قوله فاقروا ما تيسر من القرآن هو امر ندب في قول الجمهور وقال جماعة هو فرض لا بد منه ولو خمسين آية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة الا ان الحسن قال من قرأ مائة آية لم يحاجه القرآن واستحسن هذا جماعة من العلماء قال بعضهم والركعتان بعد العشاء مع الوتر داخلتان في امتثال هذا الامر ومن زاد زاده الله ثوابا (ت) ينبغي للعاقل المبادرة الى تحصيل الخيرات قبل هجوم صولة المات قال الباجي في سنن الصالحين له قالت بنت الربيع بن خثيم لابيها يا ابت ما لي ارى الناس ينامون وانت لاتنام قال ان اباك يخاف البيات قال الباجي رحمه الله تعالى ولى في هذا المعنى

قد افلح القانت في جنح الدجى * يتلو الكتاب العربي النيرا
فقاٹا وراكما وساجدا * مبتهلا مستعبرا مستغفرا
له حنين وشهيق وبكا * يبل من ادمعه ترب الشرى

انا لسفر نبتنى نيل الهدى * ففي السرى بغيتنا لا فى الكرا
 من ينصب الليل ينل راحته * عند الصباح يحمد القوم السرى
 انتهى والضرب فى الارض هو السفر للتجارة ابتغاء فضل الله سبحانه فذكر
 الله سبحانه اعذار بنى ادم التى هي حائلة بينهم وبين قيام الليل ثم كرر
 سبحانه الامر بقراءة ما تيسر منه تأكيدا والصلاة والزكاة هنا هما المفروضتان
 فمن قال ان القيام من الليل غير واجب قال معنى الآية خذوا من هذا النفل بما
 تيسر وحافظوا على فرائضكم ومن قال ان شياً من القيام واجب قال قد قرنه الله
 بالفرائض لانه فرض واقراض الله تعالى هو اسلاف العمل الصالح عنده وقرأ
 جمهور الناس هو خيراً على ان يكون هو فصلاً قال بعض العلماء الاستغفار بعد
 الصلاة مستنبط من هذه الآية ومن قوله تعالى كانوا قليلاً من الليل ما
 يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال (ع) وعهدت ابى رحمه الله يستغفر الله
 اثر كل مكتوبة ثلاثاً بعقب السلام ويأثر فى ذلك حديثاً فكان هذا الاستغفار
 من التقصير وتقلب الفكر اثناء الصلاة وكان السلف الصالح يصلون الى
 طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار (ت) وما ذكره (ع) رحمه الله عن ابيه رواه
 مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ثوبان قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال اللهم انت السلام
 ومنك السلام تباركت ذا الجلال والاكرام قال الوليد فقلت للاوزاعي كيف
 الاستغفار قال تقول استغفر الله استغفر الله استغفر الله وفى رواية لمسلم من
 حديث عائشة يا ذا الجلال والاكرام انتهى من سلاح المومن

﴿ تفسير سورة المدثر وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر الآية اختلف في اول ما نزل من القرآن فقال الجمهور هو اقرأ باسم ربك وهذا هو الاصح وقال جابر وجماعة هو يا ايها المدثر (ص) والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار انتهى *

وقوله تعالى قم فانذر بعثة عامة الى جميع الخلق * وربك فكبر اي فعظم *

وثيابك فطهر قال ابن زيد وجماعة هو امر بتطهير الثياب حقيقة وذهب الشافعي وغيره من هذه الآية الى وجوب غسل النجاسات من الثياب وقال الجمهور هذه الالفاظ استعارة فى تنقية الافعال والنفس والعرض وهذا كما تقول فلان طاهر الثوب ويقال للفاجر دنس الثوب قال ابن العربي فى احكامه والذى يقول انها الثياب المجازية اكثر وكثيرا ما تستعمله العرب قال ابو كبشة

ثياب بنى عوف طهارى نقية * واوجههم عند المشاهد غرآن

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدنات وقال غيلان بن سلمة الثقفي

فانى بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

وليس يمتنع ان تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز على ما بيناه فى اصول الفقه واذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنس وتقصير الذيل اتقى لثوبه واتقى لربه والمعنى الثانى غسلها من النجاسة فهو ظاهر منها صحيح فيها انتهى قال الشيخ ابو

الحسن الشاذلي رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا علي طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله في كل نفس فقلت وما ثيابي يا رسول الله فقال ان الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن احب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً ومن آمن بالله آمن من كل شيء ومن اسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه واذا اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر انتهى من التنوير لابن عطاء الله * والرجز يعني الاصنام والاوثان وقال ابن عباس الرجز السخط يعني اهجر ما يؤدي اليه ويوجبه واختلف في معنى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فقال ابن عباس وجماعة معناه لا تعط عطاء لتمطى اكثر منه فكانه من قولهم من اذا اعطى قال الضحاك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لامته لكن لا اجر لهم فيه وقال الحسن بن ابي الحسن معناه ولا تمنن على الله يحدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب قال (ع) وهذا من المن الذي هو تمديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه ولا تضعف تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة وتستكثر من الخير وهذا من قولهم حبل منين اي ضعيف * ولربك فاصبر اي لوجه ربك وطلب رضاه فاصبر على اذى الكفار وعلى العبادة وعن الشهوات وعلى تكاليف النبوة قال ابن زيد وعلى حرب الاحمر والاسود ولقد حمل امرا عظيما صلى الله عليه وسلم والناقور الذي ينفخ فيه وهو الصور قاله ابن عباس وعكرمة وهو فاعول من النقر قال ابو حباب القصاب أمنا زُرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خرميتا قال الفخر قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير اي على الكافرين لانهم يناقشون غير يسير اي بل كثير شديد فاما المومنون فانه عليهم يسير لانهم لا يناقشون قال ابن عباس ولما قال تعالى على الكافرين غير

يسير دل على انه يسير على المؤمنين وهذا هو دليل الخطاب ويحتمل ان يكون انما وصفه تعالى بالمسر لانه في نفسه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين الا انه يكون هول الكفار فيه اكثر واشد وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله يوم عسير انتهى * وقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا الآية لا خلاف بين المفسرين ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي فروي انه كان يلقب الوحيد اي لانه لا نظير له في ماله وشرفه في بيته فذكر الوحيد في جملة النعم التي اعطي وان لم يثبت هذا فقوله تعالى خلقت وحيدا معناه منفردا قليلا ذليلا والمال المدود قال مجاهد وابن جبير هو الف دينار وقال سفيان بلغني انه اربعة الاف وقاله قتادة وقيل عشرة الاف دينار قال (ع) وهذا مد في العدد وقال عمر بن الخطاب المال المدود الربيع المستغل مشاهرة * وبنين شهودا اي حضورا قيل عشرة وقيل ثلاثة عشر قال الثعلبي اسلم منهم ثلاثة خالد بن الوليد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بمد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك انتهى * ومهدت له تمهيدا قال سفيان المعنى بسطت له العيش بسطا * وقوله تعالى كلا ردع وزجر له على امنيته وارهقه معناه اكلفه بمشقة وعسر وصمود عقبة في نار جهنم روى ذلك ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم يمود والصعود في اللغة العقبة الشاقة * وقوله تعالى مخبرا عن الوليد انه فكر وقدر الآية روى جمهور من المفسرين ان الوليد سمع من القران ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام وقال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا هو من كلام الجن ان له خللاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلم وما يعلم فقلت قريش صبا الوليد والله لتصبأ قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فخاجه

ابو جهل وجماعة حتى غضب الوليد وقال ترمعون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه
يخفق قط قالوا لا قال ترمعون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا لا قال
ترمعون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا لا قال ترمعون انه كذاب فهل
جربتم عليه شيأ من الكذب قط قالوا لا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين لصدقه
فقلت قريش ما عندك فيه فتفكر في نفسه فقال ما ارى فيه شيأ مما ذكرتموه
فقالوا هو ساحر فقال اما هذا فيشبه والفاظ الرواة هنا متقاربة المعاني من
رواية الزهري وغيره * وقوله تعالى فقتل كيف قدر قال الثعلبي وغيره قتل
معناه لعن انتهى * وبسر اي قطب ما بين عينيه واربد وجهه ثم ادبر عن
الهدى بعد ان اقبل اليه وقال ان هذا الاسحر يوثر اي يروى اي يرويه محمد
عن غيره * وسقري الدرك السادس من النار لا تبقى على من القى فيها ولا
تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه * وقوله تعالى لواحة لبشر قال ابن عباس
وجهور الناس معناه مغيرة للبشرات ومحركة للجلود مسودة لها فالبشر جمع بشرة
وقال الحسن وابن كيسان لواحة بناء مبالغة من لاح يلوح اذا ظهر فالعنى انها
تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمسمائة عام وذلك لعظمها وهولها
وزفيرها * وقوله تعالى عليها تسعة عشر لا خلاف بين العلماء انهم خزنة جهنم
المحيطون بامرها الذين اليهم جماع امر زبائنها وروي ان قريشا لما سمعت هذا
كثر لغتهم فيه وقالوا ولو كان هذا حقا فان هذا العدد قليل وقال ابو جهل
هؤلاء تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان افيعجز عشرة منا عن رجل منهم
الى غير هذا من اقوالهم السخيفة * وقوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة تبين لفساد اقوال قريش اي انا جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من
الناس بهم وجعلنا عدتهم هذا القدر فتنة للكفار ليقع منهم من التعاطى والطمع
في المغالبة ما وقع وليستيقن اهل الكتاب التوراة والانجيل ان هذا القرآن من

عند الله اذهم يجدون هذه العدة في كتبهم المنزلة قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وبورود الحقائق من عند الله عز وجل يزداد كل ذى ايمان ايمانا ويزول الريب عن المصدقين من اهل الكتاب ومن المؤمنين * وقوله سبحانه وليقول الذين في قلوبهم مرض الآية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق او الكافراي حاروا ولم يهتدوا لمقصد الحق فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله بهذا المثل استبعادا ان يكون هذا من عند الله قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الايمان ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اعلاما بان الامر فوق ما يتوهم وان الخبر انما هو عن بعض القدرة لا عن كلها (ت) صوابه ان يقول عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده الاتراه قال في قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه قال يعنى شيء من معلوماته لان علمه تعالى لا يتجزأ فافهم راشدا وانسموات كلها عامرة بانواع من الملائكة كلهم في عبادة متصلة وخشوع دائم لا فترة في شيء من ذلك ولا دقيقة واحدة قال مجاهد والضمير في قوله وما هي للنار المذكورة اي يذكر بها البشر فيخافونها فيطيعون الله وقال بعضهم قوله وما هي يراد بها الحال والمخاطبة والندارة واقسم تعالى بالقمر وما بعده تنسيها على النظر في ذلك والفكر المؤدى الى تعظيمه تعالى وتحصيل معرفته تعالى مالك الكل وقوام الوجود ونور السموات والارض لا اله الا هو العزيز القهار وادبر الليل معناه ولى واسفر الصبح اضا- وانتشر ضوهه قال ابن زيد وغيره الضمير في قوله انها لاحدى الكبر لجنهم ويحتمل ان يكون الضمير للندارة وامر الآخرة فهو للحال والقصة (ص) والكبر جمع كبرى وفي (ع) جمع كبيرة ولعله وهم من الناسخ انتهى * وقوله سبحانه نذيرا للبشر قال الحسن لا نذير ادهى من النار وقال ابن زيد نذيرا للبشر هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه

لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر قال الحسن هو وعيد نحو قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم قوى سبحانه هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة اذ لزم بهذا القول ان المقصر مرتين بسوء عمله وقال الضحاك المعنى كل نفس حقت عليها كلمة العذاب ولا يرتهن تعالى احدا من اهل الجنة ان شاء الله * وقوله تعالى الا اصحاب اليمين استثناء ظاهره الانفصال تقديره لكن اصحاب اليمين في جنات (ص) في جنات اي هم في جنات فيكون خبر مبتدأ محذوف (م) واعربه ابو البقاء حالاً من الضمير في يتساءلون انتهى قال ابن عباس اصحاب اليمين هنا الملائكة وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتدين (ت) واسند ابو عمر بن عبد البر عن علي بن ابي طالب في قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال اصحاب اليمين اطفال المسلمين انتهى من التمهيد * وقولهم ما سلككم اي ما ادخلكم فيحتمل ان يكون من قول اصحاب اليمين الاذميين او من قول الملائكة * وقوله تعالى قالوا يعني الكفار لم نك من المصلين الآية وفي نفي الصلاة يدخل الايمان بالله والمعرفة به والخشوع له ولم نك نطعم المسكين يشمل الصدقة فربا كانت او نفلاً والحوض مع الخائضين عرفه في الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صراح حتى اتانا اليقين يعني الموت قاله المفسرون قال (ع) وعندى ان اليقين صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله والدار الآخرة وقد تقدم ذكر احاديث الشفاعة قال الفخر واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان الكفار يعذبون بترك فروع الشريعة والاستقصاء فيه قد ذكرناه في المحصول انتهى * وقوله تعالى في صفة الكفار المعرضين كانهم حمر مستنفرة اثبات لجهلهم لان الحمر من جاهل الحيوان جدا وفي حرف ابن مسعود حمر نافرة قال ابن عباس وابو هريرة وجمهور من اللغويين

القسورة الاسد وقيل غير هذا بل يريد كل امرئ منهم اي من هؤلاء ان يوتي
صحفا منشرة اي يريد كل انسان منهم ان ينزل عليه كتاب من الله ومنشرة
اي منشورة غير مطوية * وقوله كلا رد على ارادتهم اي ليس الامر كذلك
ثم قال بل لا يخافون الآخرة المعنى هذه هي العلة والسبب في اعراضهم فكان
جهلهم بالآخرة سبب امتناعهم من الهدى حتى هلكوا ثم اعاد تعالى الرد والزجر
بقوله كلا واخبر ان هذا القول والبيان وهذه المحاورة يجملتها تذكرة فمن
شاء ووفقه الله لذلك ذكر معاده فعمل له ثم اخبر سبحانه ان ذكر الانسان معاده
وجريه الى فلاحه انما هو كله بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيئا الا بها وقرأ
ابو عمرو وعاصم وابن كثير يذكرون بالياء من تحت * وقوله سبحانه هو اهل
التقوى واهل المغفرة خبر جزم معناه ان الله عز وجل اهل بصفاته العلى ونعمه
التي لا تحصى لان يتقى ويطاع امره ويحذر عصيانه وانه بفضله وكرمه اهل ان
يفغر لعباده اذا اتقوه روى ابن ماجه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى
فلا يجعل معي اله آخر فمن اتقاني فلم يجعل معي الها آخر فانا اهل ان اغفر له
واخرجه ابو عيسى الترمذي بمعناه وقال حديث حسن انتهى

تفسير سورة القيامة وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة هذه قراءة الجمهور

وقرأ ابن كثير لا قسم بيوم القيامة ولا قسم فليل على قراءة الجمهور لا زائدة
وقال الفراء لا تنفى لكلام الكفار وزجر لهم ورد عليهم وجمهور المتأولين على ان الله
تعالى اقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة اقسم سبحانه بيوم القيامة تنبئها منه
على عظمه وهوله قال الحسن النفس اللوامة هي اللوامة لصاحبها في ترك الطاعة
ونحو ذلك فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وقال ابن عباس وقتادة
اللوامة هي الفاجرة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها وعلى
هذا التأويل يحسن نفي القسم بها والنفس في الآية اسم جنس قال (ع) وكل
نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالامارة بالسوء فانها لوامة في الطرفين مرة
تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمانت خلصت
وصفت قال الثعلبي وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله ان يحسب
الانسان ان نجتمع عظامه اي للاحياء والبعث والانسان هنا الكافر المكذب
بالبعث انتهى والبنان الاصابع ونسوي بنانه معناه نتقنها سوية قاله القتيبي
وهذا كله عند البعث وقال ابن عباس وجمهور المفسرين المعنى بل نحن قادرون
ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير او كحافر
الحمار لا يمكنه ان يعمل بها شيئاً في هذا توعدهما والقول الاول اجرى مع
رصف الكلام * بل يريد الانسان ليفجر امامه معناه ان الانسان انما يريد
شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابداً راساً ومطعماً امله ومسوقاً توبته قال
البخاري ليفجر امامه يقول سوف اتوب سوف اعمل انتهى قال الفخر قوله
ليفجر امامه فيه قولان الاول ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع
عنه فمن ابن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب
حتى ياتي الموت على شر احواله واسوأ اعماله القول الثاني يفجر امامه اي
يكذب بما امامه من البعث والحساب لان من كذب حقاً كان مفاجراً والدليل

على هـ. القول قوله تعالى يسئل ايان يوم القيامة اي متى يكون ذلك تكذيبا له انتهى وسؤال الكفار ايان هو على معنى التكذيب والهزء وايان بمعنى متى وقرأ نافع وعاصم بخلاف برق البصر بفتح الراء بمعنى لمع وصار له بريق وحار عند الموت وقرأ ابو عمرو وغيره بكسرها بمعنى شخص والمعنى متقارب قال مجاهد هذا عند الموت وقال الحسن هذا في يوم القيامة قال ابو عبيدة وجماعة من اللغويين الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وروى عروة وسفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا كسفت الشمس ولكن قولوا خسفت وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر واختلف في معنى الجمع بينهما فقال عطاء يجمعان فيقذفان في النار وقيل في البحر فيصيرا نار الله العظمى وقيل يجمع الضوءان فيذهب بهما قال الثعلبي وقال علي وابن عباس يجمعان في نور الحجب انتهى *

يقول الانسان يومئذ اين المفراي اين الفرار كلا لا وزر اي لا ملجأ والمستقر موضع الاستقرار * وقوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخراي يعلم بكل ما فعل ويجده محصلا وقال ابن عباس وابن مسعود بما قدم في حياته وما اخر من سنة بعد مماته * وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال ابن عباس وغيره اي للانسان على نفسه من نفسه بصيرة رقباء يشهدون عليه وهم جوارحه وحفظته ويحتمل ان يكون المعنى بل الانسان على نفسه شاهد ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال الثعلبي قال ابان بن ثعلب البصيرة والبيئة والشاهد بمعنى انتهى ونحوه للهروي قال (ع) والمعنى على هذا التاويل الثاني ان في الانسان وفي عقله وفطرته حجة وشاهدا مبصرا على نفسه * ولو اتى معاذيره اي ولو اعتذر عن قبيح افعاله فهو يعلمها قال الجمهور والمعاذير هنا جمع معذرة وقال الضحاك والسدي هي الستور بلغة اليمن يقولون

للستر المعذار * وقوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية قال كثير من المفسرين وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شففته مخافة ان يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت الآية بسبب ذلك واعلمه تعالى انه يجمعه له في صدره * وقوله وقرء انه يحتمل ان يريد وقرءته اي تقرأه انت يا محمد * وقوله فاذا قرأناه اي قرأه الملك الرسول عنا فاتبع قرآنه قال البخاري قال ابن عباس فاتبع اي اعمل به وقال البخاري ايضا قوله انا علينا جمعه وقرء انه اي تأليف بعضه الى بعض فاذا قرأناه فاتبع قرءانه اي ما جمع فيه فاعمل بما امرك وانه عما نهاك انتهى * وقوله تعالى ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة معناه ان نبينه لك وقال البخاري ان نبينه على لسانك * وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة اي الدنيا وشهواتها قال الغزالي في الاحياء اعلم ان رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا ورأس اسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور وقال رحمه الله اعلم انه لا وصول الى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشي كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات انتهى وقرأ ابن كثير وغيره يحبون ويذرون بالياء على ذكر الغائب ولما ذكر سبحانه الآخرة اخبر بشي من حال اهلها فقال وجوه يومئذ ناضره اي ناعمة والنضرة النعمة وجمال البشارة قال الحسن وحق لها ان تنظر وهي تنظر الى خالقها * وقوله تعالى الى ربها ناظرة حمل جميع اهل السنة هذه الآية على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله عز وجل بلا تكيف ولا تحديد كما

هو معلوم موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو سبحانه مرءى لا يشبه المراتب
 في شيء فانه ليس كمثل شيء لا اله الا هو وقد تقدم استيعاب الكلام على هذه
 المسئلة وما في ذلك من صحيح الاحاديث والباسرة العابسة المغمومة النفوس
 والبسور اشد العبوس وانما ذكر تعالى الوجوه لانه فيها يظهر ما في النفس من
 سرور او غم والمراد اصحاب الوجوه والفاقرة المصيبة التي تكسر فقار الظهر وقال
 ابو عبيدة هي من فقرت البعير اذا سمت انفه بالنار * وقوله تعالى كلا اذا
 بلغت زجر وتذكير ايضا بموطن من مواطن المول وهي حالة الموت الذي لا
 محيد عنه وبلغت يريد النفس والتراقي جمع ترقوة وهي عظام اعلى الصدر ولكل
 احد ترقوتان لكن جمع من حيث ان النفس المرادة اسم جنس والتراقي هي
 موارد للحلاقيم فالامر كله كناية عن حال الحشرة وزرع الموت يسره الله علينا
 بانه وجعله لنا راحة من كل شر واختلف في معنى قوله تعالى وقيل من راق فقال
 ابن عباس وجماعة معناه من يرقى ويطب ويشفي ونحو هذا مما يتمناه اهل المريض
 وقال ابن عباس ايضا وسليمان التيمي ومقاتل هذا القول للملائكة والمعنى من
 يرقى بروحه اي يصعد بها الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب *
 وظن انه الفراق اي ايقن وهذا يقين فيما لم يقع بعد ولذلك استعملت فيه لفظة
 الظن * وقوله تعالى والتفت الساق بالساق قال ابن المسيب والحسن هي
 حقيقة والمراد ساقا الميت عند تكفينه اي لفهما الكفن وقيل هو التفاهما من
 شدة المرض وقيل غير هذا * وقوله تعالى فلا صدق ولا صلى الآية قال
 جمهور المتأولين هذه الآية كلها انما نزلت في ابي جهل قال (ع) ثم كادت هذه
 الآية ان تصرح به في قوله يتمطى فانها كانت مشيته وقوله فلا صدق ولا صلى
 تقديره فلم يصدق ولم يصل فلا في الآية نفي لاعاطفة (ص) قوله فلا صدق
 فيه دليل على ان لا تدخل على الماضي فتنتفيه كقول الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا اله الا انت
 انتهى وصدق معناه برسالة الله ودينه وذهب قوم الى انه من الصدقة والاول
 اصوب ويتمطى معناه يمشى المطيطاء وهي مشية تبختر وهي مأخوذة من المطا
 وهو الظهر لانه يتشنى فيها زاد (ص) وقيل اصله يتمطط اي يتمدد في
 مشيه ومد منكبيه انتهى * وقوله اولى لك وعيد * فاولى وعيد ثان وكرر
 ذلك تأكيدا ومعنى اولى لك الازدجار والانتهاز والعرب تستعمل هذه الكلمة
 زجرا ومنه فاولى لهم طاعة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لبب ابا جهل
 يوما في الطحاء وقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل القرآن على
 نحوها وفي شعر الخنساء

هممت بنفسي كل الموم * فاولى لنفسي اولى لها
 وقوله تعالى ايجسب توبخ وسدى معناه مهملا لا يومر ولا ينهي ثم قرر تعالى
 احوال ابن ادم في بدايته التي اذا تأملت لم ينكر معها جواز البعث من القبور
 عاقل والعلقة القطعة من الدم * فخلق فسوى اي فخلق الله منه بشرا مركبا
 من اشياء مختلفة فسواه شخصا مستقلا والزوجين النوعين ثم وقف تعالى
 توقيف توبخ بقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى روي ان النبي صلى
 الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال بلى وروي انه كان يقول سبحانك
 اللهم ومحمدك بلى انظر سنن ابى داود

تفسير سورة الانسان قيل مكية وقيل مدنية

وقال الحسن وعكرمة منها آية مكية وهي قوله تعالى ولا تطع منهم أثماً او كفوراً والباقي مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية هل في كلام العرب قد تجي بمعنى قد حكاه سيبويه لكنها لا تخلو من تقرير وبابها المشهور الاستفهام المحض والتقرير احياناً قال ابن عباس هل بمعنى قد والانسان يراد به آدم وقال اكثر التأولين هل تقرير والانسان اسم جنس اي اذا تأمل كل انسان نفسه علم بانه قد مرحين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وهذا هو القوي ان الانسان اسم جنس وان الآية جعلت عبرة لكل احد من الناس ليعلم ان الخالق له قادر على اعادته (ص) لم يكن شيئاً مذكوراً في موضع حال من الانسان او في موضع صفة لحين والعائد عليه محذوف اي لم يكن فيه انتهى * وقوله تعالى انا خلقنا الانسان الآية الانسان هنا اسم جنس بلا خلاف وامشاج معناه اخلاط قيل هو امشاج ماء الرجل بماء المرأة ونقل الفخر ان الامشاج لفظ مفرد وليس يجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة انتهى نبتله اي نختبره بالابحاد والكون في الدنيا وهو حال من الضمير في خلقنا كانه قال مختبرين له بذلك * وقوله تعالى فجعلناه سميماً بصيراً عطف جملة نعم على جملة نعم وقيل المعنى فلنبتله فجعلناه سميماً بصيراً وهديناه يحتمل ان يكون بمعنى ارشدناه ويحتمل ان يكون بمعنى

أرناؤه وليس الهدى في هذه الآية بمعنى خلق الهدى والإيمان وعبرة الثعلبي
 هديناه السبيل بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر **كقوله**
 وهديناه النجدين انتهى * وقوله تعالى اما شاكرًا واما كفورًا حالان وقسمتهما
 اما والابرار جمع بار قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر قال
 قتادة نعم قوم يمزج لهم بالكافور ويختتم لهم بالمسك قال الفراء يقال ان في الجنة
 عينا تسمى كافورا * وقوله تعالى عينا قيل هو بدل من قوله كافورا وقيل هو
 مفعول بقوله يشربون اي ماء هذه العين من كأس عطرة كالكافور وقيل نصب
 عينا على المدح او باضمار اعني * قوله تعالى يشرب بها بمنزلة يشربها فالباء زائدة
 قال الثعلبي قال الواسطي لما اختلفت احوالهم في الدنيا اختلفت اشربتهم في
 الآخرة انتهى قال (ص) وقيل الباء في بها للاصلاق والاختلاط اي يشرب
 بها عباد الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل انتهى * وقوله تعالى يفجرونها
 معناه يفتقونها ويقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم فهي تجري عند
 كل احد منهم ورد بهذا الاثر وقيل عين في دار النبي صلى الله عليه وسلم تفجر
 الى دور الانبياء والمومنين قال (ع) وهذا قول حسن ثم وصف تعالى حال
 الابرار فقال يوفون بالندى ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي ممتدا متصلا
 شائعا * وقوله تعالى على حبه يحتمل ان يعود الضمير على الطعام وهو قول ابن
 عباس ويحتمل ان يعود على الله تعالى قاله ابو سليمان الداراني * وقوله واسيرا
 قال الحسن ما كان اسراهم الا مشركين لان في كل ذى كبد رطبة اجرا (ت)
 وفي العتبية سئل مالك عن الاسير في هذه الآية امسلم هو ام مشرك فقال بل
 مشرك وكان ببدر اسارى فانزلت فيهم هذه الآية قال ابن رشد والظاهر حمل
 الآية على كل اسير مسلما كان او كافرا انتهى يعني وان كان سب نزولها ما
 ذكر ففي عامة في كل اسير الى يوم القيامة وقال ابو سعيد الخدري قال النبي

صلى الله عليه وسلم مسكينا قال فقيرا وتيتا قال لا اب له واسيرا قال المملوك
 والمسجون واسند القشيري في رسالته عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي
 مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة
 انتهى وروى الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني
 مسكينا وامتنى مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم
 يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا يا عائشة لا
 تردى المسكين ولو بشق تمره يا عائشة احبى المساكين وقربهم فان الله يقربك
 يوم القيامة قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى * وقوله انما نطعمكم الآية
 قال مجاهد وابن جبير ما تكلموا به ولكنه علمه الله من قلوبهم فأنى عليهم
 ليرغب في ذلك راغب ووصف اليوم بعبوس تجوز والقمطرير هو في معنى
 العبوس والاربداد تقول اقمطر الرجل اذا جمع ما بين عينيه غضبا وقال ابن
 عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل ما بين عينيه كالقطران وعبر ابن عباس عن
 القمطرير بالطويل وعبر عنه غيره بالشديد وذلك كله قريب في المعنى والنضرة
 جمال البشرة وذلك لا يكون الا مع فرح النفس وقرة العين * وقوله بما صبروا
 عام في الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد وفي هذا يدخل كل ما
 خصص المفسرون من صوم وفقر ونحوه * وقوله سبحانه لا يرون فيها شمسا
 الآية عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرري الحر والقر والزهرير اشد البرد
 والقطوف جمع قطف وهو المنقود من النخل والعنب ونحوه والقوارير الزجاج *
 وقوله تعالى من فضة يقتضى انها من زجاج ومن فضة وذلك متمكن لكونه من
 زجاج في شفافه ومن فضة في جوهره وكذلك فضة الجنة شفافه قال القرطبي
 في تذكرته وذلك ان لكل قوم من تراب ارضهم قواريرا وان تراب الجنة فضة

فهي قوارير من فضة قاله ابن عباس انتهى * وقوله تعالى قدروها تقديرا اي على قدر ربيهم قاله مجاهد او على قدر الاكف قاله الربيع وضمير قدروها يعود اما على الملائكة او على الطائفين او على النعمين * وقوله سبحانه عينا فيها تسمى سلسيلا عينا بدل من كأس او من عين على القول الثاني وسلسيلا قيل هو اسم بمعنى السلس المتقاد الجرية وقال مجاهد حديدة الجرية وقال آخرون سلسيلا صفة لقوله عينا وتسمى بمعنى توصف وتشهر وكونه مصروفا مما يؤكد كونه صفة للعين لا اسما * وقوله تعالى حسبهم لؤلؤا منشورا قال الامام الفخر وفي كيفية التشبيه وجوه احدها انهم شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في انواع الخدمة باللؤلؤ المنشور ولو كانوا صفا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم الا ترى انه تعالى قال ويطوف عليهم ولدان فاذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين الثاني ان هذا من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن في المنظر لوقوع شمع بعضه على بعض الثالث انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واجمل انتهى * وقوله تعالى واذا رأيت ثم قال الفراء التقدير واذا رأيت ما ثم رأيت نعيما فحذفت ما وكررت الرؤية مبالغة وملكا كبيرا وهو ان اداناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وخرجه الترمذي وفي الترمذي ايضا من رواية ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء انتهى وقال سفيان الملك الكبير هو استيذان الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم قال الثعلبي قال محمد بن علي الترمذي يعنى ملك التكوين اذا ارادوا شيئا كان انتهى (ت) وجميع ما ذكر داخل في الملك الكبير وقرأ نافع وحزمة عاليهم وقرأ الباقر عاليهم بالنصب والمعنى فوقهم قال الثعلبي وتفسير ابن عباس قال اما رأيت الرجل

عليه ثياب يملوها افضل منها انتهى وقرأ حمزة والكسائي خضر واستبرق
بالخفض فيهما وباقي الآية بين * وقوله سبحانه انا نحن نزلنا عليك القرآن
الآية تثبت للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لنفسه على اذى قريش والاثم هنا
هو الكفور واللفظ ايضا يقتضى نهى الامام عن طاعة اثم من العصاة او كفور
بالله ثم امره تعالى بذكر ربه دائماً بكرة واصيلاً ومن الليل بالسجود والتسبيح
الذى هو الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحانه الله قال ابن زيد وغيره كان هذا
فرضا ثم نسخ وقال : آخرون هو محكم على وجه الندب وقال ابن العربي في
احكامه اما قوله تعالى وسبحه ليلاً طويلاً فانه عبارة عن قيام الليل وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يفعله كما تقدم وقد يحتمل ان يكون هذا خطاباً للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد الجميع ثم نسخ عنا وبقي عليه صلى الله عليه وسلم
والاول اظهر انتهى * وقوله ان هؤلاء يعنى كفار قريش يحبون العاجلة يعنى
الدنيا واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس
رواه ابن ماجه وغيره باسناد حسنة قال ابن الفاكهاني قال القاضي ابو الوليد
ابن رشد واما الباعث على الزهد فخمسة اشياء احدها انها فانية شاعلة للقلوب
عن التفكير فى امر الله تعالى والثانى انها تنقص عند الله درجات من ركن اليها
والثالث ان تركها قربة من الله تعالى وعلو مرتبة عنده فى درجات الآخرة
والرابع طول الحبس والوقوف فى القيامة للحساب والسؤال عن شكر النعم
والخامس رضوان الله تعالى والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل
ورضوان من الله اكبر قال ابن الفاكهاني ولو لم يكن فى الزهد فى الدنيا الا هذه
الحصلة التى هي رضوان الله تعالى لكان ذلك كافياً فنعوذ بالله من اثار الدنيا
على ذلك وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع

ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك في الحقيقة وهم العقلاء لا يثارهم الباقي على الفاني وقد قال الشافعية لو اوصى لاعقل الناس صرف الى الزهاد انتهى من شرح الاربعين حديثا ولفظ ابي الحسن الماوردي وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه حتى قال اصحاب الشافعي فيمن اوصى بثلاث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا للزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغفروا بالامل انتهى والاسر الحلقة واتساق الاعضاء والمفاصل وعبرة البخاري اسرهم شدة الخلق وكل شيء شددته من قتب او غييط فهو ما سور والغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة انتهى قال (ع) ومن اللفظة الاسار وهو القيد الذي يشد به الاسير ثم توعدهم سبحانه بالتبديل وفي الوعيد بالتبديل احتجاج على منكرى البعث اي من هذه قدرته في الابدان والتبديل فكيف تتعذر عليه الاعادة وقال الثعلبي بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس يقول اهلكناهم وجئنا باطوع الله منهم انتهى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة القول فيها كالتى في سورة المزمل * وقوله سبحانه فن شاء اتخذ الى ربه سبيلا كلام واضح لا يقتصر الى تفسير جعلنا الله ممن اهتدى بانواره وعمت عليه بركته في افعاله واقواله قال الباجي قال بعض اهل داود الطائفي قلت له يوما انك قد عرفت فاوصنى قال فدمعت عيناه ثم قال يا اخي انما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى تنتهي بهم الى اخر سفرهم فان استطعت ان تقدم من اول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فان انقطاع السفر قريب والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك فكان بالامر قد بفتك ثم قام وتركنى انتهى من سنن الصالحين * وقوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله نبي لقدرتهم على الاختراع وابداع المعاني في نفوسهم ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب وقرأ عبد الله وما تشاءون الا ما شاء الله * وقوله تعالى عليا

حكما معناه يعلم ما ينبغي ان ييسر عبده اليه وفي ذلك حكمة لا يعلمها
الا هو سبحانه

تفسير سورة والمرسلات وهي مكيتة في قول الجمهور

وقيل فيها من المدني قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال ابن مسعود
نزلت هذه السورة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بجرا الحديث

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى والمرسلات عرفا يعنى الرياح يتبع بعضها بعضها قاله ابن عباس وابن
مسعود ومجاهد وقتادة وقيل المرسلات الملائكة وقيل جماعات الانبياء وعرفا
معناه افضالا من الله تعالى ويحتمل ان يريد بقوله عرفا اي متتابعة ويحتمل ان
يريد بالامر المعروف ويحتمل ان يكون عرفا بمعنى والمرسلات الرياح التى يعرفها
الناس ويمهدونها ثم عقب بذكر الصنف الضار منها وهي العاصفات الشديدة
القاصفة للشجر وغيره واختلف فى قوله والناشرات فقال ابن مسعود والحسن
ومجاهد وقتادة هي الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقيل الملائكة وقيل غير هذا
والفارقان قال ابن عباس وغيره هي الملائكة تفرق بين الحق والباطل
والحلل والحرام وقيل هي آيات القرآن واما الملقيات ذكرنا فهي فى قول
الجمهور الملائكة وقال آخرون هي الرسل والذكر الكتب المنزلة والشرائع
ومضمناتها والمعنى ان الذكر يلقى باعذار وانذار * وقوله تعالى انما توعدون لواقع

هو الجواب الذى وقع عليه القسم والاشارة الى البعث واحوال القيامة والطمس
محو الاثر فطمس النجوم ذهاب ضوءها وفرج السماء هو بانفطارها وانشقاقها *
واذا الرسل اقتت اي جمعت لميقات يوم معلوم وقرأ ابو عمرو وحده وقتت
والواو هي الاصل لانها من الوقت والهمزة بدل قال الفراء كل واو انضمت
وكانت ضميتها لازمة جازان تبدل منها همزة انتهى * وقوله تعالى لا يي يوم
اجلت تعجيب وتوقيف على عظم ذلك اليوم وهوله ثم فسر ذلك بقوله ليوم
الفصل يعنى بين الخلق فى منازلهم وحسابهم ومنازلهم من جنة او نار ومن
هذه الآية انتزع القضاة الآجال فى الحكومات ليقع فصل القضاء عند تمامها ثم
عظم تعالى يوم الفصل بقوله وما ادراك ما يوم الفصل على نحو قوله وما ادراك
ما الحاقة وغير ذلك ثم اثبت الويل للمكذبين والويل هو الحرب والحزن على
نوائب تحدث بالمرء ويروى انه واد فى جهنم * وقوله عز وجل الم نهلك الاولين
ثم نتبعهم الآخريں الآية قرأ الجمهور نتبعهم بضم العين على استيناف الخبر
وروى عن ابى عمرو نتبعهم بجزم العين عطفا على نهلك وهي قراءة الاعرج فمن
قرأ الاولى جعل الاولين الامم التى تقدمت قريشا باجمعها ثم اخبر انه يتبع
الآخريں من قريش وغيرهم سنن اولائك اذا كفروا وسلوكوا سييلهم ومن قرأ
الثانية جعل الاولين قوم نوح وابراهيم ومن كان معهم والآخريں قوم فرعون
وكل من تأخر وقرب من مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال كذلك نفضل
بالمجرمين اي فى المستقبل فيدخل هنا قريش وغيرها واما تكرار قوله تعالى ويل
يومئذ للمكذبين فى هذه السورة فليل ذلك لمعنى التاكيد فقط وقيل بل فى
كل آية منها ما يقتضى التصديق فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذى فى
الآية والماء المهيّن معناه الضعيف والقرار المكين الرحم وبطن المرأة والقدر
المعلوم هو وقت الولادة ومعناه معلوم عند الله وقرأ نافع والكسائي فقد رنا

بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت (ت) وفي كلام (ع) تليف وقال غيره فقد رنا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة وهو حسن * وقوله القادرون يرجع قراءة الجماعة الا ان ابن مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر القادرون بالمقدرين والكفات الستر والوعاء الجامع للشيء باجماع تقول كفت الرجل شعره اذا جمعه بخرقة والارض تكفت الاحياء على ظهرها وتكفت الاموات في بطنها وخرج الشعبي الى جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الموتى ثم نظر الى البيوت فقال وهذه كفات الاحياء قال (ع) ولما كان القبر ككفانا كالبيت قطع من سرق منه والرواسى الجبال والشوامخ المرتفعة والفرات الصافى العذب والضмир في قوله انطلقوا هو للمكذبين الذين لهم الويل ثم بين المنطلق اليه قال عطاء الظل الذى له ثلاث شعب هو دخان جهنم وقال ابن عباس هذه المخاطبة تقال يومئذ لعبد الصليب اذا اتبع كل احد ما كان يعبد فيكون المومنون في ظل الله ولا ظل الاظله ويقال لعبد الصليب انطلقوا الى ظل معبودكم وهو الصليب له ثلاث شعب ثم نقي تعالى عنه محاسن الظل والضмир في انها لجهنم ترمى بشر كالقصر اى مثل القصور من البنيان قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس ايضا القصر خشب كنا في الجاهلية ندخره للشتاء وقرأ ابن عباس كالقصر بنتح الصاد جمع قصرة وهي اغناق النخل والابل وقال ابن عباس جذور النخل واختلف في الجبال فقال جمهور من المفسرين هي جمع جمال كرجال ورجالات وقال آخرون اراد بالصفير السود وقال جمهور الناس بل الصفير الفاقمة لانها اشبه بلون الشرر وقال ابن عباس الجمالات حبال السفن وهي الحبال العظام اذا جمعت مستديرة بعضها الى بعض وقرأ ابن عباس جمالة بضم الجيم من الجملة لامن الجمل ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام بقوله هذا

يوم لا ينطقون الآية وهذا في موطن خاص اذ يوم القيامة هو موطن * وقوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم مخاطبة للكفار يومئذ ثم وقفهم بقوله فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كان لكم حيلة او مكيدة تنجيكم فافعلوها ثم ذكر سبحانه حالة المتقين وما اعد لهم والظلال في الجنة عبارة عن تكاثف الاشجار وجودة المباني والا فلا شمس توذي هناك حتى يكون ظل يحير من حرها * وقوله تعالى كلوا وتمتعوا استئناف خطاب لقريش على معنى قل لهم يا محمد وهذه صيغة امر معناها التهديد والوعيد ومن جعل هذه الآية مدنية قال هي في المنافقين * وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال قتادة والجمهور هذه حال كفار قريش في الدنيا يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبون وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة وقيل هي حكاية حال المنافقين في الآخرة يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون على ما تقدم قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون يؤيد ان الآية كلها في قريش والمراد بالحديث هنا القران وروى عن يعقوب انه قرأ تؤمنون بالتاء من فوق على المواجهة ورويت عن ابن عامر

﴿ تفسير سورة عمر يتساءلون وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل عمر يتساءلون اصل عم عن ما ادغمت النون في الميم لاشتراكها في الفنة فبقي عما في الخبر وفي الاستفهام ثم حذفوا الالف في الاستفهام فرقا بينه وبين الخبر

ثم من العرب من يخفف الميم فيقول عم وهذا الاستفهام بعم استفهام توقيف
وتمجيب والنبأ العظيم قال ابن عباس وقتادة هو الشرع الذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم وقال مجاهد هو القرآن خاصة وقال قتادة ايضا هو البعث من
القبور والضمير في يتساءلون لكفار قريش ومن نحنا نحوهم واكثر النحاة ان
قوله عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون وقال الزجاج الكلام تام في قوله عم
يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يحجب محجب فيقول يتساءلون عن النبأ
العظيم وله امثلة في القرآن اقتضاها ايجاز القرآن وبلاغته واختلافهم هو شك
بعض وتكذيب بعض وقولهم سحر وكهانة الى غير ذلك من باطلهم * وقوله
تعالى كلا سيعلمون رد على الكفار في تكذيبهم ووعيد لهم في المستقبل وكرر
عليهم الزجر والوعيد تأكيدا والمعنى سيعلمون عاقبة تكذيبهم ثم وقفهم تعالى
ودلهم على آياته وغرائب مخلوقاته وقدرته التي توجب للتأظر فيها الاقرار بالبعث
والايمان بالله تعالى (ت) وفي ضمن ذلك تعديد نعمه سبحانه التي يجب
شكرها والمهاد الفراش المهد وشبه الجبال بالاولتاد لانها تمنع الارض ان تئبد بهم *
وخلقناكم ازواجا اي انواعا والسبات السكون وسبت الرجل معناه استراح
وروي في سنن ابي داود عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرا فيتعار من الليل فيسأل الله تعالى خيرا من
امور الدنيا والآخرة الا اعطاه الله اياه وروى ابو داود عن بعض آل ام سلمة
قال كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع الانسان في قبره وكان
المسجد عند رأسه انتهى ولباسا مصدر وكان الليل كذلك من حيث يمشى
الاشخاص فهي تلبسه وتتدرعه والنهار معاشا على حذف مضاف او على
النسب والسبع الشداد السموات والسراج الشمس والوهاج الحار المضطرم
الاتقاد المتعالي اللهم قال ابن عباس وغيره المعصرات السحاب القاطرة وهو

ماخوذ من العصر لان السحاب ينمصر فيخرج منه الماء وهذا قول الجمهور
 والشجاج السريع الاندفاع كما يندفع الدم من عروق الذبيحة ومنه قوله صلى
 الله عليه وسلم وقد قيل له ما افضل الحليج فقال العج والثج اراد التضرع الى الله
 تعالى بالدعاء الجهر وذبح الهدي والفاقا اي ملتفة الاغصان والاوراق ويوم
 الفصل هو يوم القيامة والافواج الجماعات يتلو بعضها بعضها وفتحت السماء
 بتشديد التاء قراءة نافع وابى عمرو وابن كثير وابن عامر والباقون دون تشديد *
 وقوله تعالى فكانت ابوابا قيل معناه تتشقق حتى يكون فيها فتوح كالابواب في
 الجدران وقيل انها تتقطع السماء قطعا صفارا حتى تكون كالواح الابواب
 والقول الاول احسن وقد قال بعض اهل العلم تنفتح في السماء ابواب
 للملائكة من حيث ينزلون ويصعدون * وقوله تعالى فكانت سرايا عبارة عن
 تلاشيها بعد كونها هباء منبثا ومرصادا موضع الرصد وقيل مرصادا بمعنى راصد
 والاحقاب جمع حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة وقال ابن عباس
 وابن عمر الحقب ثمانون سنة وقال ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 ثلاثون الف سنة وقد اكثر الناس في هذا واللازم ان الله تعالى اخبر عن
 الكفار انهم يلبثون احقابا كلما مر حقب جاء غيره الى غير نهاية نجانا الله من
 سخطه قال الحسن ليس للاحقاب عدة الا الخلود في النار * وقوله سبحانه
 لا يذوقون فيها بردا الآية قال الجمهور البرد في الآية مس الهواء البارد
 اي لا يمسمهم منه ما يستلذ وقال ابو عبيدة وغيره البرد في الآية النوم والعرب
 تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش وقال ابن عباس البرد الشراب البارد
 المستلذ وقال قتادة وجماعة النساق هو ما يسيل من اجسام اهل النار من صديد
 ونحوه * وقوله تعالى وفاقا معناه لا عملهم وكفرهم ولا يرجون قال ابو عبيدة
 وغيره معناه لا يخافون وقال غيره الرجاء هنا على بابه وكذا با مصدر لغة فصيحة

يمانية وعن ابن عمر قال ما نزلت في اهل النار اية اشد من قوله تعالى فذوقوا
 فلن تزيدكم الا عذابا ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والحدائق هي
 البساتين عليها حلق وحظائر وجدران البخاري وكواعب اي نواهد انتهى
 والدهاق المترعة فيما قال الجمهور وقيل الصافية وقال مجاهد متتابعة وعبارة
 البخاري وقال ابن عباس دهاقا ممتلئة انتهى وكذابا مصدر وهو الكذب *
 وقوله عطاء حسابا اي كافيا قاله الجمهور من قولهم احسبني هذا الامر اي
 كفاي ومنه حسبي الله وقال مجاهد حسابا معناه بتقييط فالحساب على هذا
 بموازنة اعمال القوم اذ منهم المكثرون من الاعمال والمقل ولكل بحسب عمله *
 وقوله تعالى لا يملكون الضمير للكفار اي لا يملكون من افضاله واجماله سبحانه
 ان يخاطبوه بمذرة ولا غيرها وهذا ايضا في موطن خاص * وقوله تعالى يوم
 يقوم الروح تختلف في الروح المذكور هنا فقال الشعبي والضحاك هو جبريل عليه
 السلام وقال ابن مسعود هو ملك عظيم اكبر الملائكة خلقه يسمى الروح وقال
 ابن زيد هو القران وقال مجاهد الروح خلق على صورة بنى ادم ياكلون ويشربون
 وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الروح خلق غير الملائكة هم حفظة
 للملائكة كما الملائكة حفظة لنا وقيل الروح اسم جنس لارواح بنى ادم والمعنى يوم
 تقوم الارواح في اجسادها اثر البعث ويكون الجميع من الانس والملائكة صفا ولا
 يتكلم احد منهم هيبة وفزعا الا من اذن له الرحمن من ملك او نبي وكان اهلا ان
 يقول صوابا في ذلك الموطن وقال البخاري صوابا حقا في الدنيا وعمل به انتهى
 وفي قوله فمن شاء اتخذ الى ربه مئابا وعد ووعيد وتحريض والعذاب القريب
 هو عذاب الآخرة اذ كل آت قريب وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله
 تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها بعد ذلك
 كوني ترابا فيمود جميعها ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (ت)

واعلم رحمك الله اني لم اقف على حديث صحيح في عودها ترابا وقد نقل الشيخ ابو العباس القسطلاني عن الشيخ ابي الحكم بن ابي الرجال انكار هذا القول وقال ما نفث روح الحياة في شي ففني بعد وجوده وقد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها وان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعراضها جمل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة عقابا لاهل النار انتهى والممول عليه في هذا النقل فان صح فيه شي عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب اعتقاده وصير اليه والا فلا مدخل للعقل هنا والله اعلم

﴿ تفسير سورة والنازعات وهي مكيتة باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والنازعات غرقا قال ابن عباس وابن مسعود النازعات الملائكة تنزع نفوس بني ادم وغرقا على هذا القول اما ان يكون مصدرا بمعنى الاغراق والمبالغة في الفعل واما ان يكون كما قال علي وابن عباس تغرق نفوس الكفرة في نار جهنم وقيل غير هذا واختلف في الناشطات فقال ابن عباس ومجاهد هي الملائكة تنشط النفوس عند الموت اي تحملها كحل العقال وتنشط باسم الله الى حيث شاء وقال ابن عباس ايضا الناشطات النفوس المومنة تنشط عند الموت للخروج (ت) زاد الثعلبي عنه وذلك انه ليس مومن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها اشباها من اهله وازواجه من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم انتهى وقيل غير هذا واختلف في السابجات هنا فقليل هي النجوم وقيل هي الملائكة لانها

تصرف في الآفاق بأمر الله وقيل هي الخيل وقيل هي السفن وقيل هي
الحيات ودواب البحر والله اعلم واختلف في السابقات فقيل هي الملائكة وقيل
الرياح وقيل الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الآمال وأما المدبرات فهي
الملائكة قولاً واحداً فيما علمت تدبر الأمور التي سخرها الله لها وصرفها فيها
كالرياح والسحاب وغير ذلك والراجفة النفخة الأولى والرادفة النفخة الأخيرة
وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة وفي جامع الترمذي عن أبي بن
كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا
أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما
فيه جاء الموت بما فيه الحديث قال أبو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقد
أتى به (ع) هنا وقال إذا ذهب ربع الليل والصواب ما تقدم ثم أخبر تعالى
عن قلوب تجف في ذلك اليوم أي ترعد خوفاً ورفقاً من العذاب واختلف في
جواب القسم أين هو فقال الزجاج والفراء هو محذوف دل عليه الظاهر تقديره
لتبعثن ونحوه وقال آخرون هو موجود في جملة قوله تعالى يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة كأنه قال لتجفن قلوب قوم يوم كذا * وقوله
تعالى يقولون أننا لمردودون في الحفرة حكاية حالهم في الدنيا والمعنى هم الذين
يقولون والحفرة قال مجاهد والخيل هي الأرض حفرة بمعنى محفورة والمراد
القبور والمعنى أننا لمردودون أحياء في قبورنا وقيل غير هذا ونحوه معناه بالية وقرأ
حمزة ناخرة بالف والناخرة المصوتة بالريح المجوفة وحكي عن أبي عبيدة وغيره
أن الناخرة والنخرة بمعنى واحد وقولهم تلك إذا كرة خاسرة أي أذهي إلى النار
لتكذيبهم بالبعث وقال الحسن خاسرة معناه عندهم كاذبة أي ليست بكائنة ثم
أخبر تعالى عن حال القيامة فقال إنما هي زجرة واحدة أي نفخة في الصور
فاذا هم بالساهرة وهي أرض المحشر * وقوله هل لك إلى أن تركي استدعاء

حسن والتزكى التطهر من النقائص والتلبس بالفضائل ثم فسر له موسى التزكى الذى دعاه اليه بقوله واهدك الى ربك فتخشى والعلم تابع للهدى والخشية تابعة للعلم انما يخشى الله من عباده العلماء والآية الكبرى العصا واليد قاله مجاهد وغيره وادبر كناية عن اعراضه وقيل حقيقة قام موليا عن مجالسة موسى فشر اي جمع اهل مملكته وقول فرعون انا ربكم الاعلى نهاية فى السخافة والمخرقة قال ابن زيد نكال الآخرة اي الدار الآخرة والاولى يعنى الدنيا اخذه الله بعذاب جهنم وبالفروق وقيل غير هذا ثم وقفهم سبحانه مخاطبة منه تعالى للعالم والمقصد الكفار فقال ۞ انتم اشد خلقا الآيات والسملك الارتفاع الثعلبي والمعنى انتم ايها المنكرون للبعث اشد خلقا ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها اي فالذى قدر على خلقها قادر على احيائكم بعد الموت نظيره او ليس الذى خلق السموات والارض الآيات انتهى واغطش معناه اظلم * وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها متوجه على ان الله خلق الارض ولم يدحها ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلقها وبنهاها ثم دحا الارض بعد ذلك ودحوها بسطها وباقي الآيات بين والطامة الكبرى هي يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره * فاما من طئى اي تجاوز الحد واثار الحياة الدنيا على الآخرة لتكذيبه بالآخرة ومقام ربه هو يوم القيامة وانما المراد مقامه بين يديه والهوى هو شهوات النفس وما جرى مجراها المذمومة * وقوله تعالى يسئلونك عن الساعة يعنى قريشا قال البخاري عن غيره ايان مرساها متى منتهها ومرسى السفينة حيث تنتهى انتهى ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيف فيم انت من ذكرها اي من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذلك في شيء انما انت منذر وباقي الآيات بين قال الفخر قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها تفسير هذه الآية هو كما ذكر في قوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

والمعنى ان ما انكروه سيرونه حتى كانوا ابداء فيه وكانهم لم يلبثوا في الدنيا
الاساعة من نهار يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى يومها انتهى

﴿ تفسير سورة عبس وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يدعو بعض صناديد قريش ويقرأ عليه القرآن ويقول له هل ترى بما اقول بأسا
فكان ذلك الرجل يقول لا والدئى يعنى الاصنام اذ جاء ابن ام مكتوم فقال
يا رسول الله استدنى وعلمنى مما علمك الله فكان فى ذلك كله قطع لحديث
النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل فلما شغب عليه ابن ام مكتوم عبس صلى
الله عليه وسلم واعرض عنه فنزلت الآية قال سفيان الثوري فكان بعد ذلك اذا
رأى ابن ام مكتوم قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي عز وجل وبسط له رداؤه
واستخلفه على المدينة مرتين (ت) والكافر المشار اليه فى الآية هو الوليد بن
المغيرة قاله ابن اسحاق انتهى ثم اكد تعالى عتب نبيه بقوله اما من استغنى اى
بماله فانت له تصدى اى تعرض * وقوله وهو يخشى اى يخشى الله
فانت عنه تلهى اى تشتغل تقول لهيت عن الشيء الهى اذا اشتغلت عنه وليس
من الله وهذه الآية السبب فيها هذا ثم هي بعد تناول من شاركهم فى هذه
الاصناف فحمة الشرع والعلم مخاطبون بتقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه
على الشريف العارى من الخير مثل ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فى

هذه السورة قال عياض وليس في قوله تعالى عبس وتولى الآية ما يقتضى اثبات ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم او انه خالف امر ربه سبحانه وانما في الآية الاعلام مجال الرجلين وتوهين امر الكافر والاشارة الى الاعراض عنه انتهى قال السهيلي وانظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا يشبه حال العاتب الممرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك لعله يزكى الآية علما منه سبحانه انه لم يقصد بالاعراض عن ابن ام مكتوم الا الرغبة في الخير ودخول ذلك المشرك في الاسلام اذ كان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه حين ابتداء الكلام بما يشبه كلام الممرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تائيسا له عليه السلام انتهى ثم قال تعالى كلا يا محمد ليس الامر كما فعلت ان هذه السورة او القراءة او المعاتبة تذكرة وعبرة الثعلبي ان هذه السورة وقيل هذه الموعظة وقال مقاتل ايات القرآن تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي انظر به اي القرآن وبما وعظتك وادبتك في هذه السورة انتهى (ص) ذكره ذكر الضمير لان التذكرة هي الذكر انتهى * وقوله تعالى في صحف متعلق بقوله انها تذكرة وهذا يؤيد ان التذكرة يراد بها جميع القرآن والصحف هنا قيل انه اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة قال ابن عباس السفارة هم الملائكة لانهم كتبة يقال سفرت اي كتبت ومنه السفر وقال ابن عباس ايضا الملائكة سفرة لانهم يسفرون بين الله وبين انبيائه وفي البخاري سفرة الملائكة واحدهم سافر سفرت اصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحى الله عز وجل وتاديتهم كالسفير الذى يصلح بين القوم انتهى قال (ع) ومن اللفظة قول الشاعر وما ادع السفارة بين قومي * وما اسعى بغش ان مشيت والصحف على هذا صحف عند الملائكة او اللوح * وقوله تعالى قتل الانسان

ما اكفره دعاء على اسم الجنس وهو عموم يراد به الانسان الكافر ومعنى قتل اي هو اهل ان يدعى عليه بهذا وقال مجاهد قتل معناه لمن وهذا تحكم (ت) ليس بتحكم وقد تقدم نحوه عن غير واحد * وقوله تعالى ما اكفره يحتمل معنى التعجب ويحتمل الاستفهام توبيخا وقيل الآية نزلت في عتبة بن ابي لهب وذلك انه غاضب اياه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم ان اياه استصلحه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث عتبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انى كافر برب النجم اذا هوى فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ابعث عليه كلبك حتى ياكله ثم ان عتبة خرج في سفرة فجاء الاسد فاكله من بين الرفقة * وقوله تعالى من اي شيء خلقه استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشيء الذى خلق الانسان منه فقدره اي جعله بقدر وحد معلوم ثم السبيل يسره قال ابن عباس وغيره هي سبيل الخروج من بطن امه وقال الحسن ما معناه ان السبيل هي سبيل النظر المؤدى الى الايمان * وقوله فاقبره معناه امر ان يجعل له قبر وفى ذلك تكريم له ليلا يطرح كسائر الحيوان * وقوله تعالى ثم اذا شاء يريد اذا بلغ الوقت الذى قد شاء وهو يوم القيامة وانشره معناه احياء * وقوله تعالى كلا لما يقض اي لم يقض ما امره ثم امر الله تعالى الانسان بالمبرة والنظر الى طعامه والدليل فيه وكيف يسره له بهذه الوسائط والحب جمع حبة بفتح الحاء وهو كل ما يتخذه الناس ويربونه والحبة بكسر الحاء كل ما ينبت من البزور لا يحفل به ولا هو بمتخذ والقضب قيل هي الفصفصة وهذا عندى ضعيف لان الفصفصة للبهائم وهي داخلة فى الاب والذى اقول به ان القضب هنا هو كل ما يقضب لياكله ابن آدم غضا من النبات كالبقول والهلين ونحوه فانه من المطموم جزء عظيم ولا ذكر له فى الآية الا فى هذه اللفظة والحديقة الشجر الذى قد احدث بجدار ونحوه والقلب الغلاظ الناعمة والاب

المرعى والكلالة قاله ابن عباس وغيره وقد توقف في تفسيره ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومتاعا نصب على المصدر والمعنى تتمتعون به انتم وانعامكم فابن آدم في السبعة المذكورة والانعام في الاب والصاخة اسم من اسماء يوم القيامة (ص) قال الخليل الصاخة صيحة تصيح الآذان صخا اي تصمها لشدة وقعها انتهى * وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية قال جمهور الناس انما ذلك لشدة الهول كل يقول نفسى نفسى وقيل فرارهم خوفا من المطالبات لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن اللقاء مع غيره ثم ذكر تعالى اختلاف الوجوه من المؤمنين الواثقين برحمة الله حين بدت لهم تبشيرها ومن الكفار حين علاها قترها ومسفرة معناه نيرة بادضوها وسرورها والغبرة التى على الكفرة هي من العبوس كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار (ص) والقتر سواد كالدخان ابو عبيدة هو الغبار انتهى ثم فسر سبحانه اصحاب هذه الوجوه المغبرة بانهم الكفرة الفجرة



﴿ تفسير سورة التكويد وهي مكيتة باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اذا الشمس كورت الآية هذه كلها اوصاف يوم القيامة وتكويد الشمس هو ان تدار كما يدار كور العامة ويذهب بها الى حيث شاء الله تعالى وعبر المفسرون عن ذلك بعبارات فمنهم من قال ذهب نورها قاله قتادة ومنهم من قال رمي بها قاله الربيع بن خثيم وغير ذلك مما هو اسماء توابع لتكويدها

وانكدار النجوم هو انقضاؤها وهبوطها من مواضعها وقال ابن عباس انكدرت
تغيرت من قولهم ماء كدر والمشار جمع عُشراء وهي الناقة التي قد مرلحمها
عشرة اشهر وهي انفس ما عند العرب وانما تطل عند اشد الاهوال * واذا
البحار سجرت قال ابي بن كعب وابن عباس وغيرهما معناه اضرمت نارا كما
يسجر التنور ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيدت فتكون اللفظة مأخوذة
من ساجور الكلب وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها وترويج النفوس هو تنويمها لان الازواج هي الانواع والمعنى جعل
الكافر مع الكافر والمومن مع المومن وكل شكل مع شكله رواه النعمان بن
بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله عمر بن الخطاب وابن عباس وقال هذا
نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وفي الآية على هذا حض على خليل الخير
فقد قال عليه السلام المرء مع من احب وقال فلينظر احدكم من يخالل وعبرة
الثعلبي قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت
قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله انتهى وقال مقاتل بن سليمان
معناه زوجت نفوس المومنين بزواجتهن من الحور وغيرهن * وقوله تعالى واذا
الموءودة سئلت الموءودة اسم معناه المثقل عليها بالتراب وغيره حتى تموت وكان
هذا صنيع بعض العرب ببناتهم يدفنونهن احياء وقرأ الجمهور سئلت وهذا
على جهة التوبيخ للعرب الفاعلين ذلك واستدل ابن عباس بهذه الآية على ان
اولاد المشركين في الجنة لان الله قد انتصر لهم ممن ظلمهم * واذا الصحف
نشرت قيل هي صحف الاعمال وقيل هي الصحف التي تتطاير بالايمان والشائيل
والكشط التقشير وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسليخ وكشط السماء هو
طيها كعلي السجل وسعرت معناه اضرمت نارها وازلفت الجنة معناه قربت
لبدخلها المومنون الثعلبي قربت لاهلها حتى يرونها نظيره وازلفت الجنة للمتقين

غير بعيد علمت نفس عند ذلك ما احضرت من خير او شر وهو جواب لقوله اذا الشمس وما بعدها انتهى * وقوله تعالى فلا اقسم بالخنس لاما زائدة واما ان تكون ردا لقول قريش في تكذيبهم نبوة نينا محمد عليه السلام ثم اقسم تعالى بالخنس الجوار الكنس وهي في قول الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والريخ والزهرة والمشتري وقال علي المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك ان هذه الكواكب تخنس في جريها اي تنهقر فيما ترى العين وهي جوار في السماء وهي تكنس في ابراجها اي تستتر الثعلبي وقال ابن زيد تخنس اي تتأخر عن مطالعها كل سنة وتكنس بالنهار اي تستتر فلا ترى انتهى وعسمس الليل في اللغة اذا كان غير مستحکم الاظلام قال الخليل عسمس الليل اذا اقبل وادبر وقال الحسن وقع القسم باقباله وقال ابن عباس وغيره بل وقع بادباره وقال المبرد اقسم باقباله وادباره معا وعبارة الثعلبي قال الحسن عسمس الليل اقبل بظلامه وقال اخرون ادبر بظلامه ثم قال والمعنيان يرجعان الى معنى واحد وهو ابتداء الظلام في اوله وادباره في اخره انتهى وتنفس الصبح اتسع ضوءه والضمير في انه للقرآن والرسول الكريم في قول الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال اخرون هو النبي صلى الله عليه وسلم في الآية كلها والقول الاول اصح وكريم صفة تقتضى رفع المذام ومكين معناه له مكانة ورفعة وقال عياض في الشفا في قوله تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه نينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) واجمع المفسرون على ان قوله تعالى وما صاحبكم يرا به النبي صلى الله عليه وسلم والضمير في رآه لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية التي كانت بعد امر غار حراء وقيل هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى * وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد بمعنى ببخيل تبليغ ما قيل له كما يفضل الكاهن حين يعطى حلوانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو

والكسائي بظنين بالظاء اي بتمهم ثم نفي سبحانه عن القرآن ان يكون كلام
 شيطان على ما قالت قریش ورجيم اي مرجوم * وقوله تعالى فاين تذهبون
 توقيف وتقرير والمعنى اين المذهب لاحد عن هذه الحقائق والبيان الذى فيه
 شفاء ان هو الاذكر اي تذكرة (ت) روى الترمذي عن ابن عمر قال قال النبي
 صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى عين فليقرأ اذا
 الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال ابو عيسى هذا
 حديث حسن انتهى

تفسير سورة الانفطار وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت
 واذا البحار فجرت قيل فجر بعضها الى بعض ويحتمل ان يكون تفجرت من اعاليها
 ويحتمل ان يكون تفجير تفريغ من قيعانها فيذهب الله ماها حيث شاء وبكل
 قيل وبمثرة القبور نبشها عن الموقى * وقوله سبحانه علمت نفس هو جواب
 اذا ونفس هنا اسم جنس وقال كثير من المفسرين فى معنى قوله ما قدمت
 واخرت انها عبارة عن جميع الاعمال من طاعة او معصية * يا ايها الانسان ما
 غرك بربك الكريم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فقال غره جهله
 فسبحان الله ما ارحمه بعباده قال الثعلبي قال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم
 دون سائر اسمائه تعالى وصفاته كانه لقنه جوابه حتى يقول غرنى كرمك انتهى

وقرأ الجمهور فمدلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى الهلال قال
 «أمنت بالذي خلقك فسواك فمدلك وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بتخفيف
 الدال والمعنى عدل اعضاءك بعضها ببعض اي وازن بينها * وقوله تعالى في اي
 صورة ما شاء ركبك ذهب الجمهور الى ان في متعلقة بركبك اي في صورة حسنة
 او قبيحة او سليمة او مشوهة ونحو هذا وما في قوله ما شاء ركبك زائدة فيها
 معنى التاكيد قال ابو حيان كلا ردع وزجر انتهى والدين هنا يحتمل ان يريد
 الشرع ويحتمل ان يريد الجزاء والحساب وباقي الآية واضح لمأمله * وقوله
 تعالى بصلونها يوم الدين اي يوم الجزاء * وقوله تعالى وما هم عنها بغائبين قال
 جماعة معناه ما هم عنها بغائبين في البرزخ وذلك انهم يرون مقاعدهم من النار
 غدوة وعشية فهم لم يزالوا مشاهدين لها نسأل الله العافية في الدارين بوجوده
 وكرمه ثم عظم تعالى قدر هول ذلك اليوم بقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما
 ادراك ما يوم الدين الآية

تفسير سورة المطففين وهي مكية في قول جماعة

وقال ابن عباس وغيره هي مدينة وعنه نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى ويل للمطففين الآية المطفف الذي ينقص الناس حقوقهم والتطفيف
 النقصان اصله من الشيء الطفيف وهو النزر والمطفف انما ياخذ بالميزان او

بالمكيال شيئاً خفيفاً واكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم معناه قبضوهم
ويخسرون معناه ينقصون * وقوله سبحانه الا يظن بمعنى يعلم ويتحقق وقال
(ص) الا يظن ذكر ابو البقاء ان لاهنا هي النافية دخلت عليها همزة الاستفهام
وليست ألا التي للتنبيه والاستفتاح لان ما بعد الا التنبيهية مثبت وهو هنا
منى انتهى وقيام الناس لرب العالمين يومئذ يختلف الناس فيه بحسب منازلهم
وروي انه يخفف عن المومن حتى يكون على قدر الصلاة المكتوبة وفي هذا
القيام هو الجلام العرق للناس كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح والناس ايضا فيه مختلفون بالتخفيف والتشديد قال ابن المبارك في
رقائقه اخبرنا سليمان التيمي عن ابى عثمان النهدي عن سلمان قال تدنى الشمس
من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوس او قاب قوسين
فتعطى حر عشر سنين وليس على احد يومئذ طحربة ولا ترى فيه عورة مومن
ولا مومنة ولا يضر حرها يومئذ مومنا ولا مومنة واما الآخرون او قال الكفار
فتطبخهم فانما تقول اجوافهم غرق غرق قال نعيم الطحربة الحرقعة انتهى ونحو هذا
للمحاسبي قال في كتاب التوهم فاذا وافى الموقف اهل السموات السبع
والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم اذنيت من الخلائق قاب
قوس او قاب قوسين فلا ظل في ذلك اليوم الا ظل عرش رب العالمين فكم
بين مستظل بظل العرش وبين واقف لحر الشمس قد اصهرته واشتد فيها كربه
وقلعه فتوهم نفسك في ذلك الموقف فانك لاحالة واحد منهم انتهى اللهم
عاملنا برحمتك وفضلك في الدارين فانه لا حول لنا ولا قوة الا بك * وقوله
تعالى كلا ان كتاب الفجار يعنى الكفار وكتابهم يراد به الذى فيه تحصيل امرهم
وافعالهم ويحتمل عندى ان يكون المعنى وعدادهم وكتاب كونهم هو فى سجين
اي هنالك كتبوا فى الازل واختلف فى سجين ما هو والجمهور ان سجيناً بناءً

مبالغة من السجن قال مجاهد وذلك في صخرة تحت الارض السابعة * وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تعظيم لامر هذا السجين وتعجب منه ويحتمل ان يكون تقرير استفهام اي هذا مما لم تكن تعلمه قبل الوحي وكتاب مرقوم على القول الاول مرتفع على خبران وعلى القول الثاني مرتفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو كتاب مرقوم ويكون هذا الكلام مفسرا للسجين ما هو ومرقوم معناه مكتوب لهم بشر وباقى الآية بين ثم اوجب ان ما كسبوا من الكفر والمتوقد ران على قلوبهم اي غطى عليها فهم مع ذلك لا يبصرون رشدا يقال رانت الحمر على قلب شاربها وران الغشي على قلب المريض وكذلك الموت قال الحسن وقتادة الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل اذا اذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ثم كذلك حتى يغطي فذلك الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الفخر قال ابو معاذ النحوي الرين سواد القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب انتهى والضمير في قوله تعالى انهم عن ربهم للكمفار اي هم محجوبون لا يرون ربهم قال الشافعي لما حجب الله قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى قال المحاسبي رحمه الله في كتاب توبيخ النفس وينبغي للعبد المؤمن اذا رأى القسوة من قلبه ان يعلم انها من الرين في قلبه فيخاف ان يكون الله تعالى لما حجب قلبه عنه بالرین والقسوة ان يحجبه غدا عن النظر اليه قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون احدهما تلو الاخرى ليس بينهما معنى ثالث فان اعترض للمريد خاطر من الشيطان ليقطعه عن الخوف من الله تعالى حتى تحل به هاتان العقوبتان فقال انما نزلتا في الكافرين فليقل فان الله لم يؤمن منهما كثيرا من

المؤمنين وقد حذر سبحانه المؤمنين ان يعاقبهم بما يعاقب به الكافرين فقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين الى غير ذلك من الآيات انتهى ولما ذكر الله تعالى امر كتاب الفجار عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم لبيان الفرق بين الصنفين واختلف في الموضع المعروف بعليين ما هو فقال ابن عباس السماء السابعة تحت العرش وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك هو سدرة المنتهى وقال ابن عباس ايضا عليون الجنة * وقوله تعالى يشهده المقربون يعني الملائكة قاله ابن عباس وغيره وينظرون معناه الى ما عندهم من النعيم والنصرة النعمة والرونق والرحيق الحمر الصافية ومختوم يحتمل انه يختم على كنوسه التي يشرب بها تهما وتنظفا والظاهر انه مختوم شربه بالرائحة المسكية حسبما فسرهم قوله ختامه مسك قال ابن عباس وغيره خاتمة شربه مسك وقرأ الكسائي خاتمه مسك ثم حرض تعالى على الجنة بقوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم المزاج الخلط قال ابن عباس وغيره تسنيم اشرف شراب في الجنة وهو اسم مذكر لما عین في الجنة وهي عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج رحيق الابرار بها وهذا المعنى في صحيح البخاري وقال مجاهد ما معناه ان تسنيم مصدر من سَنِمَت اذا علوت ومنه السنام فكانه عين قد علت على اهل الجنة فهي تنحدر وقاله مقاتل وجهور التأولين ان منزلة الابرار دون منزلة المقربين وان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون * وقوله يشرب بها بمعنى يشربها * وقوله سبحانه ان الذين اجرموا كانوا يعني في الدنيا يضحكون من المؤمنين روي ان هذه الآية نزلت في صناديد قريش وضعفة المؤمنين والضمير في مروا للمؤمنين ويحتمل ان يكون للكفار واما ضمير يتغامزون فهو للكفار لا يحتمل غير ذلك وفاكهين اي اصحاب فكاكة ونشاط وسرور باستخفافهم بالمؤمنين واما الضمير في رأوا وفي قالوا فقال

الطبري وغيره هو للكفار وقال بعضهم بل المعنى بالعكس وانما المعنى واذا رأى المؤمنون الكفار قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسل المومنون حافظين على الكفار وهذا كله منسوخ على هذا التاويل (ت) والاول اظهر * وقوله تعالى على الارائك ينظرون اي الى اعدائهم فى النار قال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون معه حالهم (ت) قال المروى قوله تعالى على الارائك ينظرون قال احمد بن يحيى الاريكة السرير فى الحجلة ولا يسمى منفردا اريكة وسمعت الازهري يقول كل ما اتكنى عليه فهو اريكة انتهى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون وهل ثوب تقرير وتوقيف للنبي صلى الله عليه وسلم وامته

تفسير سورة الانشقاق وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انشقت الآية هذه اوصاف يوم القيامة واذنت معناه استمعت وسمعت امر ربها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرءان وحقت قال ابن عباس معناه وحق لها ان تسمع وتطيع ويحتمل ان يريد وحق لها ان تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى ومد الارض هي ازالة جبالها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت وفى الحديث تمد مد الاديم والقت ما فيها يعنى من الموقى قاله الجمهور وخرج الحنطلى ابو القاسم اسحاق بن ابراهيم فى كتاب الديباج له بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله

عليه وسلم في قوله عز وجل اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض فاجلس جالسا في قبري فيفتح لي باب الى السماء بخيال رأسي حتى انظر الى العرش ثم يفتح لي باب من تحتي حتى انظر الى الارض السابعة حتى انظر الى الثرى ثم يفتح لي باب عن يميني حتى انظر الى الجنة ومنازل اصحابي وان الارض تحركت تحتي فقلت ما لك ايها الارض قالت ان ربي امرني ان التقي ما في جوفي وان اتحلى فاكون كما كنت اذ لاشي . في فذلك قول الله عز وجل والقت ما فيها وتحت واذنت لربها وحقت اي سمعت واطاعت وحق لها ان تسمع وتطيع الحديث انتهى من التذكرة وتحت معناه خلت عما كان فيها لم تتمسك منهم بشي * يا ايها الانسان انك كادح الآيـة الكادح العامل بشدة واجتهاد والمعنى انك عامل خيرا او شرا وانت لا محالة ملاقيه اي فكن على حذر من هذه الحال واعمل صالحا تجده واما الضمير في ملاقيه فقال الجمهور هو عائد على الرب تعالى وقال بعضهم هو عائد على الكدح (ت) وهو ظاهر الآيـة والمعنى ملاق جزاءه والحساب اليسير هو العرض ومن نوقش الحساب هلك كذا في الحديث الصحيح وعن عائشة هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ونحوه في الصحيح عن ابن عمر انتهى وفي الحديث عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه ويتجاوز عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك وكل ما يصيب المومن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكة قال صاحب السلاح رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم انتهى وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة قال عز الدين بن عبد السلام في اختصاره

لرعاية المحاسبي اجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الاعمال
وفما يستقبل منها فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتغنى على الله انتهى * وينقلب الى اهله اي الذين اعدهم الله له
في الجنة واما الكافر فروي ان يده تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره
فياخذ كتابه بها * ويدعوا ثورا معناه يصيح منتحبا واثبورا واحزنانه ونحو
هذا والثبور اسم جامع للمكاره كالويل * وقوله تعالى انه كان في اهله يريد في
الدنيا مسرورا اي تملكه ذلك لا يدري الا السرور باهله دون معرفة ربه *
وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور معناه ان لن يرجع الى الله مبعوثا محشورا قال
ابن عباس لم اعلم ما معنى يحور حتى سمعت امرأة اعرابية تقول لبنية لها حوري
اي ارجعي (ص) بلى ايجاب بعد النفي اي بلى ليحورن اي ليرجعن انتهى *
وقوله تعالى فلا اقسم بالشفق لا زائدة وقيل لارد على اقوال الكفار والشفق
الحمرة التي تعقب غيوبة الشمس مع البياض التابع لها في الاغلب ووسق معناه
جمع وضم ومنه الوسق اي الاضوع المجموعة والليل يسق الحيوان جملة اي يجمعها
ويضمها وكذلك جميع المخلوقات التي في الارض والهواء من البخار والجبال
والرياح وغير ذلك واتساق القمر كاله وتماه بدرا والمعنى امتلا من النور وقرأ
نافع وابو عمرو وابن عامر لتركبن بضم الباء والمعنى لتركبن الشدائد الموت
والبعث والحساب حالا بعد حال وعن تجي . بمعنى بعد كما يقال ورث المجد كبرا
عن كابر وقيل غير هذا وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير لتركبن بفتح الباء على
معنى انت يا محمد فقليل المعنى حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس
سما . بعد سما . في الاسراء وقيل هي عدة بالنصر اي لتركبن امر العرب قبيلة
بعد قبيل كما كان وفي البخاري عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد
حال هكذا قال نبيكم صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قال تعالى فمالهم لا يؤمنون

اي ما حجتهم مع هذه البراهين الساطمة ويوعون معناه يجمعون من الاعمال
والتكذيب كانهم يجمعونها في اوعية تقول وعيت العلم واوعيت المتاع وممنون
معناه مقطوع

تفسير سورة والسماء ذات البروج وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الجمهور ان البروج هي المنازل التي عرفتھا العرب وقد تقدم الكلام عليها واليوم
الموعود هو يوم القيامة باتفاق كما جاء في الحديث وانما اختلف الناس في الشاهد
والمشهدو اختلافا كثيرا فقال ابن عباس الشاهد الله والمشهد يوم القيامة وقال
الترمذي الشاهد الملائكة الحفظة والمشهد اي عليه الناس وقال ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهد يوم عرفة (ت) ولو صح
لوجب الوقوف عنده * وقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود معناه فعل الله بهم
ذلك لانهم اهل له فهو على جهة الدعاء بحسب البشر لان الله يدعو على احد وقيل
عن ابن عباس معناه لمن وهذا تفسير بالمعنى وقال الثعلبي قال ابن عباس كل
شيء في القرآن قتل فهو لمن انتهى وقيل هو اخبار بان النار قتلهم قاله الربيع
بن انس (ص) وجواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبئن وقال
المبرد الجواب ان بطش ربك لشديد وقيل الجواب قتل واللام محذوفة اي
لقتل واذا كان قتل هو الجواب فهو خبر انتهى وصاحب الاخدود مذكور في

السير وغيرها وحديثه في مسلم مطول وهو مالك دعا المؤمنين بالله الى الرجوع
عن دينهم الى دينه وخذ لهم في الارض اخاديد طويلة واضرم لهم نارا وجعل
يطرح فيها من لم يرجع عن دينه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال
لها الطفل يا امه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت النار * وقوله النار بدل
من الاخدود وهو بدل اشتعال قال (ع) وقال الربيع بن انس وابو اسحاق وابو
العالية بمث الله على اولائك المؤمنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت
النار فاحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود وعلى هذا يجي: قتل
خبراً لادعاء * وقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمومنات الآية فتنوهم
اي احرقوهم (ت) قال الهروي قوله تعالى فلم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق
اي لهم عذاب لكفرهم وعذاب باحراقهم المؤمنين انتهى قال (ع) ومن قال ان
هذه الايات الاواخر في قریش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب ويقوى هذا
التاويل بمض التقوية قوله تعالى ثم لم يتوبوا لان هذا اللفظ في قریش اشبه منه في
اولائك والبطش الاخذ بقوة * وقوله انه هو يبديني ويميدني الضحاك وابن
زيد معناه يبديني الخلق بالانشاء ويميدهم بالحشر وقال ابن عباس ما معناه ان
ذلك عام في جميع الاشياء فهي عبارة على انه يفعل كل شيء اي يبديني كل ما يبدأ
ويميدني كل ما يعاد وهذان قسان يستوفيان جميع الاشياء والجنود الجموع وفرعون
وثمود في موضع خفض على البدل من الجنود ثم ترك القول بحاله واضرب عنه
الى الاخبار بان هؤلاء الكفار بمحمد وشرعه لاجبة لهم ولا برهان بل هو
تكذيب مجرد سببه الحسد ثم توعدهم سبحانه بقوله والله من ورائهم محيط اي
عذاب الله ونقمته من ورائهم اي ياتي بعد كفرهم وعصيانهم وقرأ الجمهور في
لوح محفوظ بالخفض صفة للوح وقرأ نافع محفوظ بالرفع اي محفوظ في القلوب
لا يدركه الخطأ والتبديل

تفسير سورة والسما والطارق وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم الله تعالى بالسما المعروفة في قول الجمهور وقيل السما هنا هو المطر والطارق الذي ياتي ليلا ثم فسر تعالى هذا الطارق بانه النجم الثاقب واختلف في النجم الثاقب فقال الحسن بن ابي الحسن ما معناه انه اسم جنس لانها كلها ثاقبة اي ظاهرة الضوء يقال ثُبَّ النجم اذا اضاء وقال ابن زيد اراد نجما مخصوصا وهو زحل وقال ابن عباس اراد الجدي وقال ابن زيد ايضا هو الثريا وجواب القسم في قوله ان كل نفس الآيـة وان هي المخففة من الثقلـة واللام في لما لام التاكيد الداخلة على الخبر هذا مذهب حذاق البصريين وقال الكوفيون ان بمعنى ما النافية واللام بمعنى الا فالتقدير ما كل نفس الا عليها حافظ ومعنى الآيـة فيما قال قتادة وغيره ان على كل نفس مكلفة حافظا يحصى اعمالها ويمسدها للجزاء عليها وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآيـة ان لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل المرء الى نفسه طرفة عين لا اختطفته الشياطين * وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق توقيف لمنكرى البعث على اصل الحلقة الدال على ان البعث جائز ممكن ثم بادر اللفظ الى الجواب اقتضابا واسراعا الى اقامة الحجة فقال خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب قال الحسن وغيره معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه وقال جماعة من بين صلب

الرجل وترائب المرأة والتريبة من الانسان ما بين الترقوة الى الثدي قال ابو عبيدة معلق الحلي الى الصدر وقيل غير هذا * وقوله تعالى انه على رجمه لقادر قال ابن عباس وقتادة المعنى ان الله على رد الانسان حيا بعد موته لقادر وهذا اظهر الاقوال هنا وابينها ودافق قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق والعامل في يوم الرجم من قوله على رجمه * وتبلى السرائر معناه تختبر وتكشف بواطنها وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السرائر التي يتبليها الله من العباد التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة قال (ع) وهذه معظم الامر وقال قتادة الوجه في الآية العموم في جميع السرائر ونقل ابن العربي في احكامه عن ابن مسعود ان هذه المذكورات من الصلاة والزكاة والوضوء والوديعة كلها امانة قال واشد ذلك الوديعة تمثل له اي لمن خانها على هيبته يوم اخذها فترمى في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين انتهى (ت) قال ابو عبيد الهروي قوله تعالى يوم تبلى السرائر الواحدة سريرة وهي الاعمال التي اسرها العباد انتهى والرجع المطر وماؤه وقال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر قال الحسن لانه يرجع بالرزق كل عام وقال غيره لانه يرجع الى الارض والصدع النبات لان الارض تتصدع عنه والضمير في انه للقران وفصل معناه جزم فصل الحقائق من الاباطيل والهزل اللب الباطل ثم اخبر تعالى عن قریش انهم يكيدون في افعالهم واقوالهم بالنبي عليه السلام واكيد كيدا وهذا على ما مر من تسمية العقوبة باسم الذنب ورويدا معناه قليلا قاله قتادة وهذه حال هذه اللفظة اذا تقدمها شيء تصفه كقولك سيرا رويدا او تقدمها فعل يعمل فيها كهذه واما اذا ابتدأت بها فقلت رويدا يا فلان فهي بمعنى الامر بالتأهل (ص) رويدا ابو البقاء نمت لمصدر محذوف اي امهالا رويدا ورويدا تصغير رود وانشد ابو عبيدة

يمشى ولا تكلم البطحاء مشيته * كأنه ثمل يمشى على رود
اي على مهل ورفق انتهى

تفسير سورة سبح اسم ربك وهي مكيتة
في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

سبح في هذه الآية بمعنى ثزه وقدس وقل جل سبحانه عن النقائص والغير
جميعا وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال
سبحان ربي الاعلى وكان ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير يفعلون ذلك ولما نزلت
قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وعن سلمة بن الاكوع قال ما
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء الاستفتاحه بسبحان ربي الاعلى
الوهاب رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح
المومن * وسوى معناه عدل واتقن * وقواه فهدى عام لوجوه الهدايات في
الانسان والحيوان وقال الفراء معناه هدى واضل والعموم في الآية اصوب
والمرعى النبات والغناء ما يبس وجف وتحطم من النبات وهو الذى يجمله
السيل والاحوى قيل هو الاخضر الذى عليه سواد من شدة الخضرة والغضارة
فتقدير الآية الذى اخرج المرعى احوى اي اسود من خضرته وغضارته
بجملة غشاء عند يبسه فاحوى حال وقال ابن عباس المعنى بجملة غشاء
احوى اي اسود لان الغشاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتمغن فصار

أحوى فهذا صفة * وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك
ابن أنس هذه الآية في معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية وعده الله أن
يقرئه وأخبره أنه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر وقيل بل المعنى أنه أمره تعالى
بأن لا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد وقال الجعيد معنى لا تنسى لا تترك
العمل بما تضمن من أمر ونهي * وقوله تعالى إلا ما شاء الله قال الحسن وغيره
معناه مما قضى الله بنسخه ورفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس إلا ما شاء الله
أن ينسيكه ليسن به على نحو قوله عليه السلام أنى لاسى أو أنسى لاسن قال
(ع) ونسيان النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع فيما أمر بتليغه إذ هو معصوم فإذا
بلغه ووعي عنه فالنسيان جائز على أن يتذكر بعد ذلك أو على أن يسن أو على
النسخ * وقوله تعالى ونسرك للسرى معناه نذهب بك نحو الأمور المستحسنة
في دنياك وأخرتك من النصر والظفر ورفع الرسالة وعلو المنزلة يوم القيامة
والرفعة في الجنة ثم أمره تعالى بالتذكير قال بعض الخذاق قوله تعالى أن نفعت
الذكرى اعتراض بين الكلامين على جهة التوسيع لقرش ثم أخبر تعالى أنه
سيدكر من يخشى الله والدار الآخرة وهم العلماء والمؤمنون كل بقدر ما وفق له
ويتجنب الذكرى ونفعها من سبقت له الشتاوة * وتركى معناه طهر نفسه ونماها
بالخير ومن الأربعين حديثا المسندة لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرى الإمام
المحدث قال في آخرها وحديث تمام الأربعين حديثا وهو حديث كبير جامع
لكل خير حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفرياني أملاء في شهر رجب سنة سبع
وتسعين ومائتين قال حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى النعساني قال حدثني
أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست إليه فقال يا أباذر للمسجد تحية وتحيته
ركعتان قم فأركعهما قال فلما ركعتهما جلست إليه فقلت يا رسول الله أنك

امرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فاستكثر واستقل الحديث وفيه قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله عز وجل قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على شئت خمسين صحيفة وعلى خاتوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قالت كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابشك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بمتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا ارد لها ولو من كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان تكون له ساعة يتاجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تروى لمعاد او مذنونة لمعاش اولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا لسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل قال قلت يا رسول الله فهل في ايدينا شيء مما كان في ايدي ابراهيم وموسى مما انزل الله عز وجل عليك قال نعم اقرأ يا اباذر قد افلح من تركي وذكر اسم ربه فصلي بل توثرون الحياة الدنيا الى آخر هذه السورة يعني ان ذكر هذه الآيات لنفي صحف ابراهيم وموسى قال قلت يا رسول الله فاوصني قال اوصيك بتقوى الله عز وجل فانه رأس امرك قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فانه ذكر لك في السماء ونور لك في الارض قال قلت يا رسول الله زدني قال واياك وكثرة الضحك فانه يميئ

القلب ويذهب بنور الوجه قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فانه
رهبانية امتي قال قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالصمت الامن خير فانه مطردة
للسيطان وعون لك على امر دينك انتهى * وقوله تعالى وذكر اسم ربه اي
وحده وصلى له الصلوات المفروضة وغيرها وقال ابو سعيد الخدري وغيره هذه
الآية نزلت في صبيحة يوم الفطر فتزكى ادى زكاة الفطر وذكر اسم ربه في
طريق المصلى وصلى صلاة العيد ثم اخبر تعالى الناس انهم يوثرون الحياة الدنيا
وسبب الايثار حب العاجل والجهل ببقاء الآخرة وفضلها وروينا في كتاب
الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من
الله حق الحياء قال فقلنا يا رسول الله انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك
ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما
حوى ولتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد
استحي من الله حق الحياء انتهى قال الغزالي واشار الحياة الدنيا طبع غالب
على الانسان ولذلك قال تعالى بل توثرون الحياة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر
قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا في الصحف
الاولى صحف ابراهيم وموسى انتهى من الاحياء * وقوله تعالى ان هذا قال
ابن زيد الاشارة بهذا الى هذين الخبرين افلاح من تركى واشار الناس للدنيا
مع فضل الآخرة عليها وهذا هو الأرجح لقرب المشار اليه وعن ابي بن كعب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل
يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث
مرات يمد صوته في الثالثة ويرفع رواه ابو داود والنسائي وهذا لفظه ورواه
الدارقطني في سننه ولفظه فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات
يمد بها صوته في الاخيرة ويقول رب الملائكة والروح انتهى من السلاح قال

النووي وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي عن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بمافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك
انت كما اثبتت على نفسك قال الترمذي حديث حسن انتهى

تفسير سورة هل اتاك حديث الغاشية
وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال بعض المفسرين هل بمعنى قد وقال الخذاق هي على بابها توقيف فائدتها
تحريك نفس السامع الى تلقى الخبر والغاشية القيامة لانها تغطي العالم كله بهولها
والوجوه الحاشعة هي وجوه الكفار وخشوعها ذلها وتغييرها بالعذاب * وقوله
سبحانه عاملة ناصبة قال الحسن وغيره لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في
النار والنصب التعب وقال ابن عباس وغيره المعنى عاملة في الدنيا ناصبة فيها على
غير هدى فلا ثمره لعمليها الا النصب وخاتمة النار قالوا والآية في القسيسين وكل
مجتهد في كفر وقرأ أبو بكر عن عاصم وابو عمرو تصلي بضم التاء والباقون بفتحها
والآية التي قد انتهى حرها كما قال تعالى وبين حميم أن وقال ابن زيد آية
حاضرة والضريع قال الحسن وجماعة هو الزقوم وقال ابن عباس وغيره الضريع
شبرق النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم الضريع شوك في النار (ت) وهذا
ان صح فلا يعدل عنه وقبل غير هذا ولما ذكر تعالى وجوه اهل النار عقب ذلك

بذكر وجوه اهل الجنة ليعين الفرق وقوله تعالى لسعيها يريد لعملها في الدنيا وطاعتها والمعنى لثواب سعيها والتنعيم عليه ووصف سبحانه الجنة بالعلو وذلك يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة ايضا * لا تسمع فيها لاغية قيل المعنى كلمة لاغية وقيل جماعة لاغية اوفشة لاغية والنفوس سقط القول قال الفخر قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهواء وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه الله تعالى في الجنة من النعيم والملك قال خارجة بن مصعب بلغنا ان بعضها فوق بعض فترتفع ما شاء الله فاذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث شاء الله سبحانه انتهى * واكواب موضوعة اي باشربتها معدة والثرمة الوسادة والزراي واحدها زربية وهي كالطنافس لها خمل قاله الفراء وهي ملونات ومبثوثة معناه كثيرة متفرقة ثم وقفهم سبحانه على مواضع العبرة في مخلوقاته والابل في هذه الآية هي الجمال المعروفة هذا قول الجمهور وفي الجمل ايات وعبر لمن تأمل وكان شريح القاضي يقول لاصحابه اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت وقال المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تأتي ارسالا كالابل ونصبت معناه اثبت قائمة في الهواء وظاهر الآية ان الارض سطح لاكرة وهو الذي عليه اهل العلم وقد تقدم الكلام على هذا المعنى ثم نقي ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مصيطرا على الناس اي قاهرا جابرا لهم مع تكبر متسلطا عليهم وقوله تعالى الامن تولى وكفر قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى الامن تولى فانك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال اخرون الاستثناء منفصل والمعنى لست عليهم بمصيطر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وهي آية موادة منسوخة

بالسيف (١) وهذا هو القول الصحيح لان السورة مكية والقتال انما نزل بالمدينة (ص) وقرأ زيد بن اسلم الامن تولى حرف تنبيه واستفتاح انتهى وقال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر مفسرا معنى الآية وكاشفا خفاء الحفاء عنها المعنى اذا قال الناس لا اله الا الله فلست بمسيطر على سرائرهم وانما عليك الظاهر وكل سرائرهم الى الله تعالى وهذا الحديث صحيح المعنى والله اعلم انتهى وايابهم مصدر من آب يثوب اذا رجع

تفسير سورة والفجر وهي مكية عند الجمهور وقيل مدنية والاول اصح واشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الفجر هنا عند الجمهور هو المشهور المعروف الطالع كل يوم وقال ابن عباس

(١) قال الاستاذ الامام في تفسير هذه الآية مانصه قال بعض المومنين بالنسخ والتغيير ان هذه الآية نسخت بآيات الجهاد كأن الجهاد شرع في الاسلام لقهر النفوس على الاعتقاد وخفي على القائل ان القهر لا يحدث ايمانا وان الاكراه لا اثر له في الدين وان الجهاد ينقطع وجوبه متى خضع المحارب لاداء الجزية مع بقاءه على دينه ان كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا في رأي الاكثر ومن البديهي انه لا حاجة الى القول بالنسخ فان النبي عليه السلام ليس بمسيطر على قلوب الناس سواء كان محاربا لهم او مسالما انتهى كتبه مصححه

وغيره الفجر الذى اقسام الله به صلاة الصبح وقيل غير هذا واختلف فى الليالى
العشر فقليل العشر الاول من رمضان وقيل العشر الاواخر منه وقيل عشر
ذى الحجة وقيل غير هذا والله اعلم بما اراد فان صح عن النبي صلى الله عليه
وسلم شيء فى هذا صير اليه واختلف فى الشفع والوتر ما هما على اقوال كثيرة
وروى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلوات
منها الشفع ومنها الوتر وسرى الليل هو ذهابه وانقراضه هذا قول الجمهور
وقيل المعنى اذا يسرى فيه * هل فى ذلك قسم لذى حجر اى هل فى هذه
الاقسام منقوع لذى عقل ثم وقف تعالى على مصارع الامم الخالية وعاد قبيلة بلا
خلاف واختلف فى ارم فقال مجاهد هي القبيلة بعينها وقال ابن اسحاق ارم
هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن
واختلف فى قوله تعالى ذات العماذ فمن قال ارم مدينة قال العماذ اعمدة الحجارة
التي بنيت بها وقيل القصور العالية والابراج يقال لها عماذ ومن قال ارم قبيلة
قال العماذ اما اعمدة بنيانهم واما اعمدة بيوتهم التي يرحلون بها قاله جماعة والضمير فى
مثلها يعود اما على المدينة واما على القبيلة * وجابوا الصخر معناه خرقوه ونحتوه وكانوا
فى واديهم قد نحتوا بيوتهم فى حجارة وفرعون هو فرعون موسى واختلف فى
اوتاده فقليل ابنته العالية وقيل جنوده الذين بهم ثبت ملكه وقيل المراد اوتاد اخية
عساكره وذكرت لكثرتها قاله ابن عباس وقال مجاهد كان يوتد الناس باوتاد حديد
يقتلهم بذلك يضر بها فى ابدانهم حتى تنفذ الى الارض وقيل غير هذا والصب
مستعمل فى السوط وانما خص السوط بان يستعار للعذاب لانه يقضى من التكرار
والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال بعض اللغويين السوط هنا مصدر
من ساط يسوط اذا خلط فكانه قال خلط عذاب (ص) قال ابن الانباري ان
ربك لبالمرصاد هو جواب القسم وقيل محذوف وقيل الجواب هل فى ذلك

وهل بمعنى ان وليس بشي . انتهى والمرصاد والمرصد موضع الرصد قاله بعض اللغويين اي انه تعالى عند لسان كل قائل ومرصد لكل فاعل واذا علم العبد ان مولاه له بالمرصاد ودامت مراقبته في الفؤاد حضره الخوف والحذر لاحالة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه قال ابو حامد في الاحياء وبحسب معرفة العبد بعبود نفسه ومعرفة بجلال ربه وتعاليه واستغائه وانه لا يسئل عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه ورببه ولذا قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت الخوف واحترق القلب ثم يفيض اثر الحرقه من القلب على البدن فتنتقم الشهوات وتحترق بالخوف ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير العبد مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطره عاقبه فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضفة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ثم قال واعلم انه لا تنقم الشهوات بشي . كما تنقم بنار الخوف انتهى * وقوله سبحانه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه الآية ذكر تعالى في هذه الآية ما كانت قرش تقوله وتستدل به على اكرام الله واهانته لعبده وجاء هذا التوبيخ في الآية لجنس الانسان اذ قد يقع بمض المومنين في شي . من هذا المنزع وابتلاه معناه اختبره ونعمه اي جعله ذا نعمة * وقدر بتخفيف الدال بمعنى ضيق ثم قال تعالى كلا ردا على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله تعالى واهانته كذلك وانما ذلك ابتلاء . حق من ابتلي بالفنى ان يشكر ويطيع ومن ابتلي بالفقر ان يشكر ويصبر واما اكرام الله فهو بالتقوى واهانته فبالمعصية وطعام في هذه الآية بمعنى اطعام ثم عدد عليهم جدهم في اكل التراث لانهم كانوا لا يورثون النساء ولا صفار الاولاد وانما كان ياخذ المال من يقاتل ويحمي الحوزة واللم الجمع واللف

قال الحسن هو ان ياخذ في الميراث حظه وحظ غيره والجم الكثير الشديد
ومنه قول الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا الما

ومنه اللم من الناس وذلك الارض تسويتها * وقوله تعالى وجاء ربك معناه
جاء امره وقضاؤه وقال منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك ليس محبي
نقلة وكذلك محبي الصاخة ومحبي الطامة والملك اسم جنس يريد به جميع
الملائكة وصفا اي صفوفا حول الارض يوم القيامة على ما تقدم في غير هذا
الموضع وجي يومئذ يحنهم روي في قوله تعالى وجي يومئذ يحنهم انها تساق
الى المحشر بسبعين الف زمام يمسك كل زمام سبعون الف ملك فيخرج منها
عنت فينتقي الجابرة من الكفار في حديث طويل باختلاف الفاظ * وقوله
تعالى يومئذ تذكر الانسان معناه يتذكر عصيانه وما فاته من العمل الصالح وقال
الثعلبي يومئذ تذكر الانسان اي يتعظ ويتوب وانى له الذكرى انتهى * وقوله
يا ليتنى قدمت لحياقي قال الجمهور معناه لحياقي الباقية يريد في الآخرة *
فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد في الدنيا ولا يوثق
كوثاقه احد ويحتمل المعنى ان الله تعالى لا يكل عذاب الكافر يومئذ الى احد
وقرأ الكسائي بفتح الذال والفاء اي لا يعذب كعذاب الكافر احد من الناس
ثم عقب تعالى بذكر نفوس المؤمنين وحالهم فقال يا ايها النفس المطمئنة الآية
والمطمئنة معناه الموقنة غاية اليقين الا ترى قول ابراهيم عليه السلام ولكن
ليطمئن قلبي فهي درجة زائدة على الايمان واختلف في هذا النداء متى يقع
فقال جماعة عند خروج روح المومن وروي في ذلك حديث وفي عبادى اي
في عداد عبادى الصالحين وقال قوم النداء عند قيام الاجساد من القبور فقوله
ارجى الى ربك معناه بالبعث وادخل في عبادى اي في الاجساد وقيل النداء

هو الآن للمومنين وقال . اخرون هذا النداء . انما هو في الموقف عند ما ينطلق
 باهل النار الى النار (ت) ولا مانع ان يكون النداء في جميع هذه المواطن ولما
 تكلم ابن عطاء الله في مراعاة احوال النفس قال رب صاحب ورد عظه عن
 ورده او الحضور فيه مع ربه هم التدبير في المعيشة وغيرها من مصالح النفس
 وانواع وساوس الشيطان في التدبير لا تنحصر ومتى اعطاك الله سبحانه الفهم
 عنه عرفك كيف تصنع فاي عبد توفر عقله واتسع نوره نزلت عليه السكينة من
 ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت بولي الاسباب فكانت مطمئنة اي
 خادمة ساكنة مستسلمة لاحكام الله ثابتة لاقداره وممدودة بتأييده وانواره
 فاطمأنت لمولاها لعلها بانه يراها او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
 فاستحقت ان يقال لها يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وفي
 الآية خصائص عظيمة لها منها ترفع شأنها بتكيتها ومدحها بالطمأنينة ثناء منه
 سبحانه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه والمطمئن المنخفض من الارض فلما
 انخفضت بتواضعها وانكسارها اثني عليها مولاه ومنها قوله راضية اي عن الله
 في الدنيا باحكامه ومرضية في الآخرة بحوده وانعامه وفي ذلك اشارة للبعد انه
 لا يحصل له ان يكون مرضيا عند الله في الآخرة حتى يكون راضيا عن الله في
 الدنيا انتهى من التنوير

تفسير سورة البلد وهي مكية

في قول الجمهور وقيل مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الكلام في لا تقدم في لا اقسم والبلد هو

مكة * وقوله تعالى وانت حل قال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة وعلى هذا يترك قول من قال السورة مدنية نزلت عام الفتح وقال آخرون المعنى وانت حال ساكن بهذا البلد * وقوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد هو آدم وجميع ولده وقال ابن عباس ما معناه ان الوالد والولد هنا على العموم فهي اسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان والقسم واقع على قوله لقد خلقنا الانسان في كبد قال الجمهور الانسان اسم جنس والكبد المشقة والمكابدة اي يكابد امر الدنيا والآخرة وروي ان سبب نزول هذه الآية رجل من قريش يقال له ابو الاشد وقيل نزلت في عمرو بن عبدود وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بالكفارة فقال لقد اهلكت مالا في الكفارة والنفقات مذتبت محمدا وكان كل واحد منهم قد ادعى انه انفق مالا كثيرا على افساد امر النبي صلى الله عليه وسلم او في الكفارات على ما تقدم * وقوله اهلكت مالا لبدا اي انفقت مالا كثيرا ومن قال ان المراد اسم الجنس غير معين جعل قوله يحسب ان لم يره احد بمعنى ايظن الانسان ان ليس عليه حفظة يرون اعماله ويحصونها الى يوم الجزاء قال السهيلي وهذه الآية وان نزلت في ابي الاشد فان الالف واللام في الانسان للجنس فيشترك معه في الخطاب كل من ظن ظنه وفعل مثل فعله وعلى هذا اكثر القران ينزل في السبب الخاص بلفظ عام يتناول المعنى العام انتهى وخرج مسلم عن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيه انفق وخبره ايضا الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح انتهى وقرأ الجمهور لبدا اي كثيرا متلبدا بعباده فبعضه فوق بعض ثم عدد تعالى على

الانسان نعمه في جوارحه والنجدين قال ابن عباس والناس هما طريقا الخير والشر اي عرضنا عليه طريقهما وليست الهداية هنا بمعنى الارشاد وقال الضحاك النجدان ثديا الام وهذا مثال والنجد الطريق المرتفع * وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة الآية قوله فلا هو عند الجمهور تحضيض بمعنى الا اقتحم والعقبة في هذه الآية على عرف كلام العرب استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل واقتحم معناه دخلها وجاوزها بسرعة وضبط وشدة ثم عظم تعالى امر العقبة في النفوس بقوله وما ادراك ما العقبة ثم فسر اقتحام العقبة بقوله فك رقة الآية وهذا على قراءة من قرأ فك رقة بالرفع على المصدر واما من قرأ فك رقة او اطعم على الفعل ونصب الرقة وهي قراءة ابى عمرو فليس يحتاج ان يقدر وما ادراك ما اقتحام بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجي . فك بدلا من اقتحم ومبيناه وفك الرقة هو عقبتها من ربة الاسر والرق وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار والمسغبة المجاعة والساغب الجائع وذا مقربة معناه ذا قرابة لتجتمع الصدقة والصلة وذا متربة معناه مدقعا قد لصق بالتراب وهذا ينحوالى ان المسكين اشد فاقة من الفقير قال سفيان هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس هو الذى يخرج من بيته ثم يقلب وجهه الى بيته مستيقنا انه ليس فيه الا التراب * وقوله تعالى ثم كان معطوف على قوله اقتحم والمعنى ثم كان وقت اقتحامه العقبة من الذين امنوا * وقوله تعالى وتواصوا بالصبر معناه على طاعة الله وبلائه وقضائه وعن الشهوات والمعاصي والمرحمة قال ابن عباس كل ما يؤدى الى رحمة الله تعالى وقال ءآخرون هو التراحم والتعاطف بين الناس وفي ذلك قوام الناس ولو لم يتراحموا جملة لهلكوا والميمنة فيما روي عن يمين العرش

وهو موضع الجنة ومكان المرحومين من الناس والمشامة الجانب الاشام وهو
الايسر وفيه جهنم وهو طريق المعذبين وموصدة معناه مطقة مغلقة

تفسير سورة الشمس وضحاها وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم الله تعالى بالشمس اما على التنبيه منها على الاعتبار المؤدى الى معرفة الله
تعالى واما على تقدير ورب الشمس والضحي بالضم والقصر ارتفاع ضوء الشمس
واشراقه قاله مجاهد وقال مقاتل ضحاها حرها كقوله في طه ولا تضحي والضحا
بفتح الضاد والمد ما فوق ذلك الى الزوال والقمر يتلو الشمس من اول الشهر
الى نصفه في الغروب تغرب هي ثم يغرب هو ويتلوها في النصف الآخر بنحو آخر
وهو ان تغرب هي فيطلع هو وقال الحسن تلاها معناه تبعها دأبا في كل وقت لانه
يستضي منها فهو يتلوها لذلك وقال الزجاج وغيره تلاها في المنزلة من الضياء
والقدر لانه ليس في الكواكب شي يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر *

وقوله والنهار ظاهر هذه السورة والتي بعدها ان النهار من طلوع الشمس
وكذلك قال الزجاج في كتاب الانواء وغيره واليوم من طلوع الفجر ولا يختلف
ان نهايتها مغيب الشمس والضمير في جلالها يحتمل ان يعود على الشمس
ويحتمل ان يعود على الارض او على الظلمة وان كان لم يجر لذلك ذكر فالمعنى
يقتضيه قاله الزجاج وجلى معناه كشف وضوى والفاعل مجلى على هذه
التاويلات النهار ويحتمل ان يكون الفاعل الله تعالى كانه قال والنهار اذ جلى الله

الشمس فاقسم بالنهار في اكل حالاته ويفشى معناه يغطي والضمير للشمس على تجوز في المعنى او للارض * وقوله تعالى وما بناها وكل ما بعمده من نظائره في السورة يحتمل ان تكون ما فيه بمعنى الذي قاله ابو عبيدة اي ومن بناها وهو قول الحسن ومجاهد فيجيء القسم بالله تعالى ويحتمل ان تكون ما في جميع ذلك مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج كانه قال والسماء وبناها وطحا بمعنى دحا (ت) قال الهروي قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها فاوسمها ويقال طحا به الامر اي اتسع به في المذهب انتهى والنفس التي اقسام بها سبحانه اسم جنس وتسويتها اكمال عقلها ونظرها الثعلبي فسواها اي عدل خلقها انتهى * وقوله سبحانه فاهلها فجورها وتقواها اي عرفها طرق ذلك وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور او اكتساب التقوى وجواب القسم في قوله قد افلح والتقدير لقد افلح زاد (ص) وحذفت اللام للطول انتهى والفاعل بركي يحتمل ان يكون الله تعالى قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون الانسان قاله الحسن وغيره وزكاها اي طهرها ونماها بالخيرات ودساها معناه اخفاها وحقرها وصغر قدرها بالمعاصي والبخل بما يجب واصل دسى دس ومنه قول الشاعر

ودست عمرا في التراب فاصبحت * حالله منه ارامل ضيما
(ت) قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي ومن عيوب النفس الشفقة عليها والقيام بتمهدها وتحصيل مآربها ومداواتها الاعراض عنها وقلة الاشتغال بها كذلك سمعت جدي يقول من كرمته عليه نفسه هان عليه دينه انتهى من تأليفه في عيوب النفس وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال صاحب الكلم الفارقة والحكم الحقيقية النفس الزكية زينتها زاهتها

وعافيتها عفتها وطهارتها ودعها وغناها ثقتها بمولائها وعلمها بانه لا ينساها انتهى
ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم وينتهى
عن مثل فعلهم والطفوى مصدر وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به
حتى نزل بهم ويؤيده قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وقال جمهور من
المتاولين الباء سببية والمعنى كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها واشقاها هو مقدار
ابن سالف وقد تقدم قصصهم (ت) وناقاة الله وسقياها قيل نصب بفعل مضر
تقديره احفظوا او ذروا وقال (ص) ناقاة الله الجمهور بنصب ناقاة على التحذير
اي احذروا ناقاة الله وهو مما يجب اضرار عامله انتهى ودمدم معناه انزل العذاب
مقلقلهم مكررا ذلك وهي الدمدمة الثعلبي قال مؤرج الدمدمة اهلاك
باستيصال انتهى وكذلك قال ابو حيان وقال المروى قال الازهري فدمدم
عليهم ربهم اي اطبق عليهم العذاب وقيل فدمدم عليهم اي غضب عليهم
انتهى * وقوله تعالى فسواها اي فسوى القبيلة فى الهلاك لم ينج منهم احد
وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف عقباها والمعنى فلا درك على الله تعالى فى فعله
بهم وهذا قول ابن عباس والحسن ويحتمل ان يكون الفاعل يخاف صالحا
عليه السلام اي لا يخاف عقبي هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم وقرأ الباقون
ولا يخاف بالواو فتحتمل الوجهين وتحتمل هذه القراءة وجها ثالثا ان يكون
الفاعل يخاف المنبث قاله الزجاج والضحاك والسدي وغيرهم وتكون الواو
واو الحال كانه قال انبث لعقرها وهو لا يخاف عقبي فعله

تفسير سورة الليل وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم تعالى بالليل اذا غشي الارض وجميع ما فيها وبالنهار اذا تجلى اي ظهر وضوى الآفاق وقال (ص) يغشى مفعوله محذوف فيحتمل ان يكون النهار كقوله يغشى الليل النهار او الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها وقيل الارض وما فيها انتهى * وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية والذكر والانثى هنا عام وقال الحسن المراد ادم وحواء والسعي العمل فاخبر تعالى مقسما ان اعمال العباد شتى اي مفترقة جدا بعضها فى رضى الله وبعضها فى سخطه ثم قسم تعالى الساعين فقال فاما من اعطى واتقى الآية ويروى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه * وقوله تعالى وصدق بالحسنى قيل هي لا اله الا الله وقيل هي الخلف الذى وعد الله به وقيل هي الجنة وقال كثير من المتأولين الحسنى الاجر والثواب مجعلا والعسرى الحال السيئة فى الدنيا والآخرة ومن جعل بخل فى المال خاصة جعل استغنى فى المال ايضا لتعظم المذمة ومن جعل بخل عاما فى جميع ما ينبغي ان يبذل من قول او فعل قال استغنى عن الله ورحمته بزعمه وظاهر قوله وما يغنى عنه ماله ان الاعطاء والخل المذكورين انما هما فى المال * وقوله تعالى اذا تردى قال قتادة وغيره معناه تردى فى جهنم وقال مجاهد تردى معناه هلك من الردى وخرج البخاري وغيره عن علي رضى الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال ما منكم من احد او ما من

نفس مفوسة الاوقد كتب مكانها من الجنة والنار والاقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من اهل السعادة فيصير الى اهل السعادة ومن كان منا من اهل الشقاء فيصير الى عمل اهل الشقاء قال اما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله للمعسر وفي رواية لما قيل له افلا نتكل على كتابنا قال لا بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث وخرجه الترمذي ايضا انتهى قال ابن العربي في احكامه وسأل شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام في شيء مستأنف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالافيم العمل اذن قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالافالآن نجد ونعمل انتهى وقال قوم معنى تردى اي باكفائه من الرداء ومنه قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداء ان تلوى فيهما وحنوط

ثم اخبر تعالى ان عليه هدى الناس جميعا اي تعريفهم بالسبل كلها وليست هذه الهداية بالارشاد الى الايمان ولو كان ذلك لم يوجد كافر قال البخاري تلظى توهج وقال الثعلبي تتوقد وتوهج انتهى * وقوله سبحانه لا يصلاها الا الاشقى المعنى لا يصلاها صلي خلود ومن هنا ضلت المرجئة لانها اخذت نفي الصلي مطلقا ولم يختلف اهل التاويل ان المراد بالاتي الى اخر السورة ابو بكر الصديق ثم هي تتناول كل من دخل في هذه الصفات وباقي الآية بين ثم وعده تعالى بالرضى في الآخرة وهذه عدة لابي بكر رضي الله عنه

﴿ تفسير سورة الضحى وهي مكية بلا خلاف ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير الضحى بأنه سطوع الضوء وعظمه وقال قتادة الضحى هنا النهار كله وسجى معناه سكن واستقر ليلاً تاماً وقيل معناه اقبل وقيل معناه ادبر والاول اصح وعليه شواهد وقال البخاري قال مجاهد اذا سجد استوى وقال غيره اظلم وسكن انتهى وقرأ الجمهور ما ودعك بشد الدال من التوديع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وقال البخاري ما ودعك ربك بالتشديد والتخفيف ما تركك انتهى * وقلى ابفض نزلت بسبب ابطاء الوحي مدة وللآخرة يعنى الدار الآخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل هي ارجى آية في القرآن لانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى وواحد من امته في النار وروي انه عليه السلام قال لما نزلت اذن لا ارضى واحداً من امتي في النار قال عياض وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة في الدارين انتهى (ت) وفي صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبغى فانه منى ومن عصانى فانتك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانه عبادك وان تغفر لهم فانت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله جل ثناؤه يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك انتهى مختصراً ثم وقف تعالى نبه على المراتب التى درجه عنها بانعامه فقال لم يجدك يتيماً فآوى * وقوله تعالى ووجدك ضالاً فهدى اختلف الناس فى تأويله والضلال يختلف فنه البعيد

ومنه القريب فالبعيد ضلال الكفار وهذا قد عصم الله منه نبيه فلم يعبد صلى الله عليه وسلم صنما قط ولا تابع الكفار على شيء مما هم عليه من الباطل وإنما ضلاله صلى الله عليه وسلم هو كونه واقفا لا يميز المبيع بل يدبر وينظر وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى ضالا معناه خامل الذكر لا يعرفك الناس فهداهم اليك ربك والصواب انه ضلال من توقف لا يدري كما قال عز وجل ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال الثعلبي قال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة مفردة في فلاة سموها ضالة فيهدى بها الى الطريق اي فوجدتك وحيدا ليس معك نبي غيرك فهديت بك الخلق الى انتهى قال عياض قال الجنيد المعنى ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية قال عياض ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي المخطئين وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة انتهى والعائل الفقير فاغنى اي بالقناعة والصبر ثم وصاه تعالى بثلاث وصايا بازاء هذه النعم الثلاث والسائل هنا قال ابو الدرداء هو السائل عن العلم وقيل هو سائل المال وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملنا زادنا الى الآخرة * وقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد وغيره معناه بث القرآن وبلغ ما ارسلت به قال عياض وهذا الامر يعم الامة انتهى وقال اخرون بل هو عموم في جميع النعم وفي سنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطوا الاجير حقه قبل ان يحف عرقه واعطوا السائل وان جاء على فرس قال البغوي في المصابيح هذا حديث مرسل انتهى

﴿ تفسير سورة الم نشرح وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

عدد الله تعالى على نبيه نعمه عليه في ان شرح صدره للنبوة وهياه لها وذهب الجمهور الى ان شرح الصدر المذكور انما هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى ما يوحى اليه وقال ابن عباس وجماعة هذه اشارة الى شرحه بشق جبريل عنه في وقت صفه وفي وقت الاسراء اذ التشريح شق اللحم والوزر الذي وضعه الله عنه هو عند بعض المتأولين الثقل الذي كان يحده صلى الله عليه وسلم في نفسه من اجل ما كانت قريش فيه من عبادة الاصنام فرفع الله عنه ذلك الثقل بنبوته وارساله وقال ابو عبيدة وغيره المعنى خففنا عنك اثقال النبوة واعناك على الناس وقيل الوزر هنا الذنوب نظير قوله تعالى ليفرك لك الله ما تقدم من ذنبك وقد تقدم بيانه الثعلبي وقيل معناه عصمناك من احتمال الوزر انتهى وانقض معناه جعله نقضا اي هزينا من الثقل قال عياض ومعنى انقض اي كاد ينقضه انتهى ورفعنا لك ذكرك اي نوهنا باسمك قال (ع) ورفع الذكر نعمة على الرسول وكذلك هو جميل حسن للقائمين بامور الناس وخمول الاسم والذكر حسن للمفردين للعبادة والمعنى في هذا التعدد انا قد فعلنا جميع هذا بك فلا تكثر باذى قريش فان الذي فعل بك هذه النعم سيظفرك بهم قال عياض وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله تعالى اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي انتهى ثم قوى سبحانه رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا وكرر تعالى ذلك مبالغة وذهب كثير من العلماء الى ان مع كل عسر يسرين بهذه الآية من حيث

ان العسر معرف للعهد واليسر منكر فالاول غير الثاني وقد جاء في هذا التاويل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب عسر يسرين ثم امر تعالى نبيه اذا فرغ من شغل من اشغال النبوة والعبادة ان ينصب في اخر والنصب التعب والمعنى ان يدأب على ما امر به ولا يفتر وقال ابن عباس اذا فرغت من فرضك فانصب في التنفل عبادة لربك ونحوه عن ابن مسعود وعن مجاهد فاذا فرغت من العبادة فانصب في الدعاء * وقوله تعالى والى ربك فارغب امر بالتوكل على الله عز وجل وصرف وجوه الرغبات اليه لا الى سواه

تفسير سورة التين وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره التين والزيتون المقسم بهما المعروفان وقال السهيلي اقسام تعالى بطور تينا وطور زيتا وهما جبلان عند بيت المقدس وكذلك طور سيناء ويقال ان سيناء هي الحجارة والطور عند اكثر الناس هو الجبل وقال الماوردي ليس كل جبل يقال له طور الا ان تكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط انتهى وطور سينين جبل بالشام والبلد الامين مكة والقسم واقع على قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي في احسن تقويم ينبغى له وقال بعض العلماء بالعموم اي الانسان احسن المخلوقات تقويما ولم يرقم الخنث على من حلف بالطلاق ان زوجته احسن من الشمس محتجين بهذه الآية وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الانسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته

وانتصاب قامته وكمال عقله وحسن تمييزه والانسان هنا اسم جنس وتقدير الكلام في تقويم احسن تقويم لان احسن صفة لابدان تجرى على موصوف * ثم رددناه اسفل سافلين قال قتادة وغيره معناه بالهرم وذهول العقل وهذه عبرة منصوبة وعبرة الثعلبي في احسن تقويم قيل اعتداله واستواء شبابه وهو احسن ما يكون ثم رددناه اسفل سافلين بالهرم كما قال الى اردل العمر والسافلون الهرمى والزمنى والذين حبسهم عذرهم عن الجهاد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم انتهى وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً وهكذا قال في الذين حبسهم العذر انتهى قال (ص) الا الذين قيل منقطع بناء على ان معنى اسفل سافلين بالهرم وذهول العقل وقيل متصل بناء على ان معناه في النار على كفره انتهى قال (ع) وفي حديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المومن خمسين سنة خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الاثابة اليه فاذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين كتبت حسناته وتجاوز الله عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفرت ذنوبه وشفع في اهل بيته وكان اسير الله في ارضه فاذا بلغ مائة ولم يعمل شيئاً كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفي حديث ان المومن اذا رد الى اردل العمر كتب له خير ما كان يعمل في قوته وذلك اجر غير ممنون ثم قال سبحانه الزاما للحجة وتوبيخاً للكافر فما يكذبك ايها الانسان اي فما يجعلك ان تكذب بعد هذه الحجة بالدين وقال قتادة المعنى فمن يكذبك يا محمد فيما تخبر به من الجزاء والحساب وهو الدين بعد هذه العبر ويحتمل ان يريد بالدين جميع دينه وشرعه وروي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ اليس الله باحكم الحاكمين قال بلى وانا على ذلك من

الشاهدين قال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ احدكم اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن رواية عبد الله اذا قرأ احدكم او سمع اليس ذلك بقادر على ان يجيب الموقى فليقل بلى انتهى (ت) وهذان الحديثان وان كان قد ضعفهما ابن العربي فهما مما ينبغي ذكرهما في فضائل الاعمال والله الموفق بفضله

تفسير سورة القلم وهي مكيتة باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اقرأ باسم ربك هو اول ما نزل من كتاب الله تعالى نزل صدر هذه الآية الى قوله ما لم يعلم في غار حراء حسب ما ثبت في صحيح البخاري وغيره ومعنى قوله اقرأ باسم ربك اي اقرأ هذا القرآن باسم ربك اي مبتدئا باسم ربك ويحتمل ان يكون المقروء الذى امر بقراءته هو باسم ربك الذى خلق كانه قيل له اقرأ هذا اللفظ والعلق جميع علقه وهي القطعة اليسيرة من الدم والانسان هنا اسم جنس ثم قال تعالى اقرأ وربك الاكرم على جهة التانيس كانه يقول امض لما امرت به وربك ليس كهذه الابواب بل هو الاكرم الذى لا يلحقه نقص ثم عدد تعالى نعمة الكتابة بالقلم على الناس وهي من اعظم النعم * وعلم الانسان ما لم يعلم قيل هو ادم وقيل هو اسم جنس وهو الاظهر * وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة نزلت في ابي جهل وذلك انه طغى لغناه وكثرة من يغشى ناديه فناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاه

عن الصلاة في المسجد وقال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن عنقه
 فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه القول وانتهره وعبارة الداودي
 فتهدده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتهددني اما والله اني لاكثر اهل
 الوادي ناديا فنزلت الآية انتهى وكلا رد على ابي جهل ويتجه ان تكون بمعنى
 حقا والضمير في رءاه للانسان المذكور كانه قال ان رأى نفسه غنيا وهي رؤية
 قبيلة ولذلك جاز ان يعمل فعل الفاعل في نفسه كما تقول وجدتي وظننتي ثم
 حقر تعالى غنى هذا الانسان وحاله بقوله ان الى ربك الرجعى اي بالحشر
 والبث يوم القيامة وفي هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس ثم صرح بذكر الناهي
 لمحمد عليه السلام ولا خلاف ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي هو محمد
 عليه السلام * وقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى اكمل للتوبيخ والوعيد بحسب
 التوقيفات الثلاث يصلح مع كل واحد منها (ت) وفي قوله تعالى الم يعلم بان
 الله يرى ما يثير الهمم الراكدة * ويسيل العيون الجامدة * ويبعث على
 الحياء والمراقبه قال الغزالي اعلم ان الله مطلع على ضميرك ومشرف على
 ظاهرك وباطنك فتأدب ايها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد
 ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك ولا تدع عنك التفكير في قرب
 الاجل * وحلول الموت القاطع للامل * وخروج الامر من الاختيار *
 وحصول الحسرة والتندامة بطول الاغترار * انتهى ثم توعده تعالى ان لم ينته
 لبوخذن بناصيته فيجر الى جهنم ذليلا تقول العرب سفعت بيدي ناصية الفرس
 والرجل اذا جذبتها مذلة وقال بعض العلماء بالتفسير معناه لتحرقن من قولهم
 سفعت النار واكتفى بذكر الناصية لدالاتها على الوجه والرأس والناصية مقدم
 شعر الرأس ثم ابدل النكرة من المعرفة في قوله ناصية كاذبة ووصفها بالكذب
 والخطأ من حيث هي صفات لصاحبها * فليدع ناديه اي اهل مجلسه والنادى

والندي المجلس ومنه دار الندوة وقال البخاري قال مجاهد ناديه عشيرته * وقوله سندع الزبانية اي ملائكة العذاب ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كلا لا تطعه اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد لرَبِّك واقترب اليه بسجودك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فاكثروا من الدعاء في السجود فقمنا ان يستجاب لكم وروى ابن وهب عن جماعة من اهل العلم ان قوله واسجد خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان قوله واقترب خطاب لابن جهم اي ان كنت تجترئ حتى ترى كيف تهلك (ت) والتاويل الاول اظهر يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وعن ربعة بن كعب الاسلمي قال كنت ابست مع النبي صلى الله عليه وسلم فثابته بوضوءه وحاجته فقال لي سل فقلت اسألك مرافقتك في الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعنى على نفسك بكثرة السجود رواه الجماعة الا البخاري ولفظ الترمذي كنت ابست عند باب النبي صلى الله عليه وسلم فاعطيه وضوءه فاسمعه الهوي من الليل يقول سمع الله لمن حمده واسمعه الهوي من الليل يقول الحمد لله رب العالمين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وليس لربعة في الكتب الستة سوى هذا الحديث انتهى من السلاح وروى ان ابا جهم جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فهم بان يصل اليه ويمنعه من الصلاة ثم كع وولى ناكها على عقبه متقيا بيديه فليل له ما هذا فقال لقد عرض بيني وبينه خندق من نار وهول واجنحة فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لودنا مني لآخذته الملائكة عيانا (ت) ولما لم ينته عدو الله اخذه الله يوم بدر وامكن منه وذكر الوائي الحافظ في كتاب الابانة له من حديث مالك ابن مغول عن نافع عن ابن عمر قال بينا انا اسير بجنات بدر اذ خرج رجل من الارض في عنقه سلسلة يمسك طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقني فقال ابن

عمر لا ادري اعرف اسمي او كما يقول الرجل يا عبد الله فقال لي الاسود لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال او قد رأيته ذلك عدو الله ابو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة انتهى من التذكرة للقرطبي وقد ذكرت هذه الحكاية عن ابي عمر بن عبد البر باتم من هذا عند قوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية

تفسير سورة انا انزلناه في ليلة القدر
قال ابن عباس هي مدينة وقال قتادة هي مكة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى انا انزلناه الضمير في انزلناه للقرآن قال الشعبي وغيره المعنى انا ابتدأنا انزال هذا القرآن اليك في ليلة القدر وقد روي ان نزول الملك في حراء كان في العشر الاواخر من رمضان فيستقيم هذا التاويل وقال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وليلة القدر خصها الله تعالى بفضل عظيم وجعلها افضل من الف شهر لاليلة قدر فيها قاله مجاهد وغيره وخصت هذه الامة بهذه الفضيلة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار امته وتقاصرها وخشي ان لا يبلغوا من الاعمال مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله عز وجل ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن العربي في احكامه وقد روي مالك هذا الحديث في الموطأ

ثبت ذلك من رواية ابن القاسم وغيره انتهى ثم فحسبها سبحانه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر قال ابن عيينة في صحيح البخاري ما كان في القراءن وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه وذكر ابن عباس وغيره انها سميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها الالجال والارزاق وحوادث العام كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمثله قال (ع) وليلة القدر مستديرة في اوتار العشر الاواخر من رمضان هذا هو الصحيح الممول عليه وهي في الاوتار بحسب الكمال والنقصان في الشهر فينبغي لمرتقبها ان يرتقبها من ليلة عشرين في كل ليلة الى اخر الشهر وصح عن ابي بن كعب وغيره انها ليلة سبع وعشرين ثم اخبر تعالى ان ليلة القدر خير من الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام وثلاث عام وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والروح هو جبريل عليه السلام وقيل هو صنف حفظة للملائكة قال الفخر وذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو اتقمت السموات والارض كان ذلك له لقمة واحدة وقيل الروح طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة الاليلة القدر كالزهاد الذين لانراهم الا يوم العيد وقيل خلق من خلق الله ياكلون ويشربون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلمهم خدم اهل الجنة وقيل الروح اشرف الملائكة وقال ابن ابي نجيح الروح هم الحفظة الكرام الكاتبون والاصح ان الروح هاهنا هو جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه انتهى * وقوله تعالى باذن ربهم من كل امر الثعلبي اي بكل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس ثم بتدني فتقول سلام هي ويحتمل ان يريد من كل فتنة سلامة انتهى قال (ع) وعلى التاويل الاول يجي سلام خبر ابتداء مستانفا اي سلام هي هذه الليلة الى اول يومها ثم ذكر ما تقدم وقال الشعبي ومنصور سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المؤمنين

تفسير سورة لم يكن وهي مكية في قول الجمهور وقيل مدنية والاول اشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا وفي حرف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين * وقوله تعالى منفكين معناه منفصلين متفرقين تقول انفك الشيء عن الشيء اذا انفصل عنه واما انفك التي هي من اخوات كان فلا مدخل لها هنا قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة ووقع المستقبل موقع الماضي في تأتيهم والبيئات محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه قال الثعلبي والمشركون يعني من العرب وهم عبدة الاوثان انتهى وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لامره حتى جاءتهم البينة ففرقوا عند ذلك ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى وذلك ان يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله ونظره لهم حتى يبعث اليهم رسولا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن به النعمة فكانه قال ما كانوا ليركوا سدى والصحف المطهرة القران في صحفه قاله قتادة والضحاك وقال الحسن الصحف المطهرة في السماء فيها كتب اي احكام كتب وقيمة معناه قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل ثم ذم تعالى اهل الكتاب في انهم لم يفرقوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما رأوا الايات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته وحضاه جمع حنيف وهو المستقيم وذكر الزكاة مع ذكر بني اسرائيل يقوى قول من قال

السورة مدنية لان الزكاة انما فرضت بالمدينة ولان النبي صلى الله عليه وسلم انما دفع الى مناقضة اهل الكتاب بالمدينة وقرأ الجمهور وذلك دين القيمة على معنى الجماعة والفرقة القيمة وقال (ص) قراءة الجمهور وذلك دين القيمة على تقدير الامة القيمة اي المستقيمة او الكتب القيمة وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة بتعريف الدين ورفع القيمة صفة والهاء فيه للمبالغة او على تاويل ان الدين بمعنى الملة انتهى والبرية جميع الخلق لان الله تعالى برأهم اي اوجدهم بعد العدم * وقوله تعالى رضي الله عنهم قيل ذلك في الدنيا فرضاه عنهم هو ما اظهره عليهم من امارات رحمته ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الارزاق والاقدار قال بعض الصالحين رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضى عنه وقال سري السقطي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه ان يرضى عنك وقيل ذلك في الآخرة وخص تعالى بالذكر اهل الحشية لانها رأس كل بركة وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر

تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية

قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ومقاتل هي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا زلزلت الارض قد تقدم معنى الزلزلة والاثقال الموقى قاله ابن عباس وقيل اخرجت موتاها وكنوزها وقول الانسان مالهها هو على معنى

التمجب من هول ما يرى قال الجمهور الانسان هنا الكافر وقيل عام في المومن والكافر واخبار الارض قال ابن مسعود وغيره هي شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفساد ويؤيد هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة (ت) وخرج الترمذي في جامعه عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي يوم كذا كذا فلهذا اخبارها قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وكذا رواه ابو بكر بن الخطيب وفيه عمل علي في يوم كذا وكذا وفي يوم كذا وكذا * وقوله تعالى بان ربك اوحى لها الباء باء السبب وقال ابن عباس وغيره المعنى اوحى اليها قال (ص) المشهور ان اوحى يتعدى بالى وعدي هنا باللام مراعاة للفواصل وقال ابو البقاء لها بمعنى اليها انتهى * وقوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا بمعنى يصرفون من موضع ورودهم مخافى الاحوال قال الجمهور ورودهم بالموت وصدورهم هو القيام الى البعث والكل سائر الى العرض ليرى عمله ويقف عليه وقيل الورود هو ورود المحشر والصدور اشتاتا هو صدور قوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء اعمالهم * وقوله جلت عظمته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الآية الجامعة الفاذة ويروى انه لما نزلت هذه السورة بكى ابو بكر وقال يا رسول الله او اسأل عن مثاقيل الذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رأيته في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك الله مثاقيل ذر الخير الى الآخرة قال الداودي بينما عمر بن الخطاب بطريق مكة ليلا اذا ركب مقبلين من جهة فقال لبعض من معه سلمهم من اين اقبلوا فقال له احدهم من الفج العميق يزيد البلد العميق

فاخبر عمر بذلك فقال اوقموا في هذا قل لهم فما اعظم آية في كتاب الله واحكم آية في كتاب الله واعدل آية في كتاب الله وارجى آية في كتاب الله واخوف آية في كتاب الله فقال له قائلهم اعظم آية في كتاب الله آية الكرسي واحكم آية في كتاب الله ان الله يامر بالعدل والاحسان واعدل آية في كتاب الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى آية في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لده اجرها عظيما واخوف آية في كتاب الله من يعمل سواها يحجز به فاخبر عمر بذلك فقال لهم عمر افیکم ابن ام عبد فقالوا نعم وهو الذى كلمك قال عمر كُتِفَ (١) ملئى علما آثرنا به اهل القادسية على انفسنا قال الداودي ومعنى اعظم آية يريد في الثواب انتهى

تفسير سورة والعاديات وهي مكية

في قول جماعة وقيل مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره المراد بالعاديات الخيل لانها تعدو بالفرسان وتضج باصواتها وعن ابن مسعود وعلي ان العاديات هنا الابل لانها تضج في عدوها قال علي رضي الله عنه والقسم بالابل العاديات من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع

(١) كزُبَيْر لقب ابن مسعود لقبه به عمر رضي الله عنهما تشبيها بوعاء

الراعى والتصغير للتعظيم والمدح اه مصححه

الحاج وبابل غزوة بدر والضح تصويت جهير عند العدو قال الداودي وهو الصوت الذى يسمع من اجوافها وقت الركض انتهى * وقوله تعالى فالموريات قدحا قال علي وابن مسعود هي الابل وذلك بانها فى عدوها ترجم الحصباء بالحصباء فتتطاير منها النار فذلك القدح وقال ابن عباس هي الخيل وذلك بجوافرها فى الحجارة وقال ابن عباس ايضا وجماعة الكلام عام يدخل فى القسم كل من يظهر بقدحه نارا (ص) قدحا ابو البقاء مصدر موكد لان الموري هو القادح انتهى فالمغيرات صبغا قال علي وابن مسعود هي الابل من مزدلفة الى منى وفى بدر وقال ابن عباس وجماعة كثيرة هي الخيل واللفظة من الفارة فى سبيل الله وغير ذلك من سير الامم وعرف الفارات انها مع الصباح والنقع الغبار الساطع المثار والضمير فى به ظاهره انه للصبح المذكور ويحتمل ان يكون للمكان والموضع الذى يقتضيه المعنى ومشهور اثاره النقع هو للخيل وقال علي هو هنا للابل * فوسطن به جمعا قال علي وابن مسعود هي الابل وجمعا هي المزدلفة وقال ابن عباس وجماعة هي الخيل والمراد جمع من الناس هم المغزوون والقسم واقع على قوله ان الانسان لربه لكنود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما الكنود قالوا لا يا رسول الله قال هو الكفور الذى ياكل وحده ويمنع رفقده ويضرب عبده وقد يكون فى المومنين الكفور بالنعمة فتقدير الآية ان الانسان لنعمة ربه لكنود وارض كنود لا تنبت شيأ والكنود العاصى بلغة كندة ويقال للبخیل كنود وفى البخاري عن مجاهد الكنود الكفور انتهى * وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد يحتمل الضمير ان يعود على الله تعالى وقاله قتادة ويحتمل ان يعود على الانسان انه شاهد على نفسه بذلك وهذا قبل مجاهد وغيره * وانه لب الخير اي وان الانسان لب الخير والمعنى من اجل حب الخير لشديد اي بخيل بالمال ضابط له والخير هنا المال ويحتمل

ان يراد هنا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك واما الحب في خير الآخرة فمدوح مرجوله الفوز وقال الفراء معنى الآية ان الانسان لشديد الحب للخير ولما تقدم الخير قبل شديد حذف من آخره لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الآي انتهى * وقوله تعالى افلا يعلم توقيف اي افلا يعلم مثاله ومصيره فيستعده * وحصل ما في الصدور اي ميز وبرز ما فيها ليقع الجزاء عليه ويفسر هذا قوله صلى الله عليه وسلم يبعثون على نياتهم وفي قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وعيد (ص) والعامل في يومئذ لخبير على تضمنينه معنى لمجاز لانه تعالى خير دائما انتهى

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكيتة بلا خلاف ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الجمهور القارعة القيامة نفسها والفراش الطير الذي يتساقط في النار ولا يزال يتقحم على المصباح وقال الفراء هو صغير الجراد الذي ينتشر في الارض والهواء وفي البخاري كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يومئذ يحول بعضهم في بعض انتهى والمبثوث هنا معناه المتفرق جمعه وجملة موجودة متصلة والعهن هو الصوف والنفش خلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها * وقوله تعالى فامه هاوية قال كثير من المفسرين المراد بالام نفس الهاوية وهذا كما يقال للارض ام الناس لانها تؤويهم وقال ابو صالح وغيره

المراد ام رأسه لانهم يهعون على رؤوسهم وروى المبرد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا ام لك فقال يا رسول الله تدعوني الى الهدى وتقول لا ام لك فقال عليه السلام انما اردت لا نار لك قال الله تعالى فامه هاوية



تفسير سورة التكاثر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والاولاد والعدد وهذا هيجرى ابناء الدنيا العرب وغيرهم لا يتخلص منه الا العلماء المتقون قال الفخر فالالف واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق في الذهن وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها فانه هو الذي يمنع عن طاعة الله وعبوديته ولما كان ذلك مقرا في العقول ومتفقا عليه في الاديان لاجرم حسن دخول حرف التعريف عليه فالآية دالة على ان التكاثر والتفاخر بما ذكر مذموم انتهى * وقوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى متم فدفنتم في المقابر وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافئيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت قال (ص) قرأ الجمهور الهاكم على الخبر وابن عباس بالمسد والكسائي في رواية بهمزين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير انتهى قال الفخر اعلم ان اهم الامور واولاها بالرعاية رقيق القلب وازالة حب الدنيا منه

ومشاهدة القبور تورث ذلك كما ورد به الخبر انتهى * وقوله تعالى كلا سوف تعلمون زجر ووعيد ثم كرر تأكيدا وياخذ كل انسان من هذا الزجر والوعيد المكرر على قدر حظه من التوغل فيما يكره هذا تاويل الجمهور وقال علي كالا سوف تعلمون في القبر ثم كلا سوف تعلمون في البعث قال الفخر وفي الآية نهديد عظيم للعلماء فانها دالة على انه لو حصل اليقين لتركوا التكاثر والتفاخر فهذا يقتضى ان من لا يترك التكاثر والتفاخر ان لا يكون اليقين حاصل له فالويل للعالم الذى لا يكون عاقلا ثم الويل له انتهى * وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لا ازدرجتم وبادرتم انقاذ انفسكم من الهلكة واليقين اعلى مراتب العلم ثم اخبر تعالى الناس انهم يرون الجحيم وقال ابن عباس هذا خطاب للمشركون والمعنى على هذا التاويل انها رؤية دخول وصلي وهو عين اليقين لهم وقال ١٠ اخرون الخطاب للناس كلهم فهي كقوله تعالى وان منكم الا واردها فالمعنى ان الجميع يراها ويجوز الناجى ويكردس فيها الكافر (ص) لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بفتحها انتهى * وقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين تأكيد في الخبر وعين اليقين حقيقته وغايته ثم اخبر تعالى ان الناس مسئولون يومئذ عن نعمهم في الدنيا كيف نالوه ولم ١١ اثره وتتوجه في هذا اسئلة كثيرة بحسب شخص شخص وهي منقادة لمن اعطي فهمها في كتاب الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه والذى نفسى بيده لتسئلن عن نعم هذا اليوم الحديث فى الصحيح اذ ذبح لهم ابو الهيثم ابن التيهان شاة واطعمهم خبزا ورطبا واستعذب لهم ماء وعن ابى هريرة فى حديثه فى مسير النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر الى بيت ابى الهيثم واكلهم الرطب واللحم وشربهم الماء وقوله صلى الله عليه وسلم هذا هو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة وان ذلك كبر على اصحابه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اذا اصبتم مثل هذا وضربتم بايديكم فقولوا بسم الله وعلى بركة الله واذا
 شبعتم فقولوا الحمد لله الذى اشبعنا واروانا وانعم علينا وافضل فان هذا كفاف
 بذلك هذا مختصر رواه الحاكم فى المستدرک انتهى من سلاح المومن قال الداودي
 وعن الحسن وقتادة ثلاث لا يسئل الله عنهن ابن آدم وما عداهن فيه
 الحساب والسؤال الا ما شاء الله كسوة يوارى بها سوءته وكسرة يشد بها
 صلبه وبيت يكنه من الحر والبرد انتهى

تفسير سورة والعصر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس العصر الدهر وقال مقاتل العصر هي صلاة العصر وهي الوسطى
 اقسم الله بها وقال ابي بن كعب سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن والعصر
 فقال اقسم ربكم بآخر النهار والانسان هنا اسم جنس والخسر النقصان وسوء
 الحال ومن كان من المومنين فى مدة عمره فى التواصى بالحق والصبر والعمل
 بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع الخير كله

تفسير سورة الهمزة وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير ويل والهمزة الذي يهزم الناس بلسانه اي يعيهم ويقتابهم والهمزة قريب في المعنى من هذا وقد تقدم بيانه في قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وفي قوله والذين يلمزون المطوعين وغيره قيل نزلت هذه الآية في الاخنس بن شريق وقيل في جميل بن عامر ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات * وعدده معناه احصاء وحافظ على عدده ان لا ينتقص وقال الداودي وعدده اي استعده انتهى لينبذن ليطرحن (ص) نار الله خبر مبتدأ محذوف اي هي نار الله انتهى * والتي تطلع على الافئدة اي التي يبلغ احراقها والمها القلوب * وموصدة اي مطبقة مغلقة * في عمد جمع عمود وقرأ ابن مسعود موصدة بعمد ممددة وقال ابن زيد المعنى في عمد حديد مغلولين بها والكل من نار عافانا الله من ذلك

تفسير سورة الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

هذه السورة تنبيه على العبرة في اخذ الله تعالى لابرهة امير الحبشة حين قصد الكعبة لهدمها وكان صاحب فيل يركبه وقصته شهيرة في السير فيها تطويل واختصارها ان ابرهة بنى في اليمن بيتا واراد ان يرد اليه حج العرب فذهب اعراي واحداث في ذلك البيت ففضب ابرهة واحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما قرب منها فرت قريش الى الجبال والشعاب من معرة الجيش ثم تها ابرهة لدخول مكة وهيا الفيل فاخذ نفيل بن حبيب باذن الفيل وكان اسمه محمودا فقال له ابرك محمود فانك في حرم الله وارجع من حيث جئت راشدا فبرك الفيل بذى الغميس فبعثوه فابى فضربوا راسه بالمعول وراموه بمحاجنهم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فبعث الله عليهم طيرا جماعات جماعات سودا من البحر عند كل طائر ثلاثة احجار في منقاره ورجليه كل حجر فوق العدة ودون الحمصة ترميهم بها فساوا في طريقهم متفرقين وتقطع ابرهة اثملة اثملة حتى مات وحى الله بيته والابايل الجماعات تجي ، شيأ بعد شي ، قال ابو عبيدة لا واحد له من لفظه قال الفخر وفي تضليل معناه في تضريع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضاللا ضائعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال انتهى والمصنف ورق الخنطة وتنبه والمعنى صاروا طحينا

ذاها كورق حنطة اكلته الدواب وراثته فجمع لهم المهانة والحسة والتلف قال
 الفخر وقيل المعنى كمصف صالح للاكل والمعنى جعلهم كتبن تاكله الدواب وهو
 قول عكرمة والضحاك انتهى ومن كتاب وسائل الحاجات وآداب المناجات
 للإمام ابى حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال وقد بلغنا عن غير واحد من
 الصالحين وارباب القلوب انه من قرأ في ركعتي الفجر في الاولى الفاتحة والم
 نشرح وفي الثانية الفاتحة والم ترقصت يد كل عدو عنه ولم يجعل لهم اليه سبيل
 قال الإمام ابو حامد وهذا صحيح لا شك فيه انتهى

تفسير سورة لايلاف قريش وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قريش ولد النضر بن كنانة والتقرش التكسب والمعنى ان الله تعالى جعل قريشا
 يالفون رحلتين في العام واحدة في الشتاء واخرى في الصيف قال ابن عباس
 كانوا يرحلون في الصيف الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى
 مكة قال الخليل معنى الآية لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه
 النعمة فليعبدوا رب هذا البيت * وقوله تعالى من جوع معناه ان اهل مكة
 قاطنون بواد غير ذى زرع عرضة للجوع والجذب لولا فضل الله عليهم

﴿ تفسير سورة ارايت الذى وهى مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه ارايت الذى يكذب بالدين الآية توقيف وتنبيه لتذكرك نفس السامع كل من تعرفه بهذه الصفة والدين الجزاء * ودع اليتيم دفعه بمنف اما عن اطعامه والاحسان اليه واما عن حقه وماله وهو اشد ويروى ان هذه الآية نزلت فى بعض المضطربين فى الاسلام بمكة لم يحققوا فيه وقتنوا فافتسنا وربما كان يصلى بعضهم احيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة فقال تعالى فيهم فويل للمصلين الآية ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره ان الآية نزلت فى العاص بن وائل انتهى وقال السهيلي قال اهل التفسير نزل اول السورة بمكة فى ابى جهل وهو الذى يكذب بالدين ونزل اخرها بالمدينة فى عبد الله بن ابى سلول واصحابه وهم الذين يراون ويمنعون الماعون انتهى قال سعد بن ابى وقاص سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرونها عن وقتها يريد والله اعلم تاخير ترك واهمال والى هذا نحا مجاهد وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم * وقوله تعالى الذين هم يراون بيان ان صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بايمان وانما هي رياء للبشر فلا قبول لها * وقوله تعالى ويمنعون الماعون وصف لهم بقلة النفع لعباد الله وتلك شر خصلة وقال على وابن عمر الماعون الزكاة وقال ابن

مسعود وابن عباس وجماعة هو ما يتعاطاه الناس كالنفاس والدلو والآنية والمقص ونحوه وسئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذي لا يحل منعه فقال الماء والنار والملح وروته عائشة رضي الله عنها وفي بعض الطرق زيادة الابرة والخمير قال البخاري الماعون المعروف كله وقال بعض العرب الماعون الماء وقال عكرمة اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع انتهى

﴿ تفسير سورة انا اعطيناك الكوثر وهي مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر في الجنة حافته قباب من لؤلؤ مجوف وطينه مسك وحصابؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وان اختلفت الفاظ رواته وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير قال ابن جبير النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي اعطاه الله اياه (ت) وخرج مسلم عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاه ثم رفع رأسه متبسما فقال نزلت علي انفا سورة فقرا انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة الحديث انتهى وخرج ابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يرد علي الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد قال الراوى فبكي عمر بن عبد العزيز حتى اخضل لحيته حين بلغه الحديث وقال

لاجرم انى لا اغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ ولا ادهن رأسى حتى يشعث وخرجه ابو عيسى الترمذي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ونقل صاحب التذكرة عن انس بن مالك قال اول من يرد الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السائحون الذين اذا اجنهم الليل استقبلوه بالحنز انتهى من التذكرة وروى ابو داود فى سننه عن ابى حمزة عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة انتهى * وقوله تعالى فصل لربك وانحر امر بالصلاة على العموم والنحر نحر الهدي والنسك والضحايا على قول الجمهور * وقوله تعالى ان شانئك هو الابتر رد على مقالة بعض سفهاء قريش كابى جهل وغيره قال عكرمة وغيره مات ولد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل بتر محمد فنزلت السورة وقال تعالى ان شانئك هو الابتر اى المقطوع المتور من رحمة الله والشانئى المبغض قال الداودى كل شانئى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ابتر ليس له يوم القيامة شفيع ولا حميم يطاع انتهى

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون
وهي مكية اجماعا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روى فى سبب نزول هذه السورة عن ابن عباس وغيره ان جماعة من صناديد

قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم دع ما انت فيه ونحن نمولك ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبدوا الهتنا ونعبد الهك حتى نشترك في شيء كان الخير لثناهما جميعا وروي ان هذه الجماعة المذكورة هم الوليد بن المغيرة والمعاصي بن وائل وامية بن خلف وابي بن خلف وابو جهل وابناء الحجاج ونظراؤهم ممن لم يكتب له الاسلام وحتم بشقاوته فاخبرهم صلى الله عليه وسلم عن امر الله عز وجل انه لا يعبد ما يعبدون وانهم غير عابدين ما يعبد ولما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستأنف منتظرا ما يكون فيه من عبادته جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يؤمنون به ابدا كالذي كشف الغيب ثم زاد الامر بيانا وتبريا منهم قوله لكم دينكم ولي دين وقال بعض العلماء في هذه الالفاظ مهادنة ما وهي منسوخة (١)

(١) قال العلامة الآلوسي في تفسير هذه الآية والاولى ان تفسر بما لا تكون عليه منسوخة لان النسخ خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا عند الضرورة انتهى وقال الحافظ ابن القيم في البدائع ما حاصله قد غلط في السورة خلألق وظنوا انها منسوخة لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظنوا آخرون انها مخصصة بمن يقرون على دينهم وهم اهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا اوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لان شرككم فيه ولا تشركونا في ديننا الحق فاين الاقرار حتى يدعى النسخ او التخصيص اقترى اذا جاهدوا بالسيف كما جاهدوا بالحجة لا يصح ان يقال لهم لكم دينكم ولي دين انتهى مصححه

﴿ تفسير سورة النصر وهي مدنية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة واسلمت العرب جعل يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك يتأول القرآن في هذه السورة وقال لها مرة ما اراه الا حضور اجلى وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فصدقهما وزرع هذا المنزع ابن عباس وغيره والفتح هو فتح مكة كذا فسرہ صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم والافواج الجماعة اثر الجماعة (ص) بحمد ربك اي متلبسا فالبااء للحال انتهى * وقوله تعالى انه كان توابا بعقب واستغفره ترجية عظيمة للمستغفرين قال ابن عمر نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم بمضى في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها

﴿ تفسير سورة تبت يدا ابي لهب وهي مكية باجماع ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا

فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا
تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال
فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا
ثم قام فنزلت تبث يداي لهب الى اخرها وتبت معناه خسرت والتباب
الحسران والدمار واسند ذلك الى اليمين من حيث ان اليد موضع الكسب
والرجع وضم ما يملك ثم اوجب عليه انه قد تب اي حتم ذلك عليه وفي قراءة
ابن مسعود وقد تب وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي
صلى الله عليه وسلم ولكن سبقت له الشقاوة قال السهيلي كناه الله بابي لهب
لما خلقه سبحانه للهب واليه مصيره الا تراه تعالى قال سيصلي نارا ذات لهب
فكانت كنيته بابي لهب تقدمت لما يصير اليه من اللهب انتهى * وقوله
سبحانه ما اغنى عنه ماله يحتمل ان تكون ما نافية على معنى الخبر ويحتمل ان
تكون ما استفهامية على وجه التقرير اي اين الغناء الذي لماله وكسبه وما
كسب يراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه وقيل كسبه بنوه * وقوله سبحانه
سيصلي نارا ذات لهب حتم عليه بالنار واعلام بانه يتوفى على كفره نعوذ بالله من
سوء القضاء ودرك الشقاء * وقوله تعالى وامراته حمالة الحطب هي ام جميل
اخت ابى سفيان بن حرب وكانت موزية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
بلسانها وغاية قدرتها وكانت تطرح الشوك في طريق النبي صلى الله عليه وسلم
وطريق اصحابه ليعقرهم فلذلك سميت حمالة الحطب قاله ابن عباس وقيل هو
استعارة لذنوبها قال عياض وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاء وهي جمر على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كشيء اهيل
انتهى (ص) وقرئ شاذا ومريمته بالتصغير والجيد هو العنقا * وقوله تعالى في
جيدها جبل من مسد قال ابن عباس وجماعة الاشارة الى الجبل حقيقة الذي

ربطت به الشوك والمسد الليف وقيل ليف المقل وفي صحيح البخاري يقال من
مسد ليف المقل وهي السلسلة التي في النار انتهى وروي في الحديث ان هذه
السورة لما نزلت وقرئت بلغت ام جميل فجاءت ابا بكر وهو جالس مع النبي صلى
الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر حجر فاخذ الله ببصرها وقالت يا ابا بكر
بلغني ان صاحبك هجاني ولو وجدته لضربت به هذا الفهر واني لشاعرة
وقد قلت فيه

مذمما قلينا * ودينه ابينا

فسكت ابو بكر ومضت هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجيتني عنها
ملائكة فما رأيتني وكفاني الله شرها

—*—

تفسير سورة الاخلاص قيل مكيت

وقال ابن عباس مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي ان اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد صف لنا
ربك وانسبه فانه وصف نفسه في التوراة ونسبها فارتعد النبي صلى الله عليه
وسلم من قولهم حتى خر مغشيا عليه ونزل جبريل بهذه السورة * واحد معناه
واحد فرد من جميع جهات الوجدانية ليس كمثل شيء وهو ابتداء والله ابتداء
ثان واحد خبره والجملة خبر الاول وقيل هو ابتداء والله خبره واحد بدل منه
وقرأ عمر بن الخطاب وغيره قل هو الله الواحد الصمد والصمد في كلام العرب

السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وانشدوا

لقد بكر الناعي بخير بني اسد * بممرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وبهذا تفسر هذه الآية لان الله تعالى جلت قدرته هو موجد الموجودات واليه
تصمد وبه قوامها سبحانه وتعالى * وقوله تعالى لم يلد ولم يولد رد على اشارة
الكفار في النسب الذي سألوه وقال ابن عباس تفكروا في كل شي ولا تفكروا
في ذات الله قال (ع) لان الافهام تقف دون ذلك حسيمة * وقوله سبحانه
ولم يكن له كفوا احد معناه ليس له ضد ولا ند ولا شبه ليس كمثل شي . وهو
السميع البصير والكفو النظير وكفوا خبر كان واسمها احد قال (ص) وحسن
تأخير اسمها لوقوعه فاصلة وله متعلق بكفوا اي لم يكن احد كفوا له وقدم
اهتماما به لاشتغاله على ضمير الباري سبحانه انتهى وفي الحديث الصحيح عنه صلى
الله عليه وسلم ان قل هو الله احد تمعدل ثلث القرآن قال (ع) لما فيها من
التوحيد وروى ابو محمد الدارمي في مسنده قال حدثنا عبد الله بن مزيد حدثنا
حيوة قال اخبرنا ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احدى عشرة مرة بني له قصر في الجنة ومن
قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة
قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك اي فضل الله اوسع من
ذلك قال الدارمي ابو عقيل هو زهرة بن معبد وزعموا انه من الابدال
انتهى من التذكرة



تفسير سورة المعوذۃ الاولى

قال ابن عباس مدنية وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو واحاد امته قال ابن عباس وغيره الفلق الصبح وقال ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة الفلق جب في جهنم ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى من شر ما خلق يعم كل موجود له شر واختلف في الفاسق فقال ابن عباس وغيره الفاسق الليل ووقب اظلم ودخل على الناس وفي الحديث الصحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى القمر وقال يا عائشة تموذى بالله من شر هذا الفاسق اذا وقب قال السهيلي وهذا اصح ما قيل لهذا الحديث الصحيح انتهى ولفظ صاحب سلاح المومن عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استمذى بالله من شر هذا فان هذا الفاسق اذا وقب رواه الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ووقب القمر وقوبا دخل في الظل الذى يكسفه قاله ابن سيدة انتهى من السلاح * والنفاثات في المقد السواحر ويقال ان الاشارة اولا الى بنات لبيد ابن الاعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتى سحرن مع ابهين رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفث شبه النفخ دون تفل ريق وهذا النفث هو على عقد تمعد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيوذى بذلك قال (ع) وهذا الشأن

في زماننا موجود شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة انه رأى عند بعضهم خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فنمت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه في الحين فوضع اعادنا الله من شر السحر والسحرة * وقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال قتادة من شر عينه ونفسه يريد بالنفس السعي الخبيث وقال الحسين بن الفضل ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطباع

تفسير سورة المعوذلة الثانية قال ابن عباس وغيره هي مدينة وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس ملك الناس الى الناس من شر الوسواس الخناس الوسواس اسم من اسماء الشيطان وقوله الخناس معناه الراجع على عقبه المستتر احيانا فاذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ تذكر فابصر كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الآية قال النووي قال بعض العلماء يستحب قول لا اله الا الله لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء والصلاة وشبههما فان الشيطان اذا سمع الذكر خنس اي تأخر وبعد ولا اله الا الله رأس الذكر ولذلك اختار السادة الجللة من صفوة هذه الامة اهل تربية السالكين وتاديب المريدين قول لا اله الا الله لاهل الخلوة وامروهم بالمداومة عليها وقالوا انفع علاج في دفع الوسوسة الاقبال على ذكر الله تعالى والاكتثار منه وقال السيد الجليل احمد بن ابي

الحواري شكوت الى ابي سليمان الداراني الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع
عنك فاي وقت احسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه ليس
شيء ابغض الى الشيطان من سرور المومن وان اغتمت به زادك (ت) وهذا
ما يؤيد ما قاله بعض الائمة ان الوسواس انما يبتلى به من كمل ايمانه فان اللص
لا يقصد بيتا خربا انتهى (ت) ورأيت في مختصر الطبري نحو هذا * وقوله
تعالى من الجنة يعني الشياطين ويظهر ان يكون قوله والناس يراد به من يوسوس
بمجدعة من الشر ويدعو الى الباطل فهو في ذلك كالشيطان قال احمد بن نصر
الداودي وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من
الجنة ووسواس من نفس الانسان انتهى وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل
هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما
استطاع من جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك
ثلاث مرات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

يقول العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف
الله به في الدارين قد يسر الله عز وجل في اتمام تلخيص هذا المختصر * وقد
اودعته بحول الله جزيلا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن
عطية واسقطت كثيرا من التكرار وما كان من الشواذ في غاية الوهي وزدت
من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها بميزة معزوة لمخالها منقولة بالفاظها
وتوخيت في جميع ذلك الصدق والصواب * والى الله ارغب في جزيل
الثواب * وقد نبهت بعض تنبيه وعرفت بايام رحلتى في طلب العلم بعض
تعريف عند ختمى لتفسير سورة الشورى فليُنظر هناك والله المسئول ان يجعل
هذا السعي منا خالصا لوجهه وعملا صالحا يقرنا الى مرضاته ومن وجد في هذا

الكتاب تصحيحا او خلا فارغب اليه ان يصلحه من الامهات المنقول منها
متشبا في ذلك لا يرايه وبديهة عقله

فكم من عائب قولنا صحيحا * ووافته من الفهم السقيم
وكان الفراغ من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الاول من عام ثلاثة وثلاثين
وثمانمائة وانا ارغب الى كل اخ نظرفيه ان يخلص لى وله بدعوة صالحة وهذا
الكتاب لا ينبغي ان يخلو عنه متدين ومحب لكلام ربه فانه يطلع فيه على فهم
القرآن اجمع في اقرب مدة وليس الخبر كالعيان هذا مع ما خص به من
تحقيق كلام الائمة المحققين رضي الله عنهم نقلته عنهم بالفاظهم متحريرا للصواب *
ومن الله ارتجى حسن المثاب * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين *
وعلى آله وصحبه اجمعين * واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

خاتمة الطبع

* بسم الله الرحمن الرحيم *
تبارك من بيده الملك وخلق كل شيء ، فقدرد تقديره * والحمد لله الذي نزل
الفرقان على نبيه ليكون لكافة الناس بشيرا ونذيرا * والصلاة والسلام على من
ارسله ربه داعيا اليه باذنه وسراجا منيرا * وانزل عليه ولا ياتونك بشئ الا
جنناك بالحق واحسن تفسيره * سيدنا محمد ممدن العالم * وخلاصة المصطفين
من بني آدم * وعلى آله واصحابه الاماجد الاعيان * الذين بلغوا اليانا
القرآن العظيم الشأن * وحفظوا مبانيه * وفهموا معانيه * وعملوا بمقتضى
احكامه * فنالوا رضا الله وغاية اكرامه * ﴿ اما بعد ﴾ فيقول العبد
الفقير الى رحمة ربه العلي الكبير * (محمد بن مصطفى ابن الحوجه)
المدرس والامام الخطيب يجامع سفير * قد اكملت تصحيح هذا

الكتاب * الذى هو ذخيرة العلماء وكنز الطلاب * بعد ان قابله بنسخ
متعدده * وعارضته على بعض الامهات المقتدده * مستعينا بصديقنا
وصهرنا الفاضل المكرم * السيد قدور بن محمد الامام الاول بالمسجد
الاعظم * وايم الله انه لتفسير جليل * قد فصل مقاصد الذكر
الحكيم احسن تفصيل * وحوى عباب المنقول * واشتمل على
لباب المعقول * واتى من درر الفرائد * بما يبهر العقول * ومن غرر
الفوائد * بما تدعن له الفحول * ولاغرو فؤلفه العلامة التحرير * والولي
الصالح الشهير * فخر مدينة الجزائر * سليل الامائل الاكابر *
سيدى عبد الرحمن الثعالبي قدس الله روحه * واعاد علينا سره وفتوحه * ولما
كان هذا التاليف كنزا مخفيا * وقد قصرت عنه يد من اضحى بنفائس الجواهر
حفيا * نهض الخيران السيد احمد بن مراد وشقيقه السيد قدور لطبعه * رغبة
منهما حفظهما الله تعالى فى تميم نفعه * وذلك فى مطبعتهما البهيه *
الموصوفة بالثعالبيه * وقد تم طبعه فى اخير ذى الحجة الحرام * ختام سنة ١٣٢٧
من هجرة سيد الرسل الكرام * صلى الله عليه وسلم * وشرف ومجد وعظمه *



ولما لاح بدر تمامه * وفاح مسك ختامه * واطلع عليه حضرة صاحب الفضيله *
والاخلاق الحميدة والاعمال الجليله * العلامة الاشهر * والاستاذ الاكبر *
الشيخ السيد ابن زكرى محمد سعيد بن احمد مفتى السادة المالكيه * والمدرس
فى القسم العالى من المدرسة الثعالبيه * كتب حرس الله كماله * وبلغه فى
الدارين اماله * مانصه

حمدا لمن خلق الانسان من علق * وبه الاستعاذة من شر ما خلق * وصلاة
وسلاما على من تحنث ليلي عديدة بفار حراء * سيدنا محمد بن عبد الله

روح الوجود وسراكون بلامراء * وعلى اله واصحابه * وعترته وانصاره
واحرابه * وبعد فان الله جلت نعمته * وعمت الخلائق رحمته * قد حبا
رسوله بفضيلة التنزيل * وشرف الوسيلة وزره جبريل * فاته من مرسل
بكتاب مجيد * لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد * كتاب كريم * من لدن سميع عليم * بيدانه لا وسم فيه ولا عيب *
واليه الرمز بقوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب * فيه نور وهدى للمتقين *
وطمس لاطلال ضلال المناقين * قامع الجبارين بساطع برهانه *
وناكس روس المتكبرين ببالغ سلطانه * فاستنارت امة بمشكاة نوره
فاهدت * وبقيت اخرى في ظلمات جهلها يكاد البرق يخطف ابصارها
فاعتدت * كتاب يهدي حقاً للتي هي اقوم * ويبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا في دار النعم * كتاب مأمون سبيله * ومستعذب
لدى اهل الذوق السليم سلسيله * كتاب صفا للظمان مورده * وصح
لدى كل راو سنده * عن ثقات السلف الصالح * الى هداة الخلق من الخلف
الناجح * لله در اقوام مخلصين في خدمة كتابه * يرجون رحمة ربهم ويخافون سوء
عذابه * اما لوا عنان العزم صوب ابراز مخدرات اسراره * واستضاءوا في دياجي
المشكلات بمصابيح انواره * فكلم غشيم موج كالظلال من بحر اعجازه *
سلكوا سبيل النجاة برعي حقيقته ومجازه * فهم لنا ادلة على الهدى *
وانجم مشرقة للاهتدا * ومن بين اولئك الاعلام * الهداة للانام *
الرعاة للذين هم كالانعام * رحالة زمانه لرواية الحديث * كما اشتهر بذلك
في القديم والحديث * امام المتقين * واستاذ المحققين * منهل المعارف واللطائف *
سيدي عبد الرحمن الثعالبي ملجأ كل خائف * احسن الله الى روحه الطاهرة
في غرف الجنان * كما احسن هو الى هذه الامة بالجواهر الحسان *

ربى حسن به ظنى حتى اقول لحسان مدحه ليتيك حسان *
ياواقفا لدى الباب * ادخل بسلام الى جنات هذا الكتاب * تراها ذات
بهجة ما كان لك ان تجني ثمرتها الا باكتساب * هذا الكتاب * وما ادراك ما
الكتاب * كتاب يهون على النفس المصاب * ويخلصها من الشك والارتياب *
وكيف لا وهو تفسير جليل * عار عن شبهات الضلال والتضليل * الا ترى
اليه فى كل حال * يصرح بمثل هذا المقال * رب انى اعوذ بك من همزات
الشياطين * ومن زغات فلسفة الزاعمين انهم لسماء الحكمة اساطين *
فسلك فيه مسلك الصواب * فجاء والله الحمد تبصرة وذكرى لاولى
الالباب * روى صاحبه بسهم فاصاب * واتى بالحق المبين وفصل
الخطاب * الاتسمع بتفسير مروثق بحسان الجواهر * مطبوع بحرف شرقى على
ورق جيد بالمطبعة الثمالية فى الجزائر * مطبعة الشقيقتين ابني مراد * بلغهما
الله فى الدارين حسن المراد * ولاتنس شكر المصحح * فعمله الجميل
لفضله مرجح * لانه تقدم طبعا على الطبع قطعا * فكالم الطبع موقوف على
﴿ الكمال ﴾ وضعا * الا ترى الى الصلاة بدون الامام * تنقص درجاتها او تبطل
على مذهب كل امام * نسأل الله تعالى للفاضل الامين والاستاذ ابن مصطفى *
ان يجزيهما على حسن صنعهما الجزاء الاوفى * بحاجه عين الرحمة سيدنا ومولانا
محمد وآله * واصحابه الاخيار وكل ناسج على منواله

الفقيه الى ربه ابن زكرى محمد سعيد بن احمد الزواوي مفتى
السادة المالكية بعاصمة الجزائر وفقه الله .امين

وتلاه جناب العالم العامل والمفضل الكامل الشيخ السيد عبد الحلیم بن علي ابن سمايه المدرس بالجامع الجديد واحد اساتذة المدرسة الثعالبية فقال ادام الله النفع به

الحمد لله الذي منح اجابه من كنز مواهبه بالجواهر الحسان * والبسم من مطارف المعارف ما يخرس وصفه شقاشق اللسان * وعقد لهم على بساط المكارم منبرا * وقضوت انفسهم الزكية بين الورى مسكا وغبرا * فهم ماهم * تعرفهم بسماهم * عرف التحقيق * من ادراج كلامهم عبيق * وقول فصل * يفل غرار النصل * وجادة مستقيمة لا تلوى * وانجم ناقة لا تهوى * تنبع ينابيع الحكمة من صدورهم صافية من كل كدر * متسلسلة بصفاء التصحيح في المنقول عن الصادق الامين من الخبر * اعرضوا عن القيل والقال * ونبذوا ظهريا كل ما ادى الى المراء والجدال * قد علموا وان لم يعلموا هم فمن يعلم * ان خير المهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * الذى بلغ الرسالة * وبين طرق الحق من الضلالة * وترك الجدال والمراء مع العالمين * ووقف فى إقامة الحججة على الخلق على ما نطق به الكتاب المبين * ومن استضاء بالانوار النبوية فله اسوة حسنة فى اتباعه * تغنيه عما يخترعه من وساوس ابتداعه * الا وان ذلك هو العقل الذى لا يثبت عليه الا من احكم بحبل من حكمة النبوة متين * ولا يقف عنده الا من منحه الله بخلق من اخلاق الانبياء والمرسلين * ولذلك كان تفسير هذا الطود الشامخ * واساس العلم الراسخ * السيد الذى اخذ فى مجال الحق باليمين اعلامه * والف فى الفنون المتعددة وضرب فى مغازيها سهامه * وتفجرت بالعلم النافع من بين اصابعه ينابيع الاقلام * وانحى بتنقيحه السنة النبوية على ما ابتدع فيها ببارت حسام * حتى شهدت بغزارة علمه فطاحل

العلماء * وحمد فضله اهل الارض ولا شك انه محمود في السماء * واعترفوا
 بانه قطب زمانه الذي دارت عليه امور دين المتقين * واتخذ القاصي والداني
 واسطة الارشاد في السلوك الى رب العالمين * والمولى الذي لمن تشخص
 عظيم قدره * واضطلاعه بالخلافة النبوية في نهي الله وامره * ان كان ممن
 له حياء ذاب حياء * او كان ممن له شعور طارت نفسه شعاعا وابثت هباء *
 سيدى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته *
 وجعلنا ممن سلك مسالك كل الرجال في سكناته وحركاته * تفسير احوى
 من نوايع البيان اوضحها * ومن نقل الاقوال امتنها وارجحها * طوى
 كشحها عما ضمف نقله * وافرغ نصحه فيما جزل نفعه وجل فصله *
 افتخل التفسير انتحالا * وروق منها ما صفا مشربه زلالا حلالا *
 وضرب بما يشم رائحة البدعة عرض الجدار * وشخص للقارئ اخلاق
 الصحابة والسلف الاخيار * اذهم القدوة في هذه المسالك على التحقيق *
 وهم الذين من لم يسر على اثارهم فقد ضل سواء الطريق * وهل الامة
 المحمدية التي نسل الله تعالى ان يجعلنا منها الاهولا المتقون * الذين
 اثنى عليهم الرب الكريم بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
 خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * وهل يطمع ان يعد في عدادهم * الا
 من سدد قوله وفعله بسدادهم * وهل حصل ما حصل هذا السيد الجليل
 من المكانة عند الله على ما هو حسن المعتقد * ورفع الكعب بين العباد كما هو
 معروف لا ينكره احد * الا باتباع الحق بين الخلق * واطراح الهوى
 وسلوك سبل الجد والصدق * وهي وراثة نبوية مقسومة على ذوى الارحام
 في الدين * ممن الزم نفسه قصر طرفه على العمل باقوال وافعال سيد
 المرسلين * والعلماء العاملين ورثة الانبياء * وهم الاتقياء والاصفياء والاولياء *

فَسئَلُ اللهَ انْ يَجْزِي هَذَا السَّيِّدَ الْجَلِيلَ * عَنِ الْاُمَةِ الْمُحَمَّديَةِ الْجَزَاءَ الْجَزِيلَ *
 وَاَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ سَمِعَ وَوَعَى * وَلَعَهْدَ اللهِ حِفْظَ وَرَعَى * وَاَنْ يَجْعَلَ سَعَى
 اخِينَا السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْطَفَى ابْنِ الْحَوْجَةِ فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْكِتَابِ *
 وَمُقَابَلَتِهِ لَهُ بِسَبْعِ نَسَخٍ مَعَ مَرَاجَعَةٍ بَعْضُ الْاَصُولِ حَتَّى تَهْتَدِبَ مِنْ تَحْرِيفِ
 الْكِتَابِ * سَعِيَا مُشْكُورَا * وَذَنْبِ الْجَمِيعِ ذَنْبًا مَغْفُورَا * اِنَّهُ اَهْلُ التَّقْوَى
 وَاَهْلُ الْمَغْفِرَةِ * وَهُوَ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ * الْاِهَادَى بِحُضْرِ فَضْلِهِ اِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ *

ثُمَّ قَرَضَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ اللَّطِيفَةِ * ذُو الشِّمِّ الْمَرْضِيَّةِ الشَّرِيفَةِ * وَلَدَنَا الْبَارِ
 الزَّكِيَّ * وَالشَّابَّ النَّجِيبَ الذَّكِيَّ * السَّيِّدَ قَدُورَ بْنِ مَحْيَى الدِّينِ * أَكْثَرَ
 اللَّهُ مِنْ اَنْدَادِهِ ءَامِينَ * وَهِيَ :

اعَزَّ مَغْتَنِّمَ نَصْفُو مَشَارِبِهِ * يَحْظَى بِهِ لَهْجَ الْعِلْمِ مَسْرُورِ
 حَقَائِقَ فِي الْجَوَاهِرِ الْحَسَانِ لَهَا * فِي الصَّدْرِ شَرْحَ وَفِي عَيْنِ الْحَبَّانُورِ
 وَالْخَلْقِ مِنْ نَاهِجِ سَبَلَا مَغْبِتْهَا * حَمِيدَةً سَعِيهِ فِي الْخَيْرِ مَشْكُورِ
 مَأْمُولِهِ الْمَجْدَ لَا لَهْوَ يَشْطُهُ * عَنِ الْمَعَالَى وَلَا يَثْنِيهِ تَقْصِيرِ
 وَذَاهِلِ خَابِطٍ فِي التَّيِّهِ مَعْتَسِفِ * وَعَقْلُهُ نَجَسِيسُ الشَّيْءِ مَبْهُورِ
 فَمَا يَحْصِلُ مِنْ نَيْلِ الْمَأْرَبِ * اِلَّا كَمَا نَقَرَ الْمَاءُ الْعَصَافِيرِ
 فَاِنْ ذَا مِنْ اِمَامٍ بِدَرْهَمَتِهِ * بَيْنَ النُّجُومِ لَهُ هُدًى وَتَنْوِيرِ
 طَلَاعِ انْجِدَةِ كَشَافِ مَعْضَلَةٍ * خَضَمَ مَعْرِفَةَ الْعِلْمِ مَسْجُورِ
 فَخَرِ الْجَزَائِرِ مِنْ لَهْ الْعَلَى اَنْتَسَبَتْ * وَطَارِصَتْ لَهُ فِي النَّاسِ مَذْكُورِ
 نَجَلِ ابْنِ غُلُوفِ الثَّعَالِيِّ عَابِدِ الْاَلِ * رَحْمَنٍ مِنْ بَهْجَتِ بِهِ الطَّوَامِيرِ

فدونسك الدر في تفسيره نضدا * والبحر يقذفه والدر منشور
 بدت لدى فصل ٠ اي الله ٠ ايته * شمس الضحى بزغت مادونها سور
 تكاد تنطق في الاوراق احرفه * اذ رصف الوضع فيها منه تدبير
 لولا الطروس لها بالرقم ماسكة * لكان منها مع الارواح تطيير
 رقت اساليبه جت عجائبه * لذت اطايبه ما فيه منكور
 وما تظن بقطب يوحه سطعت * وقلبه مخلص بالحق مفظور
 ان العصور تنافست مناقبه * فجدده ببقاء الدهر مأثور
 وخذت ذكر بان في الوري شرفا * ولو مشيده في الرمس مقبور
 ان غاب تفسيره عن طرفنا زمنا * وكاد تذهب به عنا الاعاصير
 فقد تصدى له بالنشر مجتهد * سامى المقام طويل الباع نحرير
 ذ وخبرة احكمت تصحيحه فقدا * له من المسخ والتحريف تحرير
 وقابل الفرع بالاصول فارتجعت * وصح ما سامه من قبل تكسير
 هو الكمال ابن مصطفى محمدنا * مسدد الرأي ماضي العزم شمير
 حبر معارفه بجر ما آثره * غر وبالفضل في الافاق مشهور
 دامت مساعيه في الدنيا ممدحة * واجره عند رب العرش موفور



فهرست الجزء الرابع من كتاب الجواهر الحسان
في تفسير القرآن

٢٤٠ تفسير سورة الرحمن عز وجل	٢ تفسير سورة يس
٢٤٩ — — الواقعة	١٣ — — والصفات
٢٦١ — — الحديد	٢٩ — — ص
٢٧٥ — — المجادلة	٤٦ — — الزمر
٢٨١ — — الحشر	٦٥ — — غافر
٢٨٩ — — الممتحنة	٨١ — — حم السجدة
٢٩٥ — — الصف	٩٩ — — الشورى
٢٩٨ — — الجمعة	١٢٠ — — الزخرف
٣٠٣ — — اذا جاءك المنافقون	١٣٥ — — الدخان
٣٠٦ — — التغابن	١٤٢ — — الجاثية
٣٠٩ — — الطلاق	١٤٨ — — الاحقاف
٣١٤ — — التحريم	١٦٠ — — القتال
٣١٨ — — الملك	١٧١ — — الفتح
٣٢٤ — — القلم	١٨٥ — — الحجرات
٣٣١ — — الحاقة	١٩٤ — — ق
٣٣٧ — — سأل سائل	٢٠٤ — — والذاريات
٣٤٣ — — نوح عليه السلام	٢١٣ — — والطور
٣٤٦ — — الجن	٢٢٢ — — والنجم
٣٥٠ — — المزمل	٢٣٣ — — اقتربت الساعة

﴿ ب ﴾

٤٢٥ تفسير سورة والتين ٤٢٧ — — القلم ٤٣٠ — — انا انزلناه في ليلة القدر ٤٣٢ — — لم يكن ٤٣٣ — — اذا زلزلت ٤٣٥ — — والعاديات ٤٣٧ — — القارعة ٤٣٨ — — التكاثر ٤٤٠ — — والمصر ٤٤١ — — الحمزة ٤٤٢ — — الم تر ٤٤٣ — — لايلاف قريش ٤٤٤ — — ارأيت الذي ٤٤٥ — — انا اعطيناك الكوثر ٤٤٦ — — قل يا ايها الكافرون ٤٤٨ — — النصر ٤٤٨ — — تبت يدا ابي لهب ٤٥٠ — — الاخلاص ٤٥٢ — — المودة الاولى ٤٥٣ — — المودة الثانية	٣٥٨ تفسير سورة المدثر ٣٦٤ — — القيامة ٣٧٠ — — الانسان ٣٧٦ — — والمرسلات ٣٧٩ — — عم يتساءلون ٣٨٣ — — والنازعات ٣٨٦ — — عبس ٣٨٩ — — التكويد ٣٩٢ — — الانفطار ٣٩٣ — — المطففين ٣٩٧ — — الانشقاق ٤٠٠ — — والسماء ذات البروج ٤٠٢ — — والسماء والطارق ٤٠٤ — — سبح اسم ربك ٤٠٨ — — هل اتاك حديث الغاشية ٤١٠ — — والفجر ٤١٤ — — البلد ٤١٧ — — والشمس وضحاها ٤٢٠ — — والليل ٤٢٢ — — والضحي ٤٢٤ — — الم نشرح
--	--